٥٢٦٦



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سـ

﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والا

...ه الغفران أ ... ب زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه و

...بقات جمعت فيها بغاية الاختصار الفتوحات الاسلامية الـ

...الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك فابتدأت

كان ... بكر الصديق رضي الله عنه وسميتها الفتوحات الاسلامية بعـ

مضي الفتوحات النبوية ولها بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما لأن النبي صلى

الله عليه وسلم جهزه في زمنه الذي توفي فيه وأمره ان يسير الى الموضع الذي استشهد فيه

أبوه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقا والداروم من ارض

فلسطين ومشارق الشام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مسـ

استخلف ابو بكر رضي الله عنه وارتد كثير من العرب أشار عليه ...

بتأخير جيش أسامة رضي الله عنه فامتنـ

رسول الله صلى الله

جهزه رسـ

صلى

...ين يوما ولم يحدث ابو بكر رضي الله عنه في مغـ

...ظم الأمور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن

الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثبتت قريش وثقيف على الاسلام ولم يرتد أحد منهم أما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه فانه خطب أهل مكة خطبة تشبه خطبة ابي بكر رضي الله عنه التي خطب بها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أهل المدينة بها فلما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وتلى آيات أخر ثم قال والله اني أعلم ان هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما وقال ايضا يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدين اليكم العرب وتؤدي اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزء ومصدق فكان ما رأيتم فوالله ليكونن الباقي ثم ذكر لهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلاف ابي بكر رضي الله عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوي دينكم وان الله جمعكم على خيركم يعني ابابكر رضي الله عنه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وهذه الخطبة هي المقام الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر لما أسر سهيل بن عمرو مع من أسر من كفار قريش يوم بدر وكان فصيحا بليغا يخطبهم ويحثهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا لان سهيلا كان أعلم اي مشقوق الشفة العليا والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطع الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعه يا عمر فعسى ان يقوم مقاما تحمده عليه ولا تذمه فكان ذلك المقام هذه الخطبة التي قام بها حين جاءهم بمكة خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وثبت الله بها أهل مكة وكان اسلام سهيل ابن عمرو عام فتح مكة واستشهد يوم اليرموك سنة ثنتي عشرة وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب لانه من بني عامر بن لؤي والنبي صلى الله عليه وسلم من بني كعب بن لؤي وكان سهيل رضي الله عنه من أشراف قريش وله ترجمة واسعة وأما ثقيف فثبتهم الله بعثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه فانه قام فيهم بمثل ما قام به سهيل بن عمرو في مكة فثبتوا وكان قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهور مسيلمة الكذاب ودعواه النبوة باليمامة وظهور طليحة بن خويلد الأسدي ودعواه النبوة في بني أسد وغطفان وظهور الأسود العنسي ودعواه النبوة باليمن فاما الأسود العنسي فسلط الله عليه فيروز الديلمي فقتله وأخبر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قبل وفاته ثم جاءتهم الأخبار بقتله في أول خلافة ابى بكر رضى الله عنه وأما مسيلمة وطليحة الأسدى فسيأتى الكلام عليهما ولما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين واشرأبت اليهودية والنصرانية وعم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية واضطرمت الارض نارا وكانت ردتهم مختلفة فمنهم من قال لو كان نبيا ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا أبدا ومنهم من قال نؤمن بالله ومنهم من قال نؤمن بالله ونشهد ان محمدا رسول الله ونصلى ولكن لانعطيكم أموالنا فقال أبو بكر رضى الله عنه ان الزكاة مثل الصلاة والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فجادله فى ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وابو عبيدة وسالم مولى ابى حذيفة وغيرهم ومن مجادلتهم له قول عمر رضى الله عنه له تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له ابو بكر رضى الله عنه رجوت نصرتك وجئتنى بخذ لانك أجبار فى الجاهلية وخوار فى الأسلام قد انقطع الوحى وتم الدين أينقص وانا حى والله لأجاهدنهم مهما أستمسك السيف فى يدى وان منعونى عقالا وقال له عمر ايضا انما شحت العرب على أموالها فلو تركت للناس صدقة هذه السنة فأبى الاقتالهم وقال له عمر ايضا كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوها عصموا منى دمائهم واموالهم فقال له ابو بكر رضى الله عنه أليس قد قال الابحقها ومن حقها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والله لو منعونى عقالا وفى رواية عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى فقال عمر رضى الله عنه فو الله ماهو الا ان رأيت أن شرح الله صدر ابى بكر للقتال فعرفت انه الحق وقال عمر بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابى بكر بايمان هذه الامة فى قتال اهل الردة وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبى بكر أجمعنا ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم رضى الله عنهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه ابو بكر رضى الله عنه قال انس بن مالك رضى الله عنه كره الصحابة أولا قتال مانعى الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد ابو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره وهذا دليل على كمال شجاعته وقال ابو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من ابى بكر رضى الله عنه لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال اهل الردة

﴿ ذكر أول وقعة فى قتال أهل الردة ﴾

كان بعض أهل الردة طمعوا فى استيلائهم على المدينة واستيصال الصحابة ليرجعوا الأمر جاهلية كما كانوا فتعجل جماعة من بنى عبس وذبيان ونزلوا فى الأبرق ونزل آخرون بذى القصة ومعهم قوم من بنى اسد وكنانة وبعثوا وفدا الى ابى بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون

الزكاة فأبى ابو بكر من ذلك وأخذ فى الاحتراس والتحذر منهم فجعل على أنقاب المدينة عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم ورجع وفد المرتدين فأخبروا قومهم بقلة أهل المدينة فأغاروا على من كان بأنقاب المدينة فبعثوا الى ابى بكر فخرج فى أهل المسجد الحاضرين فى ذلك الوقت على النواضح فهربوا والمسلمون فى اتباعهم الى ذى خشب وكان للمرتدين كمين فى ذى حسى فنفروا أبل المسلمين بشنان نفخوها وفيها حبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم فظن المرتدون بالمسلمين الوهن وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات ابو بكر رضى الله عنه يعبى الناس وخرج على تعبيته فاطلع الفجر الاوهم والعدو على صعيد واحد فاشعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فاذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتلوا رجالا منهم وتبعهم ابو بكر رضى الله عنه ومن معه حتى نزلوا بذى القصة وكان ذلك اول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون واعتز المسلمون بوقعة ابى بكر هذه واستبشروا ولما قدم أسامة بن زيد استخلفه ابو بكر رضى الله عنه على المدينة وخرج بمن معه من المسلمين الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة أسيرا فطأطئت بنو عبس وبنو بكر وأقام ابو بكر بالابرق أياما وغلب على بنى ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم ثم رجع الى المدينة ولما انهزم بنو عبس وذبيان رجعوا الى طليحة الأسدى وهو ببزاخة ثم قطع ابو بكر رضى الله عنه البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء وجعل لكل لواء أميرا وعزم ابو بكر على الخروج لقتال المرتدين بنفسه وأمر الناس بالجهاد فخرجوا وخرج هو فى مائة من المهاجرين والانصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بذى القصة ومكث اياما ينتظر الناس وبعث الى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة فأقبلوا من كل ناحية حتى كثر الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما يكلمان أبا بكر فى الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقال عمر أرجع ياخليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردأ فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق وابو بكر يظهر المسير بنفسه واخرج الدارقطنى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال لما برز أبو بكر واستوى على الراحلة اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال الى أين ياخليفة رسول الله أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام ابدا ولما ألحوا عليه فى الرجوع رجع بعد أن بعث الأمراء فى كل ناحية لقتال أهل الردة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى بزاخة لقتال طليحة ابن خويلد الاسدي ﴾
﴿ من بنى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ﴾

ادعى النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وزعم ان جبريل يأتيه وسجع للناس الاكاذيب والخرافات التى تمجها الأسماع كقوله والحمام واليمام والصرد والصوام قد صمن

قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وكثر أتباعه من بني أسد وغطفان وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله مايصنع بتعفر وجوهكم وتقبيح أدباركم شيأ اذكروا الله اعبدوه قياما فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال طليحة ومعه كثير من المهاجرين والانصار ومعه ايضا عدي بن حاتم في ألف من طيئ وكان طليحة قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان كاهنا فادعى النبوة فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم استطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وغيرهم وارتد ايضا عيينة بن حصن الفزاري وصار مع طليحة ونزلوا جميعا بزاخة فقصدهم خالد بن الوليد بمن معه وتقاتلوا واشتد القتال ثم انهزموا فقتل من قتل منهم وأسلم من أسلم فوثب طليحة على فرسه واحتقب امرأته ونجا بها الى الشام روى ان طليحة قال لاصحابه لما رأى انهزامهم ويلكم مايهزمكم فقال له رجل منهم انا أخبركم انه ليس منا رجل الا وهو يحب ان صاحبه يموت قبله وانا نلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه وكان خالد بن الوليد قبل القتال ولقاء القوم أرسل طليعة عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أرقم الانصاري فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا وقيل ان حبال أخو طليحة أسر فأرادوا ارساله الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اضربوا عنقي ولا تروني محمديكم هذا ولما وقع القتال من طليحة وقومه كان خالد رضي الله عنه يحرض المؤمنين ويقول يامعشر الانصار الله الله واقتحم وسط القوم وكر على اصحاب طليحة فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم واشتد القتال وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وقاتل عيينة بن حصن مع طليحة قتالا شديدا وكذا قومه وكان معه منهم سبعمائة ولما انهزم القوم أسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيري وأرسلا الى ابي بكر رضي الله عنه فرجعا للاسلام فقبله منهما واما طليحة فانه لما انهزم الناس فر وبقي نحو الشام عند بني غسان الى ان توفي ابو بكر رضي الله عنه ودخل بنو أسد وغيرهم في الاسلام أسلم طليحة وحسن اسلامه ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبايعه وقال له عمر رضي الله عنه انت قاتل عكاشة وثابت والله لاأحبك ابدا فقال ياأمير المؤمنين مايهمك من رجلين اكرمهما الله بالشهادة على يدي ولم يهني بايديهما ثم كان لطليحة آثار جميلة في قتال الفرس لما فتح العراق وكان من الشجعان المشهورين استشهد رضي الله عنه بها وبنهاوند سنة ثمان عشرة ولما أوقع الله ببني أسد ما أوقع وانهزموا بث خالد السرايا ليصيبوا ماقدروا عليه فجعلت العرب تسير الى خالد راغبة في الاسلام او خائفة من السيف ومنهم من مضى الى ابي بكر ولم يأت خالدا ولما فرغ خالد من بني اسد سار الى ارض بني تميم فلما وصل الى البطاح من ارض تميم لم يجد بها جمعا ففرق السرايا في نواحيها فلقوا اثني عشر رجلا فيهم مالك بن نويرة التميمي وكانوا ممن ارتدوا ومنعوا الزكاة فأخذوهم وجاؤا بهم خالدا واختلف الذين أخذوهم في مالك بن نويرة ومن معه فقال قوم انهم أسلموا فمالنا عليهم من سبيل وقال قوم لم يسلموا وان قتلهم وسبيهم حلال وكان ذلك رأى خالد فيهم فامر بهم خالد فقتلوا وقتل معهم مالك وتزوج خالد امرأته وقيل ان خالدا سمع من مالك كلاما استدل به على عدم اسلامه من ذلك انه قال ان صاحبكم قد توفي فعلم خالد أنه أراد

انه صلى الله عليه وسلم ليس بصاحب له فتيقن ردته فقتله بعد ان تكرر من مالك قوله فعل صاحبكم شأن صاحبكم فقال له خالد وليس بصاحب لك وقيل انه لما قدم مالك بن نويرة ومعه الأسرى على خالد حبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة ممطرة فنادى مناديه ان أدفئوا أسراكم وكانت فى لغة كنانة كناية عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانيا وسمع خالد الداعية فخرج متأسفا وقد فرغوا فقال اذا أراد الله امرا أصابه ولما قدم خالد على ابى بكر رضى الله عنه سأله عن قتل مالك بن نويرة فأخبره بذلك واعتذر اليه فقبل عذره وأراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان ابابكر رضى الله عنه يقتل خالدا قصاصا فى مالك بن نويرة فقال ابوبكر ياعمر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ودفع ابوبكر رضى الله عنه ديات لأولياء مالك بن نويرة ومن قتل معه وكان مالك بن نويرة أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقدم عليه فجعله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه فجمعها فلما بلغه وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ردها من حيث جاءت وكان من أمره ما تقدم وكان خالد رضى الله عنه بعد وقعة مالك بن نويرة رجع من البطاح الى المدينة واجتمع بابى بكر رضى الله عنه واعتذر مما كان فى أمر مالك بن نويرة فقبل عذره وأمره بالسير الى قتال مسيلمة فسار خالد ومن معه لقتال أهل اليمامة التابعين لمسيلمة ولنذكر قبل ذلك خبر سجاح بنت الحارث التميمية

﴿ ذكر خبر سجاح ﴾

لما ارتد كثير من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأقبلت من الجزيرة وتبعها كثير من قومها وقوم من بنى تغلب وكانوا أخوالها وسجعت لهم أسجاع طليحة الأسدى ومسيلمة الكذاب من ذلك قولها أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب وأرادت أن تغزو بجموعها ابابكر رضى الله عنه بالمدينة ثم أشاروا عليها بغزو مسيلمة باليمامة فخرجت بمن معها تريد اليمامة وقالت عليكم باليمامة ذفوا ذفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فبلغ ذلك مسيلمة فاحتال عليها وأرسل لها هدية ثم أرسل لها يستأمن على نفسه حتى يأتيها فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة وأرسل لها أبعدى أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة فجمرها وأكثر فيها من رائحة الطيب المحرك للشهوة واجتمع بها فى تلك القبة فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم ترى الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا ايضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلاجا وتخرجها اذا شاءت اخراجا فينتجن لهن سخالا انتاجا قالت أشهد أنك نبى قال هل لك ان أتزوجك وآكل بقومى وقومك العرب قالت نعم قال

* ألا قومى الى النيك * فقد هيئ لك المضجع * فان شئت فى البيت *
* وان شئت فى المخدع * وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع *
* وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع * قالت بل به أجمع

فانه أجمع للشمل قال بذلك أوحى الى فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته قالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت أصدقني قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له ناد في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الاخيرة فانصرفت معها أصحابها فقال بعض منهم

* أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا *

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف والنصف الثاني تترك عنده من يأخذه فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وتركت عنده من يأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا وقد جاء خالد اليهم فارفضوا قيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها ذكر وقيل انها أسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو أمير على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد رضى الله عنه الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب بن حبيب الحنفي ﴾

كان ابو بكر رضى الله عنه لما بعث السرايا لقتال المرتدين أرسل عكرمة بن ابي جهل رضى الله عنه في عسكر الى مسيلمة وأتبعه بشرحبيل بن حسنة التميمي وقيل الكندي وكان حليفا لبني زهرة رضى الله عنه فعجل عكرمة فوافاهم فنكبوه فانهزم وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة لأبي بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر ان لا ترجع فتوهن الناس امض الى قتال أهل عمان ومهرة وكان قد أرسل الى قتالهم حذيفة بن محصن وعرفجة ابن هرثمة فأمر عكرمة باللحاق بهما ثم لما جاء خالد الى المدينة بعد قصة مالك بن نويرة أمره بالمسير الى اليمامة لقتال مسيلمة بن حبيب ومسيلمة من بني حنيفة وهي قبيلة من قبائل ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وكان مسيلمة رئيسا في قومه فقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل له الأمر بعده وكان في يد النبي صلى الله عليه وسلم عسيب من سعف النخل فقال لمسيلمة لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه فلما رجع الى اليمامة ارتد عدو الله وادعى النبوة وقال انى أشركت في الامر مع محمد فاتبعه بنو حنيفة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه أتشهدان أني رسول الله قالا نعم قال أتشهدان ان مسيلمة رسول الله قالا نعم اشترك معك في الأمر فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقد اهلكت اهل الحجر ابادك الله ومن صوت
معك فلما جاء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفاه وكتب عن رسول الله كتابا
زعم انه وصله بثبوت الشركة بينهما واخرج ذلك الكتاب الى قومه فافتتنوا بذلك وكان
ذلك في آخر السنة العاشرة من الهجرة قال الزمخشري في ربيع الابرار قال الجاحظ كان مسيلمة
قبل ادعا النبوة يدور في الاسواق التى بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات
واحتيالات اصحاب الرقى والنجوم ومما تعلمه من الحيل انه صب على بيضة من خل حاذق
قاطع فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها
حتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب وادعى
النبوة فامن به جماعة ووضع الصلاة عن قومه واحل الخمر والزنا ونحو ذلك واتفق معه بنوا
حنيفة الا افرادا منهم من ذوى عقولهم ومن اراد الله به الخير ثم اشتغل بتأليف سجعات
يزعم انه يعارض بها القرآن وهى ركيكة مضحكة للعقلا منها قوله الفيل ما الفيل وما ادراك
ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر وخرطوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لقليل ومنها
قوله يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين
وروى يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكثى
في الارض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش
قوم لا يعدلون وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر
فصل لربك وهاجر ان مبغضك لفاجر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك
وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر
في الليالي الغوادر ولما سمع اللعين والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا فالحاصدات
حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والخابزات خبزا فالثاردات
ثردا فاللاقمات لقما والآكلات اكلا لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر
وله غير ذلك مما يدل على سخافة عقله وعقل من صدقه واتبعه روى ان امرأة اتت مسيلمة
فقالت ادع الله لنا ولنخلنا ولمائنا فان محمدا دعا لقومه لجاشت ابارهم وكثر ماؤها قال
كيف صنع قالت دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومج فيه فافرغوه في تلك الابار ففعل
مسيلمة كذلك فغارت تلك المياه ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عين
على رضى الله عنه وكان ارمد فبرء تفل في عين بصير فعمى ومسح بيده ضرع شاة حلوب
فارتفع درها ويبس ضرعها وحفرة بنو حنيفة بيرا فاعذبوها متاحا فجاؤا الى مسيلمة
وطلبوا منه ان يأتيها وان يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت اجاجا وتوضأ مسيلمة
في حائط فصب وضوءه فيه فلم ينبت وقال له رجل بارك على ولدى فان محمدا يبارك على
اولاد اصحابه فلم يؤت بصبي مسح مسيلمة رأسه اوحنكه الا قرع اولثغ وجاءه رجل فقال
يا ابا ثمامه انى ذو مال وليس لى مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن
عشر سنين ولى مولود ولد امس احب ان تبارك فيه وتدعو ان يطيل الله عمره فقال سأطلب

قال في القاموس والنيرنج بالكسر اخذ كالسحر وليس به انتهى

لك الذي طلبت فجعل عمر المولود اربعين سنة فرجع الرجل الى اهله مسرورا فتردى الاكبر
فى بير ووجد الصغير ينزع فى الموت فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا فقالت امهما
فلا والله مالأبى ثمامه عند الهه مثل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مسيلمة قبيح
الخلقة وذميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم
ان جبريل يأتيه بالوحى وكان اسمه هارون ابن حبيب وكنيته ابوثمامه ولقبه مسيلمة و
يقال له رحمن اليمامه قيل انه كان يقول ان الذى يأتيه اسمه رحمن وقيل انه من باب
تعنتهم فى الكفرهم ولما فرغ خالد من البطاح ورجع الى المدينة ورضى عنه ابو بكر
رضى الله عنه بعثه الى مسيلمة فتعجل الى البطاح وامده ابو بكر رضى الله عنه بالرجال
فانتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامه وكان جيشه اربعة آلاف وكان اهل
اليمامة اربعون الف مقاتل ولما بلغهم دنو خالد بن الوليد رضى الله عنه خرجوا وعسكروا
فى منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم واقبل خالد وجعل على مقدمته
شرحبيل بن حسنه فهجم عليه من اصحاب مسيلمة ليلة سرية اربعون اوستون فبض المسلمون
عليهم وقتلوهم ثم سار خالد ونازل بنى حنيفة واشتدت الحرب ولم يلق المسلمون حربا
مثلها قط وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة
للكافرين ثم انزل الله نصره على المسلمين حتى الجؤا بنى حنيفة الى حديقة احتشدوا فيها
فدخلها المسلمون عليهم وقاتلوهم اشد القتال فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك فى
قتله وحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه ورجل من الانصار اما
وحشى فدفع عليه حربته فوقعت بين ثدييه وضربه الانصارى بسيفه واختلف فى هذا
الانصارى فقيل هو ابو دجانه وقيل هو عبدالله بن زيد قال ابن عمر فصرخ رجل وقال
قتله العبد الاسود وقالت جارية على ظهر بيت وآمير المؤمنين قتله العبد الاسود فولت بنو
حنيفة عند قتله مهزومة واخذهم السيف من كل جانب ثم بقى منهم جماعة بالحصون
فصالحهم خالد على كل شئ دون النفوس وفى رواية فصالحهم على الصفرا والبيضا
والحلقة والكراع ونصف السبي وكان وحشي يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر
الناس فى الاسلام يعنى حمزة ومسيلمه وفى تاريخ ابن الوردى لما عزى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحمزة حين قتله وحشى بأحد قال بعضهم ويل لوحشى من النار فقال صلى الله
عليه وسلم اما حمزة فاجله قد انقضى واما وحشى فسوف يدرك الشرف من بعده فقالوا
كيف يا رسول الله قال هو يقتل مسيلمة الكذاب فكان كما قال صلى الله عليه وسلم واستشهد
فى هذه الوقعة كثير من مشاهير المهاجرين والانصار وفضلاء الصحابة يطول الكلام بتعداد
اسمائهم وجملة من قتل من المهاجرين والأنصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين
من غير المدينة ثلاثمايه رجل ومن بقية المسلمين ستمائه فجملة من استشهد من المسلمين الف
ومائتان وقيل الف وثمانمأة ومن المشركين نحو عشرين الف قتل منهم فى الحديقة فقط
سبعة عشر الفا كما فى تاريخ ابن خلدون وكانت هذه الوقعة فى ربيع الاول من سنة ثنتى
عشرة من الهجرة كذا فى تاريخ الخميس والذى يقتضه تاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن

خلدون انها كانت في اواخر السنة الحادية عشر لأنهم ذكروا ان مسير خالد الى العراق في اول سنة ثنتي عشرة وكان ذلك بعد فراغه من قتال اهل اليمامة وكان القتال يوما كاملا من بكرة النهار الى بعد العصر وقاتل خالد بن الوليد في ذلك اليوم قتالا شديدا وكان يقول شهدت عشرين زحفا فلم ارقوما اصبر لوقع السيوف ولا اضرب بها ولا اثبت اقداما من بني حنيفة يوم اليمامه وقال ابو برزة الاسلمي لقد اقتحم خالد حتى اعذر وصبر حتى ظفر وقال رافع بن خديج خرجنا ونحن اربعة آلاف فانتهينا الى اليمامة فننتهي الى قوم هم الذين قال الله فيهم ستدعون الى قوم اولى بأس شديد ثم ان الله بمنه وكرمه وفضله رزقنا عليهم الظفر وكان مع المسلمين امرأة وهي ام عماره نسيبه بنت كعب الانصاريه وهي والدة عبد الله بن زيد الذي قتل مسيلمة مع وحشي وشهدت امه ذلك اليوم وقطعت يدها في ذلك القتال وكانت ام عماره هذه جاءت الى ابي بكر رضي الله عنه لما تجهز القوم للخروج واستأذنته في الخروج فقال لها ابو بكر رضي الله عنه مامثلك يحال بينه وبين الخروج قد عرفناك وعرفنا جرآءتك في الحرب فاخرجي على اسم الله وكان مسيلمة قبل خروجهم قد ظفر بابن لها وهو حبيب ابن زيد وكان مقبلا من عمان يريد المدينه فسمع به مسيلمة فارسل من قبض عليه وجئ به اسرا فقال له مسيلمة اتشهد انى رسول الله فقال لا اسمع فقال له اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقتل وكان كلما قال اتشهد انى رسول الله قال لا اسمع فاذا قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ثم احرقه بالنار وهو في كل ذلك لاينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى مات في النار فخرجت امه مع القوم لتأخذ بثار ابنها فلما انتهوا الى اليمامه فكانت تقاتل مع المسلمين قالت فلما انتهينا الى الحديقة ازدحنا على الباب فاقتحمنا فصار بنا هم ساعة وجعلت اقصد عدو الله مسيلمة لان اراه ولقد عاهدت الله لئن رأيته لا اكذب عنه او اقتل دونه وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرس القوم فلاصوت الا وقع السيوف حتى بصرت بعدو الله فشددت عليه وعرض لى منهم رجل فضرب يدى فقطعها فوالله ماعرجت عليها حتى انتهيت الى الخبيث وهو صريع قد قتله ابني عبد الله وفي رواية وابني يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته قال نعم ياامه فسجدت شكرا لله تعالى وقطع الله دابرهم فلما انقطعت الحرب ورجعت الى منزلي جاءني خالد ابن الوليد بطبيب من العرب فداواني بالزيت المغلى وكان والله اشد علي من القطع وكان خالد كثير التعاهد لى حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا وعن محمد بن يحيى بن حبان قال جرحت ام عماره يوم اليمامه احد عشر جرحا بين ضربة سيف او رمية بسهم اوطعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك ولما قدمت المدينة كان ابو بكر رضي الله عنه يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة وممن استشهد يوم اليمامه ثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاخر به وفود العرب اذا قدموا عليه يفتخرون بفصاحة خطبائهم وكان يوم اليمامة معه راية الانصار ولما استشهد ودفنه المسلمون سمعوه حين ادخلوه في قبره يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظروه فاذا هو ميت ذكر ذلك القاضي عياض في الشفا

وبعد وفاته رآه رجل من المسلمين في منامه يقول له اني موصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم
فتضيعه اني لما قتلت بالامس جاء رجل من ضاحية نجد وعلم درعي فاخذها واتى بها منزله
فاكفا عليها برمته وجعل على البرمة رحلا وخباوه في اقصى العسكر الى جنب خبائه فرس ابلق
يسن في طوله فأت خالد بن الوليد فاخبره فليبعث الى درعي فليأخذها واذا قدمت على خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان على من الدين كذا ولي من الدين كذا وسعد و [illegible]
غلاماي حران فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه فلما اصبح الرجل اتى خالد رضي الله عنه فاخبره
فبعث خالد الى الدرع فوجدها كما قال واخبره بوصيته فاجازها ولا نعلم ان احدا من المسلمين
اجيزة وصيته بعد موته الا ثابت ابن قيس بن شماس وقد روى ان بلال بن الحارث رضي الله
عنه كان صاحب الرؤيا ولما انقضى القتال اجتمع خالد بن الوليد ببعض اهل اليمامة وسألهم
من اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فاين
يذهب بكم عن احلامكم وقال ابو بكر رضي الله عنه في حق اهل اليمامة لن يزالوا من كذابهم
في بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى وقصة يوم اليمامة طويلة وقع فيها عجائب من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت معجزات له صلى الله عليه وسلم وكرامات لهم
وكلها مذكورة في التواريخ وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم والكلام على
بقية اهل الردة الذين قاتلهم غير خالد بن الوليد سيأتي الكلام عليه مؤخرا بعد اتمام الكلام
على غزوات خالد بن الوليد بالمشرق والعراق

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق ﴾

ولما فرغ خالد بن الوليد من امر اليمامه بعث اليه ابو بكر رضي الله عنه في المحرم من سنة ثنتي
عشرة فامره بالمسير الى العراق فسار من اليمامه وقيل قدم على ابي بكر رضي الله عنه ثم سار
من المدينة وانتهى الى قرية بالسواد وصالحه اهلها على عشرة آلاف دينار فقبضها ووضع الجزية
عليهم ثم سار الى الحيره وخرج اليه اشرافها مع اياس ابن قبيصه الطائي الامير عليها بعد النعمان
ابن المنذر فدعاهم الى الاسلام او الجزية او مناجزة الحرب فاختاروا الجزية فصالحوه
على تسعين الف درهم ثم سار الى الابله وكان معه عشرة الاف وامده ابو بكر رضي الله
عنه بالمثنى بن حارثة الشيباني ومعه ثمانية الاف وكان قبل مجئ خالد استأذن ابا بكر
رضي الله عنه ان يغزوا بالعراق فلما قدم خالد امر ابو بكر المثنى ان يكون مع خالد ونازلوا
الحفير وكان ذلك الفرج اعظم فروج فارس واشدها شوكة وكان صاحبه اسمه هرمز
فكان يحارب العرب في البر ويحارب الهند في البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى كسرى اذدشير
الملك بالخبر وتعجل هو الى الكواظم واقترن قومه بالسلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد
وكانوا سبقوه في النزول على الماء فنزل خالد على غير ماء فقال له اصحابه في ذلك فقال لهم
لعمري ليصيرن الماء لاصبر الفريقين فحطوا اثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم فارسل الله
سحابة فاغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز
وتواطأ مع اصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشي نحوه راجلا ونزل هرمز ايضا

وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل اصحاب هرمز الذين تواطأ معهم فاشغل ذلك خالدا عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو عليهم فازاحهم وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون وقتل خالد هرمز واخذ سلبه وكانت قلنسوته بمائة الف وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة الف و بعث خالد بالفتح والاخماس الى ابى بكر وسميت هذه الوقعة ذات السلاسل ثم سار خالد فنزل بمكان البصرة و بعث المثنى بن حارثة فى اثار العدو فحاصر حصن المرأة وفتحه فاسلمت وتزوجها وكان كسرى اذدشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد امده بجيش فلقيه المنهزمون فرجعوا ونزلوا الثنى وهو النهر وتعرف هذه الوقعة بوقعة الثنى وسار اليهم خالد واقتتلوا وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين الفا سوى من غرق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة واخذ الجزية من الفلاحين وصاروا فى ذمة وكان فى السبى والد الحسن البصرى وكان نصرانيا ولما جاء الخبر الى كسرى بعث جيشا عظيما وعسكروا بالدلجه فسار اليهم خالد فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم اجتمعوا على مليس ومعهم كثير من نصارى العرب فسار اليهم خالد فبرز اليه مالك بن قيس فقتله خالد واشتد القتال ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم و بلغ عدد قتلاهم سبعين الفا ثم سار الى امغيشيا فغزا اهلها واعجلهم ان ينقلوا اموالهم فغنم جميع ما فيها وخربها فلما بلغ ذلك ابابكر رضى الله عنه قال عجزت النساء ان يلدن مثل خالد ثم سار الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيره فعسكر عند العريين وارسل ابنه ليقاطع الماء عن السفن فوقفت على الارض فسار اليه خالد فقتله وجميع من معه ثم سار خالد الى ابيه فى الحيره فهرب من غير قتال وحاصر خالد قصور الحيره وافتتحها واكثر القتل فخرج ابن قبيصة من القصر الابيض وعمرو بن عبد المسيح ابن بقيله وكان معمرا فقال له خالد كم اتى عليك قال مئو سنين قيل ان عمره كان اربعمائه سنة قال فما اعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيره تخرج المرأة فلا تتزود الا رغيفا وكان معه خادم معه كيس فسأله خالد ما فى هذا الكيس قال فيه سم ساعه فاخذه خالد ونثره فى يده وقال لم تستصحب هذا معك قال خشيت ان يكون على غير ما رأيت فيكون الموت احب الى من مكروه ادخله على قومى فقال له خالد لن تموت نفس حتى تأتى على اجلها ثم قال خالد بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ وابتلع السم فقال ابن عبد المسيح والله لتبلغن ما اردتم ما دام احد منكم هكذا واباخالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح لصحابى اسمه شويل كما فى تاريخ ابن الاثير وقيل شريك كما فى تاريخ ابن خلدون وكرامه بنت عبد المسيح قيل اسمها الشيما وسبب اشتراط تسليمها له ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيره سأله ذلك الصحابى ان يعطى كرامة بنت عبد المسيح قال ابن الاثير وكان راها شابه فمال اليها فوعده النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيره طلبها وشهد له شهود بوعد النبى صلى الله عليه وسلم فسلموها لخالد وسلمها خالد له وفاء لوعد النبى صلى الله عليه وسلم اياه فاشتروها منه بألف درهم وصالحهم خالد على مائتى الف وتسعين الفا واهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى ابى بكر رضى الله عنه فقبلها ابو بكر من الجزية

وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية وقصة بنت عبد المسيح ذكرها الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة البغله فقال روى الطبرانى وابو نعيم من طرق صحيحه عن خزيمة ابن اوس قال هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعته يقول هذه الحيره قد رفعت اليكم ستفتحونها وهذه الشيما بنت بقيله الازديه على بغلة شهبا معتجرة لخمار اسود فقلت يارسول الله ان نحن دخلنا الحيره فوجدناها على هذه الصفه فهى لى قال عليه الصلاة والسلام هى لك فاقبلنا مع خالد ابن الوليد نريد الحيره فلما دخلناها كان اول من تلقانا الشيما بنت بقيله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغله شهبا معتجره بخمار اسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فاتيته بها فسلمها لى ونزل الينا اخوها عبد المسيح فقال اتبعنيها فقلت نعم فقال احتكم ماشئت فقلت والله لا انقصها عن الف درهم فدفع لى الف درهم فقيل لى لو قلت مائة الف درهم لدفعها لك فقلت لا احسب مالا اكثر من الف درهم قال الطبرانى وبلغنى ان الشاهدين كان محمدا بن مسلمة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم انتهى وفى اسد الغابه ان اسم الصحابى المذكور حزيم ابن اوس الطائى وان المرأة اسمها الشيما وان الشاهد بن محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمرو وقيل محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير فمن قال ان الصحابى شويل اوشريك فلعله يلقب بذلك وكذلك من قال ان اسم المرأة كرامه فلعله لقب لها لان القصة واحدة وهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته والحيره مدينة بارض الكوفه على ساحل البحر كان بها ملك النعمان بن المنذر وغيره من ملوك العرب عمالا لكسرى ملك الفرس والآن لا اثر للمدينة المذكوره ومكان المدينة دجله

﴿ ذكر فتح ماور الحيره ﴾

كان الدهاقين يتربصون بخالد مايصنع باهل الحيره فلما صالحهم واستقاموا له جائته الدهاقين من كل ناحية فصالحوه عما يلى الحيره من الفلاليج على الفى ألف وبث السرايا فى الثغور وامرهم بالغاره فخروا السواد كله الى شاطى دجله وكتب الى ملوك فارس يدعوهم الى الاسلام او اداء الجزية واقام بالحيره سنة يصوب ويصعد والفرس حايرون فين يملكونه لان ملكهم مات فحصل اضطراب بينهم ثم سار خالد الى الانبار فحاصرهم وامر الرماة ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فاصابوا الف عين فسميت تلك الوقعه ذات العيون فارسلوا يطلبون الصلح على امر لم يرضه خالد فرد الرسل ونحر من ابل العسكر كل ضعيف والقاه فى خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فبذلوا لخالد ماراد وعقدوا الصلح معه والحقهم بأمنهم ليس معهم شئ غير المتاع ثم صالحه من حول الانبار واهل كلواذا

﴿ ذكر فتح عين التمر ﴾

ولما فرغ خالد من الانبار سار الى عين التمر وبها جمع عظيم من العجم ومعهم جمع من العرب من بنى تغلب وغيرهم فقال لهم العرب نحن اعلم بقتال العرب فدعونا وخالدا فقالوا صدقتم

فتقدم العرب لقتال خالد فاسراميرهم ثم قتله وهزمهم واسر كثيرا منهم فانهزم العجم وتركوا الحصن فتحصن المنهزمون من العرب فنازلهم خالد فطلبوا الامان فأبى فنزلوا على حكمه فاخذهم اسرى ثم قتلهم اجمعين وسبى كل من فى الحصن وغنم مافيه ووجد فى بيعتهم اربعين غلاما يتعلمون الانجيل فاخذهم فقسمهم على اهل البلاد منهم سيرين والد محمد بن سيرين ونصير ولد موسى بن نصير وحمران مولى عثمان رضى الله عنه وارسل الى ابى بكر بالخبر والخمس

ذكر خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر جاء كتاب من عياض بن غنم رضى الله عنه وكان اميرا على جيش لقتال نصارى العرب الذين بدومة الجندل فكتب لخالد يستمده على من بأزائه من نصارى العرب وكانوا قبايل كثيره فسار اليه خالد فنزل دومه وعياض عليها من الجهة الاخرى فقاتلوا النصارى العرب من الجهتين فانهزموا الى الحصن فحاصروهم وافتتحوا الحصن عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم فى الحيره وكثرت جوعهم بالحصيد ومعهم كثير من نصارى العرب وكان خالد جعل على الحيره القعقاع ابن عمرو فقاتلهم بالحصيد وقتل من العجم مقتلة عظيمة وهزمهم وغنم المسلمون غنايم كثيرة ثم اجتمع الاعاجم بمضيخ بنى البرشاء وكثرت جوعهم فبلغ الخبر خالدا فكتب الى القعقاع ومن معه من الامراء ووعدهم ساعة وليلة يجتمعون فيها الى المضيخ وخرج خالد قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الوعد اتفقوا جميعا فاغاروا عليهم وهم نايمون من ثلاثة اوجه فقتلوا كثيرا منهم وكان معهم عبد العزى ابن ابى رهم ولبيد بن جرير وكانا قد اسلما ومعهما كتاب من ابى بكر رضى الله عنه باسلامهما فقتلا فى المعركة فوداهما ابو بكر واوصى باولادهما وكان عمر رضى الله عنه يعتد بقتلهما وقتل مالك بن نويره على خالد فيقول ابو بكر كذلك يلقى من نازل اهل الشرك

ذكر وقعة الثنى والزميل

كان ربيعة بن بجير التغلبى بالثنى والزميل وهما شرقى الرصافة ومعه جوع يريد بها قتال خالد رضى الله فلما اصاب خالد اهل المضيخ امر القعقاع والامرا بالمسير ليغيروا عليهم وسار خالد من المضيخ واجتمع بالثنى فبيتوا القوم واغاروا عليهم من ثلاثة اوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبى ولما انهزم من كانوا بالمضيخ كان فيهم الهذيل بن عمران فلحق بجند لهم كان بالبشر فى عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء وقتل منهم قتلة عظيمة وقسم الغنائم وبعث الخمس الى ابى بكر رضى الله عنه ثم سار خالد الى الرضاب وبها جمع من نصارى العرب فهربوا و تفرقوا لما سمعوا بمسير خالد فوصل اليها خالد ولم يلق كيدا

ذكر وقعة الفراض

ثم سار خالد من الرضاب الى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وافطربها

رمضان لاتصال الغزوات وحيت الروم واستعانوا بمن يليهم من الفرس فاعانوهم واجتمع معهم من العراب تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد واقتتلوا بالغراض قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وامر خالد المسلمين ان لا يرفعوا عنهم السيف فقتل فى المعركة وفى الطلب مائة الف واقام خالد بالغراض عشرا ثم اذن بالرجوع الى الحيره لخمس بقيت من ذى القعدة وخرج هو من الغراض حاجا سرا ومعه عدة من اصحابه يعسف البلاد فاتى مكه وحج ورجع فما توافى جنده بالحيره حتى وافاهم ولم يعلم بحجه الا من اعلمه ولم يعلم بذلك ابو بكر رضى الله عنه الا بعد رجوعه فعتب عليه فى ذلك وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك وكانت غزواته هذه كلها فى اول من سنة لانه توجه الى العراق فى المحرم سنة ثنتى عشرة كما تقدم ولنذكر بقية الكلام على قتال اهل الردة الذى جرا من الامرا غير خالد بن الوليد ثم نرجع لما كان فى فتوح الشام

﴿ ذكر ردة بنى عامر وهوازن وسليم ﴾

كانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتوخر اخرى وتنظر امر طليحة وما تصنع بنو اسد وغطفان حتى احيط بهم واوقع بهم خالد بن الوليد وكان رؤسا بنى عامر قرة بن هبيره وعلقمة ابن علاثه وكان علقمة اسلم ثم ارتد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم اقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب فبلغ ذلك ابا بكر رضى الله عنه فبعث اليه سرية عليها القعقاع ابن عمرو فاغار على الماء الذى عليه علقمه وكان لايبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم واسلم اهله وولده فاخذهم القعقاع وقدم بهم على ابى بكر رضى الله عنه فجحدوا ان يكونوا على ما كان عليه علقمة ولم يبلغ ابابكر رضى الله عنه انهم فارقوا دارهم وقالوا له ماذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم اسلم علقمة فقبل ذلك منه واقبلت بنو عامر بعد هزيمة اهل بزاخه يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله واتوا خالد بن الوليد فبايعهم على ما بايع اهل بزاخه واعطوه بايديهم على الاسلام ولم يقبل من احد من اسد وغطفان وطى وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام فى حال ردتهم فأتوه بهم فمثل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم من الابار وارسل الى ابى بكر رضى الله عنه يعلمه واماقرة بن هبيرفكان قد لقى عمرو بن العاص رضى الله عنه منصرفه من عمان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمرو ان تركوا الزكاة فان العرب لا تدين لكم بالاتاوه فغضب عمرو واسمعه كلاما وابلغ مقالته ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد بذلك فقبض على قرة بن هبيره وبعث به الى ابى بكر فاسلم واعتذر فقبل ذلك منه ابو بكر وحقن دمه ثم اجتمع قبائل من غطفان وهوازن وطى واسد الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر فى الجوءب وبلغ ذلك خالدا بعد فراغه من اهل بزاخه فقاتلهم وسلمى واقفة على جملها حتى عقر وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل فانهزموا واما بنو سليم فكان الفجاءه ابن عبد ياليل قدم على ابى بكر رضى الله عنه يستعينه مدعيا اسلامه ويضمن له قتال

اهل

اهل الردة فاعطاه وأمره فخرج الى الجون وارتد و بعث نجبة بن ابى المثنى من بنى الشريد وامره بشن الغاره على المسلمين فى سليم وهوازن فبعث ابو بكر الى طريفة ابن حاجز وعبدالله بن قيس الحاسبى فنهضا اليه ولقياه فقتل نجبه وهرب الفجاه فلحقه طريفه فاسره وجاء به الى ابى بكر رضى الله عنه فاوقدله فى مصلى المدينة حطبا ثم رمى به فى النار مقموطا وفات بنو سليم كلهم ودخلوا فى الاسلام وكان منهم ابو شجره بن عبدالعزى السلمى وهو ابن الخنسا وكان قد ارتد وقال شعرا منه قوله

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

يعنى عمر بن الخطاب فلما اسلم قبل ابو بكر رضى الله عنه منه الاسلام فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه قدم المدينة فرأ عمر يقسم مالا فى المساكين فقال اعطنى فانى ذو حاجة فقال ومن انت فقال ابو شجره بن عبدالعزى السلمى قال اى عدو الله لا والله الست الذى تقول

* فرويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لارجو بعدها ان اعمرا *

وجعل عمر يعلوه بالدرة على رأسه فسبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال ابياتا منها قوله

* ضن علينا ابو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق *

﴿ ذكر ردة اهل البحرين ﴾

كانت عبدالقيس وبكر بن وائل وغيرهم من احياء ربيعة قد ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فاما عبدالقيس فردهم الجارود ابن المعلى الى الاسلام وكان قد اسلم ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام فاسلموا فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتدوا وقالوا لو كان نبيا مامات فقال لهم الجارود تعلمون ان لله انبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون انهم ماتوا ومحمد صلى الله عليه وسلم قد مات وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة اخو بنى قيس ابن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع اليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر اسم موضع واستغوى من بهما وبعث بعثا الى دارين والى جواثا فحصر المسلمين واشتد الحصر على من بهما فبعث ابو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه لقتال اهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث الى الجارود ان ينازل بعبدالقيس الحطم بن ضبيعة وخندق العلاء والمسلمون على انفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا وسمعوا فى بعض الليالى ضوضأة شديدة اى جلبة وصياحا فى المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بان القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم وفر القوم هرابا واقتحموا الخندق فمن بين مترد وناج ومقتول ومأسور وابادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم ثم ندب العلا الناس الى دارين وقال لهم قد أراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا

وكان بينهم وبين دارين البحر فاقتحموا البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم ياارحم الراحمين يا كريم ياحليم ياأحد ياصمد ياحي يامحي الموتى ياحي ياقيوم لااله الا الله انت يا ربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها مايغمر اخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون واكثر المسلمون فيهم القتل فما تركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاؤا وضرب الاسلام بجرانه فيها وكتب العلا الى ابى بكر رضى الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم ابن ضبيعه ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل الفان وكان مع المسلمين راهب من اهل هجر فاسلم فقيل له ماحملك على الاسلام قال ثلاثة اشياء خشيت ان يمسخني الله بعدها فيض فى الرمال وتمهيد ثبج البحر ودعاء سمعته فى عسكرهم فى الهوا سحرا اللهم انت الرحمن الرحيم لااله غيرك البديع فليس قبلك شئ والدائم غير الغافل الحى الذى لايموت وخالق مايرى ومالايرى وكل يوم انت فى شان علمت كل شئ بغير معلم فعلمت ان القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد والعلاء بن الحضرمى صحابى مشهور توفى سنة اربع عشرة من الهجرة وكان مجاب الدعوه واصله من حضرموت ونزل جده مكه وكان حليفا لحرب بن اميه وكان له فى هذه الغزوة اثار محموده وكرامات كثيره منها انهم سلكوا مفازه وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلى ياعظيم اسقنا فجاءت سحابة كانها جناح طائر فقعقعت عليهم وامطرت حتى ملؤا الآنية وسقوا الركاب قال الراوى ثم انطلقنا حتى اتينا دارين والبحر بيننا وبينهم وفى رواية اتينا على خليج من البحر ماخيض فيه قبل ذلك اليوم فلم نجد سفنا وكان المرتدون قد احرقوا السفن فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعلى ياعظيم اجزنا ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزا باسم الله قال ابو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله مابتل لنا قدم ولاخف ولاحافر وكان الجيش اربعة آلاف وقال ابراهيم بن ابى حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا اليهم وجاوزه العلا واصحابه مشيا على ارجلهم وكانت تجرى فيه السفن قبل

﴿ ذكر ردة اهل عمان والمهره ﴾

كان على اهل عمان والمهره عاملان للنبى صلى الله عليه وسلم جيفر وعياذ ابناء الجلندى فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم قام بعمان رجل من الازد يقال له لقيط بن مالك الازدى فارتد وادعى النبوة وتغلب على عمان ودفع عنها الملكين فبعث جيفره الى ابى بكر بالخبر فبعث ابو بكر رضى الله عنه حذيفه بن محصن الحميرى الى عمان وعرفجة البارقى الى المهره وامرهما ان يكاتبا جيفرا ويأخذا برأيه وكان قد بعث عكرمة بن ابى جهل الى اليمامه ومسيلمة ووقعت عليه النكبة كما مر فامره بالمسير الى حذيفه وعرفجة ليقاتل معهما عمان والمهره ويتوجه اذا فرغ من ذلك الى اليمن فمضى عكرمة فلحق بهما قبل ان يصلا عمان وقد عهد اليهم ابو بكر ان ينتهوا

الى رأى عكرمه فراسلوا جيفرا وعياذا وبلغ لقيطا المتغلب مجئ الجيوش فعسكر بمدينة دبا وعسكر جيفر وعياذ بصحار واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكاتبوا رؤسا الذين تقدموا بجيوشهم ثم عمدوا الى لقيط واصحابه فقاتلوهم وقد اقام لقيط عياله وراء صفوفه وهم المسلمون بالهزيمة حتى جاءهم مددهم من بنى ناجيه وعليهم الحريث بن راشد من بنى عبد القيس وسيحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون وقتلوا من العدو نحو عشرة آلاف وسبوا الذرارى والنسا وتم الفتح وقسموا الغنائم وبعثوا بالخمس الى ابى بكر رضى الله عنه وكان الخمس ثمانمائة راس واقام حذيفة بعمان وسار عكرمه الى المهره فهزمهم وقتل رئيسهم واصابوا منهم الفى نجيبه واجاب اهل تلك النواحى الى الاسلام وبعث الى ابى بكر رضى الله عنه بالفتح ثم سارعوا الى اليمن

﴿ ذكر ردة اهل اليمن ﴾

لما ظهر الاسود العنسي وادعا النبوة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من اهل اليمن ثم لما قتل فيروز الديلمى الاسود العنسى رجع كثير منهم الى الاسلام فلما جاءهم خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ارتد الناس الا القليل وكان ابو بكر رضى الله عنه اقام فيروز الديلمى اميرا على صنعا فكان يقاتل كل من قدر على قتاله وكان باليمن عمال للنبى صلى الله عليه وسلم اقامهم قبل وفاته منهم عمرو بن حزم على نجران للصلاه ومعه ابو سفيان ابن حرب على الصدقات وعلى ما بين زمع وزبيد ونجران خالد بن سعيد بن العاص وعلى همدان كلها عامر بن شهر الهمدانى وعلى الجند يعلى بن اميه وعلى مارب ابو موسى الاشعرى وعلى عك الطاهر بن ابى هاله وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعكاشه بن ثور الغوثى وعلى كنده المهاجر ابن ابى امية المخزومى وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمن يتنقل على هؤلاء وهؤلاء فى اعمالهم فلما ارتد الناس رجع عمرو بن حزم الى المدينة واتبعه خالد بن سعيد واما المهاجر ابن ابى اميه فانه لما ولاه النبى صلى الله عليه وسلم على كنده مرض ولم يصل اليها واقام زياد ابن لبيد ينوب عنه وكان ابو بكر رضى الله عنه قد حارب اهل الردة اولا بالكتب والرسل ولم يرسل الى من ارتد وابتدا بالمهاجرين والانصار ثم استنفر كلا على من يليه حتى فرغ من آخر امور الناس لا يستعين بمرتد فكتب الى عتاب بن اسيد بمكة وعثمان ابن ابى العاص بالطايف بركوب من لم يرتد على من ارتد وكان قد اجتمع بتهامه اوباش من مدلج وخزاعه فبعث عتاب اليهم ففرقهم وقتلهم واجتمع بشنوءة جمع من الأزد وخثعم وبجيله فبعث اليهم عثمان بن ابى العاص من فرقهم وقتلهم واجتمع بطريق الساحل من تهامه جموع من عك والأشعريين فسار اليهم الطاهر بن ابى هاله ومعه مسروق العكى فهزموهم وقتلوهم واقام بالاجناد ينتظر امر ابى بكر ومعه مسروق العكي وبعث ابو بكر رضى الله عنه الى نجران وكتب ابو بكر الى عثمان بن ابى العاص ان يضرب البعوث على مخاليف اهل الطائف فضرب على كل مخلاف عشرين وامر عليهم اخاه عبد الرحمن وكتب الي عتاب بن اسيد ان يضرب على مكة وعملها خمسمائة ففعل وامر عليهم اخاه خالد بن اسيد واقاموا ينتظرون امر ابى بكر رضى الله

*عنه فامر المهاجر بن ابى امية المخزومى ان يسير الى اليمن ليصلح من امره ثم يسير الى عمله الذى ولاه النبى صلى الله عليه وسلم وامره بقتال من بين نجران واقصى اليمن ففعل ذلك ومر بمكة والطايف فسار معه خالد بن اسيد وعبد الرحمن بن ابى العاص بمن معهما ومر بجرير بن عبد الرحمن وعكاشة بن ثور فضمهما اليه وكان عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح ممن ارتدا فظفر بهما المهاجر فاوثقهما وبعث بهما الى ابى بكر فتابا فقبل توبتهما وردهما وسار المهاجر وقتل كل من ظفر به من المرتدين وقاتل من قاتله وقبل توبة من يتوب الى ان وصل الى صنعا وكتب الى ابى بكر بدخوله صنعا فجاء الجواب ان يسير الى كنده مع عكرمة بن ابى جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كثير من المهره والازد وناجية وعبد القيس وغيرهم فسار وامع المهاجر الى كنده وكتب زياد النائب على كنده الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالمغارة بين مارب وحضر موت فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل الى زياد وشدوا الى كنده وكانوا قد ارتد كثير منهم وارتد الاشعث بن قيس السكسكى فجعلوه اميرا عليهم فقاتلهم المهاجر وهزمهم وقتل كثيرا منهم وفروا الى النجير حصن لهم فتحصنوا فيه مع من استغووه فحاصروهم وسدوا عليهم الطريق وقطعوا عنهم المدد ولحق عكرمه المهاجر وهم محاصرون القوم ثم استأمن الاشعث الى عكرمه فخرج اليه فجاء به الى المهاجر فامنه فى اهله وماله وتسعة من قومه كانوا خرجوا معه فقال لهم المهاجر اكتبوا ما شئتم وهلموا الكتاب حتى اختمه واشترطوا على انفسهم ان يفتحوا لهم باب الحصن ففعلوا فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذريه والنسا فكان فى السبى الف امرأة وكان الاشعث بن قيس لما كتب الصحيفة ختم عليها المهاجر كتب التسعة ونسى ان يكتب نفسه فلما فرغوا من القتل والسبى طلب المهاجر الصحيفة التى كتبوها والتى ختم عليها فاذا الاشعث ليس مكتوبا معهم فقال المهاجر الحمد لله الذى اخطأك يا اشعث يا عدو الله قد كنت اشتهى ان يخزيك الله وشده كتافا فقيل له اخره وسيره الى ابى بكر فهو اعلم بالحكم فيه فسيره الى ابى بكر مع السبى فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه وسماه نسا قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له ابو بكر ما ترانى اصنع بك قال لا اعلم قال فانى اقتلك قال فانا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى قال ابو بكر فاوجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشى القتل قال او تحتسب فى خيرا فتطلق الاسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت باشالى وترد على زوجتى وقد كان خطب ام فروة اخت ابى بكر لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم واخرها الى ان يقدم الثانية فتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدنى خير اهل بلادى لدين الله فحقن دمه وزوجه اخته وحسن اسلامه واقام بالمدينة حتى فتح العراق وشهد فتح القادسيه واليرموك وكان مع على رضى الله عنه فى قتال صفين وتوفى بالكوفة سنة اثنين واربعين من الهجرة وقيل بعد على رضى الله عنه باربعين يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله عنهما قال ابن الاثير قد اختلف فى تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال ابن اسحاق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى

الشام

الشام سنة ثنتي عشرة وقال ابو معشر و يزيد بن عياض وابو عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره كان سنة احدى عشرة وكان مسير خالد الى العراق فى اول سنة ثنتي عشرة الى ذى القعده منها وهذا القول هو الذى يدل عليه سياق تلك الوقايع

﴿ ذكر فتوح الشام ﴾

لما فرغ ابو بكر رضى الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه احد فبينما هو كذلك اذ رأى شرحبيل بن حسنه فى المنام صورة غزو الشام و بعث الجند فجاءه شرحبيل وجلس اليه فقال ياخليفة رسول الله احدثت نفسك بالغزو وان تبعث الى الشام جندا قال نعم حدثت نفسى بذلك ولم يطلع عليه احد وما سألتنى الا لشئ فاخبره شرحبيل بما رأى فاوله ابو بكر ببعثه جندا الى الشام وفتحها عليهم ثم انه بعد ذلك امر الامرا و بعث الى الشام البعوث وعن عبدالله بن ابى اوفى الخزاعى رضى الله عنه قال لما اراد ابو بكر رضى الله عنه ان يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وعبدالرحمن بن عوف و طلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص واباعبيدة ابن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم وشاورهم وكلهم استصوبوا رأى ابى بكر رضى الله عنه وقالوا ما رأيت من الرأى فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لا نخالف امرك وعلى رضى الله عنه فى القوم لا يتكلم فقال له ابو بكر ماذا ترى يا اباالحسن فقال ارى انك مبارك الامر ميمون النقيبه فانك ان سرت اليهم بنفسك او بعثت عليهم نصرت ان شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه حتى تقوم الساعه واهله ظاهرون فقال ابو بكر سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتنى سرك الله فى الدنيا والآخره ثم انه قام فى الناس خطيبا ورغب الناس فى الجهاد ثم امر بلالا فاذن فى الناس انفروا ايها الناس الى جهاد عدوكم الروم بالشام ثم شرع فى بعث الجيوش وكان ذلك فى افتتاح سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل فى اول السنة التى قبلها حين بعث خالد بن الوليد الى العراق وكتب الكتب الى اهل مكة والطايف واليمن وغيرها فكتب لهم جميعا بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت ان اوجهكم الى ناحيه بلاد الشام لتأخذوها من ايدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر قدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن انس بن مالك رضى الله عنه فما مرت الايام حتى قدم انس رضى الله عنه يبشره بقدوم اهل اليمن وقال ياخليفة رسول الله وحقك على الله ماقرأت كتابك على احد الا بادر لطاعة الله ورسوله واجابوا دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد والنضيد وقد اقبلت اليك ياخليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال فسر ابوبكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما ثم عقد الالوية وامر الامراء وبعثهم الى الشام

افواجا يتبع بعضهم بعضا كلما اجتمع جماعة امرهم بالتوجه فمن الامراء الذين عقد لهم الالوية ابو عبيدة بن الجراح و يزيد بن ابي سفيان و ربيعة ابن عامر و شرحبيل بن حسنه وخالد بن سعيد و عمرو بن العاص وغيرهم وجعل كل واحد اميرا على جماعة وامره بالتوجه الى الموضع الذي عينه له وجعل اباعبيده اميرا على الجميع وكلما توجه امير يودعه ابو بكر رضي الله عنه و يوصيه فكان يوصيهم بوصايا كثيرة منها تقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات في اوقاتها جماعة وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا اليهم وان يقللوا لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون لم يطلعوا على شيء من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الامير هو المتولي لكلامهم وان يكثروا الحرس و يفرقوهم في العسكر وان يكثروا مفاجاتهم في محارسهم بغير علم منهم فمن وجدوه غفل يعاقب بغير افراط وان يعاقب بينهم في الليل و يجعل النوبة الاولى اطول من الاخيره فانها ايسرهما لقرب الاخيره من النهار وان لا يغفلوا عن العسكر فيفسدوا ولا يحسسوا عليهم فيفضحوهم ولا يكشفوا عن الناس اسرارهم بل يكتفوا بعلانيتهم وان يكثروا من مجالسة اهل الصدق والوفا وان يشاوروهم وان لا يجبنوا فيجبن الناس وان يجتنبوا الغلول فان الغلول يقرب الفقر و يدفع النصر وقال ستجدون اقواما حبسوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له الى غير ذلك مما اوصاهم به وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو لهم اذا خرجوا فمن دعائه اللهم احفظهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم واحطط اوزارهم واعظم اجورهم ولما بلغ هرقل مسير جيوش المسلمين حشد جيوشه وكان بفلسطين فحث الناس وحرضهم على القتال عن دينهم وبلادهم ثم اتى دمشق ففعل مثل ذلك ثم اتى حمص ففعل مثل ذلك ثم اتى انطاكيه فاقام بها وبعث الى الروم فحشدهم فجاء منهم ما لا يحصى ولما دنى ابو عبيدة من الجابيه اتاه آت فاخبره ان هرقل بانطاكيه وانه جمع من الجموع ما لم يجمعه احد كان قبله من ابائه فكتب الى ابي بكر رضي الله عنه بذلك فجاءه الجواب يعده بالنصر ثقة بوعد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له انه يمده بالرجال ثم امدهم بجند مع هاشم بن عتبه بن ابي وقاص وسعيد ابن عامر و بجند مع معاوية مددا لاخيه يزيد وكان الناس اقبلوا من كل جهة يريدون الجهاد فكان ابو بكر رضي الله عنه كلما اجتمع اناس بعثهم مددا لمن سبقهم

ذكر اول وقعه بالشام

اول وقعة بالشام كانت بالعربه من ارض فلسطين خرج ستة قواد من الروم مع كل قايد خمسمائه فكانوا ثلاثة الاف فبعث اليهم يزيد بن ابي سفيان اباامامه الباهلي في خمسمائه فحملوا عليهم وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وقائدا من قوادهم فاجتمع كثير من الروم بالدثنه فساروا اليهم فهزموهم وزحفت جيوش المسلمين حتى قربوا من الشام فعند ذلك فزع الروم وارسلوا الى ملكهم فامدهم بجموع كثيرة نحو تسعين الفا فنزلوا بثنيه جلق باعلا فلسطين وعليهم اخو هرقل شقيقه ونزل هرقل بحمص وكان في جهة فلسطين عمرو ابن العاص بمن معه من المسلمين وبعث هرقل ستين الفا نحو ابي عبيدة بالجابيه وبعث جيشا قريبا من

ذلك نحو يزيد بن ابي سفيان وكان نازلا بالبلقا وجيشا نحو شرحبيل بن حسنه وكان نازلا ببصرى فراى المسلمون ان الاجتماع اليق بهم من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم ايضا واجتمعوا باليرموك وصار الوادى خندقالهم واقام الجميع شهر صفر وشهرى ربيع لايقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولايخرج الروم خرجة الا اخذهم المسلمون واديلوا عليهم فكانت بينهم وقعات ومناوشات فى تلك المده ولما راى المسلمون مطاولة الروم استمدوا ابابكر رضى الله عنه فكتب الى خالد ابن الوليد وهو بالعراق يأمره بالمسير اليهم وان يأخذ نصف الناس الذين عنده ويستخلف على النصف الاخر المثنى بن حارثة الشيبانى فسار خالد من العراق فى تسعة الاف وقيل فى ستة واغار فى طريقه على كثير من المشركين واخذهم وناله مشقة كثيره فى مسيره هذا وسار فى مفا وزليس فيها ماء فامر صاحب كل جماعه ان يعطشوا ابعض الابل المسنه ثم يسقوها الماء عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا اذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ساروا يوما وليله وشقوا بطون عشرة من الابل فزجوا ما فى كرشها من الماء بما كان من الالبان وسقوا ذلك للخيل ففعلوا ذلك اربعة ايام ولما وصل ثنية العقاب وهى من ارض الشام ناشرا رأيته وهى رأية سودا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب اغار على غسان وهم من نصارى العرب الذين بالشام فصبحهم وقتل وسبى وارسل سرية الى كنيسة بالغوطه فقتلوا الرجال وسبوا النسا وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم ثم صالحهم فكانت بصرى اول مدينة فتحت بالشام عل يد خالد واهل العراق وقيل ان فتح بصرى كان بعد اليرموك ثم سار خالد فطلع على المسلمين فى ربيع الاخر وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لخالد ان يسير من العراق الى الشام و يلقى اباعبيدة ومن معه من المسلمين فاذا التقيتم فانت امير الجماعه والسلام فكتب خالد كتابا لابى عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل الازدى وفيه امابعد فانى اسأل الله لنا ولك الامن يوم الخوف والعصمة فى دار الدنيا من كل سوء وقد اتانى كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى بالمسير الى الشام وبالقيام على جندها والتولى لامرها والله ماطلبت ذلك قط ولااردته اذ وليته فانت على حالك التى كنت عليه لا نعصيك ولانخالفك ولا نقطع دونك امرا فانت سيد المسلمين لا ننكر فضلك ولانستغنى عن رأيك تمم الله بنا وبك من احسان ورحمنا واياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رأى وحيا الله خالدا وكان ابو بكر رضى الله عنه كتب لابى عبيدة رضى الله عنه امابعد فانى قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلا تخالفه واسمع له واطع فانى لم ابعثه عليك ان لا تكون عندى خيرا منه ولكننى ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك اراد الله بنا وبك خيرا والسلام

﴿ ذكر وقعة اليرموك ﴾

لما وصل خالد بن الوليد وتكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا تسعة وثلاثين الفا سوى

ستة الاف مع عكرمة ابن ابي جهل وقيل كانوا ستة وثلاثين الفاسوى من كان مع عكرمه فيكونون جميعا اربعين الفا وكان فيهم الف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم في مائتي الف واربعين الفا مقاتل منهم ثمانون الف مقيد واربعون الف مسلسل للموت واربعون الف مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون الف راجل وكان قتال المسلمين لهم على التساند كل امير على اصحابه لم يجمعهم احد حتى قدم خالد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الاخرة فلما احس المسلمون بخروجهم ارادو الخروج متساندين كما كانوا قبل ذلك فمنعهم خالد وسار فيهم فحمدالله واثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له مابعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبيه وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم و بين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأى قالوا هات فالرأى قال ان ابابكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه ان دان من الامرا ولا يزيد عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيؤا وان هذا يوم له مابعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعده فهلموا فلنتناوب الامارة فليكن بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني اتأمر اليوم فامروه وهم يرون انها كخرجاتهم فخرجت الروم في تعبية لم يرالراؤن مثلها قط وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوسا فجعل القلب كراديس واقام فيه ابا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه وجعل الميسره كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل القعقاع بن عمرو على كردوس وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان القاضي ابو الدردا والقاص ابو سفيان ابن حرب وعلى الطلايع قباث بن اشيم وعلى الاقباض عبدالله ابن مسعود وقال رجل لخالد ما اكثر الروم واقل المسلمين فقال خالد ما اكثر المسلمين واقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان والله لوددت ان الاشقر يعني فرسه برآ من توجيه وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفى في مسيره فامر خالد عكرمة بن ابي جهل والقعقاع ابن عمرو فانشبا القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا فاذهم على ذلك قدم البريد من المدينه واسمه محمية بن زنيم فسألوه الخبر فاخبرهم بسلامة وامداد مع انه انما جاء بخبر وفاة ابي بكر رضي الله عنه واستخلاف عمر بن الخطاب وعزل خالد وولاية ابي عبيدة فبلغه خالدا وابا عبيدة سرا وبينماهم كذلك اذ خرج فارس من فرسان الروم يقال له جرجة الى بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه وامن كل منهما صاحبه فقال جرجه ياخالد اخبرني واصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل هل انزل الله على نبيكم سيفا من

السماء فاعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم قال لا قال فغيم سميت سيف الله فقال ان الله بعث فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هدانى فتابعته فقال انت سيف الله سله الله على المشركين ودعالى بالنصر قال فاخبرنى الى م تدعو قال خالد الى الاسلام او الجزية او الحرب قال فا منزلة الذى يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وافضل لانـنـا اتبعنا نبينا وهو حى يخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وانتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فمن دخل منكم بنية وصدق كان افضل منا فقلب جرجة فرسه وسار مع خالد واسلم وعلمه الاسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة ازالوا المسلمين عن مواقفهم الى المحاميه وعليهم عكرمه ابن ابى جهل وعمه الحارث بن هشام رضى الله عنهما فقال عكرمة قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم افر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الازور فى اربعمة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا جراحا فمنهم من برى ومنهم من مات وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند اخر النهار وصلى الناس الظهر والعصر ايمأ وتضعضع الروم وحمل خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسانهم وتركوا الرجاله ولما راى المسلمون خيل الرم وقد توجهت للمهرب افرجوا لها فتفرقت وقتل الرجاله واقتحموا فى خندقهم فاقتحموه عليهم وهوى فيه المقترنون وغيرهم ثمانون الفا من المقترنين واربعون الفا مطلق سوى من قتل فى المعركة وتجلل الفيقار وجماعة من اشراف الروم برانيسهم وجلسوا فقتلوا امتزملين ودخل خالد الخندق ثم نزل فى خيمة تذارق اخى هرقل فلما اصبحوا اتى خالد بعكرمه بن ابى جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وكان مع المسلمين كثيرا من النسا فقاتلن فى ذلك اليوم قتالا كثيرا وفى السيره الحلبيه وكان ابو سفيان بن حرب فى ذلك اليوم يقاتل ويحرض المسلمين على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله واصيبت احدى عينيه فى ذلك اليوم فصار اعمى لانه اصيبت عينه الاخرى فى غزوة الطايف فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يدعو الله و يردها له فقال له ان شئت دعوت الله وان شئت خير امنها فى الجنة فـ[illegible]ـها وقال خير منها فى الجنة قال انس بن مالك رضى الله عنه رأيته فى خلافه عثمان رضى الله عنه وهو اعمى [illegible]وده قايد فيدخل به على عثمان رضى الله عنه ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وامر عليها اميرا كما امر على دمشق وكان من اصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وعمه الحارث ابن هشام وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد والطفيل بن عمرو وطليب ابن عمير وهشام بن العاص اخو عمرو بن العاص وعياش بن ابى ربيعه وسعيد بن الحارث ابن قيس بن عدى السهمى ونعيم بن النحام والنضير ابن الحارث العبدرى اخو النضر بن الحارث الذى قتل كافرا يوم بدر وابو الروم بن عمير العبدرى اخو مصعب بن عمير وقيل قتلوا يوم اجنادين اخرج ابن عساكر عن الزهرى ان عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه كان يوم اليرموك

اعظم الناس بلاء وانه كان يركب الاسنة ويقاتل قتالا شديدا حتى جرحت الاسنة صدره ووجهه فقالوا له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت انا وابى من اشد الناس على النبى صلى الله عليه وسلم وكنت اقاتل عن اللات والعزى فابذل نفسى لها فكيف استبقيها الآن عن الله ورسوله لا والله ابدا قال فلم يزدد الا اقداما حتى مات يومئذ ووجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية واخرج ابن المبارك والبيهقى ان عكرمة بن جهل ترجل يوم كذا يقاتل فقال خالد بن الوليد لاتفعل فأن قتلك على المؤمنين شديد فقال خل عنى ياخالد فانه قدكان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة وانى وابى كنا من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى وقاتل حتى قتل وكان عكرمة يعظم القرآن غاية التعظيم وذكر الامام الغزالى فى كتاب اداب تلاوة القرآن من احياء علوم الدين ان عكرمة المذكور كان اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى وروى ابو نعيم وابن منده وابن عبد البر عن حبيب بن ابى ثابت ان الحارث بن هشام وابن اخيه عكرمة ابن ابى جهل وعياش بن ابى ربيعة اخو الحارث بن هشام لامه جرحوا يوم اليرموك فلما اثبتوا ادعى للحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة فقال ادفعه الى عكرمة فلما اخذه عكرمة نظر اليه عياش فقال ادفعه الى عياش فما وصل الى عياش حتى مات ولا وصل الى واحد منهم حتى ماتوا رضى الله عنهم وهذا شأنهم كلهم فى هذا الايثار ومما يدل على ذلك ان مثل هذه القصة بعينها قد تكررت من كثير منهم فقد روى ابن المبارك عن ابى جهم ابن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شنة من ماء وآناء فقلت ان كان به رمق سقيته من الماء ومسحت به وجهه فاذا انا به ينشغ فقلت اسقيك فاشار اى نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص اخو عمرو بن العاص رضى الله عنهما فأتيته فقلت اسقيك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات فاتيت ابن عمى فاذا هو قدمات رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وهذا الذى ذكرناه فى وقعة اليرموك هو اصح الاقوال وكذا كونها فى سنة ثلاث عشرة هو اصح الاقوال وانها قبل فتح الشام وقيل انها بعد وقعة اجنادين وبعد فتح الشام وان وقعة اليرموك واجنادين كانا سنة خمس عشرة وقيل فى وقعة اليرموك ان جيش الروم كان ستمائة الف وقيل الف الف وكان مع الروم من العرب المتنصرة ستون الفا من غسان ولخم وجذام وان القتال كان بين المسلمين ومتنصرة العرب فلما هزموا زحف الروم بجيوشهم ودام الحرب اياما كثيرة الى ان تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لايحصى عددهم وقيل كانوا مائة الف وخمسة آلاف والاسرى كانوا اربعين الفا وان قتلى المسلمين اربعة آلاف ولما قسمت الغنائم اصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة واتبع خالد ابن الوليد المنهزمين من الروم الى قريب دمشق الشام ومعه كثير من المسلمين يقتلون ويأسرون فيهم وكانت وقعة اليرموك من اعظم وقايع الاسلام ومن المعجزات الدالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

* *
*

ذكر

﴿ ذكر وقعة اجنادين ﴾

الاكثرون على انها بعد اليرموك وقيل انما كانت قبل اليرموك وحاصلها ان الروم اجتمع كثير من جنودهم قيل انهم كانوا تسعين الفا باجنادين فسار لهم جيوش المسلمين ونازلوهم وكان على الروم تذارق اخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القيقلان واجنادين يروى بكسر الدال وفتحها بين الرمله و بيت جبرين من ارض فلسطين ولما نزلت الروم باجنادين واجتمعت المسلمون وعسكروا عليهم بعث القيقلان رجلا غريبا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم واقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ماوراءك قال وجدت قوما رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجموه لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ثم انتشب القتال بين المسلمين والروم وكان قتالا شديدا قتل فيه من المشركين فى المعركة ثلاثة آلاف وقيل ان قتلاهم بلغوا خمسين الفا وقتلى المسلمين اربعمائة وخمسة وسبعون واتبعهم المسلمون يأسرون و يقتلون ثم تحصن المنهزمون منهم فى المدائن العظام كدمشق وحمص وايليا وقيساريه واستشهد رجال من المسلمين منهم الفضل بن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه وضرار ابن الخطاب الفهرى وآخرون رحمهم الله ورضى عنهم وقتل تذارق اخو هرقل فى وقعة اجنادين وقيل فى وقعة اليرموك

﴿ ذكر فتح دمشق ﴾

لما انهزم الروم جاء الخبر لابى عبيدة انهم اجتمع لهم جيش بفحل بكسر الفاء وهو موضع بناحية الشام واتاه الخبر ايضا بان اهل دمشق جاءهم مدد من حمص فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فجاءه الجواب يأمره فيه بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام و بيت ملكهم وان يشغل اهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل ابن حسنه وعمرو ابن العاص بالاردن وفلسطين فامتثل ابو عبيدة امر عمر رضى الله عنه فارسل الى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين و بعث ابو عبيدة جندا فنزلوا ابين حمص ودمشق وارسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار ابو عبيده وخالد فقدموا على دمشق وعليها نسطاس فنزل ابو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو بن العاص على ناحية و يزيد ابن ابى سفيان على ناحية فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت خيول من هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التى عند حمص فخذل اهل دمشق وطمع فيهم المسلمون واتخذ خالد بن الوليد حبالا كهيئة السلالم وادهاقا والدهق الحبل يرمى فى انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان فلما امسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور واثبتوا الحبال بالشرف وكان ذلك الموضع احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم انحدر خالد واصحابه وترك بذلك الموضع من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فاتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى

خالد الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة لايدرون ما الحال لا
وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل من عنده من الروم فلما رأى الروم
ذلك قصدوا الجهة الاخرى التى فيها ابو عبيدة وقصدوا ابا عبيدة و بذلوا الصلح فقبل منهم
وفتحوا له الباب الذى من جهته وقالوا له ادخل وامنعنا من اهل ذلك الجانب ولم يعلم
ابو عبيدة بما صنع خالد ودخل اهل كل باب بصلح مما يليهم غير الباب الذى دخل منه
اصحاب خالد ودخل خالد عنوة فالتقى خالد وابو عبيدة فى وسط المدينة هذا قتلا ونهبا
وهذا صفحا وتسكينا فامر ابو عبيدة خالدا ان يكف وقال انى صالحت القوم فقال خالد
انى دخلتها عنوة فتنازعا فى ذلك ثم اجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على
المقاسمه وقسموا معهم للجنود التى عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رده للمسلمين هذا
هو الصحيح فى كيفية دخول خالد وابى عبيده وقيل ان خالدا ومن معه نقبوا جانبا من السور
ودخلوا معه ويمكن ان جماعة منهم دخلوا بالحبال التى صنعها وجماعة آخرون نقبوا
جانبا من السور واما ابو عبيدة وبقية الامراء فانهم دخلوا بالصلح الذى عقد مع
ابى عبيده وقد تقدم ان خبر وفاة ابى بكر واستخلاف عمر وعزل خالد وتولية ابى عبيدة
جاءهم وهم فى قتال اليرموك سنه ثلاث عشرة وفتح دمشق كان فى رجب سنة اربع
عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وقيل انما جاءهم خبر وفاة ابى بكر بعد فتح دمشق
سنه ثلاث عشره وان وفاة ابى بكر رضى الله عنه كان فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق
وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة والقائلون بان خبر
وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق وانها
سنة خمس عشرة والقول الاول اصح وانما عزل عمر رضى الله عنه خالدا لانه كان ينقم عليه
قتل مالك بن نويره وقال ايضا ان خالدا فيه تبذير للمال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى
للمجاهد والفارس بين يديه فوق ما يستحق ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ وكان
ذلك اجتهادا من عمر وما وقع من خالد كان ايضا باجتهاد وكل منهما ماجور ولا يريد الا
الحق ولما جاء امر عمر رضى الله عنه بعزله امتثل امره وما زال ابو عبيدة يستشيره ولا يعمل
الا برأيه ومشورته وكان كل منهما يعرف قدر صاحبه وما خص به من الفضايل رضى الله
عنهم ولما فتحت دمشق ارسل ابو عبيده لعمر رضى الله عنهما بالفتح فكان لعمر واهل
المدينة سرور كثير عند ورود خبر الفتح وكتب له عمر ان يرسل الجند الذى جاؤا من
العراق مع خالد فارسلهم الى العراق وامر عليهم هاشم بن عتبة بن ابن وقاص وبقى خالد
مع ابى عبيده وسيأتى ان شاء الله الكلام على بقية فتوحات العراق

﴿ ذكر غزوة فحل ﴾

بكسر الفاء وبالحاء المهملة لما فتحت دمشق سار ابو عبيده الى ﴿ فحل ﴾ واستخلف
على دمشق يزيد ابن ابى سفيان وبعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنه
وكان على المجنبتين ابو عبيده وعمرو ابن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال

عياض بن غنم وتقدم ان الروم بثقوا الماحول فحل فوحلت الارض فنازل المسلمون اهل فحل وبينهم و بين الروم تلك المياه والاوحال وكتب المسلمون الى عمر رضى الله عنه واقاموا ينتظرون الجواب فاغترهم الروم فخرجوا عليهم وكان على الروم سقلار ابن الخارق فاتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل بن حسنه لايبيت ولا يصبح الاعلى تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا اشد القتال ليلتهم و يومهم واظلم الليل عليهم فانهزم الروم وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار والذى يليه تسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فاخذوهم بحيث انهم صاروا لايمنعون يدلامس فزحزحوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغ فاصيب الروم وهم ثمانون الفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع بالمسلمين خيرا وهم كارهون كرهو البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم وغنموا اموالهم واقتسموها ثم سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما الى الى حمص وسيأتى ذكر ذلك

﴿ ذكر فتح بلاد ساحل دمشق ﴾

لما استخلف ابو عبيدة يزيد ابن سفيان على دمشق وسار الى فحل بعث يزيد دحية الكلبى الى تدمر وابا الازهر القشيرى الى حوران فصالحوهما ووليا عليهما وسار يزيد الى مدينة صيدا وعرقه وجبيل و بيروت وهى سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثير من اهلها وتولى فتح عرق معاوية بنفسه فى ولاية اخيه يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول ولاية عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع ولما ولى عثمان الخلافة جمع لمعاوية الشام كله فوجه معاوية سفيان ابن نجيب الازدى الى طرابلس وهى ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى فى مرج على اميال منها حصنا يسمى حصن سفيان قطع المادة عن اهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى احد الحصون الثلاثه وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدهم او يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة وركبوا فيها ليلا وهربوا فلما اصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون فى حصنه ثم يغدوا على العدو فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح الى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه الميناء اليوم ثم بناه عبد الملك ابن مروان وحصنه ثم نقض اهله ايام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

﴿ ذكر فتح بيسان وطبريه ﴾

لما قصد ابو عبيدة حمص من فحل ارسل شرحبيل بن حسنه ومن معه الى بيسان فقاتلوا اهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى على مثل صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان ابو عبيدة قد بعث ابا الاعور السلمى الى طبريه يحاصرهم فصالحه اهلها على مثل صلح دمشق ايضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر رضى الله عنه ولقرب الزمن فى تلك الغزوات وقرب بعضها من بعض اختلفوا فى تقدم بعضها على

بعض والامر فى ذلك سهل

ذكر الوقعة بمرج الروم

لما سار ابو عبيدة وخالد ومن معهما من فحل قاصدين حمص بلغ الخبر هرقل فبعث جيشا عليهم توزر البطريق فنزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل ابو عبيده ايضا بمرج الروم ونازله يوم نزوله شغش الرومى فى مثل جيش توذر مددا لتوزر وعونا لاهل حمص فلما نزل اصبحت الارض من توزر بلاقع وكان خالد بازائه وابو عبيدة بازاء شغش وسار توزر يطلب دمشق فلما علم خالد بمسيره سار خلفه فى جمع ممن معه وبلغ يزيد بن ابى سفيان فعل توزر فخرج من دمشق واستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون مامعهم فقسمه يزيد فى اصحابه واصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى ابى عبيدة وقد قتل توزر وقاتل ابو عبيدة شغش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شغش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك امر بطريق حمص بالمسير اليها وكان عنده وسار هو الى الرها وسار ابو عبيدة الى حمص

ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما

لما فرغ امر مرج الروم سار ابو عبيدة والمسلمون الى حمص فنازلوها وقاتلوا اهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا ولقى الروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد ارسل الى حمص يعدهم المدد وامر اهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن ابى وقاص من العراق السرايا الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسيا فتفرق اهل الجزيرة وعادوا عن نجدة اهل حمص فكان اهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم فكانت اقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتا قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام اخر فلم يجيبوه فناجزهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص * وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم اعظم من ذلك فخرج اهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فاجابوهم وصالحوهم على مثل صلح دمشق وانزلها ابو عبيدة السمط بن الاسود الكندى فى بنى معاوية والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد فى بلى وانزلها غيرهم ايضا وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى ابى عبيدة ان اقم بمدينتك وادع اهل القوة من عرب الشام فانى غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة ابن الصامت وسار الى حماه فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم ابو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم ومضى نحو شيزر فخرج اليه اهلها يسألونه الصلح على ماصالح عليه اهل حماه فصالحهم وسار الى معرة حمص وهى معرة النعمان نسبت معره الى النعمان بن بشير الانصارى رضى الله عنه فاذا عنوا له بالصلح على ماصالح اليه اهل حمص ثم اتى اللاذقيه فقاتله اهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على

ـد منها ثم امر بحفر حفاير عظيمة تستر الحفرة منهـا الفـارس راكبا ثم اظهروا انهم
صابرون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا فى تلك الحفاير واصبح اهل اللاذقيـه
وهم يرون ان المسلمون قد انصرفوا عنهم فاخرجوا اسرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم
الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينـة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى
ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى ارضهم فقوطعوا على خراج يودونه قلوا اوكثروا وتركت لهم
كنيستهم وبنى المسلمون باللاذقية بها مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح
المسلمون اللاذقية جلا اهل جبله من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن
الرومى وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة ابن الصامت انطرسوس وكان حصنا فجلا عنه
اهله فبنى معاوية مدينة انطرسوس ومصرها واقطع بها القطائع المقاتلة وكذلك فعل ببلناس
وفتح سلميه ايضا

ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطنية

ثم ارسل ابو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم
ميناس وكان من اعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا وقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا
مثلها فاتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال المسلمون لهم
لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم اولانزلكم الينا فنظروا فى امرهم ورأ واماالقى اهل حمص
فصالحوهم على مثل صلح حمص فابى خالد الا على خراب المدينة فاخربها فعندذلك دخل
هرقل القسطنطنية وسببه ان خالد اوعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمر وابن مالك
من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسا وادرب عبدالله ابن المعتمر من ناحية الموصل ثم رجعوا
فعندها دخل هرقل القسطنطنية فلما بلغ عمر صنيع خالد قال امر خالد نفسه يرحم الله ابابكر هو كان
اعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس
عظموهمـا فخشيت ان يوكلوا اليهما ولما سار هرقل الى القسطنطنية خرج من الرها فنزل
بشمشاط ثم ادرب منها الى القسطنطنية فلمـا اراد المسير من شمشاط علا على نشز ثم التفت
الى الشام فقال السـلام عليك ياسـورية سلام لا اجتمـاع بعـده ولا يعـود اليك رومى ابدا
الا خائفا حتى يولد المولود المشئوم ويا ليته لم يولد فما احلى فعله وامر فتنيته على الروم ثم سار
فدخل القسطنطنية واخذ اهل الحصون التى بين اسكندرونه وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون
فى عمارة مابين انطاكيه وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجـدون بها احدا
وربما كمن عندها الروم فاصابوا من المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

ذكر فتح حلب وانطاكيه وغيرهما من العواصم

لما فرغ ابو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغـه ان اهـل قنسرين نقضوا وغدروا
فوجـه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيهـا بقرا وغنمـا فقسم بعضه
فى جيشه وجعل بقيتـه فى المغنم ووصل ابو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع

اصنافا من العرب المتنصرة فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك واتى حلب فتحصن اهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على انفسهم واولادهم ومدينتهم وكنايسهم وحصرهم فاعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار ابو عبيدة الى انطاكيه وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها وحاصرها من جميع الجوانب ثم انهم صالحوه على الجلا او الجزية فجلا بعض واقام بعض فامنهم ثم نقضوا فوجه اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الاول وكانت انطاكيه عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى ابى عبيدة ان رتب بانطاكيه جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطه ولا تحبس عنهم العطا وبلغ ابا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقه وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومه وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع ارض قنسرين وانطاكيه ثم اتى ابو عبيدة حلب وقد التاث اهلها فلم يزل بهم حتى ازعنوا وفتحوا المدينة وسار ابو عبيدة يريد قورس فلقيه راهب من رهبانها بهم يسأله الصالح فصالحه على مثل صلح انطاكيه وبث خيله فغلب على جميع ارض قورس وفتح تل عزاز ثم سار الى منبج وصالحه اهلها على مثل صلح انطاكيه وسير عياض بن غنم الى ناحية دلوك وعبان فصالحه اهلها على مثل صلح منبج وولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحى المخوفه وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب ابن مسلمه الى قاصرين فصالحهم اهلها على الجزية او الجلاء فجلى اكثرهم الى بلد الروم وارض الجزيره وقرية جسر منبج واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين وكان بجبل الالكام مدينة يقال لها جرجومه واهلها يقال لهم الجراجمه فسار اليهم حبيب بن مسلمه من انطاكيه فافتتحها صلحا على ان يكونوا عونا للمسلمين وسير ابو عبيدة جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسى فسلكوا درب بغراسى من اعمال انطاكيه الى بلاد الروم فلقى جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ولحق به مالك بن الحارث الاشتر النخعى مددا من قبل ابى عبيده وهو بانطاكيه فسلموه وعادوا وسير ابو عبيدة جيشا اخر الى مرعش مع خالد ابن الوليد ففتحها على جلا اهلها بالامان واخربها وسير جيشا اخر مع حبيب بن مسلمه الى حصن الحدث فملكه وكل هذه الفتوحات كانت من سنة ثلاث عشرة الى سنة خمس عشرة يتلو بعضها بعضا فى ازمان متقاربة وكان فيها ايضا فتح قيساريه وحصر غزة

﴿ ذكر فتح قيساريه وحصر غزه ﴾

فى سنة خمس عشرة على الصحيح كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى يزيد ابن ابى سفيان ان يرسل معاوية الى قيساريه وكتب عمر ايضا الى معاوية يامره بذلك فسار معاوية اليها فحصر اهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه اخر ذلك

متيمين فهزمهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة وبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين الفا وكلها فى هزيمتهم مائة الف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزه وجعل يراسله فلم يشفه احد ايريد فاتاه كأنه رسول علقمه فامر القيقار رجلا ان يقعدله فى الطريق اذا رجع فاذا مر به قتله ففطن علقمه فقال للقيقار ان معى نفرا يشركوننى فى الرأى فأنطلق فاتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لا يعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يعد فكان فعله هذا كما فعل عمرو بن العاص بالارطبون كما سيأتى ومجزز بجيم وزايين

﴿ ذكر فتح بيسان ووقعة اجنادين ﴾

لما انصرف ابو عبيدة وخالد رضى الله عنهما الى حمص نزل عمرو ابن العاص وشرحبيل رضى الله عنهما على اهل بيسان فافتحاها وصالحا اهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزه واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وكان الارطبون باجنادين واستخلف على الاردن ابا الاعور السلمى وكان الارطبون ادهى الروم وابعدها غورا وكان قد وضع جندا عظيما بايليا وجندا عظيما بالرمله فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب يعنى عمرو بن العاص فانظروا عم تنفرج وكان معاوية قد شغل اهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسى ومسروق العكى على قتال ايليا فشغلوا من به عنه وجعل ايضا ابا ايوب المالكى على من بالرمله من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو واقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كانه رسول ففطن به الارطبون وقال لا شك ان هذا هو الامير او من يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد على طريقه اذا رجع ليقتله وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع لك منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فأرجع فأتيك بهم الآن فان راوا الذى عرضت على الآن فقد رأه الامير واهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذى امره بقتله فخرج عمرو من عنده ثم علم الرومى انها خدعة اختدعه بها فقال هذا ادهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لله در عمرو وعرف عمرو مأخذه اذا قاتله فقاتله باجنادين قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايليا ونزل عمرو اجنادين وافرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل بيت المقدس

﴿ ذكر فتح بيت المقدس ﴾

كان فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سنة ست عشرة فى ربيع الاول وسبب ذلك انه لما دخل ارطبون بيت المقدس فتح عمرو بن العاص غزة ثم فتح سبطية وفيها قبر يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبق وعمواس وبيت جيرين ويافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع

مايقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فق
ارطبون لايفتح والله عمرو شيأ من فلسطين بعداجنادين فقالوا له من اين علمت هذا فقا
صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرجع الرسو
الى عمرو بن العاص واخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول له انى اعالج عدوا شد
وبلادا قدادخرت لك فرأيك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الا بشئ سمعه فسار عمر من المدي
وقيل ان الروم الذين كانوا ببيت المقدس طلبوا من المسلمين ان يروهم اميرهم فاروها
اباعبيدة وخالد ابن الوليد فقالوا لانسلم احدا من هذين مدينة بيت المقدس ولو حصرتمونا
عشره سنين وانما نسلمها لرجل صفته كذا وكذا وذكروا صفة عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فكتب ابو عبيدة وبقية الامرا بذلك لعمر بن الخطاب فقدم عليهم وكان ابو عبيدة
رضى الله عنه لما حصر بيت المقدس اراد ان يصالحهم على مثل صلح اهل مدن الشام فقالوا
لانصالحهم الاان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واتى
بيت المقدس وفى تاريخ بن الوردى وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال لعمر رضى الله عنه
انك ستفتح بيت المقدس بلا قتال فكان فى مجيئه اظهار معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فى اخباره
بالغيب ففتحها بلا سيف كما اخبره به النبى صلى الله عليه وسلم ولما سار عمر من المدينة استخلف
عليها على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال له على اين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا
فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس رضى الله عنه انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم
الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه فانتقض الناس
وسار عمر رضى الله عنه من المدينة وهو على بعير له وعليه غرارتان فى احداهما سويق وفى
الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد ومعه جماعة من الصحابه وكان
اذا نزلوا منزلا لايبرح به حتى يصلى الصبح ثم يأخذ الجفنة يملأ ها سويقا ويصف التمر حولها
ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون ثم يرحل فلم يزل كذلك
فى مسيره حتى قدم الشام وقيل انه لما قدم الجابيه كان على فرس وكان قدومه الى الشام اربع
مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل ورجع لاجل الطاعون والرابعة
على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابيه ليوم سماه ويستخلفوا على اعمالهم فكان
اول من لقيه يزيد بن سفيان وابو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل
واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ماسرع مارجعتم من رأيكم تستقبلونى فى هذا الزى
وانما شبعتم منذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم
فقالوا ياامير المؤمنين انها يلامعه وان علينا السلاح قال فنعم اذن واليلامع من السلاح
مابرق فلما دخل الجابيه جاءه اهل بيت المقدس وقد هرب عنهم ارطبون الى
مصر فصالحوه على الجزية وفتحوها له ويروى ان الروم امتنعوا من فتح باب السور
حتى يروا عمر ويجدوا فيه الصفة التى يجدونها فى كتبهم فامر عمر بعيره فقدم اليه فاستوى الى
ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباة قطوانيه وقد عصب
بها رأسه وليس معه غير ابى عبيده رضى الله عنهما سائرا بين يديه حتى قرب من السور ووقف

السور فنظر اليه البطريق وهو خلف السور وزعق باعلى صوته هذا والله الذى نجد
صفته فى كتبنا وهو الذى يكون فتح بلادنا على يديه بلا محاله ثم قال لاهل بيت المقدس
ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمه ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد
والميثاق والذمة وعقد الجزيه فخر ساجدا لله على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى
بلادكم ولكم العهد والذمة اذ سألتمونا واقررتم بالجزية فرجع القوم ولم يغلقوا الابواب ورجع
عمر الى معسكره وبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها ومعه المسلمون وعقد الجزيه
ايضا لاهل الرملة وجعل علقمه بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمه
بن مجزز على نصفها الاخر واسكنه بيت المقدس وضم اليه عمرو بن العاص وشرحبيل ولقياه
بالجابيه راكبا فقبلا ركبته وضم كل واحد منهما محتضنهما ثم سار الى بيت المقدس من الجابية
فركب فرسه فرأى فيه عرجا فنزل عنه فأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب
وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وبقى ارطيون بمصر
فلما ملك المسلمون مصر قتل ولما دخل عمر بيت المقدس كشف عن الصخرة وامر ببناء المسجد
عليها واقام عشرة ايام ثم رجع الى المدينة وكان فى هذه السنة والتى بعدها كثير من
الفتوحات بالعراق وسنذكرها ان شاء الله بعد تمام الكلام على فتوحات الشام ومصر

﴿ ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين ﴾

فى سنة سبع عشره قصد الروم اباعبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج
للروم اهل الجزيره فانهم ارسلوا الى ملك الروم وحثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا
من انفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم عسكروا بغناء مدينة حمص واقبل
خالد من قنسرين اليهم فأستشارهم ابو عبيدة فى المناجزة والتحصين الى مجئ الغياث فاشار خالد
بالمناجزة واشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فاطاعهم وكتب الى عمر ذلك فكتب عمر الى
امراء الاجناد بالعراق ان يبعثوا جند الاغاثة ابى عبيدة وكان عمر رضى الله عنه قد اتخذ فى كل
مصر خيولا على قدر ذلك المصر من فضول اموال المسلمين عدة يكون ان كان بالكوفة من
ذلك اربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعه الباهلى ونفر من اهل الكوفة وفى
كل مصر من الامصار على قدره فان تأتهم اتية ركب الناس وساروا الى ان يتجهز بقية الناس
فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد بن ابى وقاص بالعراق ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو
وسرحهم من يومهم فان اباعبيدة قد احيط به وكتب اليه ايضا سرح سهيل بن عدى الى
الرقه وهى بلدة على الفرات بتشديد الراء والقاف المفتوحتين فان اهل الجزيره هم الذين
استثاروا الروم على اهل حمص وامره ان يسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد حران
والرها وان يسرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيره من ربيعة وتنوخ وان يكون عياض
ابن غنم على امراء الجزيره ان كانت حرب فمضى القعقاع من يومه على اربعة آلاف الى حمص
وسار عياض بن غنم وامراء الجزيره كل امير الى كورته وسار عمر بن الخطاب رضى الله عنه
من المدينة يريد حمص مغيثا لابى عبيدة ولما بلغ اهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على اهل

حمص خبر الجنود الاسلامية فارقوا هرقل ورجعوا الى بلادهم وزحف ابو عبيدة الى الروم فانهزموا وقدم القعقاع من العراق بعد الوقعة بثلاث فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد اليهم فكتب اليهم ان اشركوهم في الغنيمة فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزالله اهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون اهل الامصار فلما فرغوا رجعوا وبلغ عمر في مسيره هذا الى الجابيه فوافاه خبر انهزام الروم فكتب الجواب لابي عبيده ورجع من الجابيه واصحب معه خالدبن الوليد ومن معه ولما قدم سهيل بن عدي على الرقه سرح الوليدبن عقبة الى عرب الجزيره فقبض اهل الرقه عن هرقل وساروا مع سهيل بن عدى الى اياد ابن نزار فانهم ادخلوه ارض الروم فكتب عمر الى هرقل بلغني ان حيا من احيا العرب تركوا دارنا وأتوا دارك فوالله لتخرجنهم او لنخرجن النصارى اليك فاخرجهم هرقل وتفرق منهم اربعة آلاف فيما يلي الشام والجزيره .

﴿ ذكر فتح الجزيرة وارمينيه ﴾

الجزيره بلاد تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعه بين دجلة والفرات اليها ينسب الامام الجزرى وارمينيه كورة كانت للروم لما ارسل سعد العساكر الى الجزيره ارفض به اهل الجزيره عن الروم وساروا الى كورهم حين سمعوا بارسال العساكر من الكوفة فنزل عليهم سهيل ابن عدى وحاصرهم حتى صالحوه ونازل عبدالله بن عتبان الموصل ونصيبين فصالحوه كصنع اهل الرقه وخرج الوليدبن عقبة فقدم على عرب الجزيره فينهض معه مسلمهم وكافرهم الا ايادبن نزار فانهم دخلوا ارض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر فكتب عمر الى هرقل كما تقدم ولما اخذوا الرقه ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبدالله بن عتبان وسار بالناس الى حران فلما وصل اجابه اهلها الى الجزية فقبل منهم ثم ان عياض اسرح سهيلا وعبدالله الى الرها فاجابوهما الى الجزية واجروا كل ما اخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمه فكانت الجزيره اسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبدالله الى الكوفة وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انصرافه من الجابية يسأله ان يضم اليه عياض بن غنم اذ أخذ خالدبن الوليد معه الى المدينه فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيره وحربها والوليدبن عقبه على عربها وابى الوليدبن عقبة ان يقبل من تغلب الا الجزيه وقال ليس الا الاسلام فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لايقبل منهم الا الاسلام فدعهم على ان لاينصروا وليدا ولايمنعوا احدا منهم من الاسلام وكان في تغلب عن وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطوا عليهم فعزله وآمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمر الحلبى والصحيح الذى عليه الأكثر ان فتح الجزيرة معدود من فتح اهل الشام وانه سنة سبع عشرة وقيل انه من فتح العراق وانه سنة تسع عشرة وانما اخذ عمر خالدا معه وعزله عن امارة الاجناد لانه رأى منه تبذيرا وسرفا في الاموال اعطى مرة للاشعث بن قيس عشرة آلاف وله عطايا كثيرة فلما قدم المدينة شكا خالد عمر على الناس وقال له انك في امرى غير مجمل فقال له عمر من اين

هذا

هذا الثرا فقال من الغنايم والسهمان مازاد على ستين الفا فهو لك فقوم عمر ماله فزاد عشرين الفا فجعلها في بيت المال ثم قال ياخالد والله انك على لكريم وانك الى حبيب وكتب الى الامصار انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة وعوضه عما اخذه منه وكان خالدا بن خال عمر رضى الله عنهما لان ام عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيره وخالد بن الوليد ابن المغيره وكان في قلنسوة خالد التى يقاتل فيها شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستنصر بها و ببركته صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا وكان يقول اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس الى شعره فسبقت الى الناصية فاخذتها فاتخذت قلنسوه فجعلتها في مقدم القلنسوه فما واجهته في وجه الا وفتح له وسماه النبى صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله يوم غزوه موته لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمدينة بما وقع في تلك الغزوة يوم وقوعها فذكر لهم استشهاد زيد بن حارثه وجعفر ابن ابى طالب وعبد الله بن رواحه وقال ثم اخذ الراية سيفا من سيوف الله خالد ابن الوليد ففتح الله عليه ومناقبه كثيرة وله ترجمة واسعة توفى رضى الله عنه في خلافة عمر رضى الله عنه بحمص وقيل بالمدينة سنة احدى وعشرين من الهجرة ولما حضرت خالدا الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الاوفيه ضربة اوطعنة اورمية وهاانا اموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء ومامن عمل عندى ارجى من لااله الا الله وانامتترس بها وفي سنة ثمانية عشر وقع بالشام الطاعون المسمى طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون الفا ومات فيه ابو عبيدة واستخلف معاذ ابن جبل فطعن ايضا فيه ومات فاستخلف عمر على الناس عمرو بن العاص وطعن فيه يزيد بن ابى سفيان فاستعمل عمر بن الخطاب اخاه معاوية ابن ابى سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنه على جند الاردن وخراجها ولما حصل ذلك الطاعون قام ابو عبيدة خطيبا في الناس فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان اباعبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذا يسال الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قال فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما احب ان لى بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات واستخلف عمرو بن العاص خرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم وكان الناس قد اصابهم من الموت مالم يروا مثله قط وطمع فيهم العدو وطال مكث ذلك الطاعون فانه مكث شهورا وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم الى الشام في مدة ذلك الطاعون فلما كان بسرغ وهو موضع قرب الشام بين المغيثه وتبوك لقيه امرا الاجناد فيهم ابو عبيدة بن الجراح فاخبروه بالوبا وشدته وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازيا فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فنهم القائل خرجت لوجه الله فلايصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا

ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه واشاروا بالعود فنادى عمر فى الناس انى مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا ابا عبيدة اى لانتقمت منه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة أليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر منه وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر منه وكان عبد الرحمن بن عوف غائبا فحضر فاخبر انه سمع من النبى صلى الله عليه وسلم حديثا فى ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم بهذا الوبا ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا فرارا منه فكان ذلك الحديث موافقا لما رأه عمر رضى الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة ومات فى ذلك الطاعون كثير من الصحابة منهم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما ولما فرغ الطاعون كتب امراء الاجناد الى عمر رضى الله عنه بما فى ايديهم من المواريث فسار عمر الى الشام واستخلف على المدينة على بن ابى طالب رضى الله عنه فلما قدم الشام قسم المواريث والارزاق وسد فروج الشام ومصالحها واخذ يدورها ورجع الى المدينة فى ذى القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو امرت بلالا فأذن فامره فاذن فما بقى احد ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن الا بكى حتى بل لحيته وعمر اشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر فتح مصر والاسكندرية ﴾

كان ابتداء الامر وانتهاؤه فى ذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة عشرين وقيل ان فتوح مصر كان فى سنة ست عشرة لان عمرو بن العاص رضى الله عنه حمل الطعام لاهل المدينة عام الرمادة التى اشتد القحط فيه فى بحر القلزم من مصر الى المدينة وعام الرمادة كان سنة ثمانية عشر وقال الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة لما كانت سنة ثمان عشرة وقدم عمر بن الخطاب الجابية قام اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى ان اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا واعجزهم عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم امرها عند عمر ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر بن الخطاب لذلك فاذن له فى المسير وسبب قوة رجاء عمرو بن العاص فى ان الله يفتح مصر على يديه قصة وقعت له فى الجاهلية ذكرها السيوطى ايضا فى حسن المحاضرة ولنذكرها وان كان فيها طول تتميما للفائدة قال اخرج ابن عبد الحكم عن خالد بن يزيد انه بلغه ان عمرو بن العاص قدم الى بيت المقدس بتجارة فى نفر من قريش واذاهم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو بن العاص يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينما عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى

نام الشماس فی مكانه وكان الی جانب الشماس حیث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة
بصر بها عمرو فنزع لها سهما فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الی حية عظيمة قد نجاه الله منها
قال لعمرو ما هذه فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الی عمرو فقبل رأسه وقال
احيانی الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحيه فما اقدمك هذه البلاد
قال قدمت مع اصحاب لی نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو ان تصيب
من تجارتك قال رجائی ان اصيب ما اشتری به بعيرا فانی لا املك الا بعيرين فأملی ان اصيب
بعيرا اخر فيكون لی ثلاثة ابعره فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هی قال مائة
من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل نحن اصحاب دنانير قال عمرو تكون الف دينار
فقال له الشماس انی رجل غريب فی هذه البلاد وانما قدمت اصلی فی كنيسة بيت المقدس
وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الی بلادی فهل لك ان تتبعنی الی بلادی ولك عهد الله
وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله تعالی احيانی بك مرتين فقال له عمرو واين بلادك قال مصر فی
مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس
لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو تفی لی بما تقول وعليك بذلك العهد
والميثاق فقال الشماس نعم لك الله علی بالعهد والميثاق انی افی لك واردك الی اصحابك فقال
عمرو وكم يكون مكثی فی ذلك قال شهرا تنطلق معی ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع
فی عشر ولك علی ان احفظك ذاهبا وابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انتظرنی
حتی اشاور اصحابی فانطلق عمرو الی اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لا تخرجوا
واقيموا حتی ارجع اليكم ولكم علی العهد ان اعطيكم شطر ذلك علی ان يصحبنی
منكم رجل أنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس
الی مصر حتی انتهی الی الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال
والخير ما اعجبه ذلك وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الاموال ونظر الی الاسكندريه
وعمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها وما بها من الاموال فازداد تعجبا ووافق دخول عمرو
الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيها ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكلله
يترامی بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اخبروا عن تلك الاكره علی ما وضعها من مضی
منهم ان من وقعت الاكره فی كمه واستقرت فيه لم يمت حتی يملكهم فلما قدم عمرو
الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو
والشماس مع الناس فی ذلك المجلس حيث يترامون بالاكره وهم يتلقونها باكمامهم فرمی بها
رجل منهم فاقبلت تهوی حتی وقعت فی كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكره
قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابی يملكنا هذا لا يكون ابدا وان ذلك الشماس مشی فی اهل
الاسكندريه واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفی دينار وسألهم ان يجمعوا له
ذلك فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الی عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا
ورسولا وزودهما واكرمهما حتی رجع هو ومن معه الی اصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل
مصر ومخرجها وراى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الی اصحابه

دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو فكان ذلك المال اول مال ثاثلته
فلما اكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من ارض الشام مالت نفسه الى فتح مصر ورجا
ان يتحقق له وقوع الاكره في كه مع ماصح من قول النبي صلى الله عليه وسلم لتفتح عليكم بعدى
مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة فرغب عمر بن الخطاب في ان يسيره اليها
حتى وافقه على ذلك فعقد له على اربعة الاف رجل كلهم من عك ويقال على ثلاثة الاف وخمسمائة
فقال عمر سر وانا مستخير الله في مسيرك وسيأتي كتابي اليك سريعا ان شاء الله تعالى فان
ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها اوشيأ من ارضها فانصرف
وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو
ابن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على
المسلمين في وجههم فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف بمن معه من المسلمين فادرك
الكتاب عمرا وهو برفح فتخوف عمرو بن العاص ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه
الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية
فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل له انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين
فقال عمرو انتم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى فقال ان امير المؤمنين عهد الى
وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل مصر ان ارجع وان لم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض
مصر فسيروا وامضوا على بركة الله فتقدم عمرو بن العاص فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو
توجه الى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله
الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه فهزم الروم وكان بالاسكندرية اسقف
للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون
للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما
كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فنزل
ومن معه فقال بعض القبط لبعض الا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم
وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد
الا ظهروا عليه حتى يقتلوا آخرهم فتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس
فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام
دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وابطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة
آلاف تمام ثمانية آلاف فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم بالقصر الذى
يقال له باب اليون حينا وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب
الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل وكتب اليه
انى قد امددتك بأربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد بن
الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم انه صار معك اثنا عشر الفا ولا تغلب
اثنا عشر الفا من قلة وكان الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق ابوابا وجعلوا
سكك الحديد موتدة بأفنية الابواب فلما قدم المدد الى عمرو ابن العاص اتى الى القصر ووضع

عليه

عليه المنجنيق وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعرج واليا عليه وكان تحت يد
المقوقس ودخل عمرو الى صاحب الحصن كأنه رسول فتناظر معه فى شئ مما هم فيه فقال
اخرج واستشير اصحابى وكان صاحب الحصن اوصى الذى كان على الباب اذا مر به
عمرو راجعا ان يلقى عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال
قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال انى اريد ان اتيك بنفر
من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الى من
قتل واحد فارسل الى الذى امره بقتل عمرو ان لا يتعرض له رجاء ان يأتى بأصحابه فيقتلهم
وخرج عمرو فلما ابطأ عليه الفتح قال الزبير انى اهب نفسى لله ارجو ان يفتح الله بذلك على
المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره
ان يجيبوا جميعا فاشعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامع الناس على
السلم حتى نهاهم عمرو خوفا ان ينكسر فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون
من خارج لم يشك اهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الى
باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه فحينئذ طلب الصلح من
عمرو ابن العاص على ان يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى
ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر وقال بن عبد الحكم شهرا قال ان
المسلمين لما حصروا باب اليون شهرا كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم
وعليهم المقوقس فلما راوا حرص المسلمين على فتح الحصن ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا
فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة
يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيره وامروا بقطع الجسر وتخلف الاعرج فى الحصن بعد المقوقس
فلما خاف فتح الحصن ركب [illegible] لاصقة بالحصن
ثم لحقوا بالمقوقس فى الجزيره فارسل المقوقس الى عمرو ابن العاص [illegible]
والححتم على قتالنا وطال مقامكم فى ارضنا وانما انتم عصبة يسيره وقد اظلكم الروم
وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا
فارسلوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب
وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه
ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا من اصحابكم
نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به عن شئ فلما اتى الى عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم
عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم
يستحلون ذلك فى دينهم وانما فعل عمرو ذلك لاجل ان يروا حال المسلمين وما هم فيه ثم رد عليهم
عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينك الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام
فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون
واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس
اليه قال كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوما الموت احب اليهم من الحياة والتواضع احب اليهم

من الرفعة ليس لاحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة وانما جلوسهم على التراب وا كلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ولا يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقدروا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ان ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ماعسى ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وهو احد الشجعان المشهورين والفصحا المتكلمين وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شيء دعوه اليه الا احدى هذه الخصال الثلاث فان امير المؤمنين امرني ان لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة ابن الصامت رضي الله عنه اسود فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا ان هذا الاسود افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانا نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد امره الامير دوننا بما امره به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد على كلامك ازددت لك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سوادا مني وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم مني وانا قد وليت وادبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوي ولو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك لاننا انما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا من حارب الله رغبة في الدنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا اكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاها ليس برخا انما النعيم والرخا في الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامر به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره وان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب البلاد وما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال ايها الرجل قد سمعت مقالتك وما ذكرته عنك وعن اصحابك ولعمري مابلغتم مابلغتم الا بما ذكرته ولا ظهرتم على ما ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا شهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ونحن تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم

الف دينار

الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالاقوة لكم به فقال عبادة ابن الصامت رضى الله عنه ياهذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك اماما تخوفوننا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم واننا لانقوى عليهم فلعمرى ماهذا بالذى تخوفننا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ان كان ماقلتم حقا فذلك والله ارغب مايكون فى قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا لان ذلك امكن لنا فى رضوانه وجنته ومامن شئ اقر لاعيننا ولا احب الينا من ذلك واننا منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانها الاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله تعالى قال لنا فى كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومامن رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى اهله وولده وليس لاحد مناهم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وانما همنا ماامامنا واما انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا مااردنا لانفسنا منها اكثر مما نحن فيه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك امرنى الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا من قبل اما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين الذى لايقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا فى دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التضرع لكم وان ابيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون نعاملكم على شئ نرضى به نحن وانتم فى كل عام ابدا مابقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب منكم ما نريد هذا ديننا الذى ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال له المقوقس هذا مما لايكون ابدا ماتريدون الا ان تأخذونا لكم عبيدا ماكانت الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر ماشئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب السما ورب هذه الارض ورب كل شئ مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القول فما تقولون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما ما ارادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لايكون ابدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل فى دين لا نعرفه واما ما ارادوا من ان يسبونا ويجعلونا عبيدا ابدا فالموت ايسر من ذلك لو رضوا منا ان نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان اهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد ابى القوم فما ترى فراجع صاحبك على ان نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك اطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله

مالكم بهم طاقـه وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبونهم الى ماهو اعظم منها كارهين فقالوا اى خصلة نجيبهم اليها قال أذن اخبركم اما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقـدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثلاث قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطنين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهلوكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجزيره وبالقصر من الروم والقبط جمع كثير فالح المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى ظفروا بهم وامكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيره وصـار المسلمون قد احدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على ان ينفذوا ويتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المداين والقرى والمقوقس يقـول لاصحابه الم اعلمكم هذا واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبونهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبونهم الى ماهو اعظم منه كرها فاطيعونى قبل ان تندموا فلما رأوا منهم مارؤا وقال لهم المقوقس ماقال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يوفونه وارسل المقوقس الى عمرو العاص رضى الله عنه انى لم ازل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال التى ارسلت الى بها فأبى ذلك من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى ان افتات عليهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فاعطنى امانا اجتمع انا وانت فى نفر من اصحابى ونفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك لنا جميعا وان ابيتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه فى ذلك السؤال فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها فيئا لنا وغنيمة كما صار القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ماعهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ماقد حال من الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النسا شئ وعلى ان للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام وان لهم ارضهم واموالهم لا يعرض لهم فى شئ منها فشرط هذا كله على القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصه من بلغ منهم الجزية افرض عليهم الدينارين رفع ذلك عرفا وهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر فيما احصوا وكتبوا اكثر من ستة آلاف الف وذلك ستة ملايين فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر الف الف دينار اى اثناعشر مليونا من الدنانير كل سنة وقيل بلغت غلتهم ثمانية آلاف الف وشرط المقوقس للروم ان يتخيروا فمن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على هذا لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج على ان للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه مافعل

فان قبل

فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا
وكتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه على وجه الامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه
ويعجزه ويرد عليه مافعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا وبمصر من
بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب
واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف
معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ماقد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت
ان تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذ لاتقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى
تموت اوتظفر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة
فناهضهم القتال ولايكون لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم مثل ذلك الى جماعة الروم
فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على
كثرتنا وقوتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب
اليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل ويتمنى ان لايرجع الى اهله ولابلده ولا ولده
ويرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون انهم ان قتلوا ادخلوا الجنة وليس لهم
رغبة في الدنيا ولا لذة الا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت
ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم
والله انى لا اخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه وانى لأعلم انكم سترجعون
غدا الى قولي ورأيي وتتمنون ان لوكنتم اطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت
مالم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم امايرضى احدكم ان يكون امنا في دهره على نفسه
وماله وولده بدينارين في السنة ثم اقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له ان الملك قد
كره مافعلت وعجزني وكتب الى والى جماعة الروم ان لا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك
حتى يظفروا بك اوتظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطاني
على نفسي ومن اطاعني وقد تم الصلح فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك
على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم واما الروم فانا منهم
برئ وانا اطلب منك ان تعطيني ثلاث خصال قال له عمرو وما هن قال لا تنقضن بالقبط
وادخلني معهم والزمني مالزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ماعاهدتك فهم متمون لك على
ماتحب واما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلاتصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا
فانهم اهل لذلك فانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت اليهم فاتهمونى واما الثالثة فاطلب اليك
ان انا مت ان تأمرهم ان يدفنونى في ابى حنش بالاسكندرية فأنعم له عمرو بن العاص
واجابه الى ماطلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا له الانزال والضيافة
والاسواق والجسور مابين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا
كما جاء في الحديث واستعدت الروم وجاشت وقدم عليهم من ارض الروم جمع عظيم
ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا
بها بضعة عشر يوما وكان عبدالله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان

مولى عمرو وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله يومئذ على المسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندريه فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون مابين حلوه الى قصر فارس الى ماوراء ذلك ومعهم روساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفه ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية فى المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظفرت العرب على الاسكندريه ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه اعظامالها وامر ان لايتخلف احد من الروم وقال مابقى للروم بعد الاسكندرية حرمة فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته وكفى الله المسلمين مؤنته وكان موته سنة تسع عشرة وقال الليث بن سعد مات هرقل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع كثير ممن قدتوجه الى الاسكندريه وانتشرت العرب عندذلك والحت القتال على اهل الاسكندريه فقاتلوهم قتالاشديدا وحاصروا الاسكندريه تسعة اشهر بعدموت هرقل وخمسة قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة شهر المحرم سنة عشرين وقال بن عبد الحكم اقام عمرو بن العاص محاصرا الاسكندرية اشهرا ولمابلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ماابطأ بفتحها الالما احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص امابعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنتين وماذاك الالما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لاينصر قوما الابصدق نياتهم وقدكنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ماكنت اعرف الاان يكون غيرهم ماغيرهم فاذا اتاك كتابى فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة فى صدور الناس وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وامر الناس جميعا ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة فيها ووقت الاجابه وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم ففعلوا ففتح الله عليهم قال بن عبد الحكم حدثنى ابى قال لما ابطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندريه استلقى على ظهره ثم جلس فقال انى فكرت فى هذا الامر فانه لايصلح اخره الامن اصلح اوله يريد الانصار فدعا عبادة بن الصامت فعقدله ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك ثم روى ابن عبد الحكم عن الامام مالك ان ذلك كان سنة عشرين ولماهزم الله الروم وفتحت الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر ورجع من كان هرب من الروم فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الامن هرب منهم وبلغ عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب ان الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولاعهد فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره ان لايجاوزها ويقبح رأيه فى اتباعه من هرب والذى قتلوا من المسلمين من حين حصار الاسكندرية الى ان فتحت عنوة اثنان

وعشرون رجلا ولما فتحت بعث عمرو بن العاص معاوية ابن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب مبشراله بالفتح فقال معاوية ابن خديج لعمرو بن العاص الاتكتب معى كتابا فقال عمرو وماتصنع بالكتاب الست رجلا عربيا تبلغ الرساله ومارأيت وماحضرت فلما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه واخبره بفتح الاسكندرية خرعمر ساجدا وقال الحمدلله وقيل بل كتب عمرو بن العاص مع الرسول كتابا لعمر بن الخطاب وقال فيه امابعد فانى فتحت مدينة لااصف مافيها غيرانى اصبت فيها اربعة الاف منيه وهى المكان الصلب المرتفع باربعة الاف حمام واربعين الف يهودى واربعمايه ملهى للملوك قال بن عبدالحكم لما فتح عمرو بن العاص الاسكندريه وجدفيهااثنى عشرالف بقال يبيعون البقل الاخضر ورحل منها سبعون الف يهودى فى الليلة التى خافوافيها دخول عمرو بن العاص قيل ان سبب فتح الاسكندرية ان رجلا كان يقال له ابن بسامه كان بوابافسأل عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب فاجابه عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بهامايةمركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون الفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصى يومئذ ستمائة الف سوى النسا والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمتهم وكان اكثر الناس يريدون قسمتها فقال عمرو لااقدر اقسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو واحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لايزاد على كل واحد فى جزية اكثر من دينارين الا انه يلزم بقدر مايتوسع فيه من الارض والزرع الاالاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولاعقد ولم يكن لهم صلح ولاذمة واخرج بن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب قال كانت قرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا فسبوا منها قرية يقال لها بلهيت وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس وقرطس وفرق سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة واخرج عن يحى ابن ايوب ان اهل سلطيس وحصيل و بلهيت ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاءلنا فىء مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه ان يجعل الاسكندريه وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وماصالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولايجعلوافيئا ولاعبيدا ففعلوا ذلك واخرج ابن عبدالحكم عن هشام ابن ابى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لمافتح مصر قال لقبط مصر من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرسا ذكروا لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فانكروجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه

هل لي يدعونه يسأل عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه من يده فكتب عمرو الى ذلك الراهب ان ابعث الي بما عندك وختمه بخاتم بطرس فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها مالكم تحت الفاسقية الكبيرة فارسل عمرو الى الفاسقية فحبس عنها الماء ثم قلع منها البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مضروبة فضرب عمرو راس بطرس عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقة ان يسعى على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس ثم ذكر الجلال السيوطي في حسن المحاضره اختلاف العلماء في ان مصر فتحت صلحا او عنوة فنقل عن الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب ان مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة ونقل عن عون بن حطان انه كان بقريات من مصر منهن ام دنين عهد واخرج عن يحيى بن ايوب وخالد بن حميد قال فتح الله ارض مصر كلها بصلح الا الاسكندريه وثلاث قريات ظاهروا الروم على المسلمين سلطيس وهصيل وبلهيت ونقل عن ابن هبيره ان مصر فتحت عنوة واخرج عن عبد الرحمن بن زياد قال سمعت اشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج عن ابي العاليه انه سمع عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لقد قعدت مقعدي هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس فان لهم عهدا يوفى لهم به وزاد في رواية عن ابن لهيعه ان عمرا قال ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وفي رواية عن ربيعة بن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص ان عمر بن الخطاب حبس درها وصرها ان يخرج منه شيء نظرا للاسلام واهله واخرج عن زيد ابن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين احد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد واخرج عن الصلت بن ابي عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد واخرج نحو ذلك عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم بن عبد الله بن عمر واخرج ابن عبد الحكم ومحمد بن الربيع الجيزي من طرق عن سفيان بن وهب الخولاني قال لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير ابن العوام فقال يا عمرو اقسمها فقال عمرو بن العاص لا اقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو لم اكن لاحدث حدثا حتى اكتب بذلك الى امير المؤمنين فكتب اليه عمر بن الخطاب اقرها حتى يغدو امنها حبل الحبله يعني ولد الولد وروى بن عبد الحكم عن بن شهاب قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميعا ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم قال القضاعي ان فتح مصر كان يوم الجمعة في شهر محرم سنة عشرين وانهم ساروا الى الاسكندريه في شهر ربيع الاول سنة عشرين وقيل في جمادى الاخرة وان عمرو بن العاص رضي الله عنه قفل من الاسكندريه بعد فتحها والمقام بها في ذي القعدة سنة عشرين وقال الليث بن سعد اقام عمرو بالاسكندريه في حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا واخرج ابن عبد الحكم عن يزيد ابن ابي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها هم ان يسكنها فكتب الى عمر بن

الخطاب

الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى و بين المسلمين ماء قال نعم ياامير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندريه الى الفسطاط واخرج بن عبدالحكم ايضا عن يزيد بن ابى حبيب ان عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصره والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندريه ان لا تجعلوا بينى و بينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتى حتى اقدم اليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى الى الكوفه وتحول صاحب البصره من المكان الذى كان فيه فنزل البصره وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال بن عبد الحكم ان عمرو ابن العاص لما كان بمصر كان له فسطاط فلما اراد التوجه الى الاسكندريه امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال لقد تحرم بنا فامر به فاقره كما هو حتى يطير الفراخ واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندريه قالوا اين ننزل قال الفسطاط يعنى فسطاطه الذى خلفه وكان مضروبا فى موضع الدار الذى يعرف اليوم بدار الحصا فلذلك سميت مصر الفسطاط قال القضاعى لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندريه ونزل موضع الفسطاط انضمت القبايل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عليهم امرآء فكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبايل وقال بن قتيبه ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط قال ابن فضل الله فى المسالك مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط بناه عمرو موضع فسطاطه وما جاوره وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وبنى عمرو بن العاص دارا لعمر بن الخطاب وكتب له انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب اليه عمر انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال بن لهيعة هى دار البركه فجعلت سوقا فكان يباع فيها الرقيق وبنى خارجة بن حذافه غرفة عالية فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك اما بعد فقد بلغنى ان خارجة ابن حذافه بنى غرفه واراد ان يطلع على عورات جيرانه فاذا اتاك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام فلما جاءه الكتاب هدمها وسأل المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك فكتب فى ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما اعطاك وهى لا تزرع وهى لا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها فى الكتب ان فيها غراس الجنة وفى رواية انا لنجد فى كتابنا ان ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين وفى رواية انا لا نعلم غراس الجنة الا للمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان اول من دفن فيها رجل من مغافر يقال له عامر فقيل عمرت وروى عمرو بن العاص عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر رضى الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة ثم قال عمرو بن العاص فاحمدوا الله

معاشر المسلمين على ماأولا كم ولما فتح عمرو مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤنه من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الابها فقال لهم وماذاك قالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل مايكون ثم القيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فاقاموا بؤنه وابيب ومسرى لايجرى النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ماكان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها فى داخل النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر امابعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن اهل مصر وعن يزيد بن ابى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلا حتى طلبوا موسى ان يدعو الله رجا ان يؤمنوا فدعا الله فاصبحو وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

ذكر فتوحات العراق بعد مسير خالد بن الوليد الى الشام

لما اراد خالد بن الوليد المسير الى الشام بامر ابى بكر رضى الله عنه اخذ معه بعض الجند كما تقدم واستخلف على من بقى بالعراق المثنى بن حارثة الشيبانى وهو صحابى من نسل ذهل بن شيبان وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار وفد المثنى على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه وسيره ابوبكر الصديق رضى الله عنه فى صدر خلافته الى العراق قبل مسير خالد بن الوليد الى العراق وهو الذى اطمع ابابكر والمسلمين فى الفرس وهون امر الفرس عندهم وكان شهما شجاعا ميمون النقيبه حسن الراى ابلى فى قتال الفرس بلاء لم يبلغه احد وكان استخلاف خالد له على جيش العراق بامر من ابى بكر رضى الله عنه فلما توجه خالد الى الشام واستخلفه على الجند اقام بالحيره وذلك سنة ثلاث عشرة وكان الفرس قد هلك ملكهم كسرى كما تقدم ثم استقام امرهم على تمليك شهر زان ابن ازدشير ابن شهريار بن سابور فوجه الى المثنى بن حارثة جيشا عظيما عليهم هرمز جاذويه فخرج المثنى من الحيره نحوه فأقام ببابل فاقبل هرمز نحوه وكتب ملكهم كسرى الذى ملكوه عليهم الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش اهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست اقاتلكم الابهم فكتب اليه المثنى انما انت احد رجلين اماباغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين عند الله فضيحة وعند الناس الملوك واما الذى يدلنا عليه الراى فانكم انما اضطررتم بهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان معهم فيل يفرق الناس فانتدب له المثنى ومعه

ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات ملكهم كسرى شهر زان لما انهزم هرمز واختلف الفرس وبقي مادون دجله بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس وملكوا دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها امر فخلعوها وملكوا سابور بن شهر زان وقام بتدبير امره الفراخزاد ابن لينذوان فقتل وثارت بينهم فتنة وحصروا الملك سابور ثم قتلوه وملكوا ازرميد اخت بنت كسرى وتشاغلوا بتلك الفتنة وابطأ على المثنى خبر ابى بكر رضى الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصيه وهو صحابى من نسل سدوس ابن شيبان والخصاصية جدته نسب اليها وهى من الازد وابوه يزيد ابن سعيد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد الازد وكان اسمه زحما فسماه النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا وكان سير المثنى الى ابى بكر رضى الله عنهما ليخبره خبر المشركين ويستأذنه فى الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم انشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وابوبكر رضى الله عنه مريض قد اشفى فاخبره الخبر فاستدعى عمر وقال انى لارجوا ان اموت يومى هذا فاذا انامت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن امر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت وما اصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على اهل الشام فاردد اهل العراق الى العراق فانهم اهله وولاة امره واهل الجرأة عليهم ومات ابو بكر رضى الله عنه ليلا فدفنه عمر رضى الله عنه وندب الناس مع المثنى وكان الانتداب الى فارس اثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وقوة شوكتهم وقهرهم الامم فكان عمر رضى الله عنه بايع الناس ثلاثة ايام وفى الرابع ندب الناس الى العراق فكان اول منتدبه ابو عبيد ابن مسعود الثقفى وهو صحابى اسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو والد المختار وانتدب ايضا سعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس الانصارى وكانا ممن شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى فقال ايها الناس لايعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شق السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شا الله ما بعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار قال لا والله لا افعل وانما رفعهم الله بسبقهم ومسارعتهم الى العدو فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع اولى بالرياسه فهم والله لا أومر عليهم الا اولهم انتدابا ثم دعا ابا عبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بهاما لكما من السابقه فامر ابا عبيد وقال له اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولا يمنعنى ان أومر سليطا الا سرعته الى الحرب وفى التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث واوصاه بجنده فكان بعث ابى عبيد اول جيش سيره عمر رضى الله عنه ثم بعده سير يعلى بن اميه الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لايجتمع بجزيرة العرب دينان واعتذر عمر فى عزله المثنى عن الامارة بقوله انى لم اعزله وخالد بن الوليد عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لايكونوا بعرض فتنة

﴿ ذكر خبر النمارق ﴾

فسار ابو عبيد الثقفي وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان ومن معهم والمثنى ابن حارثة وامره عمر بالتقدم الى ان يقوم عليه اصحابه و امرهم باستنفار من حسن اسلامه من اهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيره وكان الفرس تشاغلوا عن المسلمين بما وقع بينهم ثم ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بشرط ان تملك رستم بن الفرخزاد عشر سنين ثم يكون الملك في ال كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففي نسائهم فدعت بوران مرازبة فارس وامرتهم ان يسمعوا لرستم و يطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم ابي عبيد ثم قدم المثنى الى الحيره في عشر وقدم بعده ابو عبيد بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يؤثروا بالمسلمين و بعث في كل رستاق رجلا يؤثر باهله ووعدهم يوما و بعث جندا لمصادمة المثنى و بلغ المثنى الخبر فعجل فخرج من الحيره ونزل خفان و نزل جيش الفرس النمارق فسار اليه ابو عبيد واقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله اهل فارس واسر رئيس جيشهم واسمه جابان ولحق المنهزمون كسكر وبها نرسى بن خالة الملك فسار اليهم ابو عبيد واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسى وغلب المسلمون على عسكره وارضه وجمعوا الغنائم ولما بلغ بوران ورستم هزيمة جابان بعث الجالينوس بجيش فنزل بباقشياثا فسار اليه ابو عبيد فهزمه وهرب الجالينوس وغلب ابو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيره وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابي عبيد انك تقدم على ارض المكر والخديعه والخيانه والجبريه تقدم على قوم تجروا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون و احذر لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة فكان ابو عبيد شديد الحذر والتحفظ حسن التدبير محافظا على ما اوصاه به عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر وقعه قس الناطف و يقال لها الجسر واستشهاد ابي عبيد رضى الله عنه ﴾

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم اى العجم اشد على العرب قالوا بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب فوجهه ومعه فيله وردالجالينوس معه وقال لبهمن ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه فنزل بقس الناطف واقبل ابو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأة ابي عبيد في منامها ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها ابا عبيد فقال هذه الشهادة ان شاء الله تعالى وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى امر الذين شربوا من الاناء وكلهم من قومه ثقيف ثم قال فان قتل فلان فعلى الناس المثنى بن حارثة ثم عبر على الجسر بجيوشه الى قس الناطف فالتقى مع بهمن وجيوشه واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر بالمسلمين فترجل ابو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيله لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى ابو عبيد احتوشوا الفيله وقطعوا بطانها واقلبوا عنها اهلها ووثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذي

عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الاحطوا رحله وقتلوا اصحابه و اهوى الفيل لابى عبيد فضربه ابو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت انفس بعضهم ثم اخذ اللوا الذى امر به بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن ابى عبيد فاخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذى بعد ابى عبيد وتتابع سبعة انفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء و يقاتل حتى يموت ثم اخذ اللوا المثنى بن حارثة فهرب عنه الناس فلما رأ عبدالله بن مرشد الثقفى ما لقى ابو عبيد وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال ايها الناس موتوا على ما مات عليه امراءكم اوتظفروا وحاز المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر واسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال انادونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وقاتل عروة ابن زيد الخيل وابو محجن الثقفى قتالا شديدا وقاتل ابو زبيد الطائى قتالا شديدا حمية للعرب وكان نصرانيا قدم الحيره لبعض امر ونادى المثنى من عبر نجا وامر بعقد الجسر فعبر الناس وكان اخر من قتل سليط بن قيس وعبر المثنى فلما عبر ارفض عنه اهل المدينة و بقى المثنى فى قلة وكان قد جرح واثبت فيه حلق من درعه وكان جملة من مات من المسلمين اربعة الاف بين قتيل وغريق وقتل من الفرس ستة الاف واراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فاتاه الخبر باختلاف الفرس وانهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذى بينهم و بينه وانهم صاروا فريقين الفهلوج على رستم واهل فارس على الفيرزان فرجع بهمن الى المداين

﴿ ذكر وقعة البويب ﴾

لما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقعة ابى عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان ممن ندب بجيله وامرهم الى جرير بن عبدالله البجلى فاجتمع كثير منهم فامرهم عمر بالتوجه الى العراق فابوا الا الشام فعزم عليهم عمر التوجه الى العراق و ينفلهم ربع الخمس فاجابوا وسيرهم الى المثنى وكتب الى اهل الردة فلم يأته احد الابعثه الى المثنى و بعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه فى جمع عظيم وجاءه انس بن هلال النمرى فى جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا و بلغ الخبر رستم والفيرزان فجمعوا جموعهم من ورا الفرات واجتمع المسلمون بالبويب وكان على جيش الفرس مهران الهمدانى فارسل الى المثنى يقول اما ان تعبر الينا واما ان نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطى الفرات وعبى المثنى اصحابه وكان فى رمضان فامرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فافطروا واقبل الفرس فى ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ولهم زجل فقال المثنى لاصحابه ان الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى فى صفوفه يحرضهم وقال انى مكبر ثلاث فتهيؤا ثم احملوا فى الرابعه فلما كبر اول تكبيره اعجلتهم فارس وخالطوهم فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرء عربى وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى فاجابه فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل

في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبتان تقتتل ولا يستطيعون ان يفزعوا لنصر اميرهم لا المسلمون ولا المشركون وافنى المثنى قلب المشركين فلما راوه قد ازال القلب وثب مجنبتا المسلمين على مجنبتي المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على ادبارهم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر واخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين واخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحرزون القتلى مائة الف وسمي ذلك اليوم الاعشار احصي مائه رجل من المسلمين قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وغنم المسلمون غنائم كثيرة واعطى بجيله ربع الخمس كما شرط لهم عمر رضي الله عنه

﴿ ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد ﴾

سوق الخنافس يجتمع بها تجار مداين كسرى والسواد وقضاعه وربيعه يخفرونهم فركب المثنى واغار على الخنافس يوم سوقها فانتهب السوق ومافيها وسلب الخضرا ثم رجع الى الانبار فتحصن اهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه واتوه بالاعلاق والزاد واخذ منهم الادلا على سوق بغداد وهو موضع المدينة التي اختطها المنصور فيما بعد وصبحهم في اسواقهم فوضع السيف فيهم واخذ ما شاء ثم رجع الى الانبار وشن الغارات بخيول اصحابه على الاطراف وبعث خيلا على احيا تغلب بصفين فاغاروا عليهم وقتلوا المقاتله وسبوا الذريه واستاقوا الاموال واغاروا على قوم من تغلب والنمر بشاطي دجله ففروا وادركوهم بتكريت فاصابوا ماشاؤا من النعم

﴿ ذكر الخبر الذي هيج امر القادسيه وتملك يزدجر ﴾

لما رأى اهل فارس مايفعل المسلمون بالسواد قالوا الرستم والفيرزان وهما على اهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى رهنتما اهل فارس واطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من امركما ان نقركما على هذا الرأي وان تعرضاها للهلكه مابعد بغداد وساباط وتكريت الا المداين والله لتجتمعان اولنبدأن بكما ثم نهلك وقد اشتفينا منكما ولم يبق احد من ولد كسرى من الذكور الاغلام عمره احد وعشرون سنة يدعى يزدجر فملكوه واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرازبه في طاعته ومعونته فجندوا جنودا كثيرة فبلغ ذلك المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر ابن الخطاب ثم بلغهم ان اهل السواد كفروا وصار من له عهد كمن لا عهد له فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رأسا ولا ذا رأي وشرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا ورماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمره بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم وان لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا احضروه اماطوعا اوكرها ففعلوا ذلك وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشره وارسل عمر في الحجه عند مخرجه الى الحج الى عماله على العرب ان لا يدعوا من له نجدة او فرس او سلاح او رأي الا وجهوه اليه فامامن كان على النصف مابين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج واما من كان

اقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امـداد العرب الى عمر ولما اجتمع النـاس
استخلف على المدينة عليا رضى الله عنه وخرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرار فعسكر به
فى ابتدا سنة اربع عشرة ولا يدرى الناس ماذا يريد ايسير ام يقيم فسأله عثمان عن سبب حركته
فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك
فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجئ رأى هو امثل من هـذا
ثم جمع وجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل يطلب حضور على رضى الله عنه
من المدينة فحضر فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن
ابن عوف ثم استشارهم فاتفقوا على ان يبعث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
و يرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث اخر ففى ذلك غيظ العدو
فجمع عمر بقية الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم وقد
رأيت انى اقيم وابعث رجلا فاشيروا على برجل وكان سعد بن ابى وقاص بعثه لصدقات هوازن
وكتب اليه بانتخاب ذوى الرأى والنجده والسلاح فجاء كتابه وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه
يقول سعد فى كتابه قد انتخبت لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيطة يحفظ
حريم قومه اليهم انتهت احسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه لعمر قالوا قد وجدته يا امير المؤمنين
قال من هو قالوا سعد بن مالك وهو سعد بن ابى وقاص فانتهى الى قولهم فارسل اليه وطلبه واقره
على حرب العراق واوصاه بوصايا كثيرة وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم
اربعـة الاف ثم امـده بالفين من اهل اليمن والفين من اهـل نجد وكان المثنى فى ثمانيـة الاف
وكان سعد بن ابى وقاص من بنى زهرة ابن كلاب وهم رهط آمنة ام النبى صلى الله عليه وسـلم
فهو سعد بن مالك ابن وهب بن عبد منـاف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى
بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنـانة بن خزيمة بن مدركة بن اليـاس بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان وآمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة
ابن كلاب فيلتقى نسبه مع آمنه فى عبد مناف بن زهرة ومع النبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب
ابن مره وكان سعد رضى الله عنه من السابقين فى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن
الشجعان المشهورين وهو اول من اراق دما فى سـبيل الله واول من رمى بسهم فى سبيل الله
شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابلى يوم احد بلاء عظيـما
وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وشهد له بالجنة ودعا له ان الله يجيب
دعوته فكان مجاب الدعوة ومناقبه كثيرة رضى الله عنه وبه فتح الله العراق ولما طعن عمر
رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى المستحقـين للخلافه ومما اوصاه به عمر رضى
الله عنه لما جعله اميرا على جيوش العراق انه قال له لا يغرنك من الله ان قيل خال رسـول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحب رسـول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو بالسئ السئ
ولكنه يمحو السئ بالحسن وليس بين الله و بين احـد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله
سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافيه و يذكرون ما عندهم بالطـاعة فانظر الامر
الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسار سعد والمثنى قبله

وصار ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحات كانت به انتقضت عليه ولما
وصل سعد رتب الجيوش ولم يزل عمر رضى الله عنه يمده بالرجال حتى استكمل عنده ستة
وثلاثون الفا واوصى المثنى قبل موته اخاه المعنى بن حارثة ان يبلغ سعدا اذا قدم ان يقاتلوا
الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلوهم فى عقر دارهم فان
يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا اعلم بسبيلهم
واجرأ على ارضهم الى ان يرد الله الكرة عليهم فلما بلغ سعد ذلك ترحم على المثنى ومن معه
وكان مع سعد تسعة وتسعون من اهل بدر وثلثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين
بيعة الرضوان الى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد وافتح مكة وسبعمائة من ابناء الصحابة وقدم
على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى روى الطبرانى ان عمر رضى الله عنه كتب الى سعد بن ابى
وقاص قد وجهت اليك او امددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد
فشاورهما فى الحرب ولا تولهما واثاقال ولا تولهما لما يعلم فيهما من شدة الاقدام بالعسكر وعدم
التأنى وكان كل منهما يعد بألف فارس لشجاعتهما وشدتهما وسيأتى ذكر شئ مما كان
منهما مما يدل على ذلك وكان ملك العرب عامل كسرى بالحيره قبيصه بن اياس الطائى فلما سمع
بمجئ سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان الاسدى فاخبره ان سعدا رجل من قريش فقال
قبيصه والله لاحاد به القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفين فغضب
عبد الله بن سنان من قوله وامهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد فاسلم وسار سعد بالجيوش
حتى نزل القادسيه وهى قريب من موضع الكوفه وكتب عمر بن الخطاب لسعد رضى الله
عنهما انكم اذا لقيتم العدو وهزمتوهم فتى لاعب احد منكم احدا من العجم بامان او باشارة
او بلسان كان عندهم امانا فاجروا لهم ذلك مجرى الامان والوفا فان الخطا بالوفا بقية وان
الخطا بالغدر هلكة فيها وهنكم وقوة عدوكم وكان سعد قد جعل على مقدمة جيشه زهرة بن
عبد الله بن قتادة بن الحوية التميمى وهو صحابى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم واسلم فلما
نزل زهره فى المقدمة وامسى بعث سرية فى ثلاثين معروفين بالنجده وامرهم بالغارة على
الحيره فلما جاوزوا السليحين سمعوا جلبه فكمنوا حتى حاذوهم واذا اخت ازادمرد بن ازاد
به مرزبان الحيره تزف الى صاحب الصنين وهو من اشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله
الليثى امير السريه على شيرزاد بن ازادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها
واخذوا الاثقال وانية ازادبه فى ثلاثين امراه من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم
ما لا يدرى قيمته فاستاق ذلك ورجع به واتى به سعدا فقسم ذلك على المسلمين ومكث سعد
بالقادسيه شهرا لم يأته احد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى بغنائم كثيرة حتى
اخصب المسلمون ووصف بعض من كان مع سعد قوم سعد الذين كانوا معه فى الجيش للحجاج
ابن يوسف بقوله ما رأينا قط ازهد فى دنيا منهم ولا اشد بغضا لها وكانوا ابرارا اتقيا ليس
فيهم جبان ولا غدار فاستغاث اهل السواد الى يزدجر واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسيه
ولا يبقى على فعلهم شئ وقد اخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمه وان
ابطا الغياث اعطيناهم بايدينا وكتب له بذلك الذى لهم الضياع وهيجوه على ارسال الجنود

فارسل يزدجرد الى رستم وقال له انى اريد ان اوجهك فى هذا الوجه فانت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم مالم تضربهم بى ولعل الدولة ان تثبت بى اذا لم احضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد اصبنا المكيدة والرأى فى الحرب انفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش امثل من هزيمة بمرة واشد على عدونا فابى عليه واعاد رستم كلامه وقال قد اضطر فى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو اجد من ذلك بدا لم اتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك ودعنى اقم بعسكرى واسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فانى لا ازال مرجوا فى اهل فارس مالم اهزم فابى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وعلى مقدمته الجالينوس فى اربعين الفا وخرج هو فى ستين الفا وفى ساقته عشرون الفا وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من اهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه الى الله فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا ممن هم كذلك وامرهم ان ياتوا يزدجرد فخرجوا من العسكر وتركوا رستم واستأذنوا على يزدجرد فاذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط واحضر الترجمان وقال له سلهم ماجاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا من اجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان ابن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء أثرته فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم امر ان نبتدأ الى من خالفه من العرب فبدأ نابهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطامع فازداد فعرفنا جميعا فضل ماجاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان نبتدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزية فان ابيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد وقال انى لا اعلم امة فى الارض كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا امركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فقام المغيرة بن زرارة الاسدى وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به اجابوك عنه فجاوبنى لاكون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك فاما ما ذكرت من سوء الحال فهى على ما وصفت واشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبى صلى الله عليه وسلم

اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم او الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف او تسلم فتنجي نفسك فقال لولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكم لاشيء لكم عندي ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ثم قال لرسل سعد ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم بأشد مما نالكم من سابور فقام عاصم ابن عمرو الكناني الليثي ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم انا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فاخذ التراب وركبها وقال لسعد لما جاءه ابشر لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك وقال الملك لرستم ما كنت ارى ان في العرب مثل هؤلاء ما انتم باحسن جوابا منهم ولقد صدقني القوم لقد وعدوا امرا ليدركنه او ليموتن عليه على اني وجدت افضلهم احمقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم ايها الملك انه اعقلهم وتطير الى ذلك وابصرها دون اصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث في اثر الوفد وقال لثقته ان ادركهم الرسول تلافينا ارضنا وان اعجزوه سلبكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بارضكم من غير مثال وكان منجما كاهنا واغار سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد الى يزدجرد على النجاف والفراض فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور واوقروها سمكا وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس ويسمون ذلك اليوم يوم الحيتان وبعث سعد سرية اخرى فاصابوا ابلا لبني تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها في الناس فاخصبوا واغار عمرو ابن الحارث على النهرين فاستاق مواشي كثيرة وعاد وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في اهلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المال ولما فصل رستم عن ساباط كتب الى اخيه البنذوان اما بعد فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن ارضكم وابنائكم وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعام حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان اشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن اولأسيرن بنفسي ولقي جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فتشكا اليه وقال له الا ترى ما ارى فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فاتي برجل من العرب فقال ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك ارضكم وابنائكم ان ابيتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن في ايديكم فقال اعمالكم وضعتكم فاسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تجاول الانس وانما تجاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب اصحابه الناس ابناءهم واموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج اهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدق العربي والله ما اسلمنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب احسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء

والاحسان

والاحسان فاذا تغيرتم فلا ارى الله الا مغيرا مابكم وما انا بآمن من ان ينزع الله سلطانه منكم واتى ببعض من يشكى منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا اهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لا تجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن انفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى فى منامه كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وعمر فاخذ الملك سلاح اهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى عمر فاصبح رستم حزينا وارسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسليحين فطافت فى السواد فبعث سوادا وحميضة فى مائة فاغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فارسل اليهم رستم خيلا وسمع سعد ان خيله قد وغلت فارسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وارسل سعد عمرو بن معدى كرب وطليحة الاسدى طليعة فساروا فى عشرة فلم يسيروا الا سخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وابى طليحة الا التقدم فقالوا له انت رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فاخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسم فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بآخر كذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا فى طلبه فاصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد فلحق طليحة فكر عليه طليحة واسره ولحق الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلا واسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فاحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه الفارسى واخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسى عن ذلك فطلب الأمان فأمنه سعد فقال اخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان اخبركم عمن قبلى باشرت الحروب منذ انا غلام الى الآن وسمعت بالأبطال ولم اسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر فيه سبعون الفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض ان يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركناه قتل الاول وهو يعد بألف فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم ادركته انا وخلفت من بعدى من يعدلنى وانا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم اخبره عن الفرس واسلم ولزم طليحة وكان من اهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وبهمن ذو الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة بن الحوية ونزل ذو الحاجب بطرنا باذ ونزل رستم بالخرارة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية اربعة اشهر لا يقدم لاجل ان يطاول المسلمين رجاء ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا وكان قصده ان يطاولهم اكثر من ذلك لولا ان الملك يستعجله وينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة ايضا فاستعد للمطاولة ولم يتضرر بها وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا وفى المجنبتين خمسة عشر فيلا

فلما اصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم ووقف على القنطرة وارسل الى زهرة فواقفه فاداره على ان يصالحه و يجعل له جعلا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم و يخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس امرنا امر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبتنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فاجبناه فقال الله لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه احد الا ذل ولا يعتصم به احد الا عز فقال له رستم ماهو قال اما عموده الذى لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال واى شئ ايضا قال و اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وام قال ما احسن هذا ثم قال رستم ارأيت ان اجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون امركم اترجعون قال إى والله قال صدقتنى اما ان اهل فارس منذ ولى ازدشير لم يدعوا احدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا اخرجوا من اعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم فقال له ربعى ابن عامر متى نأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فارسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب و بسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب واقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما و ادخل الحبل فيهما فلم ينهوه واروه التهاون وعليه درع واخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم لأضع سلاحى بأمركم انتم دعوتمونى فاخبروا رستم فقال ائذنوا له فاقبل يتوكأ على رمحه و يقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه برمحه فلما دنى من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ماحملك على هذا قال انا لانستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم ماجاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فارسلنا بدينه الى خلقه من قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ومن ابى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم و ان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك او المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأنا انا كفيل بذلك عن

اصحابى قال اسيدهم انت قال لا لكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير ادناهم
على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط اعز واوضح من كلام
هذا الرجل فقالوا معاذالله ان نميل الى دين هذا الكلب اما ترى الى ثيابه فقال ويحكم
لا تنظروا الى ثيابه ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس
وتصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد ارسل رستم الى سعد ابعث الينا ذلك
الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فاقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف
على رستم راكبا قال له انزل قال لا افعل فقال له ماجاء بك ولم يجئ الاول قال له ان اميرنا
يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخا وهذه نوبتى فقال ماجاء بكم فاجابه مثل الاول فقال
رستم المواعدة الى يوم ماقال نعم ثلاثا من امس فرده واقبل على اصحابه وقال ويحكم اما
ترون مارى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على ارضنا وحقر ما نعظم واقام فرسه على زبرجنا
وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطاير يقوم على ارضنا دوننا فلما كان الغد ارسل
الى سعد ابعث الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فاقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة
بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشي عليها فاقبل المغيرة حتى
جلس موضع رستم على سريره فوثبوا عليه وانزلوه ومعكوه فقال قد كانت تبلغنا
عنكم الاحلام ولا ارى قوما اسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت
انكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان احسن من الذى صنعتم ان تخبرونى ان بعضكم
ارباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد وانى لم آتكم ولكن
دعوتمونى اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على
هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام
لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله اولينا حيث كانوا يصغرون امر هذه الامة ثم تكلم رستم
فحمد قومه وعظم امرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء اشرافا فى الامم
فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر
للذنوب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم امة اصغر عندنا
امرا منكم كنتم اهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيأ وكنتم تقصدوننا اذا قحطت بلادكم فنأمر
لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ماصنعتم الا الجهد فى بلادكم
فأنا آمر لاميركم بكسوة وبغل والف درهم وآمر لكل واحد منكم بوقرتمر وتنصرفون عنا
فانى لست اشتهى ان اقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه قال ان الله خالق كل شئ ورازقه
فمن صنع شيأ فانما هو بصنعه واما الذى ذكرت به نفسك واهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه
بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم واما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف
فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل اهل الشدايد يتوقعون الرخا
حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخا يتوقعون الشدايد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله
لكان شكركم يقصر عما اوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به اهلا
لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا

رسولا ثم ذكر مثل ماتقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا طعام
بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذن تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا
الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف أن لا
يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم اجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم باهل فارس وقال
اين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم
وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فما قوم ابلغ لما ارادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء
شيء فلجوا وتجلدوا فارسل رستم رسوله خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه أن عينه
تفقأ غدا فاعلمه الرسول بذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن اجاهد بعد هذا اليوم
اشباهكم من المشركين لتمنيت أن الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فاخبره فقال اطيعوني
يا اهل فارس اني لأرى فيكم نقمة لا تستطيعون ردها ثم ارسل اليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا
وكانوا ثلاثة فقالوا لرستم ان اميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا ولك والعافية ان تقبل ما دعاك اليه
ونرجع الى ارضنا وترجع الى ارضك ودار كم لكم وامركم فيكم وما اصبتم كان زيادة لكم
دوننا وكنا عونا لكم على احد ان ارادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يديك وليس
بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان
الامثال اوضح من كثير من الكلام انكم كنتم اهل جهد وقشف لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نسيء
جواركم وكنا نميركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك
ووعدتموهم ثم اتيتمونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب
فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن
يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن نميركم
لاني لا اشتهي ان أقتلكم ومثلكم ايضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان
فاذا دخل غرق ونشب فيقول من يخرجني وله اربعة دراهم وقال ايضا ان رجلا وضع سلة
وجعل طعامه فيها فاتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فاراد سدها فقالوا له لا تفعل
اذن تخرقه ولكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها
فاقتل كل ما خرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها احد الا قتل
فما دعاكم الى ما صنعتم ولا ارى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله
به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم اولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما امرهم به من الجهاد
وقالوا واما ما ضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس ارضا
واختار لها اشجارا واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلاحين يسكنون
قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فاطال امهالهم
فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان اقاموا فيها
صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف ابدا والله لو لم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدنيا
لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعناكم عليه فقال
رستم اتعبرون الينا ام نعبر اليكم فقالوا اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وارسل

سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وارسل اليهم شأنكم والعبور فارادوا القنطرة فقال لاولا كرامة اما شيء غلبنا كم عليه فلا نرده عليكم فباتوا يسكرون (اى يسدون) العتيق حتى الصباح بالتراب والعصب والبرادع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فاخذ قسى اصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ولما ركب رستم ليغير كان عليه درعان ومغفر واخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله فى الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال انما صفا الثعلب حين مات الاسد يعنى كسرى وانى اخشى ان تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد اظهر ذلك الى من يثق به

﴿ ذكر يوم ارماث ﴾

ثم عبر الفرس العتيق (اسم للماء مطلقا ويسمى به نهر هناك) وجلس رستم على سريره وضرب عليه طياره وعبا فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفى المجنبتين ثمانية اوسبعة افيال واقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته وكان الملك يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة (اى وظيفة) رجلا اولهم على باب ايوانه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل رستم شيأ قال الذى معه للذى يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثانى ذلك للذى يليه وهكذا الى ان ينتهى الى يزدجرد فى اسرع وقت واخذ المسلمون مصافهم وكان اميرهم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه اصابه دماميل وعرق النساء فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه فى صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف فى اصل حائطه ولو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته وما نقص ذلك من شجاعة سعد رضى الله عنه وعابه بعض من كان يبغضه فقال

* نقاتل حتى انزل الله نصره ❊ وسعد بباب القادسية معصم *
* فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ❊ ونسوة سعد ليس فيهن ايم *

فبلغت ابياته سعدا وكان مجاب الدعوة فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذى قاله رياء وسمعة فاقطع عنى لسانه فبينما هو واقف فى الصف يومئذ اتاه سهم غرب فاصابه فكان سببا لاعتقال لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم واراهم ما به من القروح فى فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه فاخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم فى القصر منهم ابو محجن الثقفى وقيدهم وقيل بل كان حبس ابى محجن بسبب شرب الخمر واعلم الناس انه قد استخلف خالد ابن عرفطة فسمعوا واطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة اربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من

المسلمين من الفرس وكذلك فعل امير كل قوم وارسل سعد نفرا من ذوى الرأى والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معدى كرب وامثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة واوس بن مغراة وعبدة بن الطيب وغيرهم وامرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق وقد تقدم ان جيش رستم كان مائة وعشرين الفا وجيش المسلمين كان بضعة وثلاثين الفا وكان مع الفرس ثلاثون الف مسلسل وامر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهى الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا وينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولاقوة الابالله فلما كبر سعد الثانية برز اهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس امثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وبرز غالب بن عبدالله الاسدى وانشد ابياتا فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فاسره غالب فجاء به . . . . . وبرز عاصم بن عمرو التميمى وطارد فارسا فانهزم فتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فاسر عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا هو خباز الملك ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعد فنفله اهل موقفه وخرج فارس فطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معدى كرب فاخذه وجلد به الارض فذبحه واخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة على المسلمين ففرقت بين الكتائب فنفرت الخيل وكانت الفرس قد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وارسل سعد الى بنى اسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك فى كتائبهما فباشروا الفيلة وخرج الى طليحة فيل عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال معشر كندة لله در بنى اسد اى فرى يفرون واى هذ يهزون عن مواقفهم اغنى كل قوم مايليهم وانتم تنتظرون من يكفيكم اشهد مااحسنتم اسوة قومكم من العرب فنهد ونهدوا معه فازالوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس مايلقى الناس والفيلة من اسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على اسد وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فارسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يامعشر بنى تميم اماعندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يامعشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين مايربط به القتب) وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الاعوى وقتل اصحابها ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم

واقتتلوا

واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردأ للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارماث

﴿ ذكر يوم اغواث ﴾

ولما اصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم واما القتلى فدفنوا هنالك على شرف وهو واد بين العذيب وعين الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على ابى عبيدة بن الجراح بأرسال اهل العراق سيرهم والامير عليهم هاشم بن عتبة ابن ابى وقاص وكان من الشجعان المشهورين وكان له صحبة اسلم عام الفتح رضى الله عنه وعلى مقدمته القعقاع ابن عمرو التميمى وله صحبة روى عنه انه قال شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يتقطعوا اعشارا وهم الف كل ما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة فقدم اصحابه فى عشرة فاتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصنعوا كما اصنع وطلب البراز فقالوا فيه (اى القعقاع) بقول ابو بكر رضى الله عنه لايهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى يا ثارات ابى عبيدة وسليط واصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذى الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبنذوان فانضم الى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث احد بنى تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البنذوان ونادى القعقاع يامعشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم ير اهل فارس فى هذا اليوم مايعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل لان توابيتها كانت قد تكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وكان القعقاع كلما طلعت قطعة من اصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد البسوها وهى مجللة مبرقعة واطافت بهم خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم فلقى الفرس من الابل اعظم مالقى المسلمون من الفيلة وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الاعرف ابن الاعلم العقيلى فقتله ثم برز اليه آخر فقتله واحاطت به فوارس منهم فصرعوه واخذوا بسلاحه فغبر فى وجوههم التراب حتى رجع الى اصحابه وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة واصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجهر الهمدانى وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما

صاحبه وقاتلت الفرسان الى نصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف القوم
انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تدعى الهدأة وليلة اغوات تدعى السواد ولم يزل المسلمون
يرون يوم اغوات الظفر وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا
ان خيلهم عادت أخذ رستم اخذا وبات الناس على مابات عليه القوم ليلة ارماث وقد
ذكرنا ان ابا محجن الثقفى كان قد حبس بالقصر وقيد فلما كان يوم اغوات قال لسلمى زوج
سعد بن ابى وقاص هل لك ان تخلين عنى وتعيرينى البلقا وهى فرس سعد فلله على ان
سلمنى الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلى فى قيدى فأبت فلم يزل بها حتى رضيت ان
تطلقه فاطلقته واعطته البلقا فرس سعد فركبها وخرج للقتال ولم يعلم به احد فلما كان بحيال
الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس فكان
يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لايعرفون من هو فقال بعضهم هو من
بعض اصحاب هاشم اوهاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس ابى محجن لقلت هذا ابو
محجن وهذه البلقا وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر
الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل ابو محجن
فدخل القصر واعاد رجليه فى القيد فقالت له سلمى فى اى شئ حبسك سعد فقال والله
ماحبسنى بحرام اكلته ولا شربته ولكننى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وانا امرء
شاعر يدب الشعر على لسانى فقلت

* اذا مت فادفنى الى اصل كرمة ❊ تروى عظامى بعد موتى عروقها *
* ولا تدفننى فى الفلاة فاننى ❊ اخاف اذا مامت ان لا اذوقها *

فلذلك حبسنى فلما اصبحت سلمى اتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له واخبرته بخبر ابى
محجن فاطلقه فقال اذهب فما انا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله فقال لاجرم لا اجيب
لسانى الى قبيح ابدا وكان عدد قتلى المسلمين وجرحاهم يوم اغوات الفين من جريح وميت
ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان
النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين
الصفين وكان ذلك مما يقوى المسلمين وبات القعقاع تلك الليل يسرب اصحابه الى المكان الذى
فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والاجدتم للناس
رجاء وجدا لايشعر به احد واصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس اقبل اصحاب
القعقاع فعبى اصحابه وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيت الفيلة حتى اعادوها واصبحوا
على مواقفهم واقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم
فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لأن الفيل اذا كان وحده كان اوحش واذا اطافوا به
كان اونس فلما انتشب القتال كبر المسلمون وتقدموا وكثر الطعن والضرب واقبل هاشم
والحرب قائم فعبى اصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب واشتد القتال وحمل عمرو
ابن معدى كرب وضرب فى الفرس حتى ستره الغبار وحمل اصحابه فأفرج المشركون عنه
بعد ماصرعوه وان سيفه لفى يده يصادمهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس العجمى فلم

ذكر اليوم الثالث

يطق

يطلق الجرى فنزل عنه صاحبه وفر الى اصحابه وركبه عمرو و برز فارس فبرز اليه
رجل من المسلمين يقال له بشر ابن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسى اليه فاحتمله
وجلس على صدره ثم اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود فى منطقته
فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله و اخذ سلبه
فباعه باثنى عشر الفا فلمارأى سعد الفيول قدفرقت بين الكتائب وعادت لفعلها ارسل الى
القعقاع وعاصم بن عمرو اكفيانى الابيض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال
والربيل اكفيانى الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما فى خيل ورجل
وفعل حمال والربيل بمثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض
فنفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من
كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه حمال فى عينه فأقعى ثم استوى
وضربه الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر انف الربيل وجبينه بالطبرزين فافلت الربيل
جريحا و بقى الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه واذا اتى صف
المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال عينه فالقى نفسه فى العتيق
فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت فى اثره فأتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها
فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى
امسوا فاشتد القتال وصبر الفريقان وجاء الليل وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لتركهم
الكلام وانما كانوا يهرون هريرا وارسل سعد طليحة الاسدى وعمرو بن معدى كرب ليلة
الهرير الى مخاضة اسفل العسكر ليقوموا عليها حرسا خشية ان يأتى القوم منها فلما اتياها
قال طليحة لو خضنا واتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر اسفل فافترقا واخذ طليحة
وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع اهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه
الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه اغار اسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان
المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذاهم لايشدون ولايريدون غير الزحف فقدم المسلمون
صفوفهم وزاحفوهم بغير اذن سعد وكان اول من زاحفهم القعقاع فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره
فقد اذنت له ان لم يستأذنى ثم لحقهم اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع
فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم
حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على
القعقاع وكان سعد قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر فى اثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبر
الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعد ماصلوا العشاء
وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ✻ جمع قين وهو الحداد ✻ ليلتهم الى الصباح
وافرغ الله الصبر عليهم افراغا و بات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم امرا لم
يروا مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم واقبل سعد على الدعاء فلما كان
عند الصبح انتمى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون واصبح الناس ليلة الهرير وتسمى
ليلة القادسية من بين تلك الليالى وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس

الهرهرة حكاية زئير الاسد

انتمى البازى ارتفع من موضعه

فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة فاحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا لايكونن هؤلاء أجد في امر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس اجرأ على الموت منكم فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان اول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا وثبتا حتى انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين اطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال عن ظهره فقارا فرآه هلال فضربه ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه واخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين ارجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الي الي فاطافوا به وكبروا فنفله سعد سلبه ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة الف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابة اثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم (بالدال) ونادى الفرس الى العبور وكانت الهزيمة عليهم واما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم مخبر وهم ثلاثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثون الفا وكانت قيمته الف الف ومائتي الف وقتل من الفرس في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير الفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شيء لم يجمع قبله ولا بعده مثله وامر سعد القعقاع وشرحبيل باتباع المنهزمين حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس ثم ادركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة واخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف وعادوا من اثر المنهزمين ومعهم الاسرى فرؤي شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسيرا من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة بن الحوية وقد صلى بمثل ما صلى به تفسد قلبه وقد بقي عليك من حربك ما بقي أمض له سلبه وفضله على اصحابه عند عطائه بخمسمائة فلما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارس فيأتيه فيقتله وربما اخذ سلاحه فقتله به وربما امر رجلين فيقتل احدهما صاحبه ولحق سلمان ابن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس استحيوا من الفرار فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال اهل الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من امراء الكتائب الهرمزان ثم تراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح

الخرارة موضع قرب الكوفة والسيلحين ما بين الخندق والعذيب والنجف محركة كالتل

المسلمون فى الاذان حتى كادوا يقتتلون واقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فاذن وفضل اهل البلاء من اهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا واما اهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على اهل القادسية فقيل لسعد لو الحقت بهم اهل القادسية فقال لم اكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه قال كيف افضل عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالانصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب واهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت فى كل بلدة مصيخة اليها تنتظر مايكون من امرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فاتت بها اناسا من الانس فسبقت اخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من اصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزارى وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى اهله ومنزله قال فلما لقى البشير سأله من اين فاخبره قال ياعبدالله حدثنى قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يخبره وهو يسير على ناقته لايعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بأمرة المؤمنين قال البشير هلا اخبرتنى رحمك الله انك امير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يااخى واقام المسلمون بالقادسية فى انتظار قدوم البشير وامر عمر الناس ان يقوموا على اقباضهم ويصلحوا احوالهم ويتابع اليهم اهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم والصحيح ان وقعة القادسية كانت سنة اربع عشرة كما تقدم وقيل كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الوقايع بعد فتح القادسية الى ان فتحت مداين كسرى ﴾

لما فرغ سعد رضى الله عنه من امر القادسية اقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المداين وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالهم ففعل ذلك وسار من القادسية لأيام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين ٢ برس لقوا جندا من الفرس فقاتلهم المسلمون فهزم الله الفرس وقتل المسلمون كثيرا منهم وانحاز المنهزمون الى بابل وكان بها كثير من جندهم وعليهم الفيرزان فقصدهم المسلمون فقاتلوهم وقتلوا كثيرا منهم وهزموا الباقين فانطلقوا على وجوههم فسار الهرمزان نحو الاهواز فأخذ مافيها من الأموال لكسرى وسار الى نهاوند فأخذ مافيها من الاموال كلها وكان بها كنوز لكسرى وسار النخيرخان ومهران الرازى الى المداين وقطعا الجسر فاقام سعد ببابل وارسل زهرة بن الحوية الى نهرشير قبالة المدينة العتيقة من المداين الغربية فتلقاه دهقان ساباط للصلح فأرسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية فوصل سعد والمسلمون الى نهر شير ليحاصر المداين فرأوا الأيوان من بعد فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ماوعد الله ورسوله وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة محاصرين لها وكان نزولهم عليها فى ذى الحجة فحاصروها شهرين ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ودنوا اليهم بالدبابات وارسل سعد الخيول

٢ بلد بين الكوفة والحلة

فأغارت على من ليس له عهد فاصابوا مائة الف فلاح فارسل سعد الى عمر بالخبر فكتب له عمر
ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو في امان ومن هرب فادركتموه فشأنكم به
فخلى سعد عنهم وارسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة فتراجعوا
فلم يبق غربي دجلة الى ارض العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام واشتد الحصار
بأهل المداين الغربية حتى اكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على امر عظيم
فبيناهم يحاصرونهم اذ اشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة
على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم وما شبعتم لا اشبع الله بطونكم
فقال له ابو مقرن الاسود مقالة انطقه الله بها ولا يدري ما قال لهم لا هو ولا من كان معه فرجع
الرجل وقطعوا دجلة الى المداين الشرقية التي فيها الايوان فقال لابي مقرن من كان معه
ما قلت له فقال والذي بعث محمدا بالحق ما ادري وانا ارجو ان اكون نطقت بالذي هو خير
وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد في الناس فنهدوا اليهم فاظهر على المدينة
احد ولا خرج رجل الا رجل ينادي يطلب الامان فأمنوه فقال لهم ما بقي بالمدينة
من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا احدا الا الاسارى وذلك الرجل فسألوه لاي شيء
هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح
ابدا حتى نأكل عسل افريدون بأترج كوثى فقال الملك يا ويلتاه ان الملائكة تتكلم على السنتهم
ترد علينا فساروا الى المدينة القصوى فدخل المسلمون المدينة الغربية وانزلهم سعد المنازل

﴿ ذكر فتح المداين التي فيها ايوان كسرى ﴾

لما دخل المسلمون المداين الغربية كان البحر بينهم وبين المداين الشرقية التي فيها الايوان وليس
للمسلمين سفن يعبرون فيها ورأى سعد رؤيا ان خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم
سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم بهذا البحر
فلا تخلصون اليهم معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شيء
تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأي ان تجاهدوا
العدو قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا
ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمي لنا الفراض (وهي فرضة
النهر ومن البحر محيط السفن) حتى تتلاحق به الناس لكي لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم
ابن عمرو وذوو البأس في ستمائة من اهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فتقدمهم عاصم في ستين
فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون اساسا لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة
فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا اخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليها دجلة فلقوا
عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوا وتوخوا العيون فالتقوا
فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا اكثرهم ومن نجا منهم
صار اعور من الطعن وتلاقوا الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض
قد منعها اذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل

والله

والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولاقوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق
الناس في دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى مايرى من الشاطئ شئ
وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي رضي الله عنهما فعامت بهم خيولهم وسعد يقول
حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن
في الجيش بغي او ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم
البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا فخرجوا منه كما قال
سلمان لم يفقدوا شيأ الا ان مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء
فقال الذي يسايره معيرا له اصابه القدر فطاح فقال والله اني لعلى حالة ما كان الله
ليسلبني قدحي من بين العسكر فلما عبروا القته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس
وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم احد غير ان رجلا من بارق يدعى عرقدة
زال عن ظهر فرس له اشقر وكاد يغرق فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذه بيده فأخرجه
سالما وخرج الناس سالمين وخيلها تنفض اعرافها فلما رأى الفرس ذلك واتاهم امر لم يكن في
حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك
وخلف مهران والنخيرخان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا
عليه من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف مالا يدرى قيمته وخلفوا
ما كانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة
آلاف الف الف الف ثلاث مرات اخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية
النصف وبقي النصف ولما دخلوا المداين نزل سعد القصر الابيض وجاء جماعة من الفرس
وعقدوا ذمة على تأدية الجزية وبعث سعد جماعة الى الاطراف من كل جهة يغيرون ويؤمنون
من اراد الامان واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها ولما دخل سعد الايوان قرأ
كم تركوا من جنات وعيون الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات ولم يكن
بالمدائن اعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يعيا احد الا شمخرت له جرثومة
من الارض يستريح عليها لما يبلغ الماء حزام فرسه

﴿ ذكر ماجمع من غنائم اهل المداين وقسمتها ﴾

اجتمع عند سعد بعد دخوله المداين من الغنايم والاموال ما لا يحصى ورأوا بالمداين قبابا مملوءة
سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيه آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف
ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وادرك
الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل في الماء
فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى
اخذوه واذا هو يحمل عليه حلية كسرى ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر وكان يجلس
فيها للمباهاة ولحق الكلج بغلين معهما فارسان فقتلهما واخذ البغلين فاذا عليهما سفطان فيهما
تاج كسرى مرصعا وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج

المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وادرك القعقاع فارسيا فقتله واخذ منه عيبتين فى احداهما خمسة اسياف وفى الاخرى ستة اسياف وأدراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع النعمان ودرع داهر ملك الهند استلبها الفرس ايام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وايام هرب النعمان من كسرى وكذا الاسياف فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل واعطاه درع بهرام ونفل سائرها الا سيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وادرك عصمة بن خالد الضبى رجلين معهما حماران فقتل احدهما وهرب الآخر واخذ الحمارين فاذا على احدهما سفطان فى احدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانة التاج واقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذى معه مارأينا مثل هذا مايعدله ماعندنا ولا يقاربه فقالوا هل اخذت منه شيأ فقال والله لولا الله ما اتيتكم به فقالوا من انت فقال والله لا اخبركم فتحمدونى ولكن احمد الله وارضى بثوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ماسبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل اهل بدر لقد تتبعت منهم هنات ماحسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والله الذى لا اله الا هو مااطلعنا على احد من اهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فمارأينا كأمانتهم وهم طليحة وعمرو بن معدى كرب وقيس بن المكشوح وقال عمر رضى الله عنه لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما ادوا هذا لذوو امانة فقال على رضى الله عنه انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفئ بين الناس بعد ما خمسه وكانوا ستين الفا فاصاب الفارس اثنا عشر الفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى اهل البلاء وقسم المنازل بين الناس واحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمداين حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وارسل سعد من الخمس كل شئ اراد ان يعجب منه العرب وما كان يعجبهم ان يقع وكان من جملة ماغنموه بساط كسرى ويقال له القطيف وهو من اعجب ما كان لملك الفرس وهو بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلاف ذلك فصوص كالدر وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات فى الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك واراد سعد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم على اربعة اخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لا نراه يتقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من اهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به الى عمر فلما قدم خمس الغنائم على عمر رضى الله عنه

قسمه فى مواضعه ثم قال اشيروا على فى هذا القطيف فمن بين مشير بابقائه ذخيرة للملة وآخر مفوض اليه فاشار على رضى الله عنه بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ماليس له فقال صدقتنى اذ نصحتنى فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الفا وفى السيرة الحلبية بعشرين الف دينار وكان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ابن مالك الكنانى حين اراد التعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه فلما اتى بذلك كله لعمر بن الخطاب مع جملة ما اتى به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك والبسه اياهما وكان سراقة رجلا ازب اى كثير شعر الساعدين فقال عمر ارفع يديك وقل الله اكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول انا رب الناس والبسهما سراقة رجلا اعرابيا من مدلج ورفع عمر صوته ثم اركب سراقة وطيف به فى المدينة اظهارا لمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بذلك قبل وقوعه ولم يأخذ عمر رضى الله عنه شيأ من تلك الغنائم التى قسمها بين الناس وكان يقرأ قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية ويقول اللهم انه لاطاقة لنا ان نحب الا ما زينته فوفقنى ان انفقه فى حقه وكان رضى الله عنه يبكى ويقول ان الله زوى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها الى فاخاف ان اكون مستدرجا وروى البخارى فى صحيحه فى كتاب الرقاق ان عمر رضى الله عنه قال اللهم انا لانستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسألك ان انفقه فى حقه ورواه الدار قطنى بأبسط من هذا فقال ان عمر بن الخطاب اتى بمال من المشرق يقال له نفل كسرى فامر به فصب وغطى ثم دعا الناس فاجتمعوا ثم امر به فكشف عنه فاذا هو حلى وجواهر ومتاع فبكى عمر رضى الله عنه وحمد الله عز وجل فقالوا له ما يبكيك ياامير المؤمنين هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من اهلها فقال ما فتح الله من هذا على قوم الا سفكوا دمائهم واستحلوا حرمهم قال زيد بن اسلم فبقى من ذلك المال مناطق وخواتم فرفع فقال عبد الله بن ارقم لعمر رضى الله عنه حتى متى تحبسه لاتقسمه فقال اذا رأيتنى فارغا فآذنى به فلما رآه فارغا بسط شيأ فى حش نخله ثم جاءبه فى مكتل فصب فكانه استكثره ثم قال اللهم انت قلت زين للناس حب الشهوات فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال لانستطيع الا ان نحب ما زينت لنا فقنى شره وارزقنى ان انفقه فى حقه فما قام حتى مابقى منه شئ

﴿ ذكر وقعة جلولا وفتح حلوان فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انتهى الفرس الى جلولا بعد الهرب من المداين احتفروا اخندقا واجتمعوا على مهران الرازى وتقدم يزدجرد الى حلوان واحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر الفا فيهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ففعل ذلك سعد وسار هاشم من المداين فمر ببابل فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولا فحاصرهم فى خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لايخرجون الا اذا

ارادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الأمداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد اختلفوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى اظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا ممايليهم ليصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا امثله ولا ليلة الهرير الا انه كان اعجل وانتهى القعقاع ابن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فاخذبه وامر مناديا فنادى يامعشر المسلمين هذا اميركم قد دخل الخندق واخذبه فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بأن هاشما فى الخندق فاذاهم بالقعقاع بن عمرو وقد اخذبه فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمو فلم يفلت منهم الا القليل وقتل يومئذ منهم مائة الف فجللت القتلى المجال ومابين يديه وماخلفه فسميت جلولا بما جللها من قتلاهم فهى جلولا الوقيعة فسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند ولماسار يزدجرد من حلوان استخلف عليها خسرسنوم وكان الزينبى دهقان حلوان فلما قرب القعقاع من حلوان خرج عليه خسرسنوم والزينبى بن معهما فقتل الزينبى وهرب خسرسنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان اصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فابى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لايخلصون الينا ولانخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى اثرت سلامة المسلمين على الانفال وادرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وادرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى واصاب القعقاع سبايا فارسلهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن سرارى فولدن وممن ينسب الى ذلك السبى ام الشعبى وقسمت الغنيمة واصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف وبعث سعد الاخماس الى عمر رضى الله عنه بعد ان قسم الاربعة الاخماس على الغانمين فلما قدم الخمس على عمر رضى الله عنه قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما اصبح جا فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجواهره بكى فقال له عبدالرحمن بن عوف مايبكيك ياامير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ماذلك يبكينى وبالله ماعطا الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وماكان لبيوت النار وسكك البرد وماكان لكسرى ومن جاء معه وما كان لمن قتل وخاف ايضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم واقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لايجمعون الاعلى الامراء فلا يحل بيع شئ من ارض السواد مابين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

﴿ ذكر اتخاذ البصرة والكوفة مصرا من الامصار ﴾

اختلف

اختلف في السنة التي اتخذت البصرة فيها مصرا فقيل سنة ست عشرة بعد فتح جلولا ارسل سعد عتبة بن غزوان رضى الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتخذها مصرا وخرج عليه اهل الابلة فقاتلهم عتبة فهزمهم واجتمع اهل دستميسان فقاتلهم عتبة فهزمهم واخذ مرزبانها اسيرا وكان من سبي ميسان يسار ابو الحسن البصرى وارطبان جد عبدالله بن عون بن ارطبان وقيل ان اتخاذ عتبة البصرة مصرا كان في سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة واما الكوفة فاتخذها سعد مصرا سنة خمس عشرة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد الا ادلك على ارض الله ارتفعت عن القبة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها فتحول سعد من المداين اليها وسبب ذلك ان العرب استوخمت المداين وبعث سعد اناسا يستطيبون لهم ارضا ينزلونها فاستطابوا الكوفة وهواها فتحول اليها سعد ومن معه سنة سبع عشرة

﴿ ذكر فتح تكريت والموصل في سنة ست عشرة ايضا ﴾

كان ذلك بعد فتح جلولا وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه ليحمى ارضه ومعه الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبدالله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي ابن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبدالله الى تكريت ونزل على الأنطاق فحصره ومن معه اربعين يوما فتزاحفوا اربعة وعشرين زحفا وارسل عبدالله بن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكانوا لايخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا امراءهم ونقلوا امتاعهم الى السفن فارسلت تغلب واياد والنمر الى عبد الله بالخبر وسألوه الامان واعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فاسلموا فاجابوه واسلموا فارسل اليهم عبدالله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا اخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر واخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد اتوهم من خلفهم مما يلي دجلة فقصدوا الابواب التي عليها المسلمون واخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين اسلموا تلك الليلة فلم يفلت من اهل الخندق الا من اسلم من تغلب واياد والنمر وارسل عبدالله بن المعتم ربعي بن الافكل الى الحصنين نينوى والموصل وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر واظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب واقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا ابوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل الف درهم وبعثوا بالاخماس الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وولى حرب الموصل ربعي ابن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة ثم فتحت بقية اعمال الموصل وجميع معاقل الأكراد وصار الجميع للمسلمين

﴿ ذكر فتح ماسبذان في سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى فتح جلولا بلغ سعدا ان آذين بن هرمز ان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل

فارسل اليهم ضرار بن الخطاب فى جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون القتل فى المشركين واخذ ضرار آذين اسيرا فضرب رقبته ثم خرج فى الطلب حتى انتهى الى السيروان فاخذ ماسبذان عنوة فهرب اهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له و اقام بها حتى تحول سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدى فكانت احد فروج الكوفة

﴿ ذكر فتح قرقيسا فى سنة ست عشرة ايضا ﴾

لما انقضى ايضا فتح جلولا ارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف فى جند نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج فى نصف الناس فجاء قرقيسا على غرة فاخذها عنوة فاجابوا الى الجزية ثم ان الحارث بن يزيد راسل اهل هيت فاجابوا الى الجزية وكانت ثغور الكوفة اربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار ابن الخطاب وقرقيسا وعليها عمر بن مالك والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها.

﴿ ذكر غزوة فارس من البحرين فى سنة سبع عشرة ﴾

لما كان العلاء بن الحضرمى على البحرين فى خلافة ابى بكر ثم فى خلافة عمر رضى الله عنهما ندب الناس لغزو فارس فى البحر وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر خوف الغرق فخالفه وندب الناس الى قتال فارس فاجابوه ففرقهم اجنادا على احدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم اهل فارس وعليهم الهربذ فقاتلوهم قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة ثم اراد المسلمون الرجوع الى البصرة فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا واخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر رضى الله عنه صنيع العلاء ارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فانى القى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان فارسل عتبة جيشا كثيفا اثنى عشر الفا مقاتلا وعليهم ابو سبرة بن ابى رهم احد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس على الساحل لا يعرض له احد حتى التقى ابو سبرة وخليد وكان اهل اصطخر حيث اخذوا الطريق على المسلمين جمعوا اهل فارس اليهم من كل وجهة فالتقوا هم وابو سبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين واصاب المسلمون منهم ما شاؤوا وهى الغزوة التى شرفت بها نابتة البصرة وكانوا افضل نوابت الامصار ثم انكفوا بما اصابوا فرجعوا الى البصرة سالمين

﴿ ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهر تيرى ﴾

فى سنة سبع عشرة فتحت الاهواز ومناذر ونهر تيرى وقيل سنة عشرين وكان السبب فى

هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو احد البيوتات السبعة في اهل فارس قصد خورستان فلكها وقاتل بها من ارادهم فكان الهرمزان يغير على اهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهرتيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فامده بجيوش والتقوا هم والهرمزان بين نهرتيرى وبين دلب وتوجه بعض جيوشهم لاخذ مناذر ونهرتيرى فبينما الهرمزان يقاتل الذين التقى معهم جاءه الخبر بأخذ مناذر ونهرتيرى فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه فهزمه الله واياهم وقتل المسلمون منهم ماشاؤا واصابوا ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل واخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز واقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة له به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ماخلا نهرتيرى ومناذر وما غلب المسلمون عليه من سوق الاهواز فانه لايرد عليهم ثم وقع اختلاف بين المسلمين والهرمزان في حدود الارض فحاربهم الهرمزان ومنع ماقبله واستعان بالاكراد فكتب عتبة بذلك الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وامده بجند فالتقوا مع الهرمزان عند جسر سوق الاهواز مما يلي السوق فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح المسلمون سوق الاهواز واتسعت لهم البلاد الى تستر ثم لم يزل القتال بينهم وبين الهرمزان الى ان طلب الصلح فاجاب عمر الى ذلك وان يكون مااخذه المسلمون بأيديهم واصطلحوا على ذلك واقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد ويجبى اليهم

﴿ ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان ﴾

كان فتح رامهرمز وتستر والسوس في سنة سبع عشرة وكان سبب فتحها ان يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير اهل فارس أسفا على ماخرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم واهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فكتب الامراء بذلك الى سعد فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان ابن مقرن وعجل ولينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا امره وكتب الى ابي موسى الاشعري وكان على البصرة ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سعد بن عدى اخاسهيل وابعث معه البراء بن مالك ومجزاة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى اهل الكوفة والبصرة جميعا ابوسبرة بن ابى رهم فخرج النعمان بن مقرن في اهل الكوفة فسار الى الاهواز وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطعه ومعه اهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باربك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عزوجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فاقام بها ووصل اهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فاتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز واتاهم الخبر ان الهرمزان نزل بتستر فساروا نحوه وسار ايضا النعمان وغيره من الامراء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من اهل فارس والجبال والاهواز وعليهم الخنادق وامد عمر المسلمين ايضا بأبي موسى وجعله على اهل

البصرة وعلى الجميع ابو سبرة فحاصروهم اشهرا واكثروا فيهم القتل وزاحفهم المشركون ايام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة وعليهم مرة فلما كان فى آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون للبراء بن مالك وهو اخو انس بن مالك رضى الله عنهما يابراء اقسم على ربك ليهزمنهم وكان مجاب الدعوة فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدنى فهزموهم حتى ادخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم واحاط بها المسلمون فبينماهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى فى ناحية ابى موسى بسهم ان امنتمونى دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه فى نشابة فرمى اليهم بأخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر ابن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع الرجل الذى يدلهم على المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقوا هم واهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا فى السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها واطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فاوثقوه واقتسموا ما افاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل الفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذى خرج بنفسه فامنوهما ومن اغلق بابه معهما وقتل من المسلمين بشر كثير وممن قتله الهرمزان بنفسه مجزاة ابن ثور والبراء بن مالك وخرج ابو سبرة بنفسه فى اثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان ابن مقرن وابو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى ابى موسى يرده الى البصرة فانصرف اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله الفقيمى الى جنديسابور فنزل اليها وارسل ابو سبرة وفدا الى عمر ابن الخطاب فيهم انس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة والبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت والبسوه حليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس فى المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه فى المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه وهو نائم والدرة فى يده فقال الهرمزان اين عمر قالوا هوذا فقال اين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغى ان يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذى اذل بالاسلام هذا وغيره أشباهه فامر بنزع ما عليه فنزعوه والبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر ياهرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله فقال ياعمر انا واياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ماحجتك وما عذرك فى انتقاضك مرة بعد اخرى فقال اخاف ان تقتلنى قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فاتى به فى قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع ان اشرب فى مثل هذا فاتى به فى اناء يرضاه فقال انى اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فاكفاه فقال عمر اعيدوا عليه ولا تجمعوا بين القتل والعطش فقال لا حاجة لى فى الماء انما اردت ان استأمن به فقال له عمر انى قاتلك فقال قد امنتنى فقال كذبت

قال انس صدق ياامير المؤمنين قدامنته قال عمر ياانس انااؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج اولاعاقبنك قال انك ياامير المؤمنين قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال لعمر من حوله مثل ماقال انس فاقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا انخدع الا ان تسلم فاسلم ففرض له فيمن فرض لهم الفين وانزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة لانه كان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم

ذكر فتح السوس

لما نزل ابو سبرة على السوس كان بها شهريار اخو الهرمزان فاحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات وحاصروهم ثم اقتحموا الباب ودخلوا عليهم فالقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد مادخلوها عنوة واقتسموا ما اصابوا وقيل في فتح السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولا فنزل اصطخر ومعه سياه في سبعين من عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نتحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم في شجرها وقد غلبوا على مارأيتم فانظروا لانفسكم فقالوا رأينا رأيك قال ارى ان تدخلوا في دينهم ووجهوا شيرويه في عشرة من الاساورة الى ابي موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم احد من العرب منعهم منهم وينزلوا حيث شاؤا ويلحقوا باشرف العطاء ويعقدلهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ماسألوا فاسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون في زى العجم فالقا نفسه الى جانب الحصن نضح ثيابه بالدم فرآه اهل الحصن صريعاً فظنوه رجلا منهم ففتحوا له باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه

ذكر مصالحة جند يسابور

ثم سار بعض المسلمين عن السوس فنزل بجنديسابور وزر بن عبدالله محاصرهم فاقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجاء المسلمين الا وقد فتحت ابوابها واخرجوا اسواقهم فسألهم المسلمون فقالوا رميتم الينا بالامان فقبلناه واقررنا بالجزية فقال المسلمون مافعلنا وسأل المسلمون بعضهم من فعل ذلك فاذاهو عبد يدعى مكنفا كان اصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال اهلها لانعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية ومابدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز أمانهم فامنوهم وانصرفوا عنهم

ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها

قيل في سنة سبع عشرة اذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وانتهى في ذلك الى رأى الاحنف ابن قيس حيث قال له ياامير المؤمنين نهيتنا عن الانسياح في البلاد وان فارس لايزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم فلايزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا في الانسياح فنسيح في بلادهم

ونزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس فقال عمر صدقتني والله وأذن في الانسياح فامر اباموسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه امره وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء ازدشير وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر الى عثمان بن ابى العاص الثقفى ولواء فسا ودارا بجرد الى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمر وولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبى فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم فى ذلك الوقت وأمدهم بنفر من اهل الكوفة وسيأتى الكلام على تفصيل ذلك

﴿ ذكر وقعة نهاوند ﴾

قيل انها كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وكان الذى هيج امر نهاوند ان المسلمين لما خلصوا من جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو يزدجرد فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصل اوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وتعصبوا عليه ولم يشغلهم مانزل بالناس وكان جماعة خالفوا سعدا وصاروا يشكون منه فمن تحرك فى امره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله مايمنعنى مانزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد بن مسلمة صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة يسأل عنه فماسأل عنه جماعة الااثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال اسامة ابن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره واكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على اولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا اشرا وبطرا ورياء فاجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بن سنان بالسيوف يوم بادر الحسن بن على رضى الله عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجئ ونعال السيوف وكان سعد رضى الله عنه مجاب الدعوة لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك وكان من العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين للاسلام ومن اخوال النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول رجل رمى بسهم فى سبيل الله واول رجل اهرق دما من المشركين فى سبيل الله وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابى وامى ثم ان محمد بن مسلمة رجع المدينة بسعد وبالقوم الذين شكوا منه فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى ياسعد قال اطيل الاوليين واخفف الاخريين فقال هكذا الظن بك يااباسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا فاراد عمر رضى الله عنه الاحتياط وقطع النزاع لئلا يطول الشر ويتسع الامر فقال من خليفتك ياسعد على الكوفة فقال عبدالله بن عبدالله بن عتبان فأقره

وامر سعدا بالبقاء معه فى المدينة ولما طعن عمر رضى الله عنه جعله من الستة اصحاب الشورى الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وقال ان تولوا سعدا فأهل هو والا فليستعن به الوالى فانى لم اعزله عن ضعف ولا خيانة هكذا كان سبب نهاوند فابتداء البعث كان فى زمن سعد واما الوقعة فهى فى زمان عبد الله بن عبد الله بن عتبان فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين الفا ومائة الف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان اهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وأن يبدؤهم بالشدة ليكون اهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم او يقضى ما احب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا امير المؤمنين قد احكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وانت وشأنك ورأيك لا ينبو فى يديك ولا يكل عليك اليك هذا الامر فرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وفدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيارهم ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال ارى يا امير المؤمنين ان تكتب الى اهل الشام فيسيروا من شامهم والى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير انت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ماقد تكاثر من عدد القوم وكنت اعز عزاء واكثر يا امير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام على بن ابى طالب فقال اما بعد يا امير المؤمنين فانك ان اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان اشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيال اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى اهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك واما ماذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا على برجل اوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا انت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لأولين رجلا يكون اول الأسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من اهل الكوفة قد اقتحموا جند سابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا فى الدين

وليدركوا حظا فخرج الناس وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن اخو النعمان بن مقرن حتى قدموا على النعمان وكتب عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارسا عن المسلمين وعليهم القترب وحرملة وزر فاقاموا بتخوم اصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة ابن اليمان وعبد الله بن عمر وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فارسل النعمان طليحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معد كرب وعمرو بن ثني وهو ابن ابي سلمى ليأتوه بخبر القوم فخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما رجعك فقال لم اكن في ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معدي كرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذين هم به وبين نهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم فاعلموه بالذى خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لأحرز العجم الطماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا احد فر... وعبى اصحابه وهم ثلاثون الفا فجعل على مقدمته اخاه نعيم بن مقرن و... ...حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع ابن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ... امداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم واميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذى جعل مكان ذى الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة فضربوا فساطيطهم ونشب القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انحجزوا فى خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون واقاموا عليهم ماشاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا ارادوا الخروج فخاف المسلمون ان يطول امرهم حتى اذا كان ذات يوم فى جمعة من الجمع اجتمع اهل الرأى من المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار واتوا النعمان فى ذلك فوافوه وهو يروى فى الذى رووا فيه فأخبروه فبعث الى من بقى من اهل النجدات والرأى فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق فما الرأى الذى به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن غنم وكان اكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان فقال التحصن عليهم اشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من اتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهى اعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما احب فأمر القعقاع

ابن

بن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فأخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد قد تواثقوا ان لايفروا وقدقرن بعضهم بعضا كل سبعة فى قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هى هى فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية فى يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وامرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمى واقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان الا ترى ما نحن فيه فانتظر بهم أيذن للناس فى قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار فى الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فانى حامل فاحملوا وان قتلت فالامر بيد حذيفة بن اليمان فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم انى اسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضنى شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه وكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القبا والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا رمى بسهم فى خاصرته فقتله وزلق به فرسه فصرع فجاءه اخوه نعيم فسجاه بثوب واخذ الراية وناولها حذيفة فاخذها وتقدم موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب اميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما اظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا وتبعهم المسلمون وعمى الله على المشركين قصدهم فتركوه واخذوا نحو اللهب الذى كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم فى قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم فى اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل فى المعركة وقيل قتل فى اللهب ثمانون الفا سوى من قتل فى الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فتابعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهى اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على اجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد الجبل فتبعه القعقاع راجلا فأدركه فقتل المسلمون الفيرزان على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون فى آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر

للمسلمين جعلوا يسألون عن اميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم اخوه معقل هذا اميركم قد اقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا على ما فيها من الامتعة والاموال والاسلاب والاثاث واتاهم الهربذ صاحب بيت النار على امان فقال لحذيفة اتؤمنني ومن شئت على ان اخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فارسلهما حذيفة مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وارسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وائتني به وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين اللذين كانا عنده فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان عمر رضي الله عنه قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من اين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال هذا بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فاتيت فقال ما وراءك فقلت خيرا يا امير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده فلما رأيت ذلك وما لقي قلت يا امير المؤمنين ما اصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال اولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ثم اخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما اصبح بعث في اثري رسولا فما ادركني حتى دخلت الكوفة فانخت بعيري واناخ بعيره على عرقوب بعيري فقال الحق بامير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الي ومالي وللسائب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا يقولون لنكوينك بهما فاقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالفي الف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة آلاف الف فما زال اكثر اهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل الفين وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن بعده للفرس اجتماع وملك المسلمون بلادهم ولم يزل يزدجرد امره في انتكاس ونقصان وكلما اخذت منه مدينة انتقل الى اخرى الى ان قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف ابو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث اهل البصرة مر بالدينور

فاقام عليها خمسة ايام وصالحه اهلها على الجزية ومضى فصالحه اهل شيروان على مثل صلحهم و بعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيرة مدينة مهرجا نقذف ففتحها صلحا

ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وان لايؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب منهم و بلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها فاقتدوا بخشرشنوم وكاتبوا حذيفة فاجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول

ذكر فتح اصبهان

بعث عمر رضى الله عنه اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من اشراف الصحابة ومن وجوه الانصار وامده بابى موسى وكان على جند اصبهان الاسبيذان وعلى مقدمته شهريار بن جاذو به شيخ كبير فى جمع عظيم فاقتتلوا برستاق اصبهان قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحى فقتله وانهزم اهل اصبهان وسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى هذا اليوم وصالحهم الاسبيذان على رستاق الشيخ وهو اول رستاق اخذ من اصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة اصبهان والملك باصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على اصبهان و على ان من اقام الجزية اقام على ماله و ان يجرى من اخذت ارضه عنوة مجراهم ومن ابى وذهب كانت لكم ارضه فخرج الناس من جى ودخلوا فى الذمة الا ثلاثين رجلا من اهل اصبهان فلحقوا بكرمان ثم قدم كتاب عمر الى عبد الله يأمره بالمسير الى سهيل بن عدى ليكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل ونازلوا كرمان حتى فتحوها وسيأتى ذكر ذلك فى فتوحات سنة ثلاثة وعشرين

ذكر فتح زويلة

فى سنة احدى وعشرين بعث عمرو بن العاص من مصر عقبة بن نافع الفهرى بجيش فافتتح زويلة صلحا ومابين برقة وزويلة فصار سلما للمسلمين

ذكر فتح همذان ثانيا

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده و يد القعقاع ابن عمرو فلما رجعا عنها كفر اهلها فرجع اليهم نعيم بن مقرن فى سنة اثنين وعشرين وحاصرهم ثم سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقيل ان ذلك كان سنة اربع وعشرين بعد مقتل عمر رضى الله عنه لستة اشهر وان نعيما خرج اليهم فى جيش كثيف وقاتلهم قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لايحصون وقيل ان

المغيرة بن شعبة حين كان عاملا على الكوفة ارسل جرير بن عبدالله البجلى الى همذان فقاتله اهلها واصيبت عين جرير بسهم فقال احتسبها عندالله الذى زين بها وجهى وسلبنيها فى سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على ارضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصارى

﴿ ذكر فتح قزوين و زنجان ﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء ابن عازب فى جيش الى قزوين فسار البراء حتى اتى ابهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فأمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ اهلها الخبر ارسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لايمدون يدا فلما رأى ذلك اهل قزوين طلبوا الصلح على صلح ابهر ثم غزا البراء الديلم حتى ادوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة غزا ايضا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

﴿ ذكر فتح الرى ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين غزا نعيم بن مقرن الرى وخرج من الرى الزينبى ابو الفرخان فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالما له ومخالفا لملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام فاستمد ملك الرى اهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبى قال لنعيم ان القوم كثير وانت فى قلة فابعث معى خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لايشعرون به وناهدهم انت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن اخيه المنذر بن عمرو فادخلهم الزينبى المدينة ولايشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة وافاء الله على المسلمين بالرى نحوا مما فى المداين وصالحه الزينبى على الرى ومرزبة عليهم نعيم وراسله المصمغان فى الصلح على شئ يفتدى به منه على دنباوند فاجابه الى ذلك وقيل ان فتح الرى كان سنة احدى وعشرين

﴿ ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان ﴾

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الرى كتب اليه عمر يأمره بارسال اخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمر والجلى وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له احد فاخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم و اهل المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية ثم سار الى جرجان فعسكر بها فكاتبوه وصالحوه على الجزية وقيل ان ذلك كان سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه

* *
*

ذكر

﴿ ذكر فتح طرابلس الغرب و برقة ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من المسلمين من بنى مدلج يتصيد فى سبعة نفر وسلكوا غربى المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر والبلد فدخلوا المدينة من ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير فى البلد ظنوا ان المسلمين دخلوها فلم يكن لهم ملجأ الا سفنهم ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف فى المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت من الروم الا القليل بما خف معهم فى مراكبهم وكان اهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنع عليه فتح طرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس سير عمرو جندا الى سبرة فصبحوها وقد فتح اهلها الباب واخرجوا مواشيهم للتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر فتح طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا الحصن مكابرة وغنموا مافيه وعادوا الى عمرو ثم عاد عمرو الى برقة وقد اجتمع بها قوم من البربر فصالحو[illegible] ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من ارادوا من اولادهم [illegible] جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

[illegible] افتتح نعيم الرى بعث سماك بن خرشة الانصارى وليس بأبى دجانة ممدا لبكير بن عبد الله باذربيجان وكان بكير قد سار اليها بامر عمر رضى الله عنه فامر عمر نعيما ان يمد بكيرا بسماك بن خرشة وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميذان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد فاقتتلوا فانهزم الفرس واخذ بكير اسفنديار اسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك ام الحرب فقال بل الصلح فقال امسكنى عندك فان اهل اذربيجان ان لم اصالح عليهم او اجئ اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التى حولها ومن كان على التحصن تحصن فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ماكان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفنديار فى امان وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه فى التقدم فاذن له ان يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فاقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذى كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة واقام به فى عسكره حتى قدم عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو فى الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه واجاب الى ذلك اهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا باخمسا

﴿ ذكر فتح الباب ﴾

الباب مدينة عظيمة بناها كسرى فى هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين امر عمر رضى الله

عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور بالمسير الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان ايضا يدعى ذا النور وجعل على احد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفاري وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما اخرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان الملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى افسد بني اسرائيل واغزى الشام بهم فلما اطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب كاتبه شهريار واستأمنه على ان يأتيه ففعل فاتاه فقال انى بازاء عدو كلب وامم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى الحسب ولست من القبج ولا الارمن فى شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وامتى فانا منكم ويدى مع ايديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فاجابه بقبول ذلك منه ثم قال له سراقة لابد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فاجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فاجازه عمر واستحسنه

﴿ ذكر فتح موقان ﴾

لما فرغ سراقة من الباب ارسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن اسيد وسلمان بن ربيعة الى اهل تلك الجبال المحيطة بارمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيب الى تفليس و[illegible] الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة الى عمر بفتح الباب وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر امر لم يظن ان يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح احد من اولئك القواد الا بكير فانه فض اهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار ولما [illegible] عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعه اقر عبد الرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك

﴿ ذكر غزو الترك ﴾

لما امر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك وكانوا فى بلنجر باقصى ولاية الباب وهم امم كثيرة فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ما تريد ان تصنع قال اريد غزو الترك فى بلنجر قال انا لنرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكننا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو يأذن لهم اميرنا فى الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال اقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم احد ثم غزاهم ايام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل اهل الكوفة وظهر فيهم الاختلال فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك الترك فتذامرت عليه

واجتمعوا فى القيافى فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية اخوه سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه ابو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من انجاء جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

كان فتح خراسان فى سنة ثلاث وعشرين على الصحيح وسبب ذلك ان يزدجرد سار الى الرى بعد هزيمة اهل جلولا وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه فوثب على يزدجرد فاخذه فقال يزدجرد ياابان تغدرنى قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار فى يد غيرك فاحببت ان اكتتب ما كان لى من شئ واخذ خاتم يزدجرد واكتتب صكاكا بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم الى يزدجرد فسار يزدجرد من الرى الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار التى يعبدونها معهم ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وامن من ان يؤتى وان له من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان واثار اهل فارس فنكثوا واثار اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فاذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس وكتب للاحنف بن قيس بالمسير الى خراسان وكان قبل ذلك قد عقد له لواء اعليها مع الالوية التى عقدها فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فارسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به امداد الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف باهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتابع اهل خراسان فنهم من هرب ومنهم من شد على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم ياامير المؤمنين قال لان اهلها ينتقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة فكان ذلك باهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على مادون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر مهزوما انجده خاقان من الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزل بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يستمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان

علفاو أحدهما يقول لصاحبه لو اسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتون من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله عليهم فرجع فلما اصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة عشرة آلاف ومن اهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف قريبا من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله واخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل مثل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله واخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل مثل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فاتوا على فرسانهم مقتولين فقام خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وأصيب فرساننا ما لنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا واتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج يزدجرد خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة واراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فاكون معه او بالصين قالوا ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم اوفياء واهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فابى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فابى فاعتزلوه وقاتلوه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما بها زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم واموالهم على افضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين واصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل اهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى ارسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير فيهم وشر فيكم فقلت سلنى عما احببت فقال ايوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث امادينهم فان اجبنا اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع

قوم وارشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل يحلون ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال ان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم و يحرموا حلالهم ثم قال اخبرنى عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها له قال نعمت الحصون ووصفت له الابل و بروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعنى ان ابعث اليك بجند اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم ازالونى ما داموا على وصفهم فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله تعالى فى خطبته على انجاز وعده ثم قال الا وان ملك المجوسية قد هلك فليس يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا وان الله اورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لا اخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم

ذكر فتح شهرزور والصامغان

استعمل عمر رضى الله عنه عزرة بن قيس على حلوان فحاول عزرة فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان وداراباذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحى قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى افردت عنها آخر خلافة الرشيد

ذكر غزو معاوية بلاد الروم

فى هذه السنة اعنى سنة اثنتين وعشرين غزا معاوية بلاد الروم ودخلها فى عشرة آلاف من المسلمين فاثخن فيهم وغنم ورجع سالما

ذكر الخبر عن فتح توج

لما خرج اهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان فيهم سارية بن زنيم الكنانى فساروا واهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل امير الى الجهة التى امر عليها وبلغ ذلك اهل فارس فتفرقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتتت امورهم فقصد مجاشع بن مسعود السلمى سابور واردشير فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما فى عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وكان ذلك فى افتتاح سنة ثلاث وعشرين وهذه توج الاخيرة والاولى هى التى استنقذتها جنود العلاء ابن الحضرمى ايام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا واقروا بها وارسل مجاشع بن مسعود السلمى بالبشارة والاخماس الى عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن ابى العاص الثقفى اصطخر وكان عمر رضى الله عنه عقدله لواء اصطخر لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح الى بلاد فارس فالتقى عثمان هو واهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقى فى الناس وفتح عثمان كيزرون والنوبندجان وغلب على ارضها وفتح هو وأبوموسى مدينة شيراز وارجان وفتح سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان ايضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع الطاعة فى آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن ابى العاص ابنه واتته الامداد من البصرة واميرهم عبيدالله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما فى المعركة وبينهما وبين قرية شهرك ثلاثة فراسخ وتسمى القرية ايضا شهرك يابنى اين يكون غداؤنا ههنا ام بشهرك قال له يا ابت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا يكون الا فى المنزل ومااراهم يتركوننا ففرغا من كلامهما حتى شب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن ابى العاص اخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل بن شهرك على سوار فقتله وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنبان وكان فى جيوش المسلمين ابو صفرة والد المهلب قيل ان عبيدالله بن معمر امير الامداد التى جاءت لهذا الجيش من البصرة بلغه ان ارزنبان يريد الغدر به فقال له احب ان تتخذ لاصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الجفنة التى تلينى فانى احب ان اتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لايكسر الا بالفوس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من اشد الناس فقام ارزنبان وقبل قدمه وقال هذا مقام العائذ بك واعطاه عهدا

﴿ ذكر فتح فساودارابجرد ﴾

قد تقدم ان عمر رضى الله عنه لما عقد الالوية لمن اذن لهم فى الانسياح فى بلاد فارس عقد لواء لسارية بن زنيم الكنانى على فساودارابجرد فى سنة ثلاث وعشرين فسار حتى انتهى اليهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير واتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان فى الساعة التى رأى فيها مارأى خرج اليهم وكان بن زنيم والمسلمون بصحراء ان اقاموا فيها احيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر على المنبر فقال ياايها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل ياسارية الجبل ثم اقبل على الناس فقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان يبلغهم فسمع سارية

ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله تعالى كذا فى الكامل لابن الاثير وهذه القصة رواها كثير من أئمة الحديث بأسانيد صحيحة منهم البيهقى وابونعيم وابن مردوية واللالكاى وابن الاعرابى والخطيب بالفاظ متعددة والمعانى متقاربة فنها رواية لابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينا عمر يخطب جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال ياامير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذسمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى قال قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من ارض العجم وفى رواية لابن عمر ايضا كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرضه فى خطبته ان قال ياسارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على رضى الله عنه ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج منى مازعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفى رواية عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين اوثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا انت تخطب اذ انت تصيح ياسارية الجبل اى شئ هذا قال انى والله ماملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى ان جاء رسول سارية بكتابه وفيه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال اولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له انتهى واصاب المسلمون فى مغانمهم مع سارية سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به الى عمر فقدم الرسول على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس واكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظنه عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس اتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فاكلا فلما فرغا قال الرجل انا رسول سارية ياامير المؤمنين قال مرحبا واهلا ثم ادناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فاخبره بقصة السفط فنظر اليه وصاح به لاولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال ياامير المؤمنين انى قد انضيت جملى واستقرضت فى جائزتى فاعطنى ماتبلغ به فمازال به حتى ابدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره فى ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل اهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

كان سهيل بن عدى قد عقد له عمر لواء على كرمان مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة اعنى سنة ثلاث وعشرين بالمسير الى كرمان فسار ولحقه عبدالله بن عبدالله بن عتبان

وحشدلهم اهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا فى ادانى ارضهم ففض الله تعالى المشركين واخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبدالله بن عبدالله من مفازة سير فاصابوا ماارادوا من بعير اوشاة فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فاجابهم اذارأيتم ان فى البخت فضلا فزيدوا

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

كان عاصم بن عمرو قد عقدله عمرلواءا على سجستان مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار ولحقه عبدالله بن عمير فاستقبلهم اهلها فالتقوا هم واهل سجستان فى ادانى ارضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا ارض سجستان ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فاعطوا وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يجتنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا فاقام اهل سجستان على الخراج وكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروجا يقاتلون القندهار والترك واما كثيرة

﴿ ذكر فتح مكران بضم الميم وسكون الكاف ﴾

كان الحكم بن عمرو التغلبى قدعقدله عمرلواءا على مكران مع الالوية التى عقدها فامره فى هذه السنة بالمسير اليها فسار حتى انتهى اليها ولحقه شهاب بن المخارق وسهيل بن عدى وعبدالله بن عبدالله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر واهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فامده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم فى المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم اياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فاقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلماقدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال ياامير المؤمنين هى ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل ٣ وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال اسجاع انت ام مخبر لا والله لايغزوها جيش لى ابدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو ان لايجوزن مكران احد من جنودهما وامرهما ببيع الفيلة التى غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم اثمانها على الغانمين

٣ يعنى اردأ التمر

﴿ ذكر فتح بيروذ والاهواز ﴾

لما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى ابى موسى ان يسير الى اقصى ذمة البصرة حتى لايؤتى المسلمون من خلفهم وخشى ان يهلك بعض جنوده او يخلفوا فى اعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وابطأ ابوموسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا فى رمضان بين نهرتيرى ومناذر فقام المهاجر بن

زياد

زياد وقد تخنط واستقبل القوم وعزم ابو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على اخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له ابو موسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج ابو موسى حتى بلغ اصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع ابو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر رضى الله عنه اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفئ نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله اوذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لاتدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما املا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا فساروا حتى لقوا عددا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وفى هذه السنة غزا معاوية الروم وفتح عسقلان صلحا الى هنا انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وقصة استشهاده مشهورة لاحاجة الى الاطالة بذكرها اخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه مانفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وامعن فكره فيما خص الله به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما اجراه الله على يديه وما حصل للاسلام واهله بسببه من كونه اعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يديه حتى كثر العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له ان كل خير وقع لاهل الاسلام منذ خلافة عمر رضى الله عنه الى يوم القيمة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له مثل اجورهم وذلك شئ كثير لايمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح فى

قومه واخرج عبدالله بن الامام احمد فى زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما ارجو لهم فى قولى لا اله الا الله واخرج ابوذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقال صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه وادر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان على رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله فى زمن خلافتهم ولم ينازع احدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته ونوزع فى ذلك قاتل من نازعه فلا يصح ان ينسب اليه ان سكوته فى زمن الخلفاء الثلاثة كان تقية حاه الله من المحابات فى دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الفتوحات فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

كانت البيعة لعثمان رضى الله عنه فى اوائل المحرم سنة اربع وعشرين فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه عملا بقول عمر رضى الله عنه اوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم اعزله عن سوء ولا خيانة فكان اول عامل بعثه عثمان رضى الله عنه

﴿ ذكر خلاف اهل الاسكندرية ﴾

فى سنة خمس وعشرين خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فاجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فأرسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال اهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا واموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور وفى هذه السنة بلغ سعد بن ابى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض العهد فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

فى هذه السنة نقضت اهل اذربيجان فامر عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن ابى معيط ان يغزوهم وكان على الكوفة لان سعد بن ابى وقاص اختصم مع عبدالله بن مسعود فاستحسن عثمان رضى الله عنه ان يعزل سعدا قطعا للنزاع فعزله وولاها الوليد فغزاهم

الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الأحمسي فاغار على اهل موقان والببر والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على ثمان مائة الف درهم وقبض المال وبث السرايا وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية فى اثنى عشر الفا فسار فى ارمينية يقتل ويسبى ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فاتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية ابن ابى سفيان كتب الى يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين فى جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس فى ثمانية آلاف او تسعة آلاف من المكان الذى يأتيك كتابى فيه والسلام فقام الوليد فى الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان ابن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ماشاؤا من الغنائم وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذى امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان على الكوفة بعد عزل الوليد وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية ان يغزى حبيب بن مسلمة فى اهل الشام ارمينية وهى غير التى باذربيجان بالعراق فوجهه اليها فاتى قالى قلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء او الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب هفيمن معه شهرا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهى البلاد التى صارت بعد بيد اولاد السلطان ن بنى ارسلان السلجوقى وهى ملاطيه وسيواس واقسراى وقونيه وما والاها من البلاد الى خليج لعسطنطينية قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم واسم القس المذكور الموريان فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فامده بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قالى قلا ثم سار منها ونزل مربالا فاتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامان البطريق المذكور فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهى من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهى القرية التى يكون منها القرمز الذى يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين اخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها فقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقهما على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان فاتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهى من جرزان وفتح عدة حصون تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى اران ففتح البيلقان صلحا على ان امنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى

سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه و بينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفربهم فاقر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وسار سلمان الى مجمع ارس والكر ففتحه وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة الباب وهى غير التى فى العراق وهذه بقرب حلب

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

فى هذه السنة سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية وهى المسماة بروسا فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسى الصائفة وامره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبدالله بن سعد بن ابى سرح الى اطراف افريقية غازيا بامر عثمان وكان عبدالله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما رجع عبدالله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فاذن له فى ذلك

﴿ ذكر غزوة كابل ﴾

فى هذه السنة ارسل عثمان رضى الله عنه عبدالله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت اعظم من خراسان حتى مات معاوية فامتنع اهلها

﴿ ذكر فتح افريقية ﴾

كان ذلك فى سنة ست وعشرين قد تقدم ان عبدالله بن ابى سرح استأذن عثمان رضى الله عنه فى غزو افريقية فاذن له وقال له ان فتح الله عليك فلك من الفئ خمس الخمس نفلا وامر عثمان عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحارث على جند وسرحهما وامرهما بالاجتماع مع عبدالله بن ابى سرح على صاحب افريقية فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطؤا ارض افريقية وكانوا فى جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم اهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة اهلها ثم ان عثمان ولى عبدالله بن ابى سرح مصر فارسل الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية والاستكثار من الجموع فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار اكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبدالله بن عباس وغيره فسار بهم عبدالله ابن ابى سرح الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عبدالله بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية

وبث

وبث السرايا فى كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان
هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل الخراج اليه كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز
وجمع العساكر واهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى
هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت
ذلك الوقت دار الملك فاقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبدالله بن ابى سرح يدعوه
الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان
فسير عبدالله بن الزبير فى جماعة اليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم
ولما وصل كثر الصياح والتكبير فى المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر ففت
ذلك فى عضده ورأى عبدالله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا اذن الظهر
عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابى سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع
منادى جرجير يقول من قتل عبدالله ابن ابى سرح فله مائة الف دينار وازوجه ابنتى وهو
يخاف على جيش المسلمين ان قتل فحضر عنده عبدالله بن الزبير وقال له تأمر مناديا ينادى من
اتانى برأس جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار
جرجير يخاف اشد من عبدالله ثم ان عبدالله بن الزبير قال لعبدالله بن ابى سرح ان امرنا يطول
مع هؤلاء وهم فى امداد متصلة وبلاد هى لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت
ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم فى باقى
العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام
من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم
فاحضر جماعة من اعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبدالله
ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون
فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما اذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم
ابن الزبير والح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين القى
سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك اخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد
الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس
سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله عبدالله بن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم
مقتلة عظيمة واخذت ابنة الملك جرجير سبية واعطيت لعبدالله بن الزبير مع مائة الف ونازل
عبدالله بن ابى سرح المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال مالم يكن فى غيرها فكان
سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف ولما فتح عبدالله مدينة سبيطلة بث جيوشه
فى البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك
البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على الفى الف وخمسمائة الف دينار وارسل
الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية ثم عاد عبدالله بن ابى سرح الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة
وثلاثة اشهر ولم يفقد من المسلمين سوى ثلاثة منهم ابو ذؤيب الهذلى الشاعر فدفن هناك

* * *
*

﴿ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية واندلس وغير ذلك فلما صار ملك افريقية للمسلمين ارسل هرقل بعد مدة الى اهلها بطريقا وامر أن يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق فى قرطاجنة وجمع النصارى الذين فى افريقية واخبرهم بما امره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغى له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة وتغلب الروم على افريقية فسار ذلك الرجل الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على رضى الله عنه فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن حديج ٣ السكونى فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم ومعه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين الف مقاتل فلما سمع بهم معاوية بن حديج سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولا فلم يقدر عليه فانهدم الحصن فلكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر

٣ قوله آخره الدال فيه مهملة

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما افتتحت افريقية فى خلافة عثمان رضى الله عنه امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فاتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين فتوحات كثيرة من اراضى افريقية وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية واما الاندلس فلم تفتح الا فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما سيأتى ان شا الله

﴿ ذكر غزوة قنسرين ﴾

وفى سنة سبع وعشرين غزا معاوية قنسرين فقتل وسبى وغنم ورجع وفى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية

﴿ ذكر فتح قبرس فى خلافة عثمان رضى الله عنه غزاها معاوية سنة ٢٨ ﴾

وكان معه جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وكان معاوية قد استأذن عمر رضى الله عنه ان يغزو فى البحر فلم يأذن له خوفا على المسلمين من ركوب البحر فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه استأذن والح عليه فاذن له وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم بل خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ففعل وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار عبد الله بن ابى سرح من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم اهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة بعد قتل وسبى كثير فى قبرس ويؤدون مثلها لملك الروم وفى هذه الغزوة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية القتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها فى اول من يغزو فى البحر كما فى صحيح البخارى

ثم ذكر

﴿ ذكر انتقاض اهل فارس ﴾

في سنة تسع وعشرين انتقض اهل فارس فسار اليهم عبيدالله بن معمر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس وكان على البصرة بعد عزل ابي موسى وكان لعبد الله بن عامر صحبة فاستنفر اهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة واتى دارا بجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها الى ان فتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفي فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر وفتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى اكثر اهل البيوتات ووجوه الأساورة وكانوا قد لجؤا اليها

﴿ ذكر غزوة سعيد بن العاص طبرستان ﴾

في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان وكان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة وكان اهل طبرستان في خلافة عمر صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه ثم نقضوا فغزاهم سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس واتى جرجان فصالحوه على مائتي الف ثم اتى طميسة فقاتله اهلها وضرب سعيد يوما رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه فسألوه الامان فاعطاهم وفتح ايضا نامية وفي هذه السنة غزا حذيفة الباب مددا لعبدالرحمن بن ربيعة وفي هذه الغزوة رأى حذيفة اختلافا كثيرا بين الناس في القرآن فلما رجع اشار على عثمان بجمع القرآن في المصاحف ففعل وقصة ذلك مشهورة لاحاجة لذكرها

﴿ ذكر غزوة الصواري ﴾

في سنة احدى وثلاثين غزا معاوية الصواري وسببها ان المسلمين لما اصابوا من اهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب اوستمائة وخرج المسلمون وعلى اهل الشام معاوية بن ابي سفيان وعلى اهل مصر عبدالله بن ابي سرح على طريق البحر وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم مالا يحصى وصبر الفريقان صبرا لم يصبروا في

موطن قط مثله ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وسار قسطنطين الى صقلية فسأله اهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا اهلكت النصرانية وافنيت رجالها ولو اتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم ادخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه واذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية

ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس

في سنة احدى وثلاثين كان مقتل يزدجرد واختلف في كيفية قتله اختلافا كثيرا وكان قد هرب من فارس الى خراسان ولم يزل المسلمون يتبعونه ويقفون اثره من مدينة الى مدينة وهو يهرب ثم بيته جماعة من الترك فقتلوه وقيل نام عند رجل ينقر الارحاء فقتله وقيل غير ذلك وكان ملكه عشرين سنة منها اربع سنين في دعة وست عشرة في تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل ازدشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

ذكر مسير عبدالله بن عامر الى خراسان وفتحها

لما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقض اهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن اوس التميمي فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال اولم نؤمر بالمسير وقيل ان الاحنف بن قيس قال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فسار الى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي وله صحبة وامره بمحاربة اهلها وكانوا قد نكثوا ايضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي وكانوا ايضا قد نقضوا الصلح وغدروا ثم سار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه اهلها على ستمائة الف درهم وبعث سرية الى رستاق زام من اعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من اعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من اعمال نيسابور ايضا ووجه الاسود بن كلثوم العدوي الى بيهق من اعمالها ايضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فاخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بامر الناس بعده اخوه ادهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره في بطون السباع والطير فلم يواره اخوه ودفن من استشهد من اصحابه وافتتح ابن عامر في هذه الغزوة بشت من نيسابور وهذه بشت بالشين المعجمة وليست ببست التي بالسين المهملة فان تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور وافتتح ايضا خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على اعمالها وافتتحها فحصر اهلها اشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامارة على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وابيورد فافتتحوها صلحا وسير

سرية اخرى الى سرخس مع عبدالله بن خازم السلمى فقاتلوا اهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله عبدالله ودخل سرخس عنوة واتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبدالله بن خازم فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر فى الجيش الى هراة فقاتله اهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد ارسل اليه مرزبان مرو فصالحه على الفى الف ومائتى الف درهم وارسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها اخذت عنوة ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف بعد ذلك برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصر اهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف اصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله اهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من اقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعانى الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشى ثم صالحه اهلها وجمع له اهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فى خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمى فى خيل وقال يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تعدل اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقى العدو بالجوزجان وكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب ثم سار الاحنف الى بلخ وهى مدينة طخارستان فصالحه اهلها على اربعمائة الف وقيل سبعمائة الف واستعمل على بلخ أسيد بفتح الهمزة بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهى على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار اصحابه فقال له حضين بالضاد المعجمة بن المنذر قال عمرو بن معدى كرب

* اذا لم تستطع شيأ فدعه ❊ وجاوزه الى ما تستطيع *

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاجرم لاجعلن شكرى لله تعالى على ذلك ان اخرج محرما من موقفى هذا فاحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى ارض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهله واذعنوا له حتى اتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان امره

ان يفتحها وكان اهلها قد نكثوا وغدروا ففتح هميد عنوة واستبقى اهلها واعطاهم امانا
وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع واتى السيرجان وهى مدينة [illegible]ان فاقام عليها اياما
يسيرة واهلها متحصنون ففتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت [illegible]
فى كرمان فدوخ اهلها واتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم
فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من اهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران
و بعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم واراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى
مواضع منها وادوا العشر

﴿ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما ﴾

قدتقدم ذكر فتح سجستان ايام عمر بن الخطاب ثم ان اهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر
الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى اتى حصن زالق
فاغار على اهله يوم مهرجان واخذ الدهقان فافتدى نفسه بان غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة
وصالحه على صلح فارس ثم اتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه اهلها وسار الى زرنج فنزل
على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها واصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون
وقتل منهم مقتلة عظيمة واتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم اتى شروان فغلب عليها وسار منها
الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فارسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه
على نفسه ليحضر عنده فامنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر
وامر اصحابه ففعلوا امثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على الف وصيف مع كل
وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها واتى القرية التى بها مربط فرس
رستم الشديد فقاتله اهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر
واستخلف عليها عاملا فاخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى
فيها اربعين الف رأس وكان كاتبه الحسن البصرى فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة
ابن حبيب بن عبدشمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على الفى الف
درهم والفى وصيف وغلب عبدالرحمن على مابين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب
من ناحية الرخج على ما بينه و بين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم فى جبل الزوز
ثم صالحهم ودخل على الزوز وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده واخذ
الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان اعلمك انه لايضر ولاينفع
وفتح كابل وزابلستان وهى ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فاقام بها ثم استخلف عليها امير بن
احمر اليشكرى وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا

﴿ غزوة مضيق القسطنطنية ﴾

فى سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بن ابى سفيان مضيق القسطنطينية فقتل وسبى وغنم ورجع

﴿ ذكر غزوة بلنجر ﴾

لما تتابعت الغزوات على الخزر والترك تذامروا وقالوا كنا لايقرن بنا احد حتى جاءت هذه

الامة القليلة فصرنا لانقوم لهما فقال بعضهم ان هؤلاء لايموتون وما اصيب منهم احد في غزوهم وكان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لايموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فرباالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعد رؤسهم على حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبدالرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبدالرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ اهل بلنجر جسده فجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل وقتل كثير ممن معه انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابو هريرة

﴿ ذكر خروج الترك مع ملكهم قارن ﴾

في سنة ثنتين وثلاثين خرجت جموع من الترك من ناحية خراسان في اربعين الفا عليهم قارن من ملوكهم فانتهى الى الطبسين واجتمع له اهل بادغيس وهراة وقهستان وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم السلمي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه الى مكة محرما فدوخ جهتها وكان معه ابن عمه عبدالله بن خازم فقال لابن عامر اكتب لي على خراسان عهدا اذا خرج منها قيس ففعل فلما اقبلت جموع الترك قال قيس لابن خازم ما ترى قال ارى ان تخرج من البلاد فان عهد ابن عامر عندي بولايتها فترك منازعته وذهب الى ابن عامر وقيل اشار عليه ان يخرج الى ابن عامر يستمده فلما خرج اشهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس وسار ابن خازم للقاء الترك في اربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة او قطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النار في اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتخفض وترفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم واكثروا القتل في المشركين وقتل ملكهم قارن فانهزم المشركون واتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا واصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضي واقره على خراسان

﴿ غزوة حصن المرأة ﴾

في سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من ارض الروم بناحية ملاطية فقتل وسبى ورجع وفي هذه السنة كانت غزوة عبدالله بن سعد بن ابي سرح افريقية الثانية حين نقض اهلها العهد

ذكر انتقاض اهل قبرس وغزوهم فى سنة ٣٣

وفى هذه السنة نقض اهل قبرس واعانوا الروم على الغزو فى البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزا معاوية اهل قبرس وفتحها عنوة وقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثنى عشر الفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وفى تاريخ جنابى ان فى سنة خمس وثلاثين ركب البحر امير مصر عبدالله بن ابى سرح من الاسكندرية بقصد غزو القسطنطينية فاستقبلهم ملك الروم فى الف مركب وكان المسلمون فى مائة مركب فالتقوا باسكلة فنكه مغرب انطاكية فرأى ملك الروم رؤيا عبرت له بتعبير مستخرج من الالفاظ التى رآها فجمعت وخرج منها حروف ترجمتها لاتطلب الغلبة فلم يعمل بمقتضى ذلك بل استهان بالمسلمين وقاتلهم ففتح الله النصر للمسلمين وولى الكفار هاربين فمنهم من غرق فى البحر ومنهم من أخذه السيف ومنهم من اسر وغنم المسلمون كثيرا من مراكبهم ورجعوا الى جزيرة رودس وشنوا عليها الغارة وفتحوها فى اسرع زمان وضربوا على من فيها الجزية واعطوهم الامان

ذكر فتح رودس فى سنة ٣٥

وفى تاريخ ابن الاثير ان فتح رودس كان فى سنة ثلاث وخمسين فى خلافة معاوية فتحها جنادة بن ابى امية الازدى وسيأتى ذكر ذلك ولعله فتح ثان بعد هذا الفتح انتهت الفتوحات التى كانت فى خلافة عثمان رضى الله عنه ثم وقع الاختلاف بين المسلمين فى شان الامراء الى ان قتل عثمان رضى الله عنه شهيدا وقصته مشهورة لاحاجة لنا الى ذكرها وكان استشهاده لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل قبل ايام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين وقيل تسعين ثم بويع على رضى الله عنه ووقع الاختلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى قتلة عثمان وكانوا مجتهدين فى طلب الحق فمنهم من اصاب ومنهم من اخطأ فالمصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد فيجب الامساك عما جرى بينهم وتأويله باحسن التأويل وحمله على احسن المحامل واستمر الحال الى ان استشهد على رضى الله عنه سبع عشرة خلت من رمضان سنة اربعين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ثم بويع ابنه الحسن رضى الله عنه واستمر ستة اشهر ثم نزل عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه حقنا لدماء المسلمين وتحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان اجماع الصحابة على خلافة معاوية رضى الله عنه سنة احدى واربعين فى ربيع الاول وقيل الآخر وفى هذه السنة استعمل عمرو بن العاص وكان على مصر عقبة بن نافع بن عبدقيس على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فاطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح فى سنة اثنين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح فى سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهى من برقة وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذى اختط القيروان سنة خمسين وفى سنة اثنين

واربعين

واربعين ايضا غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا وهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفى سنة ثلاث واربعين غزا بسر بن ابى ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية وفيها اعاد معاوية عبدالله بن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان وسجستان فاستعمل ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد ابن الحصين الحبطى فكان يغزو البلد قد كفر اهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها اشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى اصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى زران فهرب اهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه اهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهى غزنة واعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث اهلها ففتحها واستعمل ابن عامر على ثغر السند عبدالله بن سوار العبدى فغزا القيقان فاصاب مغنما ثم غزاهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك فقتلوه وكان كريما لم يوقد احد فى عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ماهذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فامر ان يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

﴿ ذكر غزوه السند ﴾

وفى سنة اربع واربعين دخل المسلمون مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن ابى ارطاة فى البحر وغزا المهلب بن ابى صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا وفى سنة ست واربعين غزا الروم مالك بن عبدالله وشتى فى ارض الروم وقيل بل كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفى سنة سبع واربعين كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم غازيا ومشتى عبدالرحمن القينى بانطاكية وفيها سار الحكم بن عمرو الغفارى وكان على خراسان الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا فاخذهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب منها مغانم كثيرة وسبايا وكان المهلب بن ابى صفرة مع الحكم بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا واخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى اسر عظيما من عظماء الترك فقال له امان تخرجنا من هذا المضيق اولاقتلنك فقال له اوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم يستجتمعون فيه ويخلون ماسواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بمامعهم من الغنائم وفى سنة ثمان واربعين كان على غزو المسلمين الروم فى الشتاء عبدالرحمن القينى وفى الصيف عبدالله بن قيس الفزارى وغزا مالك بن هبيرالسكونى البحر وغزا عقبة بن عامر الجهنى باهل مصر البحرين وغزا يزيد بن شجرة الرهاوى باهل الشام فى البحر

﴿ ذكر غزوة القسطنطينية ﴾

فى سنة تسع واربعين وقيل ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزو وجعل

عليهم سفيان بن عوف الازدى وكان فى الجيش عبدالله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو
ايوب الانصارى و يزيد بن معاوية فاوغلوا فى بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية واقتتل
المسلمون والروم قتالا شديدا واستشهد ابو ايوب رضى الله عنه ودفن بالقرب من سورها وفى
سنة خمسين اغزا معاوية بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدى ارض الروم واغزا فضالة
ابن عبيدالله الانصارى فى البحر وفى هذه السنة استعمل معاوية عقبة بن نافع الفهرى على
افريقية وكان مقيما ببرقه وزويلة منذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله فى تلك البلاد جهاد
وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم
من البربر فكثر جمعه ووضع السيف فى اهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم امير اطاعوا
واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من اسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها
عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القيروان
وكانت اجمة مشتبكة بها شئ كثير من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا
الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايتها الحيات
والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد
ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل ورأى ذلك كثير من
قبائل البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس
مساجدهم ومساكنهم حتى كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وكان فى اثناء عمارة المدينة
المذكورة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين
وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام
فيها وفى سنة احدى وخمسين كان على غزو المسلمين فضالة بن عبيدة فشتى بالروم وفى [illegible]
بسر بن ابى ارطاه وفى السنة المذكورة غزا بلخ الربيع بن زياد والحارث وكان على خر[illegible]
ففتحها صلحا وكانت قد نقضت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس وفتح الربيع ايضا قهستان
عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته وفى
سنة ثنتين وخمسين كان على غزو المسلمين الروم سفيان بن عوف وبسر بن ابى ارطاه فى الشتاء
وفى الصيف محمد بن عبدالله الثقفى وفى سنة ثلاث وخمسين كان على الجيش فى الشتاء عبدالرحمن
ابن ام الحكم الثقفى بالروم وفى هذه السنة فتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن
ابى امية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا اشد شئ على الروم
يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطا وكان العدو قد خافهم فلما
توفى معاوية اقفلهم ابنه يزيد واخذ الجزية والخراج من اهلها وفى سنة اربع وخمسين كان على
جيش المسلمين فى غزوهم الروم محمد بن مالك شتاء ومعن بن يزيد السلمى صيفا وفى هذه السنة
فتح المسلمون جزيرة ارواد قريب القسطنطينية ومقدمهم جنادة بن ابى امية وفى هذه السنة
ايضا استعمل معاوية على خراسان عبيدالله بن زياد فسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال
بخارى على الابل فى جيش وفتح رامنى ونسف وبيكند وهى من بخارى وغنم غنائم كثيرة ولما لقى
الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست احدهما وبقى الآخر

فاخذه المسلمون فقوم بمائتي الف درهم وفي سنة خمس وخمسين كان على جيش المسلمين في الغزو شتاء عمرو بن محرز وقيل عبد الله بن قيس الفزاري وفي سنة ست وخمسين كان على جيش المسلمين في غزو الروم جنادة بن ابي امية وغزا في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحارث وفي هذه السنة استعمل معاوية على خراج خراسان وحربها سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما قدم خراسان قطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحا وفي سنة سبع وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم عبد الله بن قيس شتاء وفي سنة ثمان وخمسين كان على جيش المسلمين بارض الروم مالك بن عبد الله الخثعمي وفي البحر عمرو بن يزيد الجهني وقيل جنادة بن ابي امية وفي سنة تسع وخمسين كان على جيش المسلمين عمرو بن مرة الجهني بارض الروم في البر وفي البحر جنادة بن ابي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة وفي هذه السنة غزا المسلمون حصن كمخ من بلاد الروم ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون فكان الفتح بعمير وبذلك كان يفتخر وفي سنة ستين كانت غزوة لمالك بن عبيد الله في سورية وفي السنة المذكورة توفي معاوية رضي الله عنه وفي سنة احدى وستين استعمل يزيد على خراسان سلم بن زياد فقدم خراسان وعبر نهر جيحون وكان معه المهلب بن ابي صفرة وكان مما يلي خوارزم مدينة يجتمع فيها كثير من ملوكهم وكان المسلمون يطالبون امراءهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فالح المهلب على سلم وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف فحاصرهم فطلبوا الصلح على ان يفدوا انفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين الف الف كان في صلحهم ان يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما اخذ منهم خمسين الف الف وغزا سلم سمرقند ووجه جيشا الى خجندة فهزموا واستعمل سلم اخاه يزيد على سجستان فغدر اهل كابل فنكثوا واسروا اباعبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة ابن عبد الله الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى اباعبيدة بن زياد بخمسماية الف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبي المال واعطى زواره ومات بسجستان وفيه يقول القائل رحم الله اعظما دفنوها بسجستان ان طلحة الطلحات

﴿ ذكر غزو عقبة بن نافع بلاد السوس وكثير من وقائع افريقية ﴾

سنة ثنتين وستين ترك بالقيروان عقبة بن نافع جندا مع الذراري والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوي واحضر اولاده فقال اني قد بعت نفسي من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة دخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها أربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة

دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا
بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين
لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر واخذهم السيف وكثر فيهم القتل
وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه بليان
فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر
فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية
ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الاقصى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر
فلقوه فى جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل
الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون
فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط
فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه
خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير
واشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة
فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل
الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام امر اصحابه ان يتقدموا فوجا
فوجا ثقة منه بما نال من الله وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر
اليها فى نفر يسير فلما رآه الروم فى قلة طمعوا فيه واغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه
وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه ثم ارسل الروم الى كسيلة بن كرم ا[illegible]ى
ليسرع لقتال عقبة فبادر الى ذلك وكان كسيلة المذكور قد اسلم فى مدة امارة [illegible]
افريقية قبل عقبة وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وصحب ابا المهاجر فلما ولى عق[illegible]
ابو المهاجر محل كسيلة وأمره بأكرامه فلم يقبل عقبة واستخف بكسيلة واتى عقبة مر[illegible]
فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى المؤنة فت[illegible]
وأمره بسلخها فقبح ابو المهاجر ذلك عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فانى اخاف
عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة
ارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة وقد اضمر الغدر واعلم الروم بذلك
واطمعهم فلما راسلوه اظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة [illegible] فقال ابو المها[جر]
عاجله قبل ان يقوى جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر ج[معه]
فلما كثر جمعه قاتل عقبة فهزمه فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البر[بر]
وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس الانصارى فى نفر يسير
فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوى على القتال وكا[ن]
خليفة عقبة بالقيروان فخالفه جيش الصنعانى وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطره[م]
الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جميع من بافريقية وقصد
افريقية وبها اصحاب الانفال والذرارى من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فأمنهم ودخل

القيروان واستولى على افريقيـة واقام بهـا وحصلت الفتنة بين عبـد الملك بن مروان
وعبدالله بن الزبير فلما قوى امر عبدالملك انفذ الجيوش الى افريقية و كتب الى زهير بن قيس
البلوى بولاية افريقية فسار سنة تسع وستين الى افريقيـة بالجيوش فبلغ خبره الى كسيلة
فاحتفل وجمـع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رأيت ان ارحل
الى ممش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمـين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف
ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم
الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فأجابوه الى ذلك
ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح
واستراح ثم رحل فى طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران
واشتد القتال وكثر القتل فى الفريقين حتى ايس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك اكثر النهار
ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بممش وتبع
المسلمـون الروم والبربر فقتلوا من ادركوا منهم فأكثروا وفى هذاه الوقعة ذهب رجال
البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا
عظيما فأبى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا
فترك بالقـيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو اوذى شوكة ورحل فى جمع كثير
يريد مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطنية مسير زهير من برقـة الى افريقيـة لقتال كسيلة
فاغتنمـوا خلوها فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا
على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقيـة
الى برقة فاخبر الخبر فأمر العسكر بالسرعة والجد فى قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم
خلقا كثيرا فلما رآه المسلمـون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع فباشر القتال واشتد الامر
وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما
غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبدالملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكان مشغولا
بما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا ثم
سيرهم الى افريقية واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغسانى ولم يدخل افريقية
قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها اعظم ملوك
افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر مالا يحصى كثرة
فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمـع رأيهم على الهرب فركبوا فى
مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس فدخل حسان قرطاجنة بالسيف
فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وارسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فامرهم
فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعـوا له فى صطفورة
وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقى منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت
الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه
وخافه اهل افريقية خوفا شـديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها

وتحصن البربر بمدينه بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت فى اصحابه فأقام بها حتى صحوا فلما صلح الناس قال حسان دلونى على اعظم من بقى من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهى بجبل اوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعد عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغايه ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر منهم كثير وانهزم حسان ثم انها اطلقت الاسرى سوى خالد بن يزيد القيسى وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا فسار حسان حتى فارق افريقية واقام وكتب الى عبد الملك بالمقام الى ان يأتيه امره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة فى اهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وامره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسوله سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب ليتعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه فى رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة فى خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب اولا واودعه قربوس السرج فوصل الى حسان فسار فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعى ولا [illegible] الا ان اخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها [illegible]ون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد [illegible] اهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك فسار الى قابس [illegible] اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامرا وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوه وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفنا ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فأجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشى الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان واقام لا ينازعه احد الى ان توفى عبد الملك سنة ست وثمانين فلما ولى ابنه الوليد ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان وعزل حسان ثم استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير سنة تسع وثمانين وسيأتى الكلام على غزواته

* *
*

ذكر

﴿ ذكر صلح عبد الملك بن مروان لملك الروم ﴾

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين والصوائف الجيوش التي كانت تجهز في أوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار واستمر ذلك من صدر الاسلام الى اواخر الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك اجتمعت الروم سنة سبعين واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفي سنة ثلاث وسبعين خرج الروم من ناحية ارمينية في ستين الفا وكان على ارمينية محمد بن مروان من قبل اخيه عبد الملك فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وفي سنة اربع وسبعين استعمل عبد الملك على خراسان امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فلما وصل امية الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا ملك الترك رتبيل وكان رتبيل هائباً للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست ارسل رتبيل يطلب الصلح وبذل الف الف وبعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لى هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غرا [1] فخلى له رتبيل البلاد حتى اوغل فيها واخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب ان يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلاثمائة الف درهم صلحا ويكتب لنا كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت اميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل ذلك وبلغ ذلك عبد الملك فعزله وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان صائفة وكانت الروم خرجت من قبل مرعش وكذا في السنة التي بعدها وفي سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن سعد التميمي من قبل الحجاج فغزا وفتح اماكن من قندابيل وفي سنة ست وسبعين غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملاطية وفي سنة سبع وسبعين غزا الصائفة الوليد بن عبد الملك وفي سنة ثمان وسبعين ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وكان رتبيل ملك الترك مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن ابى بكرة يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله في اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانى كان من اصحاب على رضى الله عنه ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في ايدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتنى اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له عبيد الله بن ابى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا اهل الاسلام من اراد منكم الشهادة فالى فاتبعه ناس من المتطوعة وفرسان الناس واهل الحفاظ

[1] بكسر الغين ذا غفلة مؤلف

فقاتلوا حتى اصيبوا الا قليلا وقاتل شريح حتى قتل فى اناس من اصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل وفى هذه السنة اصاب اهل الروم اهل انطاكية وظفروا بهم وفى سنة ثمان وسبعين عزل عبدالملك امية بن عبدالله عن خراسان وضمها لاعمال الحجاج فولى على خراسان المهلب بن ابى صفرة

﴿ ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر حين كان واليا على خراسان ﴾

فى سنة ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش فأتاه ابن عم ملك الختل ودعاه الى غزو الختل وكان اسم ملكهم الشبل فوجه المهلب مع ابن عم الملك ابنه يزيد بن المهلب فنزل يزيد ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل واخذه فقتله فحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى اربعين الفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى اربعة آلاف فقتلهم واحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى ابيه واقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزوة سلامة هذا الجند وصالح المهلب اهل كش على فدية يأخذها منهم واتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج واقام بكش

﴿ ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

قد تقدم ذكر حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابى بكرة بلاد رتبيل ثم استأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبدالملك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفى الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء وكان يسمى جيش الطواويس لحسنه فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث بأمر من عبدالملك وكان الحجاج يبغض عبدالرحمن المذكور فسيره على ذلك الجيش طاعة لامر عبدالملك فسار بهم حتى قدم سجستان وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه فسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل ارضا ارضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبدالرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من ارض عظيمة وملأ الناس ايديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى ارض رتبيل وقال نكتفى بما اصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ماوراءها ان شاءالله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل فلما اتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما

واحببت ان تكف عن ذلك العدو وتسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به
من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر
بنحو ذلك وفيه امابعد فرمن قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى
يفتحها الله عليهم ثم كتب كتابا ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك به والا فأخوك
اسحاق بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم ايها الناس انى لكم ناصح
ولصلاحكم محب ولكم فى كل مايحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى بما رضيه
ذوو احلامكم واولو التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى
ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى ارض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم
بالامس وانما انا رجل منكم امضى اذ مضيتم وآبى اذا ابيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى
على عدو الله ولانسمع له ولانطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى
وله صحبة رضى الله عنه فقال بعد حمد الله امابعد فان الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الاول
احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك وان الحجاج ما يبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم
بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب ٣ فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك
زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لايبالى عنتهم ولايبقى عليهم
اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن فانى اشهدكم انى اول خالع فنادى الناس من كل
جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان اطعتم
الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجركم تجمير فرعون الجنود (التجمير حبس الجيش
فى ارض العدو من غير رجوع) فانه بلغنى انه اول من جمر البعوث ولن تعاينوا الأحبة اويموت
اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس
الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من ارض العراق وعلى النصرة لعبد الرحمن
ولم يذكروا عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيبانى وعلى زرنج
عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلاخراج عليه ابدا مابقى
وان هزم فاراد منعه رجع الى العراق وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى
وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا
اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس
خلع عبد الملك تيجان بن ابجر من بنى تيم الله بن ثعلبة قام فقال ايها الناس انى خلعت ابا ذبان (كنية
عبد الملك) كخلع قميصى فخلعه الناس الاقليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا
على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد اهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين
فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبر عبد الرحمن ويسأله أن يعجل بعثه بجنود اليه ولما بلغ
المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان امابعد فان اهل العراق قد اقبلوا اليك
وهم مثل السيل ليس يرده شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى اول مخرجهم
وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا اولادهم ثم واقعهم عندها
فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه شتمه وسبه وقال مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه يعنى

٣ قوله اللهوب له معان منها مهاوى ما بين كل جبلين وقوله اللصوب هى الشعاب الضيقة فى الجبل اه مؤلف

عبدالرحمن لان كلا من المهلب وعبدالرحمن من قحطان ثم بعد وقوع بعض الوقائع بين الحجاج
وعبد الرحمن نظر فى كتاب المهلب فاستصوب ماقاله وقال لله دره اى صاحب حرب هو
ولما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه الكتاب
فقال ياامير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى أتخوفه فجهز
عبدالملك الجند الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل
بعبدالملك كل يوم بخبر عبدالرحمن فنزل الحجاج البصرة ولما اجتمع الجند عنده سار من البصرة
ليلقى عبدالرحمن ولم يتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم كما كتب اليه المهلب فنزل تستر
وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبدالرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال
شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة
الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبدالرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم
واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق فاقبل
عبدالرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع اهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال
الحجاج ومن معه من اهل الشام ثم دخل عبدالرحمن ومن معه الكوفة وبايعه اهلها وصار له
جيش يبلغ مائة الف فيهم كثير من الصحابة وابنائهم وعلماء التابعين وغيرهم وممن بايع
عبد الرحمن وكان فى جيشه سعيد بن جبير والشعبى وعبدالرحمن بن ابى ليلى وهؤلاء من
كبار علماء التابعين ومن الصحابة ابو الطفيل عامر بن واثلة ووقع بينهم وبين جيوش الحجاج
وقائع كثيرة فى اكثرها كان النصر لجيوش عبدالرحمن ثم ان عبدالملك واهل الشام قالوا
ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك
الدماء فبعث عبدالملك ابنه عبدالله واخاه محمد بن مروان الى الحجاج فى جند كثيف وامرهما
ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على اهل الشام
وان ينزل عبدالرحمن بن الاشعث اى بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه مادام حيا
وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزل الحجاج وصار محمد بن مروان امير
العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان
وعبدالله بن عبدالملك فى طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك
فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزله عنهم فكتب الى عبدالملك والله لو اعطيت اهل
العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك
وذكر له اشياء مما فعله اهل العراق ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم قال له ان الحديد بالحديد
يفلح فأبى عبدالملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبدالله بن عبدالملك ومحمد
ابن مروان مع الحجاج خرج عبدالله بن عبدالملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين
وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم
كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن
الاشعث فقال لهم قد أعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان
كانوا اعتدوا عليكم بيوم كذا فانتم تعتدون عليهم بيوم كذا فاقبلوا ماعرضوا عليكم وانتم

اعزاء

اعزاء اقوياء لقوم لكم هائبون وانتم لهم منتقصون فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا مابقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة والله لانقبل واعادوا خلعه ثانية وابلغوا ذلك عبدالله بن عبد الملك ومحمد بن مروان فقالا للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد امرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لايراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة ثم اعيد القتال واشتد الامر وتفصيل ذلك يطول وجملة الايام التى اقتتلوا فيها مائة يوم وثلاثة ايام ثم وقعت الهزيمة على اصحاب عبدالرحمن ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبدالله بن عبدالملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس الذين كانوا مع عبد الرحمن وكان لايبايع احدا الاقال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والاقتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له انت متربص اتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبدالله ثمانين سنة ثم اشهد على نفسى بالكفر قال اذن اقتلك قال وان قتلتنى فقتله ولم يبق أحد من اهل الشام والعراق الارحمه ثم أتى بعده بآخر فقال له الحجاج أرى رجلا ماأظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعنى عن نفسى انا اكفر اهل الارض واكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأتى بمحمد بن سعد بن ابى وقاص فقال له ياظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وعبدالله بن عمر ثم صرت مؤذنا لابن الاشعث وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم اتى بعمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر فقال ياعبد المرأة يقوم بالعامود على رأسك ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى انه ينفعك فرجى له السلامة ثم أمر به فقتل واتى الحجاج بأسيرين فامر بقتلهما فقال احدهما ان لى عندك يدا قال وماهى قال ذكر عبدالرحمن بن الاشعث يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال وينفعنى الصدق عندك قال نعم قال منعنى البغض لك ولقومك فقال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه وقتل الحجاج يوم الهزيمة ممن قبض عليهم عشرة آلاف ولما انهزم اصحاب عبدالرحمن بن الاشعث نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم الباهلى فهو آمن وكان قد ولى قتيبة الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقالوا له انه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فأرسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن ابى مسلم وكان صديقالى فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج فرأيت غير ماذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت ايها الامير ان الناس قد امرونى ان اعتذر بغير مايعلم الله انه الحق وايم الله لااقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة

ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت عنا فبحلمك و بعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج انت والله احب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول مافعلت ولاشهدت وقد امنت ياشعبي كيف وجدت الناس بعدنا فقلت اصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب ٣ واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال انصرف ياشعبي فانصرفت واما سعيد ابن جبير فانه اختفى ثم هرب الى خراسان وتنقل الى اماكن كثيرة مختفيا ثم جاور بمكة فلما ولى امارة مكة خالد بن عبد الله القسرى بعد موت عبد الملك ومبايعة ابنه الوليد قيل لسعيد بن جبير ان خالدا رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستحيني ما كتب الله لى فلما قدم خالد مكة كتب له الوليد بحمل اهل العراق الى الحجاج فاخذ سعيد بن جبير وارسله مع حرسيين فانطلق احدهما لحاجة و بقى الآخر فقال لسعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل لى تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فانى لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى تلك الرؤيا ثلاثا و يأذن لسعيد فى الذهاب وهو لايفعل فقدموا به الكوفة فانزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك و بنية له فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به أقبل عليه فقال ياسعيد الم اشركك فى امارتى الم افعل بك كذا الم استعملك قال بلى قال فما اخرجك على قال انما انا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة و يصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وانتفخ وقال ياسعيد الم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة اهلها واخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فاخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين وتوفى بواحدة للحائك ابن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذن لسعيد كما سمتنى امى فامر به فضربت عنقه فلما سقط رأسه هلل ثلاثا فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه واخذوا القيود وكان الحجاج اذانام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير وعاش الحجاج بعده اياما ثم هلك قال الامام الشعرانى فى الطبقات قتله فى شعبان وتوفى الحجاج فى رمضان وكان بينهما خمسة عشر يوما وفى تاريخ بن خلكان ان الحجاج رؤى فى النوم بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وكان عمر سعيد بن جبير سبعا واربعين سنة وقيل سبعا و خمسين قيل ان سعيد بن جبير قال اللهم لاتسلطه على احد بعدى فلم يقتل احدا بعده قال الامام احمد قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه وكان قتله سنة اربع وتسعين وقيل خمس وتسعين فبين قتله وانتهاء فتنة ابن الاشعث احدى عشرة سنة فقد كان ابتداء فتنة ابن الاشعث سنة احدى وثمانين وانتهاؤها سنة ثلاث وثمانين واما ابن الاشعث فانه لما انهزمت جيوشه سار الى رتبيل ملك الترك فاكرمه وآواه ثم ارسل اليه الحجاج يتوعده و يتهدده فقتله وبعث برأسه الى الحجاج وقيل بل اصابه مرض فمات فقطع رأسه وارسله للحجاج فبعث به الى

عبدالملك فطيف به في الشام ليريه الناس ثم ارسله لاخيه عبدالعزيز بن مروان بمصر فطيف به في مصر وكان ذلك سنة خمس وثمانين

﴿ فتح قالي قلا ﴾

في سنة احدى وثمانين سير عبدالملك بن مروان ابنه عبيدالله في جيش ففتح قالي قلا وفي هذه السنة هجم جماعة من الديلم على قزوين فتصايح الناس واغلقوا الابواب وقاتلوهم قتالا عظيما وظفر المسلمون بهم فلم يفلت منهم احد وفي هذه السنة كان يزيد بن المهلب في مفازة بست في ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فقاتلوهم قتالا شديدا فقتلوا كثيرا من الترك الى أن انهزموا وفي سنة اثنين وثمانين توفي المهلب واستخلف على خراسان ابنه يزيد فاقره الحجاج وفي سنة اربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس بعد حصار وقتال فلكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها معظما لها وفي هذه السنة غزا عبيدالله بن عبدالملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب وولى اخاه الفضل بن المهلب فغزا باذغيس وأصاب مغنما فقسمه فاصاب كل رجل ثمانون ثم غزا أخرون (اسم بلد) وشومان فغنم وقسم ما اصاب ولم يكن للفضل بيت مال كان يعطي الناس كلما جاءه شيء وان غنم شيأ قسمه فيهم وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان ارمينية فصاف بها وشتى وفي سنة ست وثمانين توفي عبدالملك بن مروان وولى ابنه الوليد فابقى الحجاج وولى الحجاج خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي وباهلة من قيس عيلان بن مضر وعزل الفضل وافتتح قتيبة خوارزم وسمرقند وبخارا وقد كانوا كفروا بعد فتحها الاول وبلغ مالم يبلغه المهلب ولا غيره فجهز قتيبة عند قدومه الجيوش للغزو فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك أخرون وشومان كان يسيء جواره ثم سار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكها على فدية اداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو (احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهي مرو وهراة وبلخ ونيسابور) واستخلف على الجند اخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهي من فراغانة وفتح اخشيكت وهي مدينة فرغانة القديمة وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم وفي سنة سبع وثمانين كتب قتيبة الى نيزك طرخان صاحب باذغيس ان يطلق من عنده من اسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فأطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب له قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيدالله بن ابي بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به او يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه ياسليم ما اظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلي فقال له سليم انه رجل شديد في سلطانه سهل اذا سوهل

صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فأحسن حالك عنده فعقد الصلح لاهل بإذغيس على ان لا يدخلها قتيبة وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وقيل ان الذى غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من الف وسبى ذريتهم ونساءهم

﴿ ذكر غزوة قتيبة بيكند ﴾

كانت غزوة بيكند سنة سبع وثمانين وهي ادنى مداين بخارا سار اليهم قتيبة بجيوشه فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير واخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وابطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه اهل بخارا مالا ليردعنهم قتيبة فأتاه سرا من الناس وقال له ان الحجاج قد عزل وقد اتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من ان يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر اصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنها يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن اخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة افدى نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها الف الف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذا زيادة في الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم ابدا فأمر به فقتل واصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصر ولا اصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

﴿ ذكر فتح طوانة من بلد الروم ﴾

في سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثر واعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوا فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها قيل وفي هذه السنة ايضا غزا مسلمة بن عبد الملك

الروم ايضا ففتح ثلاثة حصون احدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من الف واخذ الاموال

﴿ ذكر غزو نومشكث وراامثنة ﴾

في هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو اخاه يسار بن مسلم فتلقاه اهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه اهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد واهل فرغانة في مائتي الف وملكهم ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم اخا قتيبة وهو على الساقة بينه و بين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما اقربوا منه ارسل الى قتيبة يخبره وادركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون عليه فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو وفي سنة تسع وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذرولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

﴿ ذكر غزو قتيبة بخارا ﴾

في هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقي الصغد واهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه أن كس بكش وانسف نسف ورد وردان واياك والتحويط ودعني من ثنيات الطريق فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد والترك ومن حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الأزد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا و بين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل و بكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم احد من العرب فاتى قتيبة بني تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع بن حسان بن قيس التميمي اللواء وقال يابني تميم اتسلمونني اليوم قالوا لا يا ابا مطرف وكان هريم ابن ابي طمحة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع ياهريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم و بين الترك فوقف فقال

وكيع تقدم ياهريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا احمق فقال وكيع يا ابن اللخناء أترد امرى فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم فى الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم فى الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى احدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فأتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعى فجاء رجل من الأزد برأس فقيل له من انت فقال قريعى فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدى فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعى فظننت انه ينبغى لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

﴿ ذكر صلح قتيبة مع الصغد ﴾

لما اوقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة وطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه قتيبة الى ماطلب ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك

﴿ ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان ﴾

لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا يعنى قتيبة ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان واسرع السير حتى اتى النوبهار قال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة واظهر نيزك الخلع وكتب الى اصبهبد بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفارياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه

قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة و صلب منهم سماطين اربعة فراسخ في نظام واحد ثم استعمل على الطالقان اخاه عمر بن مسلم ثم سار الى الفارياب فخرج اليه ملكها مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من اهله و بلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم اتى بلخ فلقيه اهلها فلم يقم بها الايوما واحدا وسار يتبع اخاه عبدالرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع مقاتلته فى قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لايقدر على دخوله ولايعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب اومفازة لا تحتملها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التى من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان فى الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم اخاه عبدالرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادى فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبدالرحمن يتبعه فنزل عبدالرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبدالرحمن فرسخان فتحصن نيزك فى الكرز وليس اليه مسلك الامن وجه واحد وهو صعب لاتطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل مافى يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح وكان يصادق نيزك فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتينى به من غير أمان فان احتال وأبى فأمنه واعلم انى ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبدالرحمن لايخالفنى فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبدالرحمن خيلا فكانت هنالك وحمل سليم معه اطعمة وأخبصة اوقارا واتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأى قال أرى أن تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك اوسلم قال نيزك كيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكنى ارى ان لايعلم حتى تضع يدك فى يده فانى ارجو ان يستحى ويعفو قال انى ارى نفسى تأبى هذا وهو ان رآنى قتلنى فقال سليم ماأتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وتعود حالك عنده فاذا أبيت فانى منصرف وقدم سليم الطعام الذى معه ولاعهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لا آمنه على نفسى ولاآتيه الا بأمان وان ظنى ان يقتلنى وان أمننى ولكن الامان اعذر الى قال ابن خلدون ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب وهو يمتنع حتى قال وانه قد امنك وقوله ولم يزل الخ هو مثل من امثال العرب يضرب فى الخداع والمماكرة اه ميدانى فقال سليم قد أمنك افتتهمنى قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الاحقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان

صاحب شرطته وشقران ابن اخى نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التى خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان فى الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فأتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم فى قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب عنقه بيده وأمر بقتل صول وابن اخى نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة وقيل اثنى عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج واخذ الزبير مولى عباس الباهلى حقا لنيزك فيه جوهر فكان اكثر من فى بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب بن محمد واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده وذلك سنة احدى وتسعين

﴿ ذكر قتل ذاهر ملك السند وفتح السند ﴾

قد تقدم ذكر اول غزو المسلمين السند فى سنة ثلاث واربعين فى خلافة عثمان رضى الله عنه وان عبد الله بن عامر استعمل على ثغر السند عبد الله بن سواد العبدى وفى سنة اربع واربعين غزا المهلب بن ابى صفرة ثغر السند عاملا للحكم بن عمرو الغفارى حين كان على خراسان وفى سنة خمس وسبعين كان على ثغر السند مجاعة بن مسعر التميمى من قبل الحجاج وفى سنة تسع وثمانين تم فتح بقية السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن الحكم بن ابى عقيل الثقفى ابن عم الحجاج لان الحجاج هو بن يوسف بن الحكم فيجتمع هو والحجاج فى الحكم بن ابى عقيل ولى الحجاج محمد بن القاسم المذكور واستعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم اتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم والبد صنم فى بناء عظيم وكان تحت منارة عظيمة مرتفعة وفى رأس المنارة دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصر الديبل وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم خرجوا اليه فناهضهم القتال فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلاليم فنصبت فصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر

ملك

ملك السند عنها وانزلها محمد بن القاسم اربعة آلاف من المسلمين و بنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم ثم سار عنها فجعل لايمر بمدينة الافتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه اهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ثم عبر نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه ذاهر بن صعصعة ثم عقد الجسر على النهر فقاتله ذاهر وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة وهم قواد السند فاقتتلوا اقتتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقاتل حتى قتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا فلما قتل ذاهر لحقت امرأة ذاهر بمدينة راور فساروا اليها وخافته فاحرقت نفسها وجواريها وملك المدينة ولحق المنهزمون بمدينة برهمنا باذ العتيقة ففتحها عنوة وقتل من وجد بها وخربها ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر بياس الى الملتان فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقتل سدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع فى بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة فى وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال و يحج ٣ من البلاد و يحلقون رؤسهم ولحاهم عنده و يزعمون ان صنمه هو ايوب النبى صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوح محمد بن القاسم ونظر الحجاج فى النفقة على ذلك الثغر فكان ستين الف الف درهم ونظر فى الخمس الذى حمل اليه فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا النصف وهو ستون الف الف وادركنا ثارنا ورأس ذاهر ولما مات الحجاج سنة خمس وتسعين كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وقيل بل قتل ونزل اهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ومات الوليد بن عبد الملك وولى اخوه سليمان فعزل محمد بن القاسم عن السند وولاها يزيد بن ابى كبشة السكسكى فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فبكا اهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فعذبه صالح ثم قتله وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى الخوارج ومات يزيد بن ابى كبشة بعد قدومه ارض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم وغلبوا عليها فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه اهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة بن ذاهر والملوك وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو ابن مسلم الباهلى عامل عمر بن عبد العزيز على ذلك الثغر

﴿ ذكر غزو الهند وفتحه ﴾

لما كان عمرو بن مسلم الباهلى عاملا لعمر بن عبد العزيز على السند غزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن المرى ولى السند ايام هشام بن عبد الملك فاتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة

٣ قوله و يحج بالبناء للمفعول مؤلف

ابن ذاهر العبور وارسل اليه اني قد اسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك فاعطاه رهنا واخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادوا وكفر جيشبه وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا في بطيحة فاخذ جيشبة اسيرا فقتله وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضي الى العراق ويشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله وكان ذلك سنة سبع ومائة وغزا الجنيد الكيرج من آخر الهند وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشا وصك بها سور المدينة والكباش آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم فلما صك السور بالكباش ثلمه فدخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروبج وبعث جيشا الى ازين فاغاروا عليها واحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل اربعون الف الف وحمل مثلها وولى الجنيد الهند تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ثم مات وفي ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولي الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر اهل الهند الا اهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمر بن محمد ابن القاسم الثقفي وكان يفوض اليه عظيم الامور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر امره فبنى مدينة سماها المنصورة فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة العباسية

﴿ ذكر فتوحات موسى بن نصير بافريقية ﴾

في سنة تسع وثمانين استعمل الوليد على افريقية موسى بن نصير فوصل الى افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم الف رأس وسيرابنه ايضا في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها مالا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر احد انه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد فقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه احد فاستأمن البربر اليه واطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فربقلعة مجانة فتحصن اهلها منه وترك عليها من يحاصرها حتى فتحت وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك وفي هذه السنة اعني تسعا وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وغزا مسلمة ايضا ارض الروم سنة تسعين ففتح حصونا خمسة س العباس بن الوليد حتى بلغ ارذن ١هر

ملك

﴿ ذكر غزو قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ﴾

فى سنة احدى وتسعين سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقدما على شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل اخاه صالح بن مسلم الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفنى من قتيبة وانا امنع الملوك حصنا فاتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجل فى مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وكان ملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة ببخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا تملك ببخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه وفى هذه السنه غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق وغزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم فى سنة ثنتين وتسعين ففتح حصونا ثلاثة وجلا اهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ ذكر فتح الاندلس ﴾

فى سنة ثنتين وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس فى اثنى عشر الفا وكانوا قبل ذلك سبعة آلاف فنزلوا جبل طارق ثم امدهم موسى بخمسة آلاف فصاروا اثنى عشر الفا فلقى ملك الاندلس بعد ان جمع جيوشه فى اعمال شذونة فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الملك وكان جيشه مائة الف واتصلت الحرب ثمانية ايام ثم قتل ملكهم قتله طارق بيده وهزم الله الكفار وسار طارق متبعا لهم فادرك خلقا من المنهزمين فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزموا ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون له بلدا بلدا ومعقلا معقلا فتوغل فى بلاد الاندلس ففتحها مدينة بعد مدينة والكلام على ذلك يطول وهو مبسوط فى التواريخ واستقامت الامور وعلا الاسلام واما القتلى من الكفار من اول الفتح الى آخره فشئ كثير لا يمكن احصاؤه والمسلمين بالنسبة لذلك قليل جدا واما الغنائم من الذهب والفضة والخيل والجواهر

والاثاث وبقية الاشياء فشئ كثير لايمكن حصره ولاضبطه وكانت توجد الطنفسة منسوجة
بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فكان الجند اذا
وجدوها لايستطيعون حملها فيأتون بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ احدهم نصفها والاخر
النصف الآخر ومما وجد فى تلك الغنائم مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر
واصناف الجواهر الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكى مرصعة بالجواهر ووجد فيها من الدر
والياقوت اكيال ومن اوانى الذهب والفضة مالايحيط به وصف ومما وجدوه مائدة سليمان
عليه السلام قيل انها من منهوبات بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل انها لم تكن لسليمان
وانما اصلها ان العجم فى ايام ملكهم كان اهل الثروة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال
للكنائس فصاغوا من ذلك المال تلك المائدة وكانت مصوغة من الذهب وقيل من الذهب
والفضة مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم يرالراؤن مثلها وكان عليها طوق لؤلؤ
وطوق ياقوت وطوق زمرد كلها مكللة بالجواهر وحافاتها وارجلها منها وكان لها ثلاثمائة
وستون رجلا وقيل وخمسة وستون فحملت الى الوليد ومعها ثلاثون الف رأس من السبي
ومن الذهب والفضة والجواهر ونفائس الامتعة مالايقدر قدره وكان ابتداء القتال والفتح
لليلتين بقيتا من رمضان سنة ثنتين وتسعين والتحق موسى بن نصير بمولاه طارق بن زياد
فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومعه ثمانية عشر الفا وتوغلا فى الاندلس الى ان وصلوا
الى بلاد الافرنج فنمى الخبر الى الوليد بن عبد الملك واشتد قلقه على المسلمين فبعث اليهم يأمرهم
بالرجوع قيل انهما انتهوا الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصابوا فيها صنما عظيما قائما
كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فاذا فيها يابنى اسماعيل انتهيتم فارجعوا
وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب
بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجعوا سنة خمس وتسعين وولى موسى على افريقية
ابنه عبد الله وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز وعلى طنجة ابنه عبد الملك فصار جميع الاندلس
والمغرب بين اولاده ورجع هو ومولاه طارق قيل كان رجوعهم قبل وفاة الوليد وقيل
بل كان بعد موت الوليد وولاية سليمان وقيل قدموا والوليد مريض مرض الموت
ثم اتسع امر المسلمين بالاندلس وصار لهم ملك ضخم ثم استولى عليها النصارى شيأ فشيأ
الى سنة تسعمائة واربعة فاستولوا عليها جميعها وبقى قليل من المسلمين لاناصر لهم قاموا فى بعض
الجبال على النصارى ثم تقووا عليهم واخرجوهم وكان آخرهم خروجا سنة الف وعشرة
واسأل الله ان يهيئ للاسلام من ينصره حتى يسترجع مااستولى عليه الكفار

﴿ ذكر غرق المسلمين الذين حصل منهم غلول فى غنائم الاندلس ﴾

لما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى جزيرة [illegible] ... ة وهى
فى بحر الروم من اكبر الجزائر كثيرة الفواكه فدخلها المسلمون وعمد [illegible] ... الى مالهم
من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى المينا التى لهم وجعلوا اموالهم [illegible] ... وامره للبيعة
العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالايحد ولايوصف [illegible] ... وا الغلول

فاتفق ان رجلا اغتسل فى الميناء فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة فأخذ المسلمون جميع مافى الميناء ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فى سقف الكنيسة فرماه بسهم فأخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير فاستخرج المسلمون جميع ماكان فى السقف واخذوه وازدادوا اغلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى مافى جوفها ويملأ جلدها دنانير ويخيط عليه ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن و يملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على اوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزا هذه الجزيرة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى وكان على الاندلس فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم ثم منعوا وبقيت لم يغزها احد بعده فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فروا بجنوة ففتحوا المدينة واوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها واحرقوا مراكب كثيرة واخربوا جنوة وغنموا مافيها وفى سنة ست واربعمائة غزاها مجاهد العامرى من الاندلس وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية ولم تغز بعد ذلك

﴿ ذكر غزو سجستان ﴾

وفى سنة ثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم سجستان واراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان ارسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله الليثى

﴿ ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد ﴾

فى سنة ثلاث وتسعين صالح قتيبة بن مسلم خوارزم شاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه اخوه خرزاد على أمره وكان اصغر منه وكان اذا بلغه أن عند احد ممن هو منقطع الى الملك جارية اومالا اودابة او بنتا اواختا اوامرأة جميلة ارسل اليه واخذه منه وكان لايمتنع عليه احد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لااقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى ارضه ليسلمها له واشترط عليه ان يدفع اليه اخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع احدا من مرازبته على ذلك فاجابه قتيبة الى ماطلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزم شاه اجناده ودهاقينه وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا نتنعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزم شاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لاارى ذلك لانه قد عجز عنه من هو اقوى منا واشد شوكة ولكنى اصرفه بشئ أؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزم شاه ونزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهى احصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزم شاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع

وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة الف رأس ثم بعث قتيبة اخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان احد اعداء خوارزم شاه وكان يغازى خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على ارضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزم شاه اخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع اموالهم الى قتيبة

﴿ ذكر فتح سمرقند ﴾

لما قبض قتيبة صلح خوارزم شاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمى فقال له سرا ان اردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل وانما بينك و بينهم عشرة ايام فقال اشار عليك بهذا احد قال لا قال فسمعه منك احد قال لا قال والله لئن تكلم به احد لاضرب عنقك فلما كان الغد امر اخاه عبد الرحمن فسار فى الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة الى الصغد واكتم الاخبار فانى فى الاثر ففعل عبد الرحمن ماامره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذى بيننا وصنعوا مابلغكم وانى ارجو ان تكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث او اربع فحصرهم بسمرقند شهرا واستجاشوا ملك الشاش واخشاد خاقان وفرغانة وكتبوا الهم ان العرب ان ظفروا بنا أتوكم بمثل ما اتونا به فانظروا الانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لايجدون كجدنا فانتخبوا اهل النجدة من ابناء الملوك والمرازبة والاساورة والابطال وولوا عليهم ابن خاقان وامروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول بحصار سمرقند فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره ستمائة فارس من الشجعان وبعث بهم اخاه صالح بن مسلم وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلمارأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم نر قوم كانوا أشد من أولئك قال بعض اصحاب صالح انا لنقاتلهم فى الليل اذ رأيت قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتنى فقلت كيف ترى بأبى وامى قال اسكت فض الله فاك ثم قاتلوهم اشد القتال فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واجتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا اماقتلتم الا ابن ملك اوعظيما اوبطلا كان الرجل منهم يعد بمائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين اصبحنا فلم يأت احد بمثل ماجئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمنى قتيبة واكرم معى جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذى رأى منى ولما رأى اهل الصغد ذلك خافوا خوفا شديدا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانه يناجى نفسه حتى متى ياسمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن اصبحت لأحاولن من اهلك اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا واخبر الخبر فـ[...]وا الغلو

قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة السور فجملوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فأرسل الصغد الى قتيبة فقالوا انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لانصالحهم الاورجالنا على الثلمة فصالحوه والرجال على الثلمة على الف الف ومائتي الف مثقال في كل عام وان يعطوه في تلك السنة ثلاثين الف رأس وان يخلوا لقتيبة مدينة سمرقند فلا يكون لهم فيها مقاتل الى ان يبني فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنى المسجد دخلها قتيبة في اربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب واكل طعاما ثم ارسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجا منها ولست آخذ منكم الاما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها فأكرههم على اقامة جند فيها وقيل انه شرط عليهم ايضا بيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك واتى الاصنام فكانت كالقصر العظيم واخذ ماعليها من الحلية وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك علي واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها اصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا احرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين الف مثقال واصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ولما بعث قتيبة بالفتح الى الحجاج انتقل الى مرو واستعمل على سمرقند اياس بن عبد الله ثم ان اهل خوارزم استضعفوا اياسا فجمعوا له جوعا وارادوا قتاله فوجد قتيبة جوعا الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله وعزل اياسا من سمرقند وولى اخاه عبد الله بن مسلم فلما قدم المغيرة على سمرقند خشي ملكهم من ابناء الذين كان قتلهم ففر الى بلاد الترك وجاء المغيرة فقتل وسبى وملك خوارزم وصالحه الباقون على الجزية

﴿ ذكر غزوة قتيبة الشاش وفرغانة ﴾

في سنة اربع وتسعين قطع قتيبة النهر وفرض على اهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين الف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانه فأتى خجندة فجمع له اهلها جوعا واقتتلوا معه مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة واتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ويزيد بن ابي كبشة ارض سورية

﴿ ذكر غزوة الشاش ﴾

في سنة خمس وتسعين بعث الحجاج بجيش من العراق الى قتيبة فغزا بهم الشاش فلما كان بشاش او بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذلك ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف امير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وامير المؤمنين رافعك بلاده وولي بك الذي يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن امير المؤمنين

كتبك حتى كأنى انظر الى بلائك والثغر الذى انت فيه وفى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وقد تقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

فى سنة ست وتسعين غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وارسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مداين الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر فغنم وسبى سبيا فختم اعناقهم واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا انصرف حتى أطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبى خراجهم فساروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليه دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا احد الا انتشر ماعنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبال فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى وانتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن امر فان لم تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ماصنعتم قال اما زينا اليوم الاول فلباسنا فى اهلنا واما اليوم الثانى فزينا اذا أتينا امراءنا واما الثالث فزينا لعدونا قال مااحسن مادبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف اميرنا ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية قال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب ارضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها ثم بعث اليه بهدية واربعة غلمان من ابناء ملوكهم وشئ من تراب ارضهم واجاز

العشرة الوافدين فاحسن جائزتهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب ووصل الخبر الى قتيبة فى هذه الغزوة بموت الوليد فرجع

﴿ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم ﴾

كان قتيبة فحل عمال الدولة الاموية والحجاج فرعونها ومكث قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة وفتح كثيرا من المداين التى كانت فتحت قبله ثم كفر اهلها وتغلبوا فقاتلهم حتى فتحها وفتح غيرها ايضا كما تقدم وفى هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين قتل وعمره سبع واربعون سنة وسبب قتله موافقته للوليد بن عبد الملك حين اراد خلع اخيه سليمان وذلك ان عبد الملك بن مروان عهد بالخلافة لابنه الوليد ثم من بعده لاخيه سليمان فاراد الوليد ان يخلع اخاه سليمان ويبايع لابنه عبد العزيز فلم يوافقه على ذلك الا الحجاج وقتيبة بن مسلم ثم مات الحجاج ثم مات الوليد ولم يتمكن من خلع اخيه فبويع لاخيه سليمان فخاف قتيبة منه وكان سليمان بن عبد الملك صديقا ليزيد بن المهلب فخاف قتيبة ان يعزله ويولى يزيد بن المهلب فدعى الناس لخلع سليمان وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان عن رياسة بنى تميم وصيرها لضرار بن حصين الضبى فلما اراد خلع سليمان لم يوافقه وكيع وتجمع معه كثير من قومه فثار من ذلك فتنة بين المسلمين بخراسان يطول الكلام بذكرها فقتل فيها قتيبة وقتل معه من اهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير ابنه وكان عدة من قتل مع قتيبة من اهل بيته احد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم اخو قتيبة وحمل رأس قتيبة ورؤس اهل بيته الى سليمان بن عبد الملك وقام بالامر بخراسان وكيع بن حسان تسعة اشهر ولما قتل قتيبة قال رجل من اهل خراسان يامعشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه فى تابوت وكنا نستسقى به ونستفتح به وفى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الوضاحية ففتح الحصن الذى فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة ارض الروم فى البحر فشتى بها

﴿ ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان ﴾

كان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق وبعد مقتل قتيبة بتسعة اشهر ولاه خراسان فاقام عمالا له بالعراق وتوجه الى خراسان

﴿ ذكر فتح جرجان وطبرستان ﴾

فى سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد الا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد مافعلت جرجان التى قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشئ الشأن هى جرجان ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فلا

يقدم عليه احد فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها فى مائة الف من اهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالى والمتطوعة فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان اهلها طائفة من الترك وكان اهلها يخرجون و يقاتلون فيهزمهم المسلمون فى كل ذلك فاذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزموا ودخلوا الحصن ثم الح عليهم القتال وقطع عنهم المواد واشتد عليهم الحصار فطلب الصلح صول دهقان قهستان على ان يؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبى مالا يحصى وقتل اربعة عشر الف تركى صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى اتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف واحيانا مائتى الف واحيانا ثلاثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة ابن مسلم حين ولى خراسان و بقى امر جرجان كذلك حتى ولى يزيد بن المهلب فاتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع فى طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكرى على ساسان وقهستان وخلف معه اربعة آلاف ثم اقبل الى أدانى جرجان مما يلى طبرستان فاستعمل على ايزوسا راشد بن عمرو وجعله فى اربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبد صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه اخاه ابا عيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه واباالجهم الكلبى من وجه ومع كل منهما جيش وقال اذا اجتمعتم فابو عيينة على الناس فسار ابو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبد اهل جيلان والديلم فأتوه فالتقوا فى سفح الجبل فانهزم المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخل المسلمون وصعد المشركون فى الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم ابو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون فى الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الاصبهبد فكاتب اهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه و بين بلاد الاسلام و يعدهم ان يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم اجمعين وهم غارون فى ليلة وقتل عبد الله بن المعمر ومن معه فلم ينج منهم احد وكتبوا الى الاصبهبد باخذ المضايق والطرق و بلغ ذلك يزيد بن المهلب واصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وكان من رؤساء جنده ليسير الى الاصبهبد فى عمل الصلح فاتى حيان الاصبهبد فقال له انا رجل منكم وان كان الدين فرق بينى و بينكم فانا لكم ناصح فانت احب الى من يزيد بن المهلب وقد بعث يستمد وامداده منه قريبة وانما اصابوا منه طرفا ولست آمن من أن يأتيك من لا تقوم له فأرح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم اصحابه فصالحه على سبعمائة الف واربعمائة وقر زعفران اوقيمته

من

من العين واربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم او من عندنا فقال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ما سألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان

﴿ ذكر فتح جرجان الفتح الثاني ﴾

قد تقدم ذكر فتح قهستان وجرجان ثم غدر اهله باصحاب يزيد بن المهلب فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بسائل دمائهم ويأكل من ذلك الطحين فاتاها وحصر اهلها بحصن فجاة سبعة اشهر وهم يخرجون اليه في الايام فيقاتلون ويرجعون وكانوا متمنعين في الجبل والاوعار فبينما هم كذلك اذ ظفروا برجل يعرف الطرق فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن وطرقه ومعالمه فانتخب معه يزيد ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال يزيد للرجل متى تصلون قال غدا العصر فساروا فلما كان الغد وقت الظهر احرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ذلك فهجم خالد بن يزيد ومن معه عليهم قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه وسار يزيد بمن معه يقاتلهم من جهة اخرى فاشعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا اجمعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فاعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره قيل ان الذين قتلهم اربعون الفا فلذلك كان عمر بن عبد العزيز يسمى يزيد بن المهلب جبارا واجرى الماء على الدم وعليه أرحا ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز واكل وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي وكتب بالفتح الى سليمان واخبره انه قد حصل من الخمس ستمائة الف الف فقال له كاتبه المغيرة بن ابي قرة مولى بني سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين امرين اما استكثره فامرك بحمله واما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء الا استقله فكأني بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت مخلدا في دواوينهم فان ولي وال بعده اخذك به وان ولي من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت فهو اسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب فكان الامر كما قال كاتبه فان عمر بن عبد العزيز لما ولي بعد سليمان طالبه [illegible]ذلك المال سنة تسع وتسعين وعزله وقيده وحبسه ثم هرب من السجن في مدة مرض عمر بن عبد العزيز ثم لما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز طلب يزيد بن المهلب فجمع جموعا وقاتل يزيد بن عبد الملك بعد ان خلعه وبايع الناس لنفسه وكانت جموع يزيد بن المهلب نحو مائة الف وآخر الامر قتل هو وكثير من اخوته واهل بيته وذلك سنة اثنتين ومائة وقصة ذلك طويلة مذكورة في التواريخ قيل ان يزيد بن المهلب اصاب في غنائم جرجان تاجا فيه جوهر فقال لاصحابه اترون احدا يزهد في هذا قالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدي فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لي فيه قال عزمت عليك فاخذه فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فلقي سائلا فدفعه اليه

فاخذ الرجل السائل فاتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

﴿ ذكر محاصرة القسطنطينية ﴾

وفى هذه السنة اعنى سنة ثمان وتسعين سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع اخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية وسبب ذلك انه مات ملك الروم فاتى اليون من اذربيجان لسليمان بن عبد الملك فاخبره بموته وضمن له فتح الروم فوجه ذلك الجيش مع اخيه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها امر كل فارس ان يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها امر بالطعام فالقى امثال الجبال وقال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ واغيروا فى ارضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام فى الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الغارات والزرع واقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فقالت الروم لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فاتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة بأيديهم فامر به فاحرق فقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان سنة تسع وتسعين وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سأله ان يدخل من الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان امر مسلمة وامره واحد وانهم فى امان من السبى والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد اعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا فى تلك الحظائر الا ما لا يذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقى الجند مالم يلقه جيش آخر حتى ان الرجل كان يخاف ان يخرج من العسكر وحده واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات فلما بويع عمر بن عبد العزيز بعده بعث الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم فرجعوا سنة تسع وتسعين وفى سنة مائة واحدى توفى محمد بن مروان وتوفى عمر بن عبد العزيز فبويع ليزيد بن عبد الملك وكان فى مدته الحرب المتقدم ذكره بينه وبين يزيد بن المهلب

﴿ ذكر غزوة الترك ﴾

فى سنة اثنتين بعد قتل يزيد بن المهلب استعمل يزيد بن عبد الملك على العراق وخراسان اخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد الملقب خذينة ومعناه الدهقانة ربة البيت لانه كان رجلا لينا متنعما وهو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن العاص لجده الحارث اخو مروان بن الحكم فاستضعفه الناس وسموه خذينة فطمعت وهى فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك صول فاقبلوا حتى نزلوا قصر محاصرين لمن فيه من المسلمين وفيه اهل مائة بيت من المسلمين بذراريهم وكان .

عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير استعمله سعيد خذينة فكتبوا اليه يستمدونه وخافوا ان يبطئ عليهم المدد فصالحوا الترك على اربعين الفا واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب اربعة آلاف مع المسيب بن بشر الرياحي من سائر القبائل فقال لهم المسيب من اراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه الف وقال ذلك ايضا بعد فرسخ فرجع الف آخر ثم اعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله الف فلما كان على فرسخين من العدو اخبره بعض الدهاقين بأن القوم اتاهم ملك الترك وبايعه كل الدهاقين غيري وانا في ثلاثمائة مقاتل فهم معكم وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم واعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر يعني قصر الباهلي الذي فيه اهل مائة بيت فبعث المسيب الى القصر المذكور رجلين عجميا وعربيا يأتيانه بالخبر فجاؤا في ليلة مظلمة وقد اجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل اليه احد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا فلانا من المسلمين الذين في القصر فدعاه فأعلماه قرب العسكر وسألاه هل عندكم امتناع غدا فقال لهما نحن مستميتون وقد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت امامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه اني سائر الى هذا العدو المحاصرين للقصر فمن احب ان يذهب فليذهب فلم يفارقه احد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذي اجراه الترك فلما كان بينه وبين الموضع الذي فيه الترك نصف فرسخ نزل وكان قد اجمع على بياتهم فلما امسى امر اصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب التي لهم فاعقروها فانها اذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا اوهنوه وان كثر اهله فلما دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت يمين رجل من المسلمين فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وقتلوا كثيرا منهم وعظيما من عظمائهم فانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القصر لاطلاق من فيه واحملوا من فيه ولا تحملوا من متاعهم الا الماء ومن حمل امرأة اوصبيا اورجلا ضعيفا لا يقدر على المشي حسبة فأجره على الله ومن ابى فله اربعون درهما وان كان في القصر احد من اهل عهدكم فاحملوه فأتوا القصر وحملوا من فيه واخرجوهم ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا في القصر احدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤنا بالامس من الانس قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل ان يلي العراق فهزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة اسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة

﴿ ذكر غزوة الصغد ﴾

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وقد كانوا نقضوا العهد واعانوا الترك على

المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد اغار الترك واعانهم اهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم وقال هم جباية امير المؤمنين يعني يأخذ منهم المال ففي استئصالهم ضياع له وفي رواية قال هم بستان امير المؤمنين وقد هزمتموهم افتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا اهل العراق الخلفاء غير مرة فهل ابادوكم فانكفوا عنهم ثم سار المسلمون الى واد بينهم و بين المرج فقطعه بعض العسكر وقد اكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون الى الوادي ثم تلاحق المسلمون وجاء الامير والناس فانهزم العدو وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه وسعوا في عزله فعزل سنة ثلاث ومائة وولي مكانه سعيد الحرشي بالحاء المهملة والشين المعجمة من بني الحريش بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ينتهي الى قيس بن عيلان بن مضر وفي سنة ثلاث ومائة غزا العباس ابن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة

﴿ ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد ﴾

لما قدم الحرشي خراسان كان الناس بأزاء العدو وقد نكبوا فخطبهم وحث الناس على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله ولما سمع اهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد اعانوا الترك على اصحاب خذينة فاجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا واقيموا واحملوا خراج مامضى واضمنوا له خراج مايأتي وعمارة الارض والغزو معه ان اراد ذلك واعتذروا انما كان منكم واعطوه رهائن قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه لا يرى امرا يكرهه فقال لهم ملكهم انا رجل منكم والذي اشرت به عليكم خير لكم فأبوا وخرجوا الى خجندة وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه ان يمنعهم وينزلهم مدينته فاراد ان يفعل فقالت امه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فأرسل اليهم سموا رستاقا تكونون فيه حتى افرغه لكم واجلوني اربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام ابن عبد الله الباهلي وكان قتيبة قد خلفهم فيه فقال نعم ولا انا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان اتتكم غزية قبل ان تدخلوه ليس لكم علي جوار فرضوا ففرغ لهم الشعب فجاء الخبر الى الحرشي فغزاهم وعاجلهم قبل ان يدخلوا شعب عصام وخرج اهل الصغد للقتال فانهزموا وقد كانوا حفروا خندقا وغطوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال فلما انهزموا اخطأهم الطريق واسقطهم الله في ذلك الخندق ثم حاصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة ليجيرهم فقال قد شرطت عليكم ان لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم فطلبوا الصلح من الحرشي على ان يردوا ما في ايديهم من سبي العرب ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف احد منهم بخجندة ولا يغتالوا احدا فان احدثوا حدثا استبيحت دماؤهم فقبل منهم وخرجوا من خجندة ونزلوا في العسكر وبلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة ممن كان في ايديهم

من المسلمين فقتل الذي قتلها فخاف منه بعض عظمائهم ان يقتله فنقض وخرج واعترض الناس ومعه جماعة منهم فقتل ناسا وتضعضع العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فامر بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف وغنم اموال الصغد وذراريهم واخذ منه ما اعجبه وكتب الى يزيد بن عبد الملك بالفتح وسرح الحرشي سرية الى حصن يطيف به وادى الصغد فتلقوها على فرسخ وقاتلوا فهزموا ودخلوا الحصن فحوصروا فيه ثم طلبوا الصلح على ان لا يتعرض نسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة فقبل منهم ذلك وبعث الامناء لقبض ما في القلعة فقبضوه وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وولى نصر بن سيار قبض صلح كش وكان في نسف خزائن منيعة فوجه اليها المسربل بن الخريت وكان صديقا لملكها فجاء للملك واخبره بما صنع الحرشي باهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال ان تنزل بأمان قال فما اصنع بمن لحق بي قال تجعلهم في امانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه الملك فقتله وصلبه ومعه الامان وكانت هذه الوقائع سنة اربع ومائة وفيها عزل الحرشي عن خراسان ووليها مسلم بن سعيد الكلابي .

﴿ ذكر غزو المسلمين بلاد الخزر وظفر الخزر بهم ﴾

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من ارمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر وهم التركمان في جمع كثير واعانهم قفجاق وغيرهم من انواع الترك ولقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا فقتل كثير من المسلمين واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه واقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال ثبيت يا امير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

﴿ ذكر غزوة أخرى على الخزر ﴾

ولما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا فولى يزيد على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وامده بجيش كثيف فسار لغزو الخزر فتسامعوا به فعادوا حتى نزلوا بالباب والابواب ونزل الجراح الى برذعة فاقام بها حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بأن بعض من معه من اهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح اليه فحينئذ امر الجراح مناديه فنادى في الناس ان الامير مقيم ههنا عدة ايام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره ان الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة فلما كان الليل امر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد وبث السرايا للنهب والغارة على ما يجاوره فغنموا وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا شديدا

فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل اهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة يرغوا فاقام عليها ستة ايام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه

﴿ ذكر فتح بلنجر ﴾

ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل اشد شىء على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ماكان يحجب عين الشمس فلم يرجع اولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض وانحدر الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فاصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين الفا ثم ان الجراح احضر صاحب بلنجر ورد اليه امواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو اربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان الترك والتركمان تجمعوا واخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى واد ركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه وادرك يزيد اجله قبل انفاذ الجيش وكان موته فى شعبان سنة خمس ومائة فلما مات يزيد وبويع اخوه هشام بن عبد الملك ارسل الى الجراح واقره على عمله ووعده المدد ثم ارسله اليه فقوى امر الجراح فغزا اللان فى سنة ست وصالحه اهلها فادوا الجزية ثم ان هشاما عزل الجراح عن ارمينية سنة سبع ومائة وولاها اخاه مسلمة بن عبد الملك الى سنة احدى عشرة ثم عزل اخاه مسلمة وولاها الجراح ثانية فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضا وانصرف سالما فجمعت الخزر جموعها وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام من ناحية اللان فلقيهم الجراح فيمن معه من اهل الشام فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل وكان قد استخلف اخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر واوغلوا فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا وكان اولا من عمال عمر بن عبد العزيز على خراسان ورثاه كثير من الشعراء ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الحرشى وكان قد عزل عن خراسان فقال له بلغنى ان الجراح قد انحاز عن المشركين

قال كلا يا امير المؤمنين الجراح اعرف بالله من ان ينهزم ولكنه قتل قال فما رأيك قال تبعثني على اربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم اربعين رجلا ثم اكتب الى امراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة الا ويستنهض اهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقيه جماعة من اصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لا يلقاه احد من اصحاب الجراح الارده معه ووصل الى خلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في اصحابه ثم سار عن خلاط وفتح القلاع والحصون شيأ بعد شيء الى ان وصل الى بردعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ باذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي ان يملكها فارسل بعض اصحابه الى اهل ورثان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت ما نأمرك به احسنا اليك واطلقناك والا قتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه فقال لهم اتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر ففي هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا اصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها احد فارتحل يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فاتاه فارس على فرس ابيض فسلم عليه وقال له هل لك ايها الامير في الجهاد والغنيمة قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على اربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق اصحابه في اربعة جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما بزغت الشمس حتى قتلوا اجمعون غير رجل واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين واخذهم الى باجروان فلما دخلها اتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش للخزر ومعهم اموال للمسلمين وحرم الجراح واولاده بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فما شعروا الا والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا اموالهم واخذ اولاد الجراح فاكرمهم واحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر ابن ملكهم فوبخ عساكره وذمهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا واشاروا عليه بجمع اصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع اصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشد قتال واعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحضرهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من مع الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق احد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين

و تبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنائم واطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى باجروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا هنالك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة ضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر اكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وارسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره واقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل اخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم وفي سنة ثلاث عشرة ومائة فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم واسر وسبى واحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر اصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم وانقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق فعزله هشام وولى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وسيأتي الكلام ان شاء الله على غزواته وما افتتحه وانما تابعنا الكلام الى سنة ثلاث عشرة لارتباط بعضه ببعض ولنرجع الى اتمام الكلام على الفتوحات الحاصلة في غير اذربيجان وارمينية من سنة خمس الى سنة ثلاث عشرة فنقول كان في سنة خمس غزوة لسعيد بن عبد الملك بارض الروم فبعث سرية في نحو الف مقاتل فأصيبوا جميعا وفي سنة ١٠٤ استعمل مسلم بن سعيد الكلابي اميرا بخراسان بعد عزل الحرشي عنها فغزا الترك بما وراء النهر سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون فوقف على الساقة عبيد الله بن زهير ومعه خيل بني تميم حتى عبر الناس سالمين وغزا مسلم ايضا تلك السنة افشين فصالح اهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وفي سنة خمس ايضا غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونيه من ارض الروم وكمخ

﴿ ذكر غزو مسلم بن سعيد الكلابي الترك ﴾

في سنة ست ومائة قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من اصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد ابن عبد الله القسري يخبره بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه ان خاقان قد اقبل عليه وانه في موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم واقبل اليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين واصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين ثم اطاف خاقان بالعسكر وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر فرحل مسلم بالناس فسار ثمانية ايام والترك يحيطون بهم واصاب الناس عطش واحرق الناس ما ثقل من الامتعة فحرقوا ما قيمته الف الف واتوا خجنده فأصابتهم مجاعة ولما أراد عبور النهر والترك محيطون به أمر

مسلم الناس ان يختر طوا سيوفهم و يحملوا ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فأفرجوا لهم فعبروا ثم وافاه كتاب خالد بن عبد الله بعزله وولاية اخى خالد وهو اسد بن عبد الله القسرى وفى سنة سبع ومائة ملك الجنيد بن عبد الرحمن بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشبه وتقدم تفصيل ذلك

﴿ ذكر غزوة بالاندلس ﴾

فى سنة سبع ومائة غزا عنبسة بن سحيم الكلبى عامل الاندلس لهشام بن عبد الملك بلد الفرنج فى جمع كثير ونازل مدينة قرقونه وحصر اهلها فصالحوه على نصف اعمالها وعلى جميع ما فى المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه فعاد عنهم عنبسة

﴿ ذكر غزوة الغور ﴾

فى هذه السنة غزا اسد بن عبد الله الغور وهو جبال هراة فعمد اهلها الى اثقالهم فصيروها فى كهف ليس اليه طريق فامر اسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فتوصلوا الى الكهف فاستخرجوا ما قدروا عليه

﴿ ذكر غزوه الختل والغور ﴾

فى سنة ثمان ومائة قطع اسد النهر واتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوما من الختل واظهر انه يريد يشتو بسرخ دره فامر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار فى ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال ما لهم فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادى ناد ان الامير يريد الغوريين فمضى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد واسروا وسبوا وغنموا ورجعوا وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قيسارية وهى مدينة مشهورة وفيها ايضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها ايضا سار ابن خاقان ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحارث بن عمرو الطائى فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعاود الحرب ايضا فانهزم ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفى سنة تسع ومائة فصل هشام بن عبد الملك ولاية خراسان عن ولاية العراق وعزل اسدا عن خراسان واستعمل على خراسان اشرس بن عبد الله السلمى وله وقائع مع اهل سمرقند ستأتى وفى هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر وغزا معاوية بن هشام ارض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان وتقدم ذكر ذلك وفى هذه السنة ايضا غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع الى القيروان

﴿ ذكر ما جرى لاشرس بن عبد الله السلمى مع اهل سمرقند وغيرها ﴾

فى سنة عشر ومائة ارسل اشرس جماعة الى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى

الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فدعوهم لذلك فاسلموا فجاء الجبر الى اشرس بأن الخراج قد انكسر فكتب اشرس الى العامل بلغني انهم لم يسلموا رغبة وانما اسلموا نفورا من الجزية فانظروا من اختتن واقام الفرائض وقرأ سورا من القرآن فارفعوا الجزية عنه وعزل ذلك العامل وولى ابن هانى فكتب لاشرس انهم اسلموا و بنوا المساجد فكتب اليه اشرس ان يعيد الجزية على من كانت عليه ولو اسلم فاعتزلوا فى سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند وامتنعوا وارادوا القتال فكتب اشرس بوضع الخراج عنهم فرجعوا وضعف امرهم ثم تتبعوا وحبسوا واقيمت عليهم العقوبات وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم فى اعناقهم واخذت الجزية ممن اسلم فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك فخرج اشرس غازيا فنزل آمل واقام شهرا وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فى عشرة آلاف فعبر النهر ولقى الترك واهل الصغد و بخارى ومعهم خاقان فحصروا قطنا فى خندقه واغار الترك على سرح المسلمين فبعث اشرس خيلا استنقذت من ايدى الترك ما اخذوه ثم عبر اشرس النهر بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا امامهم وسار اشرس بالناس حتى جاء بيكند فحصرها المسلمون فقطع اهل البلد عنهم الماء واصابهم العطش فرحلوا قاصدين البلد فاعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالا شديدا حتى ازالوا الترك عن الماء وحمل قطن بن قتيبة فى جماعة تعاقدوا على الموت فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم الى الليل ثم رجع اشرس الى بخارى وجهز عليها عسكرا يحاصرونها ثم حاصر خاقان مدينة كرجه من خراسان وبها جمع من المسلمين فاغلقوا الباب وقطعوا القنطرة التى على الخندق ليمنعوا الكفار من الدخول اليهم ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون فيه الحطب الرطب ليعبروا عليه وجعل المسلمون يلقون حطبا يابسا على الحطب الرطب حتى سوى الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب فى ساعة واحدة وكانوا جمعوه فى سبعة ايام ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها و يحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فأرسل الله سحابة فامطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما فى الخندق والقاه فى النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فاصابت بازغرى نشابة فى سرته فمات من ليلته وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فقتلوهم وكان عند المسلمين مائتان من اولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل اهل كرجه كذلك حتى اقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعير خاقان قومه فى طول المدة وعدم الفتح وقال زعمتم انها تفتح فى خمسة ايام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا امهلنا الى غد وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطار بنده فقاتل المسلمين وقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمى بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب اصل اذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فارحلوا انتم عنا فقالوا له ليس من ديننا ان نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فاعطاهم

الترك الامان على ان يرحل خاقان عنهم و يرحلوا هم عنها الى سمرقند او الدبوسية فرأى اهل كرجة ماهم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن ان لايعرضوا لهم وطلبوا ان كورصول التركى يكون معهم فى جماعة ليمنعهم الى الدبوسية فسلموا اليهم الرهائن واخذوا هم ايضا من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاتراك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر اهلها الى الفرسان فظنوا ان كرجة فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشى ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقى سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كورصول ماحملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول واعطاه سلاحه وبرذونا واطلقه وكان مدة حصار كرجة ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما وفى هذه السنة ارتد اهل كردر فارسل اليهم اشرس جندا فظفروا بهم وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الروم ففتح صملة وغزا الصائفة عبدالله بن عقبة الفهرى وفيها مات الحسن البصرى وعمره سبع وثمانون سنة وفيها ايضا مات محمد بن سيرين وعمره احدى وثمانون سنة

﴿ ذكر غزو ما وراء النهر ﴾

فى سنة احدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبدالملك اشرس بن عبدالله عن خراسان واستعمل عليها الجنيد بن عبدالرحمن المرى الغطفانى القيسى فلما قدم خراسان سار الى ما وراء النهر وارسل الجنيد الى اشرس وهو يقاتل اهل بخارى والصغد أن امدنى بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه اشرس عامر بن مالك الحمانى فى جماعة فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على الثلمة وكان ممن معه واصل بن عمرو القيسى وعاصم بن عمير السمرقندى فاستداروا مع جماعة من القوم حتى صاروا من وراء الماء الذى هناك ثم جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم وقتلوا اعظيما من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد فلقيه واقبل معه فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم اظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون رزمان من بلاد سمرقند واسر الجنيد من الترك ابن اخى خاقان فبعث به الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى اتى قيسارية وغزا فى البحر عبدالله بن ابى كريم وفى سنة ثنتى عشرة ومائة كان دخول الجراح بن عبدالله الحكمى بلاد الخزر وقتله وتقدم الكلام على ذلك مستوفى

﴿ ذكر وقعة الجنيد بن عبد الرحمن المرى بالشعب ﴾

فى سنة ثنتى عشرة ومائة خرج الجنيد من مرو غازيا طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان فى ثمانية عشر الفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثى فى عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم اطق ان امنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فامر الجنيد الناس بعبور النهر فقال له جماعة من جنده ان الترك ليسوا كغيرهم لايلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت كثيرا من الجند ولا يعبر النهر فى اقل من خمسين الفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم اكن الا فى بنى مرة اومن طلع معى من الشام لعبرت ثم عبر الجنيد بمن كان حاضرا فنزل كش وتأهب للمسير وبلغ الترك مسيره فغوروا الآبار التى فى طريق كش فقال الجنيد اى طريق الى سمرقند اصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر بن مزاحم السلمى القتل بالسيف اصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان احرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فاخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى فى الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال اما ما كان بيننا مثلك فلا فبات فى اصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند اربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم وزحف اليه اهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤا من كل وجه فرتب الجنيد جيشه وجعل على كل جهة رئيسا مشهورا بالشجاعة وشد نصر بن سيار هو ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا فبينا الناس كذلك اذ اقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد اصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم يجد موضعا للقتال اسهل من الموضع الذى نزل به قبائل بكر بن وائل فقصدهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا الهم وسجد الجنيد واشتد القتال بينهم فلما رأى الجنيد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله بن حبيب اختر اما ان تهلك انت اوسورة بن الحر قال هلاك سورة اهون على قال فاكتب له فليأتك من سمرقند فى اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم فقال لسورة حليس بن غالب الشيبانى ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد انى لا اقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خليد الباهلى وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فأجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا اصل فى يومين وبينى وبين هذا الوجه ليلة فاذا سكنت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم

بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن اسود الحنظلى وسار فى اثنى عشر الفا
فاصبح على رأس جبل فتلقاه خاقان حين اصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ
فقاتلهم اشد القتال وصبروا فقال غوزك لخاقان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح
فوافقهم واشعل النار فى الحشيش وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا ابا سليم فقال
ارى ان الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب واحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق
وان منعونا شرعنا الرماح ونزحف زحفا وانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا اقوى
على هذا ولا فلان وفلان وعدد رجالا ولكن اجمع الخيل فاصكهم بها سلمت ام عطبت وجمع الناس
وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهيب فسقطوا فيه
وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم
غير الفين ويقال الف وكان ممن نجى عاصم بن عمير السمرقندى وانحاز المهلب بن زياد العجلى
فى سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا اقصرا هناك فاتاهم الاشكند صاحب نسف ومعه
غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدى لا تثقوا بهم ولكن اذا جننا الليل
خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى خاقان فقال لا اجيز امان
غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد ومعه المسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة
وقتل سورة فى اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبد الله
سروا اسرع فقال له المجشر انزل واخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى
طلع الترك فقال المجشر له لو لقونا قبل نزولنا ونحن نسير ألم يهلكونا فلما اصبحوا تناهضوا
فجال الناس فقال الجنيد ايها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد اى عبد قاتل فهو حر فقاتل
العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا
فقال موسى بن النعراء تفرحون بما رايتم من العبيد ان لكم منهم ليوما اروزبان اى ذا رياسة ومضى الجنيد
الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو واقام بالصغد اربعة اشهر ولما انصرف الترك
بعث الجنيد بالخبر الى هشام وكتب اليه ان سورة عصانى امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق
عنه اصحابه فاتتنى طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند واصيب سورة فى بقية اصحابه
فكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من اهل البصرة وعشرة آلاف من
اهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين الف رمح ومثلها ترسة ومثلها سيفا فافرض اى ماشئت فى العطا
فلا غاية لك فى الفريضة بخمسة عشر الفا ولما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون
مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وارسل
الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع مايقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه
فقال رأيتهم طيبة انفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم بن
النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام
واصحابه فقتلوا فى غد فقال رجل مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة
المسك واقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف
الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور اصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها

فتأتي ربنجن ثم كش ثم الى نسف فنتصل منها الى ارض زم ونقطع النهر وننزل آمل فتأخذ
عليه بالطريق واستشار عبدالله بن ابى عبدالله مولى بنى سالم واخبره بما قالوا فاشترط عليه
ان لايخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فانى اطلب اليك خصالا قال
وماهى قال تخندق حيثما نزلت ولايفوتنك حمل الماء ولوكنت على شاطئ نهر وان تطيعنى
فى نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ماشاروا عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث
فالغياث يبطئ عنك واما ماشاروا من طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس من غير
الطريق فتت فى اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد
استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان اخذت غير الطريق بلغ اهل بخارى مافعلت فيستسلموا
لعدوهم وان اخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندى أن تأخذ عيال من قتل مع
سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى ارجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك
وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند الف درهم وفرسا فأخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن
ابى عبدالله بن الشخير فى اربعمائة فارس واربع مائة راجل فشتم الناس عبدالله بن ابى عبد
الله وقالوا ماراد الاهلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشحب بن عبيد
الحنظلى ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعلمنى الخبر وسار
الجنيد فاسرع سيره فقال له عطاء الدبوسى انظر اضعف شيخ فى العسكر فسلحه سلاحا تاما
بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانا لانقدر على سرعة المسير والقتال ففعل
الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس
واقبل اليه خاقان بكر مينية اول يوم من رمضان واقتتلوا فاتاه عبدالله بن ابى عبدالله وهو
يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمدلله اذلم يلقك هؤلاء فى جبال معطشة وعلى
ظهر انما اتوك وانت مخندق آخر النهار كالين وانت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال
للجنيد ارتحل فان خاقان ودأنك تقيم فينطوى عليك اذا شاء فسار وعبدالله على الساقة ثم
امره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما اصبحوا ارتحلوا فقال عبدالله اتوقع ان خاقان
يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة
فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن احوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك
وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم
البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبدالمؤمن بن خالد رأيت عبدالله بن ابى عبدالله فى
المنام بعد موته فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد
ابن عبدالله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة
الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لا اخ له وقدمت الجنود من الكوفة والبصرة
على الجنيد فسرح معهم حوثرة بن زيد العنبرى فيمن انتدب معه وبقى الجنيد فى ولايته
الى سنة ست عشرة ومائة كما سيأتى وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح
خرشنة وفى سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبدالله البطال ارض الروم ومعه عبد الوهاب
ابن بخت فانهزم الناس عن البطال فحمل عبدالوهاب وهو يقول مارأيت فرسا اجبن منك

وسفك الله دمى ان لم اسفك دمك ثم القى بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم فى نحر العدو فمر برجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى امامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه وفى هذه السنة ايضا فرق مسلمة بن عبد الملك الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مداين وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى واحرق ودان له من كانوا وراء جبال بلنجر وقتل بن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم على خاقان فى جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم امر اصحابه فاوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء واخر الشجعان وطوى المراحل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب فى آخر رمق وقد تقدم ذكر ذلك واعيدهنا ليرتبط الكلام ببعضه

﴿ ذكر قتل عبد الرحمن الغافقى امير الاندلس ﴾

وفى سنة ثلاث عشرة ايضا كان غزو من المسلمين الذين بافريقية على بلاد افرنجه وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد استعمل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى على افريقية والاندلس فاستعمل عبيدة على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فغزا افرنجه واوغل فى ارضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما اصاب صورة رجل بكسر الراء وسكون الجيم من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها فى الناس فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضبا شديدا وكتب اليه يتهدده فأجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا اما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا لجعل الله للمتقين منها مخرجا يعنى فان الله قادر أن ينجينى مما تتهددنى به ثم خرج غازيا مرة ثانية بلاد الفرنج فقتل هو ومن معه شهداء

﴿ ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان بعد انقضاء غزو مسلمة بن عبد الملك ﴾

فى سنة اربع عشرة ومائة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان فى عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا بما اذكره ولم ار من يحمله غيرى قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى امير المؤمنين انه يوجه اخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ماوطئ من بلادهم الا ادناها ثم انه لما رأى كثرة جمعهم اعجبه ذلك فكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب واقام بعد ذلك ثلاثة اشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد اردت ان تأذن لى فى غزوة اذهب بها عنا العار وانتقم من العدو قال قد اذنت لك قال وتمدنى بمائة وعشرين الف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية واليا عليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون الفا فاظهر انه

يريد غزو اللان وقصد بلادهم وارسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك وارسل اليه ملك الخزر من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه ومايريد ثم اغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو فى اقرب الطرق فاوصل الرسول الى صاحبه الاومروان قد وافاهم فاعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد فاستشار ملك الخزر اصحابه فقالوا ان هذا قد اغترك ودخل بلادك فان اقمت الى ان تجمع جنودك لم يجتمعوا عندك الابعد مدة فيبلغ منك مايريد وان انت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأى ان تتأخر الى اقصى بلادك وتدعه ومايريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد واوغل فيها واخربها وغنم وسبى وانتهى الى آخرها واقام فيها عدة ايام حتى اذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرير فاوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على الف رأس نصفين خمسمائة غلاما وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة الف مد من البر تحمل الى الباب وصالحه اهل قرمان على مائة رأس نصفين وعشرين الف مد من البر ثم دخل ارض زريكران فصالحه ملكها ثم اتى ارض حزين فابى حزين ان يصالحه فحاصرهم فافتتح حصنهم عنوة ثم اتى سغدان فافتتحها صلحا ووظف على طيرشانشاه عشرة آلاف مد بركل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من اداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لايعرفه فصالح اهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر فاذعن اهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد وفى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فاصاب ربض اقرن وغزا عبدالله البطال الروم والتقى هو وقسطنطين فى جمع فهزمهم البطال واسر قسطنطين وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى وبلغ قيسارية وفى سنة خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام ارض الروم وغزا عبدالملك بن قطن عامل الاندلس ارض البشكنس فغنم وعاد سالما وفى سنة ست عشرة ومائة غزا معاوية بن عبدالملك ارض الروم الصائفة وفيها عزل هشام بن عبدالملك الجنيد بن عبدالرحمن المرى عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبدالله الهلالى وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام لعداوته ليزيد بن المهلب لانه خلع اخاه يزيد بن عبدالملك كما تقدم فولى عاصما خراسان وكان الجنيد اصابه استسقاء فقال هشام لعاصم ان ادركته وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيد وفى هذه السنة استعمل هشام على افريقية عبيدالله بن الحبحاب الموصلى فسير جيشا الى صقلية وهى بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد اسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقى اسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفى سنة ست عشرة ايضا جهز عبيدالله بن الحبحاب جيشا مع حبيب بن ابى عبيدة وسيرهم الى ارض السودان فظفر بهم ظفرا لم يظفر احد مثله واصاب ماشاء ثم غزا البحر ثم انصرف سالما وفيها سير ايضا ابن الحبحاب جيشا الى السوس فغنموا وظفروا وعادوا وفى سنة سبع عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى

من نحو الجزيرة وفرق سراياه فى ارض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح احدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل اهلها على الصلح وفى هذه السنة عزل هشام بن عبدالملك عاصم بن عبدالله عن خراسان واعاد امر خراسان لوالى العراق خالدبن عبدالله القسرى فولى خالد خراسان اخاه اسدبن عبدالله وهذه ولايته الثانية وسيأتى ذكر غزواته وفيها بعث عبيدالله بن الحبحاب حبيب بن ابى عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وارض السودان فلم يقاتله احد الا ظفر به واصاب من الغنائم والسبى امرا عظيما فلئ اهل المغرب منه رعبا واصاب فى السبى جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدى واحد ورجع سالما وسير جيشا فى البحر سنة سبع عشرة ومائة ايضا الى جزيرة السردانية وهى جزيرة كبيرة ببحر المغرب ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا وسير جيشا الى صقلية سنة اثنتين وعشرين فلم يلقه احد الا هزمه فظفر ظفرا لم ير مثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهى من اعظم مدن صقليه فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وفى سنة ثمان عشرة ومائة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبدالملك ارض الروم وفى هذه السنة كانت وفاة معاوية المذكور فى حياة والده واعقب اولادا منهم عبدالرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام الذى ملك الاندلس ثم اولاده بعده وفى هذه السنة غزا اسد بن عبد الله القسرى والى خراسان طخارستان ثم ارض جبوية فغنم وسبى وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان ارمينية ودخل ارض ورنيس من ثلاثة ابواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وارسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية

﴿ ذكر مقتل خاقان ﴾

لما كانت سنة تسع عشرة ومائة غزا اسد بن عبد الله القسرى بلاد الختل فافتتح منها قلاعا وامتلأت ايدى العسكر من السبى والشاء ولما بلغ الخبر خاقان جيش جيوشه وقصد اسدا فعبر المسلمون النهر راجعين الى بلادهم فتبعهم خاقان والتقوا بعد عبور النهر واقتتلوا قتالا شديدا وهزموا خاقان ثم مضى اسد الى بلخ وشتى فيها ثم قصدهم خاقان بجيوشه الى بلخ ثم التقوا على فرسخين من الجوزجان فانهزم خاقان ومن معه وتبعهم المسلمون ثلاثة فراسخ غنموا مائة وخمسين الفا من الشاء ودوالى كثيرة ورجع اسد الى بلخ ثم وصل خاقان الى بلاده واخذ فى الاستعداد للحرب ولاعب يوما خاقان بالنرد كورصول فغمزه كورصول وتشاجرا فصك كورصول يد خاقان فكسرها فحلف خاقان ليكسرن يده فتنحى وجمع جمعا ثم بيت خاقان فقتله وتفرقت الترك واشتغلت الترك يغير بعضهم على بعض وأرسل اسد مبشرا الى هشام فلما بلغ هشام بن عبدالملك مقتل خاقان سجد شكرا لله ثم غزا اسد الختل مرة ثانية وفرق عسكره فى اودية الختل فملؤا ايديهم من الغنائم والسبى وهرب اهله الى الصين وفى سنة تسع عشرة ايضا غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم وغزا مروان بن محمد

ابن مروان من ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فربلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التى يكون فيها خاقان وكان ذلك قبل مقتل خاقان فهرب منه خاقان وفى سنة عشرين توفى اسد بن عبدالله بمدينة بلخ وفيها عزل هشام بن عبدالملك خالد بن عبد الله عن العراق وولى يوسف بن عمر الثقفى وولى نصر بن سيار الكنانى خراسان بعد موت اسد بن عبدالله وفى هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبدالملك الصائفة وفتح سندرة وغزا اسحاق بن سلم العقيلى تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب ارضها وفى هذه السنة توفى مسلمة بن عبدالملك بن مروان وفى سنة احدى وعشرين ومائة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ ذكر غزوات نصر بن سيار الكنانى ما وراء النهر ﴾

كان نصر بن سيار عاقلا حازما شجاعا مدبرا عمرت خراسان فى مدة ولايته عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية مكث واليا على خراسان الى سنة ثلاثين ومائة فكانت مدة ولايته عشر سنين وكان قبل ولايته من امراء الاجناد بخراسان وولى على بعض المداين وكان جعفر بن حنظلة الذى استخلفه اسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما اتاه عهده بعث الى البخترى ليأتيه فقال البخترى لاصحابه قد ولى نصر خراسان فلما اتاه سلم عليه بالامارة فقال له من اين علمت فقال كنت تأتينى فلما بعثت الى علمت انك قد وليت ولما مات اسد بن عبدالله وبلغ خبر موته هشام بن عبدالملك استشار عبدالكريم بن سليط الحنفى وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا امير المؤمنين اما رجل خراسان حزما ونجدة فالكرمانى فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن على قال لاحاجة لى فيه وتطير قال فالمسن المجرب يحى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى قال هشام ربيعة لا تسد بها الثغور قال عبد الكريم فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت عقيل بن معقل الليثى ان غفرت هنته قال ماهى قلت ليس بالعفيف قال لاحاجة لى فيه قلت منصور بن ابى الخرقاء السلمى ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالمجشر بن مزاحم السلمى عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لاخير فى الكذب قلت يحى بن الحضين قال الم اخبرك ان ربيعة لا تسد بها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت هو عفيف مجرب عاقل ان غفرت له واحدة قال ماهى قلت عشيرته بخراسان قليلة قال لا ابالك تريد اكثر منى عشيرة انا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبدالكريم فاعطاه نصر لما اتاه به عشرة آلاف درهم واستعمل نصر على اعمال خراسان رجال مضر الى اربع سنين لم يستعمل احدا من غير مضر وغزا نصر فى سنة احدى وعشرين ماوراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الجديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو وخطب الناس واخبرهم انه اقام منصور بن عمر بن ابى الخرقاء على كشف المظالم وانه قد وضع الجزية عمن قد اسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فرغبوا فى الاسلام فلم تمض جمعة

حتى أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون الفا من المشركين كانت قد القيت عنهم فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشغر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول فى خمسة عشر الفا وكان معهم الحارث بن سريج وكان قبل ذلك من أمراء المسلمين على جند خراسان ثم وقعت فتنة بينهم فاعتزلهم وصار مع خاقان ثم مع كورصول فعبر كورصول فى اربعين رجلا فبيت العسكر فى ليلة مظلمة ومع نصر ملك بخارى فى اهل بخارى ومعه اهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون الفا فنادى نصر أن لا يخرجن احد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير السعدى وهو على جند سمرقند فمرت به خيل الترك فحمل على رجل فى آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب اربعة آلاف قبة ثم تبين انه كورصول فأتى به الى نصر فقال له نصر من انت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذى امكن منك ياعدو الله قال ما ترجو من قتل شيخ وانا اعطيك اربعة آلاف بعير من ابل الترك والف برذون تقوى به جندك وتطلق سبيلى فاستشار نصر اصحابه فأشاروا باطلاقه فلم يوافقهم ثم سأله عن عمره قال لا ادرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال اشهدت يوم العطش قال نعم قال نصر لو اعطيتنى ماطلعت عليه الشمس ماافلت من يدى بعدما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم الى سلبه فخذه فقال من اسرنى فقال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلى واشار اليه قال هذا لايستطيع ان يغسل استه اولايستطيع ان يتم له بوله فكيف يأسرنى اخبرنى من اسرنى قال اسرك عاصم بن عمير قال لست اجد الم القتل اذا كان أسرنى فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول احرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم واذناب خيلهم فلما اراد نصر الرجوع احرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك اشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها الف رأس وكتب يوسف بن عمر امير العراق الى نصر سر الى هذا الغادر دينه فى الشاش يعنى الحارث بن سريج فان اظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر أهذا من امير المؤمنين او من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة ايام عاصم فبلغت الخليفة فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت اقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتى فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فأتاهم الحارث بن سريج فنصب عليهم عرادتين بالتشديد تثنية عرادة شئ اصغر من المنجنيق واغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحارث بن سريج عن بلده فأخرجه الى فاراب ثم تنقل الحارث فى بلاد الترك الى سنة ست وعشرين ثم اصطلح مع المسلمين ورجع الى خراسان سنة سبع وعشرين فكانت مدة مفارقته للمسلمين واتصاله بالترك ثنتى عشرة سنة ورد عليه نصر ما كان اخذ له ثم استعمل نصر على الشاش بعد الصلح مع اهله نيزك بن صالح مولى عمرو بن

العاص ثم سار حتى نزل قباء من ارض فرغانة وكانوا احسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولى صاحب فرغانة فحاصروه فى حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكمن المسلمون لهم فخرج الترك واستاقوا بعض الدواب فخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان واسروا منهم واسروا ابن الدهقان فقتله نصر ثم سألوه الصلح فأرسل نصر سليمان ابن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما اعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا اعلم قال فكيف رأيت ما اعددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يامن اقرب الناس اليه واوثقهم فى نفسه او يفنى ما جمع فيسلم برمته او يصيبه داء فيموت فكره ما قال له وأمره فأحضر كتاب الصلح فأجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذن لها وجعل يكلمها وكان مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة اشياء لا يكون ملكا وزير يبث اليه ما فى نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع اتاه فانجاه تعنى البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانته وذخيرة اذا حملها عاش بها اين كان من الارض ثم دخل تميم ابن نصر فى جماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم بن نصر فقالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلى فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة بن مسلم فأحيته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذى ذلل لكم ما ارى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه ان تجلسه انت هذا المجلس وتجلس انت مجلسه وعقدت الصلح ورجعت

﴿ ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان ﴾

فى سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بنت الملك وسريره فهرب الملك منه ... حصنا يقال له خيزج فيه سرير من ذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على الف رأس كل سنة ومائة الف مد فصالحه وسار مروان فدخل ارض ارز وبطران فصالحه ملكها ثم سار فى ارض تومان فصالحه وسار حتى اتى حمزين فأخرب بلاده وحصر حصناله شهرا فصالحه ثم اتى مروان ارض مسداره فافتتحها على صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من ارمينية الى طبرستان وفى هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وفى هذه السنة قتل البطال واسمه عبدالله ابو الحسين الانطاكى وقتل معه جماعة من المسلمين ببلاد الروم وكان كثير الغزو الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم حكى انه دخل بلادهم فى بعض غزاته هو واصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكى تسكت والا سلمتك للبطال ثم رفعته بيدها

وقالت خذه يابطال وكان قريبا منها ولم تعلم به فتناوله من يدها وكان عبد الملك بن مروان يرسله مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وامره مرة على رؤساء اهل الجزيرة والشام وامر ابنه مسلمة ان يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس وله قصص ووقائع كثيرة

﴿ ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد ٣ ﴾

فى سنة ثلاث وعشرين ومائة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل فى ولاية اسد بن عبد الله تفرقت الترك فى اغارة بعضها على بعض فطمع اهل الصغد فى الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار ارسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما ارادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم فى دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء المسلمين منهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر وتكلموا فيه فقال لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما انكرتم ذلك وارسل رسولا الى هشام بن عبد الملك فى ذلك فاجابه اليه وفى سنة اربع وعشرين ومائة غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فهزمه وقتل وسبى وغنم وفى سنة خمس وعشرين توفى هشام بن عبد الملك وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأقر نصر بن سيار على خراسان ثم ثارت فتن بين اولاد عبد الملك وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين وبويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وتوفى بعد ستة اشهر وبويع اخوه ابراهيم بن الوليد ثم خلع بعد سبعين يوما وبويع مروان بن محمد سنة سبع وعشرين فأقر نصر بن سيار على ولاية خراسان واستمر مروان بن محمد خمس سنين وعشرة اشهر وثارت الفتن بينه وبين بنى العباس وقتل مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين وعمره اثنتان وستون سنة وقامت الدولة العباسية وتفصيل ذلك كله طويل مذكور فى التواريخ والقصد فى هذا الكتاب ذكر الفتوحات التى فيها جهاد الكفار وفى مدة هذه الفتن انقطع الغزو والجهاد وانتشرت الفتن بين المسلمين فى كل قطر واقليم

﴿ ذكر ملك الروم ملاطية ﴾

نشأ من الفتن التى كانت بين المسلمين فى هذه السنين ان الروم طمعوا فى البلاد فاقبل قسطنطين ملك الروم الى ملاطية وكمخ فى سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة السفاح اول خلفاء بنى العباس فلما اقبل قسطنطين نازل كمخ فأرسل اهلها الى اهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها وار[illegible]طين الى اهل ملطيه انى لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان و[illegible]ون الى بلاد المسلمين حتى اخترث ملطيه فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ماامكنهم حمله ومالم يقدروا على حمله القوه فى الآبار والمجارى وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وارسل كوشان الارمنى فحصرها فنقب اخوان من الارمن من اهل المدينة ردما كان فى سورها فدخل كوشان ومن

٣ صغد بضم الصاد وسكون الغين موضع بسمرقند وموضع بنجارى وصغدبير بلدة بارمينية بناها انوشروان العادل واما صفد بالفاء فهى بلدة بالشام اه مؤلف

معه المدينة فغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم وفى هذه السنة كان متوليا على خراسان ابو مسلم القائم بدعوة بنى العباس فوجه اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى الى الختل فدخلها فلما انتهى الى ارض فرغانة تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش واستمد اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين وبلغ الخبر ابامسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفا واسروا نحو عشرين الفا وهرب الباقون الى الصين

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

فى سنة اربع وثلاثين غزا ابوداود خالد بن ابراهيم الذهلى اهل كش فقتل ملكها وهو سامع مطيع وقتل اصحابه وأخذ منهم من الاوانى الصينية المنقشة المذهبة مالم ير مثلها ومن السروج ومتاع الصين من الديباج والطرف شيأ كثيرا وحمله الى ابى مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم ورجع ابوداود الى بلخ وفى سنة خمس وثلاثين غزا عبدالله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى بعد أن غزا ايضا تلمسان وفى سنة ست وثلاثين توفى السفاح وبويع اخوه المنصور وقتل ابامسلم سنة سبع وثلاثين وولى خراسان بعد قتل ابى مسلم اباداود خالد بن ابراهيم الذهلى وفى سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وغلب وقهر اهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية فبعث المنصور اخاه العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ومعه صالح بن على وعيسى بن على فى جيش فبنوا ما كان ملك الروم اخربه من سور ملطية ثم غزوا الصائفة سنة تسع وثلاثين ومائة من درب الحدث فوغلوا فى ارض الروم وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة وكانتا نذرتا ان زال ملك بنى امية ان تجاهدا فى سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة المهرانى وفى هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قاليقلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها ورد اهليها اليها وندب اليها جندا من اهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا فيها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة الى سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بالفتنة التى كانت بينه وبين بنى عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابى طالب وقيل ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة سنة اربعين مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين ملك الروم فى مائة الف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست واربعين لكن حصلت وقائع وغزوات بخراسان وغيرها فى هذه المدة كما سترى ذلك وفى سنة تسع وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الاندلس وتملكها فخرجت الاندلس عن ولاية بنى العباس وقصة تملك عبدالرحمن الداخل الاندلس طويلة ملخصها انه لما قامت الدولة العباسية اخذوا يتتبعون بنى امية قتلا فهرب عبدالرحمن المذكور مختفيا ومازال يتنقل حتى دخل الاندلس وكان بالاندلس رجال من بقايا عمال بنى امية ومواليهم فاعانوه حتى

انتزع الاندلس من عمال بنى العباس بعد حروب كثيرة واستفحل ملكه وملك بنيه بعده بالاندلس وكان دخوله الاندلس فى خلافة المنصور العباسى وكان المنصور يتعجب من امره ويسميه صقر قريش واراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن له ذلك والكلام على ذلك طويل ذكرته فى التاريخ الذى جمعته فى اخبار الاندلس ملخصا من نفح الطيب وغيره ولما استقامت اموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من اعانه انه يقول لولا انا ماتوصل لهذا الملك وكان منه ابعد من النجم وقال قائل آخر انما اعانه سعده لاعقله وتدبيره فحركه ذلك الى ان قال

* لا يلف ممتن علينا قائل ❋ لولاى ماملك الامام الداخل *
* سعدى وحزمى والمهند والقنا ❋ ومقادر بلغت وحال حائل *
* ان الملوك مع الزمان كواكب ❋ نجم يطالعنا ونجم آفل *
* والحزم كل الحزم ان لايغفلوا ❋ ايروم تدبير البرية غافل *
* ويقول قوم سعده لاعقله ❋ خير السعادة ماحواها العاقل *
* ابنى امية قد جبرنا صدعكم ❋ بالغرب رغما والسعود قبائل *
* مادام من نسلى امام قائم ❋ فالملك فيكم ثابت متواصل *

ومازال مستمرا فى ملكه ثلاثا وثلاثين سنة واربعة اشهر الى ان توفى سنة ١٧٢ وعمره تسع وخمسون سنة واستمر الملك فى بنيه الى اواخر القرن الرابع وسيأتى ذكر كثير من غزواته وفتوحاتهم ولنرجع الى تمام الكلام على فتوحات بنى العباس ففى سنة ١٤٠ مات ابو داود خالد بن ابراهيم الذهلى عامل خراسان واقيم مقامه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى ثم ظهر منه مخالفة وعصيان واراد خلع المنصور فجهز المنصور فى سنة احدى واربعين ابنه المهدى وعمره نحو خمس عشرة سنة ومعه جيش فأسر عبد الجبار وبعث به الى المنصور فقتله وصارت ولاية خراسان للمهدى بن المنصور وكان كثير من اهل خراسان قد نقضوا لما تغيرت الدولة واسترجع بعض الكفار ماكان لهم من الملك فكتب المنصور الى ابنه المهدى ان يغزو طبرستان

﴿ ذكر غزوة طبرستان ﴾

فى سنة احدى واربعين ومائة كتب المنصور الى ابنه المهدى وهو على خراسان ان يغزو طبرستان وينزل الرى ويوجه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محارب بالمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول جنود الاسلام بلاده ودخول ابى الخصيب ساريه فقال المصمغان للاصبهبذ متى قهروك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وكان عالما ببلاد طبرستان فاخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها واخذ قلعة الطلق وما فيها وطالت الحرب فالح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فاكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فحصر فطلب الامان على ان يسلم القلعة

بما فيها من الذخائر وكتب المهدى الى المنصور بذلك فوجه المنصور رجالا احصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم واخذت ابنته وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالحيرة ام منصور بن المهدى وفى سنة ثنتين واربعين ومائة خلع الطاعة عيينة بن موسى بن كعب عامل السند فبعث المنصور عمر بن ابى حفص العتكى عاملا على السند والهند فسار وغلب عليها بعد حروب

﴿ ذكر نكث الاصبهبذ ﴾

فى سنة ثنتين واربعين ومائة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه ابا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح ابن حاتم فاقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال ابو الخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك وأخبره انه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله فى خاصته والطفه وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه نوبا بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى ابى الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى انس به ثم كتب ابو الخصيب الى روح وخازم والقى الكتاب فى سهم وأعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة فى فتح الباب فلما كانت تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من فى الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية واخذوا اسكلا ام ابراهيم بن المهدى وكان مع الاصبهبذ سم فشربه ومات

﴿ ذكر نكث الديلم ﴾

فى سنة ثلاث واربعين نكث الديلم وثاروا بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم فساروا اليهم وقاتلوهم حتى اخضعوهم سنة اربع واربعين وفى سنة خمس واربعين كان ابتداء بناء مدينة بغداد وانتقل المنصور اليها سنة ست واربعين وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وفى سنة ست واربعين غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهرانى وغزا مالك بن عبد الله الخثعمى بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة وفى سنة سبع واربعين اغار استرخان الخوارزمى فى جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين خلقا ودخلوا تفليس فسير المنصور الى محاربتهم جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله فى جند كثير فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من اصحاب جبرائيل خلق كثير وفى سنة تسع واربعين غزا العباس بن محمد ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبه ومحمد بن الاشعث واغزا عبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس مولاه بدرا الى بلاد العدو فجاوز اليه واخذ الجزية

﴿ ذكر خروج استاذ سيس ﴾

فى سنة خمسين ومائة خرج استاذسيس فى اهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان

وكان فيما قيل فى ثلاثمائة الف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مروالروذ فخرج اليهم الاجثم المروذى فى اهل مروالروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجثم وكثر القتل فى اصحابه وهزم عدة من القواد فوجه المنصور وهو بالراذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذ سيس وضم اليه القواد فسار خازم واخذ معه من انهزم وجعلهم فى آخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون الفا ثم انتخب منهم ستة آلاف وضمهم الى اثنى عشر الفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن سلم العقيلى فيمن انتخب وتعبى للقتال وكان لواؤه مع الزبرقان فمكر بهم وراوغهم فى ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع اصحابه وجعل له اربعة ابواب وجعل على كل باب الفامن اصحابه الذين انتخبوا وأتى اصحاب استاذ سيس ومعهم الفوس والرازة ٢ والزبل ليطموا الخندق فاتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن سلم فحملوا على اصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لايؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من اهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم اقبل على الباب الذى عليه خازم رجل من اصحاب استاذسيس اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر امرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم و يسير حتى يغيب عن ابصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم ابى عون وعمرو بن مسلم بن قتيبة من طخارستان و بعث خازم الى بكار يقول له اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء اهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش يشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبينماهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم قداقبلت فتنادوا بينهم جاء اهل طخارستان وحمل اصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم اصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم واصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا فكان عدد من قتل سبعين الفا واسروا اربعة عشر الفا ونجا [illegible] سيس الى جبل فى نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه ابو عون وعمرو بن [illegible] ومن معهما فنزل استاذ سيس على حكم ابى عون فحكم ان يوثق استاذ سيس و بنوه واهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وكانوا ثلاثين الفا فأمضى خازم حكمه وكسى كل [illegible]جل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقد قيل ان استاذ [illegible] قد ادعى النبوة و اظهر اصحابه الفسق وقطع السبيل قيل انه جد المأمون ابو [illegible] مراجل و ابنه غالب خال المأمون وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فقدم عليه اهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بمقدمه فأجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك و بنى له الرصافة وفيها غزا الصائفة عبدالوهاب بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على وفى سنة ثنتين وخمسين ومائة استعمل المنصور على خراسان حميد بن قحطبة فغزا كابل وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفى سنة ثلاث وخمسين

٢ يعنى البنائين قال فى القاموس الراز رئيس البنائين جمعه الرازة اه مؤلف

غزا الصائفة معيوف بن يحيى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا واهله نيام فسبى واسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وفي سنة اربع وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات وفي سنة خمس وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدي الجزية وفي سنة ست وخمسين غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي وفي سنة سبع وخمسين غزا الصائفة يزيد بن اسيد السلمي فسبى وغنم وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور و بويع ابنه محمد المهدي وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفي سنة تسع وخمسين غزا العباس بن محمد الصائفة الرومية فبلغوا القره وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين احد ورجعوا سالمين

﴿ ذكر فتح مدينة باربد بالهند ﴾

في سنة ستين ومائة فتحت مدينة باربد وكان المهدي سير في سنة تسع وخمسين جيشا في البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعي الى بلاد الهند في جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا اهلها ففتحها الله عليهم عنوة واحتمى اهلها بالبد الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم وفي سنة ستين ايضا غزا ثمامة بن العبس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام وفي سنة احدى وستين غزا الصائفة ثمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم في ثمانين الفا فاتى ثمامة عمق مرعش فقتل وسبى واتى مرعش فحاصرها فقاتلهم وقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن علي مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان و بلغ الخبر المهدي فعظم عليه وتجهز لغزو الروم كما سنذكره وفي سنة اثنتين وستين خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ اذروليه واكثر التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصنا الا لقي جمعا ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن اسيد السلمي من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى

﴿ ذكر غزو المهدي ﴾

في سنة ثلاث وستين تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي وعمره نحو عشرين سنة واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وعمره نحو سبع عشرة سنة وسار على الموصل والجزيرة وعبر الفرات الى حلب وارسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم وسار عنها مشيعا لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب و بلغ جيحان فسار هارون بالجيش حتى نازل حصن سمالوا فحصروه ثمانية وثمانين يوما ونصب

عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ورجعوا ولما عاد المهدى من الغزاة زار بيت المقدس وفى سنة اربع وستين ومائة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد ابن الخطاب من درب الحدث فأتاه ميخائيل البطريق فى تسعين الفا فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فاراد المهدى قتله فشفع فيه فحبسه وفى هذه السنة غزا عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس بلاد الفرنج فدوخها ونهب وسبى وبلغ قلهرة وفتح مدينة فكيرة وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مثمين الاقرع فافتتحه ثم تقدم الى ملد وثون بن اطلال وحصر قلعتـه وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها فملكوها عنوة وخربوها ثم رجعوا

﴿ ذكر غزو هرون الرشيد الروم ﴾

فى سنة خمس وستين سير المهدى ابنه هارون الرشيد لغزو الروم فى خمسة وتسعين الفا وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا فأوغلوا فى بلاد الروم ولقيهم عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد الشيبانى فأثخنه يزيد وانهزمت الروم وغلب المسلمون عـلى عسكرهم وساروا الى الدسـتق وهو صاحب المسالح اى الثغور فحمل لهم مائة الف دينار وثلاثة وتسعين الفا واربعمائة وخمسين دينارا ومن الفضة احدى وعشرين الف الف درهم واربعة عشر الفا وثمانمائة درهم وسار الرشـيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وملك الروم يومئذ غطسة امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك ابوه وهو فى حجرها فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفدية وان تقيم له الادلاء والاسواق فى الطريق وذلك انه دخل مدخـلا ضيقا مخوفا فأجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون الف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا خمسـة آلاف رأس سبى وستمائة وثلاثة واربعين رأسا ومن الدواب الذلل بادواتها عشرين الف رأس وذبح من البقر والغنم مائة الف رأس وقتل من الروم فى الوقائع قبل الصلح اربعة وخمسون الفا وقتل من الاسرى صبرا الفان وتسعون اسيرا وفى سـنة ثمان وستين ومائة نقض الروم الصلح فوجه على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن البدر بن البطـال فغنموا وظفروا وفى سـنة تسع وستين ومائة توفى المهـدى وبويـع ابنه موسى الهادى وغزا الصائفة معيوف بن يحيى من طريق الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحدثة فهرب الوالى واهل السوق فدخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى وفى سـنة سبعين ومائة توفى الهادى وبويع اخوه هارون الرشيد واستمر الى سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة وكان يحج سنة ويغزو سنة وفى سنة احدى وسبعين توفى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام صاحب الاندلس وكانت دولته بالاندلس ثلاثا وثلاثين سنة ثم صار الملك لاولاده بعده فقام بالامر بعده ابنه هشام وفى سنة اربعة وسبعين غزا الصائفة عبد الملك بن صالح الهاشمى من قبل هارون الرشيد وفى سنة خمس وسبعين غزاها ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح وفيها سار هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الفرنج فقصد إلبة والقلاع

فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفي السنة التي بعدها غزا عبد الملك ابن عبد الواحد ففعل مثل ذلك وكذا في سنة سبع وسبعين فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم اسوارها وابراجها واشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك واوغل في بلادهم ووطئ ارض برطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا واوغل في بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهي من اشهر مغازي المسلمين بالاندلس وفعل مثل ذلك في السنتين اللتين بعدها وتوفي هشام صاحب الاندلس سنة ثمانين ومائة وقام بالامر بعده ابنه الحكم ومن غزوات الرشيد الشهيرة غزوة ارض الروم في سنة احدى وثمانين فتح فيها حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح ارض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة غزا الصائفة عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح فبلغ افسوس مدينة اصحاب الكهف

﴿ ذكر غزو الخزر ٢ بلاد الاسلام ﴾

في سنة ثلاث وثمانين ومائة خرج الخزر من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين واهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا امرا عظيما لم يسمع بمثله فولى الرشيد ارمينية ابن يزيد بن مزيد الشيباني مضافا الى اذربيجان ووجهه اليهم فظفر بهم وفي سنة ست وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس واخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتأخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال المسلمين بفتنة كانت بينهم

﴿ ذكر غزو الروم ﴾

وحيث ذكر الروم هنا وفيما تقدم وفيما يأتي فالمراد بهم النصارى اليونان الذين كان لهم ملك القسطنطينية وهم غير النصارى المعروفين بالافرنج كالفرنسيس والانكليز وفي سنة سبع وثمانين ومائة دخل القاسم بن الرشيد ارض الروم فاناخ على قرة وحصرها ووجه العباس ابن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد اهلها فبعث اليه الروم بثلاثمائة وعشرين اسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم صلحا وكان ملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني فخلعها الروم وملكت نقفور فكتب نقفور الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من اموالها والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح

٢ الخزر طائفة من الكفار خزر العيون اى صغارها اه مؤلف

وغنم و احرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقه نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فأمن رجعة الرشيد اليه فلما جاء الخبر بنقضه ماجسر احد على اخبار الرشيد خوفا على انفسهم من العود فى مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من اهل جنده فقال ابياتا منها

نقض الذى اعطيته نقفور ❊ فعليه دائرة البوار تدور
ابشر امير المؤمنين فانه ❊ فتح اتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا ❊ بالنصر فيه لواؤك المنصور

فلما سمع الرشيد ذلك قال اوقد فعل ذلك نقفور فرجع الى بلاد الروم فى اشد زمان واعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفى واشتفى و بلغ ما اراد ورجع وفى هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالاندلس فتجهز الحكم صاحب الاندلس وسير العساكر مع ابن عم له فلقى المشركين وقاتلهم ففض جمعهم وهزمهم وقتل اكثرهم ونجا الباقون منهزمين وفى سنة ثمان وثمانين ومائة غزا ابراهيم بن جبريل الصائفة فدخل ارض الروم فخرج اليه نقفور ملك الروم واقتتلوا وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وفى سنة تسع وثمانين كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض الروم مسلم

❊ ذكر فتح هرقلة و قبرس و غيرهما ❊

فى سنة تسعين غزا هارون الرشيد الروم فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة وفتح هرقلة واخربها ووجه داود بن عيسى سائرا فى ارض الروم فى سبعين الفا يخرب وينهب ففتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ومقدونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس وكانوا قد نقضوا العهد فهدم واحرق وسبى من اهلها سبعة عشر الفا ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبى هرقلة كان خطبها لولده فأرسلها اليه

❊ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ❊

فى سنة احدى وتسعين ومائة تجهز لذريق ملك الفرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحصرها فبلغ ذلك الحكم صاحب الاندلس فجهز العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فسار فلقوا الافرنج فى اطراف بلادهم قبل ان ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت اموالهم واثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين وفى هذه السنة غزا يزيد ابن مخلد الهبيرى ارض الروم فى عشرة الاف فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين

رجلا وسلم الباقون وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس التى فى الثغور وألزم اهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم وفى سنة اثنتين وتسعين تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبدالله بن مالك فى عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر فأمره الرشيد بقتل الاسرى و بيع السبى وفى هذه السنة كان الفداء الثانى بين المسلمين والروم وكان عدة الاسرى من المسلمين الفين وخمسمائة اسيروفى سنة ثلاث وتسعين توفى هارون الرشيد وبويع ابنه الامين ثم وقع الاختلاف بينه و بين اخيه المأمون الى ان قتل الامين سنة ثمان وتسعين ومائة وكان المأمون بخراسان فبويع وقدم العراق سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة اربع

﴿ ذكر الغزو بالاندلس الى بلاد الفرنج ﴾

فى سنة مائتين جهز الحكم صاحب الاندلس جيشا مع وزيره عبدالكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار بالعساكر حتى دخل ارضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما اهلك موضعا وصل الى غيره فاستخرج خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل اوب فاقبل فى جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين و بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة ايام والمسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا اعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم واسر جماعة من ملوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبدالكريم عنهم وفى سنة احدى ومائتين وقع انتقاض فى الديلم فسير المأمون عبدالله بن خرداذبه والى طبرستان فافتتح جبال طبرستان واسر ملك الديلم واشخصه الى المأمون وفى سنة ست ومائتين توفى الحكم صاحب الاندلس وقام بالامر بعده ابنه عبدالرحمن الاوسط وفى هذه السنة غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا واصابوا من الكفار واصيب منهم ثم عادوا وفى سنة ثمان ومائتين سير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى الافرنج واستعمل عليه الوزير عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث فساروا الى ألبة والقلاع فنهبوا بلاد ألبة واحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين فغنم اموالا جليلة القدر واستنقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا وعادوا سالمين وفى سنة عشر ومائتين سير عبدالرحمن بن الحكم ايضا جيشا الى بلاد الافرنج واستعمل عليه ابنه عبيدالله المعروف بابن البلنسى فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والاسر ولقى جيوش الاعداء فى ربيع الاول فاقتتلوا وانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما وفيها افتتح عسكر سيره عبدالرحمن ايضا حصن القلعة من ارض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان وفى سنة ثنتى عشرة ومائتين

سير عبد الرحمن ايضا جيشا الى بلاد الافرنج فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتل اهلها فاقام الجيش شهرين ينهبون و يقتلون و يخربون ثم رجعوا وفي هذه السنة سير زيادة الله بن ابرهيم بن الاغلب عامل المأمون على افريقية جيشا في البحر الى جزيرة صقلية وكان الروم تغلبوا عليها فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها ثم امد الروم قسطنطين ملكهم بجيوش ووقعت وقائع كثيرة ثم كان النصر للمسلمين وقتلوا من الروم خلقا كثيرا

﴿ ذكر غزوة المأمون الى الروم ﴾

في سنة خمس عشرة ومائتين سار المأمون الى الروم في المحرم وانتهى الى طرسوس ودخل منها بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فاقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه وقيل ان اهله طلبوا الامان فأمنهم وفتح قبله حصن ماجدة ووجه اشناس الى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيف بن عنبسة وجعفر الخياط الى صاحب حصن سناذ فسمع واطاع ثم رجع المأمون وفي سنة ست عشرة ومائتين عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل الفا وستمائة من اهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل ارض الروم وقيل ان سبب دخوله ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار ولم يقرأ كتابه فلما دخل ارض الروم اناخ على انطيعوا فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج اهلها على صلح ووجه اخاه المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى ابن اكثم من طوانة فأغار وقتل واحرق واصاب سبيا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق ثم الى مصر ثم رجع الى الروم سنة سبع عشرة ومائتين فاناخ على لؤلؤة وهي اسم لحصن مائة يوم ثم رحل عنها وترك عجيفا عليها فخدع واسر ثمانية ايام ثم اطلق ثم جاء ملك الروم فاحاط بعجيف فبعث اليه المأمون الجنود فارتحل ملك الروم وخرج اهل لؤلؤه الى عجيف بامان وارسل ملك الروم يطلب المهادنه فلم يتم ذلك وفي سنة ثمانية عشر ومائتين توفي المأمون وهو في بلاد الروم عند نهر البدندون وحمل الى طرسوس فدفن بها وبويع اخوه المعتصم بوصية منه وعهد اليه وفي هذه السنة دخل كثير من اهل همذان واصفهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل [illegible] فوجه اليهم المعتصم العساكر وعليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فاوقع بهم في اعمال همذان وقتل منهم ستين الفا وهرب الباقون الى بلاد الروم والخرمية فرقة من المجوس يعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تنتقل من حيوان الى غيره والرجل منهم ينكح امه واخته و بنته ورئيسهم بابك الخرمي وكان للمعتصم معهم وقائع يطول الكلام بذكرها الى ان اباد كثيرا منهم بالقتل والاسر

﴿ ذكر خروج الروم الى زبطرة ٢ ﴾

في سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام واوقع باهل زبطرة وغيرها قيل انه خرج في مائة الف وقيل اكثر من ذلك فقتل اهل زبطرة الرجال وسبى الذرية والنساء واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل

٢ زبطرة كقمطرة بكسر القاف وفتح الميم وسكون الطاء بلدة بين ملطية وسميساط اه مؤلف

بمن صار فى يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فنفر الى قتالهم اهل الثغور من الشام والجزيره الامن لم يكن له دابة ولا سلاح

❊ ذكر فتح عمورية وهى بروسة ❊

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام مافعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى اسيرة فى ايدى الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير وبلغه ان عمورية عين النصرانية واشرف عندهم من القسطنطينية فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الادم وغير ذلك وفرق عساكره ثلاث فرق فخربوا بلاد الروم وقتلوا كثيرا واحرقوا ووصلوا الى انقورية ثم اجتمعوا فى عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت فى غاية الحصانة وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال فتحها المعتصم فى رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وسبب فتحها ان رجلا وقف على المعتصم فقال يا امير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من احسن النساء اسيرة قد لطمها علج فى وجهها فنادت وامعتصماه فقال العلج ومايقدر عليه المعتصم يجئ على ابلق ينصرك وزاد فى ضربها فقال المعتصم وفى اى جهة عمورية فقال له الرجل هكذا واشار الى جهتها فرد المعتصم وجهه اليها وقال لبيك ايتها الجارية لبيك هذا المعتصم بالله اجابك ثم تجهز اليها فى اثنى عشر الف فرس ابلق وفى هذه التلبية يقول له فى قصيدة ابو تمام حبيب الطائى

❊ لبيت صوتا رطيبا قد هرقت له ❊ كاس الكرى ورضاب الخرد العرب ❊

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له انا نرى انك ما تفتحها الا فى زمان نضج العنب والتين فبعد عليه ذلك واغتم لذلك فخرج ليلة متجسسا فى العسكر يسمع مايقول الناس فرّ بخيمة حداد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلام اقرع قبيح الصورة يضرب نعال الخيل ويقول فى رأس المعتصم فقال له معلمه اتركنا من هذا مالك والمعتصم فقال ماعنده تدبير له كذا وكذا يوم على هذه المدينة معوقته ولا يفتحها لو أعطانى الامر مابات غدا الا فيها فتعجب المعتصم مما سمع وانصرف الى خيامه وترك بعض رجاله موكلا بالغلام فلما اصبح جاؤه به فقال ما حملك ياهذا على مابلغنى عنك فقال الذى بلغك حق ولنى ماوراء خبائك وقد فتح الله عمورية فقال قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب فجمع الرماة واختار منهم اهل الاصابة وجاء الى بدن من ابدان الصور وفى البدن من اوله الى آخره خط اسود من خشب عرضه ثلاثة اشبارا واكثر فحمى السهام بالنار وقال للرماة من اخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه واذا بذلك الخط خشب ساج فعندما حصلت فيه السهام المحمية قام النار فيه واحترق فنزل البدن كما هو وتحامى الرجال ودخل البلد بالسيف وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجمون وفى ذلك يقول ابو تمام حبيب الطائى فى قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتحه عمورية

❊ السيف اصدق انباء من الكتب ❊ فى حده الحد بين الجد واللعب ❊

❊ بيض الصفائح لاسود الصحائف فى ❊ متونهن جلاء الشك والريب ❊

الى آخر ماذكره فى القصيده فلما دخلها ومعه الرجل الذى بلغه حديث الجارية قال له سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه فسار به واخرجها من موضعها وقال لها ياجارية هل اجابك المعتصم وملكها العلج الذى لطمها والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله واخذ السيف الروم واقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه واقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار الى نحو طرسوس ثم رجع الى دار ملكه

﴿ ذكر غزوات زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب عامل افريقية ﴾

قد تقدم ذكر غزوة من غزواته سنة ثنتى عشرة ومائتين ثم كانت له غزوة فى سنة ثلاث عشرة وكذا فى سنة اربع عشرة وهكذا الى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والكلام على تفصيل تلك الغزوات طويل وفى اكثرها كان النصر للمسلمين وتوفى زيادة الله المذكور سنة ثلاث وعشرين وولى بعده اخوه الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وسير سرية سنة اربع وعشرين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين استأمن عدة حصون الى المسلمين من جزيرة صقلية منها حصن البلوط وقراوره ومرو وسار اسطول المسلمين الى قلوريه ففتحها ولقى اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنمت واحرقت وسبت فلم يخرج اليهم احد فسارت الى حصن الغيران وهو اربعون غارا فغنمت جميعها وفى سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البة والقلاع فنزلوا حصن الفرات وغنموا مافيه وقتلوا اهله وسبوا النساء والذرية وعادوا وسير جيشا ايضا فى سنة اربع وعشرين فكان بينهم وبين المشركين حرب شديد فانهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى وفعل مثل ذلك سنة خمس وعشرين ومائتين وفى سنة اربع وعشرين نقض كثير من اهل طبرستان فجهز المعتصم عليهم الجيوش وقاتلهم وقتل كثيرا منهم واسر آخرين حتى رجعوا الى الطاعة وتوفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع ابنه الواثق وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى ارض العدو فلما كانوا بين اربونة و[illegible]طانية تجمعت الروم عليهم واحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما اصبحوا انزل الله [illegible] على المسلمين وهزم عدوهم وفى هذه السنة ايضا سير عبد الرحمن بن الحكم جيشا [illegible] عبدالله المعروف بابن البلنسى الى بلاد العدو فوصلوا الى البلة والقلاع فخرج اليه المشركون فى جمعهم وكان بينهم حرب شديد وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم مالا يحصى [illegible] جمعت الرؤس اكداسا اى مجموعا بعضها فوق بعض حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج ملكهم لذريق فى عسكره واراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى فى عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل فى عسكره وسار فرتون الى الحصن الذى كان بناه اهل البة وراء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

﴿ ذكر غزوات بأفريقية ﴾

وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين غزا فى البحر بأفريقية الفضل بن جعفر الهمدانى فنزل

مرسى مسيني و بث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه اهل نابل وصاروا معه وقاتل الفضل الروم الذين بها مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على اخذها فمضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة فصعدوا اليه ونزلوا الى المدينة و اهل البلد مشغولون بقتال الفضل بن جعفر ومن معه فلما رأى اهل البلد ان المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد وفتح ايضا مدينة مسكان وفى سنة تسع وعشرين ومائتين خرج ابو الاغلب العباس بن الفضل فى سرية فبلغ شرة فقاتله اهلها قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل منهم مايزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية مثلها وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مسيني فاخبر الفضل ان اهل مسيني كاتبوا البطريق الذى بصقلية لينصرهم فاجابهم وقال لهم ان العلامة عند وصولى ان توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلانى فاذا رأيتم ذلك فى اليوم الرابع اصل اليكم فنجتمع انا وانتم على المسلمين بغتة فارسل الفضل من اوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال فلما رأى اهل مسيني النار اخذوا فى امرهم واعد الفضل ماينبغى ان يستعد به وكمن الكمناء وامر الذين يحاصرون المدينة ان ينهزموا الى جهة الكمين فاذا خرج اهلها عليهم قاتلوهم فاذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم فلما كان اليوم الرابع خرج اهل مسيني وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم المسلمون واستجر الروم حتى جاوزوا الكمين ولم يبق بالبلد احد الا خرج فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا السيف فيهم فلم ينج منهم الا القليل فسألوا الأمان على انفسهم واموالهم ليسلموا المدينة فاجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم وسلموا المدينة وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فارسوا بمرسى الطين وخرجوا ليغيروا فضلوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع وفى سنة اربع وثلاثين ومائتين صالح اهل رغوس وسلموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون واخذوا منها ما امكن حمله وفى سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين الى مدينة قصريانة فغنموا وسبوا واحرقوا وقتلوا فى اهلها وكان الامير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان مقيما بمدينة بلرم ولم يخرج منها وانما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم وكانت امارته عليها تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين بعث عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا عليهم الحارث بن بزيغ لقتال الافرنج فوقع القتال و اصاب الحارث ضربة فى وجهه فلمت عينه ثم اسر فجهز عبد الرحمن بن الحكم جيشا واستعمل عليه ابنه محمدا فاوقع بالافرنج وقتل ملكهم غرسية وكثيرا من قومه واطلق الحارث بن بزيغ وفى سنة ثلاثين ومائتين خرج جماعة كثيرون فى بحر الاندلس من المجوس واوقعوا بالمسلمين فى مدائن كثيرة فجهز عليهم عبد الرحمن بن الحكم جيوشا كثيرة مع قواده فقاتلوا المجوس قتالا شديدا وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم فى وقائع كثيرة وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين بعث الواثق جيشا لقتال الروم فقصدوا جليقية وقتلوا واسروا وسبوا وغنموا ثم قصدوا مدينة اليون فحصروها ورموها بالمجانيق فخاف اهلها فتركوها بما فيها

وخرجوا هار بين فغنم المسلمون منهم ما ارادوا واخربوا البلاد ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضه سبع عشرة ذراعا فتركوه ومضوا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة وفي هذه السنة امر الواثق بفداء المسلمين واجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس واحضر المسلمون من معهم من الاسرى واحضر المشركون من معهم من الاسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر و يأتي كل الى اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وكان عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسا ومن النساء والصبيان ثمانمائة نفس والملحق بالمسلمين من اهل الذمة مائة نفس ولما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم الباهلي المقدم في امر الفداء شاتيا فاصاب الناس ثلج ومطر فمات من المسلمين مائتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير وجاء بطريق من الروم ينذره فقال وجوه الناس لاحمد ان عسكرا فيه سبعة آلاف لا تتخوف عليهم فان كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحوا من الف بقرة وعشرة آلاف شاة ورجع فعزله الواثق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي وتوفي الواثق سنة اثنين وثلاثين و بويع اخوه المتوكل بن المعتصم وفي سنة خمس وثلاثين سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا كثيفا لقتال الافرنج فبلغوا البة وغنموا وظفروا وفي سنة ست وثلاثين سير جيشا الى برشلونة فقتلوا من اهلها فاكثروا واسروا جما غفيرا وغنموا وعادوا سالمين وكذا في سنة سبع وثلاثين وتوفي الحكم سنة ثمانية وثلاثين وقام بالامر بعده ابنه محمد

﴿ ذكر غزوات وفتوحات بأفريقية ﴾

قد تقدم ان ابتداء فتوح المسلمين لافريقية كان في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة عشرين من الهجرة ولما كانت خلافة هارون الرشيد ولي على افريقية ابراهيم بن الاغلب التميمي سنة اربع وثمانين ومائة وتوارث بنوه بعده عمالا للخلفاء بني العباس واستمر ذلك فيهم الى سنة مائتين وست وتسعين فزالت [illegible] وصار ملك افريقية للفاطميين و يقال لهم العبيديون فكانت مدة ملك بني الاغلب مائة [illegible] عشرة سنة وكان مقر ملكهم القيروان واتسع ملكهم وقوي بأفريقية وصار [illegible]ثيرة وخيل وجنود وافرة وملك ضخم ومراكب في البحر ولهم كثير من المآثر المحمو[دة] والمواقف المشهودة والغزوات الكثيرة والفتوحات الشهيرة وقد تقدم ذكر كثير منها وسيأتي غيرها واكثر فتوحات افريقية كان على ايديهم ٨ وتقدم ان اول من اختط مدينة القيروان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تثبت له صحبة وكان صالحا من كبار التابعين وخيارهم وكان خطه القيروان سنة خمسين من الهجرة حين كان اميرا على افريقية في خلافة معاوية رضي الله عنه فلما اختطها صارت قاعدة افريقية ومقر ملكها ثم بعد سنين كثيرة صارت مدينة تونس بدلا عنها وافريقية بلاد واسعة قال في القاموس ان افريقية قبالة الاندلس وقال السيد مرتضى في شرحه على

٨ ومن مآثر بني الاغلب ان احمد امير أيام احمد بن محمد بن الاغلب بنى بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد والكلس بالكسر ط في القاموس الصاروج وهو النوره اه مؤلف

القاموس ان افريقية قبالة جزيرة صقلية منحرفة الى الشرق والاندلس منحرفة عنها الى
جهة المغرب وصقلية بكسرات مشددة اللام جزيرة عظيمة بالمغرب كثيرة البلدان والقرى
والمواشى افتتح المسلمون كثيرا من مدائنها وقراها بعد غزوات كثيرة وكان اول الغزو اليها
زمن ولاية معاوية بن حديج على افريقية فى خلافة معاوية رضى الله عنه ولم يفتحها
وتتابع الغزو اليها فى زمن ولاية بنى الاغلب من اول دولتهم الى آخرها وتملكوا اكثر الجزيرة
ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها ولم يتم فتحها الى ان انقضت ولاية بنى الاغلب سنة مائتين
وست وتسعين وجزيرة صقلية الآن داخلة فى ممالك ايطاليا واعلم ان المغرب يشتمل على
ثلاث ممالك عظام وهى المغرب الادنى والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى فالمغرب الادنى
القيروان وتونس وطرابلس المغرب واعمال كل منها والمغرب الاوسط تلمسان والجزائر
واعمالها وذلك الآن بيد الفرنسيس تملكوه من سنة الف ومائتين وست واربعين والمغرب
الاقصى فاس ومراكش والسوس واعمال كل منها وذلك الآن بيد سلطان فاس واغماقيل
لذلك المغرب الاقصى لانه ابعد عن دار الخلافة فى صدر الاسلام وكان قبل استحداث مدينة
تونس موجود مدينة عظمى تسمى (قرطاجنة) بتشديد النون المفتوحة وكانت مدينة شهيرة
من عجائب الدنيا وكانت عند الروم تضاهى مدينة رومه وكان بها كثير من ملوك الفرنج
ومعهم من الفرنج امم لا تحصى فغزاها المسلمون سنة تسع وستين من الهجرة باربعين الفا من
الجند اميرهم حسان بن النعمان فى خلافة عبد الملك بن مروان فحاصرها حسان بن النعمان
بمن معه من الجند الى ان افتتحها وقتل كثيرا ممن كان فيها ونجا قوم منهم فى المراكب الى
جزيرة صقلية وقوم منهم الى الاندلس ولما انصرف عنها حسان بن النعمان دخلها قوم من
اهل الضواحى والبادية وتحصنوا بها فرجع اليهم حسان وقاتلهم اشد قتال وافتتحها
عنوة وأمر بتخريبها واعفاء اثرها وكسر قنواتها فذهبت كامس الدابر ولم يبق بها الا آثار
خفية تدل على ما كان فيها من عجائب الصنعة واحكام العمل وعمر بانقاضها مدينة تونس
بالقرب منها ومن غزوات بنى الاغلب غزوة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فى سنة مائتين
واثنتين جهز جيشا فى مراكب فى البحر الى مدينة سردانية وهى جزيرة كبيرة ببحر
المغرب كانت للروم فغنموا وقتلوا كثيرا ورجعوا سالمين وفى سنة سبع ومائتين سير جيشا
ففتحوا مواضع من جزيرة صقلية وسير ايضا جيشا فى سنة ثنتى عشرة ففتحوا ايضا
مواضع كثيرة من جزيرة صقلية ثم وقع اختلاف بين ملوك الروم الذين كانوا فى صقلية
فاستنجد بعض منهم بزيادة الله بن الاغلب ووعده بانه يملكه جزيرة صقلية فسير معه
جيشا فى ربيع الاول من سنة ثنتى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية ثم
ساروا فلقيهم جمع من الروم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا فانهزمت الروم وقتل كثير منهم
وغنم المسلمون اموالهم ودوابهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ثم توجهوا
الى حصار قصر يانة وهى من جزيرة صقلية وبث المسلمون السرايا فى كل ناحية فغنموا
شيئاً كثيراً وافتتحوا عمراناً كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة براً وبحراً ولحقتهم
الامداد من افريقية فضيقوا على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير

من الروم مددا لجماعاتهم وذلك فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحمل المسلمون فى مراكبهم ليسيروا و يتركوا الحصار فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك احرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة ايام وتسلموا الحصن وسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا اهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن فى الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون واقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل منهم من سلم قصريانة ثم ان سرية للمسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع من عسكر المسلمين فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية واقتتلوا فانهزم المسلمون ايضا وقتل منهم نحو الف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيام فلما خرج المسلمون لبيات الروم لم يجدوا احدا واقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فى المسلمين وانهزم الباقون من المسلمين ودخلوا ميناو فحصرهم الروم ودام الحصار على المسلمين حتى اكلوا الدواب والكلاب فلما سمع بذلك من فى مدينة جرجنت من المسلمين هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم من المسلمين ودام الحال الى ان دخلت سنة اربع عشرة ومائتين وقد اشرف المسلمون على الهلاك اذ اقبل اسطول كثير من المسلمين الذين فى الاندلس خرجوا غزاة ووصل ايضا فى ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب فنزلوا الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم وكانت للروم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولأهله ولماله فاجيب الى ذلك وسار فى البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد فى رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا اقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون الفا وماتوا كلهم وبقى المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين ثم ساروا الى مدينة قصريانة فخرج اليهم من كان فيها من الروم فاقتتلوا اشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا فى الربيع فقاتلوهم فنصر الله المسلمين ايضا ثم سار المسلمون ايضا سنة عشرين الى قصريانة فقاتلهم الروم فهزمهم الله تعالى وانتصر المسلمون عليهم واسرت امرأة لبطريقهم وابن له وغنم المسلمون ما كان فى معسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سيروا عسكرا الى ناحية طبرمين فغنموا غنائم كثيرة ثم عدا بعض عسكر المسلمين على امير المسلمين وهو محمد بن سالم فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله بن الاغلب من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه فسار فى سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم الملك صاحب صقلية ومعه جمع كثير من الروم فتحصنوا من الروم فى ارض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن الملك من قتالهم ووافقهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق اصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا

عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن الملك وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فأتاه حماة اصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون مامعهم من سلاح ومتاع ودواب فكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله بن الاغلب من افريقية الى صقلية ابا الاغلب ابراهيم بن عبد الله اميرا على تلك الجيوش فوصل اليهم منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم في اسطول فغنم المسلمون مافيه من مال واسروا مافيه من رجال فضرب ابو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث اسطولا اخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل من اهل افريقية كان مسلما فتنصر فاتى بهم فضربت رقابهم وسارت سرية اخرى الى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا واكثروا القتل ثم سير ابو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار ايضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بابخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها سير ابو الاغلب ايضا سرية الى قسطلياسة فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وفيها ايضا جهز اسطولا فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها ايضا سير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون واصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة اخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندى فلما جاء الشتاء واظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من اهل قصريانة فتقرب ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به احد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه وطلبوا الامان فامنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا اجفلوذى وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم جاء للمسلمين الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا انفسهم (سرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية (وبلرم) بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم و(مينا و) بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو و(جرجنت) بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان و(قصريانة) بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء وهذه الغزوات هي التي ذكرت مجملة قبل هذا الموضع بورقة استحسنا تدارك ذكرها تفصيلا لما اشتملت عليه من الفوائد ولما توفي محمد بن عبد الله امير صقلية سنة ست وثلاثين كما تقدم اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه امرهم وكتبوا بذلك الى محمد بن الاغلب امير افريقية فأرسل اليه عهدا بولايته وكان العباس يرسل السرايا وتأتيه الغنائم الى ان اتاه عهده بولايته فخرج بنفسه وارسل سرية الى قلعة ابي ثور فغنموا وأسروا وعادوا فقتل الاسرى ثم توجه الى مدينة قصريانة فنهب واحرق وخرب ليخرج اليه البطريق فلم يفعل فعاد العباس وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصريانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك

الى قصر يانة لحصانتها فخرج العباس ومعه جمع عظيم فغنم وخرب واتى قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب واحرق ونزل على شيرة وحصرها خمسة اشهر فصالحه اهلها على خمسة آلاف رأس وفي سنة اثنتين واربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصونا جمة وفي سنة ثلاث واربعين سار الى قصر يانة فخرج اهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فاكثر وقصد سرقوسة وطبرمين وغيرهما فنهب وخرب واحرق ونزل على القصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم فبذلوا له خمسة عشر الف دينار فلم يقبل منهم واطال الحصر فسلموا اليه الحصن على شرط ان يطلق مائتي نفس فأجابهم الى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن

﴿ ذكر فتح قصر يانة ﴾

في سنة اربع واربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصر يانة وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصر يانة لحصانتها وسبب فتحها ان العباس سار في جيوش المسلمين الى مدينة قصر يانة وسرقوسة وسير جيشا في البحر فلقيهم اربعون شلندي للروم فاقتتلوا اشد قتال فانهزم الروم واخذ المسلمون منهم عشر شلنديات برجالها وعاد العباس الى مدينته فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصر يانة فنهبوا وخربوا وعادوا وكان معهم اسير من الروم له عند الروم قدر ومنزلة فامر العباس بقتله فقال استبقني ولك عندي نصيحة قال وماهي قال املككم قصر يانة والطريق في ذلك أن القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم اليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى ادخلكم المدينة فانتخب العباس الفي فارس انجادا ابطالا وسار الى ان قاربها وكمن هناك مستترا وسير عمه رباحا في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي معهم مقيدبين يدي رباح فأراهم الموضع الذي ينبغي ان يملك منه فنصبوا السلالم وصعدوا حتى وصلوا الى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام فدخلوا من باب صغير فيه يدخل منه الماء وتلقى فيه الاقذار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح بها يوم الخميس وبنى فيها في الحال مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيه من المقاتلة واخذوا مافيها من بنات البطارقة بحليهن وابناء الملوك واصابوا فيها مايعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما ولما سمع الروم بذلك ارسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندى وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب وفي سنة ست واربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية فخرج العباس اليهم وقاتلهم فانهزم الروم وقتل كثير منهم وسار الى بعض القلاع التي نكثت فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيرا من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم وجرى بينه وبينهم قتال

شديد فهزمهم وعاد الى قصريانة فحصنها وشحنها بالعساكر وفى سنة سبع واربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم وسار الى غيران فرقنة فاعتل ومات بعد ثلاثة ايام فنبشه الروم واحرقوه وكانت ولايته احدى عشرة سنة وادام الجهاد شتاء وصيفا وغزا ارض قلورية وانكبردة واسكنها المسلمين

﴿ ذكر مسير الروم الى ارض مصر ﴾

فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكل جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ احدهم فى مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون ماؤها الى صدر الرجل فن جازها الى الارض أمن من مراكب البحر فجازه قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار الى مصر وكان على معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبى فلما حضر العيد امر الجند الذين بدمياط ان يحضروا الى مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهى فارغة من الجند فنهبوا واحرقوا وسبوا واحرقوا جامعها واخذوا ما بها من سلاح ومتاع وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك وكان عنبسة قد حبس ابن الاكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة وسارت الروم الى أشتوم تنيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد وغزا الصائفة فى هذه السنة على بن يحيى الارمنى وفى سنة اربعين كان قتال بين محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس وبين الافرنج فكان النصر له عليهم وقتل منهم نحو ثمانية آلاف وفى سنة احدى واربعين قتلت تدورة ملكة الروم من اسرى المسلمين اثنى عشر الفا فانها عرضت النصرانية على الاسرى فمن تنصر تركته ومن ابى قتلته وارسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم ففداهم المتوكل وكانوا سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة

﴿ ذكر اغارة البجاة على مصر ومحاوة ارض النوبة والبجاة اهل تلك الارض ﴾

فى سنة احدى واربعين اغارت البجاة على ارض مصر وكانت قبل ذلك لاتغزو بلاد الاسلام لهدنة قديمة وفى بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس الى اهل مصر فامتنعوا ايام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين فلما بلغ الخبر المتوكل شاور وزراءه فى امرهم فذكروا له انهم اهل بادية واهل ابل وشياه وان الوصول الى بلادهم صعب لانها مفاوز وبين ارض الاسلام وبينها مسيرة شهر فى ارض قفر وجبال وعرة وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود للمدة التى يتوهم انه يقيمها الى ان يخرج الى بلاد الاسلام فان جاوز تلك المدة هلك واخذتهم البجاة باليد وان ارضهم لاترد على سلطان شيأ فامسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمى محاربتهم وكتب الى عنبسة بن اسحاق عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه

الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجاة وتبعه ممن يعمل فى المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحوا من عشرين الفا بين فارس وراجل ووجه الى القلزم فحمل فى البحر سبعة مراكب موقورة بالذخيرة وامر اصحابه ان يوافوه بها فى ساحل البحر مما يلى بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التى يعمل منها الذهب وسار الى حصونهم وقلاعهم وخرج اليه ملكهم وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبى يسجد له فى جيش كثير اضعاف من مع القمى وكانت البجاة على الابل فتحاربوا اياما وطاولهم البجاة لتفنى ازواد المسلمين وعلوفاتهم فيأخذوهم بغير حرب فاقبلت تلك المراكب التى فيها الاقوات فى البحر ففرق القمى ما كان فيها فى اصحابه فاتسعوا فيها فلما رأى ملك البجاة ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكانت ابلهم ذعرة تنفر من كل شئ فلما رأى القمى ذلك جمع كل جرس فى عسكره وجعلها فى اعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت ابلهم لاصوات الاجراس فحملتهم على الجبال والاودية وتبعهم المسلمون قتلا واسرا حتى ادركهم الليل ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ثم ان ملكهم طلب الامان فامنه على مملكته وبلاده فادى لهم الخراج للمدة التى كان منعها وهى اربع سنين وسار القمى الى المتوكل فخلع عليه وعلى اصحابه وفى هذه السنة اغارت الروم على عين زربة فأخذت من كان بها اسيرا من الزط (الزط جيل من السودان طوال الاجسام) من نسائهم وذراريهم ودوابهم وفى هذه السنة ايضا سير محمد صاحب الاندلس الجيوش الى غزو الافرنج فدخلوا بلادهم ووصلوا الى البة والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا وفى سنة اثنتين واربعين خرجت الروم من ناحية ٣ سميساط حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا واسروا نحوا من عشرة آلاف ثم رجعوا فخرج قوم من المتطوعة فى آثارهم فلم يلحقوهم وكتب المتوكل الى على بن يحيى الارمنى ان يسير الى بلادهم ثانيا ففعل وفى هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلاد الافرنج فدخلوا الى برشلونة وحاربوا قلاعها وجاوزوها الى ماوراء اعمالها ففتحوا كثيرا وافتتحوا حصنا من اعمال برشلونة يسمى . اجة من آخر حصون برشلونة وفى سنة اربع واربعين بعث المتوكل بغا الكبير فى العساكر الصائفة فدخل بلاد الروم فدوخها واكتسحها من سائر النواحى ورجع وفى سنة خمس واربعين اغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا واسروا خلقا كثيرا وغزا على بن يحى الارمنى الصائفة ومنع اهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود اليها فبعث اليهم ملك الروم يضمن لكل رجل منهم الف دينار على ان يسلموا اليه (لؤلؤة) قلعة للصقالبة فاصعدوا البطريق اليهم ثم اعطوا ارزاقهم الفائتة وما ارادوا ثم سلموا البطريق ولؤلؤة الى بلكاجور فسيره الى المتوكل فبذل ملك الروم فى فدائه الف مسلم كانوا مأسورين عنده وفى سنة ست واربعين ايضا غزا عمر بن عبيد الله الاقطع الصائفة فجاؤا بسبعة عشر الف رأس وغزا قرياس فجاء بخمسة آلاف رأس وغزا الفضل بن قارن فافتتح حصن انطاكية وغزا بلكاجور فغنم وسبا وغزا على بن يحى الارمنى فاخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف رأس .ه السنة كان الفداء على يد على بن يحى الارمنى ففودى بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين

٣ سميساط بضم السين الاولى وفتح الميم على صيغة المصغر بلدة بشاطئ الفرات اه مؤلف

نفسا وفى هذه السنة والتى قبلها خرج المجوس من بلاد الاندلس فى مراكب الى بلاد الاسلام فامر محمد بن عبد الرحمن صاحب البلاد باخراج العساكر الى قتالهم فوصلت مراكب المجوس الى اشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الى قتالهم واحرقت المسجد الجامع ثم [illegible] الى العدوة ثم تقدموا الى حائط افرنجة واغاروا واصابوا من النهب والسبى كثيرا ثم [illegible] فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب المجوس واخذوا مركبين [illegible] فحمى المجوس عند ذلك وجدوا فى القتال واستشهد جماعة من المسلمين ثم مضت مراكب المجوس حتى وصلت الى مدينة بنبلونة فاصابوا صاحبها غرسية الفرنجى فافتدى نفسه منهم بتسعين الف دينار وفى هذه السنة غزا عامل طرسوسة بنبلونة فافتتح حصن بيلسان وسبى اهله ثم كانت على المسلمين فى اليوم الثانى وقعة استشهد فيها جماعة وفى سنة سبع واربعين غزا محمد صاحب الاندلس فى جيوش كثيرة بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فاكثروا فتتح حصونا واسر فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم اطلقه وفى هذه السنة قتل المتوكل قتله خدمه الاتراك وبويع ابنه المنتصر ومات بعد ستة اشهر وبويع المستعين بن المعتصم

﴿ ذكر فتوحات وغزوات بافريقية ﴾

لما توفى امير صقلية العباس بن الفضل سنة سبع واربعين ولى الناس عليهم ابنه عبد الله وكتبوا الى الامير بافريقية بذلك واخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعا متعددة وبعد خمسة اشهر وصل من افريقية خفاجة بن سفيان اميرا على صقلية وكان وصوله سنة ثمان واربعين فاكثر الغزوات والسرايا على الروم الذين بتلك النواحى وشن عليهم الغارات ففتح حصونا كثيرة واستمر على ذلك الى سنة خمس وخمسين وتوفى واقيم بعده ابنه محمد وكان الروم يحاصرون مالطة فسير اليهم جيشا سنة ست وخمسين فلما سمع الروم بذلك رحلوا ثم قتل محمد بن خفاجة سنة سبع وخمسين قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فادركوهم فقتلوهم وفى سنة ثمان واربعين ومائتين [illegible] الفرنج يستمده فارسل اليه جيشا كثيفا وارسل المسلمون [illegible] فاتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا فملكوا ارباضها وبرجين من ابراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا وفى سنة ثمان واربعين غزا وصيف التركى بلاد الروم ومعه اثنا عشر الفا فدخل بلاد الروم وافتتح حصن فرورية وفى سنة تسع واربعين سير محمد صاحب الاندلس جيشا الى مدينة البة والقلاع من بلد الفرنج فجالت الخيل فى ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصونا منيعة وفى سنة تسع واربعين ايضا غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الاقطع فى المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار فى خلق كثير من اهل ملطية فلقيه الملك فى جمع عظيم من الروم بمرج الاسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم احاطت به الروم وهم خمسون الفا وقتل عمر وممن معه الفان من المسلمين فلما [illegible] قتل عمر بن عبيد الله

خرج الروم الى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى اموال المسلمين وحرمهم فبلغ ذلك على بن يحيى وهو قافل من ارمينية الى ميافارقين فى جماعة من اهلها ومن اهل السلسلة فنفر اليهم فقتل فى نحو من اربعمائة رجل ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبيد الله وعلى بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديدا بأسهما عظيما غناؤهما عن المسلمين فى الثغور شق ذلك عليهم مع استعظامهم قتل الاتراك للمتوكل واستيلائهم على امور المسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وقام بعض الاجناد يطلبون ارزاقهم وثار من ذلك فتن متتابعة يطول الكلام بذكرها واستمرت الى ان خلع المستعين وبويع المعتز بن المتوكل سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قتل المستعين سنة ثنتين وخمسين وفى سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم واسر

ذكر غزوة عظمى بالاندلس على بلاد الفرنج

فى سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى بلاد الفرنج فساروا وقصدوا الملاحة وكانت أموال لذريق ملك الفرنج بناحية البة والقلاع فلما عم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار يريدهم فالتقوا بموضع يقال له فج المركوين فاقتتلوا فانهزم الفرنج الا انهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لايلوون على شئ وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان عدد مااخذ من رؤس الفرنج الفين واربعمائة واثنين وتسعين رأسا وكان فتحا عظيما وعاد المسلمون بالغنائم الكثيرة وسير جيشا ايضا فى السنة التى بعدها فقصدوا البة والقلاع ومدينة مانة وقتلوا من اهلها عددا كثيرا ثم قفلوا سالمين وفى سنة ثلاث وخمسين ايضا سير جيشا فافتتحوا حصون جرفيق وغلبوا على اكثرها وفى سنة خمس وخمسين ومائتين خلع المعتز ثم قتل وبويع المهتدى بن الواثق وخلع ثم قتل سنة ست وخمسين وبويع المعتمد على الله بن المتوكل وفى سنة تسع وخمسين ومائتين خرجت عساكر الروم فنازلوا سميساط ثم نازلوا ملطية وقاتلهم اهلها فانهزم الروم وقتل بطريق من بطارقتهم وفى هذه السنة سارت سرية للمسلمين بافريقية الى سرقوسة فصالحهم اهلها على ان يطلقوا الاسرى من المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا ثلاثمائة وستين اسيرا فلما اطلقوهم عادوا عنهم

ذكر القتال مع صاحب الزنج

ابتداء ظهور صاحب الزنج كان فى سنة خمس وخمسين ومائتين وذكر القتال معه ملحق بالقتال مع الكفار لانه وان كان يدعى الاسلام لكن مافعله باهل الاسلام اشنع مما تفعله الكفار كما ستراه والكلام على قصته طويل مبسوط فى التواريخ وتلخيصها ان رجلا من بنى عبد القيس اسمه [illegible] محمد بن عبد [illegible] ان فى سر من رأى واصله من الرى وكان متصلا بحاشية المنتصر [illegible] كل [illegible] يمدحهم [illegible] ويستميحهم من عطائهم ثم انه شخص من سر من رأى سنة تسع

واربعين ومائتين الى البحرين وادعى نسبته فى العلويين فقال مرة انه على بن محمد بن احمد ابن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وقال مرة انه من ولد الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن ابى طالب ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من اهلها ومن غيرهم وخالفه آخرون فجرى بين الطائفتين عصبية وقتال قتل فيه جماعة وكان اكثر اهل ال... محل نبى وجبى الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا اصحاب ... جماعة وتنكروا له فانتقل الى الاحسا وصحبه جماعة من اهل البحرين ثم تنقل فى البادية وقال اوتيت فى تلك الايام بالبادية آيات من آيات امامتى ظاهرة للناس منها انى لقنت سورا من القرآن فجرى بها لسانى فى ساعة وحفظتها فى دفعة واحدة منها سبحان والكهف وص ومنها انى تفكرت فى الموضع الذى اقصده حيث نبت بى البلاد فاظلتنى غمامة وخوطبت منها فقيل لى اقصد البصرة الى غير ذلك من مقالاته المخترعة وفى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى انه ادعى انه ارسل الى الخلق فرد الرسالة وكان له منبر يصعد اليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية والزبير وطلحة وعائشة وفى تاريخ ابن الاثير وابن خلدون انه كان يرى رأى الخوارج وهذا يبطل انتسابه الى العلويين وكان اول ظهوره للناس سنة خمس وخمسين ومائتين وكان فى مبدإ امره يدعو الغلمان من الزنوج الذين يسكنون السباخ فى جهة البصرة فاجتمع له منهم خلق كثير وكان يعدهم بالعتق و يرغبهم فى الاحسان فاذا جاء احد من موالى الزنوج يطلبون عبيدهم يأمر كل عبد ان يضرب مولاه ثم يحبسهم ثم يطلقهم فامتنع موالى الزنوج من طلب عبيدهم وكان يخطب العبيد وغيرهم ممن تبعه فى كل وقت و يرغبهم ولم يزل هذا دأبه والزنوج يأتون اليه بكثرة و يتابعونه و يدخلون فى امره واتخذ له راية وكتب عليها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية فكثرت جيوشه واستحكم امره وشن الغارات وبث اصحابه يمينا وشمالا للاغارة والنهب وسار بالجيش الى الابلة فخرجوا له باربعة آلاف فهزمهم وملك الابلة ثم سار الى القادسية فملكها ونهبها فكثر عنده المال والسلاح ... البصرة لقتاله فهزمهم وقتل منهم ... اخرى ... واخرى ... ل...هما وكان معهما سفن القتها الريح الى الشط فغنم ما فيها وكثر شغبه وفساده وجاء ابو هلال من قواد الاتراك فى اربعة آلاف مقاتل فلقيه فهزمه وقتل كثيرا من اصحابه ثم خرج اليه ابو منصور احد موالى الهاشميين فى عسكر عظيم فهزمهم وكان من اعيان اصحابه يحيى بن محمد الازرق البحرانى وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه وذكر ريحان احد غلمان السورجيين وهو اول من صحبه منهم انه قال كنت موكلا بغلمان مولاى انقل لهم الدقيق فاخذنى اصحابه فساروا بى اليه وأمرونى أن اسلم عليه بالامرة ففعلت فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فاخبرته وسألنى عن اخبار البصرة فقلت لا علم لى وسألنى عن غلمان السورجيين وعن احوالهم وما يجرى لهم فاعلمته فدعانى الى ما هو عليه فاجبته فامرنى ان احتال على من قدرت عليه من الغلمان الزنج واقبل بهم عليه ووعدنى ان يجعلنى قائدا على من اتيته بهم ففعلت اليه من الغداة وقد اتيته بجماعة من الزنج ،

جماعة مع غلمان الدباشـين وما زال يدعو غلمان اهل البصرة وغيرهم فيقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده خلق كثير منهم فخطبهم ووعدهم ان يجعلهم قواداً ويملكهم الاموال وحلف لهم بالايمان ان لايغدر بهم ولايخذلهم ولايدع شيأ من الاحسـان اليهم ولمن اتى بهم وجاء اليه بعض موالى العبيد وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم لكل منهم عبده فبطح اولئك الموالى وامر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليهم كل سيد خمسمائة سوط وكان اذا خطب العبيد يذكرهم ماكانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وان الله تعالى ابعدهم من ذلك وانه يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال وجاءه مرة رجل من رؤسـاء الزنج يكنى بأبى صالح بثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم منهم وقال لهم كل من اتى منكم برجـل فهو مضموم اليه وما زالت جيوشـه تكثر من الزنج وغيرهم حـتى بلغت الوفا مؤلفة واعداداً لا تحصى فشـن الغارات على القرى والامصار واكثر القتل والنهب وجهز له الخليفة الجـيوش الكثيرة المرة بعـد الاخرى وهو يهزم تلك الجيوش ويقتل كثيراً منها ويسبى من القرى والامصار النساء والذرية وما زال امره هكذا اربع عشرة سنة حتى ظفروا به وقتلوه واضمحل امره قال الجلال السـيوطى فى تاريخ الخلفاء استمر القتال مع صاحب الزنج من حين تولى المعتمد على الله ابن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد سنة ست وخمسين ومائتين الى سنة سبعين ومائتين فقتل فيها رئيس الزنج لعنه الله قال وذكر الصولى ان الذين قتلهم من المسلمين الف الف وخمسمائة الف انسـان وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف ولما قوى امر صاحب الزنج صار المباشر لقتاله وقيادة الجيوش لقتاله الموفق طلحة بن المتوكل وهو اخو الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل وباشر معه ايضا لقيادة بعض تلك الجيوش ابنه ابو العباس احمد الذى صار بعد المعتمـد على الله خليفة ولقب بالمعتضد قال المسعودى فى تاريخه المسمى مروج الذهب شخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه اباالعباس فى ربيع الآخر الى سوق الجيش وقيادته وكان رجل يقال له الشعرانى من اصحاب صاحب الزنج قد تحصن فى جمع كثير من الزنج ففتح ابو العباس بن الموفق هذا الموضع وغنم جميع ماكان فيه ثم فتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما افسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة ايامه اربع عشرة سنة واربعة اشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى البصرة فى وقعة واحدة من وقائعه فقتل ثلاثمائة الف من الناس وكان المهلبى من اصحاب صاحب الزنج بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ويدعو لصاحب الزنج ويلعن جبابرة بنى العباس وكثيرا من الصحابة فاجتمع من بقى من اهل البصرة وارادوا الخروج على المهلبى ليقتلوه فعلم بهم فوضع السيف فيهم فمن ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون فى الليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها فيأكلونها والفيران والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا إذا مات منهم الواحد اكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم انها حضرت امرأة

تنازع وعندها اختها وقد احتوشوها ينظرون ان تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة ...
حتى ابتدرنا فقطعناها واكلناها ولقد حضرت اختها ثم جاءت وهى تبكى ومعها رأس
اختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على اختى فاتركوها حتى تموت موتا حسنا
حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى اختها
ومثل هذا كثير واعظم مما وصفنا ثم قال المسعودى وبلغ من امر عسكر صاحب الزنج انه كان
ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش
وغيرهم من سائر العرب وابناء الناس فتباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها
بنسبها هذه فلانة ابنة فلان الفلانى ولكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون
يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب
الزنج امرأة من ولد الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما كانت عند بعض الزنج
وسألته ان ينقلها منه الى غيره من الزنج او يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك واولى بك من
غيره ثم قال المسعودى وقد تكلم الناس فى مقدار ماقتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل
فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا الله
تعالى عالم الغيب فيما افتتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد اهلها والمقلل يقول أفنى
من الناس خمسمائة الف الف انتهى وقال الجلال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ولما قتل هذا الخبيث
لعنه الله تعالى اتى برأسه على رمح ودخلوا به بغداد وعملت الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق
طلحة ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وتراجع الناس الى المدائن التى كان قد أخذها وهى
كثيرة كواسط والبصرة وغيرهما انتهى وبالجملة فان هذه القضية كانت مصيبة عظمى على اهل
الاسلام هذا تلخيص قصة صاحب الزنج باختصار وان اردت تفصيل الوقائع والحروب التى
كانت لهذه القصة فى تلك السنين فانظرها فى التواريخ تجدها مبسوطة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ملك الروم لؤلؤة ﴾

فى سنة ثلاث وستين ومائتين سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم وهى قلعة للصقالبة وكان سبب
ذلك ان احمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل ان يلى مصر فلما ولى مصر سنة خمس
وخمسين كان يؤثر ان يلى طرسوس ليغزو منها اميرا فلم يجب الى ذلك وكان العمال الذين
يأتون الى طرسوس يسيئون السير وآل الامر الى استيلاء الروم على القلعة المذكورة فشق
ذلك على اهل طرسوس لانها كانت شجى فى حلق العدو ولم يكن يخرج الروم فى برا وبحر
الا رأوه وأنذروا به واتصل الخبر بالمعتمد على الله فقلد طرسوس احمد بن طولون واستعمل
عليها من يقوم بغزو العدو ويحفظ ذلك الثغر ويقيم الجهاد وفى هذه السنة سير محمد صاحب
الاندلس ابنه المنذر فى جيش كبير وجعل طريقه على ماردة فلما جاوزها الى ارض العدو
تبعه تسعمائة فارس من العسكر فخرج عليهم جمع كثير من الفرنج فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه
وقتل من الفرنج عدد كثير ثم استظهر المشركون على التسعمائة فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم
عن آخرهم اكرمهم الله بالشهادة وفى سنة اربع وستين غزا بالصائفة عبد الله بن رشيد بن

كا[illegible]وس فى اربعين الفا من اهل الثغور الشامية فأثخن فى الروم وغنم ورجع فلما رحل عن [illegible]ون خرج عليه جمع من الروم فاحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون ونزلوا وعرقبوا دوابهم وقاتلوا حتى قتلوا الا خمسمائة فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وقتل الروم من قتلوا واسروا عبدالله بن رشيد بعد ضربات اصابته وحمل الى ملك الروم فبعث به الى احمد بن طولون صاحب مصر ومعه كثير من الاسرى وأهدى لابن طولون عدة مصاحف

﴿ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة ﴾

فى سنة اربع وستين ومائتين ملك المسلمون سرقوسة وهى من اعظم مدائن صقلية وكان سبب ملكها ان جعفر بن محمد امير صقلية غزاها فافسد زرعها وزرع ماحولها من بلاد صقلية التى بارض الروم ونازل سرقوسة وحصرها برا وبحرا وملك بعض ارباضها فوصل مراكب الروم نجدة لها فسير اليها اسطولا فاصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها فاقام العسكر محاصرا لها تسعة اشهر وفتحت عنوة وقتل من اهلها عدة الوف واصيب فيها من الغنائم مالم يصب بمدينة اخرى ولم ينج من رجالها الا الفذ النادر واقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم هدموها ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فالتقوا هم والمسلمون فظفر بهم المسلمون واخذوا منهم اربع قطع فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون الى بلادهم وفى هذه السنة سير محمد بن عبدالرحمن صاحب الاندلس ابنه المنذر فى جيش الى مدينة بنبلونة وجعل طريقه على سرقسطة فقاتل اهلها ثم انتقل الى تطيلة وجال فى مواضع ثم دخل بنبلونة فخرب كثيرا من حصونه واذهب زروعه وعاد سالما وفى سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى اذنة فقتلوا واسروا قتلوا نحوا من الف واربعمائة واسروا نحوا من اربعمائة وكان ارجوز والى الثغور فعزل عنها وفى سنة ست وستين ومائتين وردت سرية من الروم الى ديار ربيعة فاسرت نحوا من مائتين وخمسين انسانا ومثلت بالمسلمين فنفر اليهم اهل الموصل ونصيبين [illegible]وم وفى هذه السنة لقى اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بالمسلمين بعد قتال شديد ولحق من سلم منهم الى مدينة بلرم من صقلية وفى هذه السنة ايضا غزا عامل ابن طولون على الثغور الشاميه فى ثلاثمائة من اهل طرسوس واعترضهم اربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل المسلمون خلقا كثيرا من العدو واصيب من المسلمين جماعة وفى سنة سبع وستين ولى جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبعث السرايا الى كل ناحية وخرج الى قطانية فافسد زرعها وزرع طبرمين وقطع اشجارها وسار الى بقارة فافسد زرعها وانصرف الى بلرم واخرجت الروم سرايا فاصابوا من المسلمين كثيرا وفى سنة ثمان وستين سارت سرية من صقلية فلقيهم جيش الروم فاصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر وعزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل فبث السرايا فى كل ناحية من صقلية وخرج هو فى جيش عظيم فسار الى مدينة قطانية فاهلك زرعها ثم رحل الى اصحاب الشلندية فقاتلهم فاصاب فيهم فاكثر القتل ثم رحل الى طبرمين فافسد زرعها ثم رحل فلقى عسكر الروم فاقتتلوا وانهزم الروم وقتل اكثرهم فكانت

عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤسهم الى بلرم ثم سار المسلمون الى قلعة كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فلكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها وفى هذه السنة خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فنازل ملطية فاعانهم اهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغانى عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر الفا وغنم الناس فبلغ السهم اربعين دينارا وفى سنة تسع وستين خرج محمد بن الفضل امير صقلية فى عسكر الى ناحية رمطة و بلغ العسكر الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم ثم انصرف الى بلرم وفى سنة سبعين زحف الروم فى مائة الف ونزلوا قلمية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازمار عامل طرسوس لابن طولون ليلا فبيتهم وقتل منهم سبعين الفا وجماعة من البطارقة وقتل مقدمهم بطريق البطارقة وغنم منهم سبعة صلبان ذهبا وفضة وكان اعظمها من ذهب مكللا بالجواهر وغنم خمسة عشر الف دابة ومن السروج والسيوف مثل ذلك واربع كراسى من ذهب ومائتين من فضة وعشرين علما من الديباج وآنية كثيرة ونحوا من عشرة آلاف علم ديباج وديباجا كثيرا وغير ذلك وفى هذه السنة اراد اسماعيل بن موسى احد امراء الاندلس بناء مدينة ماردة فلما سمع الفرنجى صاحب برشلونة جمع وحشد يريد منعه من ذلك فسمع به اسماعيل فتقدمه وقاتله وهزمه وقتل اكثرهم و بقى اكثر القتلى فى تلك الارض دهرا طويلا وفى سنة احدى وسبعين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى رمطة فخربت وغنمت وسبت واسرت كثيرا وعادت وسار جيش كثير من صقلية الى قطانية فاهلك ما فيها وسار الى طبرمين فقاتل اهلها وافسد زرعها وتقدم فيها فأتى رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة اشهر وفاداه ثلاثمائة اسير من المسلمين ورجع الجيش وفى سنة اثنتين وسبعين غزا الصائفة بازمار وخرجت سرية من صقلية الى الروم الذين بها فغنمت وعادت وفيها قدم بطريق من القسطنطنية فى عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على امان ولحقوا بصقلية ثم سار عسكر البطريق الى مدينة منتية فحصروها حتى سلمها اهلها بامان وفى سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازمار وتوغل فى ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس وفيها توفى محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وولى بعده ابنه المنذر وتوفى بعد سنة واحد عشر شهرا وبويع اخوه عبد الله

﴿ ذكر غزو الروم ووفاة بازمار ﴾

فى سنة ثمان وسبعين خرج بازمار غازيا فى جيش فبلغوا اشكند ونازلوها فاصاب بازمار شظية من حجر منجنيق فرجع ومات فى طريقه ودفن بطرسوس وفى سنة تسع وسبعين توفى المعتمد على الله وبويع المعتضد بن الموفق بن المتوكل وفى سنة ثمانين غزا اسماعيل بن احمد السامانى صاحب خراسان بلاد الترك وافتتح مدينة ملكهم واسر أباه وامرأته خاتون ونحوا من عشرة آلاف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم من الدواب مالا يحصى واصاب الفارس

من الغنيمة الف درهم وفى سنة احدى وثمانين غزا المسلمون الروم فدامت الحرب بينهم اثنى عشر يوما فظفر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا

﴿ ذكر حصر الصقالبة ٣ القسطنطنية ﴾

فى سنة ثلاث وثمانين سارت الصقالبة الى الروم فحصروا القسطنطنية وقتلوا من اهلها خلقا كثيرا وخربوا البلاد فلم يجد ملك الروم منهم خلاصا فجمع من عنده من اسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا لكون الصقالبة كفارا فكشفوا الصقالبة وازاحوهم من القسطنطينية ولما رأى ملك الروم ذلك خاف من المسلمين على نفسه فردهم واخذ السلاح منهم وفرقهم فى البلاد حذرا من جنايتهم عليه وفى هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فدى من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس وفى سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفق فى البحر فغنم مراكب كثيرة فضرب اعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها واحرق المراكب وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما وفيها غزا ابن الاخشيد صاحب مصر بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرونه وفى سنة سبع وثمانين غزا ابو العباس احمد بن الاغلب مدينة بلرم برا وبحرا فخرج اليه اهلها فقاتلوه ثم انهزموا ووقع القتل فيهم وملك البلد ثم رحل الى طبرمين فقطع كرومها وقاتلهم ثم رحل الى قطانية فحصرها فلم ينل منها غرضا فرجع الى صقلية الى ان دخلت سنة ثمان وثمانين فتجهز للغزو وطاب الزمان وعمر الاسطول وسيره الى قطانية ونصب عليها المجانيق واقام اياما ثم انصرف الى مسينى وجاز الى ريو وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلهم على باب المدينة وهزمهم وملك المدينة بالسيف وغنم من الذهب والفضة مالا يحد وشحن المراكب بالدقيق والامتعة ورجع الى مسينى وهدم سورها ووجد بها مراكب وصلت من القسطنطينية فاخذ منها ثلاثين مركبا ورجع الى المدينة وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين سير المعتضد جيشا الى صائفة الروم ففتحوا حصونا كثيرة ورجعوا باسرى كثيرة ثم ان الروم ساروا فى البر والبحر الى ناحية كيسوم فاخذوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الفا وعادوا وفى سنة تسع وثمانين توفى المعتضد وبويع ابنه المكتفى وفى سنة احدى وتسعين ومائتين خرجت الترك فى خلق كثير الى ماوراء النهر فوجه اليهم صاحب خراسان اسماعيل السامانى جيشا كثيرا وتبعهم من المتطوعة خلق كثير فساروا نحو الترك فوصلوا اليهم وهم غارون فكبسهم المسلمون مع الصبح وقتلوا منهم خلقا عظيما لا يحصون وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم وعاد المسلمون سالمين غانمين وفى هذه السنة خرج من الروم مائة الف عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف الى الثغور فقصد جماعة منهم الحدث (بلدة بالروم) فاغاروا وسبوا واحرقوا وفى هذه السنة غزا من طرسوس القائد المعروف بغلام زرافه ففتح مدينة انطاكية بالسيف وقتل خمسة آلاف من الروم واسر مثلهم واستنقذ من الاسارى خمسة آلاف وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع فقسمها مع غنائم انطاكية فكان السهم الف دينار وفى سنة اثنتين وتسعين اغار الروم على مرعش ونواحيها فنفر اهل المصيصة واهل طرسوس

٣ الصقالبة جيل بلادهم تحاد بلاد الخزر بين بلغار وقسطنطينية اه مؤلف

واجلوهم واصيب جماعة من المسلمين وفي هذه السنة كان الفداء فكان جملة من فودى من اسرى المسلمين الف نفس ومائتي نفس وفي سنة ثلاث وتسعين اغارت الروم على قورس من اعمال حلب فقاتلهم اهلها قتالا شديدا ثم انهزموا وقتل الروم اكثرهم ودخل الروم قورس فاحرقوا جامعها وساقوا من بقي من اهلها وفي سنة اربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فاصاب من الروم اربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاع ودخل بطريق من بطارقة الروم في الامان واسلم وفيها ايضا غزا ابن كيغلغ فبلغ شكند وفتح الله عليه وسار الى الليس فغنموا نحوا من خمسين الف رأس وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم وانصرفوا سالمين وكان بطريق على حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم فارسل ذلك البطريق الى المكتفي يطلب الامان فاعطاه فخرج من حصنه ومعه مائتا اسير من المسلمين كانوا معه في الحصن وكان ملك الروم ارسل ليقبض عليه فاعطا المسلمين سلاحا فخرجوا معه وقبضوا على الذين ارسلهم ملك الروم ليقبضوا عليه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا مافي عسكرهم فاجتمعت الروم لمحاربة البطريق فسار اليهم جمع من المسلمين ليخلصوه ومن معه من اسرى المسلمين فبلغوا قونية فبلغ الخبر الى الروم فانصرفوا عنه فانصرف البطريق ومن معه الى بغداد واخرب المسلمون قونية وارسل ملك الروم الى الخليفة المكتفي فطلب الفداء وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل الساماني صاحب خراسان مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم وفي سنة خمس وتسعين توفي المكتفي وبويع اخوه المقتدر بن المعتضد وفي هذه السنة فودى من المسلمين ثلاثة آلاف نفس رجالا ونساء وفي سنة ست وتسعين كان ابتداء دولة العبيديين بافريقية وتفصيل ذلك طويل مذكور في التواريخ وفي هذه السنة بعث المقتدر جيشا لغزو الروم وعليه مونس الخادم فظفر وغنم واسر منهم جماعة وعاد وفي سنة سبع وتسعين وجه المقتدر القائد ابن سيما لغزو الصائفة وكذا في سنة ثمان وتسعين وفي سنة تسع وتسعين غزا الصائفة رستم امير الثغور من ناحية طرسوس فحصر حصن مليح الارمني ثم دخل بلده واحرقها وفي سنة ثلاثمائة توفي عبدالله بن محمد صاحب الاندلس وبويع حفيده عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله واستمر عبدالرحمن الناصر خمسين سنة وهو اول من تسمى منهم بأمير المؤمنين لما رأوا تضهور الضعف في خلفاء بني العباس وكانوا قبل ذلك يقال لمن ولي منهم الامير فلان وغزا عبدالرحمن الناصر في بلاد الفرنج غزوات كثيرة واثخن فيهم حتى خضعوا له وصاروا بها دونه ويلتمسون رضاه وتفصيل غزواته يطول الكلام بذكرها وسيأتي ذكر شيء منها وفي سنة اثنتين وثلاثمائة سار الوزير للمقتدر علي بن عيسى لغزو الصائفة فلم يتيسر له فغزاها ثانية في برد شديد وثلج وغزا ايضا بشر الخادم والي طرسوس بلاد الروم ففتح فيها وغنم وسبي واسر مائة وخمسين بطريقا وكان السبي نحواً من الفي رأس وفي سنة ثلاث وثلاثمائة اغارت الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس امر عظيم وظهرت الروم ايضا فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ولم تكن للمسلمين صائفة في هذه السنة لكثرة الفتن في بغداد في مدة المقتدر وفيها خرج مليح الارمني الى مرعش فعاث في بلدها واسر جماعة

ممن حولها وعاد وفي سنة اربع وثلاثمائة سار مؤنس الخادم الى بلاد الروم لغزو الصائفة بجيوش كثيرة وفتح حصونا كثيرة من الروم وعاد فاكرمه المقتدر وخلع عليه وفي سنة خمس وثلاثمائة جاءت رسل من ملك الروم للخليفة المقتدر يطلبون المهادنة والفداء فاجيبوا الى ذلك وانفذ المقتدر مع مؤنس للفداء مائة الف وعشرين الف دينار وكان قبل ذلك عقد لثمال الخادم على الغزاة في بحر الروم وسار وكان قبل ذلك ايضا غزا جنى الصفوانى بلاد الروم فغنم ونهب وسبى وعاد سالما فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك ثم جاءت رسل ملك الروم بطلب الهدنة وفي سنة ثلاثمائة وثمان غزا عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس الى جليقية فاستنجد عليه ملوك الافرنج بعضهم بعضا فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب الحصون وفي سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة غزا بنبلونة وفعل اكثر من ذلك وله غزوات غيرها يطول الكلام بذكرها والجلالقة هم الاسبنيول وفي سنة عشر انقضت الهدنة التى كانت بين المقتدر وملك الروم فغزا المسلمون في البر والبحر فغنموا وسلموا ودخل اهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والظفر بهم مالم يظنوه وعادوا وفي سنة احدى عشرة غزا مؤنس بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا ثمال ايضا في البحر فغنم من السبى الف رأس ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ومن الغنم مائتى الف رأس ومن الذهب والفضة شيأ كثيرا وفي سنة ثنتى عشرة جاء رسول ملك الروم بهدايا يطلب الهدنة وتقرير الفداء فاجيب الى ذلك ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فاثخنوا ونهبوا وسبوا وعادوا وفي سنة ثلاث عشرة كتب ملك الروم الى اهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج فان فعلوا والاقصدهم فقتل الرجال وسبى الذرية وقال انى قد صح عندى ضعف ولاتكم فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم واخرب البلاد ودخل ملطية واخربها وسبى منها سنة اربع عشرة وفتح الروم ابوابا من الربض فدخلوا فقاتلهم اهلها واخرجوهم وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ومثلوا بهم وقصد اهل ملطية بغداد مستغيثين فلم يغاثوا فعادوا بغير فائدة وغزا اهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا

﴿ ذكر حرب بين المسلمين والروم ﴾

في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرجت سرية من طرسوس الى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم واسروا من المسلمين اربعمائة رجل فقتلوا صبرا وسار الدمستق في جيش عظيم الى مدينة دبيل فحاصرها وضيق عليها والدمستق عندهم ملك عظيم يلى بلاد الروم التى هى شرقى دجلة القسطنطينية ويكون تحت امر الملك الذى في القسطنطينية وكان مع الدمستق دبابات ومجانيق ومزاريق تزرق بالنار فلايقوم بين يديها احد وكان الرامى بها من اشجعهم فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله واراح الله المسلمين منه وكان الدمستق يجلس على كرسى عال ليشرف على البلد وعلى عسكره فامرهم بالقتال على مايراه فصبر له اهل البلد وهو ملازم للقتال حتى وصلوا الى سور المدينة فنقبوا فيه نقوبا كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم اهلها ومن فيها من العسكر قتالا شديدا فانتصر المسلمون واخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو

عشرة آلاف رجل وفى هذه السنة ايضا غزا ثمال الصائفة من طرسوس ولقى جمعا كثيرا من الروم فاقتتلوا فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا وعاثوا فى انعامهم وغنموا ثلاثمائة رأس من الغنم ولقيهم رجل من رؤساء الاكراد يعرف بابن الضحاك وكان له حصن يعرف بالجعفرى وكان قد ارتد عن الاسلام وتنصر وصار الى ملك الروم وخدمه فاجزل له القطيعة وامره بالعود الى حصنه فلقيه المسلمون فقاتلوه فاسروه وقتلوا كل من معه وفى سنة ست عشرة وثلاثمائة خرج الدمستق فى عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحا وجعل الصليب فى جامعها ورحل الى بدليس ففعل بها كذلك وخاف اهل ارزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر اعيانهم الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا وفى هذه السنة وصل سبعمائة رجل من الروم والارمن الى ملطية ومعهم الفوس والمعاول واظهروا انهم يتكسبون بالعمل ثم ظهر أن مليحا الارمنى وضعهم ليكونوا لها فاذا حصرها سلموها اليه فعلم بهم اهل ملطية فقتلوهم واخذوا ما معهم وفى سنة سبع عشرة خلع المقتدر وبويع اخوه القاهر ثم بعد يومين اعيد المقتدر وخلع القاهر وكانت هذه الفتنة هائلة وبسببها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم منها ملطية وميافارقين وآمد وارزن وغيرها وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم اليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم وارسلوا الى بغداد يستأذنون فى التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا فصالحوا الروم وملكوهم البلاد وفى سنة سبع عشرة ايضا كان دخول القرامطة مكة يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام وفى البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود وانفذوه الى هجر وقلعوا باب البيت واصعدوا رجلا ليقلع الميزاب وكان من ذهب فاصيب بسهم من جبل ابى قبيس فاخطأ نحره وخر ميتا فاصعدوا آخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فتركوا قلع الميزاب وكان جملة من قتلوه من الطائفين والمصلين والمحرمين فى مكة وشعابها زهاء ثلاثين الفا وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها [illegible] رئيسهم عدو الله المكنى بأبى طاهر وركض عند الكعبة فرسه وسيفه مشهور بيده وصفر لفرسه [illegible] الشريف فبال وراث قيل ان الذين قتلهم فى المطاف الف وسبعمائة وملأ بئر زمزم من رؤسهم والكلام على هذه القصة وغيرها من وقائعهم طويل مذكور فى التواريخ وقاتلهم خلفاء بنى العباس ولهم معهم وقائع كثيرة وكان ابتداء ظهورهم سنة ثمان وسبعين ومائتين ولهم عقائد قبيحة يكفرون بها وان كانوا يدعون الاسلام ويزعمون انهم يدعون الناس للبيعة للمهدى المنتظر وزعموا انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وكل ذلك زور وباطل قال ابن الاثير ولم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ومكث الحجر الاسود عندهم فى هجر اثنين وعشرين سنة وكانوا يريدون تحويل الحج الى هجر فلما ايسوا من ذلك ارجعوه الى موضعه من البيت وكان ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وابتلى ابو طاهر رئيسهم بداء الآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت اوصاله وطال عذابه ومات شر ميتة ولعذاب الآخرة اشد وابقى وانما ذكرنا هذه القصة لان قتال هؤلاء وما فعلوه ملحق بقتال

الكفار وافعالهم ولاعبرة بكونهم يدعون الاسلام فانهم كانوا يستبيحون دماء المسلمين و يرون ضلال كافة المسلمين ومن عقائدهم الزائغة المكفرة ان الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها فقط وان النبيذ حرام والخمر حلال ولاغسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان محمد بن الحنفية رسول الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من ضلالاتهم واستمرت شوكتهم الى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثم اضمحل امرهم شيأ فشيأ حتى لم يبق لهم دولة

﴿ تنبيه ﴾

يوجد على وجه الحجر الاسود قطع كانت تكسرت منه ثم الصقت به واشتهر على ألسنة كثير من الناس ان سبب تكسر هذه القطع من القرامطة لما اخرجوا الحجر الاسود وليس الامر كذلك بل سبب تكسرها ما ذكره السنجارى فى تاريخ مكة ونص عبارته فى سنة اربعمائة واربع عشرة يوم النفر الاول وكان جمعة دخل المسجد رجل اشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد فتقدم بعد أن فرغ الامام من صلاة الجمعة وقصد الحجر الاسود فضربه بالدبوس ثلاث مرات وقال الى متى يعبد هذا الحجر ومحمد وعلى فليمنعنى مانع من هذا فانى اريد رب هذا البيت فخافه اكثر الحاضرين وكاد يهرب فثار اليه رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس بالسلاح ثم احرقوه فحصل فى الحجر الاسود شطب وخرج منه قطع صغار فاعادها سدنة الكعبة وامير مكة والصقوها باللك فصارت آثار ذلك باقية الى الآن اه ولنرجع الى ما كنا بصدده وفى سنة تسع عشرة وثلاثمائة غزا ثمال والى طرسوس بلاد الروم فعبر نهرا ونزل عليهم ثلج الى صدور الخيل وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم فنصر الله المسلمين فقتلوا من الروم ستمائة واسروا نحوا من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيأ كثيرا وعاد ثمال الى طرسوس ودخل بلاد الروم صائفة فى جمع كثير من الفارس والراجل فبلغوا عمورية وكان قد تجمع بها كثير من الروم ففارقوها لما سمعوا خبر ثمال ودخل المسلمون فوجدوا فيها من الطعام والامتعة شيأ كثيرا فاخذوه واحرقوا ما كانوا عمروه منها واوغلوا فى بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخربون حتى بلغوا انقرة وهى التى تسمى الآن انكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيدا فبلغت قيمة السبى مائة الف دينار وستة وثلاثين الف دينار وفى هذه السنة كاتب ابن الديرانى وغيره من الارمن وهم باطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصر فسارت الروم فى خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها وقتل من المسلمين خلق كثير واسروا كثيرا منهم فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن ابى الساج وهو والى اذربيجان فسار فى عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة الى ارمينية وقصد بلد ابن الديرانى ومن وافقه فخربه وقتل اهله ونهب اموالهم وبالغ الناس فى كثرة القتلى من الارمن حتى قيل انهم كانوا مائة الف قتيل والله اعلم وتحصن ابن الديرانى بقلعة له وفى هذه السنة ايضا سارت الروم الى سميساط فحصروها فاستصرخ اهلها بسعيد بن حمدان صاحب الموصل وديار ربيعة فتجهز وسار مسرعا اليهم وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه فسار الى ملطية وكان اهلها قد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد اليهم فحكموا على المسلمين وكان فى ملطية جمع من الروم ومن عسكر مليح الارمنى ومعهم بنى بن نفيس صاحب

المقتدر وكان قد تنصر وهو مع الروم فلما احسوا باقبال سعيد خرجوا منها وخافوا ان يأتيهم سعيد بن حمدان في عسكره من خارج المدينة ويثور اهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها اميرا وعاد عنها ودخل بلاد الروم غازيا وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقا كثيرا قبل دخوله اليها وفي سنة عشرين قتل المقتدر (استطراد) قال العلامة القطبي في تاريخه كان المقتدر في كل عام يصرف يوم عرفة من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وكان في داره احد عشر الف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وختن خمسة من اولاده فصرف في ختانهم ستمائة الف دينار وقدم مرة عليه رسل ملك الروم بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل صفين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد تمر الرسل بين الصفين في هذه المسافة واقام بعدهم الخدم وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب ونصبت الستور على حيطان دار الخلافة فبلغت ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين الف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وكان من جملة الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة والجواهر واغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها في ايام قوة دولتهم في كمال وضعها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثال كون الاكوان وقدرها تقديرا الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴿ انتهى ولنذكر قصة قتل المقتدر فان فيها اعتبار الكل من كانت له بصيرة وهي تدل على هوان الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى وذوي البصائر من عباده وحاصلها ان مؤنسا الخادم كان عبدا خصيا من عبيد المعتضد والد المقتدر فلما صارت الخلافة للمقتدر زاده في رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه وصار من اعظم وزرائه وفي سنة عشرين وثلاثمائة حصلت وحشة بينه وبين المقتدر فسار مؤنس الى الموصل مغاضبا للمقتدر فاستولى المقتدر على اقطاع مؤنس وماله واملاكه واملاك اصحابه وكتب الى بني حمدان امراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل وقتاله فجرى بين مؤنس وبينهم قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه العساكر من كل جهة فسار بهم الى جهة بغداد ثم لما وصل الى بغداد نزل عند باب الشماسية بجنوده فخرج المقتدر الى قتال مؤنس عن بقي معه من العساكر لان كثيرا منهم انعزلوا عنه وانحدروا الى واسط ليكونوا مع مؤنس ولما خرج المقتدر للقتال كان بين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة النبوية ووقف على تل فألح عليه اصحابه بالتقدم الى القتال فتقدم ثم انهزمت اصحابه فلحق المقتدر قوم من العسكر مغاربة فقال لهم ويحكم انا الخليفة

فقالوا قد عرفناك يا سفلة انت خليفة ابليس فضربه واحد منهم بسيفه فسقط الى الارض فذبحوه وقطعوا رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون و يلعنونه واخذوا ما عليه حتى سراويله وكشفت عورته ثم حفروا له فى موضعه ودفنوه وعفى قبره وحملوا رأسه الى مؤنس وهو بالراشدية لم يشهد الحرب فلما رأى مونس رأس المقتدر لطم وجهه و بكى ثم ان القاهر اخا المقتدر لما بويع بعد قتل المقتدر وتمكن له الامر قتل مؤنسا ولم تطل مدة القاهر بل خلع سنة اثنتين وعشرين وسملت عيناه وعاش دهرا طويلا اعمى محبوسا فى دار الخلافة ثم اطلقوه واهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف وقال تصدقوا على فأنا من قد عرفتم وذلك فى ايام المستكفى ليشنع عليه فنعوه من الخروج الى ان مات سنة تسع وثلاثين وعمره ثلاث وخمسون سنة ولما خلع القاهر بويع الراضى بن المقتدر وفى هذه السنة سار الدمستق الى سميساط فى خمسين الفا ونازل ملطية وحصرها مدة طويلة هلك اكثر اهلها بالجوع وضرب خيمتين على احدهما صليب وقال من اراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد اليه اهله وماله ومن اراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه و نبلغه مأمنه فانحاز اكثر المسلمين الى الخيمة التى عليها الصليب طمعا فى اهليهم واموالهم وسير مع الباقين بطريقا يبلغهم مأمنهم وفتحها بالامان ثم افتتحوا سميساط وخربوا اعمالها واكثروا القتل وفعلوا الافاعيل الشنيعة وصار اكثر البلاد فى ايديهم وفتحوا ابلاد جنزة ومروا بسردانية فاوقعوا باهلها ثم مروا بقرقيسا من ساحل الشام فاحرقوا مراكبها وعادوا سالمين وفى سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم وكان عدة من فودى من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة اسير ما بين ذكر وانثى وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفى الراضى وبويع اخوه المتقى بن المقتدر وفى سنة ثلاثين وصل الروم الى قريب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر الف انسان وفى هذه السنة غزا الثملى من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد اسر عدة من بطارقتهم وفى سنة احدى وثلاثين ارسل ملك الروم الى المتقى لله يطلب منه منديلا يزعم ان المسيح مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه وانه فى بيعة الرها وذكر انه ان ارسل المنديل اطلق عددا كثيرا من أسارى المسلمين فاحضر المتقى لله القضاة والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض رأى تسليمه الى الملك واطلاق الاسرى وبعض قال ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم وفى دفعه اليهم غضاضة وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم واطلاق الاسرى ففعل ذلك وارسل الى الملك من يستلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا

﴿ ذكر خروج الروسية على بلاد الاسلام ﴾

فى سنة ثنتين وثلاثين خرجت طائفة من الروسية فى البحر الى نواحى اذربيجان وركبوا فى البحر فى نهر الكر وهو نهر كبير فانتهوا الى مدينة برذعة فخرج اليهم نائب ملك الديلم بأذربيجان فى جموع من الديلم والمتطوعة يزيدون على خمسة آلاف

رجل فلقوا الروس فلم يكن الاساعة حتى انهزم المسلمون منهم وقتلوا عن آخرهم وتبعهم الروس الى البلد فهرب من كان له مركوب وترك البلد فنزله الروس ونادوا فيه بالامان واقبلت العساكر الاسلامية من كل ناحية لمقاتلتهم فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم وكان عامة البلد يخرجون و يرمون الروس بالحجارة ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك فلم ينتهوا سوى العقلاء فانهم كفوا انفسهم وسار العامة والرعاع لايضبطون انفسهم فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج اهل البلد منه وان لايقيموا بعد ثلاثة ايام فخرج من كان له ظهر يحمله وبقى اكثرهم بعد الاجل فوضع الروسية فيهم السلاح فقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا بعد القتل بضع عشرة الف نفس وجمعوا من بقى بالجامع وقالوا اشتروا انفسكم والاقتلناكم وسعى لهم انسان نصرانى فقرر على كل رجل عشرين درهما فلم يقبل منهم الاعقلاؤهم فلما رأى الروسية انه لايحصل منهم شئ قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنموا اموال اهلها واستعبدوا السبى واختاروا من النساء من استحسنوها

﴿ ذكر مسير المرزبان بن محمد بن مسافر ملك الديلم اليهم ﴾

لما فعل الروس باهل برذعة ماذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين الفا وسار بهم فقاتلوهم فامتنعوا عليه فاكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل اميرهم ونجا الباقون الى حصن البلد وحاصرهم المرزبان حتى هربوا من البلد وحملوا ماقدروا عليه وطهر الله البلد منهم وملك الروس ايضا فى هذه السنة رأس عين واستباحوها ثلاثا وقاتلهم الاعراب ففارقوها وكانوا ثمانين الفا مع من سبق وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خلع المتقى وبويع المستكفى بن المكتفى بن المعتضد ومكث سنة واربعة اشهر ثم خلع وبويع المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة حين تغلب بنو بويه على الخلفاء وبنو بويه كزبير ويقال ايضا بسكون الواو وفتح الياء ينتهى نسبهم الى ملوك الفرس وانما نسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم ببلادهم وخدموا كثيرا من عمال الخلفاء حتى صاروا قواد جيوش ثم تقوى امرهم حتى تغلبوا على الخلفاء وصار الملك بايديهم وليس للخلفاء الا الاسم والدعاء على المنابر وكتابة اسمائهم على الدراهم والدنانير واخبارهم طويلة مذكورة فى التواريخ ودخل معز الدولة بن بويه بغداد بجيوشه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وخلع الخليفة المستكفى بن المكتفى واقام فى الخلافة المطيع لله بن المقتدر وكان ابتداء ظهورهم سنة عشرين وثلاثمائة ومازالوا يتغلبون على ممالك بنى العباس شيأ فشيأ حتى تغلبوا على بغداد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وصاروا يتوارثون الملك بالتغلب الى سنة ثمان واربعين واربعمائة فقامت دولة السلجوقية وتغلبوا عليهم وعلى الخلفاء ايضا وفى سنة خمس وثلاثين كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملى امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وحمص وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرا من ذكر وانثى وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة ومن هذا التاريخ صار امر الصوائف الى سيف الدولة

ابن حمدان صاحب حلب وحمص وفى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة غزا سيف الدولة بن حمدان الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم سيف الدولة واخذ الروم مرعش واوقعوا باهل طرسوس وفى سنة ثمان وثلاثين غزا سيف الدولة ايضا بلاد الروم واوغل فيها وفتح حصونا كثيرة وسبى وغنم فلما اراد الخروج من بلاد الروم اخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين اسرا وقتلا واسترد الروم الغنائم والسبى وغنموا اثقال المسلمين واموالهم ونجا سيف الدولة فى عدة يسيرة

﴿ ذكر غزوة بصقلية ﴾

فى سنة اربعين غزا الروم بصقلية الحسن بن على الكلبى عامل المنصور العبيدى وجاءت جنود من القسطنطينية مددا للروم بصقلية فاقتتلوا مع المسلمين اشد القتال ثم انهزم الروم وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى الليل وغنموا جميع اثقالهم وسلاحهم ودوابهم وفى سنة احدى واربعين ملك الروم مدينة سروج وسبوا اهلها وغنموا اموالهم واخربوا المساجد وفى سنة ثلاث واربعين غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم فقتل واسر وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق فعظم الامر على الروم وعلى الدمستق فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة فالتقوا عند الحدث فاشتد القتال بينهم وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى نصر المسلمين فانهزم الروم وقتل منهم وممن معهم خلق كثير واسر صهر الدمستق وابن ابنته وكثير من بطارقته وعاد الدمستق مهزوما مسلولا وفى سنة خمس واربعين وثلاثمائة سار سيف الدولة فى جيوش الى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشنة وصارخة وفتح عدة حصون وسبى واسر واحرق وخرب واكثر القتل فيهم ورجع الى اذنة فاقام بها ثم رجع الى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا وساروا الى ميافارقين واحرقوا اسوارها ونهبوا وخربوا وسبوا اهلها ونهبوا اموالهم وعادوا وفى هذه السنة سار الروم فى البحر فاوقعوا باهل طرسوس وقتلوا منهم الفا وثمانمائة رجل واحرقوا القرى التى حولها وفعلوا مثل ذلك ايضا بطرسوس والرها سنة ثمان واربعين وفى سنة تسع واربعين غزا سيف الدولة بلاد الروم فى جمع كثير فأثر فيها آثاراً كثيرة واحرق وفتح عدة حصون واخذ من السبى والغنائم والاسرى شيأ كثيرا وبلغ الى خرشنة ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس ان الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأى ان ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجبا برأيه يحب ان يستبد ولا يشاور احدا لئلا يقال انه اصاب برأى غيره وعاد من الدرب الذى دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم واخذوا اثقاله ووضعوا السيف فى اصحابه فأتوا عليهم قتلا واسرا وتخلص هو فى ثلاثمائة رجل بعد جهد ومشقة وهذا من سوء رأى كل من يجهل اراء الناس العقلاء والله اعلم بالصواب وفى سنة ثلاثمائة وخمسين سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس ومعهم صاحب انطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ

من كان فيها من المسلمين و قتل كثيرا منهم و افلت صاحب انطاكية و به جراحات وفى هذه السنة غزا نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين وغنم ماقيمته قيمة عظيمة وسبى واسر وخرج سالما

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة زربة وهو ثغر قرب المصيصة والمصيصة بلدة بالشام ﴾

فى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وهى فى سفح جبل عظيم وهو مشرف عليها وهم فى جمع عظيم فانفذ بعض عسكره فصعدوا الجبل فملكوه فلما رأى ذلك اهلها وان الدمستق قد ضيق عليهم ومعه الدبابات وقد وصل الى السور وشرع فى النقب طلبوا الامان فأمنهم الدمستق وفتح له باب المدينة فدخلها فرأى اصحابه الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة فندم على اجابتهم الى الامان ونادى فى البلد اول الليل بأن يخرج جميع اهله الى المسجد الجامع ومن تأخر فى منزله قتل فخرج من امكنه الخروج فلما اصبح انفذ رجالته فى المدينة وكانوا ستين الفا وامرهم بقتل من وجدوه فى منزله فقتلوا خلقا كثيرا من الرجال والنساء والصبيان وأمر بجمع مافى البلد من السلاح فجمع فكان شيأ كثيرا وأمر من فى المسجد ان يخرجوا من البلد حيث شاؤا يومهم ذلك ومن امسى قتل فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعة ومروا على وجوههم لايدرون اين يتوجهون وماتوا فى الطرقات وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار واخذوا كل ماخلفه الناس من اموالهم وامتعتهم وهدموا سور المدينة واقام الدمستق فى بلد الاسلام احدا وعشرين يوما وفتح حول عين زربة اربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالامان وكان من جملة تلك الحصون التى فتحت بالامان حصن أمر اهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض احد الارمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة عظيمة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق لذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا اربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا من يصلح ان يسترق فلما ادركه الزمن الذى يصوم فيه النصارى انصرف على انه يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد خرج فى اربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فأوقع بهم الدمستق فقتل اكثرهم وقتل اخا لابن الزيات فعاد الى طرسوس وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان فلما اصابهم هذا الوهن اعاد اهل البلد الخطبة لسيف الدولة وارسلوا اليه بذلك فلما علم بن الزيات حقيقة الامر صعد الى روشن فى داره فالقى نفسه الى نهر تحته فغرق وراسل اهل بغراس الدمستق وبذلوا له مائة الف درهم فأقرهم وترك معارضتهم

﴿ ذكر استيلاء الروم على مدينة حلب وعودهم منها بغير سبب ﴾

فى هذه السنة استولى الروم على مدينة حلب دون قلعتها وكان سبب ذلك ان الدمستق سار الى حلب ولم يشعر به المسلمون لانه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم كما ذكرناه فلما قضى صوم النصارى خرج الى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلم به احد وسار بهم فعند وصوله سبق خبره وكبس مدينة حلب ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان

ولا غيره فلما بلغها وعلم سيف الدولة الخبر اعجله الامر عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه فيمن معه فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه فقتل اكثرهم ولم يبق من اولاد داود بن حمدان احد قتلوا جميعهم فانهزم سيف الدولة فى نفر يسير وظفر الدمستق بداره وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة من الدراهم واخذ له الفا واربعمائة بغل ومن خزائن السلاح مالا يحصى فاخذ الجميع وخرب الدار وملك الحاضر وحصر المدينة فقاتله اهلها وهدم الروم فى السور ثلمة فقاتلهم اهل حلب عليها فقتل من الروم كثير ودفعوهم عنها فلما جنهم الليل عمروها فلما رأى الروم ذلك تأخروا الى جبل جوشن ثم ان رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها فلحق الناس اموالهم ليمنعوها فخلا السور منهم فلما رأى الروم السور خاليا من الناس قصدوه وقربوا منه فلم يمنعهم احد فصعدوا الى اعلاه فرأوا الفتنة قائمة فى البلد بين اهله فنزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا ولم يرفعوا السيف الى ان تعبوا وضجروا وكان فى حلب الف واربعمائة من الاسارى فتخلصوا واخذوا السلاح وقتلوا الناس وسبى من البلد بضعة عشر الف صبى وصبية وغنموا مالا يوصف كثرة فلما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة امر الدمستق باحراق الباقى واحرق المساجد وكان قد بذل لاهل البلد الامان على ان يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبى وصبية ومالا ذكره وينصرف عنهم فلم يجيبوه الى ذلك فلكهم كما ذكرنا وكان عدة عسكره مائتى الف رجل منهم ثلاثون الفاً بالجواشن وهى الصدر والدرع وثلاثون الفا للهدم واصلاح الطرق من الثلج ومعه اربعة آلاف بغل تحمل الحسك الحديد وهى اداة للحرب من حديد لها شوك تلقى حول العسكر للحفظ من الدخول اليهم ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه واقام الدمستق تسعة ايام واراد الانصراف عن البلد بما غنم فقال له ابن اخت الملك وكان معه هذا البلد قد حصل فى ايدينا فليس من يدفعنا عنه فلاى سبب ننصرف عنه فقال له الدمستق قد بلغنا مالم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخربنا واحرقنا وخلصنا اسرانا وبلغنا مالم يسمع بمثله فتراجعا الكلام الى ان قال له الدمستق انزل على القلعة فحاصرها فانى مقيم بعسكرى على باب المدينة فقدم ابن اخت الملك الى القلعة ومعه سيف وترس وتبعه الروم فلما قرب من باب القلعة التى عليه حجر فسقط ورمى بخشب فقتل فاخذه اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلا قتل من معه من اسرى المسلمين وكانوا الفاً ومائتى رجل وعاد الى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعود اليهم بزعمه

﴿ ذكر فتح طبرمين من صقلية ﴾

وفى هذه السنة سارت جيوش المسلمين بصقلية واميرهم حينئذ احمد بن الحسن بن على بن ابى الحسين عامل العبيديين الى قلعة طبرمين من صقلية ايضاً وهى بايدى الروم فحاصروها وهى من امنع الحصون واشدها على المسلمين فامتنع اهلها ودام الحصار عليهم فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا الى الماء الذى يدخلها فقطعوه عنها واجروه الى مكان آخر فعظم الامر عليهم

وطلبوا الامان فلم يجابوا اليه فعادوا وطلبوا ان يؤمنوا على دمائهم و يكونوا رقيقاً للمسلمين و اموالهم فيأ فأجيبوا الى ذلك و اخرجوا من البلد وملكه المسلمون وكان مدة الحصار سبعة اشهر ونصفاً واسكن القلعة نفراً من المسلمين وسميت المعزية نسبة للمعز العبيدي صاحب افريقية وسار جيش الى رمطة مع الحسن بن عمار فحصروها وضيقوا عليها فلما رأى الروم ذلك خافوا وارسلوا الى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال و يطلبون منه ان ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكراً عظيماً يزيدون على اربعين الف مقاتل وسيرهم فى البحر فوصلت الاخبار الى الامير احمد امير صقلية فارسل الى المعز بأفريقية يعرفه ذلك ويستمده و يسأله ارسال العساكر اليه سريعاً وشرع هو فى اصلاح الاسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر واما المعز فانه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الاموال الجليلة وسيرهم مع الحسن ابن على والد احمد فوصلوا الى صقلية فى رمضان وساروا الى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فانهم وصلوا ايضاً الى مدينة صقلية فى شوال ونزلوا عند مدينة مسينى وزحفوا منها بجموعهم التى لم يدخل صقلية مثلها الى رمطة فلما سمع الحسن ابن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها و برز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت ووصل الروم واحاطوا بالمسلمين ونزل اهل رمطة الى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم و ابعدوهم عما ارادوا وتقدم الروم الى القتال وهم مدلون بكثرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والتحم القتال وعظم الامر على المسلمين والحقهم العدو بخيامهم وايقن الروم بالظفر فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم اختاروا الموت ورأوا انه اسلم لهم واخذوا بقول الشاعر ٭ تأخرت استبقى الحياة فلم اجد ٭ لنفسى حياة مثل ان اتقدما ٭ فحمل بهم الحسن بن عمار اميرهم وحمى الوطيس حينئذ وحرضهم على قتال الكفار وكذلك فعل بطارقة الروم وحملوا وحرضوا عساكرهم وحمل منويل مقدم الروم فقتل فى المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ماعليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه فقتله واشتد القتال عليه فقتل هو وجماعة من بطارقته فلما قتل انهزم الروم اقبح هزيمة واكثر المسلمون فيهم القتل ووصل المنهزمون الى حرف خندق عظيم كالحفرة فسقطوا فيها من خوف السيف فقتل بعضهم بعضاً حتى امتلأت وكانت الحرب من بكرة الى العصر وبات المسلمون يقاتلونهم فى كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الاموال مالا يحد وكان فى جملة الغنيمة سيف هندى عليه مكتوب هذا سيف هندى وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المعز مع الاسرى والرؤس وسار من سلم من الروم الى ريو واما اهل رمطة فانهم ضعفت نفوسهم وكانت الاقوات قد قلت عندهم فاخرجوا من فيها من الضعفاء و بقى المقاتلة فزحف اليهم المسلمون وقاتلوهم الى الليل ولزموا القتال فى الليل ايضاً وتقدموا بالسلاليم فملكوها عنوة وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا مافيها وكان شيأ كثيراً عظيماً ورتب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها ثم ان الروم تجمع من سلم منهم واخذوا معهم من فى صقلية وجزيرة ريو منهم وركبوا مراكبهم

يحفظون نفوسهم فركب الامير احمد في عساكره و اصحابه في المراكب ايضاً وزحف اليهم في الماء وقاتلهم واشتد القتال بينهم والقى جماعة من المسلمين نفوسهم في الماء وخرقوا كثيراً من المراكب التي للروم فغرقت وكثر القتل في الروم فانهزموا لا يلوي احد على احد وسارت سرايا المسلمين في مداين الروم فغنموا منها فبذل اهلها لهم كثيراً من الاموال وهادنوهم وكانت هذه الوقائع في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والهدنة في سنة اربع وخمسين وهذه الوقعة الاخيرة تعرف بوقعة المجاز ولنرجع الى تمام الكلام على حوادث سنة احدى وخمسين ففيها اخذ الروم حصن دلوك وثلاثة حصون مجاورة له وفيها سير سيف الدولة حاجبه في جيش مع اهل طرسوس الى بلاد الروم فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصد الروم حصن سيسية فملكوه وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش الى حصن زياد فلقيه جمع من الروم فهزمهم واستأمن اليه من الروم خمسمائة رجل وفي هذه السنة ايضاً في شوال اسرت الروم ابا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلداً لها وكان ذا فصاحة و بلاغة وله ديوان شعر جيد و بقي اسيراً الى سنة خمس وخمسين فافتداه سيف الدولة بمال جزيل وتسلمه منهم وفي سنة احدى وخمسين ايضاً سار جيش من الروم الى جزيرة اقريطش فارسل اهلها الى المعز العبيدي صاحب افريقية يستنجدونه فارسل اليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون واسر من كان بالجزيرة من الروم وفي سنة اثنتين وخمسين دخل اهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها ايضاً نجا غلام سيف الدولة من درب آخر واوغل اهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا الى قونية وعادوا وفي هذه السنة اجتمع جماعة كثيرة من الارمن وقصدوا الرها فاغاروا عليها فغنموا واسروا وعادوا موفورين

﴿ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان ﴾

في سنة ثلاث وخمسين حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا اهلها ونقبوا سورها واشتد قتال اهلها على النقب حتى دفعوهم عنه بعد قتال عظيم واحرق الروم رستاقها ورستاق اذنة وطرسوس لمساعدتها اهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر الف رجل واقام الروم في بلاد الاسلام خمسة عشر يوما لم يقصدهم من يقاتلهم فعادوا والغلاء الاسعار وقلة الاقوات ثم ان انساناً وصل الى الشام من خراسان يريد الغزو ومعه خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على ارمينية وميافارقين فلما وصلوا الى سيف الدولة في صفر اخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجد الروم قد عادوا وافترق الغزاة الخراسانية الى الثغور لشدة الغلاء وعاد اكثرهم الى بغداد ومنها الى خراسان ولما اراد الدمستق العود الى بلاد الروم ارسل الى اهل المصيصة واذنة وطرسوس اني منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق العلوفة وشدة الغلاء وانا عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودي قتلته ثم نزل ملك الروم بعد ذلك على طرسوس وحصرها وجرى بينهم و بين اهلها حروب كثيرة سقط في بعضها الدمستق الى الارض وكاد يؤسر فقاتلت عليه الروم وخلصوه واسر اهل طرسوس بطريقاً كبيراً من بطارقة الروم ورحل الروم عنهم وتركوا عسكراً على المصيصة مع الدمستق

ثلاثة اشهر لم يمنعهم منها احد فاشتد الغلاء على الروم وكثر فيهم الوباء فمات كثير منهم فاضطروا الى الرحيل

﴿ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس ﴾

فى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة سار نقفور ملك الروم الى قيسارية ليقرب من بلاد الاسلام واقام بها ونقل اهله اليها فارسل اليه اهل طرسوس والمصيصة يبذلون له اتاوة ويطلبون منه ان ينفذ اليهم بعض اصحابه يقيم عندهم فعزم على اجابتهم فاتاه الخبر بانهم قد ضعفوا وعجزوا وانهم لا ناصر لهم وان الغلاء قد اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت واكلوا الكلاب والميتة وقد كثر فيهم الوباء فيموت منهم فى اليوم نحو ثلاثمائة نفس فعاد نقفور عن اجابتهم واحضر الرسول واحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته وقال لهم انتم كالحية فى الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت فان اخذها انسان واحسن اليها وادفأها انتعشت ونهشته وانتم انما اطعتم لضعفكم وان تركتكم حتى تستقيم احوالكم تأذيت بكم واعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار الى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها الى بلد الروم وكانوا نحو مائتى الف انسان ثم سار الى طرسوس فحصرها فاذعن اهلها بالطاعة وطلبوا الامان فاجابهم اليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وامرهم ان يحملوا من سلاحهم واموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقى ففعلوا ذلك وساروا براً وبحراً وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا انطاكية وجعل الملك المسجد الجامع اصطبلا لدوابه واحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة اليها حتى رخصت الاسعار وتراجع اليها كثير من اهلها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصر بعضهم والعياذ بالله تعالى واراد الملك المقام بها ليقرب من بلاد الاسلام ثم عاد الى القسطنطينية واراد الدمستق ان يقصد ميافارقين وبها سيف الدولة فأمره الملك باتباعه الى القسطنطنية وفى هذه السنة نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر فاستنصر اهل الخزر باهل خوارزم فلم ينجدوهم وقالوا انتم كفار فان اسلمتم نصرناكم فاسلموا الا ملكهم فنصرهم اهل خوارزم وازالوا الترك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

﴿ ذكر خروج الروم الى بلاد الاسلام ﴾

فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فى شوال خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحاصروها وقتلوا اهلها فقتل منهم ثلاثمائة رجل واسر نحو اربعمائة اسير ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين ولقيهم قافلة واردة من ميافارقين فاخذوها وهرب الناس من نصيبين خوفا منهم حتى بلغت اجرة الدابة مائة درهم وراسل سيف الدولة الاعراب ليهرب معهم وكان فى نصيبين فاتفق ان الروم عادوا قبل هربه فاقام بمكانه وساروا من ديار الجزيرة الى الشام فنازلوا انطاكية فاقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون اهلها فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه وعادوا الى طرسوس وفى سنة ست وخمسين توفى سيف الدولة وملك ابنه ابو

المعالي شريف وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وصلت سرية كبيرة من الروم الى انطاكية فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر الفا من المسلمين وفي سنة ثمان وخمسين دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه احد ولا قاتله فسار في البلاد الى طرابلس واحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها وكان صاحب طرابلس قد اخرجه اهلها لشدة ظلمه فقصد قلعة عرقة فاخذه الروم وجميع ماله وكان كثيرا وقصد ملك الروم حمص وكان اهلها قد انتقلوا عنها واخلوها فاحرقها ملك الروم ورجع الى بلدان الساحل فاتى عليها نهبا وتحريقا وملك ثمانية عشر منبرا واما القرى فكثير لا يحصى واقام في الشام شهرين يقصد اي موضع شاء ويخرب ماشاء ولا يمنعه احد الا ان بعض العرب كانوا يغيرون على اطرافهم فاتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين فاراد ان يحصر انطاكية وحلب فبلغه ان اهلها قد اعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون اليه فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة الف رأس ولم يأخذ الا الصبيان والصبايا والشبان فاما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من اطلقه وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة فصانع الروم عليها فعادوا الى بلادهم فقيل كان سبب عودهم كثرة الامراض والموت وقيل ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم فعادوا على عزم الرجوع وسير ملك الروم سرية الى الجزيرة فنهبوا وسبوا واحرقوا وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم انطاكية ﴾

في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة انطاكية وسبب ذلك انهم حصروا حصنا بالقرب من انطاكية يقال له حصن لوقا ووافقوا اهله وهم نصارى على ان يرحلوا منه الى انطاكية ويظهروا انهم انما انتقلوا منه خوفا من الروم فاذا صاروا بانطاكية اعانوهم على فتحها وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل اهل الحصن ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها فلما كان بعد انتقالهم بشهرين جاءت الروم مع اخي نقفور الملك وكانوا نحو اربعين الفا فاحاطوا بسور انطاكية وصعدوا الجبل الى الناحية التي بها اهل حصن لوقا فلما رآهم اهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا انفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في اهله السيف ثم اخرجوا المشايخ والعجائز والاطفال من البلد وقالوا لهم اذهبوا حيث شئتم واخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم الى بلاد الروم سبيا وكانوا يزيدون على عشرين الفا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها ﴾

لما ملك الروم انطاكية انفذوا جيشا كثيفا الى حلب وكان ابو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصرا لها وبها قرعويه غلام سيف الدولة متغلبا عليها فلما سمع ابو المعالي خبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم وحصروا البلد وبه قرعويه واهل البلد قد تحصنوا بالقلعة فملك الروم المدينة وحصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من اهل حلب وتوسطوا بينهم وبين قرعويه وترددت الرسل فاستقر الامر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم وان يكون الروم اذا ارادوا الغزو لا يمكن قرعويه اهل القرايا من الجلاء عنها ليبتاع الروم ما يحتاجون

اليه منها وكان مع حلب حماه وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر ومابين ذلك من الحصون والقرايا وسلموا الرهائن الى الروم وعادوا من حلب وتسلمها المسلمون

﴿ ذكر ملك الروم ملازكرد ﴾

وفى هذه السنة ارسل ملك الروم جيشا الى ملازكرد من اعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون فى اقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون ايها شاؤا لضعف ملوك الاسلام عن مدافعتهم ووقوع الفتن بينهم

﴿ ذكر مافعله الروم بالجزيرة ﴾

فى سنة احدى وستين وثلاثمائة فى المحرم اغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا فى ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا واحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر فسار جماعة من اهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وقاموا فى الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا مافعل الروم من النهب والقتل والاسر والسبى فاستعظمه الناس وخوفهم اهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم وانهم لا مانع لهم عنهم فاجتمع معهم اهل بغداد وقصدوا دار الخليفة المطيع لله وارادوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك واغلقت الابواب فاسمعوه مايقبح ذكره

﴿ ذكر انهزام الروم واسر الدمستق ﴾

فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبين الدمستق بناحية ميافارقين وكان سببها ماذكرناه من غزو الروم بلاد الاسلام فلما رأوا انهم لا مانع لهم قوى طمعهم على أخذ آمد فسار الدمستق اليها وبها هزارمرد غلام ابى الهيجاء بن حمدان فكتب الى ابى تغلب ابن ناصر الدولة يستصرخه ويعلمه الحال فسير اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة واجتمعا على حرب الدمستق وكان الدمستق فى كثرة فلقياه فى مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير اهبة فانهزموا واخذ المسلمون الدمستق اسيرا ولم يزل محبوسا الى ان مرض سنة ثلاث وستين وبالغ ابو تغلب فى علاجه وجمع الاطباء له فلم ينفعه ذلك ومات وفى سنة ثلاث وستين اصاب الخليفة المطيع لله فالج فثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فخلع نفسه وبويع لابنه الطائع لله وفى سنة ست وستين توفى الحكم بن عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس واقيم بعده ابنه هشام وكان صغيرا ولقب المؤيد وقام بامره الوزير المنصور بن ابى عامر واشتغل بالغزو وفتح من بلاد الاعداء كثيرا وامتلأت الاندلس بالغنائم واستمر المنصور ستا وعشرين سنة غزا فيها ثنتين وخمسين غزوة يطول الكلام بذكرها وسيأتى ذكر شىء منها ومن محاسن غزواته انه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب اليها وهو مضيق بين جبلين واوغل فى بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما اراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين فاظهر انه يريد المقام فى بلادهم وشرع هو وعسكره فى عمارة المساكن وزرع الغلات واحضروا الحطب والتبن والميرة ومايحتاجون اليه فلما رأوا عزمه على المقام مالوا الى السلم فراسلوه فى ترك الغنائم

والجواز الى بلاده فقال انا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم الى الصلح فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم فاجابهم الى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز الى بلاده

﴿ ذكر غزوات بالهند ﴾

وكان القائم بتلك الغزوات السلطان سبكتكين بضم السين وفتح الباء وسكون الكاف الاولى وفتح التاء وكسر الكاف الثانية و بنوه بعده وسبكتكين كان فى الاصل غلاما لابى اسحق ابن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية ملوك خراسان عمال الخلفاء العباسيين وكان سبكتكين مقدما عند مولاه ابى اسحق المذكور فلما مات ابو اسحق لم يخلف من اهله واقاربه من يصلح للتقدم فاجتمع عسكره واتفقوا على تقديم سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروأته فقدموه عليهم ووالوه امرهم سنة ست وستين وثلاثمائة فاحسن السيرة فيهم وصار له ملك ضخم توارثه بنوه فى كابل والهند وخراسان الى سنة سبع واربعين وخمسمائة فتكون مدة ولايتهم مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة لاسيما السلطان محمود بن سبكتكين فان آثاره فى الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة وكان مقر سلطنتهم غزنة فهى دار ملكهم وهى من مدائن كابل وهذا اول ذكر غزواتهم ففى سنة ست وستين وثلاثمائة غزا سبكتكين وهو والد السلطان محمود صاحب غزنة فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهمه وان بلاده تملك من اطرافها جمع الجيوش الكثيرة واستكثر من الفيول وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين فسار سبكتكين عن غزنة اليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة فالتقوا واقتتلوا اياما كثيرة وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لاتقبل نجسا ولاقذرا واذا القى فيها شئ من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والامطار ولاتزال كذلك الى ان تطهر من الذى القى فيها فامر سبكتكين بالقاء نجاسة فى تلك العين فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على الهنود لانهم رأوا مالم يروا مثله وتوالت [illegible] اعق والامطار واشتد البرد حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا [illegible] وه وارسل ملك الهند الى سبكتكين يطلب الصلح وترددت الرسل فأجابهم [illegible] نيه بعد امتناع على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من اهله على تسليم البلاد وسير معه سبكتكين من يتسلمها فان المال والفيلة كانت معجلة فلما بعد ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند فاخرب كل ما مر عليه من بلادهم وقصد لمغان وهى من احسن قلاعهم فافتتحها عنوة وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام وسار عنها يفتح البلاد و يقتل اهلها فلما بلغ ما اراده عاد الى غزنة فلما بلغ الخبر ملك الهند جمع العساكر وسار فى مائة الف مقاتل فلقيه سبكتكين وأمر اصحابه ان يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك فضجر الهنود من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة فعند ذلك اشتد الامر وعظم الخطب وحمل المسلمون ايضا جميعهم واختلط

بعضهم ببعض فانهزم الهنود واخذهم السيف من كل جانب واسر منهم مالا يعد وغنم اموالهم واثقالهم ودوابهم الكثيرة وذل الهنود بعد هذه الوقعة ولم يقم لهم بعدها راية ورضوا بأن لايطلبوا فى اقاصى بلادهم ولما قوى سبكتكين بعد هذه الوقعة اطاعه الافغانية والخلج وصاروا فى طاعته

﴿ ذكر غزوة للامير ابى القاسم الكلبى امير صقلية ﴾

فى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة فى ذى القعدة سار الامير ابو القاسم من صقلية يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بردويل خرج فى جموع كثيرة يريد صقلية فحصر قلعة مالطه وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير ابو القاسم بعساكره ليرحله عنها فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه اصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى بردويل ملك الفرنج يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر فجرد الفرنجى من عساكره اثقالهم وسار جريدة وجد فى السير فادركهم فى العشرين من المحرم سنة ثنتين وسبعين فتعبأ المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على ام رأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل واسر من بطارقتهم كثير وتبعهم المسلمون الى ان ادركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فانت لولدى فركبه الملك ونجا وقتل اليهودى ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها

﴿ ذكر دخول الروسية فى دين النصرانية ﴾

قد تأخر دخول الروسية فى النصرانية عن بقية الافرنج سكان اوروبا وذلك انه كان اول دخول الروسية فى دين النصرانية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسبب ذلك انه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الاسلام وذلك البعض هو ورد الرومى وكان من اكابر رؤسائهم وقواد جيوشهم وعظماء بطارقتهم فطمع فى الملك ولا قدرة له على قتال بقية المتنازعين فكاتب ابا تغلب بن حمدان امير حلب والموصل نيابة عن الخليفة واستنجده وصاهره فاجابه ابن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم فقصد قتال الروم بذلك الجيش فاخرجوا له جيشا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانه فقصد القسطنطينية ومع تلك الجيوش ايضا ورد الرومى الطالب لتملك القسطنطينية فجمعوا له جيوشا

كثيرة وقاتلوه قتالا شديدا حتى انهزم فرجع وردالرومي الى بلاد الاسلام وقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وكاتب عضد الدولة بن بويه المتغلب بالعراق على الخلفاء ووعده ببذل الطاعة فاجابه بجواب حسن ووعده بأنه ينصره فبلغ ذلك ملوك الروم وكان ملكان منهما اخوين مشتركين في ملك القسطنطينية فكاتبا عضد الدولة وبعثا له بهدايا واستمالاه فتقوى في نفسه ترجيح جانبهما وأعرض عن نصرة وردالرومي وكتب لنائبه بديار بكر وهو ابو على التميمي أن يقبض على وردالرومي واصحابه فشرع يدبر الحيلة عليه فبلغ الخبر بعض اصحاب ورد فقالوا له ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوه في امرنا ولاشك انهم يرغبونه بالمال وغيره فيسلمنا اليهم فالرأى ان ترجع الى بلادالروم ونجتمع معهم ان امكننا اونحاربهم ونبذل انفسنا فاما ظفرنا اومتنا كراما فقال ورد ماهذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة غيرالجميل ولايجوز أن ننصرف قبل ان نعلم ما عنده فلما قال لهم ورد ذلك فارقه كثير من اصحابه فطمع فيه ابو على التميمي نائب عضد الدولة بديار بكر فكاتبه وطلب حضوره عنده والاجتماع به فأجابه ورد الى ذلك وحضر عنده فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده واخيه وبعض اصحابه وذلك سنة سبعين وثلاثمائة وحبسهم بميافارقين ثم حملهم لعضد الدولة ببغداد فبقوا في الحبس الى ان مات عضد الدولة سنة خمس وسبعين وصار ملك بني بويه لصمصام الدولة فاطلق وردالرومي ومن كان محبوسا معه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وأن يسلم له سبع حصون عينها من بلادالروم برساتيقها وأن لايقصد بلاد الاسلام لاهو ولا احد من اصحابه مدة حياته وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار ورد الى بلادالروم واستمال في طريقه خلقا كثيرا من اهل البوادي وغيرهم واطمعهم في العطاء والغنيمة فاجتمع معه جيش فسار به حتى نزل بملطية فتملكها فتقوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد من ملوك الروم ورديس بن لاون وراسله واستماله فاستقر الامر بينهما على ان تكون القسطنطينية وماجاورها من شمال الخليج لورديس والجانب الآخر لورد وتحالفا ثم اجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه ثم ندم فأطلقه عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان وضيق عليهما فكاتبا ملك الروسية واستنجداه وعرضا عليه التزوج بأخت لهما فأجابهما لما طلباه منه من النجدة فامتنعت اختهما من تسليم نفسها الى من يخالفها في الدين فتنصر ملك الروسية فكان ذلك اول دخول الروسية في النصرانية ثم تزوجها وسار بجنوده الى قتال ورديس فاقتتلوا فقتل ورديس واستقر الملكان في ملكهما وكاتبا وردا واصطلحا معه وأقراه على ما بيده من الممالك وبقي دهراً طويلا ثم هلك مسموماً

﴿ استطراد ﴾

حيثما ذكر بعض المؤرخين ابتداء دخول الروسية في النصرانية فينبغي ايضاً ذكر ابتداء دخول غيرهم من دول الافرنج في النصرانية وذلك يتوقف اولا على ذكر ابتداء دولة كل دولة منها وكيف كانت دياناتها قبل دخولها في النصرانية وبيان ذلك ان اقدم الدول واقواها في اوائل الدهور دولة الفرس فانهم كانوا اقوى الدول وكانت الدول في اقطار الارض تخضع لهم وتنقاد لامرهم وينتهى نسب ملوك الفرس الى وشهنج وهو مهلائيل بن

قينان بن شيث بن آدم عليه السلام وكان وشهنج ملكا مسلماً صالحاً له ملك واسع وآثار حميدة كثيرة ثم تغير من جاء بعده من عقبه فأحدثوا دين المجوسية واتخذوا الهين اثنين النور والظلمة فأثبتوا الها وهو النور وشيطاناً وهو الظلمة وقالوا ان النور هو الله وقالوا انه قديم وسموه يزدان وقالوا ان الظلمة اله مخلوق وهو الشيطان وسموه اهرمن فأصل دينهم مبنى على تعظيم النور وهو يزدان وتحقير الظلمة وهو اهرمن فلما عظموا النور عبدوا النار وقيل ان الفرس وملوكهم ينتهى نسبهم الى فارس بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انهم من نسل يافث بن نوح وهم يقولون انهم من ولد كيومرث وهو آدم عليه السلام و يقولون ان الملك فيهم من كيومرث وهو آدم عليه السلام و بقى فيهم الى ان استلبه منهم المسلمون من هذه الامة فى اوائل ظهور الاسلام وكان فى زمن قوة ملكهم موجودا فى مشارق الارض ومغاربها ملوك كثيرة ولكن هم كانوا اقوى الملوك وكان اكثر الملوك ينقادون لهم و يدخلون تحت طاعتهم ومن جملة الملوك الذين كانوا يخضعون لهم ملوك اليونان وملوك الروم الى ان صار ملك اليونان للاسكندر فقاتلهم وقهرهم واستلب الملك منهم وجعل فى ارضهم ملوكا من اكابرهم صاروا تحت طاعته يسمون ملوك الطوائف وكانوا عشرين ملكا وكذلك قهر الاسكندر ملوك الروم فكانوا تحت طاعته فمن حين غلبة الاسكندر لملوك الفرس صار ملك اليونان اقوى الملوك ودخل تحت طاعته ملوك الفرس وملوك الروم وهذا الاسكندر يقال له الاسكندر الرومى مع انه كان من اليونان لكنه نسب الى الروم لغلبته اياهم وقهره لهم ودخولهم تحت طاعته و ينتهى نسب اليونان الى يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وكان مبدأ ملك اليونان قبل ميلاد ابراهيم عليه السلام لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الفرس الى زمن غلبة الاسكندر للفرس فصار الروم ايضاً تحت طاعته وقيل ان اول من ظهر امره من اليونان رجل اسمه اللن ولد سنة اربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام وقيل ان تاريخ ظهور ملك اليونان سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان تاريخ غلبة الاسكندر للفرس والروم بعد مضى خمسة آلاف سنة ومائتين واحدى وثمانين سنة من هبوط آدم عليه السلام الى الارض وذلك ايضاً بعد مضى ثلاثة آلاف سنة وتسع وثلاثين سنة من الطوفان وذلك ايضاً بعد مضى الف وتسعمائة سنة وثمانية وخمسين سنة من مولد ابراهيم عليه السلام و بعد مضى الف وستمائة سنة وثلاث عشرة سنة من وفاة موسى عليه السلام و اما عيسى عليه السلام فكان ميلاده بعد غلبة الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين وكان الناس قبل ميلاد عيسى عليه السلام يؤرخون بغلبة الاسكندر ثم بعد ميلاد عيسى عليه السلام صاروا يؤرخون بميلاد عيسى عليه السلام وتركوا التاريخ بغلبة الاسكندر ولما بعث نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطلح المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على انهم يؤرخون بالهجرة وكان بين الهجرة وميلاد عيسى عليه السلام ستمائة واحدى وثلاثين سنة وقيل ستمائة واحدى وعشرين سنة وكان اليونان يعبدون الكواكب وكانت لهم اصنام على صور الكواكب يعبدونها وكان من اليونان الفلاسفة الذين دونوا علم الطب اليونانى وكان كثير منهم ينكرون حدوث العالم و يقولون

انه قديم و يعتقدون التأثير الطبيعي ولما غلب الاسكندر ملوك فارس والروم بقي الملك في اليونان الى مضي ثلاثة عشر ملكا منهم وذلك في مدة مائتين واثنتين وثمانين سنة اولها من غلبة الاسكندر ثم غلبهم الروم واستلبوا الملك منهم فصارت الغلبة لملك الروم وهذا الاسكندر الذي غلب فارس والروم غير الاسكندر المذكور في القرآن الذي يقال له ذو القرنين كما حقق ذلك جماهير المفسرين للقرآن فانهم حققوا ان الاسكندر ذا القرنين المذكور في القرآن كان مسلماً صالحاً بل قيل بنبوته وانه كان قبل الاسكندر الرومي بدهور طويلة واما الروم الذين غلبوا اليونان واستلبوهم ملكهم فانهم من عقب روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام فغلب الروم اليونان واستلبوهم ملكهم بعد مضي مائتين واثنتين وثمانين سنة من غلبة الاسكندر ولم يرجع لليونان ملكهم واستمروا رعية لغيرهم وسكنوا المورة واستمروا رعية ايضاً الى ظهور الدولة العثمانية فلما كانت سنة الف ومائتين وست وثلاثين حصل منهم خروج عن الطاعة للسلطان محمود الثاني العثماني فجهز عليهم وقاتلهم ثم توسط بعض الدول بينهم بالصلح وتوسطوا ايضاً في جعلهم دولة مستقلة ببلاد المورة فكان الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاروام فانهم بعد فتح السلطان محمد القسطنطينية سنة ثمان وخمسين وثمانمائة انقرضت دولتهم ولم ترجع لهم دولة بل هم رعية للدولة العثمانية الى الآن وكان انتقال ملك اليونان للروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة وخمس واربعين سنة وكانت ديانة الروم عبادة الكواكب والاصنام التي على صور الكواكب فكانوا تابعين في ذلك لليونان لان الغالب على الناس ان يكونوا على دين ملوكهم واستمر الروم على ذلك الى ان دخلوا في دين النصارى وذلك بعد مضي مائتين وسبع وثلاثين سنة من ميلاد المسيح عليه السلام ثم ان بعض ملوك الروم اعاد عبادة الاصنام وصار يقتل من يتبع الملة المسيحية وبعضهم يقبلها ويردها الى ان تملك منهم الملك قسطنطين فارتضى الملة المسيحية ودخل فيها وامر الناس بالدخول فيها والتمسك بها وكان ذلك سنة ثلاثمائة وست من ميلاد المسيح فتنصر الروم جميعاً وكان مقر ملك الروم مدينة رومة الى ان بنى القسطنطينية فان الملك قسطنطين المذكور هو الذي بناها ونقل كرسي السلطنة من رومة الى القسطنطينية وكان ذلك سنة ثلاثمائة واثني عشر من ميلاد المسيح عليه السلام وقيل ان هذا تاريخ بناء القسطنطينية واما نقل كرسي السلطنة اليها فكان سنة ثلاثمائة وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام واما مدينة رومة فاول من بناها ملك من ملوك الروم قبل غلبتهم لليونان اسمه روملس ويقال لها رومة ورومية وكان بناؤه اياها قبل ميلاد المسيح عليه السلام بسبعمائة وثلاث وخمسين سنة واما بيان كيفية غلبة اليونان للفرس وغلبة الروم لليونان والمحاربات الواقعة بينهم فلا حاجة الى ذكر شيء منها الآن ذلك شيء طويل لا فائدة في ذكره ولما ملك الروم اليونان وغلبوا عليهم واستلبوهم ملكهم خضع للروم كثير من الملوك ودخل تحت طاعتهم كثير من الملوك الذين لا يستطيعون محاربة ملك الروم كملوك الافرنج الذين في اوروبا وكثير من ملوك افريقيا وآسيا وصار ملك ملك الروم ضخما قويا واسعا واستمر ذلك الى سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين سنة فاستلب ملك ايطاليا ملك رومة وانتزعها من ملك القسطنطينية وهو ملك الروم وفصلها

عن ملكه وصارت من ممالك ايطاليا لكنه لم يستقل بملكها بل نازعه في ذلك كثير من دول
اوروبا ووقع بينه وبينهم محاربات وانتزاع ورجوع مرة بعد اخرى والكلام على ذلك
طويل وما صار للملك ايطاليا استقلال تام بالملك الا سنة الف وسبع وعشرين من ميلاد
المسيح الموافق ذلك سنة اربعمائة وثمانية عشر هجرية فاستقلالهم بالملك تأخر الى هذا الوقت
وان كانوا متقدمين بالنسبة الى وجود اصل ملكهم فهم اقدم دول اوروبا بالنسبة لكونهم
اول من اخرج رومة عن طاعة ملك الروم وان كان تمام استقلالهم متأخرا واما اول
الاستقلال فهو سنة اربعمائة وست وسبعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بمائة وست واربعين
سنة بل كان لهم ملوك ايضا قبل ذلك لكنهم كانوا تحت طاعة ملوك الروم بل قال بعضهم ان
اول وفودهم الى ارض ايطاليا وسكناهم فيها كان قبل ميلاد المسيح بالف وسبعمائة سنة
فهذا وجه قول من قال انهم اقدم ملوك الافرنج الذين في اوروبا ومن حين وفودهم في ذلك
الوقت كان لهم رئيس بمنزلة الملك واما دخولهم في دين النصارى فكان بعد ميلاد المسيح
عليه السلام بخمسمائة سنة ثم لم يزل دين النصارى ينتشر عند الافرنج سكان اوروبا الى سنة
خمسمائة وست وتسعين من ميلاد المسيح عليه السلام ثم زاد انتشاره حتى عم اكثرهم وتأخر
عن الدخول فيه الروسية لانهم انما دخلوا فيه سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم
ولما كانت ايطاليا اقدم تلك الطوائف كان تأسيس دينهم ومقر رؤساء الدين عندهم وقد كانت
النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام على مثل ما كانوا عليه حين كان بين اظهرهم من الاقرار
لله بالوحدانية وله بالرسالة مع الاقرار بأنه عبد الله ورسوله ثم بعد رفعه دخلت عليهم شبه
حصل بسببها الافتراق في دينهم فانقسموا ثلاث طوائف ملكانية ونسطورية ويعقوبية
فالملكانية مصرحة بالتثليث كما قال الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهؤلاء يقولون
الآلهة ثلاثة المسيح وامه والله ويقولون ان المسيح ناسوت كلي قديم ازلي من قديم ازلي ويقولون
ان مريم ولدت الها ازليا ويطلقون لفظ الابوة على الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ويطلقون ايضا لفظ البنوة على عيسى عليه السلام اطلاقا حقيقيا واما النسطورية
فخالفوا الملكانية فلم يقولوا بالامتزاج بل قالوا ان الكلمة اشرقت على جسد عيسى كاشراق
الشمس على كوة او على بلور واما اليعقوبية فيقولون انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله
هو المسيح كما حكى الله عنهم ذلك بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
واما المسلمون فقالوا كما ذكر الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون فهذا هو المراد من الكلمة ومن الشبه التي دخلت على النصارى حتى قالوا بالوهية
عيسى عليه السلام انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وما عقلوا ان ذلك بامر الله
بل هو فعل الله وخلقه وايجاده أجراه على يد عيسى عليه السلام وقد اقام الله عليهم الحجة
في ابطال زعمهم فقال سبحانه وتعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فقوله
سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام برهان على افتقارهما الى الطعام كافتقار جميع الحيوانات
فكيف يكون الها من يفتقر الى الطعام ولا يكون قوامه الا به وايضا كل الطعام يستلزم البول

والغائط

والغائط فكيف يكون الها من يحتاج الى ان يبول و يتغوط فاكل الطعام كناية عن البول والغائط لكن لم يعبر بالبول والغائط لفحش الاتيان بلفظهما والقرآن العزيز الفاظه فى غاية النزاهة والعذوبة مع غاية الفصاحة والبلاغة ومن شبههم ايضا كون المسيح ولد بلا اب فنسبوه الى الله تعالى وغاب عن عقولهم آدم عليه السلام فانه اغرب من عيسى عليه السلام فانه بلا اب ولا ام وقد ابطل الله لهم هذه الشبهة حيث قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فخلق آدم بلا اب ولا أم اعجب من خلق عيسى من أم بلا اب وبعد دهور طويلة افترق النصارى فرقتين احداهما تسمى كاتوليكية والاخرى بروتستانية ومع ذلك فيهم اختلاف كثير و يتشعب من اختلافهم مذاهب كثيرة ليس هذا محل تفصيلها وكلهم يقرون بالبعث ثم منهم من يقول ان البعث بالاجساد والارواح ومنهم من يقول انه بالارواح فقط وفى تاريخ الامام محمد بن جرير الطبرى ان قيام الساعة مما يؤمن ويقر به جميع اهل الاسلام واهل التوراة واهل الانجيل والمجوس وانما ينكره قوم من غير اهل التوحيد ثم قال وكل الذين ذكرناهم فانهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد ومقرون بأن الله عز وجل محييهم بعد فنائهم وباعثهم بعد هلاكهم الا قوما من عباد الاوثان فانهم يقرون بالفناء و ينكرون البعث اه ويسمون الملكانية كاتوليكية وهى صفة مدح عندهم مثل التسمية باهل السنة عند المسلمين اما اليعقوبية والنسطورية فلم يوجد الآن احد منهم فى بلاد الافرنج بل هم الآن كلهم ملكانية وكان اليعقوبية والنسطورية موجودين فى الزمن السابق وانقرضوا ولربما يوجد احد من اليعقوبية والنسطورية فى نصارى الشام ومصر والعراق والحبشة والحاصل ان اهل المذهب الكاتوليكى كلهم ملكانية ورئيس المذهب الكاتوليكى عند النصارى هو الاسقف العظيم والحبر الكبير والقسيس الفخيم ويسمونه البابا ومقره وسكناه رومة عند دولة ايطاليا فله الرياسة على كل متمسك بالمذهب المذكور بمعنى ان له النظر فى اجراء الاحكام الدينية الباطنية فهو عندهم بمنزلة القطب عند المسلمين وكان له عندهم ملك سياسى فى الاراضى التى تحت سلطته واكثر ايطاليا على المذهب الكاتوليكى وكانوا فى سنة سبعمائة [illegible]ن وعشرين من ميلاد المسيح الموافق مائة وثمانية من الهجرة جعلوا للبابا دولة جمهورية [illegible]ن تحت رياسته فكان ذلك التاريخ مبدأ امره ولم يزل يترقى امر البابوات حتى صارت لهم سطوة الدين والدنيا فكانت لهم ممالك واسعة فى الارض وكانوا رؤساء فى الدين والدنيا بحيث انهم صار لهم حق كبير فى تولية ملوك اوروبا وعزلهم حسب مشيئتهم فكانت سطوتهم سائدة على كل ملوكهم وكان لغيرهم من الملوك تاج واحد واماهم فكان لهم ثلاث تيجان واحد فوق واحد دلالة على كمال السلطنة وعلوها وبلغ اعتبارهم عندهم انهم عند ما كانوا يركبون على الخيل يمسك لهم الركاب كثير من ملوكهم وكانوا اذا أمروا بمحاربة امة لا يخالفهم احد ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حى وكان البابا مرة الزم امبراطور المانيا ان يقف حافيا ثلاثة ايام فى فصل الشتاء امام باب قصره ليطلب منه الغفران ورفس البابا مرة برجله تاج ملك جرمانيا حيث كان جاثيا امامه يطلب الغفران قال بعض مؤرخى الافرنج المتأخرين ان جهالة تلك الاعصار طمست بصائر الشعوب حتى لم يروا خطأ فى رؤ[illegible]ن فكانوا

يذعنون لكل احكامهم و يخضعون لكل مايستقر عليه رأيهم كأنه منزل من الله تعالى لا يشو به عيب فلما بلغت شوكتهم الى هذا الحد لم يبق فى اوروبا مملكة الاواضطربت من افما لهم ولاملك الا تعكر من مطامعهم ولا كرسى الا وارتج من شوكتهم فنشأ من ذلك فتن كثيرة كان منها انحطاط امر البابا و اتشيأ فشيأ الى سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين مسيحية الموافق الف ومائتين وثمان وثمانين هجرية فسقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون الى عاصمة مملكة البابا واخذوها منه وابقوه على الكاتوليكية رئيسا فقط ومقره فى الكنيسة الرومانية وليس له من الرياسة غير ذلك واستمر الامر كذلك الى هذا الوقت واما الاحكام بين الرعايا ومايتعلق بالسياسة وتدبير الملك فقد جعلوا لها قوانين دونوها بعقولهم واتخذوا لكل نوع منها مجالس مخصوصة وهكذا سائر دول اوروبا مع انه كان عندهم فى الانجيل وفى الكتب القديمة احكام مدونة تتعلق بالعبادات والمعاملات والانكحة فتركوا كثيرا منها واسسوا تلك القوانين العقلية ورأوها اقوى فى تثبيت ملكهم ثم ان الملكانية الذين تقدم انهم يسمون كاتوليكية استمروا على المذهب الكاتوليكى الى القرن التاسع فلما كثر المنكرون رياسة البابا صاحب رومة صاروا يسمون المنكرين لرياسته بروتستان وصارت هذه التسمية عندهم مثل تسمية المبتدعة الخارجين عن مذهب اهل السنة عند المسلمين فان المسلمين من اهل السنة يسمون المخالفين لهم بالمبتدعة فصار عند النصارى الملكانية لا يسمى كاتوليكيا الا من اعترف برياسة البابا ومن لم يعترف بها فهو بروتستان بمنزلة المبتدع عند المسلمين وكان هذا الاصطلاح عندهم فى القرن التاسع من قرون الهجرة النبوية فهذا هو الفرق الاعظم عندهم بين الفريقين ومع ذلك فالذين يسمونهم بروتستان كثير منهم لا يستأنفون من هذه التسمية لكن الاكثر منهم اذا قيل له انت بروتستان يستأنف من ذلك ولا يرضى بهذا اللقب لانه بمنزلة المبتدع ويقول بل انا كاتوليكى وان كان غير معترف برياسة البابا ثم ان بين الفريقين ايضا اختلافا فى مسائل كثيرة فاعظمها ان البروتستان لا يعترفون برياسة البابا بل يقولون هو من جملة رؤساء الاساقفة ولا تنحصر رياسة الاساقفة فيه بل هى فيه وفى اسقف القسطنطينية واسقف اسكندرية لامزية ولا رياسة لاحد الثلاثة على الآخرين ولا يزيد قدر احد الثلاثة على الآخرين واما الكاتوليكية الاصليون عندهم فهم المعترفون برياسة البابا صاحب رومة على غيره ومن الاختلاف الواقع بينهم ان بعض البروتستان يخالفون مذهب الملكانية الاصلى للفريقين فى اعتقاد التثليث لانهم نظروا فى كتب اهل الاسلام وادلتهم على وحدانية الله فاعترفوا بصحة تلك الادلة واعترفوا بوحدانية الله تعالى لكنهم لم يعترفوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترفوا برسالة عيسى المسيح عليه السلام وقالوا انه عبد الله ورسوله و يوافقون النصارى فى بقية دياناتهم فهذا موضع من مواضع المخالفة بينهم وبين الكاتوليكية لكن هذا الاعتقاد اعنى اعتقاد الوحدانية لله تعالى لا يقول به كل البروتستان بل بعضهم والبعض الآخر من البروتستان يقولون بالتثليث مثل الكاتوليكية لكنهم سموهم بروتستان لعدم اعترافهم برياسة البابا بل يقولون اصول الاساقفة اسقف رومة واسقف القسطنطينية واسقف الاسكندرية ثم ان جميع الفريقين لهم عبادات ومشروعات مختلفة اختلافا كثيرا لم يتفقوا كلهم على شئ

(منها)

منها الا الدعاء فانهم كلهم اعترفوا بمشروعيته واما صلاتهم وصيامهم وباقي عباداتهم فهم مختلفون فيها اختلافا كثيرا فمن ذلك ان الصوم يقول الكاتوليكية انه فرض ويقول البروتستان انه سنة وليس بفرض والصوم المذكور هو صوم اربعين يوما في فصل الربيع الذي يكون قبل الصيف بحيث يكون آخر الاربعين موافقا لآخر الربيع هذا متفق عليه بينهم لكن الكاتوليكية الاكثر منهم وهم اهل الديانة القوية منهم يقولون ان الصوم هو امساك عن تناول الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها في الاربعين يوما واما البروتستان وبعض الكاتوليكية الذين ضعفت ديانتهم فانهم يجوزون في حالة الصيام تناول الطعام والشراب لكنهم يقولون لا يجوز تناول اللحم بجميع انواعه وكذا ماتولد من الحيوان كاللبن والسمن الا الحوت فانهم يجوزون تناوله حالة الصيام ويتناولون ايضا الخبز والحلاوى وسائر الاطعمة غير اللحم الذي ليس لحم حوت ويشربون الخمر والماء في حالة الصيام ومن الفرق بين الفريقين ان لكل منهم اولياء يعتقدون فيهم ويتوسلون بهم لكن بينهم اختلاف في بعض الاولياء فهذا البعض يعترف به احد الفريقين دون الآخر وبالعكس فاذا كان الاولياء الذين يعتقدهم الكاتوليك لا يعتقدهم انسان يقولون انه بروتستان وهناك فرقة يسمونهم اللاتينية وفرقة يسمونهم اهل الديانة الروسية (ارثودكس) وذلك بسبب عدم اعترافهم برياسة البابا وان كانوا موافقين الكاتوليك في جميع ماهم عليه من الديانات والاعتقادات ومع ذلك فكثير من اللاتينية واهل الديانة الروسية يقولون نحن كاتوليك افتخارا بهذا اللقب فيقولون لهم كذبتم انتم لاتينية او من اهل الديانة الروسية حيث انكم لم تعترفوا برياسة البابا وهناك فروق كثيرة بين طوائفهم ومذاهب مختلفة يكفر فيها بعضهم بعضا لا حاجة الى ذكرها وانما المدار عندهم في الفرق بين الكاتوليكية والبروتستان الاعتراف برياسة البابا وعدم الاعتراف بها وقد عرفت ان الاصل الاصيل عندهم في تأسيس الديانات والاقدمية في الملك هي دولة ايطاليا ومع ذلك فبعض منهم ينكرون رياسة البابا فيكونون عندهم بروتستان لكن الاكثرون منهم يعترفون بها فيقرون لهم بانهم كاتوليك وبعض من الفرنسيس والانكليز وغيرهم خرجوا عن ملة النصارى بالكلية في الباطن وان كانوا يعترفون بها في الظاهر واما في الباطن فصاروا كالزنادقة عند المسلمين فهؤلاء لا يعترفون في الباطن بشيء من دياناتهم بل ولا بنبوة عيسى ولا غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل بعض منهم ينكرون الصانع ولا يعترفون ببعث ولا نشور ويقولون ماهي الا ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر فهؤلاء دهرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك بل يخفونه ويظهرون انهم على ملة النصارى وفي هذا القدر كفاية فلنتمم الكلام على ذكر بقية دولهم وكيفية ابتداء كل دولة ومتى كان دخولهم في النصرانية (اما دولة الفرنسيس) فاصلهم ايضا شعوب وقبائل مختلفة دخلت تلك البلاد في اوقات مختلفة واستوطنوا تلك الارض التي هم فيها الآن واخص تلك القبائل واشهرها قوم يقال لهم الكليتيين ويقال لهم ايضا الافرنك بالكاف ثم غيرت بجيم فصار الافرنج وقيل اصله فرنك بالكاف فابدلت الكاف سينا فصار فرنسه وفي تاريخ ابن خلدون عند ذكره الفرنسيس قال هذه الامة المعروفة بالافرنجة تسميها العامة بالافرنسيس نسبة الى بلد من امهات بلدانهم تسمى افرنسة وينتهي نسب الاكثر منهم الى يافث بن نوح عليه السلام ومع ذلك فقد اختلط بهم كثير من غير جنسهم

وصاروا ملحقين بهم والغالب انه اذا اطلق الافرنج انما ينصرف اليهم فيراد بهم الفرنسيس وقد يطلق اسم الافرنج على غيرهم من تلك الطوائف الساكنين باوروبا حتى صار هذا الاطلاق شائعا في هذه الازمان وابتدأ الملك في الفرنسيس من سنة اربعمائة وعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام وذلك قبل الهجرة بمائتين واثنتين من السنين هذا ابتداء انتظام الملك فيهم واستقلالهم فيه واما قبل ذلك فكان لهم ملوك لم ينتظم امرهم ولم يكمل لهم الاستقلال بل كانوا تارة يكون لهم استقلال وتارة يكونون تحت طاعة غيرهم وقهره واما اذا اعتبر ابتداؤهم الاصلي فانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة قرون وكانوا تحت قهر ملوك اليونان ثم بعد ذهاب ملك اليونان صاروا تحت قهر ملوك الروم فلا يحسب لهم ملك مستقل في تلك الازمان وكانت دياناتهم عبادة الاوثان التي على صور الكواكب وعبر بعضهم عن دياناتهم قبل دخولهم في النصرانية بانها تشبه ديانات اهل الهند عباد الاوثان ثم دخلوا في النصرانية سنة ست وتسعين واربعمائة من ميلاد المسيح عليه السلام وكان اول من دخل منهم في النصرانية الملك كلويس واكثرهم يدعون انهم على المذهب الكاتوليكي وكثير منهم على المذهب البروتستانتي ومنهم من لا يتدين بدين النصارى ولا غيرهم وينكرون بعثة الانبياء عليهم السلام بل منهم من ينكر الصانع ولكنهم يتسترون ويقولون انهم على دين النصارى ومن ملوك الفرنسيس المشهورين كارلويس الكبير المسمى شارلمان كان ساعيا في ترقي اسباب العلوم العقلية والفنون الادبية والصناعية التي يتسع بها ملكهم وشاع صيته وانتشر ذكره ومكث في الملك خمسا واربعين سنة وكان معاصرا لهارون الرشيد وكان بينه وبينه مكاتبات واهدى اليه الرشيد مرة شطرنجا ثمينا وساعة فلكية من مخترعات بلاد المشرق واهدى اليه ايضا انواعا كثيرة من البزورات التي تزرع وليست في بلادهم الافرنجية وارسل له مفاتيح كنيسة في بيت المقدس وامر الرشيد العمال الذين كانوا له في بيت المقدس ان يعاملوا الزوار الذين يأتون من بلاد الفرنسيس للزيارة احسن المعاملة ومات شارلمان المذكور سنة ثمانمائة واربعة عشر مسيحية الموافق مائة وتسعة وتسعين هجرية فيكون موته بعد وفاة الرشيد واما عدد سكان ارضهم وعدد رعاياهم وعدد عساكرهم وما هو عندهم من الاموال والسلاح وغير ذلك فلا حاجة بنا الى ذكره وكذا ما كان يقع بينهم وبين بقية الدول الافرنج من المحاربات وتغلب بعضهم على بعض فلا حاجة بنا الى ذكره نعم وقع بينهم وبين الانكليز امر غريب عجيب وهو انهم تحاربوا ومكث الحرب بينهم واستدام نحو مائة وست عشرة سنة تارة تكون الغلبة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وكان ابتداء ذلك الحرب من سنة الف وثلاثمائة وسبع وثلاثين مسيحية الموافق سبع مائة وثمان وثلاثين هجرية وانتهاؤه بالصلح بينهم سنة الف واربعمائة وثلاث وخمسين مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وسبع وخمسين هجرية وذلك مبسوط في تواريخهم ويسمونه حرب المائة سنة وكان استيلاء الفرنسيس على الجزائر بافريقية سنة الف ومائتين وست واربعين وفي سنة الف ومائتين وست وتسعين ادخلوا المحاكم التونسية في حمايتهم (واما دولة الانكليز) ويقال لها دولة انكلترا او برطانيا فكان اول ظهورهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمس وخمسين سنة وكان بينهم وبين الافرنج دول اوروبا محاربات كثيرة ولم ينتظم

(الملك)

الملك لهم ويتم الاستقلال الا سنة ثمانمائة وسبع وعشرين مسيحية الموافق مائتين وثلاث واربعين هجرية وكان اول دخولهم فى النصرانية سنة خمسمائة وست وتسعين مسيحية وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم ايضا مثل الفرنسيس فيهم الكاتوليكية والبرتستان والدهرية واما اصلهم الذى تنتهى اليه انسابهم فهم ايضا مجتمعون من اصناف وفروع شتى وفيهم جماعة من الكليتين وجماعة ينتهى نسبهم الى يافث بن نوح عليه السلام ولهم جزيرتان منفصلتان احداهما جزيرة بريتانيا والاخرى جزيرة ايرلندا ولذلك اشتهرت مملكتهم بمملكة بريتانيا وايرلندا وكانوا فى اول امرهم كالوحوش ويلبسون جلود الوحوش وكانت مساكنهم حقيرة يقيمونها تارة من الاعواد واوراق الشجر وتارة من الطين وكان شغلهم صيد الحيوانات يتعيشون منها وحالهم يشبه اجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء ثم لم يزل امرهم يظهر ويقوى حتى صارت لهم دولة قوية وكان استيلاؤهم على الهند مبتداه سنة الف وسبعمائة وسبع وخمسين مسيحية الموافق سنة الف ومائة وثنتين وسبعين هجرية وتمام استيلائهم على الهند سنة الف وثمانمائة وست عشرة مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وثمانية هجرية وكان تمام استيلائهم المذكور بعد حروب وعناء شديد واما استيلاؤهم على جبل طارق الذى فى المغرب فكان سنة الف ومائة وست عشرة هجرية انتزعوه من الاسبانيول فى السنة المذكورة وقد حاول الاسبانيول والفرنسيس انتزاعه بعد ذلك من الانقليز مرارا عديدة فلم يتيسر لهم ذلك وكان الاسبانيول قبل اخذه منهم قد انتزعوه من المسلمين سنة ثمانمائة وسبعة وستين هجرية وهذا الجبل من اعظم الحصون فى العالم ويعتبر مفتاحا للبحر المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التى هى من بلاد الاندلس فاصل بينها وبين افريقية ويسمى جبل الفتح وجبل طارق وهو طارق بن زياد الذى فتح الاندلس سنة ثنتين وتسعين من الهجرة وطارق هذا هو مولى موسى بن نصير بضم النون وفتح الصاد مصغرا وموسى المذكور هو مولى عبد العزيز بن مروان اخو عبد الملك بن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لانه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الاندلس ويسمى جبل الفتح ايضا للعلة المذكورة والعامة يسمونه جبل الطار وصوابه جبل طارق

﴿ واما دولة النمسا المسماة ايضا اوستوريا ﴾

فهم ايضا من اصناف شتى واكثرهم من التتار وابتداء دولتهم كان من سنة ثلاث وثلاثين من ميلاد المسيح عليه السلام وكان بعض دول اوروبا يدخلونهم تحت طاعتهم ويتغلبون عليهم وما حصل للنمسا استقلال الملك التام الا من سنة تسعمائة وثنتين وثمانين مسيحية الموافق سنة مائتين وثمانية واربعين هجرية ودخولهم فى النصرانية فى حدود السنين التى دخل فيها من تقدم ذكرهم ومثل ذلك يقال فيمن يأتى ذكرهم من الدول الاوروسية فانه تأخر دخولهم فى النصرانية الى سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية كما تقدم

﴿ واما دولة البروسية ﴾

فهم قسم كبير من جرمانيا ويقال لجرمانيا ايضا المانيا وهم امم كثيرة لهم ملوك شتى والبروسية

طائفة منهم وابتداء دولتهم من سنة اربع وخمسين من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام واستقلالهم التام بالملك من سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة مسيحية الموافق سنة ثمانمائة وثمان عشرة هجرية ثم انضم الى حمايتهم كثير من الدول الصغار من دول جرمانيا فقوى ملكهم واتسع

﴿ واما دولة الروسية المسماة بالموسكوف ﴾

فهم ايضا مجمعون من اجناس كثيرة ومنهم من ينتهى نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وكانو قبل استقلالهم فى الملك تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح عليه السلام ثم لما تقوى بعض دول اوروبا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنتين وستين مسيحية الموافق مائتين وثمانية واربعين هجرية وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول اوروبا ودخولهم فى النصرانية سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين كما تقدم

﴿ واما دولة اسبانيا ويقال لهم ايضا الاسبانيول ﴾

فهم ايضا من اجناس مختلفة وكان لهم ملوك فى القديم تابعون لدولة اليونان ثم لدولة الرومانيين بعد اليونان ثم تغلب عليهم بعض من هو اقوى منهم من ملوك اوروبا ثم استولى المسلمون على اكثر ممالكهم لما فتح الاندلس فكان الاندلس تحت يد اسبانيا الى سنة ثنتين وتسعين هجرية فانتزعه المسلمون منهم وبقى لهم ملك ضعيف فى آخر الاندلس ووقع بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة ثم انتزعوا الاندلس من المسلمين شيأ فشيأ الى اواخر التسعمائة من الهجرة ثم اخرجوا من بقى من المسلمين بالاندلس فى سنة الف وعشرة واستقلوا بالملك وكانت ديانتهم عبادة الاوثان كغيرهم ممن تقدم ودخلوا فى النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة البرتوغال ﴾

فكانت تابعة ايضا للرومانيين وكانت ممالكهم فى اواخر الاندلس فلما استولى المسلمون على الاندلس اضافوها الى ما بيدهم من الاندلس ثم انتزعت من المسلمين سنة اربعمائة وتسع وثمانين هجرية واستولى عليها الاسبانيول ثم انتزعها البرتوغال من الاسبانيول واستقلوا بالملك فيها سنة الف وخمسين هجرية

﴿ واما دولة هولاندا ويقال لهم الفلمنك ﴾

فكانت تحت طاعة اسپانيا وكان بين الدولتين حروب كثيرة استمرت نحو ثمانين سنة الى ان استقلوا بالملك فى حدود تسعمائة وسبع وثمانين من الهجرة وكان فى السنين المذكورة استيلاؤهم على بلاد الجاوى وكان دخولهم فى النصرانية فى حدود السنين التى دخل فيها من تقدم ذكرهم

﴿ واما دولة الدنيمارك ﴾

فكانت تحت طاعة ملوك اوروبا الى سنة ست وتسعين وثلاثمائة والف مسيحية الموافق سبعمائة وتسع وتسعين هجرية فاستقلوا بالملك

﴿ واما دولة السويد والنورويج ﴾

فكانت ايضا تحت ملوك اوروبا ثم صاروا تحت طاعة الدنيمارك ثم استقلو بالملك سنة الف وخمسمائة وثلاث وعشرين مسيحية الموافق تسعمائة وثلاثين هجرية

واما دولة البلجيك

فهي من ممالك جرمانيا وما صار استقلالها الا من سنة الف وثمانمائة وثلاثين مسيحية الموافق سنة الف ومائتين وست واربعين هجرية

واما دولة السويسره

فكانت ايضا يتداول التملك عليها ملوك اوروبا واستقلت بالملك سنة الف وستمائة وثمان واربعين مسيحية الموافق سنة الف وثمان وخمسين هجرية

واما دولة باواريا

فممالكهم تجمع ملوكا كثيرة كل واحد منهم له مملكة صغيرة وكانت تلك الممالك وملوكها تحت طاعة من قوى من ملوك اوروبا ثم صارت ممالك باواريا مستقلة سنة خمسمائة وثلاثين مسيحية الموافق لما قبل الهجرة باثنين وتسعين سنة ثم صارت هذه الممالك في هذه السنين تابعة لملك البروسية

فائدتان

الاولى تتفرع مسئلة فقهية على معرفة تاريخ دخول هذه الطوائف في دين النصرانية وهى انه ان كان دخولهم فيه قبل نسخه فانهم يلحقون باهل الكتاب في حل اكل ذبيحتهم وفي حل تزوج المسلمين نساءهم وان كان دخولهم فيه بعد نسخه فلا يلحقون باهل الكتاب فيما ذكر ونسخ دينهم انما كان ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازى في تفسيره عند تفسيره قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم مانصه قال الكثير انما يحل نكاح الكتابية التى دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرأن قالوا والدليل عليه قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فقوله من قبلكم يدل على أن من دان بالكتاب بعد نزول القرأن خرج عن حكم اهل الكتاب اه وذكر الخطيب الشربينى فى تفسيره مثل ذلك في حل اكل ذبائحهم وهذا الذى ذكره كل منهما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه واما اهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل اطلقوا القول بحل اكل ذبائح اهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين اهل الكتاب بعد نسخه

الفائدة الثانية

كانت دول الفرنج قبل ظهور الاسلام فى غاية التوحش وعدم المعرفة بالحرف والصنائع وانواع السياسات وتدبير الحروب وانواع العلوم العقلية وماوجد ذلك فيهم وانتشر الابعد ظهور الاسلام ومخالطتهم للمسلمين فتعلموا ذلك منهم فحصل لهم التمدن والحضارة قال بعض مؤرخيهم عند ذكر الحروب التى كانت بينهم وبين المسلمين في القرن السادس ايام السلطان صلاح الدين الايوبى المسماة بحرب الصليب مانصه ان تلك الحروب وان هلك فيها كثير من النفوس وذهب فيها كثير من الاموال من غير حصول على المقصود لكنه اعقب نتائج نافعة لهم منها أنهم من ذلك الوقت شرعوا في ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم المسلمين صناعة التجارة والزراعة وكثيرا من العلوم العقلية والفلكية وألفوا التواريخ النافعة وتوسعوا في معرفة علم الفلك وألفوا فيه وتخلقوا باخلاق الحضر وتعودوا الاسفار براو بحرا الاستكشاف

احوال الاقطار واكتشفوا على امريكا في اسفارهم سنة ثمانمائة وتسعين هجرية ولم تكن قبل ذلك معلومة لأحد قط واكتسبوا من المسلمين انواع الفروسية واللعب بالخيل والرماح وتعاطوا المعاني الغريبة في كلامهم واشعارهم لاسيما من كانوا منهم مخالطين للمسلمين بالاندلس وتعلموا ايضاً المشورة في الاحكام وعلموا ان الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة فدونوا لهم احكاماً وقوانين يرجعون اليها واستكثروا من جمع كتب الاسلام وترجمتها بلسانهم ليعلموا معانيها فأخذوا منها مايكون به صلاح الملك واتخذوا مدارس لتعليم انواع الفنون وعرفوا ان الملك لاينتظم الابذلك كله ومن مقالات بعض مؤرخيهم لا تصلح السكنى ببلد حتى تكون الشريعة فيها اقوى من السلطان ومراده بالشريعة ماأسسوه من القواعد العقلية لاحكامهم وسياسة ملكهم واذا كان هذا في تلك الاحكام العقلية فكيف اذا رجع المسلمون الى شريعتهم المطهرة المؤسسة بالوحي من الله تعالى وتمسكوا بها حتى يكون حكم السلطان تابعاً لحكمها فلا شك انها تكون اقوى من السلطان وقال بعض مؤرخيهم ايضاً مابلغت امة من الامم غاية الاستقامة الاباحترام قوانين احكامها المؤسسة على العدل كما ان عدم احترامها يكون منشأ الرجوع الى القهقرى ولايتوهم ان ذلك لبركة في قوانينهم العقلية وانما ذلك بسبب ابتنائها على التجاريب العادي ومراعاة الوازع الدنيوي واما الشريعة المطهرة فهي اقوى من ذلك كله لانها مبنية على الوحي الالهي الذي يحصل من اتباعه كمال البركة واذا كانت مخالفة قوانينهم يرونها موجبة للانحطاط فلاشك ان مخالفة الشريعة المطهرة يحصل منها كمال الانحطاط مع مايعقب ذلك من العذاب في الدار الآخرة وقال بعض مؤرخيهم وبالجملة فبالسبب المذكور وهو مخالطة الاوروباويين للأمة الاسلامية المتقدمة عليهم في التمدن والحضارة كان ابتداء التمدن عند الاوروباويين

﴿ تتميم ﴾

ذكر كثير من المفسرين للقرآن العزيز وكثير من المؤرخين أن الذين ملكوا الدنيا من مشرقها الى مغربها ثلاثة مسلمان وكافر اما المسلمان فهما سليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين واما الكافر فهو النمرود الذي كان في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وزاد بعضهم رابعاً كافراً وهو بخت نصر فيكونون اربعة مسلمان وكافران لكن قال ابن الاثير في الكامل أن بخت نصر لم يملك الدنيا كلها وانما كان له ملك واسع وهو الذي خرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل واسر سبعين الفاً منهم لان الله سلطه عليهم لما كثرت فيهم المعاصي والمخالفات وبخت نصر هذا كان مجوسياً من مجوس بابل ولم يعرف له اب وكان عاملا على العراق لملك الفرس وكان بين ابتدأ ملكه وتخريبه بيت المقدس تسع عشرة سنة وبين الهجرة وتخريبه بيت المقدس الف وثلاثمائة وتسع وستون سنة وبقي خراباً سبعين سنة ثم عمر وتراجعت اليه بنوا اسرائيل والذي عمره بعض ملوك الفرس بوحي من الله تعالى الى النبي أرميا عليه السلام فاخبر ذلك النبي ملك الفرس فامتثل امره وعمره ثم خرب مرة ثانية بعد رفع عيسى عليه السلام بأربعين سنة وذلك قبل الهجرة بخمسمائة ونيف وخمسين سنة

وكان ذلك التخريب لما قتل اليهود يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فقتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم وخربوا بيت المقدس وقد ذكر الله تعالى هذين التخريبين في القرآن العزيز في سورة الاسراء في قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيراً فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً أولي بأس شديد الآية وذكر المرة الثانية في قوله تعالى فأذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم اى بعثناهم وسلطناهم ليسوؤا وجوهكم وبقي خراباً الى ان عمره ملك من ملوك الروم بعد تنصرهم وبنى كنيسة قامة على القبر الذي تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام دفن فيه وخربوا هيكل بيت المقدس الى الارض وأمروا أن يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة وبقي على ذلك الى ان قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة ست عشرة من الهجرة وفتح بيت المقدس فأزال ذلك وارجع موضع الصخرة كما كان والله سبحانه وتعالى اعلم ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر الفتوحات الاسلامية فنقول وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة خلع الطائع لله وبويع القادر بالله احمد بن اسحاق بن المقتدر وفي سنة ثنتين وثمانين نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط وملازكرد وارجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه ابو علي الحسن بن مروان الكردي مدة عشر سنين فعاد ملك الروم الى بلاده وفي هذه السنة سار بغراخان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارى فسير اليه الامير نوح بن منصور الساماني جيشاً كثيراً ولقيهم ايلك فهزمهم فعادوا الى بخارى وهو في اثرهم فخرج الامير نوح بنفسه وسائر عساكره ولقيه فاقتتلوا قتالا شديداً اجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد منهزماً الى بلاده وفي سنة ثلاث وثمانين جمع ملك الترك جيوشاً كثيرة وسار الى بخارى فملكها بسبب اختلاف وقع بين المسلمين مع بعضهم وفي سنة سبع وثمانين توفي سبكتكين صاحب غزنة ووقع اختلاف بين ولديه اسماعيل ومحمود ثم تم الملك لمحمود فاستولى على خراسان وغيرها وصار له ملك ضخم وجاءه التقليد من الخليفة القادر بالله ولقب يمين الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة ﴾

في سنة اثنتين وتسعين تجهز بجيوش كثيرة لغزو الهند وقصد برشور فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة فاختار يمين الدولة من عساكره خمسة عشر الفاً وسار نحوه فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهنود وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر ملك الهند ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم اموالا جليلة وجواهر نفيسة ومن جملة ذلك قلادة كانت في عنق ملكهم من الجوهر العديم النظير قومت بمائتي الف دينار واصيب امثالها في اعناق مقدمي الاسرى وغنموا خمسمائة الف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة فلما فرغ من غزواته احب ان يطلق ملك الهند الذي اسره ليراه الهنود في شعار الذل فأطلقه بما قرره عليه فأدى المال ومن عادات الهنود انهم من حصل منهم في ايدي المسلمين اسيراً لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى ملك الهند

حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم القى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ ذكر غزوة اخرى الى الهند ايضاً ﴾

لما فرغ يمين الدولة السلطان محمود سبكتكين من امر جيبال رأى ان يغزو غزوة اخرى فسار نحو ويهند فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالماً ظافراً

﴿ ذكر غزوة بهاطية من بلاد الهند ﴾

فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة غزا يمين الدولة بهاطية من اعمال الهند وهى مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة ايام ثم انهزم فى الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو واصحابه فسبقه المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم واخذتهم السيوف من بين ايديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية واخذت الاموال واما الملك فانه لما عاين الهلاك اخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر الملك الا وقد احاطوا به وحكموا السيوف فى اصحابه فلما ايقن بالعطب اخذ خنجرا فقتل نفسه واقام يمين الدولة ببهاطية حتى اصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من اسلم من اهلها مايجب عليهم تعليمه ولقى فى عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق مما معه ومن عسكره شئ عظيم

﴿ ذكر غزوة المولتان ﴾

فى سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها كان قد اسلم ثم نقل عنه خبث الاعتقاد ونسب الى الالحاد ودعا اهل ولايته الى ماهو عليه فاجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التى فى طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى اندبال يطلب اليه ان يأذن له فى العبور من بلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان فدخل بلاده وجاسها واكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر اندبال من بين يديه وهو فى أثره كالشهاب فى أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع ملك المولتان بخبر اقباله علم بعجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل امواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا اهلها فى ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم اهلها عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم

﴿ ذكر غزوة كواكير ﴾

ثم سار عن المولتان الى كواكير وكان بها ستمائة صنم فافتتحها واحرق الاصنام فهرب صاحبها الى قلعة له فسار خلفه اليها وهى حصن كبير يسع خمسمائة الف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون الف دابة وفى الحصن مايكفى الجميع مدة فلما قام بها يمين الدولة

وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا ٔحد طاقة عليه فأمر بقطعها ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار مايسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة واربعين يوما وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ثم بلغه اختلال في خراسان فأراد الرجوع فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منا فضة ولبس خلعة يمين الدولة بعدان استعفى من شد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وانفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد يمين الدولة الى خراسان لاصلاح مااختلف فيها وكان عازما على الدخول في بلاد الهند

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة سار يمين الدولة نحو الهند وسبب ذلك ان بعض اولاد ملوك الهند كان قد اسلم على يده واستخلفه على بعض مافتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام ومال لاهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا ففر الهندي من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض اصحابه وعاد الى غزنة

﴿ ذكر غزوة بهيم نغر ﴾

في سنة ثمان وتسعين غزا يمين الدولة وانتهى الى شاطئ نهر هندمند فلاقاه هناك ابرهمن بال ابن انديال في جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على اعقابهم واخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة اثر ابرهمن بال حتى بلغ بهيم نغر وهي على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها انواع الذخائر قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان مالم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد اخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة الى القلعة خواص اصحابه وثقاته فاخذ منها من الجواهر مالا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاواني الذهبيات والفضيات سبعمائة الف واربعمائة منا وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فادخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله

﴿ ذكر غزوة بالهند ﴾

في سنة اربعمائة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزو نارين فسار اليها واخترقها واستباحها ونكس اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لاقوة لديه راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له في خدمته الفافارس لايزالون فقبض منه مابذله وعاد عنه الى غزنة

﴿ ذكر غزو يمين الدولة بلاد الغور وغيرها ﴾

فى سنة احدى واربعمائة غزا يمين الدولة بلاد الغور وهى بلاد تجاور غزنة وكان الغور كفارا يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسالكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة ان يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم حتى انتهى مقدمة جيشه الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الحال فجد فى السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية فبرز من مدينته فى عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى ان انتصف النهار فرأوهم أشجع الناس واقواهم على القتال فأمر يمين الدولة عساكره ان يولوا الادبار على سبيل الخديعة والاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم فعطف المسلمون عليهم ووضعوا السيف فيهم فأبادوهم قتلا واسرا وكان فى الاسرى كبيرهم وزعيمهم ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا مافيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التى لهم جميعا فلما رأى كبيرهم مافعل المسلمون شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين واظهر يمين الدولة فى تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة اخرى من الكفار فقطع مفازة من رمل ولحق عساكره عطش شديد كادوا يهلكون منه فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وارسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير فى الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم سمائة فيل فقاتلهم اشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار واخذ غنائمهم واكثر القتل فيهم وعاد سالما ظفرا منصورا

﴿ ذكر فتح يمين الدولة ناردين ﴾

فى سنة اربع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند فى جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده واصحابه وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين اكتافهم فهزموهم واكثروا القتل فيهم وغنموا امامعهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك فلما فرغ من غزوته ارسل الى الخليفة القادر بالله يخبره فكتب له منشورا وعهدا بخراسان ومابيده من الممالك والقبه نظام الدين

﴿ ذكر غزوة تانيشر ﴾

فى سنة خمس واربعمائة ذكر ليمين الدولة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلان الموصوفة فى الحرب وان صاحبها غال فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فعزم على غزوه فى عقر داره وان يذيقه شربة من كاس قتاله فسار فى الجنود والعساكر والمتطوعة فلقى فى طريقه اودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والماء بها

قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التى كان يدل بها اى يتعزز بها فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشغال الكفار بالقتال ليتمكن باقى العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر فى المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهنود وظفر المسلمون وغنموا مامعهم من اموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفرين ظافرين

﴿ ذكر غزوة الى الهند ﴾

فى سنة ست واربعمائة غزا يمين الدولة الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره فى مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه اياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما ﴾

فى سنة سبع واربعمائة سار يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين من غزنة الى الهند عازما على غزو قشمير اذ كان قد استولى على مابينه وبين قشمير من بلاد الهند واتاه المتطوعة نحو عشرين الف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها ثلاثة اشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ ارض الهند واتاه رسل ملوكها بالطاعة و بذل الاتاوة فلما بلغ درب قشمير اتاه صاحبها واسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون فى العشرين من رجب وفتح ماحولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من اعلى حصنه فرأى من العساكر ماهاله وارعبه وعلم انه لاينجيه الا الاسلام فخرج فى نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من اعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى اطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا واخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين ايديهم فاقتحموه فغرق اكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو من مهرة الهند وهو من احصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلاثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتى صنم فاخذ يمين الدولة ذلك جميعه واحرق الباقى وسار نحو قنوج وصاحبها راجيبال فوصل اليها فى شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهى سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائتى الف سنة الى ثلاثمائة الف كذبا

منهم وزورا ولما فتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه ومافيه ثم سار الى قلعة شروة وصاحبها جندرآى فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها وعمى خبره فلم يدر اين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم مافيه وسار فى طلب جندرآى جريدة وقد بلغه خبره فلحق به فى آخر شعبان فقاتله فقتل اكثر جند جندرآى واسر كثيرا منهم وغنم مامعه من مال وفيول وهرب جندرآى فى نفر من اصحابه فنجا وكان السبي فى هذه الغزوة كثيرا حتى ان احدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة امر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وانفق ماغنمه فى هذه الغزوة فى بنائه وفى هذه السنة تفرقت ممالك الاندلس وصار عامل كل قطر منه متغلبا على مابيده لضعف ملوك بنى أمية وكثرت الفتن بينهم وبين العلويين بنى ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى

﴿ ذكر خروج الترك من الصين ﴾

فى سنة ثمان واربعمائة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة الف خركاه وكانوا اجناسا منهم الخطابية الذين ملكوا ماوراء النهر وكان خروجهم للاستيلاء على ممالك الاسلام وكان اقرب بلاد الاسلام اليهم بلاساغون وكان ملكها من صالحى ملوك الاسلام يحب العلم واهله ويميل الى اهل الدين ويصلهم ويقربهم واسمه طغان خان وكان قد ملك ايضا تركستان ومرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليه وملكوا بعض ممالكه وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فلما بلغه الخبر وكان مريضا بها سأل الله ان يعافيه فينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما اراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى الف رجل واسر نحو مائة الف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين مالا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وما اشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى فى غزوة الخندق فانه دعا الله لما جرح فى أكحله ان يبقيه حتى يأخذ ثاره من بنى قريظة فاستجاب الله دعاءه ثم بعد الانتقام منهم وقتلهم انفجر جرحه ومات رضى الله عنه ولما مات طغان خان ملك بعده اخوه ارسلان خان ولقب شرف الدولة

﴿ ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية ﴾

فى سنة تسع واربعمائة سار يمين الدولة الى الهند غازياً واحتشد وجمع واستعد واعد اكثر مما تقدم وقصد بيدا اللعين وكان اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشاً وتسمى مملكته بجوراهة وسار يمين الدولة عن غزنة وابتدأ فى طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال

و يفسدون في الارض و يقطعون الطريق بين غزنة و بينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم اموالهم واكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على المسير و بلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته و عبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلا قد بلغت عدة احماله الف عدد فغنمها وهي من العود والامتعة الفائقة وجد به السير فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له بروجيبال قد سار من بين يديه ملتجئا الى بيدا ليحتمي به عليه فطوى المراحل فلحق بروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان و بينه و بين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض اصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو و باقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم فانهزم بروجيبال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر واسلموا اموالهم واهليهم فغنمها المسلمون واخذوا منهم الكثير من الجواهر واخذوا مايزيد على مائتي فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير في امره وارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره مالا يحصى وسار بروجيبال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة باري وهي من احصن القلاع والبلاد واقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من اهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر واجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه اذا اراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين الف فارس ومائة الف و اربعة وثمانين الف راجل وسبعمائة وستة و اربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد اصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا الطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم في الغياض والآجام واكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

ذكر فتح قلعة من الهند

في سنة اربع عشرة واربعمائة غزا يمين الدولة الهند واوغل فيها فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهي كبيرة تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفي رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع مايحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وادام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ماحل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فأمنهم وأقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته انه اذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة الحمها

ذكر فتح سومنات

في سنة ست عشرة وأربعمائة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان اعظم اصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده مايتيف على مائة الف انسان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات ما يغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم الف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلاثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلاثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو انه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم دخلوا في الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان في هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفي طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها واهلك اوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب وقصد حصنا له يحتمي به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سول لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر اصنامها وسار الى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء فلقي عشرين الف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فارسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولواره وهي على مرحلتين من سومنات وقد ثبت اهلها له ظناً منهم ان سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم اموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه امواجه واهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين ان معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو يوم الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم

وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فأكثروا فى الهنود القتل واجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه اشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى ان يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقى منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض واما البيت الذى فيه سومنات فهو مبنى على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان فى البناء وليس بصورة مصورة فاخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذى عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما فى البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فاخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة فى البحر بينها وبين البر من جهة سومنات اربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه انه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم قد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد اسلم ثم ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجئ يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض اشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا اكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه اهلها ودانوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة واربعمائة

❁ ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية ❁

فى سنة ست عشرة واربعمائة خرج الروم الى جزيرة صقلية فى جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين فى جزيرة قلورية وهى مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا فى بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن اخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس عامل افريقية للعبيديين فجهز اسطولا كبيرا اربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة فى الاجر فسار الاسطول فى كانون الثانى فلما قرب من جزيرة قوصرة وهى قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديد ونوء عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

❁ ذكر غزوة للمسلمين الى الهند ❁

فى سنة احدى وعشرين واربعمائة غزا احمد بن ينالتكين النائب عن يمين الدولة بلاد الهند

مدينة للهنود وهي من اعظم مدنهم يقال لها نرسي ومع احمد نحو مائة الف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبي وخرب الاعمال واكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة النهار الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقي اهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر احد على المبيت فيه لكثرة اهله فخرج منه ليأ من على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة مانهب انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله فلما فارقه اراد العود اليه مرة اخرى فلم يقدر على ذلك ومنعه اهله وفي هذه السنة توفي يمين الدولة السلطان محمود ابن سبكتكين وعمره احدى وستون سنة ومدة ملكه اربع وثلاثون سنة وكان صالحا عادلا محبا للعلماء مكرما لهم ومحبا للجهاد ووقع بعده اختلاف بين ابنيه محمد ومسعود وتم الملك لمسعود

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه ﴾

في سنة احدى وعشرين واربعمائة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلاثمائة الف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغ قريب حلب فلحقهم عطش شديد وكان اصحابه مختلفين عليه وعبر على عسكره جمع من العرب ليسوا بالكثير فظن انها كبسة فخاف ورحل وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شيء البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا حتى ان الملك لبس خفا اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ماكان معهم

﴿ ذكر غزو فضلون الكردي الخزر وماكان منه ﴾

كان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذربيجان استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا الخزر في هذه السنة فقتل منهم وسبي شيأ كثيرا فلما اراد العود الى بلاده ابطأ في سيره وظن انه دوخهم وشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمتطوعة الذين معه اكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التي اخذت منهم وغنموا اموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ ذكر ملك الروم مدينة الرها ﴾

في سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكان بالرها برجان حصينان احدهما اكبر من الآخر الكبير بيد ابن عطير والصغير بيد ابن شبل فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه مابيده بعشرين الف دينار وعدة قرى فتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه اصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد فسمع نصر الدولة بن مروان مالك بلاد الكرد الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى غيرهم بالبيعة التي لهم وهي من اكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا اكثرهم ونهبوا البلد

(وبقي)

وبقى الروم بالبرجين وسير اليهم ابن مروان عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخل الروم البلد وملكوها وماجاورهم من بلاد المسلمين فصالحهم ابن وثاب النميرى على حران وسروج وحمل اليهم خراجا وفى هذه السنة توفى الخليفة القادر بالله وكانت خلافته احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وبويع بعده ابنه القائم بأمر الله

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

فى سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ملك الروم قلعة افامية بالشام بسبب اختلاف العمال من المسلمين فدخل حسان بن المفرج الطائى بلد الروم هاربا من الدزبرى عامل الشام لخليفة مصر ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم مافيها وسبى اهلها واسرهم

﴿ ذكر فتح قلعة سرستى وغيرها من بلاد الهند ﴾

فى سنة خمس وعشرين واربعمائة قصد السلطان مسعود بن محمود سبكتكين قلعة سرستى وهى من امنع حصون الهند واحصنها لحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على اخذ اموالهم وحملها لمسعود من جملة ما تقرر عليه فكتب التجار رقعة فى نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابرهم ملكهم فرجع عن الصلح وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم واخذ ماجاورها من البلاد ثم رحل عنها الى قلعة نغىى وحصرها فرآها عالية لاترام يرتد البصر دونها وهو حسير الاانه اقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندى طويلا واخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فمرض واصبح لايقدر ان يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفاً شديداً فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به واقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ ذكر ملك الروم قلعة بركوى ﴾

هذه قلعة متاخمة للارمن كانت فى يد أبى الهيجاء بن ربيب الدولة ابن اخت وهودان بن مملان فتنافر هو وخاله فارسل خاله الى الروم فاطمعهم فيها فسير ملك الروم اليها جمعاً كثيرا فملكوها سنة خمس وعشرين واربعمائة فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى ابى الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها وفى سنة سبع وعشرين اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا جموعاً وامدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا جميعاً الى السويدا وربض الرها وكان الروم قد احدثوا عمارتها فى ذلك الوقت واجتمع اليها اهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقاً كثيراً وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها واشتد الامر فخرج البطريق الذى فيها متخفياً ولحق بملك الروم وعرفه

الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنا لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير واسر مثلهم واسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا الباب والا قتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا الباب للعجز عن حفظه وتحصن اجنادالروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا مافيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبي واكثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصراً للقلعة ثم ان حسان ابن الجراح الطائى سار فى خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجداً ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها بجمع من الروم الى حران فقاتلهم اهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعاً فوقع على الروم فقتل منهم كثيراً وعاد المنهزمون الى الرها ثم صالح ابن وثاب الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكثر الروم بها وعمروها وحصنوها وفى سنة تسع وعشرين هادن المستنصر بالله العبيدى صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قمامة فارسل الملك اليها من عمرها واخرج على عمارتها مالا جليلا ثم انتقضت الهدنة سنة ٣٢ وجهز الروم جيشاً فالتقوا مع جيش المسلمين بين مدينة حماة وافامية واشتد القتال ثم ان الله نصر المسلمين واذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم للملك وبذلوا فى فدائه مالا جزيلا وعدة وافرة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى بعدها وفى سنة اثنتين وثلاثين ايضاً قتل مسعود بن محمود سبكتكين وتملك ابنه مودود والقاتل لمسعود اولاد اخيه محمد والقصة طويلة ليس هذا محل ذكرها وفى سنة خمس وثلاثين اخرج ملك الروم من القسطنطينية المسلمين والغربا ونادى ان لايقيم احد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن اقام بعدها كحل فخرج منها اكثر من مائة الف انسان ولم يبق بها اكثر من اثنى عشر نفساً ضمنهم الروم فتركهم

﴿ ذكر تملك مودود بن مسعود بن محمود سبكتكين عدة من حصون بلد الهند ﴾

وفى سنة خمس وثلاثين واربعمائة اجتمع ثلاثة من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وارسل الى صاحبه مودود ويستنجده فارسل اليه العساكر فاتفق ان بعض اولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلدهما فسارت العساكر الاسلامية الى احدهما فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم واكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا الى ذلك باقى حصون ذلك الملك الذى لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ماطلبوا وتسلم المسلمون الجميع وغنموا الاموال واطلقوا مافى الحصون من اسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثانى فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت

الهنود وانجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح واسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقى الملوك من الهند مالقى هؤلاء اذعنوا بالطاعة وطلبوا الامان وحملوا الاموال وطلبوا الاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

﴿ ذكر اخبار الروم والروسية ﴾

وفى سنة خمس وثلاثين ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروسية فى البحر يريدون حرب الروم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قدفارق المراكب الى البر فألقى الروم فى مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق واما الذين فى البر فقاتلوا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم اولا استرق ومن امتنع حتى اخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم فى البلد ولم يسلم منهم الا القليل مع ابن ملك الروسية وفى سنة تسع وثلاثين سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد

﴿ ذكر غزو السلجوقية بلاد الروم ﴾

ولنذكر اولا ابتداء ظهور الدولة السلجوقية اصلهم من الترك الذين بما وراء النهر اسم جدهم سلجوق وو. .فقه على الاسلام جماعة منهم فخرج بهم من دار الحرب الى ديار الاسلام وصار يقاتل الكفار من الترك ووقع بينه وبين ملوك خراسان المسلمين وقائع وقتال يطول الكلام بذكره وولده اولاده قاموا بالجهاد بعده وكثرت جموعهم وقويت شوكتهم وصاروا يتغلبون على ممالك خراسان والعراق شيأ فشيأ الى ان دخلوا بغداد واذهبوا دولة بنى بويه وتغلبوا على الخلفاء كما كان بنو بويه وكان دخولهم بغداد فى خلافة القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر سنة سبع واربعين واربعمائة وكان الداخل منهم بغداد السلطان طغرلبك بن ميكائيل ابن سلجوق وتوفى السلطان طغرلبك سنة خمس وخمسين واربعمائة وصار الملك بعده لابن اخيه الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق واستمر الملك فى بنيه الى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان ابتداء تملكهم طوس وقيل الرى سنة اربعمائة وتسع وعشرين فتكون مدة ملكهم مائة وستين سنة وطغرلبك ضبطه ابن خلكان بقوله بضم الطاء وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة بعدها كاف وهو اسم تركى مركب من طغرل وهو اسم علم وبك معناه امير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف وكانت هذه الغزوة التى سنذكرها قبل تملكهم بغداد وهذه الغزوة التى سنذكرها هى انه فى سنة اربعين واربعمائة غزا السلجوقية بلاد الروم وقائد الجيش الامير ابراهيم اينال اخو السلطان طغرلبك السلجوقى فظفروا وغنموا ووصلوا الى ملازكرد وأرزن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحى كلها ولقيهم عسكر للروم يبلغون خمسين الفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فاكثروا القتل فى الروم وهزموهم واسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن اسر قاريط وكان من ملوكهم فبذل فى فداء نفسه ثلاثمائة الف دينار وهدايا بمائة الف فلم يجب الى ذلك ولم يزل السلجوقية يجوسون تلك البلاد الى ان صار بينهم وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحى فنهبوها وغنموا مافيها وسبوا اكثر من مائة الف

راس واخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالا يقع عليه الاحصاء وحملت الغنائم على عشرة آلاف عجلة ومن جملة الغنائم عشرة آلاف درع ثم في سنة احدى واربعين واربعمائة ارسل ملك الروم الى السلطان طغرلبك هدية عظيمة وطلب منه الصلح والمهادنة فاجابه اليها وعمر ملك الروم مسجدا بالقسطنطينية وكان بها كثير من المسلمين فاقاموا بالمسجد المذكور الصلاة والخطبة لطغرلبك بامر ملك الروم ثم بعد ذلك دانت الناس لطغرلبك وتمكن في ملكه وتملك كثيرا من البلاد قبل دخوله بغداد

﴿ ذكر غزوة اخرى للسلجوقية ﴾

في سنة ست واربعين واربعمائة سار طغرلبك سلطان السلجوقية الى ارمينية وقصد ملازكرد وهي للروم فحصرها وضيق على اهلها ونهب ماجاورها من البلاد واخربها وهي مدينة حصينة واثر السلطان المذكور في هذه الغزوة آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا وبلغ في غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء ومن السلجوقية قتلمش ابن عم طغرلبك كانت له ولبنيه دولة في قونية واقصرا وبلاد الروم لان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين للممالك دخل قتلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها وافتتح بلادا واسعة وبقي الملك في بنيه الى ظهور الدولة العثمانية فمن تلك الممالك التي افتتحوها وكانت تحت ايديهم قونية واقصرا وسيواس وتوقان وانقورية وملطية وبلاد البستان وقيسارية ونيكسار واماسية واعمال هذه المدن

* ذكر فتح الب ارسلان مدينة * آني * وغيرها من بلاد النصرانية *

في سنة ست وخمسين واربعمائة غزا السلطان الب ارسلان بلاد النصارى فسار من الري الى اذربيجان ثم سلك مضايق الى ان وصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل عسكرا مع ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل اهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وانزلوا منها اهلها وكان بالقرب منها قلعة اخرى ففتحها ملكشاه واراد تخريبها فنهاه الوزير نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والاموال والسلاح والذخائر وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى اهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد عندها نهر كبير فأعد نظام الملك

لقتالها مايحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار واخذهم الاعيا والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليها السلالم وصعدوا الى اعلاها لان المعاول كانت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى اهلها المسلمين على السور فت ذلك فى اعضادهم اى اضعفهم وسقط فى ايديهم ودخل ملكشاه ونظام الملك البلد واحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من اهلها واسلم كثير منهم فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان ابنه ملكشاه و نظام الملك فلحقوه فى بلاد الكرج وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى مالا يحصى ثم ساروا جميعا مع السلطان الب ارسلان الى تسبيذ شهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها من المسلمين كثير ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان و يطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل احاط بهم الكرج من اهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار وقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من اهلها فى برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك واحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة ثم سار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونوره فخرج اهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منهما الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لاخذها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها مايزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الكرج عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله مالم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة

وقتلوا من اهلها مالا يحصى عددهم بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد بسبب كثرة القتلى واسروا ونحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذا الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخليفة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها اميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك وفي سنة ثنتين وستين واربعمائة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم جموعا للعرب ثم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع

﴿ ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره ﴾

في سنة ثلاث وستين واربعمائة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي الف من الروم والفرنج والروس والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجؤوا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوي من اذربيجان وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو فيمن معه من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد في السير وقال لهم اني اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي وساروا فلما قاربوا العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال ملك الروم لا هدنة الا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي انك تقاتل عن دين الله وقد وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يامر وينهى وألقى القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض من جثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض الغلمان فأراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع ملك الروم لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام الذي اسره قد عرضه سيده على نظام الملك فرده استحقاراً له فأثنى عليه سيده فقال نظام الملك عسى ان يأتينا

بملك الروم اسيراً فكان كذلك فلما اسر الغلام ملك الروم احضره عند سيده فقصد السلطان واخبره بأسر الملك فأمر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فأبيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ماعزمت ان تفعل بي ان اسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن اني افعل بك قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباً عنك قال ماعزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وخمسمائة الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اى وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها واطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكراً اوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخاً واما الروم فانهم لما بلغهم خبر الوقعة واسر الملك وثب ميخائيل على المملكة فلك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فأجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال وكان مائتي الف دينار فأرسله الى السلطان وطبقاً ذهباً عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لايقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على اعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان الب ارسلان وذكروا هذا الفتح فأكثروا لانه يشبه فتوحات الصحابة رضي الله عنهم

﴿ ذكر مقتل السلطان الب ارسلان ﴾

في سنة خمس وستين واربعمائة قصد السلطان الب ارسلان ما وراء النهر لقتال ملك من ملوك الاسلام خرج عن طاعته اسم الملك شمس الملك فعقد على جيحون جسراً وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف يوسف الخوارزمي جرى منه جناية وارتكاب وحمل الى قرب سريره مع غلامين فأراد عقابه على ارتكابه فأمر ان تضرب له اربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يامخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان واخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سريره فقام عنه وعثر فوقع فبرك عليه يوسف وضربه في خاصرته بسكين كانت معه وقتل الاتراك يوسف وقطعوه ونهض السلطان فدخل الى خيمة اخرى ومات السلطان من جراحته تلك بعد ايام وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم امره فاستجاب الله لهم ولما جرح السلطان قال مامن وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله تعالى عليه ولما كان امس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا

ومايقدر احد على فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله واستقيله من ذلك الخاطر وتملك بعده ابنه ملكشاه وفي سنة سبع وستين واربعمائة توفي القائم بأمر الله و بويع حفيده المقتدى بأمر الله وفي سنة ثمان وستين اخذت مدينة منبج من الروم ورجعت الى الاسلام والذى انتزعها منهم نصر بن محمود بن مرداس

﴿ ذكر فتوح في بلاد الهند ﴾

في سنة اثنتين وسبعين واربعمائة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين صاحب غزنة بلاد الهند فحصر قلعة اجور وهى على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهى قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه وفتح ايضا قلعة روبال وكانت على رأس جبل وليس لها طريق الا من مكان ضيق مملوء بالفيلة والمقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب الى ان ملك القلعة واستنزلهم منها وكان في موضع يقال له دره نوره اقوام من الكفار لم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام اولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم منهم في البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة الف ثم قصد موضعا آخر يقال له وره في طريقه عقبات كثيرة واشجار ملتفة واهله كفار فقاتلهم ثلاثة اشهر الى ان نصره الله عليهم فقتل كثيرا منهم وسبى وغنم وعاد سالما وكان ابراهيم بن مسعود بن محمود عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه السلجوقي جمع عساكره يريد قتال ابراهيم المذكور في غزنة و ينتزع الملك منه ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتبا الى جماعة من اعيان امراء ملكشاه يشكرهم ويعتذراليهم عما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وامر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل على امرائه وترك المسير الى ابراهيم وعاد الى بلده ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه ثم وقعت المكاتبة بينه وبين ابراهيم والمصافاة حتى زوج ابراهيم ابنه مسعود بابنة ملكشاه

﴿ ذكر فتح انطاكية وانتزاعها من الروم ﴾

في سنة سبع وسبعين واربعمائة سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية الى الشام فملك مدينة انطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حصرها بعساكره ونصب السلالم فصعدوا عليها واخذ البلد فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم اذعنوا له فعفى عنهم وتسلم القلعة واحسن الى الرعية ورجع سالما

﴿ ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة صقلية ﴾

في سنة اربع وثمانين واربعمائة خرج الفرنج بجموع كثيرة وتملكوا جزيرة صقلية بعد حروب

كثيرة وكان ملوك المسلمين بصقلية لما ضعف امر الخلفاء قد تفرقوا ممالك صقلية وصارت كل جهة منها بيد ملك متغلب عليها مستبد لا يسأل عن غيره فصار الفرنج ينتزعون تلك الممالك منهم مملكة بعد مملكة الى ان بقى بايدى المسلمين قصر يانة وجرجنت فحصرهما الفرنج فى سنة اربع وثمانين واربعمائة بجيوش كثيرة فكان من ذلك ذل للمسلمين وتضييق شديد عليهم حتى اكلوا الاموات فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمهما الفرنج لعنهم الله تعالى فى السنة المذكورة فصارت الجزيرة كلها بايديهم وفى سنة خمس وثمانين توفى السلطان ملكشاه السلجوقى ووقع بين اولاده اختلاف وحروب كثيرة لطلب الملك وفى سنة سبع وثمانين واربعمائة توفى المقتدى بامر الله وبويع ابنه المستظهر بالله ثم ان الفرنج لما ملكوا صقلية بالتمام كان الملك عليهم رجار الفرنجى من ملوك ايطاليا ثم طمعوا فى تملك كثير من افريقية فخرجوا فى اسطول كبير وجم غفير من مشهورى فرسان الفرنج فحاصروا مدينة جربة ونزلوا بساحتها وادارو المراكب بجهاتها فاجتمع اهلها وقاتلوا قتالا شديداً فقتل منهم بشر كثير ثم انهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها وهلك اكثر رجالها ومن بقى منهم اخذوا لانفسهم امانا من صاحب صقلية وافتكوا اسراهم وسبيهم وحريمهم ثم بعد مدة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وعلقوا الكلاليب فى سور البلد ونقبوه ثم وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوى اهل البلد بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا اسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم اهل البلد هربوا الى البرارى والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من ادركوا فيها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذى بناه الامير يحيى بن عبد العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا ثم جهزوا اسطولا كثيرا وسيروه الى طرابلس الغرب فاحاطوا بها براً وبحرا فخرج اليهم اهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع وقع اختلاف بين اهل طرابلس مع بعضهم آل الامر فيه الى قتال بعضهم بعضا فانتهز الفرصة الفرنج ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج البلد عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء اهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجا الى البربر والعرب ثم نودى بالامان فى كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة اشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما رجعوا اخذوا رهائن من اهلها وولوا عليها رجلا من اهلها واخذوا رهائنه وحده واعادوا رهائن غيره واستقامت امور المدينة والزم ملكهم اهل صقلية والروم بالسفر اليها وعمرت سريعاً ثم ان اهل قابس عصى اميرهم على الحسن بن على بن يحيى بن تميم امير افريقية وكاتب صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائباً عنك فسير اليه صاحب صقلية الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بجمع من الناس فسمع بذلك الحسن امير افريقية فجهز عسكراً كثيراً فساروا الى قابس ونازلوها وحصروها فثار اهل البلد

بالامير الذى ملكها لصاحب صقلية وقبضوا عليه بعد قتال بينهم و بينه وسيروه الى امير افريقية فقتله بعد تعذيبه بأنواع العذاب من ذلك انهم قطعوا ذكره وجعلوه فى فيه وتولى على قابس معمر بن رشيد وهرب جماعة من اقارب الامير الاول الى صقلية وشكوا الى صاحب صقلية واستجاروا به فغضب لذلك فجهز اسطولا كثيراً بلغ نحو مائتين وخمسين شينياً مملوءة رجالا وسلاحاً وقوتاً وقصدوا المهدية وكان بها امير افريقية الحسن بن على وكان قد حصل بافريقية فى تلك السنين قحط وغلاء شديد حتى ان اكثر الناس فارقوا البلاد والقرى وساروا الى صقلية فلما علم الحسن بن على بمسير الفرنج اليه جمع الفقهاء والأعيان وشاورهم فى القتال فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان يحصرونا براً و بحراً و يحولوا بيننا و بين الميرة وليس عندنا ما نقتات به شهراً فنؤخذ قهراً و انا أرى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك فالرأى ان نخرج بالأهل و الولد ونسلم البلد فمن اراد أن يفعل ذلك فليبادر ثم امر فى الحال بالرحيل و اخذ معه من حضره وماخف حمله وخرج ناس كثير معه بأهلهم واموالهم واولادهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفى الكنائس ثم دخل الفرنج البلد بلا ممانع ولا مدافع ووجدوا قصر الأمير بحاله لم يأخذ الحسن منه الا ماخف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأوا الخزائن مملوءة من الذخائر وكل شئ نفيس غريب يقل وجود مثله فختم الفرنج عليه وجمعوا سرارى الحسن من قصره ونهبت المدينة مقدار ساعتين ثم نادوا بالأمان فخرج من كان مستخفياً و بعد جمعة رجع اهل البلد واما الحسن امير افريقية فانه سار الى ملك مراكش عبد المؤمن بن على فأكرمه واحسن نزله و بقى عنده مكرماً الى ان فتح المهدية عبد المؤمن بن على كما سيأتى ذكر ذلك ولما استقر الفرنج بالمهدية سيروا اسطولا الى سفاقس واسطولا الى مدينة سوسة واسطولا الى قابس فأما اهل سوسة فانهم لما سمعوا خبر المهدية وكان اميرهم على بن الحسن امير افريقية خرج على المذكور والتحق بأبيه الحسن وخرج الناس لخروجه ودخل الفرنج البلد بلا قتال و اما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم كثير ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقى من الرجال وسبى الحريم ثم نودى بالأمان فعاد اهلها اليها وافتكوا حريمهم وفعلوا مثل ذلك بقابس وملكوها ثم سار الفرنج الى قلعة قلبيه وهى قلعة حصينة فلما وصلوا اليها سمع بذلك العرب فاجتمع منهم خلق كثير وقاتلوا الفرنج حتى هزموهم وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فرجعوا خاسرين الى المهدية ثم رجع الفرنج اليهم مرة اخرى وملكوها والحاصل ان الفرنج لما ملكوا صقلية تتابعت اغاراتهم على افريقية فملكوا الجزائر ومانطة وجربة وتطاون وغير ذلك وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن الغرب الى القيروان وكانت هذه الوقائع متتابعة فى سنين وكان انتهاؤها سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وذكرناها متتابعة ليتصل بعضها ببعض وفى سنة اربع واربعين وخمسمائة اختلف ملك الفرنج صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى

بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك صاحب صقلية جميع بلاد افريقية وكان القتال بينه وبين صاحب القسطنطينية برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى دخل فم الميناء واخذ عدة شواني لصاحب القسطنطينية واسر كثيرا من الروم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم وبالمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية ثم هلك جرجي ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه فعقد صلحا مع صاحب القسطنطينية وسكنت الفتنة وفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة هلك رجار ملك صقلية وكان عمره قريبا من ثمانين سنة وملك بعده ولده غليالم وكان فاسد التدبير وسلك طريقة ملوك الاسلام من الجنائب والحجاب وغير ذلك واسكن في الجزيرة صقلية الفرنج مع المسلمين واكرم المسلمين ومنع من التعدي عليهم وقربهم فخرج عن حكمه عدة حصون من حصون صقلية وتعدى الامر الى افريقية فانه لما كانت سنة احدى وخمسين وخمسمائة قوي طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة واظهروا الخلاف عليه وخالف عليه اهل افريقية منهم اهل سفاقس وقد كان ابوه رجار لما فتحها استعمل عليها اباالحسين الفرياني وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال له استعمل ولدي فاستعمل ولده عمر بن ابي الحسين واخذ اباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب اجلي فتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظرني اني اقتل واحسب اني قدمت فلما وجد الفرصة دعا أهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ ألوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ثم اتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وفعل مثل فعله وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر لعبد المؤمن الى بونة فملكوها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بها من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية أحضر اباالحسين والد عمر صاحب سفاقس وعرفه ماعمل ابنه وامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال له من قدم على هذا لايرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويأمره بترك مارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست للعزاء فاصنعوا به ماردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر بن ابي الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب وبأهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من الغد

فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واما اهل سفاقس فانهم ركبوا فى البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا من قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ فى البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها عبد المؤمن وسيأتى ان شاء الله ذكر ذلك هذا حاصل ما كان من الفرنج فى افريقية واما ما كان منهم فى هذه السنين فى الديار الشامية فسيأتى ذكره عند ذكر الحرب المسمى بحرب الصليب لكن ينبغي قبل ذلك ان نذكر بقية ما كان بالاندلس من الفتوحات والغزوات وما يتبع ذلك ثم بعد اتمام ذلك نذكر حرب الصليب

﴿ اتمام الكلام على غزوات الاندلس وما يتبع ذلك ﴾

قد تقدم ذكر بعض غزوات الاندلس باختصار ولو بسط الكلام فيها لطال وبقي كثير من غزواتها واخبارها لم يذكر فينبغي اتمام الكلام على ذلك تتميما للفائدة واكثر التواريخ لم يذكروا فيها كثيرا من اخبار الاندلس فصار المشهور المستفيض عند اكثر الناس اخبار غير الاندلس مع ان المسلمين كان لهم بالاندلس ملك ضخم وكانت لهم وقائع ومجامع واخبار عجيبة فينبغي ذكر كثير من ذلك وان كان فى بعض تلك الاخبار زيادة على الغزوات والفتوحات التى لاجلها كان جمع هذا الكتاب لان ذكر ذلك يحصل به زيادة فائدة ولا يخل بمقصود الكتاب وقد تقدم ان الاندلس فتح فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بضم النون مصغرا والصاد المهملة وهو مولى عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز وعبد العزيز هو اخو عبد الملك بن مروان والاندلس مشتمل على فحول العلماء المبرزين فى كثير من الفنون ومشتمل على كثير من العجائب والمعادن وغير ذلك قال فى نفح الطيب نقلا عن لسان الدين بن الخطيب خص الله بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض الوان الانسان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها اعادها الله للاسلام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام وقال ايضاً ان الاندلس بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجنان منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وتوسط من الحال تتصل فواكهه اكثر الازمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة وفى نفح الطيب ان من الاندلس مدينة شنترة من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوماً من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال ابن اليسع قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعاً من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وفى الاندلس

من انواع المعادن مالايحصى وفيه المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الاندلس ثلاثون يوماً وعرضه سبعة ايام ويشقها اربعون نهراً كباراً وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وازيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيهما من القرى والحصون مالايحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التى على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وقيل ان طول الاندلس اربعون يوماً وعرضه ثمانية عشر يوماً واما طيب ثمار الاندلس فلا يعادله شئ فى الدنيا قال بعض العلماء ان النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا يعنى بذلك الاندلس وقال بعضهم ان المرية مدينة من مدائن الاندلس كان بها للنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية كذلك وكان بها من الحمامات نحو الالف واتسع ملك المسلمين فيها وكانت دور قرطبة اربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وعدد دور الرعايا الواجب على اهلها المبيت داخل السور مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار غير دور الوزراء واكابر الناس وعدة دور اهل الدولة ستة آلاف دار وثلاثمائة دار ومساجدها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثون مسجداً وحماماتها سبعمائة وكانت قرطبة قبة الاسلام وبها استقر سرير الخلافة المروانية وهى معدن العلماء وهى من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير فى الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه مائتان وخمسون ذراعاً وسواريه الف واربعمائة وهو مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازورد وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية فى كل واحدة منها منبر وفقيه مقلص تكون الفتيا فى الاحكام اليه وكانوا لايكون فيهم مقلص الامن حفظ الموطأ وقيل الامن حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويخبرونه بأحوال بلدهم ويجعلون فى مساجدهم نواباً يصلون بالناس الجمعة نيابة عنهم وتقدم ان ملوك بنى امية الذين كانوا بالاندلس اول من تملك منهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ويقال له عبدالرحمن الداخل كان ابتداء تملكه بالاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة هرب من الشام مستخفياً حين كان ابتداء دولة بنى العباس وكانوا يقتلون بنى امية فلما كان بالاندلس تغلب على عمال بنى العباس الذين كانوا بالاندلس وانتزع الملك منهم فكان له ملك ضخم وكان فى عصر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وكان المنصور يسميه صقر قريش قال المنصور يوماً لاصحابه اخبرونى عن صقر قريش من هو قالوا امير المؤمنين يعنون المنصور الذى راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء قال ما صنعتم شيئاً قالوا فمعاوية قال ولاهذا قالوا فعبدالملك ابن مروان قال ولاهذا قالوا فمن يا امير المؤمنين قال عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الذى عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً مفرداً فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلل له صعبه وعبدالملك كان ببيعة له عقدها وامير المؤمنين يعنى نفسه بطلب غيره واجتماع شيعته وعبدالرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب لعزمه اه وقد كانت مدة ملك عبدالرحمن الداخل ثنتين وثلاثين

سنة وخمسة اشهر توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وعمره تسع وخمسون اوثمان وخمسون سنة ومن عقبه الخليفة عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الاوسط ابن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل ولي الملك سنة ثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثمائة وخمسين واتسع الملك بالاندلس في مدته ومن اتساعه انه بني تجاه قرطبة مدينة سماها الزهراء لسكناه هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانيها وانفق فيها من الاموال خمسة وسبعين مائة الف دينار وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى لهم من اللحم كل يوم ثلاثة عشر الف رطل غير انواع الطير والحوت وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار والخدم ستة آلاف وثلاثمائة واربعة عشر وعدد الصبيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون وقيل ستة آلاف وثمانمائة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة وينقع لها من الحمص كل يوم ستة اقفز واما اوصاف مدينة الزهراء فانها طويلة ثم لما كثرت الفتن في الاندلس هدمت تلك المدينة ومن اغرب مايحكى عن الناصر أنه اراد الفصد يوماً فقعد في البهو الكبير المشرف بأعلى مدينة لزهراء واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو كذلك اذ أطل زرزور فصعد على اناء من ذهب في المجلس وأنشد ذلك الزرزور

* ايها الفاصد رفقاً بأمير المؤمنينا ۞ انما تفصد عرقاً فيه محيي العالمينا *

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف الناصر ذلك وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكروا له ان ام ولده الحكم صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ماينيف على ثلاثين الف دينار وتقدم ان الناصر مكث في الملك خمسين سنة وكان اذا حصل له يوم كان مسروراً فيه بدون نكد وتكدير يكتبه ووجد ذلك مكتوبا بخطه فاذا هي اربعة عشر يوما في تلك الخمسين سنة وكان جده هشام بن عبدالرحمن الداخل يقتدي في سيرته بعمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته يسألون الناس عن سيرة عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه جورمن احد من عماله اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن للامام مالك رضي الله عنه قال نسأل الله ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي رواية نسأل الله ان يزين حرمنا بملككم اوكلاما هذا معناه فبلغ هشاماً ماقاله مالك مع مابلغه من جلالة مالك ودينه فحمل هشام الناس على مذهب مالك وكانوا قبل ذلك يأخذون بمذهب الاوزاعي فهشام هو السبب في انتشار مذهب الامام مالك بالمغرب وغزا هشام مدينة اربونة الشهيرة وافتتحها واشترط على المعاهدين من اهل جليقية ان ينقلوا عدداً من احمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب القصر بقرطبة فبنى منه المسجد الذي قدام امام باب الجنان ومناقب هشام هذا كثيرة قال في العقد الفريد في وصفه هو احسن الناس وجها واشرفهم نفسا الكامل المروءة الحاكم بالكتاب والسنة الذي اخذ الزكاة على حلها ووضعها في حقها لم يعرف منه هفوة في حداثته ولا زلة في ايام صباه وكان يصر الصرر بالاموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد بالعلم والعبادة واوصى رجل في زمنه

بمال فى فك سبية من ارض العدو فطلبت فلم توجد اسيرة احتراسامنه للثغر واستنقاذا لاهل السبى وكان فى ايامه المنجم الضبى وكان مشهورا بكمال المعرفة فى علم النجوم فلما ولى هشام الملك سأله عن مدة ملكه فاخبره انه نحوثمانية سنين فاطرق هشام ساعة ثم رفع رأسه وقال ياضبى ما اخوفنى ان يكون النذير كلمنى بلسانك والله ان هذه المدة لوكانت فى سجدة لله تعالى لكانت قليلا فى طاعته ثم ازداد زهدا فى الدنيا وفعلا للخير توفى سنة ثمانين ومائة وولى بعده ابنه الحكم بن هشام وكان الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل يشبه بابى جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس فى توطيد الدولة وشدة الملك وقمع الاعداء وغضب الحكم يوما على خادم له فامر بقطع يده وحضر عنده زياد بن عبدالرحمن فقال له زياد اصلح الله الامير ان مالكا حدثنى فى خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى امنا وايمانا يوم القيامة فامر أن يمسك عن الخادم وأن يعفى عنه ثم قال له آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثنى بهذا ومما يحكى عن الحكم بن هشام ان عمه سعيدالخير بن عبدالرحمن الداخل كان له خصومة مع ابن بشير وكان مع سعيد الخير وثيقة فيها شهادات شهود من جملتهم الحكم بن هشام كان شهد بها قبل ان يصير خليفة فجاء عمه سعيدالخير يطلب منه الشهادة وهو خليفة فخشى أن القاضى يرد شهادته فارسل قبل ان يؤدى الشهادة ورقة بخطه للقاضى يخبره بانه يشهد على ذلك القاضى ان يقبل فأبى شهادته فلم يغضب من رد شهادته بل قال ان القاضى رجل صالح ولاتأخذه فى الله لومة لائم ومن اخبار عبدالرحمن بن الحكم بن هشام انه اغضب جاريته طروب فهجرته وكان يحبها فارسل اليها يترضاها فأبت واغلقت باب مجلسها فامرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر فاقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ماسدبه الباب من البدر فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيأ تبرمه وخلف عبدالرحمن المذكور من الذكور مائة وخمسين ومن الاناث خمسين وكانوا يسمونه عبدالرحمن الاوسط ومن اخبار عبد الرحمن الناصر انه لما بنا الزهراء صنع له قبة لجلوسه وزخرفها وزينها بالذهب وصنع طعاما دعى اليه العلماء وجلس فى تلك القبة فلما حضر العلماء ومعهم القاضى منذر بن سعيد البلوطى فلما رأى تلك القبة جعلت دموعه تتحادر على لحيته ثم قال والله ياامير المؤمنين ماظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ماأتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين فانفعل عبدالرحمن الناصر لقوله وقال له انظر ماتقول وكيف انزلتنى منزلتهم قال نعم أليس قال الله تعالى ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية فوجم الخليفة واطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم اقبل على منذر فقال له جزاك الله ياقاضى عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين اجل جزائه وكثر فى الناس امثالك وامر بنقض سقف القبة الذى طلوه بالذهب واعادها على صفة ليس فيها ماينكر عليه فيه وكان القاضى منذر بن سعيد ذا علم متين وذكا رصين متفننا فى العلوم عاملا بعلمه ورعا زاهدا وكان خطيبا بليغا آية فى الوعظ لايسمع

احد وعظه الاخشع و بكى وكان حاضر الجواب قوى الحجة ذا منظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وقد افردت ترجمته بالتأليف ولد رضى الله عنه سنة خمس وستين ومائتين وتوفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وعمره تسعون سنة ولاه الناصر قضاء الجماعة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى ان توفى الناصر فابقاه فى قضاء الجماعة الحكم بن الناصر واستمر منذر المذكور فى القضاء الى ان توفاه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فكانت مدة ولايته لقضاء الجماعة ست عشرة سنة وقضاء الجماعة عند اهل المغرب هو المعبر عنه عند اهل المشرق بقاضى القضاة وله رحمه الله تآليف منها كتاب احكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من كتب الفقه وغيرها وقد تقدم ذكر غزو عبد الرحمن الناصر الجلالقة سنة ثمانية وثلاثمائة وانه وطئ بلادهم ودوخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا بنبلونة سنة ثلاثمائة واثنتى عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد العمائر وجال فيها وتوغل فى قاصيتها والعدو يحاذيه فى الجبال والاوطار فلم يقدر العدو أن يظفر منه بشئ ورجع سالما وقسم الغنائم ثم بعد مدة ثار عليه بعض المسلمين واستعان بالنصارى فظفر بذلك الثائر وقتله وقتل من كان معه من النصارى اهل البتة وسار اليهم وفتح ثلاثين من حصونهم وكان البشكنس ملكوا عليهم امرأة يقال لها طوطرة وانعقد بينه وبينهم صلحا ثم نقضوا ذلك الصلح فغزا طوطرة ملكة البشكنس فى بنبلونة ودوخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا الجلالقة سنة ٣٢٧ سبع وعشرين وثلاثمائة وسار اليهم بنفسه فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة عليها سبعة اسوار من اعجب البنيان قد احكمته الملوك السابقة وبين الاسوار وصلات ومياه واسعة فافتتح منها سورين وكان جيشه مائة الف او يزيدون والتقى مع ردمير ملك الجلالقة وكان معه جنود كثيرة من الفرنج وحصل القتال الشديد بين الفريقين فكان النصر فى اول الامر للمسلمين ثم رجع النصارى عليهم فحصل الانهزام للمسلمين وكتب الله الشهادة لكثير منهم وكان الذين قتلوا من المسلمين نحو خمسين الفا ثم والى عليهم الغزوات وصار يبعث الجيوش مع قواده وقتل منهم اضعاف ماقتلوا من المسلمين قبل ذلك وقد ذكر العلامة احمد بن عبد ربه الاندلسى فى كتابه المسمى بالعقد الفريد ثنتين وعشرين غزوة من غزواته ونظم كل غزوة منها فى منظومة من الرجز وكان معاصرا له قال واوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطؤوه قبل ذلك فى ايام سلفه حتى اذعن له امم النصرانية واوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن فى مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما يليها من الثغور فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما ملكه فتملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره واطاعه بنوا دريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر حتى صار ملكه فى غاية الضخامة ورفعة الشان وتقدم ان مدة ملكه كانت خمسين سنة وانه توفى

(سنة)

سنة خمسين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه الحكم المستنصر بالله فقام باعباء الملك اتم قيام ولما توفى والده الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزاهم الحكم بنفسه واقتحم بلد فردلندين فنازل شنب اشتبير وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم اغزا غالبا مولاه وسار الى مدينة سالم ليتوصل منها الى دخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واثخن فيهم واوطأ العساكر بلد فردلندين ودوخها وكان البشكنس قد انقض فاغزاه الحكم صاحب سرقسطة فى العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصر البشكنس فهزمهم فامتنعوا بقورية وعاثوا فى نواحيها ثم اغزا الحكم ابن يعلى ويحى بن محمد التجيبى الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر فى نواحيها واغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القوص فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور فى كل ناحية وكان من اعظمها فتح قلمرية من بلاد البشكنس على يد غالب مولاه ثم عمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح بعض عمالة قطونية وغنم فيها من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث والغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي مالا يحصى كان كل ذلك فى اقرب الزمن وفى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة جهز جيشا مع مولاه غالب الى بلد البة ومعه يحى بن محمد التجيبى وقاسم بن مطرف فدوخو بلادهم ورجعوا غانمين وفى هذه السنة ظهرت مراكب للمجوس فى البحر الكبير فافسدوا ببسائط اشبونة من الاندلس وناشبهم الناس القتال واخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل ثم جاءت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة فرجعوا الى مراكبهم ثم كانت وفادة اردون ابن ادفونش ملك الجلالقة يتوقع مظاهرة الحكم مستجيرا به من ابن عم له خرج عليه فاكرمه الحكم ووعده النصر من عدوه وخلع عليه ثم بعث ابن عمه ايضا يطلب البيعة والدخول فى الطاعة فتقبل بيعتهم على شروط ثم بعث ملك برشلونة وملك طركونة وغيرهما من ملوك الفرنج كلهم يطلبون المعاهدة والدخول فى طاعة الحكم وبعثوا بهدايا جزيلة فتقبلهم الحكم وعقد لهم الصلح والبيعة وشرط عليهم ان يهدموا الحصون التى تضر بثغور المسلمين وان لا يظاهروا عليه اهل ملتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى فى الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية ملك بشكنس يسألون الصلح والدخول فى الطاعة والبيعة فعقد لهم فاغتبطوا ورجعوا ثم وصلت ام لذريق وهو القومس الاكبر فاحتفل لقدومها فعقدت السلم لابنها فرجعت وصنع لقدوم هؤلاء الملوك عليه احتفالات ومواكب فيها اظهار عز الاسلام يطول الكلام بذكرها وكلها مذكورة فى التواريخ وكانوا عند دخولهم على الحكم يكشفون رؤسهم ويخلعون برانطهم اعظاما له ويقبلون يده ويقول كل واحد منهم انا عبد امير المؤمنين واذا قام كل واحد منهم للانصراف يكون مقهقرا لا يولى الخليفة ظهره تعظيما له ويعلنون له بالدعاء وكان الحكم عالما نبيلا اقام للعلماء والعلم سوقا نافقا واجتمع عنده من خزائن الكتب مالم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابن حزم ان عدد الفهرست التى فيها اسماء بعض الكتب اربع واربعون فهرستا وفى كل فهرست عشرون ورقة ليس فيها الا اسماء الدواوين واما غير الدواوين من سائر فنون العلوم فشئ كثير قيل ان كتبه كلها

كانت اربعمائة الف مجلد وقلما يوجد كتاب منها الا وله فيه قرائة ونظر ومكتوب على هوامشه
خطه ولما الف ابو الفرج الاصفهاني كتابه المسمى بالاغانى بعث للحكم نسخة فاجازه
بالف دينار تولى الحكم سنة ست وستين وثلاثمائة ومدة ملكه ست عشرة سنة وخلف
ابنه هشام المؤيد وكان صغيرا عمره تسع سنين وكان جعله ولى عهده واستوزر له محمد
ابن ابى عامر الملقب بالمنصور المعافرى ومعافر بطن من حمير وكان يخدم ام هشام المؤيد
ثم ترقى الى ان ولاه الحكم قضاء بعض المواضع فظهرت نجابته ثم ترقى الى أن ولاه الزكاة
والمواريث ثم استوزره لابنه فحجب الخليفة هشاما المؤيد و باشر الوزير المذكور تدبير الملك
بنفسه وله صفات جيدة مذكورة فى التواريخ ومفردة بالتأليف وجاشت الروم فى اول
ولاية هشام فجهز عليهم الوزير المذكور جيوشا له لدفاعهم فنصره الله عليهم فتمكن حبه
من قلوب الناس خاصتهم وعامتهم واستجلب الناس بكرمه وحسن اخلاقه فانتشر
صيته واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البدع واوسع الجند فى العطاء وكان ذا عقل ورأى
وشجاعة وكرم وبصيرة بالحروب ودين متين وكان عالما متفننا وسيرة هذا الوزير
وهو منصور بن ابى عامر طويلة مذكورة فى التواريخ وأباد المتغلبين على الخلافة
المارقين عن الطاعة وكرر الغزو والجهاد واستبد فى جميع الامور بحيث لم يبق
ذكر لاحد من رجال الدولة ولا من اولاد الخلفاء بل الذكر والتصرف كله له وحده والخليفة
محجور عليه واستمر على ذلك سبعا وعشرين سنة وكان يغزو كل سنة غزوتين غزوة فى الصيف
وغزوة فى الشتاء قال فى نفح الطيب ان المنصور بن ابى عامر تمرس ببلاد الشرك اعظم تمرس
ومحا من طواغيتها كل تجبر وتغطرس وغادرهم صرعى فى البقاع وتركهم اذل من وتد بقاع

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة أن احد رسله سار فى بعض مسيراته الى غرسية ملك البشكنس ابن شانجة
فوالى فى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه وطالت اقامته عنده فلا منتزه الامر عليه متفرجا
ولا منزل الاسار اليه معرجا فحل مرة اكبر الكنائس هناك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل
العين فى ساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاثر قوية على طول الكبر فكلمته وعرفته بنفسها
وقالت له ارضى المنصور ان يتنعم بلبوس العافية ولى سنين مأسورة مختبية وناشدته الله ان
يبلغ المنصور خبرها فلما رجع الى المنصور عرفه بعجيب تعريفه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه
فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هناك على امر انكرته ام لم تقف على غير ماذكرته فتذكر
امر المرأة المأسورة فاعلمه بقصتها فلامه على ان لم يبدأ به كلامه ثم اخذ للتجهز للجهاد من فوره
فلما تم جهازه وتكاملت جنوده سار حتى وافى ابن شانجة فاخذت هيبته بسمعه وبصره
فبادر بالكتاب اليه ليتعرف ماجليته ويحلف انه ماجنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة فعنف
المنصور رسل شانجة وقال لهم قد كان عاقدنى على انه لايبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور ولو
بعثه الى فى حواصل الطيور وقد بلغنى بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة والله لاانتهى عن ارضه
حتى اكتسحها فرجعوا الى شانجة واخبروه فارسل المرأة ومعها امرأتان اخريان واقسم

انه ما ابصرهن ولا سمع بهن قبل ذلك واعلمه ان تلك الكنيسة قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحى منه وصرف الجيش عنه واوصل المرأة ومن معها الى نفسه والحق توحشهن بانسه واوصلها الى اهلها ورجع من غزوته وكان الخليفة هشام لا يراه خاص وعام ولا يخاف منه باس ولا يرجى منه انعام واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وامرهم لا يذكرونه ولا يعهد فيه الا الاسم السلطانى فى السكة التى يتعامل الناس بها والدعوة على المنابر وربما اركبه فى بعض السنين وجعل عليه برنسا وركب معه بعض جواريه ويجعل عليهن مثل ما عليه فلا يعرف من بينهن ويأمر من ينحى الناس عن طريقه حتى ينتهى الى موضع تنزهه ثم يعود واخذ فى اغتيال من يخشى منه خوفا من ان يثوروا به وكانت غزواته نحو الخمسين يطول الكلام بذكرها وكلها كانت من مفاخر الاسلام حتى اشتدت هيبته فى قلوب الكفرة اللئام ومما يحكى مما كان فى بعض غزواته ان بعض الاجناد نسى رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فاقامت عدة ايام لا يعرف الروم ماوراءها بعد رحيل العسكر وهذا مما يفتخر به اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشربت قلوبهم الخوف من المنصور وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجئوا الى الفرار وتحصنوا بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع ومن مفاخر المنصور فى بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين فى طريق ضيق بوسط بلاد الفرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ فى التحريق والتخريب والغارات والسبى يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلاد مسافة ايام ثم عاد من ذلك الطريق فوجد الافرنج قد استجاشوا من ورائهم وضبطوا ذلك المحل الضيق الذى بين الجبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى مافعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم لجيشه ونزل به فيمن معه من العساكر وامرهم ببناء دور ومنازل وان يجمعوا آلات الحرث ونحوها ليعلم الفرنج انه اراد الاقامة بارضهم وبث سراياه فسبت وغنمت فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه فى طلب الصلح وان يخرج بغير اسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك فلم تزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فاجابهم ان اصحابى قد ابوا ان يخرجوا وقالوا انا لا نكاد ان نصل الى بلادنا الا وقد جاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزوة الاخرى فاذا غزونا عدنا فازال الفرنج يسألونه أن يرتحل الى ان قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم مامعه من الغنائم والسبى وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينحوا جيف القتلى عن طريقه بانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف عنهم ولعمرى ان هذا العز ماوراءه مطمح ونصر لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح خصوصا ازالتهم جيف قتلاهم عن الطريق وقد تقدم ذكر هذه الغزوة مختصرا فاعادتها لا تخلو من فائدة

﴿ خبر عجيب من اخبار المنصور ﴾

ومن اخبار المنصور بن ابى عامر انه قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو اعظم ملوكهم فى ذلك الزمان وكان قصد ملك الروم من ارساله اياه ان يطلع على احوال المسلمين وقوتهم

فلما علم المنصور به قبل وصوله امر ان يغرس نيلوفر كثير عند بركة عظيمة فى بستان من بساتينه ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ماتسع النيلوفر ثم ملاء بها جميع النيلوفر الذى عند البركة فلما جاء رسول ملك الروم اليه لحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى فى موضعه المسمى بالزاهرة المشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الفجر جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة منهم اطباق من الذهب وبيد خمسمائة اطباق من الفضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل هيئتهم ولم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا لاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وصاروا يجتنونه كما يجتنى الثمر من الشجر وكانوا يجعلون الذهب فى اطباق الفضة والفضة فى اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ذلك وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب رسول ملك الروم من ذلك واعظمه وظن ان ذلك ثمر ذلك الشجر فطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لاتعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمه بكنوزها وهذه القصة من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابى عامر آية من آيات الله سبحانه وتعالى فى السعد ونصرة الاسلام

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة انه لقيته امرأة حين رجع من بعض غزواته فقالت له يامنصور استمع ندائى فانت فى طيب عيشك وانا فى بكائى فسألها عن مصيبتها فذكرت ان لها ابنا أسيرا فى بلاد سمتها له واخبرته انها لا يهنأ عيشها لفقده فرحب المنصور بها واظهر الرقة بسببها وأمر بالتجهز الى الغزو وسار بجيوشه حتى بلغ تلك البلاد التى سمتها له وفيها ابنها فجاسوا أقطار تلك الديار وتخللها قتلا وأسرا ونهبا وتخريبا حتى دوخها حتى خلص ابنها وجميع من كان هناك من الاسرى ورجع مظفرا منصورا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنجدة الايمانية ومن مناقبه التى لم تكن لغيره من الملوك أن اكثر جنده من السبى الذى كان يأخذه من العدو ومن محاسن اخباره انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى اسفاره يقرأ فيه ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ماعلق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه منه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد اليهم ان يجعلوه فى حنوطه فكان كذلك وكان يحمل تلك الصرة حيث سار ومن اوضح الدلائل على سعده انه لم ينهزم فى حرب قط وما انصرف من موطنه الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب قيل له مرة ان فلانا مشوم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يغطى على شومه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى به جرت العادة شئ

﴿ ذكر غزوة اخرى من غزواته ﴾

من غزواته المشهورة غزوة مدينة شنت ياقب وهى قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس ومايتصل به من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة

(الكعبة)

الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليهـا يحجون من اقصى بلاد رومة وما
وراءهـا ويزعمـون ان القبر المزور فيهـا قبر ياقب الحوارى احد الاثنى عشرة الحوار يين
وكان اخصهم بعيسى على نبينـا وعليه افضل الصلاة والسلام وهم يسمونه اخاه للزومه
اياه ويا قب بلسا نهم يعقوب وكان اسقفـا ببيت المقدس ثم خرج يستقرى الارض داعيـا
الى الله لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى الشام فمات بها وعمره مائة وعشرون
سنة فاحتمل اصحابه جثته فدفنوه بهذه الكنيسة ولم يطمع احد من ملوك الاسلام فى قصدها
والوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانهـا وبعد مشقتها فخرج المنصور اليهـا
من قرطبة غازيا بالصا ئفـة سنة سبع وثمـانين وثـلاثمائة لست بقين من جمـادى الاخرة
ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمكنين
فى الطـاعة فصاروا فى عسكر المسلمين وكان المنصور امر بانشاء اسطول كبير فى المو ضع
المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله وحمل فى الاسطول
الاقوات والعدة والسلاح استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج ذلك الاسطول بموضع
برتقال على نهر دوين فدخل فى النهر الى المكان الذى عينه لهم المنصور للعبور منه فعقد هنالك
جسرا بقرب الحصن وجعله يتصل بالاسطول فوجهوا ما كان فيه من الميرة الى الحصن ثم منه الى
الجند فتوسعوا فى التزود منه الى ارض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع ارضين
متباعدة الاقطار وقطع عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم افضى العسكر بعد
ذلك الى بسا ئط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر
لامسلك فيه ولا طريق ولم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحـديد لتوسعة
شعابه وتسهيل مسالكه حتى قطعـه العسكر وعبروا بعـده وادى ياية وانبسط المسلمون
بعد ذلك فى بسا ئط عريضة وارضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بانبو على البحر
المحيط وفتحـوا حصن شنت بلاية وغنمـوا وعبروا بسباحتـه الى جزيرة من البحر المحيط
لجأ اليها خلـق عظيم من اهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر
الى جبل مراسيـة المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيـط فتخللوا اقطاره واستخرجوا
من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمـون بعد هذا خليجا فى معبرين ارشد الادلاء عليه
ثم نهر ايلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد
ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصد نساكهم اليه من اقاصى
بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمـون قاعا صفصفا ثم كان النزول
بعده على شنت ياقب وذلك لليلتين خلتـا من شعبان فوجـدها المسلمـون خالية من اهلها
فحـاز المسلمـون غنائمها وهدمـوا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل
المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعـة محكمة فغودرت
هشيما كان لم تغن بالامس ونسفت بعـد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينـة
شنت ما نكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها
لغـير اهلها قدم فـلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراء ها انتقال وانكفأ المنصور عن باب

شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها قبله مسلم فجمل فى طريقه وهو راجع القصد على عمل برمندبن اردون تميش جيوشه فى عمله تخربه وتفسده حتى وقع فى عمل القوامس هدين الذين كانوا معه فى عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى خرج الى حصن بليقية فاجازهنالك القوامس الذين كانوا معه واكرمهم على اقدارهم وكساهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه فى غزاته هذه ملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازى واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر سقلاطونا وخمسة عشر مرشيا وسبعة انماط ديباج وثوبى ديباج رومى وفروة فنك ووافى قرطبة بجميع العساكر سالما غانما وعظمت المنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فأمر بالكف عنه

﴿ غزوة اخرى من غزواته ﴾

سبب هذه الغزوة ان جماعة من صنهاجة وهم من البربر قدموا على المنصور بن ابى عامر من المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فنزلوا عليه بقرطبة فاكرمهم واجرى عليهم الوظائف وسألهم عن سبب انتقالهم من افريقية الى الاندلس فقالوا انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد فى سبيل الله تعالى فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا اياماً ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما اردتم من الجند لأجل ان نعطيكم فقالوا ما يدخل معنا بلاد العدو وغيرنا الا الذين معنا من بنى عمنا ومن بقية صنهاجة ومواليتا فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقاً فأتوا ارض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا فى بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا اشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم واخذوا جميع الخارجين وقتلوهم جميعهم ورجعوا فتسامع العدو فركبوا فى اثرهم فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا فى ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا ان العدو كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن ابى عامر ورأى من شجاعتهم مالم ير من جند الاندلس فأحسن اليهم وجملهم بطاعته فلما رأى اهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا فى الجهاد فقالوا للمنصور بن ابى عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد بنفسه وكان رأى فى المنام تلك الليلة كان رجلا اعطاه الاسبراج وهو اسم لنبت فأخذه من يده واكل منه فعبره على ابن ابى جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فأنك ستفتحها فقال من اين اخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له فى المشرق الهليون كبرذون فلك الرؤيا قال لك هااليون فخرج بتلك الجيوش ونازلها وهى من اعظم مدائنهم واستمد اهلها الفرنج فأمدوهم بجنود كثيرة واقتتلوا ليلا ونهاراً فكثر القتل فى الفرنج وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ثم خرج قومص

كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلالة بن زيرى الصنهاجي فحمل كل منهم على صاحبه فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضرب الفرنجي بالسيف على عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم مالا يحصى وملك المدينة وغنم ابن ابى عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون الفاً وامر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وامر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامونة ورجع سالماً هو وعساكره قال فى نفح الطيب وانتهت هيبة المنصور ابن ابى عامر وضبطه للجند الى غاية لم يصلها ملك قبله فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل فى الاطراق مثل فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه مرة على بارقة سيف قد سله بعض الجند اقصى الميدان لهزل او جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لاينا له فقال على بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ماحملك على ان شهرت سيفك فى مكان لايشهر فيه الاعن اذن فقال انى اشرت به الى صاحبى مغمداً فزاق من غمده فقال ان مثل هذا لايسوغ بالدعوى وامر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودى عليه بذنبه وذكر ايضاً ان المنصور كان به داء فى رجله واحتاج فيه الى الكى فامر الذى يكويه ان يكويه وهو قاعد فى موضع مشرف على اهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويتصرف فى اموره ورجله تكوى والناس لايشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم وهو غير مكترث بذلك فتعجب الناس من ذلك وذكر فى نفح الطيب كثيراً من اخباره فى الكرم والعفو والحلم وحسن الخلق ثم قال واخبار المنصور تحتمل مجلدات فلنمسك العنان توفى المنصور بن عامر فى غزوة الافرنج فى شهر صفر سنة ثلاثمائة واثنتين وتسعين بعد سنة سالم لسبع وعشرين سنة من ملكه وقام بالامر بعده ابناه عبد الملك وعبد الرحمن واحدا بعد واحد فقام بالامر اولا ابنه عبد الملك فجرى على سنن ابيه فى السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدة سبع سنين ثم قام بالامر بعده الابن الآخر عبد الرحمن وجرى على سنن ابيه واخيه فى الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه ثم ثاب له رأى فى الاستيثار بالمملكة فطلب ان هشاما يجعله ولى عهده فاجابه لذلك لتغلبه عليه واحضر لذلك ارباب الشورى واهل الحل والعقد وكتب عهده بذلك فقرئ فى ذلك المجمع وكتب القضاة والوزراء وسائر الناس شهاداتهم بخطوطهم ثم سعى كثير من الامويين وغيرهم فى نقضه وأثاروا لذلك فتنة الى ان قتلوا عبد الرحمن سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم خلعوا الخليفة هشاما وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن امير المؤمنين الناصر ثم اعيد هشام ثم فقد سنة ثلاث واربعمائة وقيل قتل وثار من ذلك فتن كثيرة يطول الكلام بذكرها آل الامر فيها الى زوال ملكهم وافتراق كلمتهم وكل يوم يخلعون خليفة ويبايعون آخر ثم صار فى كل مملكة خليفة يدعى امير المؤمنين وتبدد شمل الجماعة بالاندلس ثم صار الملك فى طوائف متغلبين فى كل ناحية ملك مستقل متغلب ولا حاجة بنا الى ذكر اسمائهم وعند ذلك استفحل امر النصارى وصاروا يتغلبون على ممالك الاندلس ويملكونها قطرا بعد قطر وناحية بعد ناحية وصار ملوك الطوائف لايسأل بعضهم عن بعض ولايحامى ولايدافع الا عن نفسه وربما تقاتلوا مع بعضهم وتغلب بعضهم على البعض

﴿ ذكر اول مدينة تملكها الطاغية ﴾

اول مدينة تملكها الطاغية بالنسية سنة ست وخمسين واربعمائة وتعرف هذه الوقعة بوقعة بطرنة اسم موضع هناك وذلك ان الافرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب معرضون عن امر الطعن والضرب مقبلون على لذات الاكل والشرب ولما نازلها لعرنج اظهروا لاهلها الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فتخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكان المتغلب على تملكها من ملوك الطوائف عبد العزيز بن ابي عامر المعافري ثم ان العدو جعل في مواضع خارج لمدينة كمناء وجماعة من الفرسان فظن اهل البلد ان العدو تفرق وارتحل عنهم فخرجوا في زينتهم ومعهم اميرهم فصبر العدو لهم استدراجا ومكرا حتى خرج الناس كانهم في عيد فخرج عليهم الكمناء وعطفوا عليهم بالقتل والاسر حتى استأصلوهم وما نجا منهم الامن بقي اجله وخلص الامير بنفسه واستولى العدو على بلنسية وكانت بلنسية في شرق الاندلس وكان في شرق الاندلس من المدائن العظيمة بلنسية ومرسية وتطيلة وسرقسطة ولاردة ودانية والسهلة والثغر الاعلى ولكل واحدة من هذه اعمال واسعة وكان ابو ايوب سليمان ابن محمد بن هود الجذامي ملكا مستبدا بمدينة تطيلة ثم ملك سرقسطة والثغر الاعلى وبلنسية ولاردة ودانية والسهلة فكان استيلاء العدو اولا على بلنسية في السنة المذكورة وسيأتي ذكر رجوعها للمسلمين ثم استرجاع النصارى اياها مرة اخرى

﴿ ذكر تملك العدو بربشتر وسرقسطة وذلك قصبة برطانية ﴾

من المماليك التي في شرق الاندلس بربشتر وسرقسطة والثغر الاعلى ومدينة تطيلة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوايف بنو سليمان بن محمد بن هود الجذامي من سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان قبلهم متغلبا عليها بنو منذر بن مطرف التجيبي فانتزعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخمسين واربعمائة نازلها جيش الاردمليش وحاصرها وقصر الامير يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل اهلها الى نفوسهم فاقام العدو عليها اربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تنازع في القوت لقلته واتصل الخبر بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها وكان لها مدينتان فدخل المدينة الاولى خمسة الاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق ان القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على انفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى ومعهما نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو الف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الحلي والكسوة ما يحمل خمسمائة جمل وقدر القتلى والاسرى مائة الف نفس ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المرأة كانت

تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منها ان يعطيها جرعة ماء لنفسها او لولدها فيقول لها اعطني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيرها وكان السبب في قتلهم انه خاف من وصول احد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ماهاله فشرع في قتلهم فلما قتل منهم نيفا على ستة الاف نادى الملك بتأمين من بقي وامر ان يخرج من بقي بالبلد فازدحموا على الباب الى ان مات منهم خلق كثير ونزلوا من الاسوار بالحبال خشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبعمائة نفس من الوجوه وخاروا في نفوسهم وانتظروا ماينزل بهم فلما خلت ممن اسر وقتل واخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية ان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وارهقوا وازعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من اهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بامر الملك واخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها نعوذ بالله تعالى وكان جماعة من اهل المدينة قد نفروا ولاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهالكي من العطش فاطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن بقي اجله وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على المدينة يفتضون البكر بحضرة ابيها والثيب بحضرة زوجها واهلها وجرى من هذه الامور والاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم ان يطأ بعض النساء ذوات المهنة اعطاهن خدمه وغلمانه يعيثون فيهن وبلغ الكفرة منهم مالا يمكن ان يوصف على الحقيقة ولما عزم ملكهم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الوفا حملهم معه ليهديهم الى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسمائة ومن الرجالة الفين ومما كان في هذه الوقعة الشنعاء ان بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا كان حصل في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت الى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما ابذله في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما اسرع ماطمعت فيمن عرضناه لك اعرض عنهن وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسرى من اقاربك فقلت له اما الدخول الى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك انست وبكنفك اطمأننت فأعطني بعض من هنا فأني اعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ماليس عندي ياباجه ينادي بعض اولئك الوصائف يريد يابهجة فغيره بعجمته قومي فأعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه واقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت تواري شخصه ثم قال لها ادني الى

من تلك التخوت فادنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار لذلك ناظري وبهت واسترذلت ماعندي ثم قال لي لقد كثر هنا عندي كل شئ حتى ما التذ به ثم حلف لي انه لولم يكن عنده شئ من ذلك ثم بذل لي احد مثل ذلك ماسمحت بهذه الجارية التي تطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسي لمزيد جمالها لاجل ان تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا اذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد رد الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه واز يدك بأن تلك الخودة الناعمة واشار الى جارية اخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يافلانة خذي عودك فأخذت العود وقعدت تسويه واني اتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارع العلج مسحه بيده واندفعت تغني بشعر مافهمته انا فضلا عن العلج واظهر الطرب فلما يئست مما عنده قمت منطلقاً واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكرة لمن تذكره ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم فأن اهل الاندلس لما توالت عليهم النعم انهمكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد امروا بالتواصل والالفة فأصبحوا على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لامحالة وانهم كانوا يعللون انفسهم بالباطل ويغترون بالنعيم الزائل وقد بعدوا عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد ثغورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى البثق اليهم جميعاً فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ذكر استرجاع المسلمين بربشتر وسرقسطة ﴾

لما كانت السنة التي بعد اخذها وهي سنة سبع وخمسين واربعمائة ثار احمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على اهلها لانحرافهم الى اخيه صمداتها مع امداد المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وسعى لاصمتات سوء المقالة عنه وقد كتب الله تعالى عليه منها مالايمحوه الاعفوه تعالى فتأهب لقصد بربشتر في جموع من المسلمين لجاهدوا الكفار بها جلاد الارتاب منه كل جبان واعز الله تعالى اهل الحفيظة والشجعان وحمي الوطيس بينهم الى ان نصر الله تعالى اولياءه وخذل اعداءه وولوا الادبار مقتحمين ابواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم اجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين واستوصلوا اجمعين الامن استرق من اصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق الباري واصيب في محنة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين في نصرة الدين نحو الخمسين كتب الله لهم الشهادة وقتل فئة من اعداء الله الكافرين نحو الف فارس وخمسة الاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها من صدى الافك واسترجع بلنسية المأمون بن ذي النون وولى عليها ابابكر بن عبد العزيز المنصور فداخله بن هود في الانتقاض ففعل واستبد ببلنسية وضبطها وذلك سنة ثمان وستين واربعمائة ثم مات ابوبكر بن عبد العزيز فتملكها بعده ابنه القاضي عثمان بن ابي بكر وبقي الى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فلما تملك الطاغية طليطلة في هذا العام كما سيأتي وتسلمها من القادر

ابن ذى النون شرط عليه القادر ان يمكنه من تملك بلنسية فسار معه الطاغية بجيوشه الى ان ملكه بلنسية وذلك ان المسلمين لما اقبل عليهم القادر بن ذى النون ومعه جيوش الطاغية خافوا ان يملكها الطاغية فخلعوا القاضى عثمان بن ابى بكر وسلموها للقادر بن ذى النون وذلك سنة ثمان وسبعين واربعمائة وبقى الى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان ذلك بعد دخول يوسف ابن تاشفين الاندلس وتغلبه على ملوك الطوائف كما سيأتى بيانه فجهز جيشاً لتخليص بلنسية من القادر بن ذى النون وجعل امارة بلنسية للقاضى ابى احمد جعفر بن عبد الله بن جحاف فحصر بها القادر بن ذى النون الذى مكن الاذفونش من طليطلة ثم هجم عليه القاضى فى جماعة من المرابطين فقتلوه وذلك سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وتملك ابن جحاف بلنسية ثم رجع عنه طائفة المرابطين الذين كان استنصر بهم واعانوه على تملكه اياها وصار خائفاً من استيلاء الطاغية عليه وجعل يستصرخ الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فيبطأ عليه النصر وفى اثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذر بق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فأحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وكان الاستيلاء عليها سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل فى التى قبلها وهذا الطاغية الذى اخذها يقال له ايضاً القنبطور وحاصرها قبل اخذها عشرين شهراً قيل انه دخلها صلحاً وقيل بل عنوة وحرقها وعاث فيها وممن احرقوا فيها الاديب اباجعفر ابن البناء الشاعر المشهور ثم وجه اليها جيشاً امير المسلمين يوسف بن تاشفين وجعل اميراً على الجيش ابا محمد مزدلى ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة وبقيت بلنسية بيد المسلمين الى سنة ستمائة وثلاثين ثم اخذها العدو وسيأتى ما كان بعد ذلك ومما استولى عليه العدو مدينة المرية وهى من مدائن الاندلس العظيمة الشهيرة استولى عليها العدو سنة ثنتين واربعين وخمسمائة واحصى عدد من سبى من ابكارها فكان اربعة عشر الفاً قال ابن حبيش وهو آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله للاسلام فتقدمت الى زعيم النصارى وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى احفظ نسبك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج انت واهلك ومن معك طلقاً بلا شئ ثم انها بعد ان اخذت فى السنة المذكورة استرجعها المسلمون سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين الى ان اخذها الكفار مرة اخرى سيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الطاغية طليطلة ﴾

قال فى نفح الطيب ان الاندلس ينقسم الى مشرق ومغرب ومتوسطة وكل واحد من الاقسام الثلاثة مشتمل على مدائن عظيمة كل مدينة منها مملكة مستقلة مشتملة على اعمال وقرى ومزارع وبساتين واقطار واسعة وخلائق لا يحصون فى غاية التنعم والرفاهية فمن المتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وقسطلة وغرناطة والمرية ومالقة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن شرق

الاندلس مرسية وبلنسية وشاطبة ووانية والسهلة والثغر الاعلى وسرقسطة وتطيلة وغير ذلك مما يطول ذكره ومن غرب الاندلس اشبيلية وماردة واشبونة وشلب وشريش ولبلة والخضرا وبطليوس وغير ذلك مما يطول ذكره ولما ضعف امر الخلافة وافترق ملوك الاندلس وكثر الاختلاف بينهم وانتشرت الفتن صارت الممالك بيد ملوك كثيرة يسمون ملوك الطوائف لكل مملكة ملك مستقل ينفذ امره ونهيه فيما كان تحت يده من الممالك وهم مختلفون في اتساع ممالكهم وعدم اتساعها وكان ابتداء تفرق الممالك واستبداد ملك الطوائف من سنة سبع واربعمائة وصاروا يقاتل بعضهم بعضاً فيتغلب بعضهم على بعض ويستولي على مابيد الآخر وكان عدد اولئك الملوك خمسة عشر لاحاجة الى ذكر اسمائهم وكان اعظم الممالك عندهم قرطبة وهي مقر دار الخلافة وسرير الملك والسلطنة وكان المستولي على قرطبة من ملوك الطوائف المعتضد بن عباد وكانت قبل تغلبه عليها عند ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور المغافري الكلبي استبد بها من سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ثم صارت لبنيه من بعده فأخذها منهم ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة احدى وستين وبقيت عنده الى سنة تسع وستين واربعمائة فانتزعها منهم المعتضد بن عباد بعد قتال وضمها الى ما كان بيده من الممالك فصار ابن عباد اعظم ملوك الطوائف فكانوا يهابونه ويهادونه ويخضعون له ويخشون سطوته وكان ابو المعتضد هو الذي اسس له هذا الملك قيل انه من لخم وينتهي نسبه الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية وتوفي المعتضد بن عباد سنة احدى وستين واربعمائة وصار الملك بعده لابنه المعتمد محمد بن عباد فاتسع ملكه وشمخ سلطانه اكثر مما كان لابيه وكان ايضاً من اعظم الممالك طليطلة وكانت لبني ذي النون وكانت قبلهم ليعيش بن محمد بن يعيش من اول الفتنة والتفرق الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فانتزعها منهم وتغلب عليها اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون اصله من البربر من قبيلة هوارة وضمها الى ما كان بيده من الممالك فاتسع ملكه وتوفي سنة تسع وعشرين واربعمائة فولي بعده ابنه المأمون ابو الحسن يحيى فاستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وتوفي سنة سبع وستين واربعمائة فولي بعده حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى فانتزعها الطاغية منه و[illegible] المتوسطة من الاندلس وكانوا يسمونها وجهاتها الثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها الثغر الاعلى وتسمى طليطلة ايضا مدينة الاملاك لانها ملكها اثنان وسبعون ملكا قيل ان سليمان بن داود عليه السلام دخلها وكذا عيسى بن مريم عليهما السلام ودخلها ايضا ذو القرنين وهي مدينة حصينة قديمة من بناء العمالقة ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبها القنطرة العجيبة البناء يعجز الواصفون عن وصفها وطول تلك القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى اعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة وبني المأمون فيها قصرا تأنق في بنائه وانفق مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبني في وسطها

قبة وسيق الماء الى اعلى القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة حواليها كلها محيطاً بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من الماء يسكب ولا يفتر والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولو شاء ان يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها يوماً اذ سمع منشداً يقول

أتبني بناء الخالدين وانما ۞ بقاؤك فيها لو عقلت قليل

لقد كان في ظل الاراك كفاية ۞ لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعدهذا الايسيراً حتى قضى نحبه وذلك سنة خمس وثلاثين واربعمائة وولى بعده ابنه يحيى القادر بالله الى ان اخذت منه ثم صارت له بلنسية بواسطة الطاغية الى ان قتل كما تقدم و بطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان وفيها ايوان كبير يقال ان الخيل تلعب فيه وكان بنو ذي النون ملوك طليطلة لهم دولة كبيرة و بلغوا في البذخ والترف الى الغاية فطمع في ملكهم الطاغية المسمى بالاذفونش واشتغل القادر يحيى صاحبها بالخلاعة والمجون و اكثر مهاداة الافرنج ومصانعتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده الى اموال الرعية ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شيء حتى اخذت منه طليطلة وسلبته ملكه ولما ارادوا اخذها سار اليها الاذفونش بجيوشه وصار يملك قراهـا واعمالها و يضيق عليها بالحصار وكان ذلك كله في مدة سبع سنين فلما اشتد عليهم الحصار رضي صاحبها والمسلمون ان ينزلوا عنها وقد فني بالقتل والاسر والنهب كثير منهم في قراهـا و بواديها قال ابن بسام بعد ذكره وقعة بطرنة المتقدم ذكرها وذكر ما صار للمسلمين عند اخذها وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله استظهر عليهم وقتل اهيرهم وكان من جملة ماغنمه الفرنج من اهلها لما اخرجوا اليهم من ثياب الترفه الف عمارة خارجاً عما سواها وكان اخذ الطاغية طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة واعطى الامان لصاحبها القادر بالله ولمن بقي بها من المسلمين ثم لما ملكها الطاغية صار يستميل اهلها الباقين فيها ويظهر لهم صورة العدل حتى حبب التنصر الى كثير من الطغام منهم وقيل لملكهم الطاغية ينبغي ان تلبس التاج كمن كان قبلك من الملوك فقال حتى نأخذ قرطبتهم واعد لذلك ناقوساً تأنق فيه و اخذ في الاستعداد لتملك قرطبة ومما يدل على عظم مدينة طليطلة وحصانتها ان المسلمين لما استرجعوا ما تملكه الاعداء من المدائن والقرى عجزوا عن استرجاع طليطلة و بقيت في يد العدو الى آخر المدة ولما فتح المسلمون الاندلس في اول الامر القى الله الرعب في قلوب النصارى وصاروا يأخذون في الفرار ولم يثبت منهم احد بعد اول وقعة كانت بينهم وبين المسلمين حتى انهم اخلوا طليطلة فوجدها المسلمون خالية ووجدوا فيها مائدة سليمان عليه السلام وقيل انها ليست لسليمان و انما هي لملوكهم تأنقوا في صنعها وكانت مصوغة من الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم ير الراؤن مثلها وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلا بكسر الراء وسكون الجيم وكان عليها طوق من اللؤلؤ وطوق من الياقوت وطوق من الزمرد وكلها مكللة بالجواهر حافاتها وارجلها وكانت ارجلها منها فأخذها طارق بن زياد فاتح الاندلس واتحف بها الوليد بن عبد الملك

﴿ ذكر ماجرى بعد استيلاء العدو على طليطلة بين العدو والمعتمد بن عباد صاحب قرطبة ﴾

قد تقدم ان ابن عباد كان اعظم ملوك الطوائف وذلك لانه قاتل كثيرا من ملوك الطوائف وانتزع منهم كثيرا من ممالكهم فصار له قرطبة واشبيلية وبطليوس وشريش وقرمونة ورندة وغير ذلك فكان الباقون من ملوك الطوائف يهابونه ويلتمسون رضاه ولما رأى ابن عباد قوة الاذفونش الطاغية صار يداهنه ويهاديه ويخضع له وجعل له ضريبة على نفسه يؤديها اليه كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة وارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة التي كان يدفعها كل سنة فلم يقبلها الاذفونش وارسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا ان يسلم اليه الحصون المنيعة التي يريدها فيبقى العهد للمسلمين وكان رسول الاذفونش الى المعتمد معه جمع من النصارى اتباع الاذفونش كانوا نحو خمسمائة فارس فلما وصل الى المعتمد انزله وحده وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر المعتمد قواد عسكره ان يقتل كل منهم من كان عنده من اولئك النصارى الذين جاؤا مع رسول الاذفونش فقتلوهم واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من اولئك النصارى المرسلين معه ثلاثة نفر فرجعوا الى الاذفونش واخبروه الخبر وكان قد تجهز الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ايزيد فى التجهز ويجمع ما بقى من آلات الحصار ويكثر الجيوش والعدة فلما بلغ المعتمد اهتمام الطاغية فى التجهيز رحل الى اشبيلية لتدبير هذا الامر وسمع بذلك العلماء من مشايخ قرطبة وتحققوا جميع ماجرى وعلموا قوة الفرنج وضعف المسلمين وتأملوا فى امر ملوك الطوائف فوجدوهم منهمكين فى اللذات والشهوات ويقاتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بالفرنج فاجتمع العلماء يتشاورون فى هذا الامر فقال بعضهم هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الافرنج وملكوا كثيرا منها ولو استمرت الحال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت ثم ساروا الى قاضى القضاة المسمى عندهم بقاضى الجماعة وكان فى ذلك الوقت هو القاضى عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية للطاغية بعد ان كانوا يأخذونها منه وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ماهو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا انصاف اموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال لهم اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا ويلطعون فينا ويبدؤن بنا قبل الافرنج ثم يذهبون باموالنا الى بلادهم ويتركونا مع الافرنج فيزداد دون قوة علينا والذى اراه ان المرابطين اتباع يوسف بن تاشفين ملك مراكش اقرب الينا من عرب افريقية وكان يوسف بن تاشفين له ملك ضخم وقوة عظيمة فى مراكش وفاس واعمالهما فاستحسن العلماء ماقاله قاضى الجماعة ثم ذهب قاضى الجماعة الى المعتمد بن عباد وعرض عليه ماقالوه واستحسنوه فاستحسنه المعتمد بن عباد وقال للقاضى المذكور انت الرسول الى ملك مراكش يوسف بن تاشفين فامتنع واراد ان يبرئ نفسه من تهمة تقع عليه فلم يقبل منه المعتمد هذا الامتناع بل الح عليه المعتمد الى ان رضى وعزم على المسير اليه فكان ماسيأتى ذكره وينبغى قبل ذكر مسير قاضى الجماعة ان نذكر شيأ مما يتعلق بدولة يوسف بن تاشفين ملك مراكش وكيف كان ابتداء امره ليعلم بذلك كيف ترقت دولته

حتى كانت فى غاية القوة والمتانة وتعرف دولته بدولة المرابطين والملثمين لانهم كانوا يتلثمون دائما وهم عدة قبائل اشهر تلك القبائل قبيلة لمتونة وكان يوسف بن تاشفين منهم ومنهم قبيلة جدالة ولمطة واختلفوا فى انتهاء نسبهم اختلافا كثيرا فاختار ابن الاثير انهم ينسبون الى حمير فهم على قوله من العرب وكان اول مسيرهم من اليمن فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم الى الشام زمن فتوحات الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا المغرب مع موسى ابن نصير ثم توجهوا مع طارق بن زياد فاتح الاندلس ثم احبوا الانفراد ودخلوا الصحراء واستوطنوها ثم توحشوا وتوالد منهم قبائل كثيرة واختار ابن خلدون انهم ليسوا من العرب وانما هم من البربر وان نسبهم ينتهى الى يافث بن نوح عليه السلام ولما توحشوا فى البوادى صاروا لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين والصلاة ثم حج رجل منهم سنة ثمان واربعين واربعمائة فلما رجع صحب معه واحدا من العلماء وكان فقيها صالحا اسمه عبد الله بن يس الكزولى وقصد بمجيئه به الى قومه ان يعلمهم الاحكام والشرائع فجاء معه فاكرموه وصار يعلمهم وينقادون له ثم جعلوا عليهم اميرا من لمتونة وهو ابو بكر بن عمر وكان هو رأس لمتونة ثم صاروا يقاتلون اهل البغى والفساد ممن كان قريبا منهم فقوى امرهم ثم خرجوا الى السوس الاقصى وصاروا يأخذون الزكاة ووقع بينهم وبين اهل السوس قتال الى ان انقادوا لهم ثم قاتلوا اهل سلجماسة الى ان انقادوا لهم ايضا ثم توفى اميرهم ابو بكر بن عمر بعد ان استخلف بن اخيه ابابكر بن ابراهيم بن عمر ثم توفى ابو بكر ايضا سنة ثنتين وستين واربعمائة فاجتمعت طوائفهم على بن عمه يوسف ابن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين فكثرت جموعهم وقوى امرهم وكان يوسف المذكور مشهورا بالعقل والصلاح وحسن التدبير فظهر امرهم وعلا شأنهم فقصدوا موضع مدينة مراكش وكان قاعا صفصفا لا عمارة فيه فاختط يوسف هناك مدينة مراكش ونزلها بمن كان معه من القبائل ثم لم يزل يتملك مدائن المغرب مدينة بعد مدينة حتى صار له من القوة والمتانة ما هو مشهور مذكور فى التواريخ والكلام على ذلك طويل فلما نزل باهل الاندلس ما نزل من الكفار قصدوه فبعثوا اليه قاضى الجماعة بقرطبة القاضى عبد الله بن محمد ابن ادهم فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمكاتبة من المعتمد بن عباد وعلماء قرطبة فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففى الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار الى ان اجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية فكانت غزوة الذلاقة المشهورة

﴿ ذكر غزوة الذلاقة ﴾

لما اجتمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد بن عباد باشبيلية وجده قد جمع عساكره وكان فيهم من اهل قرطبة عسكر كثير ومعهم من المتطوعة من سائر بلاد الاندلس خلق كثير فلما وصلت الاخبار الى الاذفونش الطاغية جمع عساكره وسار من طليطلة وكتب الى امير

المسلمين يوسف بن شغين كتابا باللسان العربي كتبه له بعض المخذولين ممن يدعون الانتساب
الى الاسلام يغلظ فيه القول و يصف ماعنده من القوة والعدد والعدة و بالغ الكاتب
في الكلام وتجاوز الحد فامر يوسف بن تاشفين كاتبه ان يكتب الجواب لاذفونش فكتب
كلاماً كثيراً فلما قرأه على امير المسلمين يوسف بن تاشفين قال هذا كلام طويل احضر كتاب
الاذفونش واكتب في ظهره الذي سيكون ما ستراه لاما تستقراه فلما رجع الكتاب الى
الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعداداً وكان في جيشه
اربعون الف دارع وجملة جيشه ثلاثمائة الف بغاية الاستعداد فرأى في منامه كانه راكب
على فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رأياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويل هذه
الرؤيا فاحضر رجلا من علماء المسلمين فقص الرؤيا عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فطلب منه
الامان على نفسه اذا عبرها له فأمنه فقال له تأويل هذه الرؤيا يؤخذ من كتاب الله عزوجل
وهو قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وقوله تعالى فاذا
نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وهذا التأويل يقتضي هلاك هذا
الجيش الذي جمعته فقال الاذفونش للذي عبر له الرؤيا بهذا الجيش القى اله محمد صاحب كتابكم
واقاتل بهذا الجيش الجن والانس وملائكة السماء فانصرف ذلك المعبر وقال لبعض المسلمين
هذا الاذفونش هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان الاذفونش استنفر جميع اهل بلاده
وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم
وايقنوا بالنصر والظفر اغتراراً بكثرتهم وقوة استعدادهم وما علموا ان النصر من عند الله
وان العاقبة للمتقين ثم سار امير المسلمين والمعتمد ابن عباد بجيوشهما وجيوش ملوك الطوائف
حتى اتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس واتى الاذفونش بجيوشه فنزل
موضعاً بينه و بينهم ثمانية عشر ميلا ولم يبق احد من ملوك الطوائف بالاندلس الا بادر
واعان بالمال والرجال وخرج بنفسه واخرج عساكره لكن لم يبلغ عدد
مقدار جيش العدو وقيل لامير المسلمين ان ابن عباد ربما انه لا ينصح ولا يبذل
نفسه دونك فأرسل امير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب
الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد في سفح جبل يتراآن ونزل امير المسلمين وراء الجبل
الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذين يراهم مع ابن عباد
فتيقنوا الغلب وارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال فقال يكون يوم الاثنين فقد
وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا فركب الاذفونش ليلة الجمعة سحراً وصبح بجيشه
جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال
بينهم فصبر المسلمون واحاط عليهم الاذفونش بجموعه من كل جهة وحمي الوطيس واستحر
القتل في اصحاب ابن عباد وقاتل ابن عباد بنفسه قتالا لم يعهد مثله لاحد وجرح جراحات
وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه
وطعن في احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي

حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وكان ابن عباد قد بعث الى امير المسلمين يستحث نصرته فبينماهم فى القتال اذ وصل امير المسلمين بجيوشه بعدان كاد المسلمون ينهزمون وقصد خيام الفرنج ومحلة الاذفونش فاقتحموها واحرقوها وفتكوا فيها وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجعت الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان امير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فاخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان امر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء اربعة آلاف ودخلوا المعترك بالدرق والسيوف والمزاريق فطعنوا الرجال والخيل فرمحت الخيل بفرسانها واحجمت عن اقرانها وكان اهل الاندلس لايعرفون الجمال وليست فى بلادهم فجاء امير المسلمين معه بجمال كثيرة فكانت من جملة اسباب النصر لان خيل العدو كانت تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وارتفع رغائها الى عنان السماء ومن منفعة تلك الجمال انه كان يحدق بها العسكر وقت نزولهم وكان يحضرها الحرب فيكثر رغائها ثم تحول ناس من جيش امير المسلمين جاؤا الى موضع القتال فلقيهم من بين ايديهم ووضع السيف فيهم فلم يتمالكوا الثبات وانزل الله النصر وانزل السكينة على المسلمين فانهزم العدو واخذهم السيف من كل جانب وصدق المسلمون جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم واظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء فانكشف الطاغية وفر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخنع بها وافلت فارا مع نفر يسير من قومه وهلك الباقون وكان موضع القتال متسعا جدا فما كان فيه موضع قدم الا وفيه من تلك الوقعة ميت اودم وجمع المسلمون من رؤس القتلى كوما فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها قيل لم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وجمع امير المسلمين الغنائم وعف عنها واعطاها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد ونيل الثواب العظيم واقام اربعة ايام لجمع الغنائم وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضرا وعبر الى سبتة وسار الى مراكش ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن ابطاله وشجعانه واصحابه ففقدهم ولم يسمع الانوح الثكلى فاهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك هما وغما وهوى الى امه الهاويه وكانت هذه الوقعة فى يوم الجمعة فى العشر الاول من رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة فكانت هذه الغزوة من اعظم غزوات المسلمين وفتوحاتهم

ذكر ما كان بعد غزوة الذلاقة

ولما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من غزوة الذلاقة اقام بالاندلس اياماً ثم لما اراد التوجه الى مراكش ترك جيشاً عظيماً بالاندلس لقصد غزو الافرنج وشكا اليه كثير من علماء الاندلس جور ملوك الاندلس الذين اقتسموها وانهماكهم فى اللذات والشهوات والمعاصى فوعظ الملوك وزجرهم ونهاهم عن المكوس وعن الظلم والجور والانهماك فى اللذات والشهوات ثم رجع الى مراكش فجاءته الاخبار بأنهم تقاعدوا عن جهاد الكفار واستغرقوا الاوقات فى اللذات والشهوات وزادوا فى الظلم عما كانوا فاستفتى علماء العراق فيهم فأفتوه بجواز

انتزاع الملك منهم فعبر اليهم فى سنة اربع وثمانين واربعمائة وانتزع الملك منهم واستولى على الاندلس بعد قتاله لبعض المتملكين لها وقتل بعضهم واسر بعضهم وحملهم الى مراكش وحبسهم الى ان ماتوا وصار ملك الاندلس كلها بيده وبيد عماله مضافاً ذلك الى مابيده من المغرب الاقصى واكثر من الغزو والجهاد بالاندلس هو وجنوده وتوفى سنة خمسمائة وكان الامام الغزالى لما بلغه حسن سيرته اراد زيارته فرحل من العراق الى الشام ثم بلغه موته قبل ان يصل اليه فرجع وكان يوسف بن تاشفين يخطب لبنى العباس وكان قد طلب منهم تقليداً لانه قيل له لاتجب طاعتك وتنفذ احكامك الا اذا كانت ولايتك من الخليفة فأرسل رسلا الى الخليفة ومعهم هدية وطلب التقليد فكتب له المستظهر بالله العباسى بن المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد وعقد له على الاندلس وبقية الممالك التى كانت تحت يده ولقبه امير المسلمين وناصر الدين وبايعوا بعد وفاته ولده على بن يوسف بن تاشفين وكان حليما عاقلا صالحاً عادلا

﴿ ذكر خروج الفرنج بالاندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين ﴾

لما توفى يوسف بن تاشفين قوى طمع النصارى فى الاستيلاء على الاندلس فخرج الاذفونش الافرنجى صاحب طيطلة سنة خمس وخمسمائة يطلب مابأيدى المسلمين من ممالك الاندلس فجمع وحشد فاكثر فسار اليه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من مراكش فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا اشد القتال فكان الظفر للمسلمين وانهزم الافرنج وقتلوا قتلاذريعاً واسر منهم شئ كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم مايخرج عن الاحصاء فخافه الافرنج بعد ذلك وفى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ابن ردمير من ملوك الافرنج بجموع كثيرة فالتقى مع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بجموعه فكانت الهزيمة على المسلمين ثم رجع ابن ردمير الى بلاده ثم اشتغل امير المسلمين بأمر محمد بن تومرت الذى ادعى انه المهدى فاتسع الخرق فى الاندلس فأرسل امير المسلمين ابنه تاشفين اميراً على الاندلس لجهاد الكفار ووقع بينه وبين ابن ردمير وقائع وانتصر فى بعضها على ردمير فمات مغموماً من الهزيمة بعد عشرين يوما وكان من أشد ملوك الفرنج على المسلمين فكفى الله المسلمين شره وبقى من ملوك الفرنج الاذفونش الذى كان قد تملك طليطلة فوقع بينه وبين المسلمين وقائع ثم عقدوا معه صلحاً عشرين سنة

﴿ ذكر قيام محمد بن تومرت المدعى انه المهدى المنتظر ﴾

اعلم ان هذه القضية الكلام عليها طويل مذكور فى التواريخ وتلخيص ذلك باختصار ان محمد بن تومرت رجل من جبل السوس يدعى انه شريف علوى حسنى قرأ علوما بالمغرب ثم ارتحل الى المشرق والعراق واجتمع بكثير من العلماء واخذ عنهم قيل منهم الامام الغزالى وقيل لم يجتمع بالغزالى وكان يرى منامات يؤولها بالقيام بأمر الامة منها انه شرب البحر مرتين وقيل كان له معرفة بالرمل والنجوم فقام فى نفسه انه المهدى المنتظر وكتم ذلك فى اول امره واظهره فى آخره وكان كثير الصلاة والصوم والعبادة والتقشف فابتدأ اولا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه جماعة يأخذون عنه العلم ويجتمعون معه على الذكر

وكان اعظمهم عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاني وعبد الله الونشريسي ٨ وكان الونشريسي عالما متضلعا بالعلوم فامره ان يكتم ما عنده من العلوم ويجعل نفسه ابكم ويقوم بخدمة الشيخ وقال له ابق العلوم عندك مكتومة الى ان نحتاج الى اخراجها في وقت يكون اخراجها فيه كالمعجزة والبرهان لاتمام ما نريد فامتثل امره وبقي ابكم بين الناس ابله ولعابه يجري على صدره ولا يتكلم الا مع الشيخ في وقت الخلوة ثم انهم دخلوا مراكش فرأوا نساء راكبات على بغال وهن سافرات الوجوه وكانت تلك عادة لهن في تلك البلاد فانكروا عليهن وضربوا بعض البغال فسقطت من فوقها أمرأة فاذا هي اخت امير المسلمين فرفع الامر الى امير المسلمين واخبروه بان هذا الرجل يتحدث في تغيير الدولة فاحضروه ومن معه وحضر عند امير المسلمين جماعة من العلماء ووقع بينهم وبين ابن تومرت مجادلات فاقام الحجة عليهم بوجود كثير من المنكرات بين اظهرهم ولم ينكروها ووعظ امير المسلمين حتى ابكاه فقال مالك بن وهيب وكان عالما صالحا يكثر مجالسة امير المسلمين بل كان احد وزرائه ان عندي نصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها فقال امير المسلمين ما هي فقال اني خائف عليك من هذا الرجل وارى انه لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه وان لم تقتله فخلده في الحبس فقال بعض الحاضرين من جلساء امير المسلمين يقبح على امير المسلمين ان يبكي من موعظة هذا الرجل ثم يسيء اليه في مجلس واحد وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون امره وصرفه وسأله الدعاء فلما خرج من عند الملك قال لاصحابه لا مقام لكم بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فساروا الى اغمات ثم ذهبوا الى جبل تينمل وكان جبلا عظيما فيه كثير من القبائل وكثير من الزروع والفواكه واتصلوا بالسوس وذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة واجتمع عليه خلق كثير وتسامع به اهل تلك النواحي وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فتابعه قبائل كثيرة وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا وسيره اليه مع بعض اصحابه ووعد المهدي اصحابه بالنصر فلقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا اسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه والف لهم كتابا في التوحيد سماه المرشد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن ويزهدهم في الدنيا وكان قوته كل يوم رغيف وقليل من زيت اوسمن وكان يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بينهم وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة بالراء بعد الغين المعجمة وكان ذوو الحلم والعقل من اهاليهم ينهونهم عنه ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فلما علم بذلك خشي ان يفسدوا عليه من اتبعه ويسلموه للملك فصار يسأل ويتجسس عن

٨ قوله الونشريسي ضبطه ابن خلكان بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وبعد الياء سين مهملة نسبة الى وانشريس وهي بلدة بأفريقية وفي المغرب جبل يقال له وانشريس النسبة اليه وانشريسي فهو غير وانشريس اه مؤلفه

هؤلاء الذين يتهمون اولادهم وعشائرهم من اتباعه ويكتب اسمائهم فى جريدة عنده ولم يطلع على ذلك احدا الا عبدالله الونشريسى الابكم الذى يخدمه ليرتب الامر معه وقد تقدم انه امره ان يكتم ماعنده من العلم ويظهر البله والبكم فقال له فى هذا الوقت هذا وقت اظهار ماعندك وامره ان يفعل ماسنذكره فخرج المهدى يوما لصلاة الصبح فرأى فى جانب محرابه انسانا حسن الشباب طيب الرائحة فاظهر انه لايعرفه وقال من هذا فقال انا الونشريسى فقال المهدى ماقصتك فقد كنت ابكم لاتتكلم فقال اتانى الليلة ملك من السماء فغسل قلبى وعلمنى الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول وبقية العلوم فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله اعطانى نورا اعرف به اهل الجنة من اهل النار وامركم ان تقتلوا اهل النار وتتركوا اهل الجنة وقد انزل الله ملائكة الى البئر التى فى موضع كذا يشهدون بصدقى وكان قد وضع فى البئر رجالا ثلاثة يشهدون بصدقه فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى البئر وصلى المهدى عند رأسها ركعتين وقال ياملائكة الله ان عبدالله الونشريسى قد زعم كيت وكيت فقال من فى البئر صدق فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة فالمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة اومالا يجوز وقال ذلك لئلا يظهر الرجال منها فيفشون السر فيفسد الامر الذى دبره فألقوا فيها من الحجارة والتراب ماطمها واهلك من فيها من الرجال ثم نادى اهل الجبل بالحضور الى ذلك الموضع فحضروا ليتميز اهل الجنة من اهل النار فكان الونشريسى يعمد الى الرجل الذى عرفه المهدى به انه يخاف عاقبته وكتبه فى الجريدة التى اطلعه عليها فيقول هذا من اهل النار فيقتل والى الشاب الغر ومن لايخاف منه فيقول من اهل الجنة فيترك على يمينه ولم يزل يجمعهم فى ايام مرة بعد اخرى ويفعل ذلك حتى تتبع كل من يخشى منه فقتله قال ابن الاثير فى الكامل فكان عدة من قتلهم سبعين الفا وصار الباقون معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وجعل الامير عليهم عبد المؤمن بن على وسيرهم لقتال المرابطين قوم امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وتتابع القتال بينهم مرارا وشرح ذلك يطول واستمر امره يعلو الى سنة اربع وعشرين فمرض مرضا شديدا وكان عبدالمؤمن غائبا مع الجيوش التى تقاتل اهل مراكش فاوصى المهدى بان خليفته عبد المؤمن وامرهم باتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ثم توفى فلما رجع عبد المؤمن بايعه الناس وانقادوا له وتسمى دولته دولة الموحدين لان المهدى سماهم بذلك كما تقدم فجهز الجيوش وازال ملك بنى تاشفين وفتح البلدان وملك كثيرا من مدائن المغرب وكل ذلك مبسوط فى التواريخ وصار لعبدالمؤمن ملك عظيم فى المغرب والاندلس توارثه بنوه بعده الى سنة ثمان وستين وستمائة فانتزع الملك منهم بنو مرين فكانت مدة دولة بنى عبد المؤمن مع مهديهم مائة وثنتين وخمسين سنة قال فى نفح الطيب كانت دولة بنى عبدالمؤمن من اعظم الدول الاسلامية وكان كل واحد منهم يلقب امير المؤمنين ومسلكهم مسلك الخلفاء وكانوا يدعون على المنابر لمهديهم محمد بن تومرت ويضربون اسمه على السكة

وتوفي عبد المؤمن سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وعمره ثمان وستون سنة ومدة ملكه ثلاث وثلاثون سنة وكان عاقلا حازما سديد الرأي حسن السياسة كثير البذل للاموال الا انه كان سفاكا للدماء على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين و يلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة ومن ترك الصلاة قتله وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين ومما نقل من كرمه ان شاعرا مدحه بقصيدة مطلعها

* ماهز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبدالمؤمن بن علي *

فاشار اليه ان يقتصر على هذا البيت ولا يتم قراءة القصيدة وامر له بالف دينار فقيل له لم لم تسمع تمام القصيدة فقال عبدالمؤمن وما عسى ان يقول بعد قوله ماهز عطفيه البيت يعني انه لا يمكنه ان يأتي بمدح اعظم مما في هذا البيت وفي المونس في اخبار تونس للعلامة ابي القاسم الرعيني القيرواني ان هذا الشاعر بعد ان قبض الالف الدينار عاد اليه من الغد وانشده البيت المذكور فأسكته وامر له بالف دينار اخرى ثم لم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بالف دينار الى ان وصله بار بعين الفا فحسده بعض الشعراء وقال له الى متى تفعل هكذا وما يؤمنك من تغير اخلاق امير المؤمنين وقد وصلك بما فيه غناؤك فارتحل من فوره الى بلده ثم سأل عنه عبد المؤمن فاخبر برحيله فقال لاحول ولا قوة الا بالله لقد ظن بنا غير ما اردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك وكان لعبد المؤمن معرفة بالشعر والادب يحكى عنه انه مر ببعض طرق مراكش ومعه وزيره ابو جعفر بن عطية فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبدالمؤمن * قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت * فقال ابن عطية * حوراء ترنو الى العشاق بالمقل * فقال عبدالمؤمن * كانما لحظها في قلب عاشقها * فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي ويقال لعبد المؤمن ألقيسي نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويقال له الكومي نسبة الى كومية قرية بتلمسان وكان المهدي محمد بن تومرت يقول له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا الدين في اخر الزمان برجل من قيس وارجو ان تكون انت وكان ابوه صانعا في عمل الطين يعمل منه الآنية ويبيعها قال ابن خلكان في ترجمة عبدالمؤمن كان في صباه يوما نائما تجاه ابيه وكان ابوه مشتغلا بعمل الآنية من الطين فسمع ابوه دويا في السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على ابنه عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه على تلك الحالة فصاحت خوفا على ولدها فسكتها ابوه فقالت اخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ماذا يكون من امر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبي وما به الم فتفقدت امه جسمه فلم تر به اثرا ولم يشك لها الما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى اليه ابوه واخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال ذلك الرجل يوشك ان يكون لولدك هذا شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من امره ما كان وتقدم ان من اصحاب المهدي عمر بن يحيى الهنتاتي قيل انه ينتهي نسبه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه صار بعد المهدي من وزراء عبد المؤمن واعطى بنو عبد المؤمن اولاد عمر المذكور ولاية تونس فكانوا يسمون الحفصيين استمر ملك تونس فيهم

الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع الملك منهم الدولة العثمانية وكانوا يلقبون بالحفصيين وكانت مدة ملكهم تونس ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وهم من فروع دولة المهدى محمد بن تومرت واختلف الناس فى امر ابن تومرت فقال بعض العلماء انه اراد اظهار الحق فاجتهد واخطأ وقال بعضهم انه كان على الامة شرا من الحجاج ويزيد والله اعلم بحقيقة الحال ولنذكر ما كان من الفتوحات فى مدة عبد المؤمن وبنيه وفى مدة الحفصيين ملوك تونس

﴿ ذكر اول تجهيز لعبد المؤمن على الاندلس ﴾

قال ابن الاثير فى الكامل فى حوادث سنة احدى واربعين وخمسمائة فى هذه السنة سير عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن منهم ذلك وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثمين وهم اتباع يوسف بن تاشفين ويقال لهم المرابطون فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة وأمن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من كان بها وانتزعت عساكر عبد المؤمن كثيرا من مدائن الاندلس التى كانت فى طاعة المرابطين مدينة بعد مدينة بعد حروب يطول ذكرها وفى سنة ثنتين واربعين حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة شاسة وولاية جيان وكلها بالاندلس وفى سنة ثلاث واربعين ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين شئ فى تلك الجهات الا واستولى الفرنج عليه وفى سنة خمس واربعين سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز مقدمهم ابا زكريا يحيى بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها لم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين فى الوطاء وارادوا الاجتماع بالمسلمين المحصورين بقرطبة فسلكوا الجبال الوعرة والمضائق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما فى الوعر فى مسافة اربعة ايام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة ليذهب اليهم وكان فيها القائد ابو الغمر السائب من ولد القائد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج من قرطبة لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وقال له ادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فاصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال ابو الغمر هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السليطين ما ارتحل الا طالبا لـ

الموضع الذى كان فيه الى الجبل طريقاً سهلا ولو لحقكم هناك نال مراده منكم
ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انهم دخلوا قرطبة ولم يبق له طمع فى
قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر وفى سنة ست واربعين
سير عبدالمؤمن جيشاً كثيفاً نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابى حفص عمر
الهنتانى وسير معهم نسائهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير
الخدم ومتى قرب منهن رجل ضربه الخدم بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة
وبها جمع من المرابطين جماعة ابن تاشفين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه
احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه واتاه
ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووحدوا وصاروا ايضاً
معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس
ليبغته بالحصار قبل ان يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل الى ملك
برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى
فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبدالمؤمن فوصلوا الى بلقوارة وبينها وبين
مرسية التى هى مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنجى مع ملك برشلونة فرجع
جيش عبدالمؤمن وحصروا مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر
وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها وفى سنة احدى وخمسين
استعمل عبدالمؤمن ابنه ابا سعيد عثمان على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة فعبر ابو سعيد البحر
الى مالقة وهى من الاندلس واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتونى صاحب غرناطة
ورضى انه يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ذلك منه ابو سعيد وتسلم غرناطة فسار ميمون الى
مالقة باهله وولده فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى ابيه عبدالمؤمن بمراكش فاقبل عليه
عبدالمؤمن واكرمه وانقرض بذلك دولة المرابطين ويقال لهم ايضا الملثمون كما تقدم ولم يبق
لهم الا جزيرة ميروقة مع احمد بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة
المرية وهى بأيدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة ثنتين واربعين وخمسمائة فلما نازلها
وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية براً وبحراً فلجأ الفرنج
الى حصنها فحصرهم ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سوراً على الجبل
المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصوراً
بهذا السور والخندق ولا يمكن من ينجدهما من ان يصل اليهما فجمع الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس المعروف بالسليطين جموعا من الفرنج بلغت اثنى عشر الف فارس ومعه محمد بن سعد
ابن مردنيش فى ستة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ليدفعوا المسلمين عنها
فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى
طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا
الامان ليسلموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى الغد عائدين الى بلادهم
[illegible]ؤمن اوكامم المرية مدة عشر سنين وفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ارسل اهل غرناطة من بلاد

الاندلس وهي لعبد المؤمن الى الامير ابرهيم بن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحدكما تقدم وصار من اتباع عبد المؤمن وفي طاعته وممن يحرض على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة طمع في الملك فسار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر اباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذي كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة اصحابهم المسلمين الذين بغرناطة فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فأرسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحي غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن من قبل وصول ابي سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد بمن معه فاقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر فسير في الحال ابنه ابا يعقوب يوسف في عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين لجد واالسير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش في الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذي امربه لابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فأقاموا في سفحه اياماً ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذي بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جميع جهاتهم فما لحقوا ان ركبوا فقتلوهم عن آخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحي غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لاطاقة لهم بهم ففروا في الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة توفي عبد المؤمن فبايع الموحدون ابنه محمداً ثم خلعوه بعد خمسة واربعين يوماً وبايعوا اخاه يوسف بن عبد المؤمن ونلقب بأمير المؤمنين كأبيه قال ابن خلكان كان يوسف فقيهاً حافظاً متقناً نشأ في ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفي قراءة العلم بين افاضل العلماء كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لأيامها في الجاهلية والاسلام ويقال انه كان يحفظ صحيح البخاري وكان يحفظ القرآن مع جملة من الفقه وسيأتي الكلام على فتوحاته ولنتمم الكلام على جميع فتوحات ابيه عبد المؤمن في غير الاندلس

﴿ ذكر فتوح المهدية ﴾

المهدية مدينة من مدائن افريقية كانت المهدية في يد الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي وكان من عمال العبيديين ملوك مصر ثم تغلب عليها فملكها الفرنج وانتزعوها من يده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفر الأمير المذكور منها وقصد عبد المؤمن فأكرمه واحسن نزله وكان اهل سفاقس وزويلة يقاتلون الفرنج لتخليص المهدية فلم يقدروا وانهزموا مرة بعد اخرى وقتل كثير منهم وذلك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم دخل الفرنج زويلة وقتلوا

من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال فقصد جماعة من اهل زويلة عبدالمؤمن وهو بمراكش يستجيرون به فأكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك الاسلام من يقصد سواه فدمعت عيناه وقال ابشروا لأنصرنكم ولو بعد حين وأمر بأنزالهم وان يعطوا الفي دينار ثم جهز الجيوش واستعد لذلك ثلاث سنين فاجتمع معه مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وسار بجيوشه في شهر صفر سنة اربع وخمسين وخمسمائة وكان يقع من حفظه لعسكره انهم كانوا يمشون بين الزرع فلا يتأذى منهم اهل الزرع ولا يصيبون شيئاً منه واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف منهم احد كائناً من كان خوفاً من عقابه لأنه كان يقتل من يتأخر منهم وقدم بين يديه امير افريقية الذي فر منها حين اخذها الفرنج وهو الحسن بن علي بن محمد بن تميم الصنهاجي فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان ملك تونس بيد احمد بن خراسان واقبلت اساطيل عبدالمؤمن في البحر سبعين شينياً وطريدة وشلندى فلما نازل تونس ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوا فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهل تونس الى عبدالمؤمن يسألونه الأمان لأهل بلدهم فأجابهم الى الأمان لهم في انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم على انفسهم واهليهم ويقاسمهم اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله منها فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس اموالهم واقام عليها ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن اسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها بأجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ثم سار عبدالمؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاذيه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان بالمهدية اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غاية رمية سهم فدخل عبدالمؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يجد له موضعاً من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لأن البحر دائر بأكثرها فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر وكان اول من بناها واتخذها مدينة عبيدالله المهدي اول ملوك العبيديين بناها سنة ثلاث وثلاثمائة وكان الفرنج يخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فينالون منهم ويعودون سريعاً فأمر عبدالمؤمن ان يبني سور من جهة غرب المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبدالمؤمن في شيني ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال لا براً ولا بحراً وليس لها الا المطاولة بالحصار وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وامر بجمع

الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صارت الغلات والاقوات فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيتعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته اطاع عبد المؤمن اهل سفاقس وطرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف فلما رأى اهل قفصة ذلك اطاعوه وكان الفرنج قد تملكوا صقلية فى سنة اربع وثمانين واربعمائة جاؤها بجموع كثيرة وانتزعوها من عامل العبيديين وبقيت فى ايديهم وصار لهم فيها قوة عظيمة فكانوا يمدون هؤلاء المحصورين فى المهدية ففى شهر شعبان من السنة المذكورة اعنى سنة اربع وخمسين وخمسمائة جاء اسطول صاحب صقلية من ملوك الفرنج فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبى اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليه ملك الفرنج يأمره بالمجئ الى المهدية فقدموا فى التاريخ المذكور فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب فيه العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج مارأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب فى قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكى ويتضرع الى الله تعالى ويدعو للمسلمين بالنصر ثم اقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا القلوع راجعين الى بلادهم فتبعهم الموحدون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرهم وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس اهل المهدية من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر الحجة من السنة المذكورة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فأجابهم الى ذلك وأمنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم فى البحر ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية يقول ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله اكثرهم بالغرق فى البحر وكانت مدة ملكهم المهدية ثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة واقام بها عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وامره ان يقتدى برأيه فى افعاله واقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها ورحل من المهدية اول صفر من السنة المذكورة وتوجه الى بلاد المغرب وجهز جيوشا الى الاندلس

﴿ ذكر فتوحات يوسف بن عبد المؤمن ﴾

لما استقرت البيعة له بعد موت ابيه وخلع اخيه اخذ منهج ابيه وسار سيرته واستكثر من الجيوش

ومهد البلاد وصارله ملك ضخم اكثر من ابيه فكان ملكه من قاصية افريقية الى بلاد القبلة
وبلاد الاندلس يجبي اليه خراجها دون مكس ولاجور فكثرت الاموال وأمنت الطرق
ثم رحل الى الاندلس ليكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وفي صحبته مائة الف فارس ونزل
اشبيلية وشرع في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الفرنج وكانوا قد استولوا على كثير منها فاتسع
ملكه وحاصر الاذفونش في طليطلة وضيق عليه شهورا فراسله الاذفونش في انه يسلم المدينة
ويعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع يوسف من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض
الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر
عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فهادنهم سبع سنين
وانصرف عنهم الى اشبيلية وكان يرتفع اليه في كل سنة من خراج اشبيلية واعمالها حمل مائة
وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من بقية البلاد وفي سنة خمس وستين وخمسمائة اتفق ابن
مردنيش ملك شرق الاندلس هو والفرنج على يوسف بن عبد المؤمن فاستفحل امرهم فجهز
يوسف العساكر فجاسوا بلاد ابن مردنيش وخربوها وأخذوا مدينتين من بلاده وأخافوا
عساكره وجنوده وأقاموا ببلاده مدة ينتقلون فيها ويجبون اموالها وفي سنة سبع وستين
وفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية
وغيرهما واوصى اولاده أنهم بعد موته يقصدون يوسف بن عبد المؤمن وكان قد اجتاز الى الاندلس
في هذا العام في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فقدموا عليه بعد موت ابيهم فحين رآهم
يوسف فرح بهم وسره قدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم
ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه وفي سنة ثمان وستين توجه يوسف الى الاندلس بعساكره
ونزل اشبيلية ثم سار منها وقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى فحصرها واجتمعت الفرنج
على ابن الفنش في جمع كثير فلم يقدروا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت
الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وهو
مع ذلك يجهز العساكر ويسيرها الى غزو الفرنج في كل وقت فكان له بها عدة وقائع وغزوات
ظهر منها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب
مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد يوسف بن عبد المؤمن الى مراكش
واما وقائعه مع من خرج عن طاعته من المسلمين في افريقية فكثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها
وهي مذكورة في التواريخ وفي سنة ست وسبعين أتاه رسول ملك الفرنج صاحب صقلية
يلتمس الصلح معه فهادنه عشر سنين وفي سنة ثمانين وخمسمائة سار يوسف الى الاندلس في جمع
عظيم من عساكر المغرب وقصد غربي بلاد الاندلس فحصر مدينة تشتير شهرا وهي للفرنج
فأصابه بها مرض فمات به في ربيع الاول من السنة المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية
وقيل انه اصابته طعنة فمات منها وبعد أن وصلوا به اشبيلية حملوه في التابوت الى جبل تينملل
ودفنوه هنالك عند ابيه عبد المؤمن بجانب قبر المهدي محمد بن تومرت واتفق شيوخ الموحدين
على مبايعة ابنه يعقوب فبايعوه ولقبوه المنصور ﴿ لطيفة ﴾ يحكى ان الاديب احمد بن
عبد السلام الكوراني كان من ظرفاء الندماء وكوران قبيلة من البربر وكان يجالس عبد المؤمن

ثم ابنه يوسف ثم ابنه يعقوب فاتفق انه حضر يوما عند يوسف بن عبد المؤمن وهناك الطبيب سعيد الغماري وغمارة ايضا قبيلة من البربر فقال يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فقال الكوراني وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أعجب منهما والله خافية من كومية فقال يوسف في نفسه أعاقبه بالحلم والعفو ففيه تكذيبه فعفى عنه ولم يعاقبه

ذكر فتوحات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

كان يعقوب المذكور دينا مقيما للحدود فاستقامت له الدولة وانقادت اليه بأسرها فأقام راية الجهاد وأحسن السيرة في الناس ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها وكان يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وكان مشاركا في علوم كثيرة ومن لطائفه انه بعث لبعض عماله أن ينظر له رجلا لتأديب أولاده فبعث له العامل رجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه بعثت اليك برجلين أحدهما بحر في علمه والآخر بر في دينه فلما امتحنهما لم يرض بهما فوقع على ظهر كتاب العامل ظهر الفساد في البر والبحر وفي سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا اربع مدن كانت بيد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الامر الى يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش كبير وذلك في سنة احدى وتسعين فسمع الفرنج بذلك فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وبعد أن عزم يعقوب على المسير بعد جمع جيوشه أصابه مرض شديد حتى أيس منه أطباؤه فتأخر عن المسير فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها [illegible] على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس [illegible] تفرقة جيوش الامير يعقوب لاصلاح ما فسد في الاطراف واشتغلوا بالمدافعة [illegible] طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون من بلاد الاندلس وكتب له رسالة من انشاء بعض من خذله الله ممن يدعي انه من المسلمين وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح امابعد ايها الامير فلا يخفى على كل ذي عقل لازب ولا ذي لب ثاقب انك امير الملة الحنيفية كما انه هو امير الملة النصرانية وانك لا يخفى عليك ماهو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعايا واخلادهم الى الراحات وانا أسومهم بحكم القهر الخسف وأخلي الديار وأسبي الذراري وامثل بالكهول وأقتل الشبان ولا عذر لكم عن التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون

(امتناعا)

امتناعا ثم حكي لي انك اخذت في الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتمطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى ولا ادري الجبن ابطأبك ام التكذيب بما انزل عليك ثم حكي لي عنك انك لاتجد سبيلا الى الحرب لعلك مايسوغ لك التقحم بها انها انا اقول لك ما في ذلك واعتذر عنك ولك ان تتوجه بجملة من عندك بالمراكب والشواني واجوز اليك بجملتي وابارزك في اعز الاماكن عندك فان كانت لك الغلبة فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والحكم على البرين والله يوفق الارادة ويوضح السعادة لارب غيره ولاخير الاخيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في اعلاه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون والجواب ماتراه لاماتسمعه او تقراه وكتب ايضاً بيتاً مشهوراً للمتنبي .

* ولا كتب الا المشرفية والقنا * ولارسل الا الخميس العرمرم *

واعاد الكتاب اليه وجمع العساكر الكثيرة من المسلمين وعبر الى الاندلس في جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيها ودانيها واقبلوا اليه مجدين مصممين على القتال واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة فاقتتلوا قتالا شديداً استشهد فيه كثير من المسلمين وكانت الدائرة في اول الامر على المسلمين ثم تراجعوا وعادوا على الفرنج فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفاً واسر منهم ثلاثة عشر الفاً وقيل ثلاثون الفاً وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً فمن الخيام مائة الف وثلاث واربعون الفاً ومن الخيل ستة واربعون الفاً وقيل ثمانون الفاً ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وقيل اربعمائة الف جاء بها الكفار لحمل اثقالهم لانهم لا ابل عندهم بالاندلس ومن الدروع التي صارت لبيت المال ستون الفاً غير ما اخذه المسلمون منها واما الذهب والفضة والجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الفنش بروحه وهو ملك النصارى اذ ذاك الى طليطلة في اسوء حال وحلق رأسه ونكس الصليب وحلف ان لاينام على فراش ولايقرب النساء ولايركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع الرجال من البلاد البعيدة ويستعد للقاء ثم لقيه يعقوب بالجيوش مرة ثانية فهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحصره فيها ورمى عليه بالمجانيق ولم يبق الافتحها فخرجت اليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه يبكين بين يديه ويسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن اموالا كثيرة وعفا بعد القدرة ورجع الى قرطبة فأقام بها شهراً يقسم الغنائم فجاءته رسل الفنش يطلب الصلح فصالحه وهادنه خمس سنين وأمن الناس وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئاً فهوله واحصى ماحمل اليه من السلب فكان زيادة على سبعين الفاً وهذه الوقعة تسمى وقعة الارك وهو اسم للموضع الذي كانت فيه الوقعة ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة التي كانت على يد امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمثل وقعة الارك هذه بل صرح بعض المؤرخين بأنها

اعظم من وقعة الزلاقة وكان جملة من استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة نحو عشرين الفاً
وعظم امر الاسلام بالاندلس بعد هذه الوقعة ومدح الشعراء يعقوب بعد هذا الفتح بقصائد
كثيرة واجازهم بعطيات وافرة فمنهم ابن منقذ وكان شاعراً بليغاً مدحه بقصيدة منها قوله

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته ❁ الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى معدن الندى ❁ الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك امير المؤمنين ولم تزل ❁ الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا ❁ بأن نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك الغنا فبلغتها ❁ وادنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود باقياً ❁ تبلغك الآمال ما انت آمل

وعدد ابيات القصيدة اربعون بيتاً فأعطاه اربعين الفاً واتى صاحب يعقوب الفرنج وهادنهم
لانه بلغه قيام ثائر من المرابطين بافريقية فأراد يعقوب الرجوع الى مراكش لقمع هذا الثائر
واخماده فرجع وقمعه واخمده (لطيفة) قال الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله عنه
فى الفتوحات المكية كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعسكر الموحدين قد جازت
الى الاندلس لقتال العدو فلقيت رجلا من رجال الله فسألنى ما تقول فى هذا الجيش هل
يفتح له وينتصر فى هذه السنة ام لا فقلت له ما عندك انت فى ذلك فقال ان الله تعالى قد
ذكره فى كتابه وبشر به نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبيناً
وموضع البشرى فتحاً مبيناً من غير تكرار الالف فى مبيناً فأنها لاطلاق الوقوف فى تمام الآية
فنظرت وحسبت الحروف فوجدت الفتح يكون فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جزت الى
الاندلس فى السنة المذكورة وقد نصر الله جيش المسلمين فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص اه
فتحاً مبيناً   وتوفى الامير يعقوب بمدينة سلا وقيل بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة
٤٨٩ ١٠٢   وعمره احدى واربعون سنة قال ابن خلكان فى ترجمة يعقوب المذكور ثم
٥٩١   حكى لى جمع كثير بدمشق سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البلدة التى
من اعمال البقاع العزيزية بالشام قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير
يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحى متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف اهـ
قال فى نفح الطيب توفى السلطان يعقوب سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة سلا وكانت
ولايته خمس عشرة سنة وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام
ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول
الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة اولوعهم
بالسلطان المذكور انتهى قال ابن خلكان وسمعت عن الامير يعقوب حكاية يليق ان تذكر
ههنا وهى ان الامير ابا محمد عبد الواحد بن ابى حفص عمر الهنتاتى كان قد تزوج اخت الامير
يعقوب المذكور واقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيها يعقوب المذكور
واقامت عنده فسير الامير عبد الواحد فى طلبها فامتنعت فشكا الامير عبد الواحد الى قاضى
الجماعة بمراكش وهو ابو عبد الله محمد ابن على بن مروان فاجتمع القاضى المذكور بالامير يعقوب وقال

له ان ابا محمد عبدالواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك ايام ثم ان
الامير عبدالواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب وقال له انت قاضي المسلمين
وقد طلبت اهلي فما جاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا امير المؤمنين ان الشيخ
عبدالواحد قد طلب اهله وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الامير
عبدالواحد القاضي بالقصر المذكور فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه
الثالثة انا اطلب اهلي وقد منعوني عنها فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا مولانا
ان الشيخ عبدالواحد قد تكرر طلبه لأهله فاما ان تسير اليه اهله والا فاعزلني من القضاء
فقال له يا اباعبدالله ماهذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له في السر تحمل اهل الشيخ
عبدالواحد اليه فحملت اليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولاقال له شيأ يكرهه وتبع
في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره قال ابن خلكان وهذه حسنة تعدله وللقاضي
ايضا فانه بالغ في اقامة منار الشرع بالعدل انتهى

﴿ ذكر محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ﴾

وماجرى في مدته من الغزو لما توفي الامير يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بايع شيوخ الموحدين
ابنه محمدا ولقبوه الناصر وكان النصارى بالاندلس لما سمعوا بموت يعقوب اخذوا يتغلبون
على كثير من الحصون بالاندلس وكان محمد المذكور حديث السن عمره نحو تسع عشرة سنة
فاستخف بكثير من وزراء ابيه ورجال دولته وبكثير من رجال الاندلس العارفين بالقتال حتى
انه قتل بعض رجال دولته وشنق بعضهم فكان ذلك سببا لفساد النيات ولقوة الشكيمة
للافرنج فلما بلغه قوة شكيمتهم وطمعهم في التغلب على بعض الحصون بل اخذوا بعضها
بالفعل شرع في التجهز للمسير لقتالهم فتجهز في ستمائة الف مقاتل ودخله الاعجاب بكثرة
من معه من الجيوش واستعد له العدو بجموع كثيرة فلما التقوا وتقاتلوا في شهر صفر سنة
تسع وستمائة انهزم المسلمون وكثر القتل فيهم ولم ينج من الستمائة الف الذين مع محمد بن يعقوب
غير عدد يسير لم يبلغوا الالف فكانت هذه الوقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على
المغرب كله وماذاك الالسوء التدبير والاعتماد على القوة وكثرة الجند والله غالب على امره
واستولى العدو بعدها على كثير من الاندلس وتسمى هذه الوقعة بوقعة العقاب ثم كثر الثائرون
والخارجون ايضا في المغرب وتوفي محمد بن يعقوب المذكور سنة ست عشرة وستمائة
ثم تفرقت كلمة بني عبد المؤمن وكثر الاختلاف والقتال بينهم مع بعضهم وانتشرت فتن
كثيرة بينهم فكانوا كلما بويع لواحد منهم خلعوه وخرجوا عليه الى ان انقضت دولتهم
وكانوا كلهم يدعون لمهديهم محمد بن تومرت على المنابر في الخطبة ويسترحمون عليه ويكتبون
اسمه على سكة الدراهم والدنانير الا العاشر من خلفائهم وهو ابو العلا ادريس الملقب بالمأمون
ابن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن فانه امر باسقاط اسم مهديهم محمد بن تومرت من السكة
والخطبة والف في ذلك رسالة طويلة افصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله
وصار يلعنه وكان ادريس المأمون عالما فصيحا متمكنا في علم الاصول والفروع ناظما

ناثرا وكان سفاكا للدماء وكانوا يسمونه حجاج المغرب قتل مائة من شيوخ الموحدين وسفك دماء كثيرة من دماء الخارجين الثائرين عليهم وقتل في يوم واحد اربعة آلاف ونصب رؤسهم على اسوار مدينة مراكش مات سنة ثلاثين وستمائة وكان تمام انقضاء دولتهم سنة ثمان وستين وستمائة فكانت مدة دولتهم مع مهديهم مائة واثنين وخمسين سنة وجملة من تولى منهم مع مهديهم ستة عشر شخصا فسبحان الملك الباقي الذي لا يعتري ملكه الزوال والنقصان وتفصيل ملوكهم مع الفتن التي وقعت بينهم ذكرته في تاريخ جمعته في اخبار الاندلس وكان المنتزع للملك بني عبد المؤمن جماعة من بني مرين وسنذكرهم انشاء الله تعالى ونذكر ما كان منهم من الغزو لكفار الاندلس لكن ينبغي قبل ذكرهم ان نذكر الحفصيين ملوك تونس لانهم من فروع دولة الموحدين والجميع من فروع دولة محمد بن تومرت المهدي على زعمهم والحفصيون ملوك تونس هم اولاد ابي حفص عمر الهنتاني وهو الوزير الثاني لمحمد بن تومرت لانه اول قيامه بدعواه كان الملازمون القائمون بأمره ثلاثة عبد المؤمن بن علي وعبد الله الونشريسي وابو حفص عمر الهنتاني اما عبد المؤمن فقد تقدم الكلام عليه وعلى اولاده الذين ورثوا الملك منه الى ان ذهب ملكهم واما عبد الله الونشريسي فقتل في بعض الحروب التي كانت اول ظهور محمد بن تومرت واما ابو حفص عمر الهنتاني فكان وزيرا لعبد المؤمن وكان ولي العهد بعده ثم احتال عليه عبد المؤمن وخلعه وجعل ولاية العهد لابنه محمد ثم يوسف بن عبد المؤمن وكان عبد المؤمن في مدة ملكه اتخذ اباحفص عمر الهنتاني وزيرا وخليلا يقربه ويدنيه ويستشيره في اموره كلها ثم صار ابناء عبد المؤمن يقربون ابناء ابي حفص ويدنونهم ويتخذون منهم وزراء وامراء وفي سنة ستمائة وثلاثة في مدة ملك محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن جعلت ولاية تونس لعبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر الهنتاني وتوارثها بنو عبد الواحد المذكور وبقي ملك تونس فيهم الى سنة تسعمائة واحدى وثمانين فانتزع ملك تونس منهم سلاطين آل عثمان فكانت مدة تملك تونس لبني حفص ثلاثمائة وثمانية وسبعين سنة وعدة ملوكهم ثمانية وعشرون ملكا فدولتهم ايضا من فروع دولة المهدي محمد بن تومرت وكان لهم ملك ضخم وجرى منهم غزوات وفتوحات سيأتي كثير منها بعد اتمام الكلام على دولة بني مرين المنتزعين ملك بني عبد المؤمن وبعد ذكر ما كان منهم من الغزوات والفتوحات بالاندلس

ذكر دولة بني مرين وغزوتهم بالاندلس

اعلم ان بني مرين قبيلة من قبائل البربر كانوا متوحشين يسكنون الصحراء والقفار وكانت لهم مواش ثم صارت لهم خيل وقوة فلما ضعف ملك بني عبد المؤمن ورأى بنو مرين ضعفهم واختلال ملكهم تخلصوا من الصحراء والقفار وتفرقوا في جهات المدن والامصار واوجفوا بخيلهم وركابهم وظهرت لهم رياسة وقوة شوكة فخلعوا طاعة بني عبد المؤمن بعد ان كانوا تحت طاعتهم فصار كثير من رعايا بني عبد المؤمن يحتمون ببني مرين ويلتجئون اليهم لاسيما اذا وقعت عليهم مظلمة من بني عبد المؤمن فتمسك كثير من الناس بمعتصمات بني مرين واظلم الجو بينهم وبين بني عبد المؤمن وثار من ذلك فتن كثيرة بين الفريقين ووقع بينهم

محاربات يطول الكلام بذكرها فصار بنو مرين يقوى امرهم كلما ضعف ملك بنى عبد المؤمن الى ان استلبوهم الملك وانتزعوه منهم واستولوا عليه واول ماظهرت الرياسة فى بنى مرين بعد الخمسين والخمسمائة من الهجرة واول من ظهرت عليه الرياسة منهم محيو بن ابى بكر بن حمامة فقدموه رئيسا عليهم الى ان توفى فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عبد الحق بن محيو الى ان توفى سنة اربع عشرة وستمائة فقام بالرياسة بعده ابنه عثمان بن عبد الحق الى ان توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم بعده اخوه محمد بن عبد الحق الى ان توفى سنة اثنتين واربعين وستمائة ثم اخوه ابو يحيى بن عبد الحق الى ان توفى سنة ست وخمسين وستمائة فقام بالرياسة بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق وفى هذه المدة السابقة كانت محاربات كثيرة بينهم وبين بنى عبد المؤمن فقوى امرهم وانتشر صيتهم واستولوا على مدائن وقرى منها مكناسة وفاس وتلمسان وطنجة وسبتة وغير ذلك الا تونس واعمالها فان ملكها كان بيد الحفصيين ابناء أبى حفص عمر الهنتانى احد اصحاب المهدى محمد بن تومرت وقد تقدم ذكر ذلك وكان تملك بنى مرين فاس سنة ست واربعين وستمائة وآخر الامر ملكوا مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وقتلوا ابا دبوس الملقب بالواثق وهو آخر ملوك بنى عبد المؤمن واستقر الملك لبنى مرين على يد يعقوب بن عبد الحق فهو الذى ينبغى ان يكون اولهم ولما استقرت دولته بمدينة مراكش جائته البيعة من اهل الاندلس وجاءه جماعة منهم يستنصرون به على النصارى المتغلبين على اكثر الاندلس وسيأتى ذكر تجهيزه لغزو العدو بالاندلس انشاء الله تعالى

﴿ ذكر ما كان من استيلاء العدو على كثير من مدائن الاندلس مدة ضعف دولة بنى عبد المؤمن ﴾

كان بالاندلس عمال لبنى عبد المؤمن متفرقون فى اقطارها ومدائنها فلما حصل الضعف لدولتهم وانتشرت الفتنة بينهم مع بعضهم وبين بنى مرين واشتغلوا بقتالهم اغتنم العدو الفرصة وصار يقتطع كثيرا من المدائن والمعاقل والحصون ويستولى عليها ولم يوجد بالاندلس من الجيوش والرجال من يدافع العدو ويقاتله وقد كثر ما استولى عليه الطاغية فى هذه المدة التى ضعف فيها ملك بنى عبد المؤمن وبعض المدائن استولى عليها العدو قبل ظهور الضعف فى دولتهم فمن ذلك مدينة تطيلة واختها طرشونة استولى عليها الطاغية سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان ذلك فى اول دولة بنى عبد المؤمن وآخر دولة المرابطين بل كان قد استولى قبل ذلك على طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة كما تقدم حتى ان يوسف بن تاشفين لما عبر الاندلس وكانت وقعة الزلاقة عجز عن تخليص طليطلة من يد الطاغية واستولى الطاغية على مدينة سرقسطة سنة سبع وخمسين واربعمائة ثم استرجعت ثم استولى عليها ثانيا سنة خمسمائة واثنى عشر واستولى على بلنسية سنة اربعمائة وسبع وخمسين ثم ارتجعها المسلمون ثم تكرر استيلاؤهم عليها واسترجاعها كما تقدم ثم تغلب العدو عليها وأخذها مرة أخرى سنة ست وثلاثين وستمائة واستولى على حصن روطة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان من امنع الحصون سلمه ابن هود لصاحب طليطلة لما عجز عن مقاومته واستولى العدو على مدينة المرية سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

وكان قبل ذلك استولى على مدينة لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ثم ارتجع الموحدون المرية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وبقيت بيد المسلمين سنين ثم ارتجعها العدو خذله الله مرة أخرى واستولى على كورة ماردة سنة ست وعشرين وستمائة وعلى ميروقة سنة سبع وثلاثين وستمائة وعلى جزيرة شقرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وعلى قرطبة دار الخلافة سنة ست وثلاثين وستمائة وعلى شرق الاندلس شاطبة وغيرها سنة خمس واربعين وستمائة واستولوا سنة اربع واربعين وخمسمائة على مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة وعلى مرسية صلحا في العام المذكور وحصروا اشبيلية سنة خمس واربعين وستمائة وملكوها في العام القابل وبيان وقائع اخذ الطاغية لهذه المدائن يطول الكلام بذكره وذلك مشتمل على ما تقرح له الاكباد وتنسجم له العيون ولما اخذت قواعد المدائن وامهاتها بالاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز اهل الاسلام الى قطعة من شرق الاندلس كانت بيد المسلمين منهم محمد بن يوسف بن هود الجذامي كان آباؤه لهم ملك بالاندلس من جملة ملوك الطوائف فكان محمد بن يوسف المذكور بمرسية من شرق الاندلس وكان هناك عمال ابني عبد المؤمن فتغلب عليهم واخرجهم واستعان على ذلك ببعض اهل الاندلس وعلمائهم واعيانهم وصار الملك له وخطب لبني العباس وأقام الدعوة لهم ثم كثر المنازعون له والثائرون عليه من المسلمين ومن الفرنج وطمعوا فيه فاضطربت عليه الامور وكان ممن نازعه من المسلمين بنو الاحمر وهم قوم ينتسبون الى سعد بن عبادة رضي الله عنه الانصاري سيد الخزرج في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان تحت ايديهم بعض مدائن بغرب الاندلس فانتزعوا ما كان تحت يد محمد بن يوسف بن هود وضموه الى ما كان تحت ايديهم وكان اول من قام من بني الاحمر محمد بن نصر وكان ابوه نصر في دولة بني عبد المؤمن من امراء الاجناد وكان محمد ابن نصر يقال له محمد الشيخ وبويع سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب لابي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن ابي حفص عمر الهنتاني وكان ابو زكريا المذكور اذ ذاك صاحب تونس وكان قد استفحل ملكه بتونس وافريقية فخلع طاعة بني عبد المؤمن ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين فبايع ابن الاحمر الناس له ليفسد على ابن هود بيعته لبني العباس ودخل مع ابن الاحمر في تلك البيعة اهل جيان وشريش وكان الطاغية في ذلك الوقت محاصرا بلنسية وذلك سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ارسل ابن الاحمر جماعة من اعيان اهل الاندلس لابي زكريا الحفصي بتونس فقدموا عليه وعقدوا له بيعة اهل الاندلس واستصرخوا به يريدون منه النجدة في قتال النصارى فاجابهم الى مطلبهم وعقد ابو زكريا لتلك البيعة يوما مشهوداً بتونس وانشد شاعر اهل الاندلس القصيدة المشهورة التي اولها

* أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا *

* وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا *

وهي قصيدة طويلة بليغة مذكورة في نفح الطيب فاجاب ابو زكريا بيعتهم ولبى دعوتهم وجهز لهم اساطيل فيها المال والرجال فلما وصلوا الاندلس وجدوا الطاغية المحاصر بلنسية قد ملكها ثم ملك مرسية ايضا صلحا وكان ممن قام بالاندلس ايضا ابو محمد داشقيلوله

(واستولى)

استولى على قارش ووادى آش وكان بينه وبين ابن الاحمر مصاهرة وقرابة مع منافسة باطنية استعان به ابن الاحمر على ابن هود وكان ابن هود قبل ان يتغلبوا عليه قد جاءه خطاب وتقليد من الخليفة العباسى المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر فقوى ابن هود ولما جاءه التقليد فبايعه ابن الاحمر وترك الخطبة لابى زكريا الحفصى صاحب تونس وافريقية ثم قام باشبيلية ابو مروان الباجى فداخله ابن الاحمر على ان يزوجه ابنته فاطاعه ابو مروان فدخل ابن الاحمر اشبيلية ثم فتك بابن مروان فقتله ثم ان اهل اشبيلية بعد شهر كاتبوا ابن هود ودخلوا فى طاعته واخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب ابن الاحمر على غرناطة سنة خمس وثلاثين وستمائة بمواطاة من اهلها لجاءته بيعتهم وهو بجيان لجاء الى غرناطة فدخلها وجعلها كرسى مملكته ثم تغلب على مالقة وفى هذه المدة التى وقعت فيها هذه الفتن بين المسلمين بالاندلس قوى امر النصارى وطمعوا فيما بايدى المسلمين وتلقفوا كثيرا من مدائن الاندلس وحصونها وداخلهم ابن هود وهادنهم بالصلح ليدفعوا عنه ابن الاحمر واعطاهم كثيرا من المعاقل والحصون قيل انه اعطاهم ثلاثين حصنا وجعل على نفسه ضريبة لهم كل سنة اربعمائة الف دينار ثم ثار على ابن هود وزيره ابن الرميمى فقتله واستولى على مابيده ثم استولى ابن الاحمر على مابيد الرميمى سنة ثلاث واربعين وستمائة ثم بايع ابن الاحمر اهل ميروقة سنة ثلاث وستين وستمائة وحصل لاعقاب ابن هود فى هذه الفتن خطوب كثيرة وحروب بينهم وبين ابن الاحمر ثم دخلوا فى طاعته فبعث ابن الاحمر ابن اشقيلولة فتسلم منهم مرسية وخطب لابن الاحمر وعوضهم عن مرسية حصنا من عملها سنة ثمان وستين وستمائة ثم انقرضت دولة بنى هود بالكلية وكان ابن الاحمر فى اول امره يداخل النصارى ويستعين بهم على ابن هود فلما داخل النصارى ابن هود واعطاهم الحصون المتقدم ذكرها وجعل لهم الضريبة على نفسه فزع اليهم ابن الاحمر لانهم كفوا عن معاضدته التى كانت منهم له قبل ذلك وصاروا معاضدين لابن هود ثم لما رأى ابن الاحمر امر النصارى يقوى ورآهم تغلبوا على قرطبة وغيرها خاف ان يستولوا على مابيده فسخطهم ونبذ عهدهم وصار محترسا منهم وحاز فى مملكته مدائن بغرب الاندلس وبالمتوسطة من الاندلس من ذلك غرناطة والمرية ومالقة وغيرها وتوفى ابن الاحمر محمد الشيخ بن يوسف بن نصر سنة ستمائة واحدى وسبعين فبويع بعده ابنه محمد الفقيه بن محمد الشيخ وكان ممن بقى من ملوك الاندلس بنو اشقيلولة وكانوا نظراء لابن الاحمر فى الرياسة وبينهم وبينه مصاهرة ومنافسة وكان الرئيس فيهم ابا محمد صاحب مالقة واخاه ابا اسحاق صاحب وادى آش وقارش ثم ان ابن الاحمر محمدا الفقيه فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة بعث جماعة من المسلمين الى بنى مرين يستصرخون بهم ويسألونهم النصرة والاعانة على قتال النصارى وكان فى ذلك الوقت قد تمكن الملك فى مراكش والمغرب الاقصى لبنى مرين وكان الملك فى ذلك الوقت من بنى مرين يعقوب بن عبد الحق

﴿ ذكر اول تجهيز من بنى مرين لغزو النصارى بالاندلس ﴾

لما جاء الصريخ من اهل الاندلس مع الجماعة الذين بعثهم ابن الاحمر محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر جهز السلطان يعقوب بن عبد الحق جيوشا كثيرة من مدينة فاس ومراكش فاجتازت الى الاندلس مع بعض اولاد السلطان يعقوب والتقوا مع النصارى وقاتلوهم أشد

القتال وهزموهم شر هزيمة وملؤا ايديهم من غنائمهم واسلابهم وتحصن النصارى فى حصونهم ومعاقلهم وفى المدائن التى ملكوها ورجع بنو مرين سالمين منصورين ولم يخلصوا فى هذه الغزوة شيأً من المدائن التى ملكها العدو

﴿ غزوة أخرى لبنى مرين الى الاندلس ﴾

فى سنة اربع وسبعين وستمائة جمع امير المسلمين السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى جموعاً كثيفة واستنفر المسلمين من كل ناحية وغزا الاندلس بنفسه فلما وصل طريف لقيه ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة والرئيس ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة فاكرمهما وفاوضهما فى أمر الجهاد ثم امرهما بالرجوع الى بلديهما فانصرف ابن الاحمر مغاضباً لكلمات صدرت من ابن اشقيلولة اغضبته وجاء الخبر للسلطان يعقوب ان زعيم النصارى جمع جموعاً كثيرة يضيق منها الفضاء فرتب السلطان جيوشه للقائه ثم التقوا وتقاتلوا قتالا شديدا وهزم الله النصارى هزيمة قبيحة حتى قال بعض المؤرخين ان المسلمين بعد ان هزموا يوم العقاب الذى كان فى دولة الموحدين فى مدة محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ما انتصروا حتى دخل السلطان يعقوب ابن عبد الحق المرينى الاندلس وفتك بهم وقتل الله زعيم النصارى فى هذه الوقعة وكان اسمه ذننة وقتل من جيشه اكثر من اربعين الفا وهزم الباقون شر هزيمة وملك السلطان من الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك واعز الله به الدين بعد تمرد النصارى ولما قتل ذننة زعيم النصارى فى القتال المذكور بعث السلطان يعقوب رأس ذننة الى ابن الاحمر فقيل ان ابن الاحمر طيبه واكرمه ورده الى النصارى وجعل ذلك صنيعاً عندهم وكرامة لهم وولاية اخلصها لهم وكان ذلك منه انحرافا عن السلطان يعقوب قال ابن خلدون وظهرت شواهده عليه بعد حين ورجع امير المسلمين من غزوته الى الجزيرة منتصف ربيع الاول من سنته فقسم الغنائم فى المجاهدين وما اخذوه من اموال عدوهم وسباياهم واسراهم بعد اخراج الخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرف فى مصارفه وكان مبلغ الغنائم فى هذه الغزوة مائة الف من البقر واربعة وعشرين الفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين اسيرا ومن الكراع اربعة عشر الفا واما الغنم فشئ كثير خارج عن الحصر وكذا السلاح واقام امير المسلمين بالجزيرة اياما

﴿ غزوة اخرى ﴾

بعد فراغ الغزوة السابقة ورجوع السلطان الى الجزيرة واقامته اياما خرج غازيا من الجزيرة الى اشبيلية فجاس خلال ديارها وتتبع اقطارها ونواحيها واقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعمرانها ثم ارتحل الى شريش فاذاقها وبال العيث والاكتساح ثم رجع الى الجزيرة بعد شهرين ثم رجع الى المغرب من السنة المذكورة بعد ان رتب فى الاندلس جيشا يقيم هناك ليدوم الغزو والجهاد للكفار

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين للاندلس ﴾

فى سنة ست وسبعين وستمائة تجهز السلطان يعقوب بن عبد الحق وسار بجموعه ونزل بطريف آخر المحرم ثم ارتحل الى رندة ووافاه الرئيسان ابو محمد ابن اشقيلولة صاحب مالقة واخوه ابو اسحاق صاحب قمارش يريدان الغزو معه ولم يأته ابن الاحمر محمد الفقيه صاحب غرناطة

وارتحل السلطان ومن معه الى منازلة اشبيلية وكان باشبيلية اذذاك ملك الجلالقة ابن اذفونش
فنار وجبن عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن اهله فرتب امير المسلمين جيوشه وجعل
ابنه يوسف فى المقدمة وزحف فى التعبية فانحجز العدو الى البلد واقتحموا أثرهم فى الوادى
واثخنوا فيهم الى ان جاء الليل وبات العسكر ليلتهم على ظهور خيولهم وقد اضرموا النيران
بساحة العدو وضربوا الحصار عليهم وبثوا السرايا والغزوات فى سائر النواحى حتى أبادوا
عمرانها وملكوا حصن قطيانة عنوة وكذا حصن جليانة وحصن القليعة واثخنوا فى القتل
والسبى ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة الخضراء بالغنائم فارتحل وقسم الغنائم فى المجاهدين

غزوة اخرى

فى منتصف ربيع الثانى من السنة المذكورة ارتحل السلطان من الجزيرة الخضراء غازيا الى شريش
فاذاقها نكال الحرب واقفر نواحيها وقطع اشجارها وحرق كثيرا من ديارها واعمالها ونواحيها
واثخن فيها بالقتل والاسر وتحصن العدو بمدينة شريش وجبن عن اللقاء فاراد السلطان اخذ
الاطراف ليسهل حصار البلد وبعث ابنه يوسف فى سرية للاغارة على اشبيلية وحصون الوادى
فبالغ فى النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطر ثم صبح اشبيلية وانكفا
الى امير المسلمين فقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فاراحوا وقسموا الغنائم فى المجاهدين

غزوة اخرى

ثم لما كان السلطان بالجزيرة الخضراء حث المسلمين على غزو قرطبة ورغبهم فى عمرانها وثروة
مساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى جانبه وارسل لابن الاحمر يستنفره ودارت بينهما
مكاتبات فيها عتاب [illegible] به ما كان فى نفس ابن الاحمر فعزم على لقاء السلطان وخرج امير
المسلمين من الجزيرة الخضراء لاول جمادى ووافاهم ابن الاحمر بناحية ارشدونة فاكرم وصوله
فنازلوا جميعا حصن بنى بشر وملكوه عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء ونقلوا
الاموال وخربوا الحصن ثم بث السرايا والغارات فى البسائط فاكتسحها وامتلأت
الايدى وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران فى طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة
وانحجزت حامية العدو من وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم فى نواحيها
فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها
وملكوا حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وجبن العدو عن اللقاء وأيقن بخراب العمران
فجنح الى السلم وارسل لامير المسلمين يطلب السلم فدفعه الى ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه
تكرمة لمشهده ووفاء بحقه فأجابهم ابن الاحمر الى الصلح بعد عرضه على امير المسلمين واذنه
فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل امير
المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر احتفالا به وخرج له امير
المسلمين عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وقال له السلطان يعقوب يكون حظ بنى
مرين من هذه الغزوة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين مع اهل الاندلس يوم
الزلاقة ودخل امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء فى اول رجب من العام المذكور فأراحهم ونظر
فى ترتيب المصالح على الثغور وكان بنو اشقيلولة مع امير المسلمين فى هذا الغزو وفارقوه بعد فراغ

الغزو ولما قفلوا اعتل ابو محمد صاحب مالقة ثم مات غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد السلطان آخر شهر رمضان وهو بالجزيرة فنزل للسلطان عن مالقة ودعاه الى احتيازها لانه رأى ابن الاحمر يطمع فى انتزاعها منه ولا قدرة له على دفاعه وقال للسلطان ان لم تحزها اعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن الاحمر فقبلها السلطان منه وعقد عليها امير المسلمين لابنه ابى زيان منديل ثم سار امير المسلمين اليها بعد انقضاء شهر الصيام فوافاها سادس شوال وبرز اليه اهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال ايام الزينة سرورا بقدومه ودخولهم فى ايالته واقام فيها الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى وكان من صنائعه ودولتهم وانزل معه المسالح وزيان ابنه ابى عباد بن عبد الحق فى طائفة من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد ابن اشقيلولة ولما علم ابن الاحمر ان امير المسلمين تملكها شق عليه ثم ارتحل السلطان الى الجزيرة ثم الى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب بما اعطاه الله من نصر المسلمين لكن نشأ من تملكه مالقة غيظ لابن الاحمر وعظم عليه الامر فتظاهر بطاغية النصارى واتفق معه على منع دخول السلطان الاندلس بعد هذه المرة ان اراد ذلك فاغتنم الطاغية مظاهرة ابن الاحمر له فنكث عهد امير المؤمنين واغزى اساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره واحتال ابن الاحمر على عامل مالقة وأخذها منه وراسلوا بعض الثائرين على السلطان بالمغرب وحثوهم على افساد الثغور واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش وبلغه ان المسلمين فى الجزيرة الخضراء فى شدة من ضيق الحصار فعقد لابنه على الغزو واغزى الاساطيل فى البحر الى جهاد العدو

﴿ غزوة اخرى لبنى مرين بالاندلس ﴾

لما بلغ امير المسلمين ما تقدم من نكث الطاغية العهد ومظاهرة ابن الاحمر فعقد السلطان لابنه فوصل الى طنجة فى شهر صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة واوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم الاعطاآت واستنفر الناس فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت ولما رأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة الخضراء من حصار الطاغية لها واشرافه على اخذها اخذته الحمية الاسلامية واعد اساطيله وكانت اثنى عشر وبعثها مددا للمسلمين واغاثة لهم وكانت اساطيل امير المسلمين تناهز السبعين [illegible] اثنين وسبعين وبعث الامير صاحب سبتة خمسة واربعين اسطولا واساطيل الطاغية تناهز اربعمائة وتلاقوا مع العدو واخلصوا لله عزائمهم وصدقوا فى نياتهم ووعظهم خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نفحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى البحر فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون اساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل عسكر الطاغية ودخلهم الرعب وخرج الناس المحصورون من البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته فغنموا كثيرا من الحنطة والادام والفواكه حتى ملؤا اسواق البلد من ذلك اياما واجاز الامير يوسف من حينه الى الاندلس وارهب العدو فى كل ناحية ثم صده عن التوسع شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى ان يعقد مع الطاغية صلحا ويصل به يدا ليناز غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة

على ابن الاحمر فى اعداده المدد لاهل الجزيرة وتظاهر الطاغية بالعداوة لابن الاحمر و بعث الطاغية اساقفته لعقد الصلح فأجازهم الامير يوسف الى ابيه امير المسلمين فغضب لذلك وأنكر على ابنه ولم يرض بما اراده ابنه وزوى عنه وجه رضاه وارجعهم الى طاغيتهم مخفق السعي وجاء اهل الجزيرة الخضراء الى امير المسلمين فلقوه بأرض السوس فولى عليهم ابنه ابا زيان منديل فنزل بالجزيرة واتم الصلح مع الطاغية ونازل المرية برا و بحرا وكانت لابن الاحمر فامتنع اخذها عليه وانضوى اليه اهل الحصون القريبة بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ونازل الطاغية ابن الاحمر بغرناطة وحاصره فراجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين و بعث لابى زيان ابن السلطان فى طلب الصلح فأنهى الامر الى ابيه فأشفق السلطان على المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من منازلة الطاغية فراسله السلطان الى ان تم الصلح بينه و بين ابن الاحمر وارتحل الطاغية من غرناطة واشترط السلطان على ابن الاحمر ارجاع مالقة للسلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

من لطف الله بالمسلمين وعنايته ببنى مرين ان اوقع الخلف بين الطاغية ابن اذفونش وابنه شانجة حتى سلب اباه ملكه وتغلب عليه فوفد على السلطان بطارقة الطاغية وزعماء دولته مستصرخين على ابنه شانجة مخبرين بأنه خرج على ابيه فى طائفة من النصارى فغلبوه على امره فجاؤا يطلبون النصرة من امير المسلمين ليرجع للطاغية ملكه و ينتزعه من ابنه ففرح امير المسلمين بافتراقهم وأحب الدخول الى الاندلس ليقضى مأربه من جهاد الكفار فأجاب امير المسلمين رسل الطاغية ووعدهم بالقيام مع الطاغية ليرجع ملكه اليه و ينتزعه من ابنه الغاصب له فأوعز الى الناس بالجهاد وامرهم بالنفير وجهز الجيوش واجاز الى الجزيرة الخضراء فاحتل بها فى ربيع الثانى سنة احدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه الطاغية بنفسه ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فاكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هنالك من جموع المسلمين والفرنج والتمس الطاغية من السلطان ان يمده بشئ من المال يستعين به فأمده لنفقاته بمائة الف من مال المسلمين استرهن فيها الطاغية تاجه وبقى بيد المسلمين فخرا للاعقاب ودخل السلطان معه دار الحرب حتى نازل قرطبة وبها شانجة ابن الطاغية الخارج على ابيه السالب الملكه فقاتلها اياما ثم تنقل فى جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث فى جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى الثغر فامتلأت ايدى المسلمين من الغنائم وضاق معسكره منها ورجع السلطان الى الجزيرة فاحتل بها فى شعبان من السنة ولما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشى ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج على ابيه ووصل يده بيده واكد له العقد واضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم يغن ذلك شانجة شيأ فلم يزل السلطان مع الطاغية حتى ظهر على ابنه وذلك ان السلطان كان اشترط على ابن الاحمر ارجاع مالقة فلم يفعل فنهض السلطان الى مالقة ونازلها فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون القريبة ثم حاصر مالقة فضاق النطاق على ابن الاحمر فالتجأ الى

الامير يوسف ابن السلطان وخاطبه مستصرخا لرقع هذا الخرق وجمع كلمة الاسلام فأجابه وأجاز لشهر صفر فوافى السلطان امير المسلمين بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر والتجافى عن مالقة فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل فى ذلك من رضاء الله فى جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط امل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا فى دار الحرب فأوغلوا واثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى من سنة ثنتين وثمانين وستمائة حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح حصونا ثم رجع الى الجزيرة فى شهر رجب وقسم الغنائم ثم رجع الى المغرب وفى فاتح سنة ثلاث وثمانين بلغه مهلك الطاغية ابن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج على ابيه فتحركت الى الجهاد عزائم السلطان

﴿ غزوة اخرى ﴾

فى سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على جهاد العدو بالاندلس فجمع الجيوش ونهض [illegible] اكش فى شهر جمادى الآخرة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى صومه ثم [illegible] الجند الى الجزيرة الخضراء الى خاتمة سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة اربع وثمانين ولما انتهى [illegible] سرح الجنود فى بلاد العدو وبث السرايا والغارات فى جميع النواحى فأثخنوا القتل والتخريب والسبى [illegible] والذرية وركب غازيا بنفسه كثيرا من تلك الجهات وجرى فى هذه الغزوات ما يطول الكلام بذكره وتمداد الجهات والحصون التى اخربوها وسلبوا ما فيها وبقى النصارى متحصنين فى حصونهم المنيعة لا يقدرون على المبارزة للقتال ولا على الخروج من حصونهم فاستيقن الطاغية شانجة واهل ملته ان بلادهم قد فنيت وارضهم قد خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى امير المسلمين فى كف عاديته عنهم واجتمع النصارى الى طاغيتهم شانجة خاشعة ابصارهم وسألوه ان يبعث الى امير المسلمين الملأ من كبار النصارى يسألونه الصلح فأجابهم شانجة الى ما دعوه اليه وأوفد الى امير المسلمين وفدا من بطارقتهم وكبار دولتهم فردهم امير المسلمين اعتزازا عليهم فأعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان يشترط امير المسلمين ماشاء من عزدينه وقومه فأسعفهم امير المسلمين لما تيقن عن ذلهم لعز الاسلام ولانه اراد الرجوع الى المغرب لاصلاح ما فسد من الرعايا بقيام بعض الثوار الخارجين عن طاعته فعقد الصلح مع طاغية النصارى واشترط عليهم ما اراد من ذلك انهم يقفون عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك اوعداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين المقيمين بدار الحرب من ممالكهم وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة

﴿ ذكر وفادة الطاغية على السلطان ﴾

لما رجعت رسل الطاغية اليه بعد عقد الصلح وفد على الطاغية رسل ابن الاحمر ليعقد السلم معه دون امير المسلمين وان تكون يده ويده واحدة على السلطان فأخبرهم بما عقده مع امير المسلمين ثم قال هذا امير المسلمين ولست اطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ثم اشار عليه بعض رجال دولته بالوفادة على امير المسلمين لتتمكن الالفة فقبل اشارتهم والتقى قبل ذلك بولى عهد امير

الدين وهو ابنه يوسف وكان نازلا على فراسخ من شريش فلقيه وبات فى معسكر المسلمين ثم ارتحل من الغد للقاء امير المسلمين فامر المسلمين بالاحتفال للقاء الطاغيـة وقومه واظهار شعار الاسلام وابهته فاحتفلوا واظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية فلقيه امير المسلمين باحسن مبرة واتم كرامة يلبق بهامثاله من عظماء الملل وقدم هدية سنية لامير المسلمين وابنه فقبلاها منه وقابلاه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد الصلح وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام وانقلب الى قومه وسأله السلطان ان يبعث له من كتب المسلمين التى استولى عليها النصارى فلما رجع بعث اليه ستة عشر حملا وقفل امير المسلمين الى الجزيرة فى آخر شعبان وصام بها رمضان ثم أعمل نظره فى الثغور وترتيب المسالح ثم اعتل وهو بالجزيرة واستمر به المرض الى ان توفى لآخر المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة فكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وكان ابنه ولى عهده فى اقصى المغرب بعثه ابوه لتفقد الاحوال وهو ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فأخذ البيعة له وزراء ابيه وعظماء قومه وحضر بنفسه فى شهر صفر فأخذوا البيعة على الخاصة والعامة وكان اول شئ احدث من امره ان بعث الى ابن الاحمر وضرب موعد اللقائه فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع فلقيه هو بمبرة وتكريم وتجاوز له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكة والده السلطان يعقوب ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا على اكمل حالات المصافات والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فوافاه بها الطاغية شانجة فجددوا عقد السلم الذى عقده له امير المسلمين يعقوب رحمه الله فأجابه

غزوة اخرى

فى سنة سبع وثمانين نما الخبر للسلطان يوسف بن يعقوب بان الطاغيـة انتقض العهد وتجاوز التخوم واغار على الثغور فارسل السلطان الى قائد المسالح بالاندلس ان يدخل الى دار الحرب وينازل شريش ويشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك وجاس خلالها وتوغل فى اقطارها وابلغ فى النكاية وفصل السلطان فى ربيع الآخر سنة تسعين من تازى غازيا واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغيـة اساطيله فالتقوا مع اساطيل السلطان فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ووقعت عليهم هزيمة قدرها الله عليهم واستشهد كثير منهم محصهم الله تعالى ثم اغزاله ثانيا فجبنت اساطيل الطاغيـة عن اللقاء ثم ملكتها اساطيل السلطان

غزوة اخرى

ثم أجاز السلطان بنفسه فى اواخر رمضان سنة احدى وتسعين واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصنا منيعا ثلاثة اشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى ارض العدو ورد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى ان بلغ الغاية فى النكاية للعدو والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح سنة اثنتين وتسعين

غزوة اخرى

فى سنة اثنتين وتسعين تظاهر ابن الاحمر والطاغية واتفقا على منع السلطان ان اراد الجهاد

بعد المرة السابقة وسبب ذلك انه لما أجاز السلطان الى الاندلس سنة احدى وتسعين وابلغ من نكاية العدو اهم الطاغيـة أمره وثقلت عليـه وطأته وحذر بن الاحمر ايضـا غائلة السلطان ورأى ان مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وان يغلبه على امره ويستلبه ملكه ففاوض الطاغيـة وتحدثوا ان استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حواليه فان ذلك يسهل عبور شوانيهم وسفنهم وان ام تلك الثغور طريف وانهم اذا استمكنوا منها وملكوها من المسلمين تكون اساطيلهم بمرفاها بمرصد أساطيل المسلمين فتمنع عبورها فاعتزم الطاغية على منازلة طريف ليتملكها وزعم له ابن الاحمر مظاهرته على ذلك ووعـده بالمدد وارسال الميرة لاقوات العسكر ايام منازلتهـا ووعـده الطاغية انها تكون لابن الاحمر ان خلصت من ايديهم فأناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف والح عليها بالقتال ونصب الآلات واحتلت اساطيله ببحر الزقاق فحالوا بين صريخ المسلمين ووصوله الى السلطان وجمع ابن الاحمر عساكره على طريف وهيأها قريبا منه وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات واتصلت هذه الحال اربعة اشهر حتى اصاب اهل طريف الجهد ونال منهم الحصار غاية المشقة فراسلوا الطاغية فى الصلح والنزول عن عمر من سنتهم الجهم واستنزلهم ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر ان الطاغية يسلم طريف حسبما البلد وجميع النواحى [illegible] استأثر بها بعد ان كان ابن الاحمر [illegible] الطاغية عن كان الوعد بينهما فأعرض الطاغية عن [illegible] لابن الاحمر [illegible] ستة من الحصون عوضا عنها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر يطلب التمسك بالسلطان ليستعين به على الطاغية فأوفد ابن عمه اباسعيد ووزيره اباسلطان الدانى فى وفد من رجال دولته على السلطان لتجديد العهد وتقرير المعذرة فوافوا السلطان فقبلهم وقبل مااعتذروا به وأحكموا الصلح ورجعوا لابن الاحمر باسعاف غرضه من المواخاة وقد ذكرنا فيما تقدم انه كان جيش لبنى مرين مقيما بالاندلس دائما للغزو فقدر الله ان فى خلال ذلك توفى قائد الجيش الذى بالاندلس لبنى مرين فعقد السلطان لابنه ولى عهده ابى عامر على ثغور الاندلس التى فى طاعته مع النظر فى امر الجيش الذى بالاندلس وانفذه الى قصر الجاز بعساكر فوافاه ابن الاحمر هنالك وقدم له هدية وللسلطان هدية ايضا فتلقاه الامير ابو عامر واحتفل فى مبرته ثم قدم ابن الاحمر على السلطان فوافاه بطنجة فبالغ فى تكرمته وبسط له ابن الاحمر العذر فى شأن طريف فقبل عـذره ونز[ل] ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل ذلك لسلطان المغرب وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتمة سنة ثنتين وتسعين محبوا مجبورا وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد السلطان على حربها لوزيره عمر الحرباش فنازلها مدة فامتنع عليه اخذها فافرج عنها وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة واجتمع النصارى على ابنه اذفونش هراندة وحصل قيام ثائرين من المسلمين بتلمسان خرجوا عن طاعة السلطان فاعتزم السلطان على التجهيز والمسير اليهم بنفسه وانتشر بذلك فتنة يطول الكلام بذكرها فسار السلطان بجيوشه اليهم وطالت تلك الفتنة الى سنة احدى وسبعمائة ومات ابن الاحمر فى هذه السنة بالاندلس وقام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع بن محمد الفقيه بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وبعث ولده للسلطان بتلمسان فأحكموا الامر والعهد بينهما وكتب

السلطان الى رجاله المقيمين بثغور الأندلس فى اعانتهم وامدهم بالرجال سنة ثنتين وسبعمائة فكانت لهم نكاية فى العدو ثم بدا لابن الاحمر محمد المعروف بالمخلوع ان يصل يده بالطاغية هراندة بن شانجة فكاتبه واحكم عقد السلم بينه وبينه واتصل الخبر بالسلطان وهو محاصر لتلمسان فسخطه واستفزه الصريخ فبعث ابنه ابا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر واستمد ابن الاحمر لمدافعة ابن السلطان فداخل اهل سبتة فى خلع السلطان والقبض على عامله فتم له ذلك فسار ابو سالم ابن السلطان بعساكره الى سبتة وحاصرها مرة ثم بيتوه ليلة فاختل معسكره فأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان واعتزم على النهوض لذلك بنفسه الا انه قد اشرف على فتح تلمسان فلم يمكنه النهوض بنفسه وكانت هذه الفتنة متصلا بعضها ببعض وانجر الامر فيها الى سنة ست وسبعمائة فقدر الله بهلاك السلطان يوسف وهو محاصر تلمسان طعنه خصى من عبيده وهو على غفلة بمواطاة وزير من وزراء السلطان ثم صار الاختلاف الكثير بين اولاده واختلف بنو مرين فيمن يختارونه للملك منهم وبايعوا بعضهم ثم خلعوه وبايعوا آخر ثم خلعوه وبايعوا آخر من اخوته والكلام على ذلك طويل لا حاجة بنا الى ذكره ووقعت بينهم مع بعضهم فتنة هائلة واستمر الامر بينهم الى سنة عشر وسبعمائة فاستقر الملك لاخى السلطان يوسف المأمون واخوه الذى استقر الامر له هو ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وفى خلال هذه الفتن قتل بالاندلس ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه اخاه محمد المخلوع بن محمد الفقيه بن الاحمر وذلك سنة ثمان فثار عليه ابن عمه ابو الوليد اسماعيل بن فرج الملقب بالرئيس ابن سعيد بن اسماعيل بن يوسف بن نصر وانقطع الملك عن اولاد محمد الشيخ بن يوسف بن نصر وصار فى اولاد ابن سعيد فرج الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر لانه لما ثار ابو الوليد على ابى الجيوش صالحه ابو الجيوش سنة سبع عشرة وسبعمائة على الخروج الى وادى آش فلحق بها وجدد له بها ملكا الى ان مات سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة ودخل ابو الوليد غرناطة فأصل لنفسه وبنيه ملكا وفى هذه المدة التى كانت فيها هذه الفتن اغتنم الطاغية الفرصة ونازل الجزيرة الخضراء ثم أقلع عنها على صلح بعد ان [illegible] الحصار شدة وبعده نازل جبل الفتح المسمى جبل طارق وتقدم ان طارقا هو اول من [illegible] وتسميه العامة الآن جبل الطار فتغلب عليه الطاغية وتملكه وذلك سنة تسع وسبعمائة [illegible] راسل هراندة ابن اذفونش مع صاحب برشلونة وامره ان يشغل اهل الاندلس من ورائهم فنازل المرية وحاصرها ونصب عليها الآلات وحفر العدو تحت الارض سربا بمقدار مايسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون لذلك فاحتفروا قبالتهم مثله الى ان نفذ بعضهم الى بعض فاقتتلوا من تحت الارض وبعث ابن الاحمر عسكرا امددا لاهل المرية ونبذ عهد الطاغية فلقيهم جمع النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عسكر ابن الاحمر واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية واقامت عسكر الطاغية على سماتة واسطبونة وزحفت عسكر بنى مرين المقيمون بالاندلس للجهاد على عسكر اسطبونة وقتلوا قائده الفنش وثلاثة آلاف من قومه ودخل بعض عسكر المسلمين برجين فحاصرهم جموع النصارى فجاء مدد للمسلمين فانفض النصارى المحاصرون له وكان الطاغية بظاهر الجزيرة فارتحل يريد لقاء مدد المسلمين فخالف اهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وصار للمسلمين الكرة وامتلأت ايديهم من غنائمهم وأسراهم ثم ذلك

الطاغية اثناء هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وسبعمائة وهو هراندة ابن شانجة وولي بعده ابنه الهنشة وكان طفلا صغيرا جملوه تحت نظر عمه دون بطرة ابن شانجة معزعيم للنصارى اسمه جوان فكفلاه واستقام امرهم على ذلك وشغل السلطان ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب بشأن ابنه على فانه خرج على ابيه وكان بينهما مايطول ذكره فاغتنم النصارى الفرصة وقوى امرهم بالاندلس فزحفوا على غرناطة كرسي سلطنة ابن الاحمر سنة ثمانية عشرة وسبعمائة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم فبعث اهل الاندلس صريخهم الى السلطان ابى سعيد وهو فى شغله فيما كان بينه وبين ابنه وكان بالاندلس كما تقدم جيش لبنى مرين جملوه مقيما دائما بالاندلس لقصد الجهاد ودفع العدو وكان الرئيس على اولئك المجاهدين عثمان ابن ابى العلا ادريس ابن عبد الله بن عبد الحق المرينى فلما جاء صريخ اهل الاندلس للسلطان ابى سعيد اعتذر اليهم السلطان بسبب ماهو مشغول به من امر ابنه واعتذر اليهم ايضا بوجود عثمان بن ابى العلا رئيس الجيوش بالاندلس وكان له قوة ورياسة وكان السلطان يخشى منه التغلب على السلطنة فتفترق كلمة بنى مرين فشرط عليهم ان يقبضوا على عثمان ابن ابى العلا ويدفعوه اليه برمته فيبقى عنده ويبعث اليهم من يقوم بتدبير جيوش بنى مرين بالاندلس مع مايمكنه من ارسال العساكر ثم اذا تم الجهاد يعيد ابن ابى العلا اليهم احتياطا على المسلمين لئلا تفترق الكلمة فلم يمكنهم ذلك لقوة رياسة عثمان بن ابى العلا بعصابته من قومه فأخفق سعى هؤلاء المستصرخين بالسلطان ولم تحصل لهم نجدة منه واطالت امم النصرانية الحصار على غرناطة واكثروا الجيوش وطمعوا فى تملكها ثم ان الله تعالى نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته كما ستراه مذكورا حالا فى هذه الغزوة العظمى

﴿ غزوة عظمى ﴾

لما اراد الله حصول النصر والفرج للمسلمين الذين حاصرهم العدو بغرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وفق الله شيخ الغزاة من بنى مرين المقيمين بالاندلس للجهاد وهو عثمان بن ابى العلا المتقدم ذكره حتى كان النصر بسببه واعانته فكانت هذه من الغرائب والعجائب بل هى من اعظم معجزات النبى صلى الله عليه وسلم فى نصرة الله لامته والقصة طويلة وملخصها ان النصارى عزموا فى ذلك العام على استئصال المسلمين واخراجهم من الاندلس بحيث لايبقى شئ من الاندلس تحت يد المسلمين فتجهزوا لغزو غرناطة التى فيها ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر وأتاها الطاغية دون بطرة فى جيش لايحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا من ملوك الفرنج وكان النصارى وملوكهم قبل ذلك رحلوا الى من يرجعون اليه فى دينهم وهو البابا صاحب رومة فدخل ملكهم دون بطرة صاحب طليطلة على البابا وسجد له وتضرع وطلب منه استئصال من بقى من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالسلطان ابى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى صاحب فاس ومراكش وأنفذوا اليه رسلا فاعتذر منهم كما تقدم بيانه فرجعوا الى اعظم الادوية وهو الالتجاء الى الله تعالى واخلصوا النيات مع حصول غاية الاضطرار واقبل الافرنج فى جموع لا تحصى فتضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزيمة جيش النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مشهودا وكان سلطان الاندلس اذ ذاك الغالب بالله ابو

الوليد اسماعيل ابن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وشيخ الغزاة المقيم بالاندلس من بنى مرين الشيخ العالم ابو سعيد عثمان بن ابى العلا ادريس بن عبدالله بن عبدالحق المرينى فاجتهد ابن الاحمر فى تحصين البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك التحصين عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك عزموا على استيصال المسلمين وتوجهوا الى طليطلة ليكملوا التأهب بذلك فأعدوا غاية الأهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات والمراكب ووصل العدو الى غرناطة كرسى ملك ابن الاحمر وامتلأت الارض بهم فتقدم ابن الاحمر الى شيخ الغزاة ابى سعيد عثمان بن ابى العلا وسأله الخروج للجهاد واتباع المسلمين بمن معه من الغزاة والشجعان فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين من ربيع الاول سنة تسع عشرة وسبعمائة ولما كانت ليلة الاحد اغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرج اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية امامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم فكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب شيخ الغزاة لقتال العدو فى خمسة آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركب النصارى بجملتهم وحملوا عليهم فقاتلهم المسلمون اشد القتال وهزم الله الفرنج اقبح هزيمة واخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة ايام وقتل الله دون بطرة ملك النصارى وقتل الملوك الخمسة والعشرين الذين كانوا معه بجمعهم وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا على اموال عظيمة منها من الذهب ثلاثة ولعربون قنطارا ومن الفضة مائة واربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف وكان من جملة السبى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى من النصارى فى هذه الغزوة على خمسين الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطرق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون واستمر البيع فى الاسرى والاسباب والدواب ستة اشهر ووردت البشائر بهذا النصر الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة انفس وكان عسكر المسلمين خمسة آلاف وخمسمائة منهم الف وخمسمائة فارس واربعة آلاف رجالة وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنوات وطلب النصارى الهدنة فعقدت لهم وكانت هذه الغزوة سنة تسع عشرة وسبعمائة وكانت وفاة شيخ الغزاة عثمان بن ابى العلا سنة ثلاثين وسبعمائة وعمره ثمان وثمانون سنة واستوفى فى المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة رحمه الله تعالى ورضى عنه وكتبوا على قبره ترجمة طويلة تدل على علو شانه فى العلم والعمل والاخلاص فى الجهاد وكانت وفاة ابن الاحمر سنة سبع وعشرين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحجاج يوسف وتوفى السلطان عثمان المرينى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المرينى

* *
*

﴿ ذكر استخلاص جبل الفتح من النصارى ﴾

قد تقدم ان الطاغية تملك جبل الفتح سنة تسع وسبعمائة وكان هذا الجبل للمسلمين من احسن الثغور وكان شجا فى حلق العدو وهو فاصل بين افريقية والاندلس فأهم المسلمين شأنه وكان ابن الاحمر قدم على السلطان فى سنة اثنتين وثلاثين فأكبر مقدمه واركب المسلمين للقائه وبالغ فى اكرامه فتذاكر معه فى شأن استخلاص الجبل المذكور فاتفقا على التجهيز لاستخلاصه فأمر السلطان ابو الحسن بالتجهيز لاستخلاصه وعقد لابنه الامير ابى مالك على جيش من بنى مرين وانفذه مع ابن الاحمر لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وارسل ابن الاحمر حاشرين فى الاندلس يجمعون الناس ويستنفرونهم لذلك فتسايلوا اليه واجتمع معسكرهم جميعا بساحة جبل الفتح وأبلوا فى حربه ومنازلته بلاء حسنا الى ان تغلبوا عليه وملكوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة وقتلوا من كان به من النصرانية وغنموا ما كان معهم ووافاهم الطاغية ومعه امم كثيرة مددا لقومه بعد مضى ثلاثة ايام من الفتح وقد شحنه المسلمون بالاقوات ونقلوها من الجزيرة على خيولهم ولما وصل الطاغية اناخ بجيوشه عليه وبرز ابو مالك بعساكره فنزل بحذائه ونزل ايضا عسكر الاندلس بحذاء الطاغية وتحصن العدو فى محلتهم فبادر ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه وتلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له فسأله ابن الاحمر الافراج عن هذا المعقل فرأى الطاغية ان تملكه الجبل وانتزاعه من المسلمين شديد عسر عليه فأجاب ابن الاحمر الى ما سأل وأتحفه بذخائر مالديه وارتحل لفوره واخذ الامير ابو مالك فى تثقيف اطراف الثغر وسد فرجه وانزل الحامية به ونقل الاقوات وكان هذا الفتح فتحا طوق دولة السلطان ابى الحسن قلادة الفخر طول الدهر وكانت مدة منازلة المسلمين الى ان ملكوه ستة اشهر ثم اراد السلطان ابو الحسن ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع العدو فى منازلته ولا يجد طريقا للتضييق عليه عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق السلطان كثيرا من الاموال وارضى العمال حتى بنى سورا احاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ثم زاد فى التحصين بعده ابنه ابو عنان

﴿ ذكر غزوة السلطان ابى الحسن الى الاندلس ﴾

كان السلطان ابو الحسن بعد استيلائه على جبل الفتح اشتغل بقتال جماعة ثائرين عليه بتلمسان واستمر ذلك الى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فرجعوا الى طاعته فتوجهت همته بعد ذلك لغزو النصارى بالاندلس فقصد اولا ولاية ابنه ابى مالك على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وكان الطاغية مدة اشتغال السلطان بقتال اهل تلمسان قد اعتز على المسلمين ونازل السلطان ابا الوليد ابن الاحمر بغرناطة مرارا ووضع عليه جزية فتقبلها لعدم قدرته على دفاعه واقبل الطاغية على التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان ابو الحسن من شأن اهل تلمسان دعته نفسه الى الجهاد فأوغر الى ابنه الامير ابى مالك امير الثغور سنة اربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه عساكر كثيرة ثم شخص بنفسه غازيا فتوغل فى بلاد الطاغية واكتسحها واكثر القتل والسبى وغنم عساكره غنائم كثيرة فلما شرع

فى الرجوع عن ارضهم اتصل به الخبر بان النصارى جموا له وأجدوا السير فى اتباعه فشار عليه وزراؤه بالخروج من ارضهم وان يصير الى مدن المسلمين ويتحصن بها فامتنع من الرجوع وكان قرما ثابتا الا انه غير بصير بالحروب لصغر سنه فصبحهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل ان يركبوا وادركوا الامير اباماللث قبل ان يركب على فرسه فقتلوه وكتب الله له الشهادة وقتلوا كثيرا من قومه واحتووا على عسكره بما فيه من الاموال ورجعوا على اعقابهم واتصل الخبر بالسلطان ابى الحسن ففجع لهلاك ابنه واسترجع واسترحم له واحتسب عند الله اجره وشرع فى اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجند وأزاح عللهم واستنفر اهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد فتسامعت ام النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية اسطوله الى الموضع المعروف عندهم بالزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى العدو وبعث الى ملوك بنى حفص بافريقية بتجهيز اسطولهم اليه فبعثوا اليه عشرين اسطولا مشحونة بالعساكر وتوافت اساطيل المسلمين بسبتة تناهز المائة فاجزوا اسطول النصارى التى بالزقاق وزحفوا اليهم وتوانفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الاقليل حتى هبت ريح النصر واظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى اساطيلهم واستلحموهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح والقوا اشلاءهم باليم وقتلوا قائدهم واستاقوا اساطيلهم الى مرسى سبتة واستولى المسلمون عليها فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤس العدو فى جوانب البلد ونظمت اصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان ابو الحسن للتهنئة وانشدت الشعراء القصائد بين يديه وكان يوما من اعز الايام ولله الحمد والمنة ثم شرع السلطان فى اجازة من عنده من العساكر الغزاة والمتطوعة والمرتزقة ولما استكمل اجازة العساكر اجازهو فى اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة اربعين ونزل بساحة طريف واناخ بعساكره عليها وهى بيد النصارى واحاط عسكره بفنائها ووافاه سلطان الاندلس ابن الاحمر بعسكر الاندلس واحاط الجميع بطريف نطاقا واحدا ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال حصارهم البلد ففنيت ازودتهم وافتقدوا العلوفات واختلت احوال العسكر واحتشد الطاغية ام النصرانية واعانه البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف على المسلمين لستة اشهر من نزلتهم ولما قرب معسكرهم ارسلوا قطعة من جيش النصارى الى طريف فدخلوها ليلا على غفلة من العسس واحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وادركوا اعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان وقالوا له لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد فى جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب القتال كان للعدو جيش كمين فبرز وخالفوهم الى معسكر السلطان وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعهم عنهم من كان عند الفسطاط للحراسة فاستلحموهم وقتلوهم وكان مع السلطان فى هذه الغزوة بعض نسائه فوصل هؤلاء الهاجون الى النساء فدافع النساء عن انفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه ابى يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت سلطان افريقية ابى يحيى الحفصى وغيرهن من حظاياه فقتلوهن عن آخرهن واستلبوهم وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا

المعسكر نارا وأحس المسلمون الذين يقاتلون الكفار بجاورائهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على اعقابهم بعدان كان ابن السلطان هجم فى طائفة من قومه حتى خالط الكفار فى صفوفهم فأحاطوا به وقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية بنفسه الى فسطاط السلطان ابى الحسن وانكر على قومه قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى اثره ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة كرسى ملكه وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب الى سبتة ومحص الله المسلمين واجزل ثوابهم ولما رجع الطاغية من طريف استأسد اى صار كالأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة على مرحلة منها وجمع الآلات والايدى على حصارها واشتد مخنقتها واصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه وذلك سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وانصرف الى بلده واما السلطان ابو الحسن فانه لما اجاز الى سبتة ألزم نفسه بالعود الى الجهاد وذهب الى فاس وبعث فى الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل منها عدة وافرة ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره وبعث الى الجزيرة بعض اقارب الوزير وبعث اليهم مددا وبلغ الطاغية الخبر فجهز اسطوله واجراه الى بحر الزقاق للمدافعة وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم اعداد وتغلب اسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوا دور المسلمين واقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى اناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفا اساطيل المسلمين وأمل ان ينتظمها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع بالآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ اهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان ابو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح على سبيل الممانعة واقام السلطان ابو الحسن بمكانه من سبتة ايبعث المدد من الفرسان والمال والميرة فلم يغنهم ذلك شيأ واشتد الحصار عليهم واصابهم الجهد واجاز اليه السلطان ابن الاحمر ليفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الجواز مكرا به وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاقت احوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على ان ينزلوا عن البلد فبذل الامان لهم وخرجوا فوفى لهم واجازوا الى المغرب وذلك سنة ثلاث واربعين فأنزلهم السلطان ابو الحسن ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما اعاضهم عما فاتهم وخلع عليهم واجازهم بجوائز سنية لا يزال الناس يتحدثون بها وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور امر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم ثار على ابى الحسن ثائرون بالمغرب وتوالت فتن كثيرة الى ان توفى سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة وولى بعده ابنه ابو عنان وثار بينه وبين اخوته فتن كثيرة واما سلطان الاندلس ابو الحجاج ابن الاحمر فقتل فى الصلاة يوم عيد الفطر طعنه اسود مدسوس عليه وولى بعده ابنه محمد الغنى بالله وذلك سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم خلع سنة ستين ثم اعيد سنة ثلاث وستين والكلام على ذلك طويل لا حاجة لنا بذكره واستمر فى ملكه الى ان توفى سنة ثلاث

وتسعين وسبعمائة وكان قد قوي ملكه وسلطانه بعد رجوعه الى ملكه سنة ثلاث وستين حتى صار ملك المغرب وسلطان بني مرين تحت امره ووقع في هذه السنين فتن بالاندلس بين النصارى مع بعضهم وذلك ان الهنش ملك النصارى هلك سنة احدى وخمسين وسبعمائة وولي بعده ابنه بطرة وثارت فتن وحروب بينه وبين اخوته وانتهز الفرصة ابن الاحمر وجمع جيوش المسلمين للجهاد ودخل بعساكر المسلمين فأثخن في ارض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم ثم رجع الى غرناطة وذلك سنة سبع وستين وسبعمائة ثم تشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء الى المسلمين فتراسل ابن الاحمر مع ملك مراكش وفاس وكان السلطان حينئذ السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن واتفقا على ان ابن الاحمر يزحف بعساكره وملك المغرب يمده بالمال والاساطيل لعزة جمع العسكر عليه لما كان فيه من الفتن فأوعز صاحب المغرب الى اساطيله فعمرت وسارت وبعث بمال كثير وذخائر وزحف ابن الاحمر بعساكره واستعد الآلات للحصار فنازلها اياما قلائل فأيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم فاجابهم السلطان ابن الاحمر اليه ونزلوا عن البلد واقيمت فيه شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منه كلمة الكفر ومعالمه وكان ذلك في سنة سبعين وولي عليها ابن الاحمر من قبله ولم تزل تحت نظره الى ان تمحض له النظر في هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت سنة ثمانين وسبعمائة واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس والبقاء لله وحده وتوفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج يوسف بن الاحمر سلطان الاندلس سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وولي ابنه يوسف وتوالت فتن كثيرة فقصد الافرنج البرتغال مدينة سبتة سنة اربع عشرة وثمانمائة في مراكب كثيرة فقاتلهم اهلها ثم تغلب عليهم الفرنج فملكوها وبقيت معهم نحو مائتين وخمسين سنة ثم انتزعها الاسبانيول منهم ثم توالت فتن بين بني الاحمر مع بعضهم في الاندلس وجرت امور يطول الكلام بشرحها وآل الامر فيها الى خروج ملك الاندلس عن ايدي المسلمين فأخذ العدو مالقة سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة واخذوا غرناطة سنة سبع وتسعين وثمانمائة وانقرض ملك بني مرين سنة تسعين وثمانمائة وانتقل الملك لوزرائهم بني وطاس ثم منهم للاشراف السعديين والكلام على ذلك طويل ولما حاصر العدو غرناطة أصاب المسلمون وقت حصار العدو لهم بها شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكاتبوا العدو في الصلح واشترطوا شروطا وعقدوا وثايق ومكنوا العدو من غرناطة وكانت الشروط سبعا وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ومنها ابقاء الناس واماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على احد منهم الا بشريعتهم ومنها ان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى دار مسلم وان لا يغصبوا احدا وان لا يتولى على المسلمين في الاحكام نصراني ولا يهودي وان يفك من كان اسيرا منهم ومنها أن من اراد الجواز الى المغرب لا يمنع ولا يؤاخذ من قتل احدا من النصارى ايام الحرب الى غير ذلك من بقية الشروط ثم ان النصارى نقضوا تلك الشروط شيأ فشيأ ونكثوها عروة عروة الى ان آل الامر الى حملهم المسلمين على التنصر حتى صاروا يقولون لبعض المسلمين ان جدك كان نصرانيا فأسلم في زمن كذا فلا بد ان ترجع نصرانيا كما

كان اجدادك السابقون فلما فحش هذا الامر قام جماعة من المسلمين كانوا بموضع يقال له البيازين فقتلوا النصارى الذين كانوا عندهم فخرج الامر من سلطانهم بقتل المسلمين الامن تنصر فانه ينجوا من القتل فتنصر خلق كثير فى البادية والحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى واجتمعوا فى بعض القرى متحصنين بها فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا وبقى جماعة من المسلمين صعدوا جبلا واحتموا فيه وقاتلهم العدو فقتلوا من العدو خلقا كثيرا فأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وماخف من اموالهم ثم بعد هذا كله كان من اظهر التنصر من المسلمين ولم يكن متنصرا فى الباطن يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكينة الضعيفة فضلا من غيرها من الحديد وقام المسلمون الذين تحصنوا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ثم تغلب النصارى عليهم ولم يقيض الله لهم ناصرا الى ان كان آخر وقت أخرجهم النصارى فيه سنة الف وعشر فخرج الوف من المسلمين الى فاس والوف الى تلمسان ووهران وجمهورهم خرج الى تونس وتسلط على كثير منهم الاعراب ومن لايخشى الله ونهبوا اموالهم فى البوادى والطرقات واكثر النهب والاخذ وقع على الذين ذهبوا الى تلمسان وفاس واما الذين ذهبوا الى تونس فاكثرهم سلم من ذلك وقد عمر هؤلاء الخارجون من الاندلس كثيرا من القرى الخالية فى تلك المواضع التى ذهبوا اليها ومنهم جماعة بسلا وتطاون والجزائر واستخدم سلطان المغرب منهم عسكر اجرارا ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها الانهم كانوا عددا كثيرا لايحصيهم الا الله تعالى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال فى نفح الطيب والسلطان الذى أخذت منه غرناطة آخر سلاطين بنى الاحمر الذى انقرضت بانقراض دولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابى الحسن بن السلطان سعد ابن الامير على بن السلطان يوسف بن السلطان الغنى بالله محمد واسطة عقدهم والمشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة ابن السلطان ابى الحجاج يوسف بن السلطان اسماعيل بن الرئيس ابى سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصارى الخزرجى رحمهم الله جميعا وانتهى السلطان المذكور الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ماخلفه وبنى بفاس قصورا قال فى نفح الطيب وعهدى بذريته بفاس الى الآن سنة سبع وثلاثين والف يأخذون من اموال الفقراء والمساكين ويعدّون من جملة الشحاذين ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا خلاصة ماكان بالاندلس نقلناه بغاية الاختصار ولنرجع الى اتمام الكلام على ماكان بالديار الشامية وغيرها وليكن الابتداء بذكر حرب الصليب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم الجزؤ الاول من الفتوحات الاسلامية ﴾

ويليه الجزؤ الثانى اوله ذكر ابتداء الحروب الصليبية

فهرست الجزء الثاني من الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الثاني)

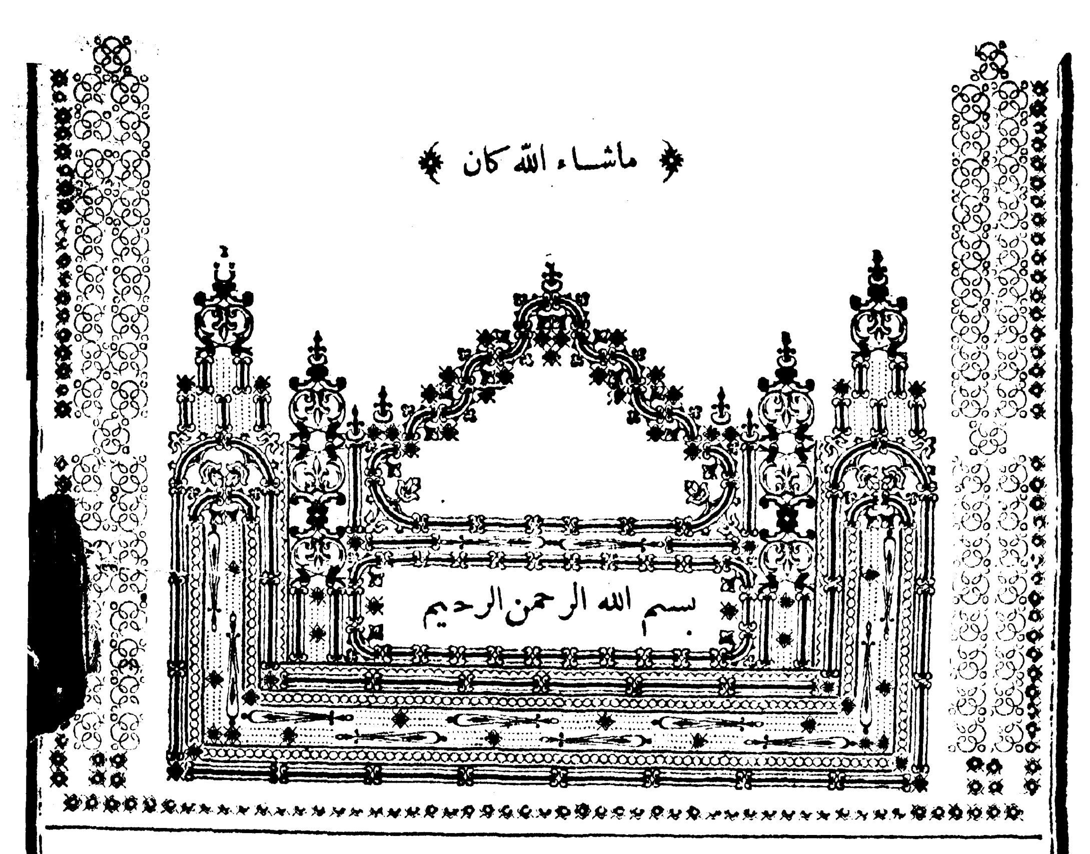
الجزؤ الثانى من الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية
لمؤلفها فريد العصر والاوان على الهمة عظيم الشان شيخ
الاسلام بالاقطار الحجازية ومفتى السادة الشافعية
بمكة المحمية المستمد من فيض جده سيد ولد
عدنان مولانا وسيدنا الاستاذ السيد احمد
ابن السيد زينى دحلان متع الله بحياته
جميع المسلمين وادام نفعه عليهم
بجاه الامين آمين
آمين
آمين

طبع فى المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية

سنة

١٣٠٢

﴿ ماشاء الله كان ﴾



﴿ ذكر ابتداء الحروب الصليبية ﴾

اعلم ان المسلمين منذ افتتحوا الشام فى خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انما كان قتالهم فى تلك الاراضى مع الروم ملوك القسطنطينية ثم صار من الخلفاء والامراء الاسلامية غزوات وفتوحات كثيرة افتتحوا فيها كثيرا من ممالك الروم وتقدم بيان ذلك ثم لما كان آخر القرن الخامس وظهر الضعف فى الخلفاء العباسيين واستولى على مصر وبعض الشام الخلفاء العبيديون وتغلب على كثير من الممالك الاسلامية العمال الذين فيها طمع فى ممالك الشام الافرنج الذين نشأت لهم دول فى اوروبا بعد ضعف الملوك الرومانية فتجمعت جموع من الافرنج ملوك اوروبا وساروا لتملك الممالك الاسلامية التى فى الشام واعمالها وكان ذلك سنة اربعمائة وتسعين هجرية وكان من اسباب قيامهم وهيجانهم لتلك الحروب ان رجلا منهم اسمه بطرس الناسك ترهب وانفرد عن اهله سائحا متنسكا فزار بيت المقدس واخذته الحمية فى استخلاص تلك الاماكن من ايادى المسلمين فلما رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع مع البابا وخاطبه فى ذلك فوافقه البابا على استحسان افكاره وماقام بنفسه وعزم فى الحال على اتخاذ الاسباب والوسائط المقتضية لاتمام هذا المشروع وأمر بطرس ان يجول فى اقطار البلاد مناديا ومبشرا للشعوب بانقاذ النصارى واستخلاص تلك الاراضى من ايادى المسلمين فأخذ بطرس يجول من مكان الى آخر منذرا ومحركا قلوب الناس للاشتراك فى هذا العمل فاجتاز من ايطاليا الى فرانسا ثم سار الى اكثر ممالك اوروبا زارعا بين الجميع هذه الافكار مهيجا اياهم للنهوض والقيام وفى اثناء ذلك عقد البابا عدة مجامع فى ايطاليا وفرانسا وطرح فيها هذه المسئلة امام الجمهور الحاضرين منتهضا هممهم للمبادرة والاستعداد فى هذا المشروع وجعل للرعايا القائمين بذلك انعامات ورفع عنهم كثيرا من الضرائب والخراجات فنهض احد الاساقفة وطلب من البابا ان يكون اوّل من يجاهد

(فى هذا)

في هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب فتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سموا الصليبيين ودعيت حروبهم بالحروب الصليبية واذا اراد الله ظهور امر هيأ اسبابه فظهر لهم أمور واسباب قوى بها عزمهم على ما اراد وافق ذلك ماذكره بعض مؤرخيهم أنه في اثناء المناداة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها ظهر لهم جملة من العجائب في السماء والارض منها تساقط بعض النجوم من السماء على الارض وظهر بانتقالها علامة حمراء دموية في جانب الافق وظهر لهم عمود ناري على شكل حربة ذات حديد بقرب الشمس وشوهد في الجو صورة مدن وعساكر وخيول وأسلحة وفرسان مرسومة بالصلبان ومنها انه كان يرى في مدة ستة ايام متوالية على اثواب المسيحية صلبان من نور مطبوعة على ملابسهم بطريقة عجيبة بحيث لا يمكن لاحد ان يمحوها بالماء ولا بالنار فهذه المرائي التي كانت تترآى لهم شددت عزائمهم وجعلتهم لا يتوقفون عن السفر وكانوا يستمدون من يوم الى يوم حتى بلغ عددهم ثلاثمائة الف مقاتل وكان الملك الكبير منهم المتقدم في قيادة جيوشهم يسمى بردويل وكان بينه وبين صاحب صقلية مصاهرة وصداقة فأراد ان يكون مرور جيوشهم على افريقية فيتملكوها ثم يسيرون منها الى الشام فأرسل الى صاحب صقلية يقول له قد جمعت جموعا كثيرة وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع صاحب صقلية اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد كلها بلاد النصرانية فرفع رجله لهم وضرط ضرطة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم ويقول تميم امير افريقية غدرت بي ونقضت ما بيني وبينك من العهود وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا مع ان بلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسول بردويل وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبيني وبين اهلها عهد وايمان لا يمكنني نقضها فلما لم يمكنهم صاحب صقلية من المرور عليه عزموا على التوجه الى الشام من طريق القسطنطينية فمنعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده الا بشرط انهم يحلفون له انهم يسلمون له انطاكية اذا ملكوها وكان يظن انهم لا يقدرون على تملك البلاد الشامية لما فيها من جنود الاسلام وهو يريد هلاك الافرنج خوفا من انهم يتغلبون عليه لانه يراقوتهم تزيد كلما مضى زمن الازمان فلما اشترط عليهم ان يعطوه انطاكية اذا ملكوها اجابوه الى ذلك وقبلوا شرطه وعبروا الخليج عند القسطنطينية طالبين القسطنطينية ليجتمعوا فيها وكانوا اجناسا عديدة وفرقا كثيرة من الايطاليين والفرنساويين وغيرهم من سكان اوروبا وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره متوشحا بثوبه الرهباني قائدا للفرقة الاولى منهم فسار بهم على طريق المانيا وهنكاريا وبلغاريا فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقاتلوهم

وقتلوا منهم عددا كثيرا و بعد ان قاسوا اهوالا شديدة انتهوا الى القسطنطينية فأذن لهم ملكها ان يقيموا فى المدينة الى ان يحضر رفقاؤهم ثم نقلهم ملك القسطنطينية فى مراكبه الى سواحل آسيا فلما انتهوا اليها التقتهم عساكر الاسلام فى نواحى قونية وكانت تلك العساكر للملوك السلجوقية الذين كانت ممالكهم فى الروم وأحاطوا بهم وقاتلوهم قتالا شديدا فاستظهر المسلمون عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مضاربهم وذخائرهم فلم ينج منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الوقعة الاولى واما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه الوقعة متشكيا من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم لرؤسائهم ولكن لما بلغته هذه الاخبار المحزنة أقسم بأنه لايرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حربا صليبيا ثانيا

﴿ ذكر تملك الفرنج قونية وانطاكية ﴾

قد تقدم ان الروم كانوا قد استولوا على انطاكية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة و بقيت بأيديهم الى سنة اربعمائة وسبع وسبعين فانتزعها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقى فلما كانت هذه السنة اعنى سنة اربعمائة وتسعين كان الامير العامل على انطاكية باغيسان التركمانى و بلغ اهل اوروبا ماحل بأصحابهم من النكال حزنوا جدا وتحركت عزايمهم على اخذ الثار والاستيلاء على تلك الديار فتجهز منهم جيش جرار وساروا كالاولين الى ان وصلوا الى قونية فالتقتهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة وكانت الغلبة فيها لطوائف الافرنج فاستولوا على مدينة قونية وكان ملكها بيد قلج ارسلان السلجوقى وهو الذى قابلهم بجموعه فهزموه وملكوا منه قونية ثم تقدموا الى انطاكية فحصروها تسعة اشهر ثم ملكوها فى جمادى الاولى سنة ٤٩٠ من صاحبها باغيسان التركمانى بعد ان ظهر منه من الشجاعة وجودة الرأى والحزم مالم يشاهد من غيره لانهم لما قدموا على انطاكية قابلهم بجيوشه وقاتلهم قتالا شديدا وجرت وقائع متعددة وهجمات هائلة ثم لما عجز هرب ثم قتل ولما دخل الافرنج انطاكية قتلوا من فيها من المسلمين ونهبوا اموالهم ولما سمع صاحب الموصل بتملكهم انطاكية جمع عساكره وسار الى الشام وهو الامير قوام الدولة ابو سعيد كربوقا ثم اقام بعساكره بمرج دابق واجتمع معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب وحمص وسنجار واجتمع كثير من الامراء وعظمت المصيبة على الافرنج وارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان لما أقبل بالجيوش على انطاكية فامتنع وقال لا تخرجون الا بالسيف وحاصرهم ثم ان كربوقا المذكور اساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء وتكبر عليهم فخبثت نياتهم عليه ولما ضاق الامر على الافرنج وقلت الاقوات عندهم خرجوا من انطاكية واقتتلوا مع المسلمين وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم قبل خروجهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقيسان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم ان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا

ينبغى ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكنهم من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية منهم احد ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة على المسلمين ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المسلمين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم ألوفا وغنموا ما فى العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت عليهم قوتهم

﴿ ذكر تملك الفرنج معرة النعمان ﴾

ثم سار الفرنج بجيوشهم الى معرة النعمان وحاصروها وقاتلهم اهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد فى حربهم والاجتهاد فى قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازى سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة اخرى من المسلمين منهم ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التى يليها فى النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلالم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة ايام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبى الكثير وملكوا المعرة وأقاموا اربعين يوما

﴿ ذكر مصالحة اهل عرقة وحمص للفرنج ﴾

ثم ساروا الى عرقة فحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها ثم ساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فلم يقدروا عليها

﴿ ذكر تملك الفرنج بيت المقدس ﴾

ثم ساروا الى بيت المقدس وكانوا الف الف وكان فيها رجل يعرف بافتخار الدولة عاملا للعبيديين ملوك مصر لان بيت المقدس كان بأيديهم انتزعوه من خلفاء بنى العباس فلما وصل الفرنج اليه حصروه نيفا واربعين يوما ثم ملكوا المدينة المذكورة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هجرية وركبوا الناس بالسيف ولبث الفرنج بالبلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وأخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا فضة نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام الى بغداد صحبة القاضى ابى سعيد الهروى فأوردوا فى الديوان كلاما ابكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا

وأبكوا وذكروا ما دهم المسلمين من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال وكانوا صياما في رمضان فلشدة ما أصابهم أفطروا وأنشا الشعراء في ذلك قصائد تبكي لها العيون وتنفطر بها القلوب وكان ذلك في خلافة المستظهر بالله ابن المقتدي بأمر الله العباسي وكان في ذلك الوقت اختلاف كثير بين السلاطين السلجوقية وفتن قائمة بينهم بالعراق فلم تحصل منهم نتيجة ولا من الخليفة وبعث المصريون جيشا لقتال الفرنج لما بلغهم ما وقع بالقدس واقتتلوا مع الفرنج ثم انهزموا وحصرهم الفرنج بعسقلان وضيقوا عليهم فبذلوا لهم اثني عشر الف دينار وقيل عشرين الفا فارتحلوا عنهم ورجعوا الى القدس وجعلوها دار ملكهم ثم استولى الفرنج على اكثر سواحل الشام فملكوا يافا وغيرها من القلاع والحصون وكانت محنة فاحشة على المسلمين ثم في سنة اربع وتسعين واربعمائة ساروا الى مدينة عكا فلم يقدروا على فتحها وكانوا قد عمروا مدينة يافا وسلموها الى قمص من الفرنج واقيم بملك القدس افرنجي آخر وقيل بل اقام بها بردويل بنفسه ومكث بيت المقدس بايدي الفرنج احدى وتسعين سنة وكذا ما جاوره من سواحل الشام وعجز ملوك الاسلام عن استرجاعه الى ان استرجع ذلك السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تملك الفرنج مدينة سروج وحيفا وقيسارية ﴾

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة سروج من الجزيرة وقتلوا كثيراً من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم وملكوا ايضا مدينة حيفا بالقرب من عكا على ساحل البحر وملكوا مدينة قيسارية وقتلوا اهلها ونهبوا اموالها وفي سنة ٤٩٥ ساروا الى طرابلس الشام فقاتلهم اهلها وقتلوا من الفرنج نحو ثلاثمائة ثم هادنهم الفرنج على مال وخيل ثم رحلوا عنهم الى انطرسوس وهي من اعمال طرابلس فحصروها وملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم ساروا الى حصن الطوبان فقاتلهم ابن العريض وأسر فارسا من اكابر الفرنج فبذلوا في فدائه عشرة آلاف دينار والف أسير فلم يجبهم ابن العريض الى ذلك وفي هذه السنة ايضا سار الفرنج الى حمص وقائدهم ملك من ملوكهم يسمى صنجيل فحاصروها وملكوا اعمالها ونزل القمص على عكا وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى منجنيقاتهم فأحرقوها واحرقوا سفنهم وكان ذلك نصراً عجيباً للمسلمين اذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي الى بيروت وحاصرها وضايقها واطال المقام عليها فلم يرفيها طمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر من مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في ايديهم من بلاد الشام فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى في اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في اصحابه وفي سنة ٤٩٦ جاءتهم جيوش المسلمين من مصر ووقعت بينهم وقائع يطول ذكرها كانت الغلبة في بعضها للمسلمين وفي بعضها للفرنج وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان وبيدهم ايضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية ولهم بالجزيرة الرها

(وسروج)

وسروج وكان صنجيل يحاصر طرابلس الشام والمواد تأتيه وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل اصحابه فى المراكب يغزون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وفى سنة ٤٩٧ أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر واستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين وفى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها الاجناد والتجار فاستعانوا بهم على حصار طرابلس برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها اياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا الى مدينة جبيل فحاصروها وقاتلوا اهلها قتالا شديدا فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا اموالهم وعاقبوهم بالعقوبات وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا واستعانوا بملكهم صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحاصروها فى البر والبحر ثم ملكوها وفعلوا باهلها الافعال الشنيعة ثم ساروا الى حران ووقع بينهم وبين المسلمين وقايع يطول ذكرها كان النصر فيها للمسلمين وقتلوا من الفرنج اثنى عشر الفا وأسروا القمص فافتداه الفرنج بخمسة وثلاثين الف دينار وستين اسيرا من المسلمين وفى سنة ٤٩٨ سار الفرنج الى حصن ارتاح ووقع بينهم وبين المسلمين قتال شديد وانهزم المسلمون وقتل وأسر كثير منهم وملك الافرنج الحصن وفى سنة ٤٩٩ وقع بينهم وبين المسلمين قتال على حصن كان بيد الفرنج بينه وبين دمشق يومان فملكه المسلمون وقتلوا من كان بالحصن من الفرنج واستبقوا الفرسان أسرى وكانوا مائتى فارس وملكوا ايضا منهم حصن رفنية وهو من حصون الشام وقتلوا به خمسمائة من الفرنج وفى هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية وكان من امنع الحصون الشامية وقتلوا من فيه من المسلمين وفى سنة ٥٠٠ وقعت وحشة بين ملك القسطنطينيه والافرنج الذين بالشام ثم وقع بينهم قتال شديد انهزم فيها الفرنج ولم يزل الفرنج يتابعون الحصار على طرابلس الشام وبيروت والكلام على ذلك طويل الى ان ملكوهما سنة ٥٠٣ وقتلوا وأسروا كثيرا من الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا من الاموال مالا يحصى ثم ملكوا بانياس وصيدا وصور وحصن ارتاب وهو قريب من حلب وغير ذلك وفى سنة احدى عشرة وقيل اربع عشرة قصد بردويل بجيوشه الديار المصرية ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وخربها وأحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك فى الطريق والحاصل ان الفرنج لم يزالوا يتملكون كثيرا من الممالك الشامية ويقع بينهم وبين المسلمين الوقايع الهائلة التى يطول الكلام بذكرها حتى لم يبق بيد المسلمين سوى حمص وحماه والشام وحلب وبعض القرى الحقيرة واستمر الحال الى سنة ١١٢٨ مسيحية الموافق سنة ٥٢٢ هجرية فصار ملك حلب والموصل للسلاطين السلجوقية وانتزعوهما من بعض امراء المسلمين المتغلبين عليهما فأقاموا فيهما عماد الدين زنكى والد السلطان محمود نور الدين الآتى ذكره وكان لعماد الدين شجاعة وشهامة وعزم شديد على جهاد الكفار فشن على الافرنج الغارات ووالى عليهم الغزوات واسترجع كثيرا مما ملكوه وتوفى مقتولا قتله بعض مماليكه سنة ٥٤١ وكان ابوه آق سنقر مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقى ولما قتل عماد الدين وصار ملك حلب لابنه السلطان نور الدين محمود كان على الفرنج أشد من ابيه فزاد فى قتالهم و... بينهم وكان من اهل العلم والصلاح والتقوى والاستقامة وله ترجمة طويلة سيأتى ذكرها

فأول ما ابتدأ في ولايته انه جهز جيشا لقتال الافرنج وفتح مدينة ارتاح وأورفا واماكن أخر وفي سنة ١١٤٧ مسيحية الموافق سنة ٥٤٢ هجرية اشتدت حروب السلطان محمود وتوالت غزواته وفتوحاته فاستمد الفرنج الذين كانوا في مدائن الاسلام بالفرنج اهل أوروبا فأمدوهم بنجدة عظيمة تحت قيادة ملك جرمانيا والمانيا وملك فرانسا لويز السابع وقبل قدوم ملك فرانسا بايام يسيرة وصل ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثى لها اذ كان قد تلف اكثر من نصف جيشه في الطريق بعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي أثارها عليهم الاعداء في أثناء الطريق فلما بلغ سواحل سوريا وافته مواكب السلطان نورالدين بجيوش الاسلام وفتكت بعساكره فانهزم مع باقي جيشه وبينما هو راجع التقى بملك فرانسا مع جنوده وقد وصلوا في حالة احسن من حالته فالتقتهم جيوش الاسلام في نواحي انطاكية وانتشبت بينهم نيران القتال واستمر القتال بينهم مدة ايام وكانت الدائرة على ملك الفرنسيس وجنوده فانقلب راجعا ببقية قواده وجيوشه ونزلوا في السفن وساروا الى القدس وانضموا الى ما فيه من العساكر مع بقايا العساكر الجرمانية وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة ملك الفرنج طرابلس الغرب وفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة غزا نورالدين الفرنج من نواحي انطاكية وقتل البرنس صاحب انطاكية وهزم الفرنج هزيمة قبيحة وقتل منهم جمعا كثيرا وأسر مثلهم واكثر الشعراء من القصائد بمدحه وتهنئته وفتح نورالدين في هذه السنة والتي تليها حصونا كثيرة وكان الفرنج نازلوا دمشق مرارا وحاصروها فلم يقدروا على تملكها واستمر القتال والغزوات بينهم وبين السلطان نورالدين الى سنة ١١٧٣ مسيحية الموافق سنة ٥٦٩ وكان السلطان صلاح الدين ابن ايوب من اتباع السلطان نورالدين فجهزه الى مصر سنة ٥٦٤ وتملك مصر وانتزعها من العبيديين وقصة ذلك طويلة مذكورة في التواريخ وكان السلطان صلاح الدين في العلم والتقوى والصلاح مثل السلطان نورالدين فلما توفي السلطان نورالدين سنة ٥٦٩ جمع السلطان صلاح الدين بين ملك مصر والشام فصار الملك فيهما له وتابع الغزوات في قتال الفرنج لاستخلاص ما بأيديهم من ممالك المسلمين وأول قتال وقع بينه وبين الافرنج كان في حياة نور الدين سنة ٥٦٥ وذلك انه جاءت جموع كثيرة منهم وحاصروا مدينة دمياط وضيقوا على من بها فتجهز السلطان صلاح الدين من مصر بجيوش حافلة وقاتلهم وأمده السلطان نورالدين بجيوش كثيرة وشن عليهم السلطان نورالدين الغارات بالشام ووالى على المداين التي بايديهم الغزوات فارتحلوا من دمياط ورجعوا خائبين وفي سنة ٥٦٦ سار السلطان صلاح الدين من مصر وأغار على الفرنج بعسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه فأتاه ملك الفرنج بعساكر ليرده فقاتلهم وهزمهم وأفلت ملك الفرنج بعد ان أشرف ان يوخذ اسيرا وعاد صلاح الدين الى مصر ثم غزا ايلة برا وبحرا وانتزعها من الفرنج وفي سنة ٥٦٩ كتب بعض اهل مصر اتباع العبيديين الذين انقرضت دولتهم الى الفرنج الذين بالشام والذين بصقلية ان يرسلوا اليهم جيوشا يستعينون بهم على اخراج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية فبعث اليهم الفرنج مائتي اسطول تحمل الرجالة وثلاثين طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب واربعين مركبا تحمل

الازواد وفيها من الرجالة خمسون الفا ومن الفرسان الف وخمسمائة ونازلوا الاسكندرية في السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٦٩ على حين غفلة من اهلها وطمأنينة فخرج اهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول فمنعهم الوالى عليهم من ذلك وامرهم بملازمة السور ونزل الفرنج فى البر مما يلى البحر وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا اشد القتال وصبر لهم اهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراعهم وسيرت الكتب بالحال الى مصر الى السلطان صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى اخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثانى وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية من كان قريبا من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل جهة فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى اخر النهار ودخل اهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما راوا من تباشير الظفر وفشل الفرنج وكثر القتل فيهم والجراح واما صلاح الدين فانه لما وصله خبر منازلة الفرنج الاسكندرية سار من مصر بعساكره وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا وسير مملوكا له مبشرا لاهل الاسكندرية بقدوم صلاح الدين والعساكر فوصل المملوك الاسكندرية وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى فى البلد يبشرهم بمجئ صلاح الدين والعساكر مسرعين ثم وصل صلاح الدين بعساكره فى اثر المملوك فلما سمع الناس ذلك فرحوا وعادوا الى القتال وقد زال ما بهم من تعب القتال والم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بوصول صلاح الدين فى عساكره فسقط فى ايديهم وازدادوا تعبا وفتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات وكثر القتل فى الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا بها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين فى الماء وخرق بعض شوانى الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا بشوانيهم هاربين واحتمى ثلاثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فغلبهم اهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم وفى سنة ٥٧١ عظم ملك صلاح الدين فكاتبه الفرنج وطلبوا منه صلحا وهدنة فهادنهم على شروط معلومة وفى سنة ٥٧٣ انتقض الصلح لامور جرت فسار السلطان صلاح الدين من مصر بجيوشه قاصدا قتال الفرنج وكان ذلك فى جمادى الاولى من السنة المذكورة فوصل الى عسقلان فى الرابع والعشرين من الشهر هو وجنوده فنهبوا واسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا فى تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا ان الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمى البلاد طمعوا وساحوا فى الارض آمنين ووصل صلاح الدين الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره

فوصل الى نهرفازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والافرنج قد اشرفت عليهم بجنودها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا فى طلب الغنيمة فلما رأى الفرنج وقف لهم فيمامعه وقاتلهم فقتل جماعة من الفريقين وقتل بن تقى الدين بن اخى صلاح الدين ثم صارت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقارب به حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجى بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا و يقف قليلا ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البريه الى ان مضى فى نفر يسير الى مصر ولقوا فى طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من الدواب جوعا وعطشا وسرعة سير واما العسكر الذى دخلوا بلاد الفرنج فى الغاره فان اكثرهم ذهب مابين قتيل واسير وكان من جملة من اسر الفقيه عيسى الهكارى وكان من اشد الناس قتالا وكان جامعا بين العلم والدين والشجاعة واسر ايضا اخوه الظهير وكان قد سارا منهزمين فضلا الطريق فاخذا ومعهما جماعة من اصحابهما وبقوا سنين فى الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين الف دينار وفدى ايضا جماعة كثيرة من الاسرى ولما حصلت هذه الهزيمة سار الفرنج الى مدينة حماه وحاصروها وكان الامير عليها شهاب الدين الحارمى فقاتلهم هو واهل البلد وكاد الفرنج يملكون البلد واشتد القتال وعظم الخطب وهجم الفرنج على بعض البلد ودام القتال ليلا ونهارا واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال ثم انزل الله عليهم النصر فاكثروا القتل فى الفرنج واخرجوهم من البلد فارتحلوا خائبين وكفى الله المسلمين شرهم ثم ساروا وحاصروا حارم فلم يتمكن لهم اخذها فساروا عنها وفى سنة ٥٧٤ فى ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج الى مدينة حماه وكثر جمعهم من الفرسان والرجالة طمعا فى النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا القرى فى طريقهم واسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيمون بحماه ساروا اليهم وهم قليل متوكلون على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ماغنموا من السواد وكان صلاح الدين بحمص فحملت الروس والاسرى والاسلاب اليه فأمر بقتل الاسرى فقتلوا لان الامام مخير فى الاسرى بين القتل والفدا والمن بلا فدا وفى ذى القعده من هذه السنة اجتمع الفرنج وساروا الى دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولداخيه ومعه كثير من العسكر فقاتلهم ونصره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وقتل جماعة من مقدميهم منهم هنفرى كان يضرب به المثل فى الشجاعة والرأى فى الحرب فاراح الله من شره وفى سنة ٥٧٥ بنى الفرنج حصنا منيعا بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام فكان يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع بذلك صلاح الدين بذل للفرنج ستين الف دينار ليهدموه بغير قتال فامتنعوا فسار من دمشق الى بانياس واقام بها وبث الغارات على الفرنج ثم سار الى الحصن بعساكره فحاصروا الحصن وقاتلوا من به وعاد هو الى بانياس وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبى الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قدخرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار فى العساكر مجدا فوافاهم وهم فى القتال فقاتل الفرنج قتالا

شديدا وحملوا على المسلمين حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثم انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا واسر كثيرا منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل وصاحب طبرية وغيرهم من مشاهير فرسانهم فأما ابن بيرزان فأنه فدى نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار واطلاق الف اسير من المسلمين ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فأحاط به وبث العساكر للاغارة على الفرنج فى تلك الاطراف ثم زحف المسلمون على الحصن واشتد القتال وعظم الامر ونقبوا الحصن واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور وكان عرضه تسعة اذرع بالنجارى فلم يسقط الا بعد ايام فدخل المسلمون الحصن عنوة وقتلوا كل من فيه واطلقوا من كان فيه من اسرى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق فسجنوا واقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره والحقه بالارض وكان جملة من الفرنج قد احتموا بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر بأخذه تفرقوا وفى سنة ٥٧٨ فتح المسلمون شقيفا واخذوه من الفرنج وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وكان على المسلمين منه اذى شديد ولما بلغ الفرنج مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة وربما عاقوا المسلمين عن السير بان يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه ابن اخى صلاح الدين الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام وقصد ما بأيديهم من البلاد واغار عليها ونهب وبورية وما يجاورها من البلاد واسر الرجال وقتل وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما لما كان يحصل لهم من الاذى منه ولما وصل صلاح الدين الى دمشق سار الى طبرية وكانت الفرنج بجموعها نازلة بطبرية فنزل بالقرب منها واغار ابن اخى صلاح الدين على بيسان فدخلها قهرا وغنم مافيها وقتل وسبى واغارت العساكر والعربان فى تلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار جماعة من الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأثخنوا القتل فيهم فرجعوا ورجع صلاح الدين الى دمشق ثم سار منها الى بيروت يريد حصارها وفتحها فأتاه الخبر ان البحر القى مركبا للفرنج فيه جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة بيت المقدس فأسر المسلمون من بها بعد ان غرق كثير منهم وكان عدة الاسرى الفا وستمائة وستا وسبعين الفا فضربت بذلك البشائر وسار اسطول للمسلمين من مصر فى البحر فلقوا اسطولا للفرنج فيه ثلاثمائة منهم معهم الاموال والسلاح مرسلين الى فرنج الساحل فقاتلهم المسلمون فظفروا بهم واخذوا الفرنج اسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم وغنموا مامعهم ثم اغار صلاح الدين على بيسان فأحرقها وخربها وقتل من فيها ثم اغار على الكرك واطرافها ثم وصل الى نابلس فأحرقها وخربها وقتل واسر وسبى ولم يزل يشن على الفرنج الغارات فى كل الاطراف ويطول الكلام بذكر وقايعه مع الفرنج الى ان فتح طبرية بعد قتال شديد ووقايع هائلة واكثر القتل والاسر فى الفرنج وكان جيش صلاح الدين لما حاصر

طبرية ثمانين الفا فلما اشرف عليها وحاصرها وافاه ملك الفرنج الذي ببيت المقدس بجيوش هائلة للمدافعة والمحامات عن اهل طبرية لانها كانت عندهم من اهم مراكز البلاد وهناك التقى العسكران وماجت الارض بالعساكر واستمر القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على الصليب فانقلبوا منهزمين على الاعقاب طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الفا ووقع الملك اسيرا مع خواصه واكابر رؤسائه في ايدي الاسلام وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين مائتين وثلاثين رجلا من اعيان الافرنج المأسورين واما الملك فأنه ارسله الى دمشق ثم سار صلاح الدين الى عكا وحاصرها وضيق عليها فطلب اهلها الامان فأمنهم على انفسهم واموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا متفرقين وحملوا ما امكنهم حمله وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون عكا يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم تتابعت الفتوحات بعد فتح طبرية وعكا وهما فتحان عظيمان وفي الحقيقة هما اول الفتوحات والذي كان قبلهما انما كان اغارة في الاطراف وغزوات وسريات وسبب تأخر الفتوحات الى سنة ٥٨٣ مع ان السلطان نور الدين توفي سنة ٥٦٩ وصار الملك بعده لصلاح الدين ان كثيرا من عمال السلطان نور الدين الذين تحت حكمهم كثير من ممالكه امتنعوا من الدخول تحت طاعة السلطان صلاح الدين ووقع بينه وبينهم محاربات في هذه السنين يطول الكلام بذكرها حتى ادخلهم تحت طاعته وصفى له الامر وقبل ذلك ما كان متمكنا من التفرغ لقتال الفرنج كل التفرغ واما في هذه السنة سنة ٥٨٣ فقد تفرغ لهم كل التفرغ وتوجه غاية التوجه ولما ارتحل الفرنج من عكة ودخلها المسلمون غنموا ما بقي مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والبندقي والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرا فأنها كانت مقصد التجار للفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله فغنمه المسلمون واقام صلاح الدين بعكا اياما لاصلاح حالها وتقرير قواعدها ثم ارتحل وفرق العساكر الى الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيوف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدموا بما سد الفضا وبعث اخاه سيف الدين الى مدينة يافا فحصرها وملكها وغنم ما فيها واسر الرجال وسبي الحريم وجرى على اهلها مالم يجر على احد من اهل تلك البلاد وسار صلاح الدين وابن اخيه تقي الدين وكثير من العساكر وحاصروا تبنين وضايقوها وهي من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر أطلقوا من كان عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة ثم ارسلوا يطلبون الامان فأمنهم وسيرهم الى مأمنهم ثم رحل الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فأخذها صفوا عفوا بغير قتال ثم سار الى صيدا وهي من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله ثم سار عنها الى بيروت وهي من احصن مدن الساحل فلما وصل اليها رأى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوة والجلد والعدد وقاتلوا على

سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظة وزحف المسلمون اليهم مرة بعد اخرى فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فأتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى غلبة وقهرا فأرسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فأرادوا تمكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فأمنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان مدة حصرها ثمانية ايام ثم اراد صلاح الدين السير الى جبيل وكان صاحبها من جملة الاسرى الذى سيروا الى دمشق فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فأمر بأرساله اليه فأحضره مقيدا وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه وأطلق اسرى المسلمين الذين به وأطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الرأى والمكر والشر يضرب به المثل بينهم وكان للمسلمين عدوا ازرق فكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ماسيأتى بيانه ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس عنده اهم لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات فيسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما فى فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه سيف الدين العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخر وكان صلاح الدين قد احضر من دمشق ملك الفرنج الذى اسر فى وقعة طبرية ومعه مقدم الداوية وقال لهما ان سلمتما البلاد الى فلكما الامان فارسلا الى من بعسقلان من الفرنج يأمرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردوا عليهما اقبح رد وجبهوهما بما يسوءهما فلما راى السلطان ذلك جد فى قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف بجيوشه اليها مرة بعد اخرى وتقدم النقابون فنقبوا منه شيأ وملكهم يكرر اليهم المراسلات بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصى بلاد الفرنج وادانيها وهم لايجيبون الى مايقول ولايسمعون مايشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لايجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين فى تسليم البلد على شروط اشترطوها فأجابهم صلاح الدين اليها وسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان ثم اقام صلاح الدين بظاهر عسقلان وبث السرايا من اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان للداوية ثم لما فرغ من امر عسقلان ومايجاورها من البلاد سار الى فتح بيت المقدس وكان قد ارسل اسطولا فى البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا أخذوه وكان فى بيت المقدس البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان

ابن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص فرسانهم كثيرون وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحى عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من الخلق يبلغون ستين الفا ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان كلهم يرى الموت أيسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم ويرى ان بذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة وانه بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات فيمنعون من يريد الدنو منه والنزول اليه فلما قرب صلاح الدين منه رأى على سوره من الرجال ماهاله وسمعوا الاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقى صلاح الدين خمسة ايام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاتله لانه فى غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية فى العشرين من رجب ونصب تلك الليلة المنجنيقات فأصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقاتل كل من الفريقين اشد قتال كل يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانى بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون ويزجرون فلا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد من المسلمين الامير عز الدين بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان محبوبا الى الخاصة والعامة فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد فازالوا الفرنج من مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحفوا والرماة يحمونهم والمنجنيقات توالى الرمى لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمى المتدارك وتمكن النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس لصلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرائهم واعيانهم فى طلب الامان فامتنع السلطان صلاح الدين من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة ٤٩٢ من القتل والسبى وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع الرسل خائبين محرومين ارسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين فى هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغبه فى الامان وسأله فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما ايس من ذلك قال ايها السلطان اعلم اننا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظنا منهم انك تجيبهم كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة فاذا رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن ابنائنا ونسائنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة

آلاف ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا و قاتلنا كم قتال من يريد ان يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء أو نظفر كراما فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب مالا يدري عاقبة الامر فيه عن اي شيء تنجلي ونحسب انهم اسرى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر ان يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير ويؤخذ من الطفل من الذكور والاناث ديناران وتزن المرأة خمسة دنانير فمن أدى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان ابن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد في كل باب أمينا من الامراء ليأخذ من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت أيدي سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس وبقي بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطي وأخذ أسيرا ستة عشر الفا انسان ما بين رجل وامرأة وصبي وأظهر صلاح الدين من علو الهمة والشفقة والرحمة مالا مزيد عليه فكان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما تيسر عليهم حتى انه اطلق ثلاثة آلاف رجل بدون فدية وكان في المدينة الملكة زوجة الملك المأسور وعند مقابلة صلاح الدين اياها أظهر لها من الرقة واللطف وكرم الاخلاق مالا يوصف وكان يكلمها ودموعه تجري واطلق لها مالها وحشمها واستأذنته في المسير الى زوجها وكان محبوسا بقلعة نابلس فأذن لها فأتته واقامت عنده وخرج البطرك الكبير الذي للفرنج ومعه اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له ليأخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وامر صلاح الدين بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار ولما كانت الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمود كان قد عمل منبر البيت المقدس رجاء ان يفتحه الله على يديه وامر الصناع بتحسينه واتقانه لم يعمل في الاسلام مثله فأمر بأحضاره فحمل من حلب ونصب ببيت المقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ثم امر صلاح الدين بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وازالة ما احدثوه من التصويرات وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فأمر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالرخام ان القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعله في مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فأمر بها ففرش فوقها الرخام حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وأدر عليهم الوظائف الكثيرة

فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الافرنج من اهله فانهم اقاموا وشرعوا في بيع مالا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخايرهم واموالهم وباعوا ذلك بأرخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الافرنج فأنهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فأجابهم الى ذلك فاستقروا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج التي تركوها اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق وغير ذلك وتركوا ايضا من الرخام الذي لا يوجد مثله من الاساطين والالواح وغير ذلك شيأ كثيرا وساروا وفرق صلاح الدين على ارامل وايتام القتلى من الفرنج مالا كثيرا وسمح للمتوجلين على القشلات والمستشفيات ان يبقوا في المدينة سنة اخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم ثم اقام صلاح الدين بظاهر القدس الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحوالها وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعية وهي في غاية ما يكون من الحسن وكانت مدة استيلاء الفرنج على بيت المقدس احدى وتسعين سنة لانهم ملكوه سنة اثنتين وتسعين واربعمائة واخذ منهم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وكان تاجرا من تجارهم وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا [illegible] فيها اياما فلما سمع المركيش بوصوله اليها جد في عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب من البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار في الثاني والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث ان يتصل القتال على اهل البلد على ان الموضع الذي يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التي وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليهما فان المدينة كالكف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والشروخ والدبابات والعرادات شيء اصغر من المنجنيق والشرخ نصل لم يركب والدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبون وهم في جوفها وكان عشيرة صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازي واخيه العادل بن ايوب وابن اخيه تقي الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شواني وحراقات يركبون فيها في البحر ويقفون من جانب الموضع الذي يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالشروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم على المسلمين لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشواني يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع فكثر الجراحات في المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فارسل

{ صلاح }

صلاح الدين الى الشوانى التى جاءته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها ومقاتلتها وعدتها فكانت فى البحر تمنع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برا وبحرا وضايقوهم حتى كادوا يظفرون فجاءت الاقدار بما لم يكن فى الحساب وذلك ان خمس قطع من شوانى المسلمين باتت فى بعض تلك الليالى مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج والدخول اليهم فباتوا ليلتهم يحرسون فلما كان وقت السحر أمنوا فناموا فما شعروا الا بشوانى الفرنج قد نازلتهم فازالتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم ميناء صور والمسلمون فى البر ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشوانى فى البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم السلطان الى الشوانى الباقية وأمرهم بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين رأى من فى شوانى المسلمين الفرنج مجدين فى طلبهم ألقوا أنفسهم من شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فأخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور فى البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفى بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط فلما اسر قتل وبقوا كذلك عدة ايام فلما رأى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وندم على مافرط منه قبل ذلك فانه كان كلما فتح مدينة وأمن اهلها الفرنج يجهزهم باموالهم ورجالهم الى صور من اهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك فصار فيها بالساحل فرسان الفرنج باموالهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصر وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلتجؤن اليها فزادهم ذلك حرصا على حفظها والذب عنها فلا ينبغى للملك ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلان يعجز حازما خير له من ان يظفر مفرطا مضيعا للحزم ويكون الحزم اعذر له عند الناس فرحل عنها آخر شوال الى عكا واذن للعسكر بالعود الى اوطانهم والاستراحة فى الشتاء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام ومصر وبقى فى حلقته الخاصة مقيما بعكا وكان قد ارسل قبل ذلك جماعة لحصار هونين فلما كان محاصرا مدينة صور ارسل اهل هونين يطلبون الامان فأمنهم فسلموا ونزلوا منها فوفى لهم بامان ولما دخل المحرم سنة ٥٨٤ سار صلاح الدين من عكا فيمن تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب وهى مطلة على الاردن ونازلها ظنا منه ان ملكها سهل وهو فى قلة من العسكر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ماعدا هذه الحصون وكان اهل هذه القلاع يقطعون الطريق على المجتازين فكان احب شئ اليه ان يملكها ليأمن الطريق للمجتازين فلما حصرها ورآها منيعة يبطئ ملكها رحل عنها وجعل عليها جماعة يحاصرونها وسار الى دمشق وكتب الى البلاد جميعها باجتماع العساكر وسار من دمشق منتصف ربيع الاول ووصل الى حمص ثم اغار على مواضع للفرنج ووصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف

من این یأتیها ثم عاد الی معسکره سالما وقد غنم العسکر من الدواب علی اختلاف انواعها ما لا یحصی
ونزل علی حصن الاکراد من الجانب الشرقی من حمص واقام الی آخر ربیع الآخر وکانت جبلة
من اعمال انطاکیة بید الفرنج وفیها کثیر من المسلمین ولها قاض مسموع الکلمة عند الفرنج والمسلمین
وجعله الفرنج یحکم علی المسلمین واسمه منصور بن شبیل فاخذته الغیرة للدین فجاء الی السلطان
صلاح الدین وتکفل له بفتح جبلة واللاذقیة والبلاد الشمالیة فسار [illegible]هم بیصلاح الدین معه رابع
جمادی الاولی فنزل بانطرسوس سادسه فرأی الفرنج قد اخلوا [illegible] الاساطین وحتموا فی برجین
حصینین کل واحد منهما قلعة حصینة ومعقل منیع فخرب المسلمون دورهم ومساکنهم وسور
البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وحاصر احد البرجین فنزل الیه من فی احدهما بامان
وسلموه فامنهم وخرب البرج والقی حجارته فی البحر وترك من فی البرج الآخر فخرب صلاح الدین
ولایة انطرسوس ورحل عنها واتی مرقیة وقد رحل عنها اهلها وساروا الی المرقب وهی
من حصونهم التی لا ترام ولا تحدث احد نفسه بملکه لعلوه وامتناعه والطریق تحته والحصن
علی یمین المجتاز الی جبلة والبحر عن یساره والطریق مضیق لا یسلکه الا الواحد بعد الواحد
واتفق ان ابن صاحب صقلیة ارسل نجدة الی فرنج الساحل ستین قطعة من الشوانی وکانوا
بطرابلس فلما سمعوا بمسیر صلاح الدین جاؤا ووقفوا فی البحر تحت المرقب فی شوانیهم لیمنعوا
من یجتاز بالسهام فلما رأی صلاح الدین ذلك امر بوضع سرر واخشاب فصفت علی الطریق
مما یلی البحر من اول المضیق الی آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو الیهم فاجتاز
المسلمون عن آخرهم حتی عبروا المضیق ووصلوا الی جبلة ثانی عشر جمادی الاولی وتسلمها
وقت وصوله وکان قاضیها قد سبق الیها ودخل فلما وصل صلاح الدین رفع اعلامه علی
سورها وسلمها الیه وتحصن الفرنج الذین کانوا بها واحتموا بقلعتها فما زال قاضی جبلة یخوفهم
ویرغبهم حتی استنزلهم بشرط الامان وان یأخذ رهائنهم یکونون عنده الی ان یطلق الفرنج
رهائنهم من المسلمین من اهل جبلة وکانوا بانطاکیة وقرر صلاح الدین احوال جبلة وجعل فیها امیرا

﴿ ذکر فتح اللاذقیة ﴾

وسار الی اللاذقیة فترك الفرنج المدینة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الی حصنین
لهما علی الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدینة وحصروا الحصنین وزحفوا
الیهما ونقبوا الاسوار وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الی السور فلما ایقن
الفرنج العطب دخل الیهم قاضی جبلة فخوفهم من المسلمین فطلبوا الامان فامنهم
صلاح الدین ورفعوا الاعلام الاسلامیة الی الحصنین وسلم صلاح الدین اللاذقیة لابن اخیه
تقی الدین عمر وجعله امیرا علیها ولما نازل صلاح الدین اللاذقیة وصل اسطول صقلیة الذی
تقدم ذکره فوقف بازاء مینا لاذقیة فلما سلمها الفرنج الذین بها الی صلاح الدین عزم اهل
هذا الاسطول علی اخذ من یخرج منها من اهلها الفرنج غیظا علیهم حیث سلموها سریعا
فسمع بذلك اهل لاذقیة فأقاموا وبذلوا الجزیة فکان ذلك سبب مقامهم فیها ثم ان مقدم هذا
الاسطول طلب من السلطان الامان لیحضر عنده فأمنه وحضر وقبل الارض بین یدیه
وقال ما معناه انك سلطان رحیم کریم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فاترکهم یکونوا

ثم اليك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والاجاءك من البحر ما لاطاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فأجابه صلاح الدين بنحو من كلامه مع اظهار القوة والاستهانة بكل من يجئ من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه ورجع الى اصحابه

﴿ ذكر فتح صهيون ﴾

ورحل صلاح الدين فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهواء صعبة المرتقى على قنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لايرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرأى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسى اليد والشرخ وغير ذلك فخرج اكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل فتسلقوا بين الصخور حتى التحقوا بالسور فملكوا منها ثلاثة وغنموا مافيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقصة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى امير يقال له ناصر الدين فحصنه وجعله من احصن الحصون

﴿ ذكر فتح عدة حصون ﴾

ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا فى تلك النواحى فملكوا حصن بلاطنوس وحصن العيد وحصن الجماهرين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لاترام ولايوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امرهم بمزاحفتهم ونصب المنجنيق اليها ففعلوا ذلك ورموا بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شئ الا القليل الذى لايؤذى فبقى المسلمون اياما لايرون فيها طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم من ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم فى ذكر القلعة واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتى الله بنصر من عنده وفتح فبيناهم فى الحديث اذ أشرف عليهم افرنجى ونادى يطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انتظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ رهائنهم

على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه وسبب استمهالهم انهم ارسلوا الى صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون و يطلبون منه ان يرحل عنهم المسلمين والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله فى قلوبهم والا فلو اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه وكان قد سير ولده الظاهر غازى صاحب حلب الى سرمينية فحصرها وضيق على اهلها واستنزلهم على قطعة قدرها عليهم ثم هدم الحصن وعفى اثره وكان فى هذه الحصون من اسارى المسلمين الجم الغفير فأطلقوا واعطوا كسوة ونفقة واتفق ان فتح هذه الحصون كلها فى ست جمع مع انها كانت فى ايدى اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها سوى القصير و بغراس ودرب ساك وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح قلعة برزية ﴾

ولما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت لهم وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره وكان اهلها اضر شئ على المسلمين يقطعون الطريق و يبالغون فى الاذى فلما وصل اليها نزل شرقها فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانها لا يقدر احد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين واما الجانب الشرقى فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوه وصعوبته واما جهة الغرب فان الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقا ابطلها وكان ابن الاثير صاحب التاريخ مع صلاح الدين فى هذه الغزوة طلبا للجهاد قال ورأيت انا من رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شئ اليها امرأة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهى التى ابطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلوا عادوا و يزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم يدور الدور مرة بعد اخرى حتى يتعب الفرنج و ينصبوا فانه لم يكن عندهم من الكثرة ما ينقسمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا سلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم احد الاقسام وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء ٢ الجفنيات والجنوبات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قربوا من الفرنج عجزوا عن الدنو منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسا ينتظرونهم

٢ الجفنيات شجر طيب الريح والجنوبات شجر يشفطر فى الهند والطارقيات جلود على مقدار الترس تلزق بالترس

وهم خلقة صلاح الدين الخاصة فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين فى سلاحه يطوف عليهم و يحرضهم وكان تقى الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم و بيده جاق يردهم وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان القسم الاول قد استراحوا فقاموا ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج و بلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحرب والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة فى الخيام شرقى الحصن فرأوا الفرنج قد أهملوا ذلك الجانب لأنهم لم يروا فيه مقاتلا وليكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فلكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلعة التى للحصن واحاط بها المسلمون و ارادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلعة وارجلهم فى القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبروا فى سطح القلعة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا و ألقوا بأيديهم الى الاسر فلكها المسلمون عنوة ونهبوا مافيها واسروا وسبوا من فيها واخذوا صاحبها وأهله وامست خالية لاديار بها والقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقت قال ابن الاثير ومن العجب مايحكى من السلامة انى رأيت رجلا من المسلمين فى هذه الوقعة قد جاء من طائفة من المؤمنين شمالى القلعة الى طائفة اخرى من المسلمين جنوبى القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضا فألقيت عليه الحجارة وجائه حجر كبير لو ناله لبجه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ماالخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت فى الارض فوق موضع الرجل فضربه المنحدر فارتفع الحجر المنحدر عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه اذى ولا ضرر وقام الرجل حتى لحق بأصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان واما صاحب برزية فانه اسر هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له ومعها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت و بحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثيرا من الاحوال التى تؤثر فأطلق هؤلاء لأجلها ثم بعد فتح برزية رحل صلاح الدين من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فأقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره

﴿ ذكر فتح درب ساك ﴾

ثم سار عنه الى درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهو من القلاع الحصينة التى يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها

شيئاً يسيراً فلم يبال من فيه بذلك فأمر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذى يريد ان المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينظرون جوابه اما بانجادهم و ازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليهم واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فأمنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب سنة اربع وثمانين وخمسمائة

﴿ ذكر فتح بغراس ﴾

ثم سار صلاح الدين عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد أن اختلف اصحابه فى حصرها فمنهم من اشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها و يتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين فى بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئاً لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فاذن له فى الحضور فحضر وطلب الامان لمن فى الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة دربساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واموال وسلاح وامر صلاح الدين المسلمين بتخريبه فخرب ثم ندم على ذلك بعد لانه حصل منه بعد ذلك مضرة على المسلمين لان ابن اليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتتأذى منهم السواد الذى لحلب

﴿ ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية ﴾

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف صاحب انطاكية من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة و بذل اطلاق كل اسير عنده من المسلمين فاستشار صلاح الدين من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية فى ذلك الوقت اعظم الفرنج شانا واكثرهم ملكا فانه كان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت صاحبها وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له فلما سلمت اليه

طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه واما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق اكثر العساكر وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين ابو فليتة قاسم ابن المهنا العلوى الحسينى وهو امير مدينة النبى صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى اعماله كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق من بقى من العسكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقى بيد الفرنج من الحصون الكرك وصفد وكوكب وغيرها ولابد من الفراغ منها فانها فى وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر اهلها و ان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله اعلم

﴿ ذكر فتح الكرك وما يجاوره ﴾

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت ازواد الفرنج وذخائرهم واكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل اخا صلاح الدين وكان صلاح الدين قد جعله على قلعة الكرك فى جمع من العسكر يحصرها و يكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما ابعد هو الى درب ساك و بغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه و يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وارسل الى مقدم العسكر الذى يحصرها فتسلم القلعة منهم وامنهم وتسلم ايضا يقارب به من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية والقى الاسلام هناك جرانه وأمنت قلوب من فى ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا ممن يتلك الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

﴿ ذكر فتح قلعة صفد ﴾

لما وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق من بقى من العسكر قال لابد من الافرنج من صفد وكوكب وغيرها فأقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وأدام الرمى اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخائرهم وازوادهم ان تفنى فى المدة التى كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم فلما رأى اهله جد صلاح الدين فى قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكم اوانهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلو يطلبون الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا عنه وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

﴿ ذكر فتح كوكب ﴾

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الافرنج وقالو ان فتح المسلمون قلعة صفد لم يبق كوكب ولوانها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رأيهم على انفاذ نجدة لهما سرا من رجال وسلاح وغيرذلك فاخرجوا مائتى رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر

الله تعالى ان رجلا من الحاصرين كوكب خرج متصيدا فلقى رجلا من تلك النجدة فاستغرب به بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى اقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على اصحابه فعاد الجندى المسلم الى مقدم العسكر فاعلمه الخبر والفرنجى معه فركب فى طائفة من العسكر الى الموضع الذى اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبعهم فى الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم احد فكان معهم مقدمان من فرسان الفرنج فحملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما فلما أمر بقتلهما قال له احدهما ماظن أن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك والتمسنا وجهك الصبيح وكان يفعل فيه الاعتذار والاستعطاف فلما سمع كلامهما [...] الغد وكان بهما فمنحنا ولما فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحاصرها وارسل الى الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا ويتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا فلم [...] قوله وأصروا على الامتناع فجد فى قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمى الاحجار اليهم وزحف مرة بعد اخرى وكانت الامطار كثيرة لاتنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذى يريدونه وطال مقامهم عليها وفى آخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة فى يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون والرمات يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احد منهم ان يخرج رأسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامنهم وتسلم الحصن منهم منتصف القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها [...] الفرنج وشجعانهم كل صنديد فاشتدت شوكتهم وحميت جموعهم وتابعوا الرسل الى الفرنج الذين فى اوروبا [...] وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويطلبون الامداد والنجدة وفى كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد أيلة الى اقصى اعمال بيروت لايفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد وكوكب سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكة فاقام بها حتى انسلخت سنة ٥٨٤ ودخلت سنة ٥٨٥ وهى مسيحية سنة ١١٨٩ ففى ربيع الاول من هذه السنة سار الى شقيف ارنوم وهى من امنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به واظهر له الطاعة والمودة وقال له انا محب لك ومعترف باحسانك واخاف ان يعرف المركيس صاحب صور مابينى وبينك فينال اولادى واهلى منه اذى فانهم عنده فاحب ان تمهلنى حتى اتوصل فى تخليصهم من عنده وحينئذ احضر انا وهم عندك ونسلم الحصن اليك واكون انا وهم فى خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فاجابه الى ماسأل فاستقر الامر بينهما على ان يسلم الشقيف فى جمادى الآخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين صاحب انطاكية فأمر تقى الدين ابن اخيه شاهنشاه ان يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتيه غيرهم ويكون

مقابل انطاكية اثلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان ايضا منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل بهم من الامداد فى البحر وان ملك الفرنج الذى كان اسره صلاح الدين واطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو وصاحب صور بعد اختلاف كان بينهما وانهما قد اجتمعوا فى جمع لا يحصى وخرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه مما يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع صاحب الشقيف فى مدة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن به واذا قيل له عنه ماهو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدى فضيحته ويظهر مخالفته لا يصدق فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط صاحب الشقيف وقد بقى من الاجل ثلاثة ايام فقال له فى معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وان صاحب صور لم يمكنه من المجئ اليه وطلب التأخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالته الى من بالشقيف ليسلموه فاحضروه عنده فساره بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر اهله العصيان فارسل صلاح الدين ارناط صاحب الشقيف الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل عليه من يحفظه ويمنعه من الذخيرة والرجال وجاءته كتب من اصحابه الذين جعلهم يزكا مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها أن الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذى لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة فى شجعان اصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنه لمقصدهم فلقيهم اليزك على مضيق هنالك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديد يشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين ايضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من اشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله تعالى ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم ولما وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته الوقعة اقام عندهم فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار من قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايام فى عدة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده فظن من هنالك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف فى الحرب فساروا مجدين واوغلوا فى ارض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا ان وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فارسلوا من ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم ما يخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان اباموهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ماجرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حق انفسهم

رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم في عسكره فحملوا على الفرنج الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالقوا انفسهم في الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والمخيم ولما عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متعددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمينا في موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وامرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم وأروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراأى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكانهم نحوهم مسرعين اليهم قاصدين فاتوهم وهم في شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدته وكان منهم اربعة امراء من ربيعة طي وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادي ظنا منهم انه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادي علموا انهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم واما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة واخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو بآخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤوا من الغد الى مواضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه في كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراح ... فأيسوا من حياته وعرضوا عليه الشهادة و... تركوه ثم عادوا اليه فرأوه وقد قوي نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فوفي ثم كان بعد ذلك لا يحضر مشهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

﴿ ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها ﴾

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه مع ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة اوقلعة اعطى اهلها الامان وسيرهم اليها بأموالهم ونساءهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق في السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسيسين وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج بيت المقدس من ايديهم واخذهم البطرك الذي كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعا ويستنجدون اهلها ويحثونهم على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربي والعربي يضربه وقد جعلوا الدماء في صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على

على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الاقران ومن لم يستطع منهم الخروج بنفسه استأجر من يخرج عوضا عنه يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال مالا يتطرق اليه الاحصاء حتى ان بعض الاسرى منهم حدث ان له والدة ليس لها ولد سواه وما كانت تملك من الدنيا غير بيت فباعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ بيت المقدس فاخذ اسيرا فكان عند الفرنج من الباعث الدينى والنفسانى ماهذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق وحاصروا عكا ثلاث سنين حتى ملكوها وكان ابتدا تجمعهم وسيرهم هذا المسير سنه ٥٨٥ وهى مسيحية سنة ١١٨٩ فنازلوا عكا منتصف رجب من السنة المذكورة والامداد تأتيهم فى كل وقت بالمال والرجال والمسلمون يقاتلونهم وفى سنة ١١٩٠ مسيحية وهى سنة ٥٨٦ هجرية قامت لهم التجريدة الثالثة ونفروا نفرا عاما من بلاد اوروبا تحت راية فليب ملك فرانسا وفريد ملك جرمانيا وريكاردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامرا فنهضوا جميعا وقصدوا بلاد فلسطين بأتى سفينة مشحونة بالعساكر والمهمات وعند وصولهم الى مدينة صور وهى الباقية بأيديهم تقدموا منها الى مدينة عكا وحاصروها مع من كان قبلهم محاصرها حتى تم عدد المحاصرين ستمائة الف ولاقى المسلمين من حربهم اشد البلاء وكان ابتداء مسيرهم من صورثامن رجب سنه ٥٨٥ يموج بعضهم فى بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم ولازموا ساحل البحر فى سيرهم لايفارقونه فى السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلتهم فى البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم مالاقبل لهم به ركبوا فيها وعادوا ولما كانوا سائرين كان يزل المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون او يكون فى غير الطريق التى سلكوها فقالوا لاحاجة بنا الى احتمال المشقة فى مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولايتهيأ لنا مانريده منهم والرأى اننا نسير فى الطريق الواسع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا لصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولانيل الغرض منهم والرأى قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق واسع فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل فى مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم فلم يقدم الفرنج عليهم مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأى صلاح الدين فى مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا كان بلغ منهم غرضه وصدهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الاخر ولم يبق للمسلمين طريق الى عكا فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل القياظية وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فأتاه الناس من كل البلاد وكانت الامداد تأتى

المسلمين فى البر وتأتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة مابين صغيرة وكبيرة ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكة حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم مايريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بحده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين بن اخى صلاح الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لايلوى اخ على اخ والتجوا الى من يليهم من اصحابه واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما أخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وادخل صلاح الدين اليه من اراد من الرجال وما اراد من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما ارادوه فان للصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

﴿ ذكر وقعة اخرى ﴾

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستفاد وسعهم فى استيصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على مافرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع عن الوصول اليهم فالح المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان جماعة من الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع الفرنج على عادتهم حمل عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فأحسن اليهم بالجوائز وا...

﴿ ذكر الوقعة الكبرى على عكا ﴾

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى عشرين من شعبان كل يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لايظهرون من معسكرهم ولايفارقونه ثم أن الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضروا والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضروا فالرأى انا نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع العسكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عن بعضهم مقابل انطاكية ليرد صاحبها عن اعمال حلب وبعضهم فى حمص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر ايضا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكونون بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذى بقى من عسكر مصر لم يصلوا لطول بيكارهم فكان هذا مما اطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو فى خيمته ومنهم من قد توجه فى حاجة

من زيارة صديق وتحصيل مايحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كانهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملأوها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين فلما رأى الفرنج نحوه قاصدين حذرهو واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر فلما رأى صلاح الدين الحال وهو في القلب امد تقي الدين برجال من عنده ليتقوى تقي الدين فلما رأى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين يديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذي عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه ثم ان الفرنج نظروا الى ورائهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن اصحابهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع منهم معه جماعة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل اكثرهم واخذ الباقون اسرى وكان عدة القتلى عشرة آلاف قتيل سوى من كان الى جانب البحر ثم امر بالقتلى فالقوا في النهر الذي يشرب منه الفرنج وكان في جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل ولولا ان العساكر تفرقت في الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا في القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج في معسكرهم لعلهم يفرغون منهم فجاء للمسلمين الصريخ بان رجالهم واموالهم نهبت وكان سبب هذا ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدواب فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوه واتوا عليه وكان في عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون في جمعها وتحصيلها فامر بالنداء باحضار ما احضر منه ماملاء الارض من المفارش والعيب المملوءة والثياب والسلاح وغير ذلك ففرق الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ماأراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شأن الباقين منهم

﴿ ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا ﴾

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهوى والجو وحدثت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامرا واشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأي اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا اشرنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأي على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك

فاجابهم اليه لما يريدالله ان يفعله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وارسل لمن فى عكا من المسلمين يأمرهم بحفظها واغلاق ابوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا وحصروا عكا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضا فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل انه غير صواب وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب واشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيأ وربما كان من الشر اضعاف ما نرجوه من الخير فتأخر الامر الى ان عوفى فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ولما برئ صلاح الدين من مرضه كان الشتاء قد دخل فاقام بمكانه الى ان ذهب الشتاء وكان يزك وطلائعه لا تنقطع عن الفرنج وفى منتصف شوال وصلت اليه العساكر المصرية ومقدمها الملك العادل سيف الدين اخو صلاح الدين فقويت نفوس الناس به واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيأ كثيرا ومعه من الرجالة الجم الغفير ووصل بعده الاسطول المصرى ومقدمه الامير لؤلؤة وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة ووقع فى طريقه على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة ودخلت سنة ست وثمانين فلما دخل صفر سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذى فى المعسكر عندهم قليلا وان الوحل الذى فى مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من اراد ان ينحدر الى اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا نفوسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتى فنى نشاب المسلمين فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصرة اخوانهم فاتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماه وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل قيل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسأمو

﴿ ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول ﴾

كان الافرنج فى مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدا طول كل برج

(منها)

منها فى السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين فى ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل بها من عليه فانكشفوا وشرعوا فى طم خندق البلد فاشرف البلد على ان يملك عنوة وقهرا فارسل اهل البلد الى صلاح الدين انسانا سبح فى البحر فاعلمه ماهم فيه من الضيق وماقد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدم الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما شغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا ان الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية ايام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما راوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيأ وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسى انما اشتهى معرفتها وكان بعكا لأمر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع فى عمل مايعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لايمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيقى أن يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج مااعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه مايكاد يقتله فازداد غيظا لقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقى بامتثال امره فرمى عدة قدور نفطا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لايحرق شيأ يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى القاه قد تمكن من البرج والتصق به حتى اذا جاءته النار اشتعل سريعاً القى قدرا مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدراً ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج واعجلت من فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما راوا ان القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعى فى الخلاص حتى عجل الله لهم النار فى الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الأول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهوداً لم ير الناس مثله والمسلمون الذين مع صلاح الدين خارج البلد ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم احد الا وله فى البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفردة وقال انما عملته لله تعالى ولا اريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وارسل

صلاح الدين يطلب العساكر الشرقية فاول من اتاه صاحب سنجار بعساكره وديار الجزيرة ثم صاحب الموصل بعساكره ثم صاحب اربل بعساكره وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعساكره و ينضم اليهم غيرهم و يقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا يلقاه و يقاتله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشيء فكان القتال بين الفريقين براً وبحراً وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبا فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا ان القتل في الفرنج كان اكثر منه في المسلمين ووصل الاسطول الاسلامي سالما

﴿ ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته ﴾

في هذه السنة كان خروج ملك الالمان من بلاده والالمان نوع من الفرنج من اكثرهم عددا واشدهم بأسا وكان قد ازعجه تملك المسلمين بيت المقدس فجمع عساكره وازاح علتهم وسار عن بلاده وكان طريقه على القسطنطينية وكان ملك القسطنطينية عقد صلحا مع صلاح الدين وصار يكاتبه و يظهر له المودة فارسل ملك الروم لصلاح الدين يخبره بقدوم ملك الالمان و يعده انه لا يمكنه من العبور في بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وساروا على بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان السلجوقي وكان من ملوك الاسلام فلما وصلوا الى اوائلها ثار بهم المسلمون فما زالوا يسايرونهم و يقتلون من انفرد و يأخذون ما قدروا عليه من اموالهم وكان الزمان شتاء والبرد في تلك البلاد شديد والثلج متراكم فأهلكهم البرد والجوع والقتل والاخذ فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين بن قلج ارسلان السلجوقي ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية فساروا حتى بلغوا انطاكية وكانوا نيفا واربعين الفا ووقع فيهم مرض ووباء فمات كثير منهم ودخل ملكهم في نهر ليغتسل فغرق فجعلوا ابنه ملكا عليهم بدله ثم ساروا حتى وصلوا الى عكا فلما رأوا ما نالهم من المشقات اراد كثير منهم العود الى بلادهم فركبوا في مراكب غرقت بهم ولم يبق منهم الا القليل ولما بلغ صلاح الدين اقبالهم استشار اصحابه فاشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير بعض عساكره الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا لكن كفى الله شرهم واقل عددهم بما اصابهم من العوارض والبلايا في طريقهم

﴿ ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا ﴾

وفي هذه السنة اعني سنة ٥٨٦ في العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها

وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل اخو صلاح الدين فركب المصريون واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم فكر المصريون ورجعوا عاطفين عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فأخرجوهم عنها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت امدادهم القوا بايديهم وأخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل ولما جرت عليهم هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانت عريكتهم فلما كان بعد يومين اتتهم امداد فى البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهنرى ابن اخى ملك فرانسا لابيه وابن اخى ملك انكلترا لأمه ووصل معه من الاموال شئ كثير يفوته الاحصاء فلما وصل جند الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية واطمأنت واخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلوا بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثم أظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم وكانت منزلة المسلمين قد أنتنت بريح القتلى فاختاروا الانتقال الى موضع يتسع فيه المجال فانتقلوا من مكانهم الى الخروبة فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ان الكندهنرى نصب منجنيقا ودبابات وعرادات للتوصل الى دخول عكا فخرج من بعكا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا من الفرنج ثم ان الكندهنرى بعد اخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقا آخر فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين الذين بعكا كانوا يمنعون من عمل ستائر يستترون بها من رمى المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد فكان الفرنج ينقلون التل الى القرب من البعد بالتدريج ويستترون به فلما قرب الى البلد وصار بحيث تصل من عنده حجر المنجنيق نصبوا من ورائه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكا فتأخر انفاذها فسير الى نائبه بمدينة بيروت فى ذلك فسير بطسة عظيمة مملوءة من كل ما يريدونه وامر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا ادخلها من بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم الى ان اتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو الف مقاتل فاخذت بنواحى الاسكندرية واخذ من معها ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن امره وكان قوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عندهم من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومة الكبرى يأمرهم فى كتابه بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد أرسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم برا وبحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

﴿ ذكر خروج الفرنج من خنادقهم ﴾

لما تتابعت الامداد الى الفرنج وجند لهم الكندهنرى جمعا كثيرا بالاموال التى وصلت معه

عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها و يقاتل
اهلها وخرجوا حادى عشر شوال من السنة المذكورة فى عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة
فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا ولقى
الفرنج على تعبية حسنة وكان اولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر مما يلى القلب
واخوه العادل ابو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان فى الميسرة عماد الدين
صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماه ومعز الدين صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من
امرائه واتفق ان صلاح الدين اخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف
على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقى نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر
فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وامطروا عليهم من السهام
ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربى النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج
قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون
ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم
فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخندقهم والجالشية
فى اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل
أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما اصابهم ولولا ذلك الالم الذى حدث بصلاح الدين لكانت
هى الفصل ولله فى كل شئ حكمة وله امر هو بالغه ولا راد لما اراد فلما بلغ الفرنج خندقهم
ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفى
الثالث والعشرين من شوال ايضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض جماعة أخرى من المسلمين
للفرنج فخرج اليهم اربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيأ من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج
حتى جاوزوا الكمين فخرج من كان فى الكمين من المسلمين عليهم فقتلوهم فلم يفلت منهم احد
واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صورى فصبروا على
هذا ولما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانها لم تمكن من
الميناء فسيروها الى صور لانها كانت بأيديهم فانفتح الطريق الى عكا فى البحر للمسلمين فأرسل
اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين ابو الهيجا
السمين فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر اخاه الملك
العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى
وكلما جاءه جماعة من العسكر سيرهم اليها واخرج عوضهم فدخل اليها عشرون اميرا
فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد
الرجال وانفاذهم فتفرق خلق كثير فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج
الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح يأتى بكتاب ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

﴿ ذكر وصول فليب ملك الفرنسيس ثم ملك انكلترى ﴾

فى هذه السنة اعنى سنة ٥٨٧ ثانى عشر ربيع الاول وصلت امداد الافرنج فى البحر الى الفرنج

الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك الفرنسيس ومعه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوسهم وكان صلاح الدين يركب كل يوم ويقصد الفرنج يشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وأرسل الى مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ماعنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من وصول شئ من شوانيهم الى عكا ففعل ذلك صاحب بيروت وسير الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب للفرنج مملوءة رجالا من اصحاب ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد المسمى د ريكاردوس الاول وكان قد سيرهم بين يديه وتأخرهو بجزيرة قبرس ليملكها من ملك الروم لانها كانت بأيديهم فاقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب انكلترا فغلبهم المسلمون واستظهروا عليهم وغنموا مامعهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال واما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من موضعه الذى كان فيه ونزل قريبا من خنادق الفرنج مقابلة لئلا يتعب العسكر كل يوم فى المجئ اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خنادقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلترا ثالث عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة سنه ٥٨٧ بعد ان استولى فى طريقه على جزيرة قبرس واخذها بالمكر والخديعة من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها فكان ذلك زيادة فى ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار عنها الى من بعكا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعة كبارا مملوءة رجالا واموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم فى المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلى المسلمون منه بالداهية التى لامثل لها ولما وردت الاخبار بقدومه امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلترا مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتاله فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم من بها فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع مافيها وكانت عكا محتاجة الى رجال ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج ان ذلك جميعه لاينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لاينالهم من البلد اذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لابالنار ولابغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ولا منع

﴿ ذكر ملك الفرنج عكا ﴾

فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ سبع وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان اول وهن دخل على من فى عكا ان الامير سيف الدين على بن احمد الهكارى المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم

فخرج الى ملك افرنسيس و بذل له تسليم البلد بما فيه على ان يطلق المسلمين الذين فيه و يمكنهم من اللحوق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد على بن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا وأهمتهم انفسهم ثم ان اميرين ممن كان بعكا لما رأوا مافعلوا بالمشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملا وركبا فى شئ صغير وخرجا سرا من اصحابهم ولحقا بعسكر المسلمين وخرج معهما جماعة فلما أصبح الناس وعلموا ذلك ازدادوا وهنا الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين فى معنى تسليم البلد فأجابهم الى ذلك واشترط ان يطلق من اسراهم بعدد من فى البلد ليطلقوا هم من بعكا وان يسلم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى من بعكا من المسلمين ان يخرجوا من عكا يدا واحدة و يتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة التى يخرجون منها بعساكره فشرعوا فى ذلك واشتغلوا باستصحاب ما يملكونه فما فرغوا من اشغالهم حتى اسفر الصبح فبطل ماعزموا عليه من استصحاب مايملكونه لظهوره فلما عجز الناس عن حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على السور يحركون اعلامهم ليراها المسلمون الذين فى خارج البلد وكانت هى العلامة اذا اخترمهم امر فلما رأى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو فى اولهم وكان الفرنج زحفوا عن خنادقهم ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم و يضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا فى مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى المشطوب ان صلاح الدين لايقدر على نفع ولايدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه بأموالهم وانفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتى الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدة تحصيله المال والاسرا الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم مابذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع فى جمع المال فلما اجتمع عنده مائة الف دينار جمع الامراء واستشارهم فاشاروا عليه بأن لايرسل شيأ حتى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك والداوية طائفة من الفرنج كان لهم وفاء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداوية لانحلف ولانضمن لانا نخاف غدر من عندنا وقال ملوك الفرنج اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيأ واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقى و تطلقون اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة الف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد عندنا حتى يجئ باقى المال فعلم الناس

حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لايعبأ به ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثا السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا اكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف وهم خلق كثير واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف فى المال الذى كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى الشام وكان ملك الفرنسيس قد توجه قبل ذلك الى صور لترتيب اموره وبقى فى عكا ملك انكلترا الى ان تم استيلاؤه عليها وغدر بالمسلمين وفعل بهم ما تقدم وارتحل الى عسقلان فى عشر شعبان واستمرت عكا بايديهم بعد استيلائهم عليها وبقيت عندهم مائة سنة وثلاثين الى سنة ستمائة وتسعين فافتتحها وانتزعها منهم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون وسيأتى انه سار اليها بجيوشه وعساكره ونصب عليها المجانيق العظيمة وقاتل اهلها اشد القتال الى ان ملكها وقتل من فيها من الفرنج وغنم منها اموالا لا تحصى وكان نزوله عليها فى اوائل جمادى الاولى من السنة المذكورة اعنى سنة ٦٩٠ وفتحها يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها ثم قتلوهم فقدر الله عزوجل فى سابق علمه انها تفتح فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة على يد صلاح الدين بن قلاوون فكان فتوحها فى مثل الشهر الذى ملكها فيه الفرنج وفى مثل اليوم الذى ملكوها فيه من الشهر ولقب السلطان الذى فتحها مثل لقب السلطان الذى اخذت منه اذ كل منهما يلقب صلاح الدين ولله فى كل شئ حكمة وكل شئ عنده بمقدار لايتقدم ولايتأخر ولايزيد ولاينقص لاراد لقضاه وقدره ثم فتح السلطان صلاح الدين قلاوون بقية البلدان التى كانت بيد الفرنج من ارض الشام وقطع دابرهم وتطهرت ارض الشام وسواحلها منهم فلله الحمد على ذلك

﴿ ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان ﴾

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكا رحلوا مستهل شعبان قاصدين عسقلان وكان توجههم من جهة حيفا مع شاطئ البر لايفارقونه ومراكبهم تسايرهم فى البحر محاذية لهم فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكره بالرحيل فساروا فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا اليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة واسروا جماعة فلما وصل الفرنج حيفا نزلوا بها ونزل المسلمون قريبا منهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويقتلون من قدروا عليه منهم فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها ونزل

المسلمون قريبا منهم ولما نزلوا قيسارية خرج من الفرنج جماعة فأبعدوا عن جماعتهم فأوقع بهم المسلمون فقتلوا منهم واسروا ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة فألحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتلوا كثيرا منهم فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة منهم على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لايلوى احد على احد والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة تبعتهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين قطعة كثيرة الشجر فدخلها المسلمون فظن الفرنج انها مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق ثم سار الفرنج الى يافا ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ثم سار صلاح الدين الى الرملة وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج عسقلان ووقفنا فى وجوههم نصدهم عنها فهم لاشك يقاتلونا فنزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوى باخذ عكا ومافيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجب احد الى ذلك وقالوا ان اردت حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والافما يدخلها منا احد لئلا يصيبنا ما اصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة سنة ٥٨٧ والقيت حجارتها فى البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التى للسلطان والرعية مالا يمكن حصره وعفى اثرها حتى لايبقى للفرنج فى قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس صاحب صور لعنه الله تعالى لما كان بعكا احس من ملك انكلترا الغدر به ليتملك منه صور فهرب من عنده الى صور فحصنها وكان رجل الفرنج شجاعة ورأيا وكل هذه الحروب هو الذى أثارها فلما خربت عسقلان ارسل ملك انكلترا يقول له مثلك لاينبغى ان يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك ياجاهل لما بلغك انه قد شرع فى تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا بغير قتال ولاحصار فانه ماخربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انى معك كانت عسقلان بأيدينا اليوم لم يخرب منها غير برج واحد وقد عمر الفرنج عسقلان فى المحرم سنة ٥٨٨ وملكوها ثم ان صلاح الدين لما خرب عسقلان مضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد ثم سار صلاح الدين الى القدس وحصنها واعتبر مافيها من ذخائر وسلاح وقرر قواعده واسبابه ومايحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفى مدة اقامة الفرنج بيافا خرج ملك انكلترا من معسكره ومعه نفر من عسكره فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلترا يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلص الملك واسر ذلك الرجل وفيها ايضا وقعت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج كان النصر فيها للمسلمين

* *
*

(ذكر)

﴿ ذكر رحيل الفرنج الى نطرون ﴾

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من منزلته الى نطرون ثالث عشر رمضان وخيم بها فراسله ملك انكلترا يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أخى صلاح الدين فاستقرت القاعدة ان ملك انكلترا يزوج اخته من الملك العادل ويكون القدس ومابأيدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل وتكون عكا ومابأيدى الفرنج من البلاد لأخت ملك انكلترا مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها الاول فعرض العادل ذلك على اخيه صلاح الدين فاجاب الى ذلك فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والأساقفة والرهبان الى اخت ملك انكلترا وأنكروا عليها ذلك فامتنعت من الاجابة وكان الملك العادل فى مدة الخوض فى الصلح يجتمع فى بعض الاوقات مع ملك انكلترا و يتذاكران حديث الصلح وطلب من الملك العادل مرة أن يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ثم ان الصلح لم يتم بينهما لما امتنعت اخت ملك انكلترا ثم تبين أن ملك انكلترا كان يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة ومعه العسكر وترك الاثقال فى نطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات كلها ينتصر فيها المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى نطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد بيت المقدس فقرب بعضهم من بعض وعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت فى العسكرين فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

﴿ ذكر مسير صلاح الدين الى القدس ﴾

لما رأى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر فى تعب دائم وكان كثير من العسكر قد طال عليهم البيكار فأذن لهم فى العبور الى بلادهم للاستراحة وسار هو الى بيت المقدس فيمن بقى معه فنزلوا جميعا داخل البلد وقدم اليه عسكر من مصر فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من نطرون ثالث ذى الحجة على قصد بيت المقدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون فى وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس امر بعمارة سوره وتجديد مارث منه فأحكم المواضع الذى تملك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصل وسلم كل برج لأمير يتولى عمله ثم ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الامكنة البعيدة فيقتدى به الأمراء والعسكر فكان يجتمع من العمالين فى اليوم الواحد من يعملون قدر عدة ايام ثم ان الفرنج رجعوا الى الرملة فى العشرين من ذى الحجة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون مايريدونه من الساحل فلما بعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون مامعهم ثم ان ملك انكلترا قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا لى مدينة القدس

فاني مارأيتها فصوروها له فرأى الوادى يحيط بها ماعدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادى وعن عمقه فاخبروه انه عميق وعر المسلك فقال هذه مدينة لايمكن حصرها مهما كان صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لأننا ان نزلنا فى الجانب الذى يلى المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال الذخائر ومايحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يتمكن للطايفة الاخرى انجاد اصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا مافيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان يتخلصوا من الوادى ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى مايتعذر علينا من ايصال مانحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم ومايجرى للجالبين لها من المسلمين فأشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين ثم دخلت سنة ٥٨٨ ثمان وثمانين وخمسمائة فعمر الفرنج عسقلان كما تقدم وجرى بينهم وبين المسلمين حين عمارتها قتال شديد وعدة وقايع فكان المسلمون تارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع عليهم الميرة واخذوا منهم قوافل كبيره وفى شهر ربيع من هذه السنة جعل صلاح الدين لباطنيين من الاسماعيلية عشرة آلاف دينار ان قتلوا ملك انكلترا او المركيس صاحب صور فتمكنا من قتل المركيس صاحب صور فقتلاه ثم قتلا فتملك صور الكندى هنرى وتقدم انه ابن اخت ملك الفرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلترا لامه وفى تاسع جمادى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى بيت المقدس وصلاح الدين فيه وكان سبب طمعهم أن صلاح الدين فرق كثيرا من عساكره لاجل الشتاء ليستريحوا فظنوا انهم ينالون غرضهم فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق ابراج البلد على الامراء وسار الى الفرنج وكانوا على فرسخين من القدس فصب عليهم البلاء وتابع ارسال السرايا فعلموا انهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتسلط عليهم امكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم وقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الأولى وفى تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج خروج قفل كبير من مصر فأسرى الفرنج اليهم واخذوا بعض القفل بنواحى الخليل وسلم البعض ثم ان الفرنج أيقنوا انهم لاطاقة لهم بالمسلمين اذا فارقوا البحر وبعدوا عنه فرجعوا الى عكا واقاموا بها فلما علم صلاح الدين بذلك جمع العساكر وسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها الى ان ملكها بالسيف عنوة فى عشرين من رجب وغنم مافيها وقتل كثيرا واسر كثيرا وكان بها اكثر الاموال التى غنموها من قفل مصر وتحصن من بقى من الفرنج بالقلعة فحاصرهم فجاءتهم نجدة من عكا ومعها ملك انكلترا فأخرج من بيافا من المسلمين وتتابع اليه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل وأكل ثم رجع الى يافا

﴿ ذكر الهدنة مع الفرنج ﴾

فى العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت هدنة بين المسلمين والفرنج لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر وسببها ان ملك انكلترا لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل بلد للمسلمين يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده فارسل الى صلاح الدين فى الصلح فلم يجبه صلاح الدين بل طلب منه المصاف والحرب فاعاد الفرنجى رسله مرة بعد اخرى وارسل الى الملك العادل اخى صلاح الدين فى تقرير الهدنة فأشار هو وجماعة من الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوا صلاح الدين ما عند العساكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجى انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجئ الشتاء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج الى البقاء هنا سنة اخرى فيعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول فى هذا المعنى فاجاب صلاح الدين حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة من حضر عند صلاح الدين من الفرنج باليان بن بارزان الذى كان صاحب الرملة ونابلس ومن جملة ما قال لصلاح الدين ما عمل احد فى الاسلام مثل ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فانا احصينا من خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف مقاتل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلته انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وعادت كل طائفة الى بلادها ورجع ملك انكلترا الى بلاده واقام بالساحل الشامى ملكا على الفرنج وعلى البلاد التى بايديهم الكندهنرى وسار صلاح الدين الى القدس وصام به رمضان ثم سار الى دمشق فى شوال وفرح الناس به لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام وكانت هذه الهدنة من لطف الله بالمسلمين لان الله لما علم قرب وفاة صلاح الدين قدر وقوع هذه الهدنة لانه لو توفى صلاح الدين فى مدة الحرب لزاد طمع الفرنج فى بلاد الاسلام وانتشر شرهم وربما انه لا يوجد بعده من يقوم مقامه وكانت وفاة صلاح الدين بدمشق فى السابع والعشرين من شهر صفر سنة ٥٨٩ تسع وثمانين وخمسمائة بعد ان مرض اياما وكان رحمه الله عالما صالحا حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد فى الكفار وفتوحاته تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يوجد فى خزانته غير سبعة واربعين درهما ودينار واحد صورى وكانت ولادته سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وكان رحمه الله مشغوفا بالانفاق فى سبيل الله تعالى فكان اذا عقر او جرح لاحد من العسكر فرس فى سبيل الله يعوضه مثله ويزيده فى عطائه وحسبوا ما وهبه من الخيل للحاضرين معه فى الجهاد فى مدة ثلاث سنين فكان اثنى عشر الف رأس وكان كريما شديد الكرم كثير البذل للاموال لاسيما للمجاهدين ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب لانسان من المجاهدين او موعود

بهيته وصاحبه ملازم في طلبه وماحضر للقتال الا واستعار فرسا يقاتل عليه فاذا نزل عنه
جاء صاحبه وأخذه وكانت مجالسه حافلة باهل العلم والدين والفضل يحب مناظرة العلماء
بين يديه ويشاركهم في المناظرة احسن مشاركة في المسائل الغامضة حتى صار لمداومة
مجالسته للعلماء أعرف منهم بالاحكام الفرعية والادلة الشرعية وكان كثير الاكرام للعلماء
متواضعا لهم مواظبا على الفرائض الخمس لم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة
وكان متوكلا على الله لا ينفصل في عزمه يوما على يوم وكان كثير التغافل عن سيآت خدمه
واتباعه وزلاتهم يسمع مايكره ولا يتأثر به ولا يخبر بخطيئة من اخطأ منهم حتى ان بعض مماليكه
رمى بعضا آخر بسرموزة فاخطأته ووقعت قريبا من السلطان وكادت تصيبه فالتفت الى
الجهة الاخرى تغافلا عنها وصار يكلم من بجانبه وكان طاهر المجلس طاهر اللسان قال العماد
الكاتب مات بموته الرجال وفات بفواته الافضال وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت
الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان ورزئ الاسلام وكانت مجالسه كلها مجالس الآخرة
لانها اما في اقامة عدل ينشره اوجهاد يجهز له اوسماع الاحاديث النبوية او بر يوليه اواحسان
يوصله الى ذوي الحاجات وارباب الضرورات الى غير ذلك من انواع البر وابواب القربات
مع ما انطوى عليه من السجايا الجليلة والاخلاق الطاهرة الجميلة والحياء الذي لامزيد عليه
والسخاء الذي لا يلحق فيه وكان يهب الجزيل ولا يراه بل يرى الفضل لآخذه وكان دائم
البشر والبشاشة لا يرد سائلا ولا يصد نائلا ولا يخجل قائلا ولا يخيب آملا سأل مرة بعض الامراء
عن تخلفه عن غزوة تخلف عنها فذكر دينا عليه فاحضر الغرماء وتحمل الدين عن ذلك الامير
وكان ذلك الدين اثني عشر الف دينار وكان كل مماليكه وخواصه وجميع امرائه واجناده
يقتدون به في اخلاقه وكرمه وحسن سجاياه فكانوا اعف من الزهاد واكثر عبادة من العباد
قال العماد الكاتب ورأى لي يوما دواة محلاة بشيء يسير من الفضة فانكرها فقلت له ان الامام
ابا محمد الجويني ذكر وجها في جواز مثل ذلك فقال لي لا تتبع الرخص فلم اكتب بها بعد ذلك
وكان كثير الاوراد والاذكار وتلاوة القرآن اوقاته كلها مستغرقة بالعبادة علما وعملا قلبا وقالبا
قد هجر لذة الدنيا وزينتها واخرج من قلبه محبتها وبهجتها فكان كالاسير في هذه الدار لا يؤمل
بفك الاسر عنه الا في دار القرار وكان لشدة حبه سماع الحديث النبوي على قائله افضل الصلاة
والسلام يسمعها بين الصفين وسبب ذلك انه قيل له انك يامولانا سمعت الحديث في جميع المواطن
الشريفة الا بين الصفين حين القتال فاحضر جزأ من اجزاء الحديث وقرئ عليه هو وجنوده
على ظهور الخيل بين الصفين يمشون تارة ويقفون أخرى والرؤس تندر والرؤس تقصر
وواظب على ملازمة ذلك وتكراره في كثير من مواقفه وكان ذلك من اسباب النصر العظيم
والفتح المبين وكان رحمه الله شجاعا من اعظم الشجعان قوي النفس والقلب شديد البأس
عظيم الثبات لا يهوله امر حتى كان يقابل بالجمع القليل من جنده الجيوش الكثيرة من الفرنج
مع ان نجدتهم كانت ايضا متواصلة وعساكرهم متواترة وهو مع ذلك لا يزداد الا قوة نفس
وصبر ولقد وصل في ليلة واحدة من الفرنج مايزيد على سبعين مركبا عند محاربة عكا وصار
بعض اتباعه يعدون تلك المراكب من بعد العصر الى غروب الشمس وكلها كانت مشحونة

بعساكر الفرنج ويخبرونه بها وهو مع ذلك لايزداد الاقوة نفس وشجاعة وشهامة
قال القاضى ابن شداد ولما انعقد الصلح سألت بعض ملوك الفرنج وهو جالس بين يدى
السلطان يوم انقطاع الصلح عن عدتهم فقال خمسمائة الف قلت فكم هلك منكم
فقال اما بالقتل فقريب من مائة الف واما بالموت والغرق فكثير لا نعلم عددهم
ومارجع الى بلادهم الا القليل وكان رحمه الله اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين
ويخرق صفوف العساكر من الميمنة والميسرة ويأمرهم بالتقدم تارة والوقوف
تارة فى مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاورهم ليدبر الامر على مايقتضيه الحال
وكان رحمه الله له كمال المعرفة بتدبير الحرب ومكايده وما استعظم عدوه قط ولا استكثره لشدة
توكله على الله تعالى وقوة وثوقه به وكان رحمه الله تعتريه امراض فى ايام منازلته للعدو
فكان شديد الصبر ولايخل المرض بشئ مما يلزمه واعتراه ايام محاربة عكا دماميل كثيرة
من وسطه الى ركبتيه بحيث انه لايستطيع الجلوس فكان لم يزل متكأ على جنبه وهو فى الخيمة
وامتنع من الجلوس على الطعام مع من كان يجلس معهم لعجزه عن الجلوس فكان يأمر بالطعام
ان يفرق بين الناس وهو مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى الظهر يطوف على الاطراف
ويدبر امر جيوشه صابرا على شدة الالم وقوة ضربان الدماميل فكانوا يتعجبون من شدة صبره
فكان يقول لهم اذا ركبت يزول عنى ألمها حتى انزل وهذه كرامة عظيمة اكرمه الله تعالى
بها وكان رحمه الله اذا جاء الشتاء يعطى الجيش دستورا فيتفرقون ويبقى هو فى طائفة يسيرة
من جنده فى مقابلة العدو والعدو اكثر ممن معه بأضعاف مضاعفة وكان رحمه الله كثير التعظيم
لشعائر الله شديد القيام على المبتدعة والفلاسفة لا تأخذه فى الله لومة لائم وكان حسن
العشرة نظيف الاخلاق جميل المحاضرة طيب المفاكهة حافظا لانساب العرب ووقائعهم
عارفا بسيرهم واحوالهم عالما بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث ان محاضره يستفيد منه مالا
يسمعه من غيره ومن محاسن اخلاقه مع خدمه انه طلب الماء مرة فلم يحضر وعاود الطلب فى مجلس
واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا قد قتلنى العطش فأحضر الماء فشربه ولم ينكر
التوانى فى احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا ارجف عليه بالموت فلما برئ منه
ادخل الحمام فكان الماء حارا فطلب ماء باردا فأحضره الذى يخدمه فسقط من الماء شئ
على الارض فناله منه شئ فتألم له لضعفه ثم طلب البارد ايضا فأحضر فلما قاربه سقطت
الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنت
تريد قتلى فعرفنى فاعتذر اليه فسكت عنه ومن كرمه انه اخرج فى مدة مقامه على عكا
قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس وبغل سوى الجمال واما العين والثياب والسلاح
فانه لايدخل تحت الحصر ويكفى دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف فى خزانته غير دينار
واحد صورى واربعين درهما ناصرية مع ان اولاده الذين خلفهم كانوا سبعة عشر
ولدا وبنتا فلم يبال بكونه لم يترك لهم مالا يرثونه بعده ولاخلف دارا ولاعقارا ولاضيعة
ولابستانا وذلك لشدة زهده فى الدنيا وقوة وثوقه بالله تعالى وتوكله عليه ولما انقضت دولة
العبيديين بمصر واستولى هو على مصر اخذ من ذخائرهم من سائر الانواع مايفوت الاحصاء

فغرقه جميعه ولم يأخذ لنفسه شيأ ومن تواضعه رحمه الله انه لم يتكبر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين وكان يحضر عنده الفقراء الصوفية ويعمل لهم السماع المعروف عند الصوفية فاذا قام احد منهم لتواجد يقوم له فلا يقعد حتى يفرغ ذلك الفقير ولم يلبس قط شيأ مما ينكره الشرع ولما مرض مرض الموت حضر عنده ليلة من تلك الليالى القاضى الفاضل وكان القاضى الفاضل اعظم وزرائه وحضر ايضا بعض اولاده والعماد الكاتب قال العماد فأجلسناه وأسندنا ظهره الى مخدة واحضر ماء فاترليشرب به عقيب شراب يلين الطبع فشرب به فوجده شديد الحرارة فشكا من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا فشكا من برده ولم يغضب ولم يصخب ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله لايمكن احدا تعديل الماء قال العماد فخرجت انا والقاضى الفاضل من عنده وقد اشتد منا البكاء لما شاهدناه من مرضه والقاضى الفاضل يقول انظر الى هذه الاخلاق التى قد اشرف المسلمون على مفارقتها والله لو ان هذا بعض الناس كان قد ضرب بالقدح رأس من احضره وكان رحمه الله له امام راتب ملازم مواظب فان غاب يوما صلى به من حضره من اهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبا للاثم وكان يأخذ بالشرع و يعطى به ولم يكن الى المنجم مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا لايتعيف ولايتطير ولايتيمن ولا يتحير بل اذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الابتفضيل الشرع وما زال ناصرا للتوحيد وقامعا جميع اهل البدع بالتبديد شافعى المذهب اصولا وفروعا معتقلا له معقولا ومسموعا يدنى اهل التنزيه و يقصى اهل التشبيه و يديم استفادة فقه الفقيه واستفادة نباهة النبيه ووجاهة الوجيه فالعالمون فى عدله والعالمون فى نصه والبلاد فى امنه والعباد فى منه وكان رحمه الله حسن العقيدة وكان قد جمع له الشيخ الامام قطب الدين النيسابورى عقيدة تجمع جميع معتقد اهل السنة والجماعة فحفظها وكان يحفظها الصغار من اولاده وكان من القايمين بالليل للتهجد وكان يحب سماع القرآن العظيم و يشترط على من يتخذه اماما ان يكون عالما بعلوم القرآن العظيم متقنا لحفظه وكان رحمه الله خاشع القلب سريع الدمعة اذا سمع القرآن العزيز يخشع قلبه وتدمع عينه وكان شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما الا فى الجهاد لصدق وبر فى يمينه ولقد هجر فى محبة الجهاد الاهل والاولاد والوطن والمسكن وسائر الملاذ وقنع من الدنيا فى ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة و يسرة ولقد وقعت عليه الخيمة فى ليلة ذات ريح وكادت تقتله لما وقعت عليه ولا يزيده ذلك الارغبة ومسايرة واهتماما ومناقبه رحمه الله كثيرة قد افردت بالتاليف اللهم اجعل مقره جنات النعيم واقر عينه بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الرحمين واجمع بيننا و بينه فى دار كرامتك مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو مما جمع الله فيه من الصفات حسنة من حسنات السلطان محمود نور الدين ابن زنكى فان السلطان محمود نور الدين هو الذى أقامه حتى صار من الكاملين ومن عباد الله المقربين وقد تقدم الوعد بذكر ترجمة السلطان نور الدين المذكور عند ذكر وفاته سنة خمسمائة وتسع وستين وترجمته واسعة افردت بالتاليف ولنذكر نبذة منها لعلنا ننال ببركة السلطانين انواع التشريف وقد تقدم ان السلطان نور الدين هو ابن عماد الدين زنكى بن قسيم

الدولة آق سنقر كان جده آق سنقر من مماليك السلطان ملك شاه السلجوقي ولاه الولايات الجليلة ثم بعده ابنه عماد الدين زنكي ولي كثيرا من الولايات وفتح اعظم الفتوحات ثم صار الامر بعده لولده السلطان محمود نور الدين فكان له ولاية حلب والموصل وغيرهما من الممالك وفتح كثيرا من البلاد التي استولى عليها النصارى وبعث السلطان صلاح الدين الى مصر فانتزعها من ايدي العبيديين فمما ذكروه في ترجمة السلطان نور الدين انه كان عالما فقيها على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه عابدا ورعا زاهدا فمن زهده وورعه انه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته الضيق فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة نحو عشرين دينارا فاستقلتها فقال ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلي كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

* جمع الشجاعة والخشوع لربه ❊ ما احسن المحراب في المحراب *

وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه وسمع الحديث واسمعه طلبا للأجر من الله تعالى واما عدله فانه لم يترك في ممالكه على سعتها مكسا ولا عشورا بل أبطلها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل وكان الولاة قبله قد جاروا في ذلك غاية الجور حتى وصلوا الى انهم يأخذون من المائة خمسة واربعين فأبطل ذلك كله فبارك الله له في الغنائم وفتح له الفتوحات حتى انتزع هو والسلطان صلاح الدين كثيرا من الممالك الشامية وغيرها من ايدي النصارى وكانوا قد استولوا عليها قريبا من مائة سنة وقد تقدم بيان ذلك بالاختصار وكان رحمه الله يعظم الشريعة ويقف عند احكامها وله في ذلك اخبار عجيبة فمن ذلك ان بعض رعيته ادعى عليه بدعوى غير صحيحة ولا ثابتة وشكاه على القاضي الذي اقامه هو لتنفيذ الاحكام الشرعية فاستدعاه القاضي فحضر مجلس الحكم وقال للقاضي اني قد جئت محاكما فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري وساوى خصمه في المجلس وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال اشهدوا أني قد وهبت لخصمي هذا كل الذي حاكمني فيه وقد كنت اعلم انه لا حق له عندي وانما حضرت معه لئلا يظن اني ظلمته فحيث ظهر ان الحق لي وهبته له وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة للحق وهذا مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوك في هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما كان يوجد في غير ولايته وكان للسلطان نور الدين شيخ يحبه ويعتقده يقال له الشيخ عمر الملا ولقب بأمره بالملا لان الشيخ عمر المذكور كان يملي تنانير الجص بأجرة يتقوت منها فكان لا يأكل الا من كسب يده وذلك حلال وكان نازلا بالموصل وكان السلطان نور الدين يرسل اليه من حلب من يأتيه منه

بشيء يفطر عليه في رمضان يكون حلالا فكان الشيخ عمر الملا يرسل للسلطان نور الدين اكياسا
فيها الفتيت والرقاق فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم السلطان نور الدين الموصل
لا يأكل الا من طعام الشيخ عمر الملا وكان يقبل قوله ويعمل باشارته ويأمر عماله بالموصل
والجزيرة ان يعملوا بقول الشيخ عمر الملا ويقبلوا اشارته لعلمه وصلاحه وديانته وورعه فاتفق
انه كثر الدعار وارباب الفساد بالموصل والجزيرة فحضر العمال والنواب عند الشيخ عمر
الملا وقالوا له انه قد كثر الدعار وارباب الفساد ولا يستقيم الامر الا بشيء من السياسة كالقتل
والصلب واذا اخذ مال انسان في البرية من يجيء يشهد له فلو كتبت الى السلطان نور الدين
ان يأذن لنا في شيء من السياسة فوافقهم الشيخ عمر الملا وكتب للسلطان نور الدين يسأله
أن يأذن لهم في شيء من السياسة التي يمتنع بها الدعار واهل الفساد وقال اذا اخذ مال انسان
في البرية من يجيء يشهد له فقلب السلطان نور الدين كتابه وكتب له على ظهره ان الله تعالى
خلق الخلق وهو اعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو اعلم بما يصلحهم وأن مصلحتهم تحصل
فيما شرعه على وجه كامل فيها ولو علم ان الشريعة تحتاج الى زيادة لاتمام المصلحة لشرعه فما لنا
حاجة الى زيادة على ما شرعه الله تعالى فلما وصل الكتاب الى الشيخ عمر الملا جمع اهل
الموصل واقرأهم الكتاب وقال انظروا في كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى الزاهد
فعرفوا ان ما قاله السلطان نور الدين هو الصواب وان الصلاح انما يكون بالعمل بالشريعة
وكان السبب في اسقاطه المكوسات ان وزيره موفق الدين خالد ابن القيسراني رأى في منامه
انه يغسل ثيابه فقص ذلك عليه ففكر ساعة ثم امر بكتابة اسقاط المكوسات وقال هذا
تفسير منامك وكان في تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد أن ابطل ذلك طلب من الناس
الذين اخذت منهم قبل ذلك ان يجعلوه في حل وقال والله ما اخرجناها الا في جهاد عدو الاسلام
يعتذر بذلك اليهم عن اخذها منهم وكان رحمه الله لا يفعل شيأ من الاعمال الا بنية صالحة
من ذلك انه كان يخرج بالعساكر ويجرون الخيل في صورة اللعب ويريد بذلك تمرين الخيل
والعسكر على الكر والفر فكتب اليه الشيخ عمر الملا ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير
فائدة بينة فكتب اليه نور الدين والله ما يحملني على ذلك اللهو واللعب وانما نحن في ثغر والعدو
قريب منا وبينما نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب في الطلب ولا يمكننا ايضا ملازمة
الجهاد ليلا ونهارا شتاء وصيفا اذ لابد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت
جماما لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ولا معرفة لها ايضا بسرعة الانعطاف
والطاعة لراكبها في الحرب فهذا والله الذي بعثني على ذلك قال ابن الاثير فانظر الى هذا
الملك العظيم العديم النظير الذي يقل في اصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله فان من يجيء
الى اللعب بنية صالحة حتى يصير من اعظم العبادات واكبر القربات يقل في العالم مثله وفيه
دليل على انه كان لا يفعل شيأ الا بنية صالحة وهذه أفعال العلماء الصالحين العاملين بعلمهم
وكان رحمه الله كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية مواظبا على الصلوات
في الجماعات عاكفا على قراءة القرآن حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصدا
في الانفاق متحريا في المطاعم والملابس لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره وأشهى

ما اليه كلمة حق يسمعها او ارشاد الى سنة يتبعها قال ابن الاثير قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى زمننا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها واحسان يواليه وانعام يسديه فلو كان في امة لافتخرت به اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده واموالها لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين واذا اراد أخذ شئ من الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر الفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له من ذلك فيأخذ ما افتوه بحله ولم يتعده الى غيره البتة ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير اوذهب اوفضة ومنع من شرب الخمر و بيعها في جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعي وكل الناس عنده فيه سواء وكان يصلي فيطيل الصلاة وله اوراد في النهار فاذا جاء الليل وصلى العشاء ينام ويستيقظ نصف الليل و يقوم الى الوضوء والصلاة الى بكرة فيظهر ويشتغل بمهمات الدولة ومصالح المسلمين وارسلت له زوجته تخبره بان النفقة قلت عليها ولم يكفها ما كان قرره لها وطلبت منه الزيادة فتنكر واحمر وجهه وقال للرسول من اين اعطيها ما يكفيها والله لا اخوض النار في هواها ان كانت تظن ان الذي بيدي من الاموال لي فبئس الظن انما هي اموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ومعدة لفتق ان كان من عدو الاسلام وانا خازنهم عليها فلا اخونهم فيها ثم قال للرسول لي بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلتأخذها وكان يحصل منها قدر قليل وذلك نحو عشرين دينارا وحكى انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها وبينما هم معه في حديثها اذ قد جاءه رجل صوفي فأمر بها له فقيل انها لا تصلح لهذا الرجل ولو اعطى غيرها كان انفع له فقال اعطوها له ليبيعها وينتفع بثمنها فاني ارجوا ان اعوض عنها في الآخرة فسلمت الى ذلك الصوفي فسار بها الى بغداد فباعها بست مائة دينار اوسبع مائة ومثل باعها في همدان بالف دينار وكان الملوك قبله كالجاهلية همة احدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع اوامر الشرع ونواهيه وألزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به عماله ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه الاموال الكثيرة فليذكر نبي الله سليمان عليه السلام فانه مع ملكه كان سيد الزاهدين في زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين من جميع العالمين وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا واما عدله فانه كان احسن الملوك سيرة واعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها في بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة واربعون دينارا وهذا لم تتسع له نفس غيره

وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى والضعيف عنده فى الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا امير فلاجرم سار ذكره فى شرق الارض وغربها ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة ويقف عند احكامها ويقول نحن مسخرون لها نمضى اوامرها حتى انه دخل يوما الى خزانة المال فرأى فيها مالا انكره فسأل عنه فقيل له ان القاضى كمال الدين ارسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال فى هذه الجهة شئ وامر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فارسله متولى الخزانة الى كمال الدين فرده كمال الدين الى الخزانة وقال اذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عنى انه له فدخل نور الدين الخزانة مرة اخرى فرآه فانكر على النواب وقال ألم اقل لكم يعاد هذا المال الى اصحابه فذكروا له قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين انت تقدر على حمل هذا المال واما انا فرقبتى دقيقة لا اطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدى الله تعالى يعاد قولا واحدا ومن عدله ايضا بعد موته وهو من اعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق غريبا استوطنها واقام بها لما رأى من عدل نور الدين رحمه الله تعالى فلما توفى تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكا فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكى وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا اين عدلك وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكى ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين فقيل له احفظ البلد والرعية والا خرج عن يدك فارسل الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين والناس معه وطيب قلبه وازاح ظلامته ووهبه شيأ انصفه فبكى اشد من بكائه الاول فقال له صلاح الدين لم تبكى قال ابكى على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكلما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه ومن عدل نور الدين رحمه الله انه بنى دارا للكشف سماها دار العدل فكان يجلس فيها لفصل الخصومات فى الاسبوع يومين وعنده القاضى والفقهاء واما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية اليه فيهما فانه اصبر الناس فى الحرب واحسنهم مكيدة ورأيا واجودهم معرفة بأمور الاجناد واحوالهم وبه كان يضرب المثل فى ذلك وكان الناس يقولون انهم لم يروا على ظهر الفرس احسن منه كأنما خلق عليه لا يتحرك ولا يتزلزل وكان اذا حضر الحرب اخذ قوسين وتركشين وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما تعرضت للشهادة فلم ادركها سمعه يوما الامام قطب الدين النيسابورى الفقيه الشافعى وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك وبالاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولئن أصبت والعياذ بالله تعالى فى معركة لا يبقى من المسلمين احدا لا اخذه السيف واخذت البلاد فقال يا قطب الدين ومن محمود حتى يقال له هذا قبلى من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الا هو وكان رحمه الله يكثر اعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج خذلهم الله تعالى واكثر ما ملكه من بلادهم بحسن تدبيره فى اعمال الحيل عليهم ومن جيد الرأى ما سلكه مع مليح بن ليون ملك الارمن فانه ما زال يخدعه ويستميله حتى جعله فى خدمته سفرا وحضرا وكان يقاتل به الافرنج وكان يقول انما حملنى على استمالته ان بلاده حصينة

وعرة المسالك وقلاعه منيعة وليس لنا طريق اليها وهو يخرج منها اذا اراد فينال من بلاد الاسلام فاذا طلب انحجز فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيأ من الاقطاع على سبيل التألف حتى اجاب الى طاعتنا وخدمتنا وساعدنا على الفرنج ولما توفى نور الدين وملك غيره غير هذا الطريق ملك متولى الارمن بعد ما ملك كثيرا من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لا يمكن رقعه وكان رحمه الله يكرم العلماء ويكثر الاحسان اليهم ويبالغ فى تعظيمهم حتى انه اذا دخل عليه الفقيه او الصوفى او الفقير يقوم له ويمشى بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه اقرب الناس اليه مع انه كان له هيبة عظيمة فى قلوب الملوك والامراء وما كان احد من الامراء يقدر ان يجلس فى مجلسه الا بعد الاذن له فى ذلك وكان يكاتب العلماء بخط يده وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا واذا اعطى احدا من العلماء والفقراء شيأ يقول ان هؤلاء لهم فى بيت المال حق فاذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا وكان مجلسه كما روى فى صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حكم وحياء لا تنتهك فيه الحرم ولا يذكر فيه الا العلم والدين واحوال الصالحين والمشاورة فى امر الجهاد وقصد بلاد العدو لا يتعدى هذا وقد حضر الحافظ ابن عساكر مجلس صلاح الدين لما ملك دمشق فرأى فيه من اللغط وسوء الادب من الجالسين فيه ما لا حد له فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعه فقام وبقى مدة لا يحضر المجلس الصلاحى وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين على انقطاعه فقال نزهت نفسى عن مجلسك فانى رأيته كبعض مجالس السوقة لا يستمع فيه الى قائل ولا يرد فيه جواب متكلم وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم انصتنا واذا تكلمنا استمع لنا فامر صلاح الدين اصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ ابن عساكر قال ابن الاثير فهكذا كانت احواله جميعها رحمه الله تعالى مضبوطة محفوظة واما حفظ اصول الديانات فانه كان مراعيا لها لا يهملها ولا يمكن احدا من الناس من اظهار ما يخالف الحق ومتى اقدم مقدم على ذلك ادبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ فى ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب افلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل وحكى ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر النسك والزهد وقد كثر اتباعه واظهر شيأ من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فاحضره واركبه حمارا وامر بصفعه فطيف به فى البلد جميعه ونودى عليه هذا جزاء من اظهر فى الدين البدع ثم نفاه الى حران فأقام بها الى ان مات وكان لنور الدين رحمه الله مجالس يقرأ فيها كتب الحديث مع جماعة من العلماء فمر به يوما ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفه وكان من عادة الجند انهم يربطون سيوفهم بأوساطهم فلما سمع هذا الحديث أبطل ما كان عليه الجند وخرج من غد ذلك اليوم متقلدا سيفه فاقتدى به الجند وفعلوا مثل فعله فهذا يدل على انه لم يفرط فى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كل سنة تبلغه عنه وامر رحمه الله باسقاط القابه فى الدعاء له على المنبر وطلب من ابن القيسرانى ان يكتب له صورة ما ينبغى ان يدعى له به فكتب له اذا اراد الخطيب

ان يدعوله بقول اللهم أصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في سبيلك المرابط لاعداء دينك ابا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر امير المؤمنين فكتب نور الدين على رأس الرقعة بخطه مقصودي ان لايكذب على المنبر انا نحل بكل مايقال لاافرح بالاعمل وكتب في آخر الرقعة ثم تبدأ بالدعاء اللهم اره الحق اللهم أسعده اللهم انصره اللهم وفقه من هذا الجنس ودخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف ولدا صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من كان بحلب الى نور الدين يذكر له انه قد مات تاجر موسر وخلف ولدا صغيرا وخلف عشرين الف دينار وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة و ينفق على الصغير شئ يسير ويحمل الباقي الى الخزانة فكتب على رقعته اما الميت فرحمه الله واما الولد فأنشاه الله واما المال فثمره الله واما الساعي فلعنه الله وكفى السلطان نور الدين منقبة ماذكره العلامة السيد السمهودي في تاريخ المدينة المسمى خلاصة الوفا في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ان السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة يا محمود انقذني من هذين الشخصين وهما شخصان اشقران تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا امر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز بمقدار الف راحلة ومايتبعها وسار حتى دخل المدينة على حين غفلة من اهلها ثم امر بكتابة اسماء الناس ليتصدق عليهم وتصدق باموال كثيرة ولا يعطي كل انسان الا بيده لينظر اليه رجاء ان يرى الشخصين الاشقرين الذين أراه اياهما النبي صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق احد ولم يشاهد فيمن حضر عنده الشخصين الاشقرين فسأل هل بقي احد فقالوا لم يبق الارجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلان في الرباط الذي في قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجدوا في طلبهما حتى احضروهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال لهما اصدقاني وعاقبهما حتى أقرا انهما من النصارى وانهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما ووجدهما قد حفرا الارض من تحت حائط المسجد القبلي لجهة الحجرة الشريفة و يجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتيهما و يخرجان يلقيانه في الخارج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي هو شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقهما بالنار وحفر خندقا حوالي الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس المذاب واستحفظه غاية الاستحفاظ ثم ركب السلطان نور الدين راجعا الى الشام وكان السلطان محمود المذكور موصوفا بكثير من الصفات الحميدة وقد اتسع ملكه وخطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن و يذكرون اسمه بعد ذكر الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وترجمته واسعة قد افردت بالتاليف وفي هذا القدر كفاية وانما ذكرنا ترجمته وترجمة السلطان صلاح الدين لغرابة وجودهما في الزمن الذي كثر فيه جور الملوك والسلاطين ليعلم انهما انما فتحا البلاد وانتزعاها من النصارى بالعدل لاسيما في بيت المال وليعلم ايضا ان الخلفاء الراشدين انما فتحوا البلاد بالعدل في بيت المال وقد ذكر كثير من العلماء ان الدعاء مستجاب عند قبر السلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين اللهم اجعل مقرهما جنات النعيم وأقر اعينهما بالنظر الى وجهك الكريم ياارحم الراحمين واجمع بيننا وبينهما في دار كرامتك مع

الذين انعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين اه ولنرجع الى تمام الكلام على ما كنا بصدده من ذكر الفتوحات فنقول بعد وفاة السلطان صلاح الدين وقع اختلاف كثير بين اولاده ليس هذا محل ذكره وصار ملكه مقسما بين اولاده واخيه الملك العادل ثم تغلب اخوه عليهم فنهم من انتزع الملك منه ومنهم من مات في ملكه ثم صفا الامر لاخيه فقسم الممالك بين اولاده كما سيأتي ذكره ولما مات صلاح الدين كان ملك مصر لولده الملك العزيز عثمان فجدد الهدنة مع الفرنج وزاد في مدة الهدنة واستمر الامر الى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وكان الملك الافضل على بن صلاح الدين ملك دمشق بعد وفاة ابيه فانتزعها منه اخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وجعل فيها عمه الملك العادل وأعطى الافضل صرخد وكان بمدينة بيروت امير يعرف بأسامة فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك الى الملك العادل اخى صلاح الدين وكان بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسل الفرنج الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم مايفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا اخذ المسلمون البلاد فأمدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة سنة ٥٩٣ وكان اكثرهم من ملك الالمان فلما سمع الملك العادل بذلك ارسل الى الملك العزيز بمصر يطلب العساكر وكذا من بقية الاطراف واجتمعوا على عين جالوت فأقاموا شهر رمضان وبعض شوال سنة ٥٩٣ ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التي بها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف واخذوا كل من بها أسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بما وقع فعادوا وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بأن الفرنج على عزم قصد بيروت فعزم المسلمون على تخريب بيروت فسار اليها الملك العادل بجمع من العسكر فهدموا سور المدينة سابع ذى الحجة سنة ٥٩٣ وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقواهم والفرنج بنواحي صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج سابع ذى الحجة سنة ٥٩٣ فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها وسافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها وخربوا مالها من قرى وأبراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين ثم اتاهم الخبر ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة ٥٩٤ اربع وتسعين وخمسمائة وقاتلوا من به وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب منه الحضور بنفسه فسار العزيز مجدا بمن معه من العساكر فلما سمع الفرنج بوصوله رحلوا الى عكا وعاد العزيز الى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج وانعقد بينهم صلح وعاد العادل الى دمشق

﴿ ذكر ملك الفرنج القسطنطينية ﴾

في سنة ستمائة ملك الفرنج مدينة القسطنطينية في شعبان وانتزعوها من الروم وازالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم تزوج اخت ملك افرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا وكان لملك الروم اخ فوثب الاخ على الملك فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وسجنه فهرب ولد الملك الى خاله ملك افرنسيس مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ بيت المقدس فأخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخل الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيها وكان في الروم من يريد الصبي فألقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شيء وأخرجوا اباه من السجن انما الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالا عجزوا عنها واخذوا اموال البيع ومافيها من ذهب وفضة وغير ذلك حتى ماعلى الصلبان وماهو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وماعلى الاناجيل من ذلك ايضا فعظم ذلك على الروم وتحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الذي تملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ٦٠٠ ستمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قدضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين السلجوقي صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفا ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعواهم والفرنج الذي بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فاصبح الروم كلهم مابين قتيل اوفقير لا يملك شيأ ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى اياصوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بها الى الفرنج ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكان رؤساء الفرنج الذين ملكوا القسطنطينية ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وكان شيخا اعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والثالث يقال له كندا فلند وهو اكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كندا فلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة ملكوه عليها وعلى مايجاورها

وجعلوا الدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة أقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسى البلاد التى هى فى الخليج مثل ازنيق ولازيق ولكن لم يحصل لاحد منهم شئ غير الذى اخذ القسطنطينية واما الباقى فلم يسلمه من به من الروم بل دافعوا عما بايديهم وبقى لهم واما البلاد التى كانت لملك القسطنطينية شرقى الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين السلجوقى ومن جملتها زنيق فانه تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه كسكرى وبقيت بيده ولم تزل القسطنطينية بايدى الفرنج من هذا التاريخ الى سنة ستين وستمائة فتجمع الروم وقصدوها وقاتلوا الفرنج وانتزعوها منهم وعادت لملكهم ولما ملك الفرنج القسطنطينية فى السنة المذكورة اعنى سنة ٦٠٠ تقوى ملكهم بالشام فخرج كثير منهم من القسطنطينية فى البحر الى الشام وأرسوا بعكا وعزموا على قصد بيت المقدس حرسه الله فلما استراحوا بعكا ساروا فنهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحى الأردن وسبوا وفتكوا فى المسلمين وجا اسطول منهم الى فوة من الديار المصرية فاستولوا عليها ونهبوها خمسة ايام وعساكر مصر فى مقابلتهم وبينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر فسار ونزل من القرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على بعض الاطراف منها فاخذوا كل من بها ودام الامر فى اغارات بينهم وبين المسلمين الى ان انقضت السنة ودخلت سنة احدى وستمائة فانعقد صلح بينهم وبين الملك العادل على ان دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام يبقى له ونزل لهم عن كثير من المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماه فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقى الدين ابن اخى صلاح الدين شاهنشاه بن ايوب فقاتلهم وكان فى قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتال الفرنج منهم جماعة ثم عاد الفرنج الى عكا بعد ان انعقد صلح بينهم وبين صاحب حماه وفى سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة ملك غياث الدين السلجوقى أنطاليه بالام مدينة للروم على ساحل البحر وهى غير انطاكية بالكاف وكان تملكه لها بعد قتال وحصار لأهلها ثم قتل من كان فيها من الفرنج

﴿ ذكر غارات الفرنج بالشام وحصن الاكراد ﴾

فى سنة ٦٠٤ اربع وستمائة كثر الفرنج الذين بطرابلس الشام وأكثروا الاغارة على بلد حمص وولايتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها أسد الدين شيركو قوة ولا قدرة على دفعهم ومنعهم فاستنجد بالملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده أحد الا الظاهر غازى فانه سير له عسكرا أقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فحاصرها وغار على اطرافها فصالحه صاحبها الفرنجى على قاعدة استقرت من اطلاق أسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص ثم منها الى طرابلس وحاصر موضعا منها يسمى القليعات ثم ملكه صلحا واطلق صاحبه وغنم ما فيه

من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبي وغنم وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم يتم ودخل الشتاء فجعل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وكان سبب خروج الملك العادل من مصر بالعساكر أن اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع من أسطول مصر وأسروا من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في ردما أخذوه ويقول له نحن في صلح فلم غدرتم باصحابنا فاعتذر بان اهل قبرس ليس لى عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان اهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم وتعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا فأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل بينهما حال فسار بالعساكر وفعل بعكا ماذكرنا فأجابه حينئذ صاحب عكا الى ماطلب وارسل الاسرى ثم لم تزل الوقايع تتوالى وتتتابع والصلح يتم تارة وينقطع اخرى الى ان دخلت سنة اربع عشرة وستمائة فحصلت وقائع شتى

﴿ ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى مصر وملكهم دمياط ﴾

كان من اول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وحاصلها انه في سنة اربع عشرة وستمائة وصلت امداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الا أن المتولى لها كان صاحب رومية البابا لأنه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لايرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وامر كل ملوك الفرنج ان يسير بنفسه او يرسل جيشا ففعلوا ما امرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل بن ايوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى الدوبرز وسار الفرنج من عكا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى اطراف البلاد مما يلى عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه في قلة بالنسبة اليهم لان عساكره كانت متفرقة في البلاد فلما رأى الملك العادل قربهم منه لم يرأن يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد في تجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم ان الفرنج لايقدمون عليه فلما أقدموا كان اقدامهم على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فأخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيأ كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا في القرى فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة ايام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى مالايحصى كثرة سوى ماقتلوا واحرقوا واهلكوا فأقاموا اياما استراحوا فيها ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد كان مخفيا قد ر على

النجاة ولما سار العادل الى مرج الصفر رأى رجلا فى طريقه يحمل شيأ وهو يمشى تارة ويقعد تارة يستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل قال ابن الاثير وبالجملة فالذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس يمنع الفرنج عن بيت المقدس ولما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوك الفرنج فعادوا عن القلعة وتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور اقاموا قريبا ثم ساروا فى البحر الى ديار مصر فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان ألحقها بالارض لانها قريبة من عكا يتعذر حفظها

﴿ ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها ﴾

لما عاد الفرنج من حصار الطور أقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فأرسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب فى البحر المالح عند دمياط وقد بنى المسلمون فى النيل برجا كبيرا منيعا وجعل فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها فى النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر احد على منعها من اقاصى ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا فى قتال من بدمياط وعملوا آلات وأبراجا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج الذى للمسلمين فى النيل ليقاتلوا من فيه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى ارضها وأدام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسرت آلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على أخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح فى النيل ويتحكموا فى البر فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه ايضا قتالا شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع اخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملأها وخرقها وغرقها فى النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه وأجروا الماء فيه الى البحر المالح

وأصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجيزة ايضا مقابل المنزلة التى كان فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها وكانت دمياط تحجز بينهم و بينه فلما صاروا فى بورة حاذوه فقاتلوه فى الماء وزحفوا عليه غير مرة فلم يظفروا بطائل ولم يتغير على اهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لايصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولاضرر فاتفق لمايريد الله عز وجل ان الملك العادل والد الملك الكامل توفى بالشام فى جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة فلما جاء خبر وفاته لابنه الملك الكامل ضعفت نفوس الناس لان الملك العادل هو السلطان فى الحقيقة واولاده وان كانوا ملوكا الا انهم تحت حكمه والامر اليه وهو الذى ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر امير يقال له عماد الدين احمد بن على ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون له ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير مع غيره من الامراء ان يخلعوا الملك الكامل من الملك و يملكوا اخاه الملك الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الملك الكامل ففارق المنزلة ليلا مع بعض اصحابه وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها فأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شئ من خيامهم وذخائرهم واموالهم وأسلحتهم الا اليسير الذى يخف حمله وتركوا الباقى بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم اصبحوا من الغد فلم يروا احدا من المسلمين على شاطئ النيل كجارى عادتهم فبقوا لايدرون ما الخبر واذ قد اتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط آمنين بغير منازع ولاممانع وكان عبورهم فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فغنموا ما فى عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق بأحد من عسكره وكان الفرنج قد ملكوا الجميع بغير تعب ولامشقة فاتفق من لطف الله بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق و بيت المقدس ابن الملك العادل بعد هذه الحركة بيومين وصل الى اخيه الكامل والناس فى امر مريج فقوى به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر ابن الملك العادل ولم يمهل الله تعالى ابن المشطوب بل اخذه اخذة رابية فانه بعد اتصاله بالملك الاشرف والتحاقه بجنده وقعت منه خيانة فقبض عليه وحبسه الى ان مات ولما عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وأفسدوا و بالغوا فى الافساد فكانوا أشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شئ على اهل دمياط انها لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو عنها فأتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا و بحرا وعملوا عليها خندقا يمنعهم ممن يريدهم من المسلمين وكانت هذه عادتهم واداموا القتال

واشتد الامر على اهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا صبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم نحو ثمانية اشهر من أواخر ذى القعدة الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقى من اهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد من هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم وأقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا ايدى سبا

﴿ ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج ﴾

لما ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثوا السرايا فى كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلى اهلها عنها وشرع الفرنج فى عمارتها وتحصينها وبالغوا فى ذلك حتى انها بقيت لا تكاد ترام واما الملك الكامل فانه اقام بالقرب منهم فى اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم أقبلوا يهرعون من كل فج عميق وأصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب بيت المقدس فى ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج وأشرف الاسلام وكافة اهله وبلاده على خطة الخسف فى شرق الارض وغربها لان التتر أقبلوا من المشرق حتى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان واران وغيرها وأقبل الفرنج من الغرب فملكوا مثل دمياط فى الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء وأشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد احاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الملك الكامل من الجلاء لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة وديار بكر يستنجدهما ويحثهما على الحضور بأنفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار الملك المعظم بنفسه الى الملك الاشرف فرآه مشغولا باعاديه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن يطيعه فعذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج الى سنة ثمانى عشرة وستمائة ثم ان الملك الاشرف زال عنه الخلاف ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه واستقامت له الامور والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمانى عشرة وستمائة علم الملك الكامل بزوال المانع للاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار الملك الاشرف بعساكره الى دمشق ثم سار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمونه بحر اشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية فلما سمع الملك الكامل بقرب اخيه الملك الاشرف فرح بذلك فلما وصل الى مصر توجه اليه فلقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا واما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار الى دمياط ظنا منه ان اخويه وعسكريهما قد نازلوا دمياط

وقيل بل أخبر فى الطريق ان الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم وأخواه من خلفهم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا اقربا وتقدمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا اشوانى الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم والرسل مترددة بينهم وبين الفرنج فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين ماعدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا عن تخريب بيت المقدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم امر وقالوا لابد من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم مايقوتهم عدة ايام ظنا منهم ان العساكر الاسلامية لاتقوم لهم ولاتقدر على مقابلتهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم يأخذون منه ماارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التى عليها الفرنج فعبروا النيل وخرقوا مواضع منه حتى خرج منه ماء كثير وسال كالبحر فركب الماء أكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الملك الكامل حينئذ الجسور على النيل عند اشمون وعبر العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق فى تلك الحال انه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوء من الميرة والسلاح ومايحتاجون اليه فوقع عليه شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمركب المذكور ومامعه من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا الصواب بمفارقتهم دمياط فى ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلما اشتد الامر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف على المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط فرأوا ماأملوه بعيدا وحيل بينهم وبين مايشتهون لكثرة الوحال والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قدملكه المسلمون فلما تيقنوا انهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وان ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وان المنايا قد كشرت لهم عن انيابها ذلت نفوسهم وتنكست صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جيش كبير له وهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة اتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط كما تقدم فاشتدت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهائن على تسليم دمياط وكان اولئك الملوك الذين صاروا رهائن كثيرين منهم فليب ملك الفرنسيس ونائب بابا صاحب رومية وملك عكا وكندريش

(وغيرهم)

وغيرهم وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرا كان مفعولا ومما اتفق انه لما انعقد الصلح وحضر ملك الفرنسيس وملوك الفرنج عند الملك الكامل محمد وكان فى مجلس الكامل اخواه الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى وكثير من ملوك الاسلام قام راجح الحلى وأنشد قصيدة بليغة تهنئة للملك الكامل محمد وفيها بيت ظريف وهو قوله

* أعباد عيسى ان عيسى وحزبه ☼ وموسى جميعا يخدمون محمدا *

وأشار الى الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الكامل محمد ولما اراد ملوك الفرنج الحضور عند الملك الكامل طلبوا منه رهينة تكون عندهم فارسل اليهم ولده الملك الصالح ايوب وعمره خمس عشرة سنة ثم لما تم الصلح وتسلم المسلمون دمياط ارتحل ملك الفرنسيس فليب ومن معه من الملوك الى بلادهم وكانت مدة ملك فليب على الفرنسيس ثلاثا واربعين سنة وهلك سنة ستمائة وعشرين هجرية ولما دخل المسلمون دمياط رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لاترام ولايوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى اربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن فى حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم ان يسلموا البلاد التى بالشام ليعيدوا اليهم دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد التى بالشام بايديهم على حالها فالله تعالى هو المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم ايضا شر التتر كما سيأتى

﴿ ذكر وفاة الملك العادل التى قد تقدمت الاشارة اليها ﴾

قد تقدم ان الفرنج لما دخلت سنة خمس عشرة وستمائة ساروا فى البحر الى دمياط ووصلوها فى صفر وكان الملك العادل بالشام فى مرج الصفر ثم انتقل الى عالقين ومرض وتوفى سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ونقل الى دمشق ودفن بها وكان ابنه الملك الكامل اقامه هو ملكا فى مصر نيابة عنه وكان وقت وفاة ابيه مشتغلا بقتال الفرنج النازلين على دمياط كما تقدم وكان عمر الملك العادل لما توفى خمسا وسبعين سنة لان ولادته كانت سنة اربعين وخمسمائة وقيل ثمانية وثلاثين وخمسمائة وكان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما للامور صالحا محافظا على الصلوات فى اوقاتها متبعا لارباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازى كتاب تأسيس التقويس وذكر اسمه فى خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وكان الملك العادل فى حياة اخيه صلاح الدين تابعا له تحت طاعته ينقله فى الولايات وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ وقع بينه وبين اولاد اخيه صلاح الدين امور يطول الكلام بذكرها الى ان استقل بمملكة الديار المصرية والشامية وكان استقلاله بمملكة الديار المصرية سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقلاله بمملكة الديار الشامية سنة ثمان وتسعين

وخمسمائة وملك بلاد اليمن سنة اثنتي عشرة وستمائة وسير اليها ولده ولده الملك المسعود ابن الملك الكامل ثم ان الملك العادل لما انتزع الملك من اولاد اخيه صلاح الدين واستقل به قسم ممالكه بين اولاده وكان رجلا مسعودا وكذا اولاده لم يخلف احد من الملوك امثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا خيار البلاد وكان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى اخرى وكان بالغالب يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في ارغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال كما في تاريخ ابن خلكان انه كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وخلف ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات رحمه الله تعالى

﴿ ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا وتملكهم بيت المقدس ﴾

لما توفي الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس بن الملك العادل طمع الفرنج في الشام وكانت وفاة الملك المعظم سنة اربع وعشرين وستمائة في ذي القعدة وصار ملك دمشق لولده الناصر داود ثم انتزعها منه عمه الملك الكامل واعطاه الكرك بدلا عن دمشق وبعد وفاة الملك المعظم خرج كثير من الفرنج من بلادهم القاصية الى بلادهم التي ملكوها في الشام عكا وصور وغيرهما فكثر جمعهم وكان معهم امبراطور الالمان واسمه فرد يك وقيل بل هو صاحب جزيرة صقلية ومعنى الامبراطور بلغة الفرنج ملك الامراء فاستولوا على صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين فملكوها وعمروا سورها وكان خرابا وازالوا عنها حكم المسلمين فعظمت شوكتهم وقوى طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة قبرس وكانت عند ملك انكلترا ولما بلغ الملك الكامل انهم يقصدون دمشق وبيت المقدس خرج بعساكره من مصر وترددت الرسل بينه وبين الامبراطور واستقرت القاعدة بينهما على الصلح وان المسلمين يسلمون للفرنج بيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من اعماله ويكون باقي البلاد للمسلمين مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وكان سور بيت المقدس قد خربه الملك المعظم كما تقدم فلما تسلم الفرنج بيت المقدس شرط عليهم عدم عمارة السور واستعظم المسلمون تملك الفرنج بيت المقدس وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه وكان تسلمهم اياه سنة ست وعشرين وستمائة وفي سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة انتهى تاريخ ابن الاثير المسمى بالكامل وتوفي مؤلفه سنة ثلاثين ببلاده الموصل وفي سنة ثمانية وعشرين ايضا قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهي من المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها وكانت حلب بيد شهاب الدين اتابك تابع الملك العزيز بن الظاهر غازي بن صلاح الدين وكان شهاب الدين الاتابك مملوكا للسلطان الظاهر غازي فلما بلغه دخول الفرنج مدينة جبلة سير اليهم العساكر فقاتلوا الفرنج وقتل كثيرا منهم وأخرجهم واسترد الاسرى والغنيمة وفي سنة اربع وثلاثين وستمائة أغار الفرنج على ربض دير ساك وهي لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع وفي سنة خمس وثلاثين توفي الملك

ل وأخوه الملك الاشرف موسى وكثر الاختلاف بين اولاد الملك الكامل وليس هذا محل ذكره وكان الملك الكامل من اعظم الملوك وله مشاركة فى العلوم وملك مصر اربعين سنة عشرين نيابة عن أبيه وعشرين استقلالا وتوفى وعمره ستون سنة

﴿ ذكر استرجاع بيت المقدس للمسلمين فى سنة سبع وثلاثين وستمائة ﴾

قصد الناصر داود بن الملك المعظم القدس وحاصرها وفتحها وكان الناصر داود ابن الملك المعظم له ملك الكرك اعطاه اياه عمه الملك الكامل بعد ان انتزع منه دمشق كما تقدم فصار بيت المقدس له ايضا لما فتحه وتقدم ان تسليم بيت المقدس للافرنج كان سنة ست وعشرين فتكون مدة بقائه تحت ايديهم الى ان استرجعه الناصر داود احدى عشرة سنة ومن غريب الاتفاق ان الناصر صلاح الدين استخلص بيت المقدس اولا والناصر داود استخلصه ثانيا ولذلك قال جمال الدين بن مطروح

المسجد الاقصى له آية ❊ سارت فصارت مثلا سائرا
اذ قد غدا للكفر مستوطنا ❊ أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره اولا ❊ وناصر طهره آخرا

وفى سنة اثنين واربعين وقع اختلاف بين صاحب دمشق وهو الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل وبين ابن اخيه صاحب مصر وهو الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل وأدى ذلك الاختلاف الى القتال فلما كان القتال بينهما استعان صاحب دمشق بالفرنج الذين فى عكا ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا بعسكر دمشق ووصل لقتالهم عسكر مصر مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح ايوب والتقى الفريقان بظاهر غزة فانهزم الفرنج وعسكر دمشق واستولى الملك الصالح ايوب على غزة والسواحل وبيت المقدس انتزعه من الناصر داود ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام ثم استولى الملك الصالح ايوب على دمشق سنة ثلاث واربعين وستمائة وانتزعها من عمه الصالح اسماعيل بن الملك العادل وفى سنة خمس واربعين وستمائة فتح الملك الصالح عسقلان وطبرية بعسكر جهزه مع فخر الدين بن الشيخ وقد كان تسليمهما للفرنج سنة احدى واربعين وستمائة فاستمرتا الى الآن ففتحتا

﴿ ذكر ملك الفرنج دمياط مرة أخرى غير المرة السابقة ﴾

فى سنة سبع واربعين وستمائة سار لويز ملك الفرنسيس فى خمسين الفا وقصد دمياط وحاصرها ثم ملكها فى شهر صفر وكان ذلك فى مدة سلطنة الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل فركب فى عصايب المسلمين لقتالهم فحاصرهم واستمر محاصرا لهم الى ان توفى فى شعبان وكان ولده توران شاه غائبا بحصن كيفا فقام بالامر شجرة الدر زوجة ابيه الملك الصالح الى ان حضر ابنه توران شاه فقام مقام ابيه وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين فى مستهل رمضان وقعة عظيمة ثم نزل الفرنج شرمساح ثم قربوا من المسلمين ثم كبسوا المسلمين على المنصورة ثم اشتد القتال بينهم وبين المسلمين برا وبحرا فكان النصر

أخيرا للمسلمين بعد ان كان اولا للفرنج وكانت لهم مراكب كثيرة بالبحر وفي حسن المحاضرة للجلال السيوطي ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان مع عسكر المسلمين فقال بأعلى صوته مشيرا الى الريح ياريح خذيهم فجاءت ريح قوية على مراكب الفرنج فكسرتها وحصل الفتح والنصر للمسلمين وغرق اكثر الفرنج وصرخ صارخ في المسلمين قائلا الحمد لله الذي أرانا في امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر الله له الريح وحمل المسلمون على الفرنج فردوهم على اعقابهم وأخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى فضعف الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض السواحل الشامية ويتركون دمياط فلم تقع الاجابة الى ذلك وكانوا قد فنيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط فركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى ثلاثين الفا وانحاز ملكهم ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الطواشي محسن الصالحي ثم أحيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد ملكهم وأركب على جمل وطيف به ثم حبس في دار ابن لقمان ووكل به الطواشي صبيح ثم انعقد الصلح معه على تسليم دمياط وان يطلق ويدفع ثمانمائة الف دينار وقيل انه افتدى نفسه بقناطير من الذهب تبلغ سبعة ملايين فرنك فأطلق ورجع الى بلاده فلما وصلها اخذ في الاستعداد ونوى الرجوع لحرب المسلمين فندم المسلمون على اطلاقه فأنشأ جمال الدين ابن مطروح قصيدة كتبت وأرسلت اليه وانشدها القاصد بين يديه وهو قائم منها قوله

* قل للفرنسيس اذا جئته ❊ مقال صدق عن قؤول نصيح *
* اتيت مصرا تبتغي ملكها ❊ تحسب ان الزمر يا طبل ريح *
* وكل اصحابك اوردتهم ❊ بحسن تدبيرك بطن الضريح *
* خمسون الفا لا يرى منهم ❊ غير قتيل او اسير جريح *
* وقل لهم ان أضمروا عودة ❊ لأخذ ثار او لفعل قبيح *
* دار ابن لقمان على حالها ❊ والقيد باق والطواشي صبيح *

فلما سمع المقالة ذلت نفسه ونأى عن العودة الى مصر ثم اراد ان يأخذ ثاره من تونس لامر جرى بينه وبين ملكها وهو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الحفصي الملقب بالمستنصر بالله وحاصل ما كان بينه وبين ملك الفرنسيس المذكور انه جرى ذكره يوما عند المستنصر فهضم من جانبه وقال هو الذي اسره هؤلاء واطلقوه واشار الى بعض الاتراك الذين كانوا يخدمون بين يديه وكان قد استخدم منهم جماعة فبلغت مقالة المستنصر ملك الفرنسيس فحقد عليه وتجهز بجنوده يريد اخذ تونس وذلك سنة ثمان وستين وستمائة فسار ومعه ثلاثون الفا واساطيله ثلاثمائة بين كبار وصغار وحاصر تونس ستة اشهر فقال بعض ادباء تونس

* يا فرنسيس هذه اخت مصر ❊ فتهيأ لما اليه تصير *
* لك فيها دار ابن لقمان قبر ❊ وطواشيك منكر ونكير *

فقدر الله هلاك ملك الفرنسيس وهو محاصر تونس قيل أصابه سهم فقتله وقيل أصابه مرض الوباء فقتله وذلك سنة تسع وستين وستمائة وهلك كثير من جنده بالوباء وتملك بعده ابنه فعقد صلحا مع اهل تونس وارتحل عنهم وكفى الله شرهم وذكرنا قصة تونس قبل مجيئ الموضع الذى ينبغى ان تذكر فيه أعنى سنة تسع وستين لتتصل هذه القصة بالقصة السابقة لما بينهما من التناسب

﴿ ذكر خروج التتر وتملكهم بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد ﴾

قال ابن خلدون ان التتر من شعوب الترك وان الترك كلهم من ولد كومر بن يافث بن نوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيحون وهم امم كثيرة وسيحون نهر مما وراء النهر قريب خجند بعد سمرقند وهو فى حدود بلاد الترك ويطلق ايضا على نهر الهند واما جيحون فهو نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام وفى سنة ست وخمسين وستمائة كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية وينبغى قبل ذلك ان نذكر ابتداء امر التتر وكيف كان خروجهم على اهل الاسلام ذكر كثير من المؤرخين ان حادثة التتر حادثة عظمى ومصيبة كبرى عمت الخلائق وخصت المسلمين بشدة بلائها فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله آدم عليه السلام الى وقت خروج التتر لم يبتل بمثلها لصدق فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ومن اعظم مايذكرون من الحوادث مافعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ومابيت المقدس بالنسبة الى ماخرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها اضعاف بيت المقدس ومابنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بنى اسرائيل ولعل الخلق لايرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج واما الدجال فانه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام والنساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين وعبروا نهر سيحون فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاد سغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها مما سنذكره ثم تعبر منهم طائفة الى خراسان فيفرغون منها ملكا وقتلا وتخريبا ونهبا ثم يتجاوزونها الى الرى وهمذان وبلد الجبل ومافيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارمينية وغيرهما ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر فى اقل من سنة هذا مالم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارمينية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللزك ومن كان هنالك من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض

ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الابقدر مسيرهم لا غير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل مافعل هؤلاء وأشد هذا مالم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدا انما رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأكثره عمارة واهلا وأعدل اهل الارض اخلاقا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من اهل البلاد التى يطرقونها الا وهو خائف يتوقعهم و يترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم بل كان معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير واما دوابهم التى يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من خارج واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير والحشرات و بنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف اباه ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى مدتهم بمصائب لم يبل بها احد من الامم فهؤلاء التتر قبحهم الله أقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كل من سمع بها وكانوا كلما ملكوا مدينة قتلوا العلماء والصلحاء والزهاد والعباد والخواص والعوام وخربوا الجوامع و أحرقوا المصاحف وفعلوا اشياء لم يسمع بمثلها وفى مدتهم ايضا كان خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام ثم قصدوا ديار مصر وانتشرت الفتن فى ممالك الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير نسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام معدوم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وهؤلاء التتر نوع من الترك ومساكنهم كانت جبال طمغاج من بلاد الصين و بينها و بين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر ومملكة الصين متسعة دورها ستة اشهر وهى منقسمة ستة اجزاء كل جزء مسيرة شهر وعلى كل جزء ملك ويقال له عندهم خان وواحد منهم رئيس على الجميع ولما انتهت الرياسة الى واحد منهم يقال جنكزخان كان ابتداء خروجهم على بلاد الاسلام وذلك سنة ست عشرة وستمائة فى خلافة الناصر لدين الله العباسى بن المستضئ بأمر الله ابن المستنجد بالله بن المقتفى لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى بأمر الله بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد وكانت مدة خلافة الناصر ستا واربعين سنة وعشرة اشهر لأنه كانت ولايته الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ووفاته سنة ثنتين وعشرين وستمائة فكان اكثر فتنة التتر فى مدته وكان سبب خروجهم ان ملكا من ملوك الاسلام كان مالكا لخراسان وما وراء النهر يقال له خوارزم شاه كان بينه و بينهم فتنة فاقتتلوا معه واتسع امرهم حتى كان منهم ما كان وكان لخوارزم شاه منتسبا الى شخص يقال له انوش تكين وهو مملوك لبعض امراء السلجوقية وكان حسن الطريقة فترقى الى ان صار مقدما مرجوعا اليه فولد له ابن يقال له محمد خوارزم شاه وانشأ عارفا اديبا واشتهر

عنده العقل وحسن التدبير فقدر الله ان وقعت فتنة فى خوارزم سنة اربعمائة وتسعين
وقتل امير خوارزم وكانت تحت حكم السلاطين السلجوقية والخلفاء العباسية فولوا ملك
خوارزم لمحمد خوارزم شاه ابن انوشتكين ثم توارث الملك بنوه واتسع ملكهم وعظم
امرهم وصار كل ملك منهم يقال له خوارزم شاه ولم يزل ملكهم يقوى ويتسع حتى تغلبوا
على الممالك وصار ملكهم من حد العراق الى تركستان وملكوا خراسان جميعه وغزنة
وكابل وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وبعض فارس
فلم يزالوا يتوارثون الملك الى سنة خمسمائة وست وتسعين فكان الملك منهم فى التاريخ
المذكور لمحمد خوارزم شاه بن تكشن بن ارسلان بن اطسن بن محمد خوارزم شاه ابن نوش
تكين فاتسع ملكه غاية الاتساع حتى صار يتطلب تملك بغداد قال الجلال السيوطى
فى تاريخ الخلفاء فى وصف خوارزم شاه المذكور انه اباد الملوك واخذ الممالك وعزم
على قصد الخليفة فلم يتهيأ له ذلك وكان خوارزم شاه قسم ممالكه بين اولاده وكانوا اربعة
وضرب لكل منهم نوبة مثل نوبته وكان تحته سبعة وعشرون ملكا تضرب نوبة
لكل واحد منهم فى اوقات الصلوات وانفرد هو بنوبة ذى القرنين تضرب وقت طلوع
الشمس وغروبها وكانت سبعا وعشرين دبدابة والدبداب هو الطبل الكبير وكانت
هذه السبع والعشرون من الذهب مرصعة بانواع الجواهر فلما انتهى امر ملكه الى هذا
الحد احتقر امر التتر سكان الصين وصار يغازيهم ويغير على بلادهم وهم ايضا يغازونه
ويغيرون على بلاده ثم انعقد صلح بينهم وبينه ومهادنة وصار تجارهم يأتون الى بلاده
ثم ان عامل خوارزم شاه على آخر مملكته مما يليهم كانت له قوة ومعه عشرون الف فارس
وكان خال خوارزم شاه فشرهت نفسه الى اموال التجار واتفق انه دخل فى محل ملكه
كثير من التجار والاتراك معهم اموال للتجارة من التتر واموال لملك التتر فكتب ذلك
العامل الى خوارزم شاه يقول له ان هؤلاء القوم قد جاؤا بزى التجارة وما قصدهم
الا التجسس وان اذنت لى فيهم قبضت عليهم فاذن له فقبض عليهم واخذ اموالهم ثم وقعت
مكاتبات بين ملك التتر وخوارزم شاه فى اطلاقهم وكتب ملك التتر لخوارزم شاه يتهدده
ان لم يطلقهم فغضب وامر بقتلهم فقتلهم ذلك العامل وسير اليه ما كان معهم من الاموال
وكان شيأ كثيرا ففرقه خوارزم شاه على تجار سمرقند وبخارى واخذ منهم قيمته لكهم فلما بلغ
الخبر جنكزخان ارسل جماعة الى خوارزم شاه يتهدده ويقول انت قتلت جماعتى
فاستعد للحرب فانى واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به فقتل خوارزم شاه كبير هؤلاء
الجماعة وامر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى جنكزخان فقالوا له
ان خوارزم شاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك فى آخر الدنيا حتى انتقم منك وافعل
بك كما فعلت باصحابك وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم
وأدمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان
والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار انهم
ساروا لمقاتلة ملك من ملوك الترك فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم فى الطريق

الخبر عاملوا خوارزمشاه بمخالفيهم فجدوا السير وادركوه قبل ان يخرج من ارضهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ثلاثة ايام بلياليها وجرى الدم في الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين الفا واما الكفار فلا يحصى من قتل منهم ثم رجع الكفار الى بلادهم ورجع المسلمون الى بخارى واستعدوا لمجيء جنكزخان اليهم

ذكر تملك جنكز خان بخارى

ثم جاء هم جنكزخان بعد خمسة اشهر بجيوشه وحاصر مدينة بخارى وفيها خوارزم شاه واقتتلوا ثلاثة ايام متتابعة ولم يكن لعسكر خوارزم شاه قوة لمقاومة جنكز خان ففارق خوارزم شاه بعساكره بخارى وسار الى خراسان فارسل اهل بخارى الشيخ بدر الدين قاضي خان الى التتر ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقي من عسكر خوارزم شاه طائفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكزخان الى الامان فتحت ابواب المدينة وكان ذلك رابع ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارى ولم يتعرضوا الى احد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه [illegible] وساعدونا على قتال من بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكز خان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى في البلد ان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب حتى ان الكفار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن ويلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربعمائة من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يوما يقاتلون جمع الكفار واهل البلد ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين جنكزخان ورد اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من في القلعة وجاءهم مالا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة امر ان يكتب له رؤساء البلد ففعلوا ذلك فلما عرضت اسماؤهم عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم الاموال التي باعكم خوارزم شاه التي كانت مع التجار الذين قتلهم خوارزم شاه في اول ابتداء الامر كما تقدم ذكرهم وقال لهم انها لي ومن اصحابي اخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه ثم امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه واحاط بالمسلمين الذين اخرجهم من البلد فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا ايدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا واصبحت بخارى خاوية على عروشها كان لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء الامر العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيأ مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام

ركن الدين امامزاده وولده فانهما لما رأيا مايفعل بالحرم قاتلا حتى قتلا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان ومن استسلم اخذ اسيرا وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب لطلب المال

﴿ ذكر مسير جنكزخان الى سمرقند ﴾

لما انقضى امر بخارى ارتحل جنكزخان وجنوده نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عن مقابلتهم وكان هو بمكان بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارى اسارى فساروا بهم مشاة على اقبح صورة فكل من اعيى وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بسمرقند وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية واما عامة اهل البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهله واهل القوة والجلد رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي احد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولا فبقوا في الوسط واخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احد وقتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين الفا فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم تقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهلي[ـهم] واموالهم فقال لهم الكفار ادفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما اخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج اهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا مافيه واحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير مرة عشرين الفا فعادوا ايضا

﴿ ذكر سير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته ﴾

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة بتشديد الراء المكسورة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين اوغلوا في البلاد فلما امرهم جنكزخان بالسير ساروا وقصدوا موضعا يسمي بنجاب ومعناه خمس مياه منها نهر جيحون فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا

من الخشب مثل الاحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء وضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم وألقوا الخيل فى الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التى من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الاوقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قدملئوا رعبا وخوفا منهم وقداختلفوا فيما بينهم فانهم كانوا قبل ذلك ثابتين متماسكين بسبب أن نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا ايدى سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لايلوى على على شئ فى نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع اليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا فى مسيرهم لشئ لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير فى طلبه لايمهلونه حتى يجمع لهم جموعا فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهى له ايضا فرحل التتر المغربون فى اثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلما رحل من منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة فى البحر فلما نزل هو واصحابه فى السفن وصلت التتر فلما رؤا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما أيسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الرى ومابعد كما سنذكره وقيل ان خوارزم شاه سار من مازندران حتى وصل الى الرى ثم منها الى همذان والتتر فى اثره ففارق همذان فى نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب فى البحر الى هذه القلعة ثم لما وصل الى القلعة المذكورة قدر الله تعالى انقضاء اجله فتوفى بها وكان رحمه الله عالما فاضلا بالفقه والاصول وغيرهما مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ويحب مناظرتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه فى الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم تبركا بهم ومناقبه رحمه الله كثيرة وكان قد اتسعت ممالكه من جهة العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند

﴿ ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران ﴾

لما أيس التتر المغربة من ادراك خوارزم شاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها فى اسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة فى قديم الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى اقاصى خراسان بقيت اعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملكت ايام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا لامر يريده الله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الرى فرؤا فى الطريق والدة خوارزم شاه ونسائه واموالهم وذخائرهم التى لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزم شاه لما سمعت ماجرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الرى لتصل الى اصفهان

وهمذان وبلاد الجبل تمتنع فيها فصادفوها فى الطريق فأخذوها وما معها قبل وصولها الرى فكان فيها معها ماملأ عيونهم وقلوبهم ومالم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع والنفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكز خان بسمرقند

﴿ ذكر وصول التتر الى الرى وهمذان ﴾

فى سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرى فى طلب خوارزم شاه محمد لانهم بلغهم انه مضى نحو الرى منهزما منهم فجدوا السير فى اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين الذين يريدون النهب والشر فوصلوا الى الرى على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التى لم يسمع بمثلها ولم يقيموا بل مضوا مسرعين فى طلب خوارزم شاه فنهبوا فى طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا فى الجميع اضعاف مافعلوا فى الرى واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف فى الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شئ وتموا على حالهم الى همذان فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك جعله هدية لهم ليطلب الامان لاهل البلد فأمنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف مافعلوا من قبل ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا فى قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد فى باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين مالا يحصى ثم فارقوا قزوين فعد القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل رحمهم الله تعالى

﴿ ذكر وصول التتر الى اذربيجان ﴾

لما هجم الشتاء على التتر فى همذان وبلد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا فى طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولاحدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لايفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعى به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى موقان وتطرقوا فى طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح وازالة ما كان بينهم وبينه وان يتوقف معهم على دفع التتر فاصطلحوا على أنهم يجتمعون اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون فى الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركى من مماليك اوزبك صاحب اذربيجان اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وارسل التتر فى

الانضمام اليهم فأجابوه الى ذلك وما لوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا فى مقدمة التتر الى الكرج فلكوا احصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم ما لا يحصى كثرة وكانت الوقعة فى ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة سبع عشرة وستمائة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر مالم يسمع بمثله فى قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضى عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان قال ابن الاثير فى الكامل وكان هو موجودا فى ذلك العصر مطلعا على تلك الاحوال قال وتالله لا اشك ان من يجئ بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ فى زماننا هذه فى وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى أمر عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة منذ جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل مادفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطؤا بلاد ما وراء النهر وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فلكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الرى وبلاد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهروا من بلادهم فى اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فلكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقى ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن اعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمد قد عدم ولم يعرفوا حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفى موته وتارة يقال انه دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك واخفى موته وهذا امر عظيم حيث اصبح مثل خراسان وعراق العجم وغيرهما سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كلما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقونه فى النار وكذلك غيره من الامتعة

﴿ ذكر تملك التتر مراغة ﴾

فى صفر سنة ثمان عشرة وستمائة تملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة مافعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم فى بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين ايديهم

شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهي مقيمة بقلعة رويىدز وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها فكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون من امامهم كرها فكانوا كما قيل كالاشقر ان تقدم ينحر وان تأخر يعقر وكان التتر يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل اولا في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فأقاموا على المدينة عدة ايام ثم ملكوها عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف في اهلها فقتل منها مايخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ماصلح لهم ومالا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس عنهم وكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى اولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل قال ابن الاثير وبلغني ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل اخذته اسيرا قال وسمعت من بعض اهل مراغة ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فمازال يقتلهم واحدا واحدا حتى أفناهم ولم يمد احد منهم يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا من مراغة قاصدين نحو مدينة اربل قال ووصل الخبر الينا بذلك في الموصل فخفنا حتى ان بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره واراد ان يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها احد فانها جميعها جبال وعرة ومضايق لا يقدر أن يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة الناصر ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة ايضا للملك الاشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر يستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الملك الاشرف الى الخليفة بأخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر ففعل ذلك واستنقذوا دمياط كما ذكرناه فيما سبق فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامراء في نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هنالك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفر

الدين قال لما ارسل الى الخليفة فى معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوى وليس لى من العسكر ما ألقاه به فان اجتمع معى عشرة آلاف فارس استنقذت ما اخذ من البلاد فأمرنى بالمسير ووعدنى بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندى غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواش فاقت وما رأيت المخاطرة بنفسى وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا احدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامى عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

﴿ ذكر تملك التتر همذان وقتل اهلها ﴾

وهمذان بفتح الميم وبالذال المعجمة بعدها الف ونون اسم مدينة بناها همذان بن الفلوج ابن سام بن نوح واما همدان بسكون الميم وبالدال المهملة بعدها الف ونون فاسم قبيلة باليمن لما تفرق العسكر الاسلامى عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة اى حاكم يحكم فيها فارسلوا اليه يأمرونه ليطلب من اهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفذوا اموالهم فى طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى فى امور اهل البلد من التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام فى اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد أفنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم فى اهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له انت أشد علينا من الكفار وأغلظوا له فى القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فأشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا فى البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة فى تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم من اى حيوان كان ولو من الحشرات والوحوش وبنى آدم ولا تأكل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه فى اوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا أشد من القتال الاول وقتل ايضا من التتر اكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه ايضا عدة جراحات وهو صابر وارادوا ايضا الخروج فى اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوى فلم يجدوه وكان قد هرب فى سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عال فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فأقاموا فى البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا خرج

(اليهم)

اليهم من البلد طمعوا واستدلوا بذلك على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم وذلك فى رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين مالا يحصيه الا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فأفنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل نفقا يختفى فيه وبقى القتل فى المسلمين عدة ايام ثم ألقوا النار فى البلد فأحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وكان السبب فى ملكها اعنى همذان ان اهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشريف مايفعل بهم الكفار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع امير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ماهم عليه من الخوف والذل وما يركبهم به العدو من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فأرسلوا الى الطريق فأخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط فى ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى فى القتال كما ذكرنا الى ان ملكوهم

﴿ ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها ﴾

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها وأكثروا القتل وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائى وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا متخلفا لايزال منهمكا فى الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر والشهرين لايظهر واذا سمع هيعة طار بجفلا لها وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها ويقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير اهله ونساءه الى خوى ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائى بأمر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتوانى وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قاربه التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة وأصلحوا السور والخندق ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل مامروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فأرسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله اهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة فى شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لايمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ماحولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهى ام بلاد اران فعلموا

بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فأرسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالتملك وبعضه بالصلح وساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد أعدوا اليهم واستعدوا وسيروا جيشا كبيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فأخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد قال ابن الاثير ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جموعا اخرى وسيرهم الى التتر ايضا ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فأخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا منها وداخل الكرج منهم خوف عظيم قال ابن الاثير حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فألقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه

لما عاد التتر من بلاد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممن قتل من غيرهم وألقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا ليسعى بينهم في الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامن وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوا الدربند وراء ظهورهم

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها امم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا

(من)

من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فأرسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم نحن نعاهدكم اننا لا نتعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ماشئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الاول فالاول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابعدوا فنهم من اعتصم بالغياض ومنهم من اعتصم بالجبال ومنهم من لحق ببلاد الروس واقام التتر فى بلاد قفجاق وهى ارض كثيرة المراعى فى الشتاء والصيف وفيها اماكن باردة فى الصيف كثيرة المرعى واماكن حارة فى الشتاء كثيرة المرعى وهى غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادتهم فانها على بحر حزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجوارى والمماليك والبرطاس والقندر والسنجاب وغير ذلك مما هو فى بلادهم وبحر خزرية هذا متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وقتلوا اهلها وتفرق اهلها الذين سلموا من القتل فنهم من صعد الجبال باهله وماله ومنهم من ركب البحر وسار الى بلاد الروم التى بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان السلجوقى

﴿ ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس ﴾

لما استولى التتر على ارض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهى بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بمدينة قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس بقفجاق وخبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا فى اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واولئك يقفون اثرهم اثنى عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل فى المنهزمين فلم يسلم منهم الى القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام فى عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذي يريدونه انكسر

مركب من مراكبهم فغرق الا أن الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذي ينكسر فأخذ من ذلك شيأ كثيرا وسلم باقي المراكب واخبر من بها بهذه الحال

﴿ ذكر عود التتر من بلاد قفجاق والروس الى ملكهم ﴾

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار أواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم واخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم الى القليل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم من قفجاق الى بلادهم وكان الطريق منقطعا منذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاس والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل الى تلك البلاد فلما فارقها التتر وعاد القفجاق اليها اتصل الطريق وحمـ[illegible] الامتعة كما كانت هذه اخبار التتر المغربة ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

﴿ ذكر مافعله التتر بما وراء النهر بعد بخارى وسمرقند ﴾

قد ذكرنا مافعله التتر المغربة التي سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه واما جنكزخان فانه بعد أن سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه و بعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم اصحابه عدة اقسام سير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر الى ترمذ وسير قسما آخر منها الى كلانة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التي امرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبي والنهب والتخريب وانواع العذاب مثل مافعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا آخر فعبروا جيحون الى خراسان

﴿ ذكر تملك التتر خراسان ﴾

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فأمنوهم فسلم البلد وكان ذلك سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى اهلها بسوء ولا اذى سوى انهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لاترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة اشهر يقاتلون اهلها ليلا ونهارا ولايظفرون منها بشئ فارسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن تملك هذه القلعة لكثرة مافيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك امر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازي القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة

رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب ونجوا واما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع اهل البلاد الذين اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين مايزيد على مائتى الف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا وصبر المسلمون واما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم اسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم ودوابهم وارسل التتر الى ماحولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما ارادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا فى حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتر الى الامير الذى بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلد ونرحل عنك فأرسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فأمنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما حضروا عنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال اكتبوا الى تجار البلد ورؤسائه وارباب الاموال فى جريدة واكتبوا الى ارباب الصناعات والحرف فى نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلما وقف على النسخ امر ان يخرج اهل البلد منه بأهلهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسى من ذهب وامر ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت اعناقهم صبرا والناس ينظرون اليهم ويبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات فى طلب الاموال فربما مات احدهم من شدة الضرب ولم يكن بقى له مايفتدى به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر السلجوقى ونبشوا القبور طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم اجمعين وامر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل فيهم العلماء والصلحاء والزهاد والعباد كما كان مثل ذلك من التتر المغربة فيما اخذوه من البلاد كما تقدم فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين وسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء ولا يسئل عما يفعل ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامى فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو واقاموا خمسة عشر يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير لكونهم لم

بقوا قتلهم حتى تزهق ارواحهم وان كثيرا منهم نجوا الى بلاد الاسلام كما [illegible] نيسابور أن تقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل احد ففعلوا ذلك فلما فرغوا من ذلك [illegible] طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضا وخربوها وخربوا المشهد الذى فيه على الرضا بن موسى الكاظم والذى فيه هارون الرشيد وجعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهى من احصن البلاد فحصروها عشرة ايام ثم ملكوها وامنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزم شاه لانه كان متملكا ذلك القطر فقاتلهم وهزمهم كما سنذكره فلما سمع بذلك اهل هراة وثبوا على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون الى هراة وجدوا عسكرا جاءهم مددا من جنكزخان فانضموا اليهم ودخلوا هراة قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى بلاد خراسان ففعلوا بخراسان مثل مافعلوا فى غيرها ولم يسلم من شرهم وفسادهم شئ من البلاد وكان جميع مافعلوا بخراسان سنة سبع عشرة وستمائة

﴿ ذكر تملكهم خوارزم وتخريبها ﴾

واما الطائفة من الجيش التى سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير من المسلمين واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم اشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا اكثر لان المسلمين كان يحميهم السور فأرسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع اهل البلد وقاتلوهم فى طرف الموضع الذى ملكوه فلم يقدروا على افراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون فى المحلة التى تليهم فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ثم انهم فتحوا السد الذى كان يمنع ماء جيحون عن البلد فدخل الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقى موضعه ماء كالبحر ولم يسلم من اهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم من يختفى ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقى نفسه بين القتلى فيظنون انه مقتول فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى منهم من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فأصبحت خرابا يبابا

* كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ✵ انيس ولم يسمر بمكة سامر *

فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير وهذا لم يسمع بمثله فى قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذ لان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها لان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرين ومضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

﴿ ذكر تجهيز جنكزخان الجيوش الى غزنة لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه ﴾

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة

وبها جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من عسكر ابيه نحو ستين الفا وذلك غير ما كانوا عنده من عسكر مملكته فلما وصل التتر الى اعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع جلال الدين بن خوارزمشاه فالتقوا فى موضع يقال له بلق فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة ايام ثم انزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع اهل هراة بذلك ثاروا بالوالى الذى عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فاجتمعوا مع المنهزمين من غزنة ودخلوا هراة وملكوا البلد وقتلوا اهله وخربوه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ثم ان جلال الدين بن خوارزمشاه بعد ان هزم جيش جنكزخان ارسل رسولا الى جنكزخان يقول له اى موضع تريد يكون فيه الحرب حتى نأتى اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا اكثر من الاول مع بعض اولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامى اليهم وتصافوا هنالك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم التتر ثانيا وقتل منهم كثير وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة مع بعضهم لاجل الغنيمة وسبب ذلك ان اميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق اصله من الاتراك كان شجاعا مقداما ذا رأى فى الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا انتم فقد ملئتم منهم رعبا وهو الذى كسر الت[illegible] على الحقيقة وكان من المسلمين ايضا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزمشاه نسب وهو [illegible] هراة فاختلف هذان الاميران فى الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال [illegible] الكفار ويقتل اخى لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسا[illegible] ثلاثون الفا كلهم يريد ان يكونوا اتباعا له فاستعطفه جلال الدين [illegible] اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم [illegible] [illegible] لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد وصل فى جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين [illegible] من فارقهم من العسكر عزم على مفارقة غزنة ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص اثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى ادركه جنكزخان بجيوشه فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا فى ذلك كالاشقر ان تأخر ينحر وان تقدم يعقر فتصافوا واقتتلوا اشد قتال اعترفوا كلهم أن ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال وبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل فى الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون انهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما أصاب الكفار من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون الى الهند ومعهم جلال الدين وقيل انهم عبروا بغير سفن وان جلال الدين اقتحم النهر العظيم هو وعساكره وما نجا منهم الا اربعة آلاف حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع

بعيد وفقده اصحابه ثلاثة ايام ثم وجدوه واعتدوا بمقدمه عيدا ثم جرى بين جلال الدين
وبين اهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين وملك الى لهاوور من الهند واما
جنكز خان وعساكره فانهم عادوا الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الى الهند
وبعدهم عنهم فلما وصلوا غزنة ملكوها لخلوها من العساكر والمحامي فقتلوا اهلها و
الاموال وسبوا الحريم ولم يبقوا احدا من العلماء والصلحاء وغيرهم وخربوها واحرقوها
وفعلوا بسوادها وما حولها من المدائن والقرى كذلك فأصبحت تلك الاعمال جميعها خالية
من الأنيس خاوية على عروشها كان لم تغن بالامس ثم رجع جنكزخان بجيوشه الى بلاده واما
الممالك التى ملكها وخربها فترك الكثير منها ولم يجعل له عمالا فيها فرجع اليها اهلها
وتملكها ملوكها الذين كانوا فيها (غريبة عجيبة) لما وصل جلال الدين الى حافة نهر السند
ولم يجد من السفن ما يعبر فيه وجنكز خان خلفه يقص اثره ضاقت الارض بما رحبت على
جلال الدين ومن معه ورأى والدته وام ولده وجماعة من حرمه يبكين ويصحن يقلن له بالله
عليك اقتلنا او خلصنا من الاسر فامر بهن فغرقن فى النهر وهذه من عجائب البلايا ونوادر
المصائب والرزايا

﴿ ذكر عود التتر الى الرى وهمذان وغيرهما ﴾

فى سنة احدى وعشرين وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكز خان وهؤلاء غير الطائفة
الغربية التى ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الرى وكان من سلم من اهل الرى قد عادوا
اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا فى اهلها من الغربية
[illegible]يف وقتلوهم كيف شاؤا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها ل التتر ال
كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر الاولين فانهم لم يقربوهما وما
[illegible] صاب اهلهما اذى فأتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخربوهما وألحقوهما
بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا فى البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان
وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من اهلها فأبادوهم قتلا واسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا
لما وصلوا الى الرى رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم
الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضا قد كبسوهم ووضعوا
السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها اوزبك
ابن البهلوان يقولون له ان كنت موافقنا وعلى طاعتنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية
والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد ابن البهلوان الى من عنده من الخوارزمية
فقبض عليهم ثم قتل بعضهم وجعل بعضا منهم اسرى وارسل رؤس من قتلهم الى التتر
وارسل معهم الاسرى وأنفذ مع الجميع من الاموال والثياب والدواب شيأ كثيرا فعادوا
عن بلاده وساروا نحو خراسان وفعل التتر هذا كله فى هذه العودة وليسوا فى كثرة
نحو ثلاثة آلاف وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ست آلاف فارس و[illegible]
الرعب فى قلوبهم من التتر وان كانوا قليلا وكان عسكر ابن البهلوان اكثر من

... عما فلم يحدث نفسه ولا الخوا رزمية بالامتناع منهم قال ابن الاثير فنسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

﴿ ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى خوزستان والعراق ﴾

في اول سنة اثنتين وعشرين وصل جلال الدين بن خوارزمشاه الى بلاد خوزستان والعراق وا... في ممالك الهند واستولى على كرمان واصفهان وباقي عراق العجم وفارس وقاربت جيو... بغداد فخاف اهل بغداد منه ثم سار الى تبريز واذربيجان وكثرت عساكره واستفحل امره وصار ينتزع الممالك من يد الملوك الذين كانت الممالك بايديهم والكلام على ذلك طويل ... يفعل في كثير من البلاد التي يتملكها من القتل والاسر والنهب مثل ما يفعل التتر وفي هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته قريبا من سبع واربعين سنة قيل ان اصل قيام التتر كان بمكاتبته لهم يأمرهم بقتال خوارزمشاه ليشغلوه عن تطلبه ملك العراق والله اعلم بحقيقة الحال وولي الخلافة بعد الناصر ولده الظاهر بامر الله ومكث تسعة ... في وولي ابنه المستنصر بالله ابو جعفر المنصور ثم المستعصم ختام خلفائهم كما سيأتي ... امر جلال الدين بن خوارزمشاه واستفحل ملكه بلغه سنة اربع وعشرين وستمائة ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامقان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينه وبينهم فانهزموا منه فأوسعهم قتلا وتبع المنهزمين مدة ايام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ اتاه الخبر بان كثيرا منهم واصلون اليه فأقام ينتظرهم فوصلوا اليه في سنة خمس وعشرين وجرى بينه وبينهم حروب كثيرة كان في اكثرها الظفر لهم عليه وفي الاخير كان الظفر له عليهم فهزمهم وهؤلاء التتر الذين جاؤه في هذه المرة كانوا قد سخط جنكزخان على مقدمهم وأبعده وأخرجه من بلاده فقصد خراسان هو وجيوشه فرآها خرابا فقصد الري ليتغلب على تلك النواحي والبلاد فلقيه بها جلال الدين واقتتلوا اشد القتال الى ان كانت آخر هزيمة على التتر كما ذكرنا وجاءت مكاتبة من طولي بن جنكزخان لجلال الدين يقول له ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا انما نحن ... فلما امن جانب ابن جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان وانما كانت المكاتبة مع ابن جنكزخان لان جنكزخان كان قد هلك سنة اربع وعشرين وستمائة وكانت مدة ملكه نحو ثلاث وعشرين سنة ولما أيس من الحياة جمع اولاده وقسم بينهم الممالك وجعل التخت للرئيس عليهم وهو ولده الصغير طولي خان ثم هلك عن قرب وتولى مكانه ولده هلاكو الذي كان على يده اخذ بغداد

﴿ ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم ﴾

في اول سنة ثمان وعشرين وصل التتر من بلاد ماوراء النهر الى اذربيجان وكان جلال الدين من ذلك ... ملكه لانه كان سيء السيرة قبيح التدبير لم يترك احدا من الملوك المجاورين له الا عاداه انهم عبر لك ووقع بينه وبينهم حروب وهزموه في آخر الامر في كثير منها فضعفت شوكته الا ار بعض التتر بعض الملوك الذين كان يحاربهم يحثونهم على المجيء لاستيصال جلال الدين

ويعرفونهم ضعفه عن لقائهم فهذا كان ايضا من اسباب مجيئهم فلما أقبل التتر في هذه المرة ولم يقدم جلال الدين على لقائهم وقتالهم فدخلوا بلاده واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به وجلال الدين لايقدر على منعهم من البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب في ذلك ان امرا غريبا فعله جلال الدين اظهر من قلة عقله مالم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق ان ذلك الخادم مات فأظهر من الهلع والجزع عليه مالم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وامر الجند والامراء ان يمشوا في جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى جلال الدين بعض الطريق راجلا فألزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقي تابوت الخادم ففعلوا فأنكر عليهم حيث لم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا واراد معاقبتهم فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك الخصي وانما كان يستصحبه معه اين سار وهو يلطم ويبكي وامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد ان يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انه يقبل الارض ويقول انني الآن اصلح مما كنت فلحق امراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز مع وزيره فبقي حيران لايدري مايصنع لاسيما لما خرج التتر هذه المرة فحينئذ دفن الغلام الخصي وأرسل الى الوزير واستماله الى ان حضر عنده فلما وصل اليه بقي اياما ثم قتله جلال الدين وهذه نوادر غريبة لم يسمع بمثلها تدل على الخذلان

﴿ ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه ﴾

في سنة ثمان وعشرين ايضا حصر التتر مراغة من اذربيجان ثم ملكوها بالامان وقتلوا في البلد الا انهم لم يكثروا القتل واشتد خوف الناس منهم بأذربيجان فلما رأى جلال الدين مايفعله التتر بأذربيجان ورأى ماهو عليه من الضعف والوهن فارق اذربيجان يريد الخليفة وملوك الاطراف ليعضدوه على التتر ويخوفهم عاقبة امرهم فلم يشعر وهو بالقرب من آمد الاوقد كبس التتر ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين ثم لم يزل يتنقل في الهرب من موضع الى موضع وهو بغاية الذل بعد ذلك العز الى ان دخل قرية من قرى ميافارقين فلحقته التتر في تلك القرية فهرب الى جبل هناك فيه اكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم اني انا السلطان فاستبقني أجعلك ملكا فحمله الكردي عند امرأته ومضى الى الجبل فحضر كردي آخر معه حربة فقال للمرأة لاتقتلون هذا الخوارزمي فقالت المرأة قد أمنه زوجي فقال الكردي انه السلطان وقد قتل اخا لي بخلاط خيرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان ذلك منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة فسبحان من لايزول ملكه وفي ذلك عبرة لأولي الابصار وعلى ذلك فكان الامر

يذكر فى هذه الأخبار العجيبة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وانه يتصرف فى عباده كيف يشاء قصة الصناديق التى كانت لأبيه محمد خوارزم شاه وذلك ان خوارزم شاه لما هرب من التتر كما تقدم تفصيل ذلك والتتر تتبعه نزل لما وصل عراق العجم عند بسطام وأحضر خوارزم شاه كاتبا كان معه عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم اشار الى صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الارض بجملتها ثم امر بحمل العشرة الصناديق الى قلعة ازدهن وهى من احصن قلاع الارض واخذ خط النائب بها بوصول الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق بختومها فاخذ جميع ما فيها ولم ينتفع خوارزم شاه الذى جمعها بشئ منها وقد تقدم انه مات فى مهربه ذلك قال ابن الاثير فسبحان من بدل أمنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب العالمين الفعال لما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولما دخل التتر ديار بكر والجزيرة يطلبون جلال الدين وقع منهم من الفساد والنهب والقتل والتخريب شئ كثير ونهبوا سواد آمد وارزن وميا فارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الأمان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى وقليل ما هم قال ابن الاثير وحكى لى بعض التجار ممن كان وصل من آمد انهم حزروا القتلى فكانوا يزيدون على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها خرج ليقاتل وكان له ام فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فمشت معه قليلا فقتلا جميعا وورثها ابن اخ للأم فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرا عظيما وان مدة الحصار كانت خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى وادى القريشية وكان فيه طائفة من الأكراد وفيه مياه جارية وبساتين والطريق اليه ضيق فقاتلهم الأكراد فمنعوهم عنه وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضا وساروا فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين بقلعة ماردين ثم وصلوا الى نصيبين والجزيرة ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا ومضى طائفة منهم الى الموصل فوصلوا الى قرية تسمى المونسة قريبة من الموصل فنهبوها واحتمى اهلها بخان فيها فقتلوا كل من فيه قال ابن الأثير وحكى لى عن رجل منهم انه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بى وكنت أراهم فى نافذة فى البيت فكانوا اذا أرادوا قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم فيهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم ويقولون لا بالله ونصف طائفة وفى [illegible] نصيبين الروم فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد بدليس فتحصن [illegible] قلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة قال ابن الاثير وحكى انسان من [illegible] نه هناك كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر احد لان الطريق ضيق بين الجبال

والقليل يقدم على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال
خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا
مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا فى
ذى الحجة من سنة ثمان وعشرين وستمائة قال ابن الاثير ولقد حكى لى عنهم حكايات يكاد
سامعها يكذب بها من الخوف الذى ألقاه الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتى قيل
ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا
بعد واحد لا يتجاسر احد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى ان انسانا منهم اخذ رجلا ولم يكن مع
التترى ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على الارض
ومضى التترى أحضر سيفا فقتله به وحكى لى رجل قال كنت انا ومعى سبعة عشر رجلا
فى طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا مقالا يأمرنا فيه ان يكتف بعضنا بعضا فشرع
اصحابى يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت
هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذت
سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير فهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم
الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد العدو عنهم والعجب
ان هذا العدو فعلوا هذه الافعال فى هذه المرة وعادوا والمسلمين لم يذعرهم احد ولا وقف فى وجوههم
فارس فسبحان من بيده ملكوت كل شئ يعز من يشاء ويذل من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم
يسألون ولما وصل التتر بلاد اذربيجان أطاعهم اهلها جميعا وحملوا اليهم الاموال والثياب
الخطائى والخوبى والعتابى وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم الى آمد
من التتر تفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة
واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف فى وجوههم فارس وملوك الاسلام
منجحزون فى الانقاب وانضاف الى هذا انقطاع اخبار جلال الدين فانه لم يظهر له فى ذلك
الوقت خبر ولا علموا له حالا سقط فى ايديهم وأذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا
من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع
اليها والى من بها فان ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم
الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فأرسلوا اليه المال الكثير والتحف من انواع الثياب
الابريسم وغيرها وكل شئ حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم ويطلب
منهم ان يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلف
عنهم شمس الدين الطغرائى وهو الذى يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيأ من ذلك
فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائى فقالوا انه رجل منقطع ماله بالملوك تعلق
ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائى وغيرها ليستعملهم
لملكهم الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصناع فاستعملهم فيما [illegible]
ارادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاه اى خيمة لملكهم ايضا فعملـ[illegible]
لم يعمل مثلها وعملوا غشاها من الاطلس الجيد المزركش وعملوا من داخلها الس[illegible] وكان الامر

فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيأ كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لاينصرون جلال الدين بن خوارزمشاه قال ابن الاثير ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من اهل الري كان قد انتقل الى الموصل وأقام بها هو ورفقاء له ثم سافر الى الري في العام الماضي قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الري واطاعهم اهلها وساروا الى اذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة التي وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا أهل في البلاد من يردهم ام لا فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلوا البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ذلك ومن العساكر فقوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم ومابقى عندكم مقام الا ان كان في بلد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانالله وانا اليه راجعون ولاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وعشرين وستمائة كان انتهاء مافي الكامل تاريخ ابن الاثير وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة وهو الامام عز الدين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثم صار الى الموصل وسمع من كثير من الاشياخ المقيمين بالموصل ثم رحل الى بغداد ثم الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع في بيته عاكفا على العلم تعليما وتصنيفا وكان اماما في علم الحديث حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة خبيرا بأنساب العرب واخبارهم وله تصانيف كثيرة منها اسد الغابة في اخبار الصحابة وهو كتاب جليل ومنها التاريخ الكبير المسمى بالكامل وله غير ذلك ومن تلامذته الذين اخذوا عنه ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور ونسبت الجزيرة الى ابن عمر قيل هو رجل من اهل برقعيد من اعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه المدينة فاضيفت اليه ثم ان العساكر الخوارزمية الذي كانوا عند جلال الدين تفرقوا في ديار بكر والموصل وحلب واكثروا العيث والفساد وفعلوا مثل افعال التتر من الزنا والفواحش والقتل وكذلك التتر اكثروا العيث والفساد فيما استولوا عليه من البلاد ولم يزل الامر يشتد بالمسلمين وشرح ماجرى في تلك السنين من الخوارزمية والتتر يطول والقصد الاختصار وفي سنة احدى واربعين وستمائة قصدت التتر بلاد غياث الدين كيخسرو السلجوقي صاحب بلاد الروم فارسل واستنجد بالحلبيين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسي وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر منهم خلقا كثيرا وأسروا كثيرا وتحكمت التتر في البلاد واستولوا ايضا على خلاط وآمد وهرب غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل وفي رسل الى التتر وطلب الامان ودخل في طاعتهم وفي سنة ثلاث واربعين وستمائة قصدت قلت ملاد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على نه هالتحت الليل ثم لما قدر الله وأراد من الازل انه لابد من استيلاء التتر على بغداد

وانقراض الدولة العباسية قدر سبحانه وتعالى لذلك اسبابا وجعل لذلك علامات ومقدمات اما الاسباب فاعظمها خروج المسلمين عن كمال الاستقامة وانهماكهم فى المعاصى والشهوات واما العلامات والمقدمات فقد أوجد الله فى تلك السنين علامات ومقدمات كان الناس يظنون عند مشاهدتها ان القيامة تقوم فى تلك السنين ثم تبين بعد ذلك انها مقدمات وعلامات لانقراض الدولة العباسية وضعف اهل الاسلام قال الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة كان لانقراض الخلافة ببغداد وماجرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء منها انه فى يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الآخر سنة اربع واربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فاسكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير وكان هذا فالا على زوال دولة بنى العباس ومنذرا بما سيقع بعد هذا من كائنة التتار لعنهم الله تعالى ومنها قال ابن كثير فى سنة سبع واربعين طغى الماء ببغداد حتى اتلف شيأ كثيرا من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة الجمعة بسبب ذلك وفى هذه السنة هجمت الفرنج على دمياط فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقا من المسلمين وفى سنة خمسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة دار فيقال ان الفرنج لعنهم الله ألقوه فيها قصدا وفى سنة اثنتين وخمسين ظهرت نار فى ارض عدن فى بعض جبالها بحيث انه يطير شررها الى البحر فى الليل ويصعد منها دخان عظيم فى اثناء النهار فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا فى افعال الخير والصدقات وفى سنة اربع وخمسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من اسوار البلد وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارا وانهدم مخزن الخليفة يعنى موضع خزانة اموال المسلمين وهلك شئ كثير من خزانة السلاح قال السبكى فى الطبقات وكان ذلك من جملة الامور التى هى مقدمة لواقعة التتار وفى هذه السنة فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة وأقام على هذه الحالة يومين فلما كان ليلة الاربعا تعقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر فظهر من الحرة نار عظيمة وسالت اودية منها سيل الماء وسالت الجبال نارا وسارت نحو طريق الحاج العراقى فوقفت ولم تزل تأكل الارض أكلا ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى الضحوة واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم واقلعوا عن المعاصى واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر وكسفت الشمس فى غدوة وبقيت اياما متغيرة اللون ضعيفة النور واشتد فزع الناس وصعد علماء البلد الى الامير يعظونه فطرح المكس ورد على [illegible] ما كان تحت يده من اموالهم ولما جاء النجاب الى بغداد بخبر هذه النار قال له [illegible] فى اى الجهات ترى شررها قال الى جهة الشرق وفى ليلة الجمعة مستهل رمضان [illegible] بن عبد السنة احترق المسجد الشريف النبوى ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال فكان الامر

قد دخل احد خدمة المسجد الى خزانة هناك ومعه نار فعلقت فى الآلات واتصلت بالسقف سرعة ثم دبت فى السقوف فاعجلت النار عن قطعها فما كان الا ساعة حتى احترق سقوف المسجد اجمع ووقعت بعض اساطينه وذاب رصاصها واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب عليه وعدما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات وكانت كلها منذرة بما يعقبها فى السنة الآتية من الكائنات انتهى ماذكره الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة وذكر السيد السمهودى فى خلاصة الوفا زيادة ايضاح لسبب ذلك الحريق فقال احترق المسجد النبوى ليلة الجمعة اول شهر رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة اول الليل لدخول ابى بكر بن اوحد الفراش الحاصل الذى فى الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج قناديل لمنائر المسجد وترك الضوء الذى كان فى يده على قفص من اقفاص القناديل فيه مشاق فاشتعلت النار فيه واعجزه طفؤها وعلقت ببسط وغيرها مما فى الحاصل وعلا الالتهاب حتى علقت بالسقف مسرعة اخذت قبلة واعجلت الناس عن اطفائها بعد ان نزل امير المدينة واجتمع معه غالب اهلها فلم يقدروا على طفئها وما كان الا قل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد وما احتوى عليه من المنبر النبوى والابواب والخزائن والمقاصير والصناديق ولم يبق خشبة واحدة اى كاملة وكذا الكتب والمصاحف ووقع السقف الذى كان على اعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فى الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة ولم يكن فى ذلك الزمن قبة على القبور المقدسة وانما كان سقف فقط واول من جعل ذلك السقف قبة السلطان المنصور قلاوون الصالحى سنة ثمان وسبعين وستمائة فجعلت قبة صغيرة مربعة من اسفلها مثمنة من اعلاها باخشاب اقيمت على رؤس السوارى المحيطة بالحجرة الشريفة ولما كانت عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى سنة سبع وثمانين وثمانمائة جعلت القبة المشرفة متناهية فى العلو وجعلت من الآجر واسس لها دعائم عظام بارض المسجد وقد بسط العلامة السمهودى فى خلاصة الوفا الكلام على النار التى ظهرت بالحرم لانها من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبر عنها قبل وقوعها فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تظهر نار الحجاز وفى رواية للبخارى تخرج نار فى ارض الحجاز تضيئ اعناق الابل ببصرى وفى مسند الفردوس وكامل ابن عدى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من اودية الحجاز بالنار تضيئ له اعناق الابل ببصرى ثم أطال الكلام فى بيان ذلك ثم قال قال النووى تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع اهل الشام وكانت فى زمنه اى النووى وكان ابتداء ذلك زلزلة فى بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم وفى يدها واشتدت فى يوم الثلاثا وظهرت ظهورا عظيما ثم ليلة الاربعا ثالث الشهر فى الثلث

قلت ما لليل حدثت زلزلة عظيمة جدا أشفق الناس منها واستمرت تزلزل بقية الليل ثم الى يومه هلك لها دوى أعظم من الرعد فتموج الارض وتتحرك الجدران حتى وقع فى يوم واحد

دون ليلته ثمان عشرة حركة ونقل عن ابي شامة عن القاشاني قال تزلزلت الارض يوم الجمعة زلزلة عظيمة الى ان اضطربت منائر المسجد وسمع لسقفه صرير عظيم فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشي الافق سواده فلما تراكمت الظلمات واقبل الليل سطع شعاع النار فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق وقال القرطبي وكانت ترى على صفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وابراج ومنائر ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر احمر وازرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار الى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر قال وقال لي بعض اصحابنا رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة ايام وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال القطب القسطلاني وكان موجودا في ذلك العصر وهو جد القسطلاني شارح البخاري ان ضوءها استولى على ما بطن وظهر حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس وتأثر من لهيبها النيران وصار نور الشمس على الارض يعتريه صفرة ولونها هي يعتريه حمرة والقمر كانه كسف وقال ابو شامة انها رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ومن ينبع قال واخبرني من أثق به ممن شاهدها بالمدينة انه بلغه انه كتب بتيماء على ضوءها الكتب وتيماء موضع والشمس والقمر في مدتها ما يطلعان الا كاسفين قال ابو شامة وظهر عندنا بدمشق اثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى ان بلغنا خبرها وقال القطب القسطلاني وقد اخبرني جماعة انهم شاهدوها من جبال ساية وجاء من اخبر انه ابصرها بتيما وبصرى هي منهما مثل ما هي من المدينة في البعد وقال العماد بن كثير اخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال اخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى انه اخبره غير واحد من الاعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار انهم رأوا صفحات اعناق ابلهم في ضوء تلك النار فظهر انها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وانارتها بتلك الاماكن البعيدة ليتم الانذار واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لا يخفى وكانت نعمة في صورة نقمة اي لانه نعمة من حيث كونها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم دالة على كمال صدقه صلى الله عليه وسلم وكانت ايضا سببا لتوبة الناس والتجائهم الى الله تعالى ونقمة من حيث الانذار والتخويف فوجلت القلوب منها واشفقت واعتق امير المدينة وهو عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ورد على الناس مظالمهم وابطل المكس وهبط للنبي صلى الله عليه وسلم وبات في المسجد ليلة الجمعة والسبت ومعه جميع اهل المدينة حتى النساء والصغار واهل النخل يتضرعون ويبكون كاشفين رؤسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال فسالت من وادي احيليين الى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة اشهر فطالت مدتها ليشتهر امرها ويزجر عامة الخلق بها وعظم امرها ليشاهد مثالا من نار الآخرة وارسل امير المدينة عدة من الفرسان اليها فلم تجسر الخيل على القرب فكان الامر

اصحاب الخيل وقربوا منها فذكروا انها ترمى بشرر كالقصر ولم يظفروا بجلية امرها لجرد الامير عزمه لذلك فوصل منها الى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع ان يجاوز موقفه من حرارة الارض واحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد الاحجار كالبحار المتلاطمة الامواج وعقد لهيبها فى الافق قتاما حتى ظن الظان ان الشمس والقمر كسفا اذ سلبا بهجة الاشراق فى الآفاق وقال القطب القسطلانى انها لم تزل مارة على سبيلها وهى تسحق ما والاها وتذيب مالاقاها من الشجر الاخضر والحصى وان طرفها الشرقى آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وان طرفها الشامى وهو الذى يلى الحرم اتصل بجبل يقال له عير على قرب من شرقى جبل احد ومضت فى الشظاه التى فى طرفها وادى حمزة رضى الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبى صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرنى شخص أعتمد عليه انه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرم كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت الى ما دخل منه فى الحرم طفئت وخمدت وقال ابو شامة ان سيل هذه النار انحدر مع وادى الشظاه حتى حاذى جبل احد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتيرها الذى يلى المدينة وطفئت مما يلى العريض ورجعت تسير فى المشرق وقال كثير من المؤرخين انها سالت سيلا ذريعا فى واد يكون طوله مقدار اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال وعمقه قامة ونصف وهى تجرى على وجه الارض والصخر يذوب كما يذوب الرصاص ولم يزل يجتمع منه فى آخر الوادى عند منتهى الحرم اى فى المشرق حتى قطعت فى وسط وادى الشظاه الى جهة جبل عير فسدت الوادى المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قال السيد السمهودى وآثار ذلك السد موجودة اليوم هنالك ويسمى المحبس وانقطع وادى الشظاه بسبب ذلك وصار السيل ينحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا واما ماذكره بعضهم من ان تلك النار ليس لها حر فلعل ذلك كان آخر امرها فهذه الآيات كلها مقدمات لاخذ التتار بغداد وانقراض الدولة العباسية وظهور الضعف والخلل لاهل الاسلام وذكر الامام القرطبى فى تذكرته ان هؤلاء التتر هم الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يقاتلونكم قوم صغار الاعين كأن وجوههم المجان المطرقة بفتح الراء المشددة وفى رواية عراض الوجوه ذلق الانوف غلاظها وأطال فى بيان روايات الحديث وقال ان هذا الامر الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم قد وقع كما أخبر ونقل مثل ذلك عن الحافظ ابن دحية وغيره وأطال فى بيان ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر اخذ التتر بغداد وقتلهم الخليفة ﴾

قد تقدم ما تملكه التتر من ممالك الاسلام فى السنين المتقدمة وصاروا بعد ذلك يدبرون الامر فى اخذ بغداد ويتخوفون من كثرة العساكر الموجودة عند الخليفة وعزموا على اخذها سنة ثلاث واربعين وستمائة فانهزمت عساكرهم وضعف عزمهم ولما كان اخذهم اياها فى علم الله تعالى محدودا بايام مخصوصة سهل لهم الاسباب التى توصلهم الى ذلك عند

مجيء وقته فمن ذلك ان وزير الخليفة كان رافضيا ويحب نقل الخلافة من بني العباس الى
العلويين وسولت له نفسه ان ذلك يسهل اذ قويت شوكة التتر وانه يعقد معهم صلحا و ينقل
الخلافة للعلويين على زعمه فصار يكاتب التتار ويظهر لهم انه يحب استيلاءهم وان امر المسلمين
يكون تابعا لامرهم وكان الخليفة المستعصم بالله مفوضا امور الخلافة الى الوزير المذكور
فينقاد له ويقبل اشارته ويصغي لما يقول مع ان الخليفة المذكور كان صحيح العقيدة يعتقد
مذهب اهل السنة ويميل الى الخير والصلاح ويحب اهل الخير والصلاح لكنه كان قليل
المعرفة بتدبير الملك مهملا للامور المهمة محبا لجمع المال فأهمل امر التتار وانقاد الى وزيره
محمد بن محمد بن العلقمي حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية فان ابن العلقمي كتب كتابا
الى هلاكو ملك التتر وهو ابن طولي بن جنكزخان انك تحضر الى بغداد وانا اسلمها لك
وكان من جملة الاسباب التي حملته على ذلك وقوع فتنة في تلك الايام بين الرافضة واهل السنة
في بغداد أدت تلك الفتنة الى نهب عظيم وخراب وقتل عدة من الرافضة فغضب لذلك
ابن العلقمي وجسر التتار على العراق ليتشفى من اهل السنة فلما كتب لملك التتر يحثه على
الحضور كتب له ملك التتار ان عساكر بغداد كثيرة فان كنت صادقا فيما قلته وداخلا
في طاعتنا ففرق عساكر بغداد ونحن نحضر فلما وصل كتابه الى الوزير دخل على الخليفة
المستعصم وقال له ان جندك كثيرة وكانوا اكثر من مائة الف وعليك كلفة كثيرة والعدو
قد رجع والصواب انك تعطي دستورا لخمسة عشر الفا من عسكر كي ليتوفر معلومهم
فأجابه المستعصم لذلك فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ثم نفاهم من بغداد
ومنعهم من الاقامة بها ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الاولى ومحا اسم عشرين الفا من الديوان
ثم كتب الى ملك التتر بما فعل وكان تدبير الوزير ان التتر اذا قدموا بغداد يقتلون الخليفة
ويضعفون شوكة بني العباس ثم يعودون الى سبيلهم فيبقى هو على ماهو عليه من العظمة
والعساكر وتدبير المملكة فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع ثم يضع
السيف في اهل السنة هكذا كان قصده ولما بلغ ملك التتر مافعل الوزير ابن العلقمي من
محو العساكر واضعاف امر الخلافة سار بجيوشه في اول سنة ست وخمسين وستمائة ومعه
ايضا الكرج وعسكر الموصل وخلائق لايحصون وقصد بغداد ونزل عليها وصار
الخليفة المستعصم يستدعي العساكر ويتجهز لحرب التتر وقد اجتمع اهل بغداد وتحالفوا
على قتال التتر وخرجوا الى ظاهر بغداد وقاتلوا التتر قتالا عظيما وكثرت الجراحات والقتلى
في الفريقين الى ان نصر الله عساكر بغداد وانكسر التتر أقبح كسرة وساق المسلمون
خلفهم واسروا منهم جماعة وعادوا بالاسرى ورؤس القتلى الى ظهر بغداد ونزلوا بخيامهم
مطمئنين بهروب العدو وانهزامه فارسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من اصحابه
فقطعوا شط الدجلة فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون فغرقت مواشيهم وخيامهم
واموالهم وصار السعيد منهم من لقي فرسا يركبها وارسل الوزير الى ملك التتر يعرفه بما فعل
ويأمره بالرجوع الى بغداد فرجع بعساكره الى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من [illegible]ى بن عبد
أصبحوا خرج لهم طائفة من عسكر المسلمين وعليهم الدويدار فالتقوا مع طلائع [illegible] وكان الامر

المسلمون لقلتهم وأحاطت عساكر التتر ببغداد فقال الوزير ابن العلقمى للخليفة المستعصم بالله انى أخرج الى تلا فى هذا الامر واعقد الصلح واقرره فاذن له فى ذلك فخرج وتوثق لنفسه ورجع واخبر الخليفة ان ملك التتر رغب ان يزوج بنته بابنك وان تكون الطاعة له كما كانت للملوك السلجوقية ويرحل عنك فخرج المستعصم فى اعيان دولته واعيان العلماء واكابر اهل الوقت ليحضروا العقد فلما حضروا عند ملك التتر امر بالقبض عليهم وضربت اعناقهم وقتلوا الخليفة بوضعه وولده فى عدلين وامر التتار برفسهما الى ان ماتا وقيل أغرقهما ودخلت التتر بغداد واقتسموها وكل اخذ ناحية وبقى السيف يعمل اربعة وثلاثين يوما وقل من سلم ولم يرحموا شيخا كبيرا لكبره ولا صغيرا لصغره ولا عالما لعلمه ونهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لامال ولاماجل ثم احرقت بغداد بعد ان قتل اكثر اهلها قيل ان عدة من قتل يزيد على الفى الف وثلاثين الف انسان ثم نادوا بالامان وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا وبقيت الدنيا بلا خليفة ثلاثة سنين ونصف سنة وكانت مدة خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية اشهر واياما وعمره نحو سبع واربعين سنة واما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد فلم يلبث أن أمسكه ملك التتر بعد قتل المستعصم بايام ووبخه بالفاظ شنيعة معناها انه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه فكيف يكون له خير فى ملك التتر ثم انه قتله شر قتلة قيل ان ابن العلقمى بعد قتل المستعصم وقبل قتله هو بقى يركب اكديشا فنادته عجوز يا ابن العلقمى أهكذا كنت تركب فى ايام المستعصم فلم يجبها وكان بعد ان قتل الخليفة يظن ان رياسته تبقى له فأبقوها له اياما الى ان قتلوه قيل انه فى تلك الايام التى أبقوا له الرياسة فيها بعد قتل الخليفة دخل عليه بعض التتر ممن ليس له وجاهة راكبا فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما اراد وبال الفرس على بساط الوزير واصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده ولما انعكست عليه الامور ندم حيث لا ينفعه الندم وكان يقول بعد ذلك وجرى القضاء بعكس ما أملته لانه عومل بانواع الهوان من اراذل التتار والمرتدة وقال له بعض اهل بغداد يامولانا انت فعلت هذا جميعه حمية وحميت الشيعة وقد قتل من الاشراف الفاطميين مالا يحصى وكان دخول التتر بغداد وقتلهم الخليفة المستعصم فى العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة وبقى الوزير ابن العلقمى الى اوائل المحرم سنة سبع وخمسين فتكون المدة التى بقى فيها بعد قتل الخليفة سنة واحدة وقيل انما مكث بعد قتل الخليفة اياما قلائل وان التتر لم يقتلوه وانما مات غما وكمدا لما انعكست عليه الامور وعض يده ندما وفى تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال احد الزهاد وقال كنت بمصر فبلغنى ماوقع ببغداد من القتل الذريع فأنكرته بقلبى وقلت يارب كيف هذا وفيهم أطفال ومن لاذنب له فرأيت فى المنام رجلا وفى يده كتاب فاخذته فاذا فيه

دع الاعتراض فما الامر لك	ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله	فمن خاض لجة بحر هلك

قال الجلال السيوطي في حسن المحاضرة بعد ذكره ذلك قلت أجرى الله عادته ان العامة اذا زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في اثر آية فان لم ينجع ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا ثم قال الجلال وقد وقع في هذه السنين مايشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة التتار وانا خائف من عقبى ذلك فاللهم سلم سلم انتهى واذا كان هذا في زمانه وهو القرن التاسع فما بالك بزماننا وهو القرن الرابع عشر فنسأل الله السلامة وحسن الاستقامة فقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه والله لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها

﴿ فائدتان ﴾

الاولى استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية من بغداد قد جاء الاخبار به قبل وقوعه مأثورا عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فانه كان يقول ان الخلافة تصير الى ولده حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والظاهر ان مثل هذا الخبر لا يقال بالرأي ولا بالحدس والتخمين وانما يكون بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الاخبار بذلك قبل وقوعه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهذا الذي ذكرنا انه مأثور عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكره كثير من المؤرخين منهم الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه وكذلك ابن الوردي وغيرهما وعبارة ابن الوردي بلغ بعض خلفاء بني امية عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فأمر الاموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان علي بن عبد الله يقول اي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والعلج المذكور هلاكو وفي تاريخ ابن خلكان ان الاموي الذي أمر بضربه وحمله على جمل هو الوليد بن عبد الملك ثم قال ابن الوردي قلت قال ابن خلكان في تاريخه ان علي رضي الله عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يوما وقت صلاة الظهر فقال لا... ابي العباس لم يحضر الظهر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رضي الله عنه قال ... بنا اليه فأتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميته فقال أويجوز ان اسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك ابا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن ودخل علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يوما على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه محمد وهما السفاح والمنصور ابنا محمد ابن علي المذكور فأوسع له هشام على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم على دين فأمر بقضائها ثم قال علي لهشام وتستوصي بابني هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلت الرحم فلما ولى علي بن عبد الله بن عباس قال هشام لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فبلغ ذلك علي بن عبد الله بن عباس فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذين يعني السفاح والمنصور ثم كان الامر

كذلك وكان على بن عبدالله هذا عظيم المحل عند اهل الحجاز وكان يلقب بالسجاد كان يصلى كل يوم الف ركعة لانه كان له خمسمائة اصل زيتون يصلى فى كل يوم الى كل اصل ركعتين وكان أجل قرشى على وجه الارض وأوسمهم وكان اذا قدم مكة حاجا او معتمرا عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها وازمت مجلسه اعظاما واجلالا وتبجيلا له فان قعد قعدوا وان نهض نهضوا وان مشى مشوا خلفه وحوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم وكان اذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الى منكب ابيه عبدالله وكان عبدالله الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبدالمطلب نظرت عجوز الى على بن عبدالله بن عباس وهو يطوف فقالت من هذا الذى فرع الناس فرع بالعين المهملة اى على عليهم فقيل لها على بن عبدالله بن عباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط ابيض وذكر هذا كله المبرد فى الكامل وذكر ان العباس كان عظيم الصوت وجاءتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح واصباحاه فلم تسمعه حامل فى الحى الا وضعت والله سبحانه وتعالى اعلم اه وتوفى على بن عبدالله المذكور سنة سبع عشرة ومائة وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافة بنى العباس خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة لان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهاؤها سنة ست وخمسين وستمائة وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة فسبحان الملك الحق الذى لا يزول ملكه وهو الباقى بعد فناء خلقه

﴿ الفائدة الثانية ﴾

اول خلفاء بنى حرب ابن امية معاوية رضى الله عنه وآخرهم معاوية واول خلفاء بنى الحكم مروان ابن الحكم وآخرهم مروان بن محمد واول خلفاء بنى العباس عبدالله السفاح وآخرهم عبدالله المستعصم واول ملوك بنى الاحمر الذين تداولوا ملك الاندلس فى آخر المدة محمد بن يوسف بن نصر وآخرهم محمد بن سعد واول ملوك بنى مرين ملوك المغرب الاقصى عبدالحق وآخرهم عبدالحق فانظر كيف توافقت اسماء ملوك اول هذه الدول واسماء ملوك آخرها وذلك بتقدير الله وتدبيره فانه سبحانه وتعالى له فى كل شئ حكمة بل ما من ذرة فى العالم الا وهى مشتملة على حكمة بل على حكم كثيرة وكل ذلك بتقدير العزيز العليم وسيأتى ذكر ما تملكه التتر بعد بغداد وهلك هلاكو بن طولى بن جنكزخان سنة ثلاث وستين وستمائة وترك خمسة عشر ابنا وملك بعده ابنه ابغا البلاد التى كانت بيد ابيه وهى اقليم خراسان وكرسيه نيسابور واقليم عراق العجم وتعرف ببلاد الجبل وكرسيه اصفهان واقليم عراق العرب وكرسيه بغداد واقليم اذربيجان وكرسيه تبريز واقليم خوزستان وكرسيه تستر وتسميها العامة ششتر واقليم فارس وكرسيه شيراز واقليم ديار بكر وكرسيه الموصل واقليم الروم وكرسيه قونية وغيرها مما ليس فى الشهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة ومدة ملك هلاكو عشر سنين قال ابن الوردى قلت مات هلاكو على دينه بعلة الصرع وبنوا على قبره قبة بقلعة تلا وفى تاريخ الذهبى انه هلك سنة اربع وستين وستمائة اه كلام ابن الوردى وفى تاريخ القرمانى مانصه ذكر

الذهبي في تاريخه ان هلاكو سفك دم الف الف او يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا و يصفوا سوء افعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام الا أن الكفار المغولية ميلوه الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ثم قال القرماني ذكر البيضاوي في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض اوليائه بفيض فضله ان يظهر شيأ من الكرامات المحمدية عند هلاكو منهم ابو يعقوب ومحمد خواجا در بندي قدس الله سرهما فحضرا عند هلاكو ودخلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكو ذلك رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم الملة الاسلامية واهلها وأسلم ومات بعلة الصرع في بلد مراغة ونقل الى قلعة تلا ودفن بها وبنى عليه قبة اه ولم يذكر اسلامه ابن خلدون ولا الملك المؤيد ولا ابن الشحنة فليحرر ذلك وانما الذي ذكروه اسلام احمد بن ابغا بن هلاكو والله سبحانه وتعالى اعلم قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ولما فرغ هلاكو من قتل الخليفة واهل بغداد أقام على العراق نوابه وحسن لهم ابن العلقمي ان يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار معهم في صورة بعض الخدم والغلمان ومات كمدا لا رحمه الله ولا عفى عنه ثم بعد تملكهم بغداد كتب هلاكو للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز الظاهر غازي بن صلاح الدين بن ايوب وكان ملك دمشق بيد الملك الناصر المذكور فكتب له هولاكو ثلاث مرات يأمره بالدخول في طاعته و يتهدده و يذكر له تملكه لاكثر البلاد وما فعله بأهل الاسلام فكاتبه الملك الناصر وصانعه وأرسل له هدايا لعله يحجزه عن ملتقى التتر

﴿ ذكر مسير التتر الى ميافارقين في البلاد الشامية ﴾

وفي سنة ست وخمسين ايضا قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميافارقين حينئذ الملك الكامل محمد بن الملك المظفر غازي بن الملك العادل أبي بكر ابن ايوب فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة وصبر اهل ميافارقين مع الملك الكامل على الجوع الشديد ودام ذلك سنتين حتى عجزوا وسلموا فملك ميافارقين والبلاد والجزيرة وسير هلاكو جيوشه الى حلب والديار الشامية وارتجت الارض منهم وتزلزلت الناس في جميع الارض وسار في سنة سبع وخمسين الى خدمة هولاكو عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج ارسلان ابنا كيخسروا السلجوقي صاحب الروم وأقاما معه مدة ثم عادا الى بلادهما وكذلك صانع هلاكو بدر الدين لولو صاحب الموصل وحمل اليه الاموال ووصل الى خدمة هولاكو بعد اخذ بغداد وفي سنة سبع وخمسين ايضا نازل هولاكو شرقي الفرات وحران وملكهما وارسل ولده سموط بن هولاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في آواخر ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وكان الحاكم في حلب الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج ولكن لهم التتر عند الباب المعروف بباب الله وتقاتلوا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب

المسلمون وخرج كتين التتر فطلب المسلمون دخول حلب هاربين والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق فى ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالامان وفى تاسع صفر من سنة ثمان وخمسين استولت التتر على حلب وذلك ان هولاكو حاصرها بجيوشه الى ان ملكوها وقتل من المسلمين خلق كثير وصعد الى القلعة خلق ودام القتل والنهب نحو اسبوع ثم نادى هولاكو بالامان ولم يسلم من القتل الا جماعة كانت بايديهم فرمانات بالامان من التتر ولما فتحت حلب وصل كبراء حماه الى حلب بمفاتيح حماه وحملوها الى هلاكو فأمنهم وارسل اليهم بشحنة والشحنة بالكسر ضابط البلد وفى الفارسى بالفتح ولما بلغ الناصر وهو بدمشق اخذ حلب رحل بعساكره الى الديار المصرية ومعه المنصور صاحب حماه ثم وصل التتر الى نابلس واستولوا عليها ثم استولوا على دمشق وسائر الشام الى غزة وشحنوا البلاد وقدم على هلاكو صاحب حمص فقبله وأعادها اليه ثم رحل هلاكو الى حارم فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضر وسلمت اليه فغضب هلاكو وامر بهم فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء ثم عاد هلاكو الى الشرق وتقدم ان ميافارقين ملكوها بعد محاصرتها سنتين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازى مصابر ثابت حتى ضعف من عنده عن القتال فاستولوا عليها فى هذا الوقت وقتلوه وطافوا برأسه فى البلاد بالمغانى والطبول وعلق رأسه بباب الفراديس من ابواب دمشق فلما عادت دمشق للمسلمين دفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس واما دمشق فملكوا المدينة بالأمان فما نهبوا ولا قتلوا وعصت قلعتها فنصبوا عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان ونهبوا مافيها وخربوا سور القلعة وأحرقوا آلاتها وزردخاناتها ثم نازلوا قلعة بعلبك ثم ملكوها وخربوا قلعتها وكانوا اعتقلوا نقيب قلعة دمشق وواليها ثم بعد شهرين ضربوا اعناقهما ثم ان العساكر الاسلامية اجتمعت بمصر وسار بهم الملك المظفر قطز مالك مصر يريدون الشام لقتال التتر وبلغ ذلك كتبغا نائب هلاكو على الشام فجمع من الشام من التتر وسار الى قتال المسلمين فالتقوا بعين جالوت واقتتلوا فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا وقدر الله كمال النصر للمسلمين بهذه الهزيمة واسترجع المسلمون دمشق وغيرها مما ملكوه من الديار الشامية بعد حصول اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ماقصدوا اقليما الافتحوه ولاعسكرا الاهزموه وكان النصر والفتح العظيم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ولما اراد الملك قطز ان يتجهز من مصر للخروج لقتال التتر بالشام اراد ان يأخذ من الناس شيأ من المال يستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال لايجوز ان يؤخذ من الرعية شئ حتى لايبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا فى ذلك هم والعامة واما اخذ اموال العامة مع بقاء مافى ايدى الجند من الاموال والآلات الفاخرة فلا ذكره فى حسن المحاضرة للجلال السيوطى وذكر ايضا عن الامام النووى انه أفتى السلطان بيبرس المتولى بعد قطز بمثل ماأفتى به العز بن عبد السلام وأرسل له الفتوى من الشام ونص

المقصود من ذلك ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شئ مادام في بيت المال شئ من نقد اومتاع
اوارض اوضياع اوغيرذلك قال وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان اعزالله انصاره
متفقون على هذا قال الجلال السيوطي فلما اراد السلطان الظاهر بيبرس الخروج الى الشام
لقتال التترأخذ فتاوى العلماء بأنه يجوزله اخذمال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو
فكتب له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقي احد فقيل نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي فطلبه
فحضر فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ماسبب امتناعك فقال انا أعرف انك كنت
في الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت ان عندك الف
مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلي فاذا
أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا عن الحوائص وبقيت الجواري
بثيابهن دون الحلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية فغضب السلطان الظاهر بيبرس من كلامه
وقال اخرج من بلدي يعني دمشق فقال السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا
من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ
وقال لاأدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الحافظ الذهبي كان الظاهر بيبرس
خليقا للملك لولا ماكان فيه من الظلم قال والله يرحمه ويغفر له فان له اياما بيضا في الاسلام
ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة وقال ايضا في حسن المحاضرة في موضع آخر وكان
في الظاهر بيبرس محاسن وغيرها وظلم اهل الشام غير مرة وافتاه جماعة بموافقة هواه
فقام الشيخ محيي الدين النووي في وجهه وأنكر عليه وقال افتوك بالباطل وكان بمصر
منقمعا تحت كلمة الشيخ عزالدين بن عبد السلام لايستطيع ان يخرج عن امره حتى انه
قال لما مات الشيخ عزالدين مااستقر ملكي الا الآن ومن محاسنه ماحكاه ابن كثير في تاريخه
انه حضر الى دار العدل في محاكمة في بئر بين يدي القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز
فقام الناس له لماجاء سوى القاضي فانه اشار اليه ان لايقوم فقام هو وغريمه بين يدي
القاضي وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بينة عادلة به فانتزعت البئر من يد الغريم وهو
احد الامراء ومن محاسن الظاهر بيبرس انه أكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق المتقدم
ذكره وصنع منبرا للمسجد النبوي وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده بماء الورد
وزار المدينة الشريفة فرأى الناس يلتصقون بالقبر النبوي فقاس ماحوله بيده وأرسل في
العام الذي يليه درابزان من خشب فأدير حول القبر الشريف

﴿ ذكر عود التتر الى الشام ﴾

لما وصل الخبر الى التتر بانهزام عساكرهم من الشام وخروجه من تحت ايديهم جهزوا جيشا
من سنتهم تلك ووصلوا الى حلب في آخر السنة اعني سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها
وبذلوا السيف في أهلها فأفنوا غالبهم وسلم القليل منهم واجتمع كثير من عساكر الاسلام
بحمص وسار اليهم التتر فالتقوا بظاهر حمص خامس المحرم من سنة تسع وخمسين وكانوا الوف
وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم وهرب

يقتلون و يأسرون كيف شاؤا وسار من سلم من التتر الى فامية فقاتلهم المسلمون عندها فرحلوا وتوجهوا الى الشرق

مبايعة شخص بالخلافة و اثبات نسبه

فى شهر رجب من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة قدم شخص الى مصر من بنى العباس الذين سلموا فى بغداد من قتل التتر واسمه احمد بن الظاهر بن الناصر فعقدوا له مجلسا بمصر حضره العز بن عبد السلام وغيره من العلماء والسلطان الظاهر بيبرس وأثبتوا نسبه وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء جماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه الملك السلطان بيبرس والعلماء والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بامره واحتفل به وجهز معه عساكر كثيرة ووجههم لقتال التتر طمعا انه يستولى على بغداد ثم جاءت الكتب منه انه استولى وعساكره على عانة والحديثة وان كتب اهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل ان يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقاتلوا الخليفة المذكور وقتلوه وقتلوا غالب اصحابه ونهبوا ماكان معهم وجاءت الاخبار الى مصر بذلك فى آخر السنة المذكورة وفى آخر سنة ستين من ذى الحجة حضر ايضا شخص آخر من بنى العباس الذين سلموا من قتل التتر اسمه ايضا احمد بن حسن بن ابى بكر بن على بن حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر فأثبتوا نسبه وبايعه السلطان بيبرس والعلماء ولقبوه الحاكم بأمر الله وأشركه السلطان فى الدعاء لاغير وبقى عقبه بمصر يبايعهم السلاطين وليس بيدهم من الملك والتصرف شئ بل الامر بيد السلاطين المتملكين مصر واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم مصر سنة تسعمائة واثنين وعشرين وفى سنة احدى وستين وستمائة جهز الملك الظاهر عساكره من مصر وأغاروا على عكا واعمالها وهى بيد الفرنج فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه ومعه جماعة اختارهم وأغار ثانيا على عكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرة وكانت من اكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وتوجه عسكر كثير الى انطاكية وبلادها وهى ايضا بيد الفرنج فساروا اليها وأغاروا على اطرافها وضايقوها وعادوا ومعهم مانيف على ثلاثمائة اسير وفى سنة ثلاث وستين سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره المتوافرة الى جهاد الفرنج بساحل الشام ونازل قيسارية وضايقها وفتحها بعد ستة ايام وامر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف وفتحها وفى سنة اربع وستين سار من مصر بعساكره المتوافرة الى الشام وجهز عسكره الى ساحل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ففتحوا القليعات وعرقا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاصق الجند القلعة وكثر القتل والجراح فى المسلمين ثم فتحها وقتل اهلها عن آخرهم ثم بعث كثيرا من العساكر الى بلاد سيس يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وفى سنة ثلاث

ذكره الى هلاكو بن طولى بن جنكزخان واستقر ولده ابغا على ماكان بيده من الممالك
بابيرس المتو احدى وثمانين وهلك واستقر بعده اخوه تكدار بن هلاكو ثم أسلم وتسمى احمد

وخاطب بذلك الملوك الكثيرة فى عصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وصار يأمر التتر بالاسلام فثار لذلك فتنة بين التتر مع بعضهم الى أن قتلوا احمد المذكور سنة ثلثين وثمانين وستمائة وتملك ارغو بن ابغا وعدل عن دين الاسلام وأحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة وأصابه داء الصرع وهلك سنة تسعين وتملك كيخاتو بن ابغا الى سنة ثلاث وتسعين فقتل وتملك بيدو بن طرغاى بن هلاكو وقتل سنة خمس وتسعين وتملك قازان بن ارغو بن ابغا بن هلاكو سنة ثلاث وسبعمائة فولى بعده اخوه خربند بن ارغو وابتدأ أمره بالدخول فى الاسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين ثم صحب الروافض وساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش اسماء الائمة الاثنى عشر على سكته ثم انشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتا لطيفا بلبن من الذهب والفضة وأنشأ ابازائها بستانا جعل فيه اشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأفحش فى التعرض لحرمات قومه وهلك مسموما سنة ست عشرة وسبعمائة وخلف ابنه اباسعيد طفلا ابن ثلاث عشرة سنة فبويع له واظهر الاسلام واستقامت الامور بواسطة وزير لابيه يسمى جوبان واستمر اباسعيد الى ان مات سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان قد انعقد صلح بينه وبين ملك مصر الملك الناصر قلاوون سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحج الاكابر من قرابة ابى سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهادات بينه وبين الملك الناصر ولما مات ابو سعيد لم يعقب واختلف اهل دولته وانقرض الملك من بنى هلاكو وافترقت الاعمال التى كانت فى ملكهم وأصبحت طوائف فى خراسان وفى عراق العجم وفارس واذربيجان وكذلك فى بلاد الروم ولما هلك ابو سعيد سنة ست وثلاثين نصب امراء قومه الوزير غياث الدين والملك موسى خان من أسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيبقا ابن املكان وهو ابن عمة السلطان ابى سعيد فتغلب وتمكن الشيخ حسن وصار الملك والحل والعقد بيده الى ان توفى سنة سبع وخمسين وسبعمائة فولى مكانه ولده اويس وتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وتملك ابنه حسين بن اويس ثم تغلب عليه اخوه احمد بن اويس وقبض عليه وقتله سنة احدى وثمانين وسبعمائة واستمر احمد بن اويس الى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فجاء تيمورلنك بجموعه وتملك العراق وبغداد فقدم احمد بن اويس على سلطان مصر السلطان برقوق مستجيرا به مستصرخا به على طلب ملكه وكان ذلك فى ربيع سنة ست وتسعين وسبعمائة فأجاب صريخه ونادى فى عسكره بالتجهيز وسيأتى اتمام الكلام على ذلك عند ذكر تيمورلنك وذكرنا ملوك التتر متتابعين الى آخرهم ليتصل الكلام بعضه ولنرجع الى ذكر بقية فتوحات الملك الظاهر مع بقية محاربات التتر وملوك مصر بالشام

﴿ ذكر فتح يافا وانطاكية وعكا ﴾

فى سنة ست وستين وستمائة توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا وأخذها من الفرنج ثم توجه الى انطاكية ونازلها وشدد الحصار عليها الى ان ملكها

بالسيف وقتل اهلها وسبى الذرارى والنساء وغنم اموالا جليلة ثم توجه الى بغراس فملكها
وفى سنة تسع وستين نازل حصن الاكراد الى ان ملكه ثم رحل الى حصن عكا ونازله وجد
فى قتاله الى ان ملكه ثم توجه الى حصن القرين ونازله وملكه وفى سنة سبعين وستمائة أغارت
التتر على عينتاب وعلى سروج وقيطون وانتهوا الى قرب افامية ثم رجعوا ثم نازلوا البيرة
ونصبوا عليها المجانيق وضايقوها فسار اليهم الملك الظاهر بيبرس وأراد عبور
الفرات الى بر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن
البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها فصارت للمسلمين وفى سنة ثلاث وسبعين
توجه الملك الظاهر بيبرس الى بلاد سيس فدخلها بعساكره المتوافرة فغنموا ثم رجعوا
الى دمشق وفى سنة اربع وسبعين وستمائة قصد التتر البيرة ونازلوها فتوجه اليهم الملك
الظاهر بعساكره فلما سمعوا به ارتحلوا وفى سنة خمس وسبعين غزا الملك الظاهر بلاد الروم
بعساكره المتوافرة والتقى فى طريقه بجيش من التتر فقاتلهم وهزمهم وقتل كثيرا منهم وقتل
مقدمهم وأسر كثيرا منهم ثم سار الى قيسارية فملكها ثم سار الى عمق حارم يقتل ويأسر
ثم عاد الى دمشق وفى سنة خمس وسبعين ايضا كان ابتداء عمل المحمل فى مدة الملك الظاهر
بيبرس يطوفون به فى مصر قبل خروجه لترغيب الناس فى الحج وتهييجهم ثم يسافرون به
مع كثير من الحجاج من طريق البر وعند رجوعهم يزورون النبى صلى الله عليه وسلم وفى سنة
ست وسبعين حج الملك الظاهر بنفسه وزار النبى صلى الله عليه وسلم وتصدق بصدقات
كثيرة على اهل الحرمين وغسل الكعبة بيده بماء الورد ثم رجع ثم توفى فى الثامن والعشرين
من المحرم سنة سبع وستين وستمائة ومدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وولى بعده ولده الملك
السعيد بركة وخلع سنة ثمان وسبعين وولى ولده الآخر سلامش وخلع بعد شهرين وولى
الملك المنصور قلاوون الصالحى وكل هؤلاء يقال لهم المماليك البحرية ويقال لدولتهم
الدولة التركية والذين بعدهم يقال لهم الجراكسة الى ان تملك مصر السلطان سليم
والحاصل ان ملوك مصر بعد الفاطميين الملوك الايوبية وأولهم السلطان صلاح الدين
وآخرهم الملك الاشرف موسى بن يوسف بن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل محمد
ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب والملك العادل اخو السلطان صلاح الدين توارث الملك
بنوه بعده الى سنة ثمان واربعين وستمائة وكانوا استكثروا من المماليك البحرية فتغلبوا
على الملك وصار فيهم بعد ساداتهم وبقى الملك فى المماليك البحرية مائة وستة وثلاثين
سنة من سنة ثمان واربعين وستمائة الى سنة اربع وثمانين وسبعمائة وعدد ملوكهم اربع
وعشرون وكان اهم مماليك من الجراكسة فتغلبوا على الملك واول ملوك المماليك
البحرية عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح شعبان بن الحسين بن الناصر قلاوون
وملوك الجراكسة هم مماليك المماليك البحرية واولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم
قانصوه الغورى ومدة ملك الجراكسة مائة وثمانية وثلاثون سنة من سنة اربع وثمانين
وسبعمائة الى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وعدد ملوكهم ثلاث وعشرون
والسبب الجارى بتقدير الله تعالى لتملك المماليك البحرية انه فى آخر الدولة الايوبية كان

هجوم الفرنسيس على دمياط وتملكهم اياها وكان ملك مصر بيد الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد فمرض ومات وأوصى بالملك لولده توران شاه وكان غائبا في قلعة حصن كيفا وكانت زوجة الملك الصالح شجرة الدر أم ولده خليل مدبرة للامور فأخفت موت الملك الصالح وأقامت على ذلك مدة وهي قائمة بالامر والنهي الى ان حضر ولده توران شاه وقاتل الفرنسيس وهزمهم وقتل منهم اكثر من مائة الف واسر ملكهم كما تقدم ذلك كله ثم شرع في ابعاد مماليك ابيه واهانتهم وكانوا هم الأمراء فاتفقوا على قتله وقتلوه ثم اتفقوا على اعطاء السلطنة لشجرة الدر فكانت تعلم على المناشير ويدعى لها على المنابر فكان الخطيب يقول بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ام خليل المعتصم صاحبة السلطان الملك الصالح ويكتب اسمها على السكة ثمانين يوما وجعلت النائب عنها في الاحكام عز الدين ايبك وهو من مماليك الملك الصالح نجم الدين بن ايوب ثم أطلقت ملك الفرنسيس بشروط كما تقدم ثم تزوجت بنائبها فجاءهم مكتوب من بغداد من الخليفة العباسي يوبخهم فيه على تمليك امرأة ويقول لهم ان لم يكن عندكم رجل نرسل اليكم رجلا يتولى عليكم فاتفقوا على ان يملكوا رجلا من بني ايوب فملكوا الملك الاشرف موسى المتقدم ذكره وكان صغيرا وأشركوا معه شجرة الدر ونائبها عز الدين ايبك ثم خلعوا الملك الاشرف وجعلوا السلطنة لعز الدين ايبك استقلالا ثم انه أراد أن يتزوج بنت ملك الموصل فشق ذلك على زوجته شجرة الدر فاتفقت مع الطواشي محسن الجوهري على قتل عز الدين ايبك فهجموا عليه في الحمام فقتلوه فلما سمع مماليكه بقتله عزموا على قتل شجرة الدر فسبقتهم زوجة عز الدين ام ولده فدخلت هي وجواريها على شجرة الدر فقتلوها بالقباقب واقاموا في السلطنة نور الدين ولد عز الدين ايبك وعمره عشر سنين وجعلوا النائب عنه احد مماليك ابيه وهو الامير قطز ثم لما هجم التتر على الاقطار الشامية استحسن اهل الحل والعقد ان يخلع الملك الصغير نور الدين وان تكون السلطنة استقلالا للأمير قطز يستقل بتدبير الملك والقيام بقتال التتر فأقاموا قطز في السلطنة ولقبوه الملك المظفر وخلعوا نور الدين بن عز الدين ايبك ثم خرج الملك المظفر قطز بالعساكر الى الشام لقتال التتر فالتقى معهم عند عين جالوت من ارض كنعان فقاتلهم قتالا شديدا الى ان هزمهم واسر منهم خلقا كثيرا وتعلق المنهزم منهم برؤس الجبال وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم واسر ابنه وأرسل قطز خلفهم بيبرس ومعه عساكر فتبعهم الى اطراف البلاد وأتم المظفر قطز المسير بالعساكر الى دمشق وتضاعف شكر العالم لله تعالى على هذا النصر العظيم من بعد اليأس من النصرة على التتر لاستيلاءهم على معظم بلاد الاسلام لأنهم ماقصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه وكان القتال مع التتر وهزيمتهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وفي يوم دخول قطز دمشق شنق جماعة من المسلمين المتعصبين للتتر ولما قرر قطز امر الشام وحلب وغيرهما سار من دمشق بالعساكر راجعا الى مصر وكان الأمير بيبرس سأله ان يوليه حلب فامتنع فاتفق مع بعض الأمراء الذين كانوا مع قطز على قتله وساروا معه من دمشق يترقبون

الفرصة)

الفرصة فلما وصل الى موضع بينه و بين الصالحية مرحلة وقد خرج النائب بمصر مع العساكر الذين بمصر لاستقبالهم من الصالحية فبينما الملك قطز سائر اذ ثارت أرنب بين يديه فساق جواده خلفها وساق معه بيبرس والذين تواطؤا معه على قتل قطز وأبعدوا عن العساكر السائرة معهم ثم وقفوا فتقدم واحد منهم وشفع عند قطز في انسان فأجابه الى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه وكان ذلك سابع ذى القعدة من السنة المذكورة ثم سار بيبرس ومن معه حتى وصلوا الصالحية فوجدوا العساكر التى خرجت من مصر لاستقبالهم ومعهم نائب السلطنة فارس الدين اقطاى ينتظرون قدوم الملك قطز فلما علم نائب السلطنة الخبر منهم سألهم من قتله منكم فقال له بيبرس انا فقال نائب السلطنة يا خوند اجلس فى مرتبة السلطنة ومعنى خوند الكبير الشان فجلس واستدعى العساكر للتحليف فحلفوا له واستقر الملك لبيبرس ثم ساق وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها وكانت مصر قد زينت لقدوم قطز فاستمرت الزينة للملك الظاهر بيبرس فسبحان من يدبر ملكه كيف يشاء ولا يسئل عما يفعل فان له فى كل شئ حكمة وكان بيبرس فى الأصل مملوكا لايدكين البندقدار الصالحى ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين بن ايوب قال ابن الوردى فى تاريخه ان الملك الظاهر بيبرس كان على قدم من الديانة وكان ملازما للخمس فى اوقاتها وألزم حاشيته بها وحكى عنه انه ما شرب خمرا قط ومنع كل مسكر وكان يحصل من مكس المسكر بمصر كل يوم ألف دينار فأبطله ولما حج رؤى بباب الكعبة محرما يأخذ بأيدى ضعفاء الرعية ليصعدوا وعمل الستور الديباج للكعبة والحجرة النبوية وخطب مرة المجد اسماعيل الواسطى والسلطان بيبرس حاضر فقال فى الخطبة ايها السلطان انك لن تدعى يوم القيامة يا ايها السلطان لكن تدعى باسمك وكل منهم يسأل عن نفسه الا انت فانك تسأل عن رعاياك فاجعل كبيرهم ابا وأوسطهم أخا وصغيرهم ولدا فاستعذب وعظه وأجزل عطاءه وكان له فى السنة عشرة آلاف أردب تفرق فى الفقراء والمساكين ووقف اوقافا على جهات عديدة واستن سنن العمرين ونصب للناس خليفة وفتح انطاكية و بغراس والقصير وحصن الأكراد وحصن عكا والقرين وصافيتا ومرقية وأمنت اهيبته السبل و يكفيك فعله بالتتر بعين جالوت وخوضته اليهم غمرات الموت مرات فشكر الله سعيه وانما ذكرت مبدأ دولة المماليك البحرية والجراكسة الى آخر ما تقدم استطرادا وان كان خارجا عما التأليف بصدده تكثيرا للفوائد ولما فى ذلك من الاعتبار لذوى الأبصار والله ولى التوفيق ولنرجع الى ما نحن بصدده فى سنة ثمانين وستمائة جاءت جيوش من التتر الى البلاد الشامية وكان ذلك فى مدة سلطنة الملك المنصور قلاوون بمصر فخرج لقتالهم وكان المصاف العظيم بين المسلمين والتتر بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا أيقنوا بالبوار وانهزم التتر هزيمة قبيحة وكثر القتل والأسر فيهم وكان عدة جيش التتر ثمانين الفا وعاد السلطان الى دمشق والأسرى والرؤس بين يديه وفى سنة اربع وثمانين وستمائة سار الملك المنصور قلاوون بعساكره ونازل حصن المرقب وهو حصن فى نهاية العلو والمتانة والحصانة لم يطمع احد

من الملوك الماضين فى فتحه فلما زحف العسكر عليه اخذ الجارون فيه النقب ونصبت عليه عدة مجانيق فلما تمكنت النقوب من أسوار القلعة طلب اهله الامان فأجابهم السلطان رغبة فى ابقاء عمارته فانه لو أخذه بالسيف لهدمه فيحصل التعب فى اعادة عمارته فأعطى اهله الامان على ان يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح وتسلم الحصن وقرر أمره ورتبه وارتحل الى الوطاة بالساحل وأقام بمروج ثم سار ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حمص وفى سنة ست وثمانين سار الى قلعة صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار فاجابه صاحبها الى تسليمها بالامان فتسلمها ثم سار الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فركب طريقا اليه فى البحر بالحجارة وحاصر البرج المذكور ثم تسلمه بالامان وهدمه ثم رجع الى مصر وأرسل جيشا الى النوبة فغنموا وعادوا وفى سنة ثمان وثمانين سار السلطان بعساكره ونازل طرابلس الشام وكانت بيد الفرنج ونصب عليها المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار وشدد عليها القتال حتى فتحها بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب بعض اهلها الى المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم ونساءهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وكان فى البحر قريبا من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة فهرب اليها كثير من الفرنج رجالا ونساء فاقتحم العسكر الاسلامى البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وسبوا من فيها من النساء والصغار وغنموا مافيها من الاموال وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس الشام سنة ثلاث وخمسمائة فبقيت فى ايديهم الى هذه السنة أعنى سنة ثمان وثمانين وستمائة فتكون مدة لبثها مع الفرنج مائة سنة وخمسا وثمانين سنة وشهورا وتوفى الملك المنصور قلاوون سنة تسع وثمانين وأقيم فى السلطنة بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل

﴿ ذكر فتح عكا ﴾

فى سنة تسعين وستمائة جهز السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون عساكره الوافرة لفتح عكا وصحب معه المجانيق وآلات الحصار فنازلها وشدد عليها القتال ولم يغلق الفرنج غالب ابوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى ظهر يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة بالسيف ولما هجمها المسلمون هرب جماعة ممن كانوا فيها من الفرنج الى المراكب وقتل المسلمون من بقى منهم بعكا وكانوا كثيرين وغنموا شيأ يفوت الحصر ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الايوبى ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم فبقيت تحت ايديهم مائة سنة وثلاث سنين فقدر الله فى سابق علمه انها تفتح فى هذه السنة فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان صلاح الدين فكان فتوحها فى مثل اليوم الذى ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين اذ كل منهما يلقب صلاح الدين وتقدم الكلام على ذلك عند ذكر أخذ الفرنج اياها (وفتح ... الى ان ملكها ... بالسيف)

﴿ ذكر فتوح عدة حصون ﴾

لما فتحت عكا ألقى الله الرعب فى قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فأخلوا صيدا وبيروت وتسلمها المسلمون وهرب اهل مدينة صور فارسل السلطان من تسلمها ثم تسلم عثليث ثم انطرطوس وا تفق لهذا السلطان من السعادة مالم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للاسلام وكان امرا لايطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من الفرنج بعد ان كانوا أشرفوا على اخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام فلله الحمد والمنة على ذلك وقد تقدم فتح حلب سنة اربع وستين وكان التتر قد خربوا قلعتها فامر السلطان بعمارتها فتمت فى سنة تسعين وكان تخريبها فى سنة ثمان وخمسين فكان ابقاؤها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة

﴿ ذكر فتح قلعة الروم ﴾

هى قلعة على جانب الفرات فى غاية الحصانة سار الى فتحها السلطان صلاح الدين قلاوون فى سنة احدى وتسعين بكثير من الجيوش ونصب عليها المجانيق واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف وقتل اهلها وسبيت ذراريهم واعتصم جماعة من اهلها بالقلعة فحوصروا ورمى عليهم بالمنجنيق فطلبوا الامان فلم يؤمنهم الا على ارواحهم خاصة وان يكونوا اسرى فأجابوا الى ذلك ثم امر السلطان بعمارة القلعة ورجع الى دمشق وفى سنة ثلاث وتسعين قتل السلطان صلاح الدين قتله بعض مماليك ابيه وتسلطن بعده اخوه الملك الناصر وفى سنة سبع وتسعين وستمائة تجهزت العساكر من مصر ثم ساروا الى الشام ثم ساروا الى بلاد سيس وشنوا عليهم الغارات وكبسوهم وغنموا وعادوا ثم ساروا مرة أخرى ونزلوا على حمص وحاصروها وضيقوا على اهلها وكان بها من الارمن جمع كثير فقل عليهم الماء واشتد بهم العطش وهلك النساء والاطفال فأخرج اهل حمص منها نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العساكر وغنموهم واستمر الحصار فضاقت على الارمن الارض بما رحبت وهلكوا من كثرة من قتل منهم وغنم منهم المسلمون غنائم كثيرة فطلبوا الامان وسلموا حمص وحوص وجميع البلاد التى فى جنوبى نهر جيحان ثم سلمت تل حدون بعدها ثم باقى الحصون فى شوال سنة سبع وتسعين وستمائة فرتب المسلمون فيها من يقوم بها ويحميها وفى سنة تسع وتسعين وستمائة أقبلت التتر بجموع كثيرة وعبروا الفرات الى حلب ثم الى حماه فخرجت لهم جموع المسلمين والتقوا بجمع الروم من شرقى حمص واقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت جيوش المسلمين وساق التتر خلفهم الى غزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من المنهزمين شيأ كثيرا وأخذ اهل دمشق الامان وملكه التتر وعصت عليه القلعة فحاصروها فصبر المسلمون على الحصار ولم يسلموها وأحرقت الدور التى حول القلعة والمدارس ثم ان عساكر مصر لما قانصوا ابوا الى مصر رسم لهم بالنفقة فانفق السلطان عليهم اموالا جليلة وأصلحوا احوالهم وسيمائة عدتهم وخيولهم وخرجوا من مصر فى العشر الاول من رجب من سنة تسع والسبب الجار تبوا المسلمين الذين بالشام فى السر وساروا معهم فلما خرجت العساكر من مصر

بلغ ذلك التتر فخافوا وساروا من وقتهم الى الديار الشرقية وخلا الشام منهم فوصلت العساكر الاسلامية الى الشام ورتبوا امراءها وغيرهم وفعلوا مثل ذلك بحلب وحماه وغيرهما ولما استولى التتر على الشام طمع الارمن فى البلاد التى افتتحها السلطان منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها وأخلوها من العسكر والرجال فاستولى الارمن عليها وارتجعوا حوص وتل حمدون وكوبر وسرفندكار والنقير وغيرها ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر شغلان واستولى الارمن ايضا على غيرها من الحصون والبلاد التى كانت جنوبى نهر جيحان وفى سنة سبعمائة عادت التتر وقصدت الشام وعبروا الفرات فى ربيع الآخر وجفلت المسلمون منهم وخلت بلاد حلب وأقامت التتر ببلاد سرمين والمعرة وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون وكان ذلك فى مدة السلطان الناصر قلاوون فسار السلطان والعساكر الاسلامية لقتالهم من مصر ووصلوا الى العوجاء واتفق فى تلك المرة تتابع الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى تقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصلوا مصر فى عاشر جمادى الاولى من هذه السنة وامتد ... يتنقلون فى بلاد حلب واعمالها نحو ثلاثة اشهر ثم ان الله تعالى تدارك المسلمين ب... على أعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات فى اواخر جمادى الآخرة من هذه السنة ورجع عساكر حلب الى حلب وتراجعت الجفال الى اماكنهم ولما كان اوائل هذه القصة وجاءت الاخبار الى مصر بعود التتر الى الشام أخرج غالب الاغنياء من اهل الشام ومصر ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة واعانتهم وفى سنة احدى وسبعمائة خرجت العساكر الاسلامية لقتال الارمن وانتشروا فى بلاد سيس وحرقوا الزروع وقتلوا من وجدوه وغنموا شيأ كثيرا وفى سنة اثنتين وسبعمائة غزا المسلمون جزيرة ارواد وهى جزيرة فى بحر الروم قبالة انطرطوس قريبا من الساحل اجتمع فيها كثير من الفرنج وبنوا فيها حصونا وسورا وتحصنوا فى هذه الجزيرة وكانوا يطلعون منها ويقطعون الطريق على المسلمين المترددين فى ذلك الساحل فاتخذ المسلمون اسطولا وساروا اليها من الديار المصرية فى بحر الروم ووصلوا اليها فى المحرم من هذه السنة وجرى بينهم وبين الفرنج قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكوا الجزيرة المذكورة وقتلوا وأسروا جميع اهلها وخربوا أسوارها وعادوا الى الديار المصرية بالاسرى والغنائم

﴿ ذكر دخول التتر الى الشام وكسرتهم مرة بعد اخرى ﴾

فى سنة اثنتين وسبعمائة عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات وأقاموا عليها مدة فى أزوارها وسارت منهم طائفة قدر عشرة آلاف وأغاروا على القريتين وتلك النواحى وكانت العساكر الاسلامية قد اجتمعت بحماه وأرسلوا جماعة من العسكر لقتال الذين أغاروا على القريتين فالتقوا بالتتر سابع شعبان فى موضع يقال له الكوم واقتتلوا وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة

عن خيلهم وأحاط بهم المسلمون بعد فراغهم من الوقعة و بذلوا لهم الامان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر وناوشهم العساكر القتال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم فكان هذا النصر عنوان النصر الثانى على ما نذكره ثم عاد المسلمون الى حماه منصورين ثامن عشر شعبان

﴿ ذكر المصاف الثانى والنصرة العظيمة ﴾

ثم بعد وقعة الكوم سار التتر بجموعهم العظيمة ووصلوا الى حماه فى الثالث والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وجاء كثير من العساكر الاسلامية من دمشق ومصر وجاء السلطان الناصر بباقى العساكر الاسلامية والتقى الفريقان فى ثانى رمضان واشتد القتال بينهم واستشهد من المسلمين خلق كثير ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهزموا التتر وأكثروا القتل فيهم فولوا منهزمين لا يلوى بعضهم على بعض وحال الليل بين الفريقين فنزل التتر على جبل هناك بطرف مرج الصفر وأشعلوا النيران فأحاط المسلمون بهم فلما أصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يبتدرون الهرب فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان فى طريقهم ارض متوحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم أسرى وقتل بعضهم وساق كثير من العساكر الاسلامية فى اثر التتر المنهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهى فى قوة زيادتها فلم يقدروا على العبور والذى عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع أكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع وأخذ منهم العرب جماعة كثيرة وأخلف الله تعالى بهذه الوقعة ما جرى على المسلمين فى المصاف الذى كان ببلدة حمص سنة تسع وتسعين وستمائة وفى سنة ثلاث وسبعمائة خرجت العساكر من مصر ودخلوا بلاد سيس وحاصروا تل حمدون وفتحوها بالامان وارتجعوها من الارمن وهدموها الى الارض

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس ﴾

عند الدروب المجاورة لحلب وكانت كرسى أملاك الارمن والارمن قوم دخلوا فى الملة النصرانية وكانت مواطنهم ارمينية ثم لما ملك المسلمون بلادهم وضربوا عليهم الجزية وأخذوا منهم خلاط وكانت كرسى ملكهم فانتقل ملكهم الى سيس وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين ولما ظهر التتر دخلوا فى طاعتهم وأجلبوا معهم فى غزواتهم الى الشام ثم صار ملوك مصر يغزون بلادهم ويغيرون عليهم ففى أوائل المحرم من سنة خمس وسبعمائة خرجت عساكر من حلب للاغارة على بلاد سيس فدخلوها وكان امير العسكر ضعيف العقل قليل التدبير مشتغلا بشرب الخمر ففرط فى حفظ العسكر ولم يكشف خبر العدو واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعا كثيرة من التتر وانضم اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى عسكر حلب فالتقوا بالقرب من اياس فلم يكن للحلبيين قدرة بمن جاءهم فتولوا يبتدرون الطريق وتمكنت منهم التتر والارمن فقتلوا واسروا غالبهم واختفى من سلم فى تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وفى هذه السنة سار عسكر من دمشق الى جبال الظنيين وكانوا عصاة مارقين من الدين فأحاطت بهم العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة

وترجلوا عن خيولهم وصعدوا فى تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظاهريين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهى جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأمنت الطرق بعد ذلك فانهم كانوا يقطعون الطريق ويتخطفون المسلمين ويبيعونهم للكفار وفى سنة ثمان وسبعمائة ملك الفرنج مدينة رودس وأخذتها من الروم قال الحافظ ابن حجر فى تاريخ مصر فتحت رودس فى خلافة معاوية رضى الله عنه وأمر جماعة من المسلمين بالاقامة بها فلما ولى يزيد أمرهم بالتحول خشية عليهم ففعلوا وتركوها ووضع الجزية والخراج على اهلها ثم ملكها الروم واستولوا عليها وتغلبوا ثم أخذتها الفرنج منهم وفى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة أقبلت التتر بجموعها وجفل أهل حلب وبلادها عند سماعهم الاخبار باقبال التتر ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات ثم نازلوا الرحبة وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وأخذوا فيها النقوب فقام اهل الرحبة بحفظ القلعة احسن قيام وصبروا على الحصار وقاتلوا أشد القتال فتجهزت العساكر الاسلامية من كل ناحية لانجادهم وأصاب التتر شدة جوع وغلاء وفناء وتعذرت عليهم الامور وسمعوا باقبال جيوش الاسلام فارتحلوا خائبين بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق و... الحصار على حالها فنزل أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ورجعت عساكر الاسلام وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ ذكر فتح ملطية وكانت بيد الارمن ﴾

فى سنة خمسة عشر وسبعمائة فتحت ملطية وهى مدينة مشهورة بارض الروم ذات اشجار وأنهار وهى قاعدة الثغور ويحف بها جبال قيل انه كان بها اثنا عشر الف نول يعمل الصوف وسبب تجهز الجيوش لفتحها انه كان بها جماعة من المسلمين اختلطوا بالنصارى حتى انهم زوجوا الرجل النصرانى بالمسلمة وكانت الاجناد من المسلمين لا ينقطعون عن الاغارة على العدو ببلاد الروم وغيرها وكانت طريقهم فى غالب الأوقات تكون قريب ملطية فاتفق أن أهل ملطية ظفروا ببعض الغيار المذكورين فأسروهم وقتلوا جماعة من المسلمين فلما جرى ذلك أرسل السلطان ناصر الدين قلاوون عسكرا ضخما من الديار المصرية فساروا الى دمشق ورسم السلطان لجميع عساكر الشام بالمسير معه وكذا عسكر حماه وحلب وسار الجميع حتى وصلوا ملطية ونازلوها فى الثانى والعشرين من المحرم من السنة المذكورة فأحدقوا بها وحاصروها وخرج جماعة منها وطلبوا الامان لأنفسهم فأمنوا واتفق ان الباب الذى فتح لخروجهم قبالة عسكر حماه فهجموا على المدينة من الباب المذكور وخرج الامر عن الضبط لكثرة العساكر الطماعة فنهبوا جميع ما فيها من أموال المسلمين والنصارى حتى لم يدعوا فيها الاما كان مطمورا ولم يعلموا به وكذلك استرقوا جميع أهلها من المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك وقع الانكار التام على من استرق مسلما او مسلمة وعرضوا الجميع فأطلق جميع المسلمين من الرجال والنساء واما أموالهم فانها ذهبت واستمر النصارى فى الرق عن آخرهم ثم لما كان من نهب ملطية ما ذكرناه ألقى العسكر فيها النار فاحترق غالبها وخرب العسكر

ماأمكن من أسوارها وأقام جيش المسلمين بها يوما واحدا وليلة ثم ارتحلوا عائدين الى بلادهم وبعثوا رسلا الى صاحب بلاد سيس فى اعادة البلاد التى فى جنوبى جيحان وزيادة القطيعة فزاد القطيعة حتى جعلها نحو ألف ألف درهم

﴿ ذكر الاغارة على سيس وبلادها ﴾

فى سنة عشرين وسبعمائة برزت المراسيم السلطانية من السلطان الناصر قلاوون بتجهيز العساكر والاغارة على بلاد سيس فخرجت عساكر من مصر والشام وحماه وحلب ودخلوا بلاد سيس فى منتصف ربيع الآخر ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا غنائم كثيرة وأتلفوا البلاد والزراعات وساقوا المواشى وكان شيأ كثيرا وأقاموا ينهبون ويخربون ورجعوا سالمين منصورين

﴿ ذكر فتوح اياس من بلاد سيس ﴾

فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة توجهت العساكر حتى نازلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التى فى البحر فأقام المسلمون عليها منجنيقا عظيما وركب المسلمون اليها طريقين فى البحر الى ان قاربوا القلعة فهربت الارمن منها وأخلوها وألقوا فى القلعة نارا فملك المسلمون القلعة وهدموا ماقدروا على هدمه وعاد كل عسكر الى بلاده وفى سنة سبع وعشرين وسبعمائة فى رمضان ورد الى دمشق مائة واربعون أسيرا من بلاد الفرنج وذلك أن قاضى القضاة جلال الدين أشهدانه جعل لكل من يحضر اسيرا مبلغا عينه وكتب بذلك مكتوبا وعرف الفرنج ذلك فجعلوا الاسرى من تجاراتهم وأحضروهم فأعطوا من وقف الاسرى ستين الف درهم وأطلقوا الاسرى بحمد الله تعالى

﴿ غزوة عساكر حلب بلاد سيس ﴾

فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة غزا عسكر حلب بلاد سيس وخربوا فى اذنة وطرسوس وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشى وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا وماعدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق فى النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم اهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم فى خان ثم أحرقوه فقتل من نجا فعلوا ذلك بنحو ألفى رجل من التجار البغاددة وغيرهم فى يوم عيد الفطر فلله الامر من قبل ومن بعد وفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توجهت العساكر المصرية والشامية لغزو بلاد الأرمن فنزلوا فى ثانى شوال على مينا أياس وحاصروها ثلاثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب من نايب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا القلاع والبلاد التى فى شرقى نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو شئ كثير وملك كبير كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار وأياس وباناس ونجيمة والنقير فخرب المسلمون برج أياس الذى فى البحر واستنابوا فى البلاد نوابا وعادوا سالمين ولله الحمد وهذا فتح اشتمل على فتوح وترك الارمن جسدا بلا روح وفى سنة احدى واربعين وسبعمائة توفى السلطان الملك الناصر محمد قلاوون واقيم بعده ولده الملك المنصور ابوبكر وفى سنة اربع واربعين أغارت التركمان مرات على بلاد سيس فقتلوا ونهبوا وشفوا الغليل من الأرمن وفى سنة أربعين ملكت التركمان

قلعة كابان بالحيلة وهى من أمنع قلاع سيس وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس لاستنقاذها فصادفه ابن دلقادر فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون

واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة

قال ابن خلدون كان اهل قبرس من امم النصرانية من بقايا الروم وانما ينسبون هذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر امم النصرانية وكان على اهل قبرس جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر وما زالت من لدن فتحها على يد معاوية وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم اساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون فى سواحلها حتى يستقيموا لأداء الجزية وكان الظاهر بيبرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولا من الشوانى فطرقت مرساها ليلا فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها فى كل ناحية ثم غلب لهذه العصور اهل جفوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكرى صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائة وأخذوا مخنقها واقام اهل قبرس معهم بين فتنة وصلح وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرس هذه على مسافة يوم وليلة فى البحر قبالة طرابلس ... على سواحل الشام ومصر فاطلعوا فى بعض الايام على غرة فى الاسكندرية فأخبروا حاجبهم فعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض فى اساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافا مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة فى اسطول عظيم يقال انه بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعبى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل النزهة لا يلقون بالا لما هم فيه ولا ينظرون مغبة امره لبعد عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها فى الحرب والسلم خليل بن عوام غائب يومئذ فى قضاء غرضه فما هو الا ان رجعت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا القوم بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة واغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب اهلها وماج بعضهم فى بعض ثم اجفلوا الى جهة البر بما امكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من اموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين فى غير وجه حيرة ودهشا وشعر بهم الاعراب اهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الأفرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البز ودكاكين الصيارفة ومقاعد التجار وملؤا سفنهم من المتاع والبضايع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبى والأسرى واكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تسايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الأفرنج الى اساطيلهم ومكثوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وثار الخبر الى كافل الدولة بمصر الأمير يلبغا لأن السلطان الاشرف شعبان كان صغيرا وكان يلبغا كافل دولته وقائما بتدبير أمر دولته فقام فى ركائبه و... لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفا من الحج ومعهم كثير من الأمراء والعساكر ونياتهم فى الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر فى طريقهم باقلاع العدو

فلم يثنه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرة الخراب وآثار الفساد فأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على اهل قبرس فأمر بانشاء مائة اسطول معتزما على غزو قبرس بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل فى الاستعداد لذلك واستكثر من آلات الحصار ومن السلاح وكل غرضه من ذلك كله ثم لم يقدر على انجاز غرضه الا فى سنة ثمانمائة وتسع وعشرين كما سيأتى ان شاء الله وسبب هذا التأخير كثرة الفتن الواقعة بين امراء مصر مع بعضهم

﴿ انقراض دولة الأرمن والاستيلاء على سيس ﴾

فى سنة ست وسبعين وسبعمائة فى دولة الملك الاشرف شعبان بن حسن بن الناصر قلاوون تجهز جيش للمسلمين لغزو بلاد سيس وكان قائد الجيش الماردينى نائب حلب فحاصرهم شهرين ونصب عليها المجانيق واستدعى اصناف التركمان للقتال فلما طال الحصار عليهم واشتد الضيق نزل رئيسهم تكفور بالأمان فأرسله الى مصر ودقت البشائر بذلك قال ابن خلدون سافر نائب حلب سنة ست وسبعين بالعساكر الى بلاد الأرمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها تكفور بالأمان فوصل بأهله وولده الى الأبواب السلطانية ورتبت لهم الارزاق واستولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الأرمن وجعل السلطان نيابة سيس ليعقوب شاه ثم أضيف اليها طرسوس واذنة وأياس وغيرها وفى سنة ثمانين وسبعمائة نازل الافرنج طرابلس الشام فجهز السلطان عدة مراكب صحبة يلبغا الناصرى فالتقى بهم فهزمهم ثم امر العساكر أن يتأخروا فطمع فيهم الفرنج الى ان بعدوا عن البحر فرجع عليهم بالعساكر فهزمهم وقتل كثيرا منهم وفر من بقى وطلعوا الى المراكب وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة نازل الفرنج بيروت فى عشرين مركبا فراسل المسلمون نائب الشام فتقاعد عنهم واعتل باحتياجه الى مرسوم من السلطان فنادى اينال اليوسفى بالغزو والجهاد فنفر معه جماعة فحال بين الافرنج والبحر وقتل كثيرا منهم ونزل اليه بقية الافرنج من المراكب فقاتلوه فهزمهم وقتل كثيرا منهم وغنم من مراكبهم ستة عشر مركبا قبضها واستولى عليها فكان للمسلمين بذلك سرور عظيم وفى سنة سبع وثمانين وسبعمائة أنشأ المسلمون شوانى كثيرة لغزو الافرنج فى البحر الرومى واجتهدوا فى عملهم وسيروا الشوانى الى دمياط فوجدوا بساحل دمياط غرابا للافرنج فكبسوا عليه واستولوا عليه وأسروا من فيه وفى سنة تسعين وسبعمائة كانت وقعة عظيمة بناحية سيواس بين المسلمين والتتر كان النصر فيها للمسلمين وفى هذه السنين كان ظهور تيمورلنك بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان ظهوره من أشد المحن والبلايا على هذه الأمة فانه أفسد فى الارض وأهلك الحرث والنسل ولنذكر تلخيص وقائعه ثم نعود الى اتمام الكلام على فتوحات ملوك مصر والروم والله المستعان وسيأتى ان مسير تيمور الى الشام كان سنة ثلاث وثمانمائة وحصل انذار من الله بذلك المسير الذى كان فيه البلاء قبل وقوعه وذلك ان اول انذاره الحريق الذى وقع فى المسجد الحرام سنة اثنتين وثمانمائة قال النجم ابن فهد وتحدث اهل المعرفة بأن هذا ينذر بحادث جليل يقع فى

الناس وكان كذلك فقد وقعت المحن العظيمة بقدوم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وأحرق مساكنهم ودورهم وكان ذلك الحريق الواقع فى المسجد الحرام المنذر بذلك فى أواخر شوال سنة ثمانمائة واثنتين فى مدة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق وكان الحريق من جهة الجانب الغربى واتصل منه بالسقف وعم الحريق الجانب الغربى وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى الى محاذاة باب الباسطية بما كان من السقوف والاساطين وكانت السقوف كلها من الخشب الساج وصار التعمير لهذا كله بعد ذلك وأعيد السقف خشبا كما كان وفرغوا من التعمير سنة ثمانمائة واربعة وكان امير مكة الشريف حسن بن عجلان

﴿ ذكر ظهور التيمور ﴾

انما ذكرنا التيمور وقتاله وان كان يدعى الاسلام لان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل أفعالا مع المسلمين أكثر مما تفعله الكفار من القتل والاسر والتخريب وكان رافضيا شديد الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكثر عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سببا لضعف دولة التتر وموجبا لقيام تيمور وغيره واختلفوا فى نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهى الى جنكزخان ملك التتر وفى تاريخ ابن خلدون ان تيمور ينسب هو وقومه الى جغطاى بن جنكزخان وجزم بعضهم بأن نسبه الى جغطاى بن جنكزخان انما هو من جهة امه لا من جهة ابيه وكان اول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وأرخه بعضهم بقوله عذاب ٧٧٣ وهو أحد الدجالين الموعود بهم فى الاخبار النبوية فانه تغلب على الممالك الاسلامية وأكثر القتل وافسد الارض وأهلك الحرث والنسل وكان مبدأ أمره وأمر ابيه انهما كانا فقيرين وكان ابوه اسكافيا من قرية من أعمال كش وهى مدينة من مدائن ماوراء النهر ونشأ ولده تيمور جلدا قويا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق كثيرا فسرق فى بعض الليالى شاة واحتملها فشعر به الراعى فرماه بسهمين أصاب باحدهما فخذه وبالآخر كتفه فأعابهما فكان اعرج اليمنيين ولذلك كان يقال له نصف انسان ومع هذا لم يترك السرقة فما زال كذلك حتى اشتهر امره وافساده فظفر به السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع فى ترك صلبه الامير غياث الدين بن السلطان حسين المذكور فقال له ابوه السلطان حسين هذا اصل مادة الفساد لئن بقى ليهلكن العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد أصيب بالدواهى فما زال يراجع اباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفى عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وادناه وجعله من خواصه وزوجه اخته ورقاه حتى صار من وزرائه فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور وصار مقدما على كثير من الجند فطغى وبغى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهى اخت السلطان غياث الدين وقع بينها وبين تيمور شئ أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه ثم لم يسعه الامر الا بالخروج على السلطان غياث

(الدين)

الدين وخلع الطاعة والتمرد والطغيان فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيرا من الممالك
حتى استصفى ممالك ماوراء النهر وذلت لاوامره ملوك الدهر وشرع فى استخلاص بقية البلاد
واسترقاق العباد فكان يجرى فى جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب فى البلاد دبيب
السم فى الاجساد ثم ارسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول
فى طاعته ليجازيه على احسانه باساءته فيتحقق بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم كتب الله
على كل نفس خبيثة ان لاتخرج من الدنيا حتى تسئ الى من أحسن اليها فارسل غياث الدين
يقول له اما كنت خادما لى واحسنت اليك واسبلت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد ان نجيتك
من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فلم يصغ لذلك بل عبر
جيحون بمن معه من الجند وتوجه الى محاصرة مولاه غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين
قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فحصن نفسه فى القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه
وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا ثم عاد الى خراسان
... ثم اولا من اهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل
... ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم ووصفه
... بقوله وكان رجلا ذا قامة شاهقة كانه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد
القوة والبأس ابيض اللون مشربا بحمرة عظيم الاطراف عريض الاكتاف مستكمل البنية
مسترسل اللحية اعرج اليمناوين وعيناه كشمعتين جهير الصوت لايهاب الموت وكان من ابهته
وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا
بالهدايا والتقاديم اليه يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته
واذا أرادهو منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادى ذلك الواحد باسمه فينهض
فى الحال يعدو نحوه ممتثلا امره ودخل تحت طاعته ملوك السلجوقية اصحاب قونية كما
كانوا داخلين تحت طاعة التتر ولما ملك اصبهان وعراق العجم والرى وفارس وكرمان
بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم وخربت ديارهم وسبيت نساءهم خافه
السلطان احمد بن اويس المتملك ببغداد بعد التتر كما تقدم فجمع عساكره وأخذ فى الاستعداد له
... عدل الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تيمور يخادعه بالملاطفة والمراسلة
... ان فتر عزمه وفرق عساكره فنهض اليه يسرع السير فى غفلة عنه حتى انتهى الى دجلة
وسبق النذير الى السلطان احمد فأسرى بغلس ليله وحمل ما أقلته رواحله من امواله وذخائره
وترك سفن دجلة ومر بنهر الحلة وصبح مشهد على رضى الله عنه ووافى تيمور وعساكره
دجلة فى حادى عشر شهر شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يجد السفن فاقتحم
بعساكره النهر ونازل بغداد وبعث عساكر فى اتباع السلطان احمد فساروا الى الحلة
وقد قطع جسرها فخاضوا النهر عندها وأدركوا السلطان احمد بمشهد على
واستولوا على أثقاله ورواحله فكر عليهم فى جموعه وقتل الامير الذى كان عليهم
فرجع بقية عسكرهم ونجا السلطان احمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وأرسل
النائب بالرحبة يخبره الى سلطان مصر السلطان الظاهر برقوق فسرح بعض خواصه

وتلقوه بالنفقات والأزواد ثم قدم السلطان احمد الى مصر وخرج السلطان الظاهر برقوق الى ملاقاته وأمر الامراء بالمشي في خدمته وأكرمه وأخبره السلطان احمد ان تيمور أخذ بلاد العجم والعراق وانه أرسل قصاده الى السلطان برقوق فكتب السلطان برقوق الى نائب الرحبة ان يقتل قصاد تيمور ففعل ذلك وأخبر السلطان احمد الملك الظاهر برقوق بانه جاء مستنصرا مستصرخا به على من اراد انتزاع الملك منه فاجاب الملك الناصر صريخه ووعده بالنصر وتجهيز الجيوش وكان قدوم السلطان احمد على الملك الظاهر في شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة لانه كان أصابه مرض في طريقه تأخر بسببه عن سرعة الوصول وكان السلطان احمد ترك نائبا له على بغداد ثم جاءتهم الاخبار بان تيمور لنك حاصر بغداد ثم تملكها وعاث فيها وكان دخوله بغداد يوم عيد الاضحى فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين وقتل خلقا كثيرا ثم امر عسكره بأن يأتيه كل واحد برأسين من اهل بغداد فأتوا بالرؤس فجمعها وأمر ان يبنى منها مآذن على صور المنائر وعجز بعض الجند عن المجئ برؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال واستصفى ذخائر السلطان أحمد واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم ان تيمور بعد أن استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت وأناخ عليها بجموعه اربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل من قتل منهم ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من النهار فملكوها وانتهبوا نعمها وافترق أهلها فبلغ الخبر الى الملك الظاهر برقوق فنادى في عسكره بالتجهز الى الشام وأفاض العطاء واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند وارتحل الى الشام ومعه السلطان احمد بن اويس وكان العدو تيمور قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد وأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وفي هذه المدة جهز السلطان برقوق عساكر كثيرة وبعثها مع السلطان احمد الى بغداد فملكها وضرب السكة باسم السلطان برقوق كما ذكر ذلك العلامة ابن الشحنة في تاريخه وبقي السلطان برقوق بالشام مستجمعا لعساكره مترقبا لقتال تيمور والوثبة به متى استقبل جهته فبلغ ذلك تيمور فلم يتجرأ على الاقدام بل رجع الى بلاد خراسان ولم يقدر على الرجوع ودخول الديار الشامية الا بعد وفاة السلطان برقوق كما سيأتي ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر كتاب تيمور الى السلطان برقوق ﴾

كتب تيمور الى الملك الظاهر السلطان برقوق كتابا يقول فيه بعد البسملة اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا أننا جند الله في ارضه مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد وأيتمنا الاولاد خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا

كالرمال ملكنا لايرام وجارنا لايضام من سالمنا سلم ومن رام حربنا ندم فان انتم قبلتم شرطنا واطعتم امرنا فلكم مالنا وعليكم ماعلينا وان خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلاتلوموا الا أنفسكم وذلك بما كسبت ايديكم فالحصون لاتمنع والعساكر لاترد ولاتدفع ودعاؤكم لايسمع لانكم اكلتم الحرام واضعتم الجمعة وارتكبتم الآثام فابشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وتقولون انه قد صح عندكم اننا كفره فقد ثبت عندنا انكم فجره وقد سلطنا عليكم من بيده امور مدبره واحكام مقدره فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد اوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وترمى الحرب نارها وتلقى اوزارها وتدهون منا باعظم داهية ولايبقى لكم باقيه وينادى عليكم منادى الفناء هل تحس منهم من احد أو تسمع لهم ركزا الآن قد أنصفناكم اذ ارسلنا كم فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام فلما سمع السلطان برقوق هذا الكتاب اغتاظ غيظا عظيما وأمر بكتابة الجواب فكتب الجواب بانشاء ابن فضل الله العمرى وصورته بعد البعدية والاصدار قد حصل الوقوف على كتاب ورد فقولكم انكم مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه وانكم لاترقون لشاك ولاترحمون عبرة باك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من أكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لاصفات السلاطين قل يا أيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون ففى كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وأنتم الكفرة كما زعمتم ألا لعنة الله على الكافرين نحن المؤمنون حقا لايدخلنا عيب ولايخامرنا ريب القرآن على نبينا نزل والرب بنا رحيم لم يزل انما النار لكم خلقت ولجلودكم اضرمت اذا السماء انفطرت ومن أعجب العجاب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكمات بالكراع ونحن خيولنا برقية وسهامنا يمنية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرنا فى المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وقولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لايبالى [illegible] وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار الفرار من الرزايا لامن المنايا ونحن من الطمأنينة على عادة الامنية ان قتلنا فشهداء وان عشنا كنا سعداء ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين يعنى الخليفة العباسى الذى كان اذذاك بمصر تطلبون منا طاعة لاسمعا لكم ولاطاعة وطلبتم أن نوضح لكم امرنا قبل أن ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا [illegible] الكلام فى نظمه تركيك وفى سلكه تفكيك او كشف لبان بعد التبيان أكفر بعد ايمان واتخاذ رب [illegible] حئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل [illegible] الذى وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصرير الباب أو كطنين الذباب [illegible] سنكتب مايقول ونمدله من العذاب فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضبا شديدا وقدر الله [illegible] السلطان برقوق بعد ذلك بقليل وكان تيمور ألقى الله الرعب فى قلبه من السلطان برقوق

فلما بلغه خبر وفاته استبشر وأنعم على مخبره بجملة مستكثرة وكانت وفاته فى سنة احدى وثمانمائة وأقيم بعده فى السلطنة ولده الملك الناصر فرج فأخذ تيمور فى التجهيز بالجيوش لقصد بلاد الشام والروم وكان فى نفسه من قتل السلطان برقوق قصاده ومن اعانته السلطان احمد بن اويس على تملك بغداد وكان فى نفسه أيضا على السلطان بايزيد العثمانى لانه تملك بلادا كثيرة كانت للسلطان السلجوقى وقرابته تملكها السلطان بايزيد بعد وفاته وكان السلطان السلجوقى قد كاتب تيمور وأعطاه الطاعة خوفا من السلطان بايزيد وكانت تلك البلاد لبنى قلج ارسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين افتتحوها وأقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم اهل قسطنطينية وأضافوا اليها كثيرا من أعمال الأرمن ومن ديار بكر فانفسحت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم بقونية ومن اعمالها آقصر وانطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقراحصار ومن ممالكهم اذربيجان ومن أعمالها آقشهر وكانخ وقلعة كمونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرا وفلية ومنال ومن ممالكهم ايضا سيواس وأعمالها ومن أعمالها نيكسار واقاسية وتوقات وكنكرة كوريه وساموك وصفوى وكمخونية وطرخوا وبرلوا ومما استضافوه من بلاد الأرمن خلاط وأرمينية الكبرى ووان وسلطان وأرجيس وأعمالها ومن ديار بكر خربوت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الاعمال ومايتصل بها من الشمال الى مدينة بروسة ثم الى خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم وكان ملوك مصر ينازعونهم فى بعضها ثم طرق دولة السلجوقية الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام استولوا ايضا على كثير من هذه الممالك ولحق غياث الدين السلجوقى مع عياله بقونية ثم استقر فى طاعة التتر هو واخوانه واقتسموا ممالكهم عمالا للتتر ثم بقيت بيد بنيهم بعدهم يتوارثونها الى ظهور تيمورلنك وكان فى ذلك الوقت ظهور قوة للسلطان بايزيد العثمانى فاستولى على كثير من تلك الممالك فأرسل الباقون من ملوك السلجوقية الى تيمور يعطونه الطاعة ليحتموا به من السلطان بايزيد فقدر الله فى تلك الايام موت بعض ملوكهم وظهور الضعف فيهم فاستولى السلطان بايزيد ايضا على بعض ممالكهم هذا هو السبب فى ان تيمور كان له قصد قوى فى التوجه الى قتال السلطان بايزيد وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تجهيز تيمور الجيوش لقصد الشام ﴾

قد ذكرنا ان تيمور فرح واستبشر بوفاة السلطان برقوق ثم انه فى سنة ثلاث وثمانمائة أخذ فى التجهز الى المسير الى الديار الشامية فجمع عساكر كثيرة تبلغ ثمانمائة الف فاجتاز اولا على سيواس فحاصرها وأخذها وكان فيها عامل للسلطان بايزيد قيل انه أمن اهلها وحلف لهم ان لايضع السيف فيهم فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفنهم فيها احياء وكانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البتين فوجد أهلها قد رحلوا عنها فخربها واحرقها ثم توجه الى ملطية فهرب منها من كان بها قبل ان يصل اليه فخربها ثم اجتاز على بهسنى فحاصرها

ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم أخذها صلحا ثم نازل حلب تاسع ربيع الاول من السنة المذكورة وكان فيها من العساكر الاسلامية جمع كثير من دمشق وطرابلس وحماه وصفد وغزة وغيرها فاختلفت آراؤهم بين قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد بالخيام وكان الامير على حلب نائب السلطان هو الامير دمرداش الخاصكى لما رأى اختلافهم أذن للناس فى اخلاء البلد والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأى لو فعلوا به فلما لم يفعلوا برأيه ضربوا خيامهم بظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد مرسل من تيمور فقتله الامير القائم على عسكر دمشق قبل ان يسمع كلامه وبئس ما فعل وفى اليوم العاشر من ربيع وقع قتال يسير وفى الحادى عشر زحف تيمور بجيوشه وفيلته فدهم المسلمين خلق كأمواج البحر فولوا على ادبارهم منهزمين نحو البلد وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق كثير والعدو وراءهم يقتل ويأسر وتعلقت أمراء عساكر المسلمين بالقلعة ومعهم خلق كثير فاقتحمت عساكر تيمور المدينة وامتدت أيديهم فى أقطارها وجالت خيولهم بأرجائها سفكا ونهبا وأسرا واحتمى بالمساجد خلق كثير من النساء المخدرات والكواعب وغيرهم فالوا عليهم وقبضوهم أسرى فى الحبال وأسرفوا فى قتل كثير من الرجال والاطفال ونهب الاموال وتخريب المنازل وافتضاض الابكار وانتهاك الستور واستمر الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام وهم مع ذلك مشتغلون بنقب القلعة وهدم الخندق وكان المسلمون قد جعلوا أكثر أموالهم بالقلعة ثم اعتصم بها الأمراء وخلق كثير فلما رأى دمرداش أمير حلب اشتداد الامر نزل مع طائفة من الأمراء من القلعة يطلبون الأمان فأجابهم تيمور وخلع عليهم فاطمأن خاطرهم فنزل بقية اصحابهم من القلعة كل امير مع طائفته فنظم تيمور كل رجلين فى قيد وفرقهم فى قومه ثم اذن لهم فى النهب قال ابن الشحنة أخذ القلعة بالأمان والأيمان التى ليس معها ايمان وفى ثانى يوم صعد بنفسه الى القلعة وأقام بحلب نحوا من شهر وأصحابه تعدوا فى نهب المدينة والقرى وتعيث بقطع اشجارها وهدم أحجارها وأمر أن يبنى من رؤس الرجال شبه المآذن فبنيت مرتفعة فى الهواء نحو عشرة أذرع ودورها نيف وعشرون ذراعا والوجوه بارزة تسفى عليها الرياح وعدة تلك المنائر المتخذة من الرؤس عشر وسلم من قتله كثير من العلماء وغيرهم اختفوا ثم أعطاهم الأمان قال ابن الشحنة ولما طلع القلعة فى ثانى يوم كان طلوعه أواخر النهار فطلب علماء حلب فحضرنا اليه فأوقفنا ساعة ثم أمرنا بالجلوس وطلب من معه من اهل العلم فقال لأمير من امراء دولته وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفى كان نعمان الدين المذكور من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلكم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى افتتحتها ولم يوضحوا لى الجواب فلا تكونوا مثلهم ولايجيبنى الا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم به فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة ولى فى طلب العلم طلب قديم قال ابن الشحنة وكان قد بلغنا عنه انه يعنت العلماء فى الأسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم او نكايتهم فقال الشيخ القاضى شرف الدين موسى الأنصارى الشافعى هذا شيخنا يعنى الشيخ محمد بن الشحنة وهو مدرس هذه البلاد ونقيبها واليه المرجع سلوه والله المستعان فقال عبد

الجبار مخاطبا ابن الشحنة مترجما مقالة تيمور سلطاننا يقول انه بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم الجميع وقالوا فى أنفسهم هذا الذى بلغنا عنه من التعنت فسكت القوم وفتح الله بالجواب على ابن الشحنة فاستحضر سريعا جوابا بديعا فقال هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه و انا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صاحبه القاضى شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم انك لما قلت هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه اختل عقلى مع ان القاضى شرف الدين كان محدث زمانه وهو معذور بما شاهد من الأهوال فى تلك الايام ومثل هذا السؤال لا يمكن عنه الجواب فى هذا المقام لشدة سطوة تيمور بمن خالف مرامه ووقع فى نفس الامير عبد الجبار مثل ذلك فقال لابن الشحنة يسخر من كلامه كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أجاب وألقى تيمور سمعه و بصره الى ابن الشحنة فقال ابن الشحنة جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية و يقاتل شجاعة ويقاتل ليعرف مكانه فأينا فى سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فمن قاتل منا ومنكم لاعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمور خوب يعنى طيب واستحسن ذلك الجواب وقال عبد الجبار ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة فقال تيمور انى رجل نصف آدمى وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله انى لم اقتل أحدا قصدا وانما انتم قتلتم أنفسكم فى الأبواب يعنى الازدحام ووالله لا أقتل منكم أحدا يعنى الآن وانتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الأسئلة منه والأجوبة من العلماء وطمع كل واحد من الفقهاء الحاضرين فى التقدم وجعل يبادر الى الجواب و يظن انه فى المدرسة بين طلبته والقاضى شرف الدين ينهاهم و يقول اسكتوا ليجاوب هذا الرجل يعنى ابن الشحنة فانه يعرف ما يقول وآخر سؤال سأل عنه ما تقولون فى على ومعاوية و يزيد فأسر القاضى شرف الدين الى ابن الشحنة وكان الى جانبه وقال اعرف كيف تجيبه فانه شيعى فلم يفرغ من كلامه الا وقد قال القاضى علم الدين القفصى الصيرفى المالكى كلاما ما معناه ان الكل مجتهد فغضب تيمور غضبا شديدا وقال على على الحق ومعاوية ظالم و يزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذ ابن الشحنة فى ملاطفته بالاعتذار عن المالكى بانه أجاب بشئ وجده مكتوبا فى كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ عبد الجبار يباسط ابن الشحنة والقاضى شرف الدين فقال عن ابن الشحنة هذا عالم مليح وقال عن القاضى شرف الدين هذا رجل فصيح فسأل تيمور ابن الشحنة عن عمره فقال مولدى سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن أربعا وخمسين سنة وقال للقاضى شرف الدين كم عمرك فقال انا أكبر من هذا يعنى ابن الشحنة بسنة فقال تيمور انتم فى عمر اولادى فان عمرى اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب فأمنا عبد الجبار وصلى تيمور الى جانب ابن الشحنة قائما يركع و يسجد ثم تفرقوا وفى اليوم الثانى غدر بكل

من في القلعة وأخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة مما لا يحصى حتى قيل انه لم يكن أخذ من مدينة قط مثل ما أخذ من هذه القلعة ولا مايقارب به وعوقب غالب المسلمين بانواع العقوبات وحبسوا بالقلعة مابين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تيمور من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زى المغل وقف سائر الملوك والنوابين في خدمته وأدار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل وأسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ولما كان آخر شهر ربيع الاول طلب ابن الشحنة والقاضي شرف الدين وأعاد عليهما السؤال في حق علي ومعاوية ويزيد فقال ابن الشحنة الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقدتمت بعلي والحسن فقال تيمور قل علي على الحق ومعاوية ظالم فقال ابن الشحنة قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال لهم موصيا على ابن الشحنة والقاضي شرف الدين ان هذين الرجلين نزل عندكم فأحسنوا اليهما والى اصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة وفعلوا ما أوصاهم به الا انهما لم ينزلا من القلعة وقال لهما الذي ولي الحكم بحلب اني أخاف عليكما قال ابن الشحنة والذي فهمته من نسق تيمور في ملكه انه اذا امر بسوء فعلوه بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر لمن واليه وفي اول ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وفي ثاني يوم أرسل يطلب علماء حلب فحملوا اليه والمسلمون في امر مريج وفي قطع رؤس فقال العلماء لما طلبوا ما الخبر فقيل لهم ان تيمور طلب من عسكره ان يأتوه برؤس من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي يأخذها فخاف العلماء ان تقطع رؤسهم وتحمل اليه معهما وقع لهم من الامان منه فلما وصلوا اليه ارسلوا له رسولا يقول له انهم قد حضروا وهو قد حلف ان لا يقتل أحدا منهم صبرا فجاء الرسول وهم ينظرون اليه من بعد وهو يأكل من لحم سليق بين يديه في طبق فتكلم معه يسيرا ثم أرسل اليهم بشئ من ذلك اللحم ليأكلوه فلم يفرغوا من أكله الاوزعجة قائمة وتيمور صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاء امير يعتذر الى العلماء وقال لهم ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين انما أمر بقطع رؤس القتلى وان يجعل لنا قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا عنه غير ما أراده وانه أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تيمور من ساعته وتوجه نحو دمشق فعاد علماء حلب الى القلعة ورأوا أن المصلحة في الاقامة بها وأخذ الامير موسى في الاحسان اليهم وقبول شفاعتهم وتفقد أحوالهم مدة اقامته بحلب واما تيمور فانه توجه قاصدا دمشق وكان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق قد جاء من مصر بعساكره لتحصين حمايتها من تيمور وجاء معه الخليفة العباسي الذي كان بمصر وهو المتوكل على الله فلما دخل الملك الناصر فرج دمشق أقام بها يومين ثم خرج في اليوم الثالث وخيم بقبة يلبغا

* *
*

﴿ ذكر دخول تيمور دمشق ﴾

في اليوم العاشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانمائة حلت عساكر تيمور بأطراف دمشق وظهر بعض عسكر تيمور على جبل مما يلي عقبة دمر وهم مقدار الف فارس فخرج اليهم من عسكر الملك الناصر فرج دون المائة فاقتتلوا معهم فانهزم اصحاب تيمور هزيمة قوية ثم رجعوا على عسكر الملك الناصر وقبضوا على ثلاثة فوارس وجاؤابهم الى تيمور فأمر عساكره تلك الليلة ان يضرموا نارا عظيمة في مواضع متعددة فتخيل للسلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ان عسكر تيمور ملئ الارض بقدر اماكن النار وأخذ تيمور اثنين من الاسارى وأدخلهما في أسياخ وشواهما على النار كالغنم وأطلق الثالث فرجع وأخبر السلطان فرج بذلك وسمعت العسكر بذلك فانقطع قلوب العسكر ففي تلك الليلة ارتحل السلطان فرج ورجع الى الديار المصرية هاربا وصحبه الخليفة والامراء مع كل امير مملوكان اوثلاثة ليس معهم خيل ولا قماش وتشتت بقية العسكر حفاة عراة واما اهل دمشق فلم يعلموا برجوع السلطان فأصبحوا ورأيهم جميعا المناصبة للحرب فركبوا الاسوار وأعلنوا بالنداء يستحث بعضهم بعضا على الجهاد فتراموا مع التتر عسكر تيمور وقتلوا منهم وغنموا من خيلهم وكانت بينهم مقاتلة هائلة حتى قتلوا من التتر نحوا من الف وفي آخر النهار حضر اثنان من اصحاب تيمور ينادي احدهم بطلب الصلح وان يحضر احد ممن يعقل حتى يكلمه الملك فوقع الاختيار على ارسال القاضي ابن مفلح الحنبلي فغاب ثم رجع وأخبرانه اجتمع بتيمور وتلطف معه حتى قال له تيمور بلد الانبياء وقد اعتقتها صدقة عن اولادي وأخذ ابن مفلح يحل عزايم اهل البلد حتى صاروا فرقتين فرقة ترى مايراه ابن مفلح من بذل الطاعة وهم الفقهاء ونحوهم وفرقه باقية على المحاربة وهم سواد الناس فباتوا تلك الليلة على ذلك ثم أصبحوا وقد غلب رأى ابن مفلح ومن عادة تيمور اذا أخذ بلد اصلحا ان يخرج اليه اهل البلد من كل نوع تسعة اشياء ويسمون ذلك الطقزات فطلب منهم تجهيز ذلك وهموا باخراجه من باب النصر فمنعهم نائب القلعة وهددهم باحراق البلد فأعرضوا عن ذلك وتدلوا من أعلى السور فباتوا في مخيم تيمور ورجعوا وقد تقرر منهم قضاة ووزير ومستخرج الاموال ومعهم فرمان ومرسوم فيه تسعة أسطر يتضمن الامان لاهل دمشق خاصة فقرئ ذلك على المنبر وفتحوا الباب الصغير وقعد امير من امراء تيمور ثم شرعوا في جباية الاموال التي قررها عليهم وهي الف الف دينار وحملت اليه فلما وضعت بين يديه غضب وامران يحمل اليه ألف ألف تومان والتومان عشرة آلاف دينار فرجعوا يأخذون في جباية الاموال فتزايد البلاء وفي اثناء الجباية حرقوا ما بين الجامع والقلعة بالنار وذلك نحو من ثلث البلد ثم سلم الناس الذين كانو محاصرين في القلعة بعد تسعة وعشرين يوما من الاستيلاء على البلد وجمعت الاموال التي قرروها ثانيا وحضرت بين يديه فقال لابن مفلح وأصحابه هذه ثلاثة آلاف دينار ببلادنا وقد بقي عليكم سبعة آلاف الف الف أراكم عجزتم عن الاستخلاص ثم طلب منهم ماتركه العسكر من كل شئ ثم طلب جميع مافي البلد من الاموال

الدواب فكان عدتها نحو اثنى عشر الفا ثم طلب جميع مافيها من السلاح فلما انقضى ذلك
ه امر باستكتاب خطط دمشق وكتب بها اوراقا وفرقها على امرائه فحينئذ طمت الامواج
زل كل امير فى خط وطلب سكان ذلك الخط فكان الرجل يطالب بالمال الثقيل الذى لايقدر
عليه فاذا امتنع عوقب بانواع العذاب ثم تخرج نساؤه و بناته فيوطئن بين يديه فأقاموا
على ذلك تسعة عشر يوما فلما علموا أنهم قدأتوا على مافى البلد خرجوا منها وهجم عليهم بعد
خروج الامراء بقية عساكرهم كالجراد المنتشر فانتهبوا مابقى وسبوا النساء والشباب والرجال
وتركوا الاطفال وأطلقوا النار فى الجامع والبلد فاحترقت حتى صارت ترمى بشرر واستمر
ال ثلاثة ايام حتى اندرست رسومها وفى ثالث شعبان ركب تيمور وسار نحو حلب راجعا
لاده وكانت مدة اقامته بدمشق اربعة وسبعين يوما ثم بعد رحيله كل من بقى يعدوا عليهم
ويعريهم البادية والفلاحون وجرى عليهم منهم مالايجرى من تيمور وفى السابع عشر من
عبان وصل تيمور الى الجبول شرقى حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته
تخريب القلعة واحراق المدينة وقتل كثير من الناس ففعلوا ونزلوا من القلعة قال ابن الشحنة
بيت النار تضرم فى ارجائها وبعد ثلاثة ايام ارتحل عنا من كان بحلب من اصحاب تيمور
لم يبق من التتر احد ولم يقدر منا احد على الاقامة ببيته من النتن والوحشة ولايمكن السلوك
فى الازقة من ذلك ثم عمرت حلب وتراجع الناس وجاءها امير من السلطان وفى سنة اربع
وثمانمائة كان مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد بن مراد

﴿ ذكر القتال الواقع بين تيمور والسلطان بايزيد بن السلطان مراد ﴾

سبب مسير تيمور لقتال السلطان بايزيد أن جماعة من ملوك الطوائف ببلاد الروم الذين اقتلع ممالكهم
السلطان بايزيد ساروا الى تيمور يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستنجدون
به عليه فى رد ممالكهم فأجابهم تيمور الى سؤالهم فسار فى سنة اربع وثمانمائة الى بلاد الروم وأرسل
للسلطان بايزيد فى الصلح على عادته من المكر والدهاء وكتب للسلطان بايزيد انك رجل مجاهد
فى سبيل الله وانا لا احب قتالك ولكن انظر اى البلاد التى كانت مع ابيك وجدك فاقنع بها وسلم الى
البلاد فلما وقف السلطان بايزيد على كتابه قال لرسله أيخوفنى بهذه الترهات و يستفزنى بهذه
الخزعبلات أويحسب انى مثل ملوك الاعاجم او التتر الدشت الاغنام اومايعلم ان اخباره
عندى ان اول امره حرامى سفاك الدماء نقاض العهود الى غير ذلك من أمثال هذا الكلام
وكتب له الجواب على هذا المنوال وكان السلطان بايزيد فى تلك السنة محاصرا مدينة
القسطنطينية وقد قارب ان يفتحها فتركها وتوجه لقتال تيمور وأجرى عساكره كالسيول
امرة وكان قداستخدم عنده كثيرا من عسكر التتر حتى صاروا اكثر جنده فأرسل تيمور
زعمائهم ورؤسائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا
ورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قدنازل انقورية فجاءه السلطان بايزيد بجيوشه ووقع
تال الشديد بينهما ثم اندفع التتر من عسكر السلطان بايزيد واتصلوا بعسكر تيمور كما
عدوه واستمر القتال من الضحى الى العصر فانهزمت بقية عساكر السلطان بايزيد وصار

القبض عليه أسيرا بيد تيمور وأكثروا القتل والفساد وكان ذلك يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة اربع وثمانمائة ورجع به تيمور معه الى تبريز فمرض هناك وتوفى هناك رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة وقسم تيمور بلاد الروم على الملوك الذين استنصروا به وزعموا ان السلطان بايزيد انتزعها منهم ثم ان السلطان محمد بن السلطان بايزيد استرجع ذلك الى ملكه لما استقرت السلطنة له كما سيأتى وفى سنة خمس وثمانمائة انعقد صلح بين تيمور وسلطان مصر وحصل بينهما مودة ومهاداة وأرسل تيمور الى سلطان مصر هدية وفيلا وفى سنة ست وثمانمائة عدا قرا يوسف حاكم اذربيجان على السلطان احمد بن اويس وانتزع بغداد منه ورحل السلطان احمد الى حلب ودخلها فى زى فقير ثم مشى عسكر تيمور على بغداد وكبسوا بها قرا يوسف ونهبوه وأخذوا بغداد وتوجه قرا يوسف هاربا الى الشام فأمسك وحبس حسب مرسوم سلطان مصر ثم ورد مرسوم بطلب السلطان احمد من حلب وارساله الى دمشق ثم ورد مرسوم آخر بامساكه واعتقاله بها فأمسك وفى سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمور بمدينة نزار وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين سنة وتملك بعده حفيده خليل بن امير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بايدى المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك من التركمان الى ان انتزعها منهم اسماعيل شاه سلطان العجم ثم انتزعها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقى لتيمور عقب كان منهم سلاطين فى الهند ولنرجع الى اتمام الكلام على فتوحات سلاطين مصر ثم نذكر ابتداء الدولة العثمانية وفتوحاتها اعلم ان سلاطين مصر بعد السلطان برقوق كثرت بينهم الفتن لاجل طلب السلطنة واستمر الحال الى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فتسلطن الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر برسباى فجهز جيوشا لقتال اهل قبرس

﴿ ذكر تجهيز الجيوش لقتال اهل قبرس ﴾

قال العلامة القطبى قبرس بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوام وهى جزيرة فى البحر الشامى مقدارها مسيرة ستة عشر يوما وبها قرى ومزارع واشجار ومواشى وبها معدن الزاج القبرسى ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام مجريان فى البحر وقد تكرر استيلاء المسلمين عليها وانتزاع الكفار اياها وقد تقدم ان اول من غزاها معاوية رضى الله عنه وصالح اهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا ثم غزاهم ثانية فقتل وسبى سبيا كثيرا روى انه لما افتتحت مدائن قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبى فيها بينهم بكى ابو الدرداء رضى الله عنه وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه على خديه فقيل له أتبكى فى يوم أعز الله فيه الاسلام واهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله تعالى اذا تركوا أمره فبينما هى قوة ظاهرة وقوة قاهرة لهم على الناس اذ تركوا أمره فصار حالهم على ما ترى من السبى والاهانة ويريد بذلك ان رغبتهم فى السبى وحب المال دليل على تهاونهم بالقيام بأمر الله فيرجع أمرهم الى الذل والهوان وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة ايام وبينها

و بين جزيرة رودس مسيرة يوم واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن هنالك كان يسمى قابرس يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وهى جزيرة رخاها شامل والخير بها كامل واهلها موصوفون بالغنا واليسار وبها معادن الصفر ويجمع منها اللاذن الحسن الرائحة و بعض منه يغلب رائحة العود فى طيبه وهو الذى يجمع من على الشجر خاصة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لانه افضله وما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكان الاوزاعى ... انا ارى هؤلاء يعنى اهل قبرس اهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم ... عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بامر عنيف عندهم ورأى عبد الملك بن صالح فى حدث ... ان ذلك نقض لعقدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم فى أمرهم منهم الليث ... وسفيان بن عيينة وابو اسحاق الفزارى ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه واجاب كل ... احد بما ظهر له وانتهى خراج قبرس الذى يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة ... الى اربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف واربعين الفا وقد كان الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر ... اى سلطان مصر كثير الغزو الى طرف الافرنج وتسلطن سنة ٨٢٥ ففى سنة ست وعشرين ... مائة كثرت الاخبار بان الافرنج تحركوا على المسلمين فجهز عدة أجناد الى السواحل فندب عدة ... دمياط وعدة الى اسكندرية وعدة الى غيرها وجهز مركبين احدها من بيروت والآخر من ... صيدا فنازلوا جزيرة الماغوص سنة ٨٢٧ فانتهبوها واحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها ... من المراكب وقتلوا وأسروا وقدموا سالمين غانمين وكان عدد الاسرى الفا وستمائة نفس ... فى سنة ثمان وعشرين جهز جندا كثيرا وتوجه صحبتهم عدد كثير من المتطوعة وسافروا ... الى دمياط وكان ملك قبرس بعث تسعة اغربة يقفون على فم دمياط لمنع الاغربة من الدخول ... البحر المالح فلما ابصروا مراكب المسلمين وجيوشهم انهزموا بغير قتال ثم توجه المسلمون ... من جهة طرابلس فوصلوا الى الماغوصة فطلع الخيالة واكثر المشاة الى البر وضربوا ... خيامهم وارسل صاحب الماغوصة يطلب الامان فاعطوه ثم ركبوا فى الحال وداسوا من ... قدروا عليه واوسعوهم تحريقا وتخريبا واوقع الله الرعب فى قلوب الكافرين حتى كان ... الثلاثة من المسلمين ينتصرون على اكثر من مائة كافر وجاء اخو صاحب قبرس فى الف فارس ... وثلاثة آلاف راجل فلم يقدر أن يقدم فرجع من غير قتال فلما تمت للمسلمين هذه الحالة فى الماغوصة ... وا المملحة واحرقوا ما مروا عليه الى مكان يقال له رأس العجوز فخيموا هنالك وجهزوا ... من الغنائم شيأ كثيرا ثم ساروا فى المراكب وحاصروا الحصن الذى هنالك الى ان أخذوه ... عنوة وملؤا أيديهم من الغنائم والاسرى واحرقوا الحصن وكان عدة من قتل من الفرنج ... شهرين خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين فى هذه الغزوة الا ثلاثة عشر نفرا ثم رجعوا ... وبلغ الملك الاشرف ان صاحب قبرس ارسل الى ملوك الفرنج يستنصر بهم على المصريين ... ـوا عليهم ماجرى على بلاده فارسل كل منهم له نجدة من المراكب والفرسان فامر ... الاشرف بزيادة تجديد مراكب وبذل الاموال حتى كان عدة تلك المراكب مائة ... وازيد وندب الناس لجهاد الكفار فاجابه الى ذلك كثير من الامراء والعساكر والمتطوعة ... ـروا متوجهين فى شعبان سنة تسع وعشرين وثمانمائة فلما وصلوا الى اللمسون وجدوا

الحصن الذى كانوا خربوه قد عمر وشحن بالمقاتلة فاحاطوا به وصعدوا على سلالم فلكوا البرج الاول وهزموا الفرنج ثم احاطوا بقرية من قرايا قبرس فطلب اهلها الامان فامنوهم ثم ارسلوا الرسل الى ملك قبرس يدعونه الى الطاعة فابى وقتل الرسول فهاج المسلمون اقتتالا له والتقوا بجنوده فقاتلوهم واشتد الامر فاتفق ان ملك قبرس اراد الهرب فركب ثم وقع عن فرسه فاركبوه فوقع ثانيا فاركبوه فكبا به الفرس فاندهش قومه من ذلك وانهزموا وولوا الادبار فرآه بعض الاتراك فاراد قتله فصاح انا الملك فأسروه واستمر المسلمون خلف الافرنج ورشقوهم نبلا فلم يزالوا كذلك الى ان غربت الشمس وكان جملة من قتل من الافرنج فى ذلك اليوم ستة آلاف وقيد ملك قبرس وقتل اخوه ولم يسلم من الافرنج الامن بادر الى البحر وركبه وهرب وملك المسلمون كثيرا من مراكبهم ثم حمل ملك قبرس الى مصر وطيف به ثم قرروا عليه مائتى الف دينار يحمل منها وهو بمصر النصف ويرسل النصف اذا رجع وألزم بحمل عشرين الف دينار كل سنة والف ثوب صوف وكان الافرنج قد طمعوا فى تملك السواحل فلما وقع هذا الفتح عظم فرح المسلمين وتقطعت اطماع الفرنج من تملكهم بلاد المسلمين قال بعض المؤرخين ومن مناقب السلطان برسباى انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها وهو فى تخت مملكته بمصر لم يتحرك

﴿ ذكر الغزو الى رودس ﴾

فى سنة اربع واربعين وثمانمائة جهز الملك الظاهر جقمق سلطان مصر خمسة عشر غرابا مشحونة بالمقاتلة للغزو الى بلاد رودس وفى سنة خمس واربعين اهتم لذلك اهتماما كثيرا وفى سنة سبع واربعين وثمانمائة سارت المراكب المجهزة لغزو رودس فى جمع كثير ونزلوا على قشتيل ووقع بينهم وبين من فيه من الكفار قتال وقتل جمع من الطائفتين واشتغل بعض المسلمين بما لا يليق من الفساد كالزنا ونحوه ولم يحصلوا على طائل وقتل من المسلمين اكثر من مائة وجرح اكثر من خمسمائة قال البدر العينى كانت سفرتهم هذه ملعبة وارتد منهم عدة مماليك ولما وصل المسلمون الى رودس وجدوا أهلها مستعدين استعدادا هائلا وهى محصنة بآلات الحصار والقتال بكل ما امكنته قدرتهم ثم حصل القتال بينهم فعادوا من غير ان ينالوا طائلا وفى تاريخ القرمانى غير هذا فانه ذكر ان فى سنة خمس واربعين انتصر الجيش المجهز الى رودس ورجعوا ومعهم بنت الملك وكثير من الاسرى ومن السبى من النساء والصبيان وصحبتهم من الذهب العين ثمانية عشر صندوقا يبلغ مافيها نحو ثلاث قناطير من الذهب ومعهم ايضا اثنتا عشرة جرة من النحاس مختومة الفم بالرصاص فى كل جرة قنطار ونصف من الذهب وغير ذلك من الجواهر واليواقيت والتحف أخذوا ذلك كله من قلعة قشتيل من أعمال رودس وهدمت القلعة فى هذه الغزوة وفى سنة ست وستين وثمانمائة بعث الملك الظاهر خوش قدم سلطان مصر تجريدة من العسكر الى قبرس لتقرير الملك لصاحبها القائم بها ودفع المتغلبين عليه ففعلوا ذلك وعادوا سالمين وفى هذه السنين انتشرت فتن كثيرة بمصر زيادة عما كان قبل ذلك وكلها كانت بين الامراء بمصر لطلب السلطنة .

فضعف امر الغزو والجهاد منهم وظهرت قوة للدولة العثمانية بارض الروم أكثروا الغزو والجهاد وفتحوا كثيرا من البلاد فلنذكر ما حصل الوقوف عليه من ذلك على سبيل الاختصار

﴿ ذكر الدولة العثمانية وفتوحاتها ثبت الله دعائمهم ووفقهم لما يحبه ويرضاه ﴾

... العلماء على ان من وقف على سير الدول الاسلامية يعلم علما قطعيا ان الدولة العثمانية سيرتهم من احسن سير الدول الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين لانهم متمذهبون بمذهب اهل السنة صحيحو العقيدة ناصرون لاهل السنة قائمون بتعظيم الصحابة واهل البيت والعلماء والصالحين ليس عندهم شيء من الزيغ والابتداع ولهم الفتوحات الشهيرة والجهاد والغزوات الكثيرة قائمون بشعائر الاسلام لاسيما في الحرمين الشريفين فان لهم فيهما الصدقات والخيرات الكثيرة وقائمون ايضا بشعائر الحج وتأمين الطرق للحجاج والزوار فيجب على كل مسلم ان يدعو لهم بالتثبيت والتأييد والاعانة والنصر والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه واشتهر انهم من التركمان وان نسبهم ينتهي الى يافث بن نوح عليه السلام وقيل ان اصلهم من العرب فقد ذكر ... في تاريخه نقلا عن صاحب درر الاثمان في اصل منبع آل عثمان ان اصلهم من عرب الحجاز وانهم من المدينة المنورة وان جدهم الاعلى هاجر من بلاد الحجاز قال ... الدولة العثمانية الشهير بخير الله افندي لا نريد ان ندخل في هذا البحث لكن غاية ... ان هذه العائلة الشريفة هي اشرف العشائر الاسلامية ثم ذكر ان جدهم عثمان هو أول ... منهم بالروم وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه وسليمان شاه كان سلطانا في بلاد ماهان من بلخ فلما ظهر التتر افسدوا في الارض وخربوا البلاد وكان من جملة ما خربوه بلخ ... فترك سليمان شاه البلاد مع من تركها من الملوك وغيرهم وقصد بلاد الروم وكان قد سمع ... السلجوقية التي في الروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار فخرج وتبعه في ... خلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا ناحية حلب فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب ... فغرق سليمان شاه ومات غريقا شهيدا فاخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره ... ور يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدي وأرطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له ياسين أوسي رجع سنقور وكون طوغدي أبناء سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف أرطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز ألب وصاروبني وعثمان ومكث أرطغرل في ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم أرسل ابنه صاروبني الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين السلجوقي يستأذنه في الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طوماليج وجبال أرمنك وما بينهما ... ضعا للسكنى فاقبل أرطغرل مع اربعمائة بيت من قومه فتوطنوا في قره جاه طاغ وفي سنة ... خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين السلجوقي بعساكر كثيرة ومعه الامير ارطغرل ... قلعة كوتاهية وهي يومئذ بيد الكفار ففوض امر القلعة الى الامير أرطغرل وسار هو الى ... ل التتر بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير أرطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم

من الاموال شيأ كثيرا فازداد عند السلطان علاء الدين قربا ومنزلة ولم يزل الامير أرطغرل يجاهد فى سبيل الله حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فتأسف عليه وعين مكانه ولده الامير عثمان فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح البلاد أكرمه وأمده بأنواع الاضافة والامداد وجعله سلطانا مشاركا للسلطان علاء الدين فى السلطنة وأرسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى (السلطان عثمان) نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين ومازال قائما حتى فرغوا فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكانت سلطنة السلطان عثمان سنة تسع وتسعين وستمائة وكانت سلطنته على البلاد التى افتتحها أبوه والتى افتتحها هو وقبل أن يتسلطن منها مدينة قرا حصار وحصن قرا وقصبة وينى كوى وقلعة بلاجك ومدينة ينى شهر وغير ذلك ولما تسلطن جعل كرسى سلطنته قرا حصار ثم نقله الى ينى شهر وكان كثير من التتر تغلبوا على بعض ممالك السلجوقية فقاتلهم أبوه ثم قاتلهم هو وأبادهم وانتزعها منهم قبل ان يتسلطن وكان ذلك من جملة أسباب محبة السلطان علاء الدين له قال بعض المؤرخين ان الوقوف على ترجمة هؤلاء السلاطين وفتوحاتهم العجيبة يستوجب ان يعتقد أنهم أعظم ملوك الاسلام فان كل واحد منهم فعل افعالا باهرة وغزا غزوات قاهرة تستحق ان تخلد فى بطون الاسفار لكى يقتدى بهم الملوك الذين يأتون بعدهم ويعلموا ان أفعال هؤلاء السلاطين تستحق ان تقدم على أفعال الاكاسرة والقياصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت اسماءهم فى كتب التواريخ ومن طالع تواريخ هؤلاء السلاطين تظهر له عظمة أفعالهم وبطشهم وشجاعتهم التى قاوموا بها جميع الدول المحيطة بهم فكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون المشيدة ويقهرون الجبابرة العظام ويتسلطون على الممالك برا وبحرا الى أبعد مكان فكانت ترتعد من سطوتهم قلوب جميع الدول الافرنجية ويعطونهم الطاعة والخضوع وكان السلطان عثمان جدهم واسطة عقدهم ومؤسس دولتهم وكان السلطان علاء الدين قد كبر وشاخ وطعن فى السن حين ان أشرك معه السلطان عثمان لانه تولى السلطنة سنة اربع وخمسين وستمائة واستمر الى ان توفى سنة سبعمائة وبقى بعض ممالكهم تحت يد بنيه وابناء عمه مع ضعفهم عن حفظها وآخر من بقى فى السلطنة منهم السلطان مسعود بن كيكاوس وتوفى مسعود سنة ثمانى عشرة وسبعمائة فاضمحلت دولتهم وكان لهم من التتر عساكر كثيرة كانوا متغلبين عليهم فاستولى عليهم السلطان عثمان وبنوه من بعده وصارت الممالك كلها بايديهم ومن الممالك التى افتتحها السلطان عثمان بعد سلطنته حصن الصفصاف المعروف بقلعة بيلجك وكان الخليفة هارون الرشيد غزا بنفسه الروم ففتح هذا الحصن ثم استولى عليه الكفار واستمر بايديهم الى ان افتتحه الغازى السلطان عثمان المذكور وسيأتى ذكر بقية فتوحاته وكان السلطان عثمان المذكور ملكا عادلا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة شجاعا مرابطا فى سبيل الله مجاهدا يراعى الابطال ويحسن للايتام والارامل ومن زهده فى الدنيا انه لما توفى لم يترك من المال شيأ وانما ترك بعضا من الخيل وشيأ من الغنم فالغنم التى ترعى فى نواحى بروسا باسم

السلاطين العثمانية هي من نسل تلك الاغنام وترك ايضا بعد وفاته قفطانا وعمامة و بعض مناطق من القطن وملعقة وممحة فهو سلطان مبارك خرج من صلبه السلاطين العظام الذين شيدوا أركان الاسلام وكان صحيح العقيدة على عقيدة أهل السنة يحب الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن اليهم ويعظمهم ويقوم بحقوقهم وكان شديد التعظيم لشعائر الدين وللقرآن العظيم يحكى انه قبل ان يتسلطن سافر الى موضع ونزل في طريقه ضيفا عند انسان فلما اراد النوم هيأ له صاحب المنزل موضعا لينام فيه فلما دخل ذلك الموضع رأى مصحفا معلقا في جدار ذلك الموضع فكبر عليه ان ينام وذلك المصحف معلق بذلك الموضع ورأى ان ذلك يخل بتعظيم القرآن فوقف على قدميه قائما الى الصباح مستقبلا للمصحف ويداه على صدره وذلك دليل على قوة ايمانه وصحة اعتقاده رحمه الله تعالى وكان كثير التردد على الشيخ العارف بالله تعالى أده بالي القرماني فرأى السلطان عثمان ليلة في منامه ان قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل في حضنه ثم نبتت من سرته شجرة عظيمة ملأت أغصانها الآفاق ورأى تحتها جبالا راسيات وتجري عندها عيون وأنهار والناس [illegible] تلك المياه و يملؤن منها و ينتفعون من تلك المياه فلما استيقظ السلطان عثمان قصد الشيخ المذكور وقص رؤياه عليه فقال له الشيخ وكان من المكاشفين لك البشرى بمنصب السلطنة وسيعلوا امرك وينتفع الناس بك وبأولادك واني زوجتك ابنتي هذه فقبلها السلطان عثمان وتزوج بها فولدت له اولادا منهم السلطان أورخان وهو جد السلاطين آل عثمان ايد الله دولتهم على ممر الزمان وبسط الكلام على فتوحات السلطان عثمان الغازي وغزواته مذكور في التواريخ المبسوطة لاسيما التواريخ التي باللسان التركي وكذلك مناقبه وبقية سيرته كل ذلك شئ طويل مذكور في التواريخ المذكورة وانما الذي يمكن ذكره هنا من ذلك شئ يسير من مناقبه وغزواته وفتوحاته فمن غزواته وفتوحاته قراحصار وجعلها كرسي مملكته كما تقدم الى ان فتح يني شهر فنقل كرسي مملكته اليها ثم فتح حصن يار حصار وقصبة اينه كول و يني شهر واظهر فيها شعار الاسلام وفي سنة سبعمائة اشتغل بقتال الكفار في طرف أزنيق حتى أعجزهم أمره مقدار خمس سنين فأرسل صاحب أزنيق الى ملك الروم [illegible] القسطنطينية يستنجد به فأمده بجيوش كثيرة في سفائن عديدة فلما وصلوا الى الساحل من طرف يلاقأوه لكن لهم المسلمون فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فلم ينج منهم الا الشاذ النادر وفي غضون ذلك توفي السلطان علاء الدين السلجوقي سنة سبعمائة وكثر الهرج والمرج في بلاده فالتحق اكثر عساكره بالغازي السلطان عثمان كذلك وفي سنة سبع وسبعمائة فتح السلطان عثمان ناحية مرمرة وفي هذه السنة اتفق كثير من ملوك الروم على قتال السلطان عثمان المذكور فاجتمعوا في جحافل كثيرة نحو ثلاثين ألفا فقاتلوا المسلمين أمام قيسون وصاري فكان يوما شديدا على الكفار فقتل فيه كثير من الكفار ومن رؤسائهم وهرب الباقون وتحصنوا بحصن من اعمال بروسا وفاز المسلمون بالغنائم واستولوا على حصن كستل ثم ساروا الى اولوبار فغلبوا عليها واصطلح معهم صاحبها على خراج يؤديه وفي هذه [illegible] استولى على حصن كتة والبلاد الملحقة بها وقسم البلاد على اولاده وأقطعهم اياها

واستقر هو فى ينى شهر وتمكن بها وجعلها دار الأمان و بنى فيها البقاع وأشاد القلاع وأسكن فيها الجند وفى سنة ثمان وسبعمائة فتح حصن لفكه وحصن آق حصار وحصن توق حصار وأسكن فيها المسلمين وأظهر شعائر الدين وفى هذه السنة أعنى سنة ثمان وسبعمائة كان أول حدوث البارود واما حدوث المدفع فكان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وفى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة افتتح حصن كيوة وحصن طرقلو ينى جه سى وحصن تكور بيكارى وغيرها وفى سنة ثلاث عشر وسبعمائة افتتح حصن أونوس و بلادها وعيان كلى و راوينـاس حصار وغير ذلك وفى سنة اثنتين وعشرين نازل الغازى السلطان عثمان المذكور مدينـة بروسا وحاصرها مدة ثم لما اشتد الحصـار أمر ببناء قلعتين فى طرف المدينـة وأسكن فيها الجند وأمرهم بالتضييق على أهل البلد وقطـع الميرة عنهم وجعل فى أحد القلعتين أحد بنى عمـه وفى القلعة الأخرى أحد الشجعان من عبيده ثم رجع السلطان الى ينى شهر وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فتحت قلعة قدكرية و بلادها و بلاد ملارنى و بلاد أقبازى وفى سـنة عشرين فتحت بلاد بلاق أباد وحصن قاندرى وهذه البلاد تعرف الآن بقوجه نسبة الى فاتحها لان الامير الذى فتحها يقال له قوجه جره ومعناه باللغة التركية الشيبة وفى هذه السنة فتحت حصون كثيرة منها حصن يولى وحصن صحانون وما ينضم اليها وفيها فتحت بلاد قره مرسل على يد الامير قره مرسل فسميت تلك البلاد باسم فاتحها وهى بلاد كثيرة يخرج منهـا الفواكه الكثيرة تجلب فواكها الى القسطنطينية وفى هذه السنة ايضا أرسل السلطان عثمان ابنـه أورخان الى فتح بروسا وصحبته عساكر كثيرة وكان السلطـان عثمان اذذاك مريضا بعلة النقرس فتخلف لذلك عن ذلك الغزو وقعد فى ينى شهر وفى مدة حصار ابنه مدينة بروسا توفى السلطان عثمان المذكور وقيل بل عاش بعد فتح المدينة اياما فكانت وفاته سنة ست وعشرين وسبعمائة ومولده سنة ست وخمسين وستمائة وعمره تسع وستون سنة ومدة ملكه ست وعشرون سنة ولما توفى كان بيده الممالك التى افتتحها هو وابوه ارطغرل والممالك التى افتتحها السلجوقية فكانت بايديهم وكان ملكهم لها على التـدريج فى سنين متعـددة وهى قونيـة ووان واقصرا وقيسارية وسيواس وبلاد آيدين ومنيسا وصاروخان وجيـد وكرسان وبرقسطمونى وانكورية وملطية ومرعش والبستان وتوقات واماسية ونيكسار وارزنجان وسامسون وجانيك وعنتاب وتسلطن بعده ولده (اورخان) فى ابتداء سنة سبع وعشرين ولما توفى السلطان عثمان جاء الخبر لابنـه السلطان اورخان وهو محاصر مدينـة بروسة كما تقدم

﴿ ذكر فتح بروسا ﴾

ثم انه بالغ وبذل جهده فى حصار اهلها وقتالهم حتى افتتحها واستولى على القلعة وأسكنها المسلـين وجعلها دار للاسلام بعـدان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام ونقل ملكه اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والايتام والغرباء وهذه المدينـة من أعظم المدن الاسلامية وأعمرها وهى مدينـة كثيرة الثمار والعيون

﴿ ذكر فتوحاته فى بلاد اليونان ﴾

ولما نقل السلطان اورخان كرسى الملك الى مدينة بروسة اخذ فى الاهتمام والى بزوشنا باسم

[illegible]ديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح أكثر بلدانها وعامل
[illegible]هـ بالشفقة والرحمة حتى ان كثيرا من النساء الروميات اللاتى فقدن اولادهن ورجالهن
فى تلك الحروب كن يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن منه المساعدة والرعاية فكان يلاطفهن
بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فمالت اليه قلوب الناس ومازال يتقدم فى فتوحاته
حتى أشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز كليبولى واجتاز ابنه سليمان بوغاز شنق قلعه
وفتح مدينة كليبولى وهى مفتاح القسطنطينية وفى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان
اورخان بعساكره ففتح حصون قيبسون حصارى وفتح ازميد وفتح مدينة ازنيوب
وكانت من معظم مداين الكفار ومجمع عظماءهم فغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وفتح
حصونا كثيرة وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة أمر السلطان اورخان ولده الامير سليمان
ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلى للجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فعملوا الواحا شبه
السفن فركبوا عليها فى الليل من موضع يقال له كر فوصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا
يسمى جنا فاستولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع أخر فاستولوا عليها قهرا

❋ ذكر القتال مع اهل كليبولى ❋

و[illegible]ن اورخان المذكور على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار
حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده أطاعوه ورضوا به فصار أمر المسلمين ينمو وصيتهم
يسمو فخرج لقتالهم صاحب كليبولى فى عسكر كثير وكان المسلمون فى عسكر قليلة فتوكلوا
على الله وتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوهم قتالا شديدا فانتصر المسلمون
واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولى وهى مدينة جليلة على شاطئ البحر وبينها وبين
القسطنطينية سنة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قرهجك وقلعة خيره بول وهى بلاد
متسعة ومنها قلعة دركور ومنها تكفور طاغى وغير ذلك وأخرب الكنايس والبيع وبنى مكانها
مساجد ومعابد وفى سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكبا به الفرس
فمات لوقته فجزع عليه ابوه جزعا شديدا وفى هذه السنة عبر الامير مراد الغازى بن السلطان
اورخان الى طرف روم ايلى من خليج كليبولى ففتح مدينة جورلى وهى من القسطنطينية مسيرة ثلاث
مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار حتى فتح مدينة ديمتوقة وهى من كبار
البلاد الاسلامية وفى سنة احدى وستين وسبعمائة توفى السلطان اورخان وعمره ثلاث وثمانون
سنة ودفن بمدينة بروسة ومدة ملكه خمس وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا ذا سيرة مرضية
وكرم وافر وعدل متكاثر طاهرا لاعتقاد سليم الفؤاد عدوا لاهل الكفر والالحاد
وكان كثير الغزو والجهاد وبنى كثيرا من الجوامع والمدارس وأجرى فيها الخيرات الكثيرة
رحمه الله تعالى وتسلطن بعده ولده (السلطان مراد الاول) فلما جلس على سرير الملك
سار وحاصر مدينة انكورية وكانت عصت عليه ففتحها عنوة وكانت من أمنع الحصون فلما
سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشى على بلاده فجمع جموعا من التتر وورشق
وطورغود والتركمان وغيرهم وسار بجموع لاتحصى لقتال السلطان مراد المذكور فجرى بينهما
قتال شديد وحرب أكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد

﴿ ذكر فتح ادرنة ﴾

وفي هذه السنة ايضا جهز السلطان مراد جيشا وأرسله لفتح ادرنة وجعل عليه شاهين لالا لا تابك فاقتتلوا قتالا شديدا وعجزعن اخذها وسألوا السلطان مراد ان يقدم عليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فاخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهى من اعظم مدن الدنيا تجرى من تحتها أنهار ثلاثة بينها و بين القسطنطينية سبعون ميلا ثم أرسل لالاشاهين الاتابك ففتح مدينة فلبة ثم فتح زغرة بنواحيها وعادوا الى مدينة بروسة ومن غزواته انه سار الى اقليمى الصرب والبلغار وفتح فيهما فتوحات وأثخنهم قتلا وأسرا وكان ببر الاناطول جملة من امراء الاتراك لم يزالوا باقين على الاستقلال فحاربهم وأخضعهم واستولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية وخضع لسلطنته معظم مقاطعة مكدونيا وبلاد الارناووط وفتح كثيرا من بلاد اليونان وعبر بحر مرمرا وفتح مدنا وقلاعا جهة تاساليا

﴿ ذكر ابتداء اختراع عسكر الانكشارية ﴾

وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار خليل باشا على السلطان بان يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كليبولى وكان الغزو والجهاد فى بلاد الروم ايلى متتابعا فكانت تمسى الاسارى وتأتيه كالسيل الهامى والبحر الطامى فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فامرهم السلطان بتعليم علم الرمى بالبندق فتعلموا ثم ميزهم وأرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعوا لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسماهم ينك جرى والجارى على الالسن انكشارى ومعناه العسكر الجديد لان السلطان عثمان كان اكثر عساكره من فرسان التركمان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكرى ولا نتظام لهم حال القتال فاستصوب السلطان اورخان ترتيب عساكره على هذا الوجه فاحدث وجاق الانكشارية ورتبه ولم يتممه وصار تمام انتظامه على يد ابنه السلطان مراد واستمر وجاق الانكشارية الى زمن السلطان محمود الثانى فأبطله وأبادهم كما سيأتى فى سنة احدى واربعين ومائتين والف وأحدث النظام الجديد الموجود الآن وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهى يلواج وينى شهر وآق شهر وقره أغاج وسيدى شهر وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان مراد المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازقا وكان قد تجمع لقتاله اهل البون والصرب والافلاق والبغدان واهل الماعن والمجر والبلغار وتحزبوا جميعا عليه فاتفق موافاته بعسكر الكفار بموضع يقال له قوصوا ببلاد الروم ايلى فالتحم بين الفريقين القتال الى ان هبت رياح النصر للمسلمين وقتل رئيس القوم الكافرين وانقلب الكفار على ادبارهم صاغرين

﴿ ذكر استشهاد السلطان مراد الاول ﴾

ثم انه لما انهزم الكفار أقبل من امرائهم امير يقال له بلواش فى خيله ورجله مظهر الطاعة

فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان فى كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد وتقبيل يد السلطان أن يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك فمات السلطان سنة سبعمائة واثنتين وتسعين من ضربة ذلك الخنجر وخرجت امعاؤه فدفنوا امعاؤه هناك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسة وقتلوا ذلك الكافر الذى ضربه وقطعوه بالخناجر وكان السلطان مراد المذكور رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان افنى عمره فى الجهاد وكان شجاعا مقداما على الهمة توفى وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وتسلطن بعده ولده (السلطان السعيد يلدرم بايزيدخان) وبعد جلوسه أخذ فى محاربة الصرب الذين كان ابوه يحاربهم وتقوت عساكره الى أن وصلت الى ويدين وتملكوا مدينة أسكوب والتزم ملك الصرب أن يزوج اخته للسلطان المذكور وأن يدفع خراجا سنويا ومن فتوحاته أنه استولى على جزيرة رودس وكانت للمسلمين فتملكها النصارى وتكرر انتزاعها منهم مرة بعد أخرى وآخر الامر انتزعها هذا السلطان منهم وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فتح السلطان المذكور قره طوه وهى معدن الفضة الخالصة التى لا نظير لها وفتح بلاد أسكوب وهى من أجل البلاد الاسلامية وفتح قلعة ويدين فخاف ابن آيدين من السلطان المذكور وسلم مفاتيح قلاعه اليه وفيها أطاع السلطان أهل بلاد قره سى وصاروخان وفيها هرب صاحب قسطمونى وهو ابن منتشا فأرسل السلطان من يضبط تلك القلاع ولما نقض العهد علاء الدين صاحب بلاد قرمان وبلغ السلطان انه أغار على بعض بلاد أناطولى هجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاى فأسر هو وابناه فنازل السلطان مدينة قونية وهى كرسى مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك الغلال فرسم السلطان بان لا يتعرض احد لشئ من الغلال وان لا يظلموا أحدا وأذن لاهل القلعة بان يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ما شاؤا فخرج اهل القلعة وأصلحوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه ارادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا الى انفسهم فقالوا ان ملكا بلغ منا هذا المبلغ لا ينبغى ان نعصيه ونخرج عن طاعته فحضروا برمتهم طائعين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا انت أحق بها واهلها فلما رأى اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهى عمدة بلاد قرمان رغبوا فى المتابعة بمفاتيح قلاعهم وهى بلدة آق سراى ونيكده وقيصرية ودولى قره حصار وسلموها الى السلطان المذكور ثم رجع الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة وبقيا الى ان اطلقهما الخارجى التيمور وفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وكلها كانت بيد السلجوقية وعمالهم وفى آخر هذه السنة بلغه ان صاحب قسطمونى أغار على بعض البلاد التى بيد السلطان بايزيد وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو الكفار الى طرف روم ايلى فترك الغزو ورجع لقتال صاحب قسطمونى فمات قبل ان يصل اليه السلطان بايزيد وتملك ابنه وأرسل الى السلطان يستعطفه ويسترضيه ويقول ان ابى قد جنى وقد مات وانا مطيع لأوامر مولانا السلطان ومن جملة مماليكه فالمناسب لعدله

أن لا يؤاخذ احدا بذنب غيره وارجوا من مكارمه ان يترك لى مدينة سيؤوب وهى مدينة ابى ومسقط رأسى و يجعلنى فيها نائبا عنه فاجابه السلطان الى سؤاله وعاد الى مدينة بروسة ثم أرسل السلطان بايزيد الى صاحب القسطنطينية يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها واما سرت اليك فاتيتك فى اعز مساكنك فخاف منه ملك القسطنطينية وتراسل معه الى ان قر الامر بينهما بانه يدفع خراجا فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يقضى لهم الخصومات فرضى بذلك وفعله واستمر ذلك الى وقعة تيمور فنقض العهد وأخرب الجامع وأخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر فى كتابه انباء الغمر فى أبناء العمر واشتهر يلدرم بايزيد بالجهاد فى الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الظاهر برقوق صاحب مصر وهاداه وأوفد اليه أميرا بعد أمير بالهدايا ولم يبق احد من ملوك الأرض حتى كاتبه وهاداه قال الحافظ وسمعت شيخنا ابن خلدون يقول انما يخاف ان تملك مصر من ابن عثمان وكذا كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل احد يساعدنى عليهم وانما اخاف من ابن عثمان والحاصل ان هذا السلطان افتتح أيالات كثيرة فى الأناطول وروم ايلى واستولى على مدينة سلانيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيوش الافرنج ثم وجه عزمه وهمته لفتح القسطنطينية وأخذ فى تدبير ذلك وشرع فى محاصرتها ثم قدر الله بمسير التيمور الى قتاله وفى سنة اثنتين وثمانمائة اجتمع كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان يلدرم بايزيد وساروا الى تيمور مستغيثين به يشكون اليه من السلطان بايزيد و يرغبونه الى المسير الى الروم و يستنجدون به عليه فى رد ممالكهم فأجاب تيمور سؤالهم وسار بجيوش كثيرة ووقع بينه و بين السلطان بايزيد مكاتبات كثيرة فلم يرجع عن قصده والكلام على ذلك قدتقدم عند ذكر تيمور مبسوطا وكان السلطان بايزيد محاصرا للقسطنطينية وقد قارب فتحها وأشرف عليه فتركها وتوجه بعساكره لقتال تيمور وكان غالب عسكر السلطان التتار فأرسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم و يذكرهم الجنس و يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة وكان تيمور قدنا انقورية فقصده السلطان والتقت الجيوش بقرب انقورية واشتد القتال فانهزم التتار ال[illegible] مع السلطان بايزيد فتبعهم كثير من العسكر فى الانهزام فانهزموا وبقى السلطان بايزيد يقا[illegible] بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه اسيرا وكا[ن] رحمه الله من خيار الملوك وكان مجاهدا مرابطا قدفتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار مالم يسها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوى النفس شديد البطش على الهمة ولما اخذ السلطان بايزيد اسيرا صحبه تيمور معه الى بلاد العراق قاصدا خراسان ومكث فى اسره الى ان توفى فى تبريز سنة خمس وثمانمائة ثم وقعت فتن كثيرة فى أراضى الروم بين أولا[د] بايزيد مع بعضهم واستمرت الى سنة ست عشرة وثمانمائة فتم الملك والسلطنة (للسلطان محمد الاول بن بايزيد) وكان أصغر اخوانه فالله سبحانه وتعالى يؤتى الملك من يشاء ولا يسئل عما يفعل وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحاربه (قره دولقشاه)

من التتار في نواحي اماسية فسار عليه وهزمه و بددشمله ثم قصد قتال صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم صاحب سينوب اقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ممالكه ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه في ملكه وفتح مدينة ازمير ونقل كرسي السلطنة الى ادرنة واتته رسل ملوك الافرنج بالهدايا والتهاني وعقدوا معه صلحا خوفا منه وأعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها ثم لما بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لاخذ بعض البلاد سار اليه بجيش عظيم فقاتله فهزمه وتبعه حتى أسره وولديه فاحضر بين يدي السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه واطلقهما وعين لهما بعض بلادهما واخذ عليهما العهد والميثاق ان لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان فيها قلعة صوري حصار وقلعة قيرشهر وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدي شهر وقلعة اوغازي وقلعة بني شهر وقلعة سعيد ايلي ثم سار واستولى على صامسون وغالب هذه البلاد وكانت قد افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى أصحابها فارتجعها منهم السلطان محمد المذكور وكان السلطان محمد المذكور ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو اول من عين الصرة لاهل الحرمين واستمر في ملكه ثمانية اعوام وعشرة اشهر وتوفي سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمانية واربعون سنة وعهد بالسلطنة لولده مراد الثاني وكان ولده المذكور اذ ذاك غازيا في اقصى بلاد روم ايلي فاخفى الوزراء موت السلطان محمد مدة احدى واربعين يوما حتى وصل ولده (السلطان مراد) الى مدينة بروسة واستقر على التخت ثم بعد ذلك اظهروا موت السلطان وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل ادعى انه مصطفى ابن السلطان يلدرم بايزيد وكان مصطفى المذكور فقد في محاربة التيمور فادعى انه هو وقام في نواحي سلانيك فاجتمع عليه خلق كثير واستولى على جميع بلاد الروم ايلي وعلى مدينة ادرنة ثم اجتاز البحر الى طرف اناطول ليقاتل السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل ذلك وزيره بايزيد باشا وصحبته عساكر كثيرة لقتال الخارجي المذكور فقاتلوه بقرب ادرنة فانتصر الخارجي وانهزم عسكر مراد وأسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجي فسار السلطان مراد بنفسه لقتاله بعساكر وافرة فقدر الله ان الخارجي المذكور أصابه الرعاف واستمر به ثلاثة ايام حتى ضعف جدا وجعل يخلط في الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك اركان دولته ووجوه عسكره تيقنوا اخذلانه فداخلهم الخوف فتفرقوا شذر مذر وهرب الخارجي مع ضعفه الى طرف روم ايلي فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا اخلف المنهزمين فأسروا منهم خلقا كثيرا وقتلوا اغالبهم وغنموا منهم اموالا ودواب كثيرة ثم امر السلطان بعض امرائه حتى لحق الخارجي بقرب ادرنة فظفر به فقتله وانتظم الامر للسلطان مراد وارتجع جميع ممالكه وكان حريصا على فتح القسطنطينية فقام بمائتي الف مقاتل وحاصرها حصارا شديدا فقاومه أهلها أشد مقاومة ثم رفع الحصار عنها ورجع الى دار ملكه لتسكين الفتن التي أضرمها الروم بتلك النواحي فقاتلهم حتى أخمد تلك الفتن واستخلص تلك المدن ومازال يتقدم حتى داخل بلاد المورة فلما ذاع عند الفرنج خبره نهض البابا وعقد عهودا بين

ملوك الافرنج على محاربته فأجابه الى ذلك الفرنسيس وجرمانيا والمجر وبولونيا فكان بينه وبينهم حروب كانت الغلبة فى بعضها لهم وفى بعضها له ثم عقد معهم صلحا سنة سبع واربعين وسبعمائة وفى سنة تسع واربعين نزل السلطان مراد عن السلطنة لولده السلطان محمد وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فانتقل اليها واعتزل عن الملك وشاع هذا الخبر فى الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبى صغير لايخشى منه فاتفق قرال انكروس وقرال الالمان وقرال چه وقرال له وأمير لاطين وأمير بوسنة وصاحب افلاق وبغدان وطوائف الافرنج على قتال المسلمين وان لايدعوا من بلاد الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك اركان الملك خافوا واستصوبوا ان يدعوا السلطان مراد من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطالما أنكى الكفار فأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلونى فلم يزالوا يدخلون عليه حتى رضى

ذكر غزوة عظمى

وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر كل الفريقين على الآخر وانهزم المسلمون وجعل الكفار يطاردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مراد خان فى القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يده الى الله تعالى وسأله النصر والعون وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى اغتر قرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره فانفرد وجعل يدعو السلطان مراد للمبارزة ثم هجم على المسلمين فتقنطر به فرسه فسار اليه المسلمون فقتلوه وجزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم ثم سرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسرى فلا تحصى ولا تحصر ثم ان السلطان مراد لما رجع من الغزو أمضى سلطنة ولده السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال الى أن تحرك طائفة الينكجرية وعاثوا وكبسوا بيوت الأمراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك فى سنة خمسين وثمانمائة

ذكر غزوة اخرى

فعند ذلك رأى الوزراء وسائر اركان الملك أن يعيدوا السلطان مراد الى الملك ليسترهبوهم فطلبوه وأجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد الى مكان ابيه مغنيسا وبقى بها الى أن توفى ابوه فجلس بعده على تخت السلطنة واستمر السلطان مراد يغزو حتى استولى على معظم بلاد الكفار وسار الى بلاد المورة وباقى الاقاليم المجاورة لها فأخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على آثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين الارنوط والمجر الى أن توفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة وعمره تسع واربعون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكان ملكا جليلا صالحا يعتنى بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وكان مقداما فاتكا شجاعا كريما واسع العطا عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ذهبا

والشرفاء من خزينته فى كل عام مثل ذلك رحمه الله تعالى وأوصى ابنه محمدا ان يهتم بفتح القسطنطينية و يوجه اليها جنوده فتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثانى) فاتح القسطنطينية وهو السلطان الطايل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية فى صفحات الليالى والايام ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن كان عمره تسع عشرة سنة فخرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه

﴿ ذكر فتح القسطنطينية ﴾

ثم لم يكن له هم الا فتح القسطنطينية فشرع فى مهماتها ومقدماتها وهى من اعظم البلدان وأكبرها اهلا وأمنعها حصنا لانه أحاط بها البحر من كل صوب الا الطرف الغربى وهو طرف بر وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع ما فيها من المكاحل والمدافع فأظهر السلطان مسالمة صاحب القسطنطينية وذلك فى سنة ست وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده ارضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك صاحب القسطنطينية وقال سبحان الله ما يفعل به فهو له فارسل السلطان المزبور جماعة من البنايين والصناع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر نيطش وهو البحر الاسود الى بحر الروم فقدوا جلد الثور قدا رقيقا فبسطوه على وجه الارض على اضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذى احاطه ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وحصنا رفيعا باذخا وركب فيه المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان فى مقابلة ذلك الحصن فى برانا طولى حصنا آخر وهو فى طرف بلاده فشحنه بالآلات النارية والمرامى الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر يسلكه بعده شئ من مراكب البحر الاسود الى القسطنطينية والى بحر الروم ثم وجه عزمه الى مدينة ادرنة فامر بانشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا فى بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل المكاحل لأجل فتح القسطنطينية فأكثروا منها ثم لما تكاثرت الآلات وتكاملت الاسباب المتعلقة بالقتال قدر الله ان انتقضت المسالمة التى كانت بينه وبين ملك القسطنطينية لاسباب جرت فارسل ملك القسطنطينية يتهدده بكلام غليظ فكان ذلك سببا للاستعداد لقتاله وقوة عزمه على ذلك ولما علم ملك القسطنطينية بعزمه على قتاله ارسل الى ملوك الافرنج يستنجدهم ووعدهم بضم الكنيسة الرومية الشرقية الى الكنيسة الرومانية الغربية ففرح البابا بهذا الخبر وكان يتمناه وارسل له نجدة من عساكر ملوك الافرنج فلم يجد ذلك نفعا اذ لم يكن للروم اهتمام بهذا الحرب لكراهيتهم ضم الكنيستين معا ومن ذلك الوقت جرت البغضاء فى قلوبهم لملك القسطنطينية وتخلوا عنه فى المدافعة والمحامات حتى قال بعض اكابرهم أحب ان ارى فى القسطنطينية تاج السلطان ولا أرى اكليل البابا فنهض فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعسكر كثير وجيش كبير يبلغ مائتين وستين الفا بعزم صارم ورأى حازم فى اسعد أوقات الحركات متوكلا على فايض الخير والبركات فخيم على القسطنطينية

ونازلها من طرف الشمال وكان له اربعمائة غراب قد انشأها هو وابوه قبل ذلك التاريخ فأرساها عند الحصن الذى أنشاه على مقدار جلد الثور المرسوم ببغازكسن فأمر بتلك الاغربة فسحبت الى البر بعدان جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالعجلة وشحنها بالرجال والابطال ثم امر بنشر قلاعها فنشرت فى ريح شديدة موافقة فساروا فى البر على هذه الهيئة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالى البلد من طرف مدينة غلطة فامتلأ الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فصارت جسرا ممدودا ومعبر الطيفا وكان اهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصنوها وانما كان خوفهم من جهة البر فكانوا احصنوها وغفلوا عن هذه الجهة لأمر يريده الله تعالى فشرع المسلمون فى الحصار والقتال من جهة البر والبحر مدة احدى وخمسين يوما حتى أعيى المسلمين امرها وما زالوا مصابرين الحصار والقتال فجمع ملك القسطنطينية اعيان الامراء والقواد لما اشتد عليهم الامر واخذ يحرضهم على القتال وبعد خطاب طويل اخذوا بالبكاء والعويل وعانق بعضهم بعضا بقصد الوداع ثم قصدوا الاسوار وتحصنوا فيها

﴿ ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد فتحها ﴾

فلما كان اليوم التى فتحت فيه وهجم العساكر العثمانية ودخلوها قاتل ملكهم قتالا شديدا الى ان قتل فى المعركة وقتل معه خلق كثير فدخلها المسلمون وأسروا أهلها وأحرقوا مكاتبها يقال ان عدد مافقد منها مائة وعشرون الف مجلد وكان السلطان محمد قد أرسل وزيره احمد باشا بن ولى الدين باشا قبل هذا التاريخ الى خدمة العارف بالله الشيخ آق شمس الدين والى خدمة الشيخ آق بيق يدعوهما للجهاد والحضور معه فى فتح القسطنطينية فحضرا وبشر الشيخ شمس الدين الوزير المذكور بالنصر وقال ستفتح ان شاء الله تعالى قسطنطينية على يد المسلمين فى هذا العام وانهم سيدخلونها من الموضع الفلانى فى اليوم الفلانى من هذا العام وقت الضحوة الكبرى وانت تكون حينئذ واقفا عند السلطان محمد فبشر الوزير السلطان بما بشر به الشيخ من خبر الفتح فلما كان ذلك الوقت الموعود به ولم تفتح القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب الى الشيخ فمنعوه من الدخول اليه لانه أوصى جماعته ان لايدخلوا عليه احدا فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظر فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكى فما رفع الوزير رأسه من أطناب الخيمة الا وقد قام الشيخ على رجليه وكبر وقال الحمد لله الذى منحنا فتح هذه المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة دعائه فى ذلك الوقت الذى كان اشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطباق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولى الدين واقف عنده فقال هذا ما اخبر به الشيخ وقال مافرحى بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الشيخ فى زمانى ومن مناقب هذا الشيخ انه كان طبيبا يداوى الابدان كما هو طبيب لداء الارواح يحكى ان الاعشاب كانت تناديه وتقول له انا انفع للمرض الفلانى وكان فتح مدينة القسطنطينية

نهار الاربعا العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكانت ايام محاصرتها احدى وخمسين يوما فغنم المسلمون من الاموال والاسباب والدواب مالم يسمع بمثله فى عصر من الاعصار لان السلطان لما شاهد العى والفتور من العسكر فى الحصار امر بان ينادى ان الغنائم كلها لهم ويكفينى فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح فى الآفاق هابه ملوك العالم فأرسل اليه صاحب مصر وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولاشك ان هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا هممهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وأفنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه وانما حباه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه اخلصهم نية وطوية واحسنهم سيرة وضمن بعضهم هذا المعنى فى تاريخ الفتح فقال

☼ رام أمر الفتح قوم أولون ☼ حازه بالنصر قوم آخرون ☼

وقع لفظ آخرون تاريخا لفتح المدينة المذكورة بعدد حساب الحروف ٨٥٧

وقيل فى تاريخها ايضا بلدة طيبة ٨٥٧ بحساب كل تاء مربوطة باربعمائة وذلك جائز عن بعضهم وهى كذلك فى طيب الهوا ولما دخل السلطان مدينة القسطنطينية سارع بالتوجه الى كنيستها العظمى اياصوفيا فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحده وأثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وعين له اوقافا ومرتبات ثم ان السلطان محمد التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه فقال الشيخ انى شاهدت فى موضع نورا لعل قبره هنالك فجاء اليه وتوجه زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهنانى بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذى خلصتمونى به من ظلمة الكفر فاخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هنالك وقال ألتمس منك يامولانا الشيخ ان تريني علامة أراها بعينى ويطمئن بذلك قلبى فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا فى هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبرانى فلما حفروا اظهر رخام عليه خط عبرانى فقراه من يعرفه وفسره فاذا هو قبر ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه فغلب على السلطان محمد حال حتى كاد يسقط لولا أن مسكوه ثم أمر ببناء قبة عليه وقد روى الامام احمد باسناد حسن فى مسنده والحاكم عن بشر الغنوى لتفتحن بالبناء للمفعول القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها وهذا الحديث من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته لان فيه الاخبار بالغيب ووقع كما اخبر صلى الله عليه وسلم وهو صادق على السلطان محمد خان هذا وعلى جيشه وان كان الغزو الى القسطنطينية وقع فى زمن الصحابة ومن بعدهم وافتتحوا طرفا منها فى خلافة معاوية رضى الله عنه فى الغزوة التى استشهد فيها ابو ايوب الانصارى رضى الله عنه ثم استرجع الروم الطرف الذى افتتح فى ذلك الزمن فالفتح التام انما هو هذا الذى كان فى زمن السلطان محمد الفاتح ففى الحديث منقبة عظيمة له وروى الامام احمد والبخارى ومسلم عن ام حرام بنت ملحان رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول جيش من أمتى

يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فهذا يحمل على أول غزوة وجهت للقسطنطينية وهي التي كانت في زمن معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين من الهجرة وكان فيها كثير من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وغيرهم رضي الله عنهم وكان في ذلك الجيش يزيد بن معاوية قيل كان هو امير الجيش وقيل كان الامير سفيان بن عوف وقوله مغفور لهم مشروط بكون المغفور له منهم من أهل المغفرة بان يموت مؤمنا فلو ارتد واحد والعياذ بالله من ذلك الجيش ومات كافرا كان خارجا من عموم تلك المغفرة وهكذا يقال في كل حديث يذكر فيه أن من فعل كذا غفر له أو دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان ومثل ذلك قد يرد في كلام بعض الاولياء بأن يقول أحدهم مثلا من رآني دخل الجنة أو من اكل طعامي دخل الجنة فان ذلك مشروط بالوفاة على الايمان فلا يشكل عليك شيء من ذلك وبنى السلطان محمد عند قبر ابي ايوب جامعا عظيما وبعد تمام بنائه ذهب اليه بموكب عظيم وأقام الصلاة فيه وقلده الشيخ شمس الدين سيفا بيده ومن ذلك الوقت جرت العادة ان السلطان الذي يجلس على تخت الملك يذهب الى هذا الجامع ويتقلد بالسيف وهو بمنزلة التتويج عند ملوك النصارى

﴿ ذكر الغزو الى بوسنة ﴾

وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد بوسنة بعسكر كثير وقاتلهم أشد قتال واستولى على عامة بلادهم ولم يقم للكفار قائم بعد ذلك هناك وفي سنة احدى وستين وثمانمائة وجه همته الى افتتاح جزيرة رودس فتهدد اهلها وطلب منهم الخراج فامتنعوا وأرسلوا الى البابا صاحب رومية يستنجدون به فاخذ يحث ملوك الافرنج على محاربة الدولة العثمانية فلما بلغ السلطان محمد هذا الخبر نهض بمائة وخمسين ألف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كاد يفتحها فأخذ احد الرهبان غيرة شديدة وصار يحث المسيحيين على المدافعة عن تلك المدينة فاستمال نحو اربعين الفا من العساكر النمساوية وقادهم قائد من المجر فأضر بالسفن العثمانية بواسطة هذه النجدة واستمر السلطان محمد اربعين يوما وهو يكرر الهجمات على المدينة المذكورة ثم ارتحل عنها واما قائد جيشهم الذي هو من المجر فجرح جرحا بليغا هلك به وبعد هذه الغزوة زحف السلطان محمد على ولاية أتينا من بلاد اليونان ففتح دوكة أتينا وهي المدينة الشهيرة فيها

﴿ ذكر الغزو الى بلاد الصرب والبوسنا والارنا ووط ﴾

وفي سنة ثلاث وستين وثمانمائة توجه الى بلاد الصرب وفتح فيها فتوحات وفي سنة ست وستين فتح ايالة طرابزون وولاية سينوب واتى بصاحبها أسيرا الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد وكان له اولاد ثمانية فقتلهم معه وكان صاحب سينوب يكاتب ملك العجم ويعينه على السلطان محمد وفي سنة سبع وستين وثمانمائة توجه الى اتمام تملك اقليم البوسنا وشن الغارات على ولايات الافلاق والبغدان والصقالبة ثم صوب عزيمته الى فتح بلاد الارنوط وهم صنف من النصارى يصبرون على المحن ويتكلفون الاعمال الشاقة قيل اصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعدما أتى الله بالاسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد وقيل اصلهم من البربر عبروا

البحر من الغرب الى هذا الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا فدخل السلطان بلاد الارنوط فنهبها واستولى على عدة قلاع هنالك وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هنالك كالسد بيننا و بين الكفار وشحنها بالرجال وسماها آق حصار وأودع فيها من المدافع والمكاحل ما يقيها وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة غضب السلطان محمد على صاحب قونية ولارندة فانتزع منه ولاية قرمان وجعل فيها ابنه السلطان مصطفى ثم استولى على قلاع عاصية هنالك مثل قلعة اركلى وقلعة آق سراى وقلعة كولك وقلعة كولى وجعل الجميع لابنه المذكور وفي سنة خمس وسبعين فتح جزيرة ارغبوز من اعمال البندقية بعد أن أوقع بأهلها وقتل أكثرهم ثم استولى على بقية بلاد الارنوط بأسرها

﴿ ذكر اغراء العجم والتتر على الاغارة والنهب ﴾

وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة بعث صاحب العجم حسن بك الطويل و يوسفجه بك مع عسكر التتر الى نهب بلاد العثمانيين فجاؤا ونهبوا مدينة توقات وأضرموا فيها النار وأغاروا عليها ثم اغتر يوسفجه بك فهجم على بلاد قرمان وأغار عليها وكان واليها يومئذ السلطان مصطفى بن السلطان محمد وكان في غاية من الشجاعة فقاتل العدو فهزمه وأسر رئيسهم يوسفجه بك وكبله في الحديد وأرسله مع عدة من الاسارى الى أبيه السلطان محمد فكان ذلك عنوان الفتح ومقدمة النصر وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة وقع قتال بين السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وبين زينل شاه ولد حسن الطويل فانتصر عليه السلطان مصطفى وانهزم جيشه وصارت الجيوش العثمانية يطردونهم و يقتلونهم و يأسرونهم وظفر بزينل شاه فقتله ثم سار مصطفى الى قره حصار الشرقي وهي من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وأدرجها في جملة ممالكه وفي هذه السنة بعث السلطان محمد وزيره كدك احمد باشا لفتح بلاد كفة فحاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح هنالك عدة حصون وقلاع

﴿ ذكر الغزو الى البغدان ﴾

وفي سنة تسع وسبعين سار السلطان محمد الى قتال كفار البغدان فخاف منه كبيرهم (استفان) فهرب الى اقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان وتوغل فيها وقتل من قدر عليه فكانوا خلقا لا يحصى وأسر وسبى ونهب حتى اذعن رئيسهم استفان المذكور بالطاعة وأعطى الجزية وفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فأرسل اليها اساطيل بحرية مشحونة بمائة الف مقاتل فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة اشهر فلم يتيسر فتحها لأنها كانت حصينة ثم ارتحلوا عنها وفي سنة ست وثمانين جهز جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرس والآخر لقتال العجم ثم أدركته الوفاة قبل تمام الأمر فتوفي في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه استقلالا بعد وفاة أبيه احدى وثلاثون سنة وشهران وكان ملكا جليلا يعجز الواصفون عن مقدار فضائله ومحاسنه وكانت همته لا تكل ولا تعجز ولا تفتر عن الفتوحات رحمه الله تعالى قال العلامة القطبي عن بعض اوصاف السلطان محمد المذكور وللمرحوم المقدس قلادات منن

لاتحصى فى أعناق المسلمين لاسيما العلماء الأكرمين قلدها فى أجيادهم فهى باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه لشحنت بها مجلدا أسكنه الله تعالى فسيح الجنان وأنزل على قبره سحائب الرحمة والرضوان وتسلطن بعده ولده (السلطان بايزيد الثانى) ونازعه اخوه السلطان جم ووقع بينهما حروب يطول الكلام بذكرها وكان الانتصار للسلطان بايزيد واستقر الملك له وكان رحمه الله ملازما للغزو فى سبيل الله مظفرا على اعداء الله محبا لفعل الخيرات مكرما للعلماء والصلحاء وفى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة سار بعساكره الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلى وقلعة آق كرمان وفيها ايضا فتحت قلعة ملوان وقلعة متون وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كوكلك والحاصل انه استولى على كثير من بلدان البغدان وغيرها مما فى تلك الأطراف وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد البوسنة فظفر بملكها (درنجيل) وقيده فى وثاق وأرسله الى السلطان بايزيد وفى سنة تسعمائة وثلاثة بعث جيوشا الى بلاد الأرنوط برا وبحرا وخرج فى أثرها بنفسه ومعه ايضا جيوش كثيرة قاصدا بلاد الصرب وبلاد الأرنوط وحارب فى تلك الغزوة بولونيا وأوقع بها واستولى على جانب عظيم منها وأخذ منها عشرة آلاف أسير ثم عاد البهامرة ثانية فنكبها نكبة عظيمة وفى سنة خمس وتسعمائة سار السلطان بايزيد بعساكره فاستولى على قلعة اينه بختى وعلى قلعة قرون وكان السلطان بايزيد بن السلطان محمد من المجاهدين فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فما زال غازيا فى سبيل الله مظفرا على أعداء الله فكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة اهل الضلال خاسئة مقموعة وكان محبا لنيل الخيرات مثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا للعلماء والمشايخ والأولياء من أهل الكرامات ودخل فى طريق السادة الصوفية ودخل الخلوة وجلس الاربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ولما دخل الخلوة كان معه والد مولانا ابى السعود المفسر وهو مولانا الشيخ محيى الدين افندى وبنى السلطان بايزيد المذكور الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانقات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتى الاعظم ومن فى رتبته من العلماء العظام فى زمنه فى كل عام عشرة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرس الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد فى كل عام سبعة آلاف عثمانى ولمدرس شرح المفتاح لكل واحد أربعة آلاف عثمانى ولكل واحد من مدرس شرح التجريد ألفى عثمانى وكذلك رتب لمشايخ الطريق الى الله تعالى من أهل الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه وهذا غير كسوة الصيف من الأصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفرا والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا جاريا مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم صرا فى كل عام غير ما كان مرتبا من آبائه الكرام وكان يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين فى كل سنة اربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها الآخر على فقهاء المدينة ولم يكن حكم الحرمين فى ذلك الوقت عنده فكانوا يتسعون بها ويرتفقون بها ويدعون له فكان ذلك من أسباب تسهيل دخول أهل الحرمين تحت طاعة ولده السلطان سليم كما سيأتى

(ان شاء الله)

ان شاءالله تعالى وكان اذا ورد عليه احد من أهل الحرمين يكرمه و يحسن اليه و يرجع من عنده بصلاة عظيمة ومواهب جزيلة

﴿ ذكر ظهور اسماعيل شاه سلطان العجم ﴾

مما كان من العجائب في زمن السلطان بايزيد بن السلطان محمد ظهور اسماعيل شاه في بلاد العجم وكان ظهوره واشتهار أمره سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب فانتشر أمره وفتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد كثير من الخلق وصار يدعوا الناس الى الانحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأزال من قلوبهم حسن الاعتقاد والله تعالى يفعل في ملكه ماأراد وظهر من اتباع اسماعيل شاه شيطان تولى بالروم أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وقويت شوكته وعظم على المسلمين فتنته فأرسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغي فاستشهد على باشا في ذلك القتال ولكن قتل الله ذلك الباغي وانهزم من كان معه من الجنود وقتل كثير منهم وكفى الله شر أولئك الاشرار وذلك سنة تسعمائة وخمس عشرة واسماعيل شاه المذكور هو اسماعيل بن حيدر ابن جنيد بن ابراهيم بن سلطان خواجه بن على بن صدر الدين موسى بن صفى الدين اسحاق الاردبيلي وكان أهل هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة الى الشيخ صفى الدين الاردبيلي المذكور آنفا وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل الولاية والصلاح والمشايخ ارباب الطريق والسلوك والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهى الى الامام احمد الغزالى اخى الامام محمد حجة الاسلام الغزالى وقيل ان لهم نسبا ينتهى الى موسى الكاظم وكان جدهم الشيخ صفى الدين له شهرة كبيرة في مشيخة الطريق وتوفى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم صارت المشيخة في ولده صدر الدين ثم في ولده على ثم في ولده سلطان خواجه ثم في ولده ابراهيم ثم في ولده جنيد ثم في ولده حيدر ولما كانت المشيخة في جنيد كثر اتباعه ومريدوه واشتهر امره وانتشر صيته وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والاتباع وكان جهانشاه التركمانى صاحب شروان واذربيجان متغلبا على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة اتباعه وخشى أنه يتغلب عليه وينتزع الملك منه فأخرج جنيد اى ومن معه من اردبيل فتوجهوا الى ديار بكر ثم قوى امرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضا سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه ومنهم ابنه اسماعيل شاه وكان صغيرا واستمر محبوسا هو واخوانه وهرب بعض اخوانه من الحبس سنة ثمانمائة وست وتسعين ثم هرب اسماعيل شاه سنة تسعمائة وستة وعمره ثلاث عشرة سنة واجتمع عليه خلق كثير بعد خروجه من الحبس كانوا يعتقدون الخير في ابيه حيدر فغير اعتقادهم الى مذهب الرافضة فقصد بجموعه الأخذ بثار ابيه وجده وكان قد رفض مذهب آبائه وأهل بيته وتمذهب بمذهب الرافضة تعلم ذلك وسرى اليه وهو صغير حين كان في الحبس قيل في تاريخ ظهوره مذهبنا حق ٩٠٦ سمع ذلك بعض أهل السنة فقال مذهب ناحق على

النفي فان نا في الفارسي اداة نفي فقاتل بمن اجتمع معه شروان شاه وكان كلما سار منزلا كثرت جنوده فنازلوا شروان شاه وقاتلوه فهزموه ثم أسروه فأتوا به الى اسماعيل شاه فأمرهم أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمرهم وأكلوه ثم قاتل بمن معه من الجند ملوك العراق وخراسان الذين كانوا متغلبين على الممالك في تلك الازمان من التركمان وغيرهم فما كان يهزم له جيش ولا يتوجه الى بلاد الا ويفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب اموالهم الى أن ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان وتعاظم أمره حتى كاد يدعي الربوبية وكان ظالما غشوما أفنى وأباد من الامم بالقتل مالا يحصى من العدد وكان عسكره يسجدون له اذا خرج اليهم ويأتمرون بأمره قال العلامة القطبي في تاريخه قتل خلقا لا يحصون ينوفون على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية من القتلى ولا في الامم السابقة مثل ماقتله اسماعيل شاه وقتل من أعاظم العلماء خلقا كثيرا ولم يبق احدا من علماء اهل السنة الذين كانوا في بلاد العجم وأحرق كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف اهل السنة وكان كلما مر بقبر من قبور العلماء والمشايخ يأمر بنبشه واخراج عظامه ثم يحرقها واذا قتل اميرا من الامراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر ومن جملة خرافاته المضحكة الدالة على سخافة عقله الناشئة عن تكبره وتجبره انه جعل كلبا من كلاب الصيد اميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والكواخي والسماط والاوطاق والفراش الحرير وجعل له سلاسل من ذهب ومرتبة ومستندة يستند اليها كالامراء وأقام لخدمة ذلك الكلب جملة من خواص خدمه ومن تكبره وطغيانه أنه أسقط مرة من يده منديلا الى البحر وفعل ذلك قصدا وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فصار عسكره واتباعه وخدمه يلقون أنفسهم في البحر خلف المنديل ليأتوه به تقربا اليه او ليلتمسوا بركة المنديل الذي مسته يده حتى أحصي من رمى نفسه منهم فكانوا نحو ألف صاروا يتخبطون في البحر حتى غرقوا قيل انهم كانوا يعتقدون فيه الالوهية ٨ وأنه لا ينهزم له جيش الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي كانوا يعتقدونها فيه ومما يحكى عن اسماعيل شاه سلطان العجم انه كان في ابتداء أمره تنهزم جيوشه ولا يثبت هو ايضا للقتال بل ينهزم معهم فاتفق انه اجتاز مرة بامرأة وهو متنكر فأضافته هو ومن معه وقدمت لهم طعاما حارا في صحفة فشرع الشاه اسماعيل يأكل من وسط القصعة وهي حارة والمرأة تنظر اليه فقالت له ما أشبهك ايها الرجل الا باسماعيل شاه الذي ظهر في هذا الزمان فانه يريد أن يقصد وسط الدولة محل الشوكة والقوة فيأخذه وذلك خطأ فينبغي له ان يأخذ أطراف البلاد ليبرد الوسط فأنت كل من الاطراف حتى يبرد الوسط ثم كل منه فتنبه من قولها وعمل باشارتها فصار يقاتل اطراف الممالك حتى صار له ماصار وملك جميع اقاليم العجم وبواسطته انتشر التشيع وظهر في العجم وسلاطين العجم الموجودون الى وقتنا هذا من ذريته وسيأتي ذكر ماوقع بينه وبين السلاطين العثمانيين من القتال وكذا ماوقع بينهم وبين ذريته وانما أطلت الكلام في بيان احوال اسماعيل شاه واصوله ليعلم من ذلك ان كثرة بغيه وطغيانه من جملة الاسباب التي دعت السلطان سليم الى قتاله الذي سنذكره مع ما نضم الى ذلك مما كان بينه وبين السلطان سليم

٨ أي بالحلول كقول النصارى في عيسى عليه السلام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اه مؤلفه

(من)

من العداوة التي سنذكر اسبابها

﴿ ذكر الحرب والقتال الذي كان بين السلطان بايزيد وولده سليم ﴾

لابد قبل ذلك من ذكر الاسباب الألهية الخفية التي كانت بتقدير الربوبية ليعلم بذلك ان الاسباب الظاهرية لابد معها من اسباب خفية قدرها الله تعالى من الازل قال العلامة القطبي في تاريخه ان منجما حاذقا كان في عصر السلطان بايزيد الثاني قد أطلعه الله على امر يتعلق بالسلطان بايزيد فاخبره به وهو ان هلاكه وذهاب ملكه يكون على يد مولود يولد له وكان السلطان بايزيد قد ولد له اولاد قبل اخبار المنجم وكان اخباره له بذلك قبل ان يولد السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد امرأة كانت معتمدة عنده بيدها امر جواريه الموطوآت وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات فقال لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن صبيا فاقتليه ولاتبقيه حيا واذا ولدت انثى اتركيها لتعيش مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى ان ولدت واحدة منهن صبيا فلما رأته امه التي ولدته حزنت عليه لكونه تخنقه القابلة فلما تناولته القابلة لتخنقه رأته صورة جميلة ووقع حبه في قلبها فرقت له وقالت في نفسها باي وجه ألقى الله تعالى اذا قتلت هذا الطفل والله لاأقدم على قتله فأظهرت انه بنت وقالت للسلطان ابايزيد انه حصل له من فلانة بنت جميلة حسنة الصورة فلما اخبرته بذلك سماها سليمة واستمر الامر على ذلك والحال مكتوم لايعلمه الا الله تعالى والقابلة وام الولد وصار كلما كبر وانتشا تظهر عليه اوصاف الذكور من الاستيلاء والغلبة والقهر واذا اجتمع بالبنات وجلس بينهن لطم من كان منهن الى جانبه ونهب ماوجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وغير ذلك وكن يحذرن منه فدخل السلطان بايزيد يوما الى داخل السرايا وكان يوم عيد واستدعى بناته وأجلسهن بين يديه وامر ان توضع بين يدي كل واحدة منهن انواع الحلوى والفواكه وحضر معهن ذلك الغلام المسمى سليمة فشرع في فعل ما كان يفعله مع البنات من الخطف والنهب والضرب وكلهن خائفات منه هائبات له فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمله جدا ويفكر في أمره وفي اثناء ذلك دار بينهن يعسوب كبير وأردن ان يمسكنه فعجزن وهو يلسع من يريد امساكه فهربوا منه فهابوه فمد الغلام المسمى سليمة يده اليه وهو طائر فأمسكه ومرسه وعفصه ورماه من يده فازداد تعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لايكون بنتا اكشفوا الى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها كيف خالفتي امري وماقتلتيه فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم ولاذنب له فتفكر طويلا ثم قال ماقدره الله فهو كائن لامفر عنه وأمر بتربيته وان يلبسوه لباس الذكور وسماه سليما الى ان كان من امره ما كان والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون والله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا ولما أراد الله ابراز ماأراده وقدره من الازل من ذهاب ملك السلطان بايزيد على يد ولده سليم انشأ سبحانه وتعالى اسباب الحرب والقتال بينهما بايجاد اسباب لاتحكم العقل فيها بانها ينشأ عنها الحرب والقتال وذلك ان السلطان بايزيد شاخ وكبر سنه وتعطلت رجله عن الحركة

بعلة النقرس فأراد النزول عن الملك لولده احمد وكان اكبر اولاده واحبهم اليه
قد جعله قبل ذلك اميرا ماسية ثم جمع الوزراء واعيان الدولة وعهد اليهم بان ولده احمد ولى
عهده فاغتاظ سليم من ذلك وعزم على الخروج على ابيه وعلى خلع طاعته وقتاله وكان
قد ولاه ابوه ادرنة فجمع العساكر وتوجه بهم الى القسطنطينية مظهرا انه يريد زيارة ابيه
وتقبيل يده وانه راض بما يصنعه ابوه من جعل اخيه احمد ولى العهد وانه ليس له غرض فى الملك
واطلع ابوه بقرائن الاحوال على مراد ولده سليم وانه انما يريد السلطنة والملك فنهض
السلطان بايزيد من القسطنطينية بعساكره وخرج مستقبلا ولده المذكور فلاقاه بين
القسطنطينية وادرنة والتقى الجيشان ووقع القتال بينهما بقرب ادرنة وجرى بينهما حرب
شديد ثم انجلى الامر عن هزيمة سليم وانتصار ابيه عليه واراد العسكر ان يطرد واخلف سليم
ليقبضوا عليه فمنعهم ابوه السلطان بايزيد وقال اتركوه لعله ينصلح وتوجه سليم هاربا وركب
البحر وقصد بلاد كفة فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد الى ولده احمد يدعوه الى ان يقلده
الملك وينزل له عن السلطنة حالا فامتنع وقال لا يمكن ان يقبل ذلك فى حياة والده تعظيما
لوالده وقال ايضا انه يخاف من عسكر الانكشارية لان هواهم ورغبتهم فى سليم فلما علم ابوه انه
ليس لابنه احمد نصيب فى الملك وان الملك لله يؤتيه من يشاء وخاف على الملك ان يتغلب عليه
اجنبى ارسل الى ولده سليم يدعوه لينزل عن الملك ويسلمه اليه فقدم سليم بالرأى الحازم
والسيف الصارم حتى قرب من القسطنطينية فأمر السلطان بايزيد العساكر ووجوه الامراء
والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالملك ولما دخل على ابيه قبل يده فدعا له بخير وسلمه الملك
وأوصاه باشياء تليق بالسلطنة ثم أمر من يومه بتجهيز أسباب السفر لابيه للاقامة بمدينة
دمتوقة وقال السيفان لا يجتمعان فى قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد ببعض الطريق
رام ان يتوضأ لصلاة الظهر فوضعوا له السم فى الماء فلما توضأ تساقط شعر لحيته فأحس
بذلك فقال ردونى فردوه فتوفى قبل ان يصل الى القسطنطينية ثم حمل اليها ودفن بها امام
مدرسته التى انشأها بالمدينة المذكورة وكان مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الا اياما لان وفاته
سنة ثمان عشرة وتسعمائة وولايته كانت سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اثنتان وستون سنة
لان مولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وله رحمه الله مناقب كثيرة تقدم بعض منها ومن مناقبه
انه كان يجمع فى كل منزل حل فيه من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا أجله أمر
بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وامر بان توضع معه فى القبر تحت خده الايمن ففعلوا
ذلك فكأنه اراد بذلك نحوى قوله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرم
الله عليه النار ولما توفى السلطان بايزيد المذكور (واستقر ابنه سليم على تخت الملك)
نازعه فى ذلك اخوه احمد وقصد كل منهما الآخر سنة تسع عشرة وتسعمائة بجيش عظيم
فتقاتلا امام مدينة ينى شهر فانتصر السلطان سليم وامر باخيه احمد فخنق وكان اسماعيل شاه
سلطان العجم المتقدم ذكر ترجمته يتعصب للسلطان أحمد ويحامى له فلما خنق أحمد هرب بعض اولاده
والتجؤا الى السلطان الغورى وبعضهم الى اسماعيل شاه فأرسل له السلطان سليم يطلب منه ان
يسلمهم اليه فامتنع فكان ذلك من اسباب قيام الحرب والقتال بين السلطان سليم واسماعيل شاه

مع ما تقدم من انتشار ظلم اسماعيل شاه وسفكه الدماء واهلاكه الحرث والنسل وكان للسلطان بايزيد ايضا اولاد غير أحمد نازعوا سليما وقاتلوه فانتصر عليهم ولا حاجة بنا الى ذكر ذلك

﴿ ذكر الحرب بين السلطان سليم واسماعيل شاه سلطان العجم ﴾

ذكر كثير من المؤرخين ان السلطان سليم كان سلطانا قاهرا قوى البطش عظيم القتل كثير الفحص عن اخبار الناس شديد التوجه الى اهل النجدة والبأس عظيم التجسس عن اخبار الممالك عارفا بمسالك الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس فى الليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفى الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له فى مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمعه بعد الوثوق منهم ولما استقر له الملك بعد قتال اخوته وانتصاره عليهم شرع فى قهر الملوك والاستيلاء على الاقاليم والممالك وبدأ بقتال شاه اسماعيل بن حيدر الصفوى وكان ذلك سنة عشرين وتسعمائة وكان السبب فى قتاله ان بعض اولاد اخى السلطان سليم التجأ الى اسماعيل شاه فأرسل يطلبه منه فامتنع مع ما انضم الى ذلك من بغى اسماعيل شاه وطغيانه وافساده فى الارض حتى أهلك الحرث والنسل كما تقدم بيان ذلك فى ترجمة اسماعيل شاه فتوجه السلطان سليم من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال اسماعيل المذكور فالتقيا فى مكان يقال له جالدران وكان جيش السلطان مائة وار بعين الفا فى اول خروجه من مقر سلطنته ثم اردفهابار بعين الفا ولما التقى الجيشان اشتد القتال بينهما ثم انهزم عسكر العجم هزيمة قبيحة واستولى عسكر السلطان سليم على خزائنهم واموالهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا القليل وفر اسماعيل شاه وتحصن بشواخ الجبال واستولى السلطان سليم على خزائنه وأمواله وخيمه ونسائه ومنع العسكر من المسير خلف المنهزمين ودخل السلطان سليم مدينة تبريز وهى كرسى مملكة العجم وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وكان مراده ان يطيل الاقامة ببلاد العجم ليفتح جميع بلادهم ويدخلها فى ملكه ويرتبها لكن اشتد عليه الغلاء لان السلطان الغورى قطع الميرة عن السلطان سليم ومنع السائرين بها اليه لانه كان بينه وبين اسماعيل شاه صداقة ومحبة ومكاتبة حتى ان بعضهم اتهم السلطان الغورى بانه يعتقد مذهب الرافضة وكان من أسباب الغلاء على جيش السلطان سليم ان اسماعيل شاه كان تحت يده كثير من الغلال والذخائر فلما تحقق الهزيمة عليه امر بحرقها فأحرقت قال القطبى وكان من امر اشتداد الغلاء ان العليقة بيعت بمائتى درهم وبيع الرغيف بمائة درهم قال العلامة القطبى وقد أدركت جماعة ممن كانوا مصاحبين لمولانا السلطان سليم وكانوا يكثرون مجالسته وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه وذوقه وفهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين ثم قال العلامة القطبى ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما فى علو المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة والبيتان هما هذان

* الملك لله من يظفر بنيل منى ❊ يردده قسرا ويضمن بعده الدركا *
* لو كان لى او لغيرى قدر أنملة ❊ فوق التراب لكان الأمر مشتركا *

ونحتهما ماصورته وكتبه سليم قال العلامة القطبي ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ونهاية فى التمكن من الصناعة فيدل على ملكته رحمه الله فى اللسان العربى ايضا لانهما من اعلا طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما او هما لغيره فهذه رتبة عالية فى حسن التمثل ولطف الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه بها وهذا القدر يستعظم ويستكثر على عظماء العجم المكبين على العلوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ولما فرغ السلطان من قتال اسماعيل شاه واشتد عليهم الغلاء رجع الى الروم وشتى فى مدينة اماسية ولما دخل الربيع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كماخ وهى من أمنع الحصون ثم افتتح مدينة بيبورد وأرسل وزيره فرهاد باشا بعسكر كثير الى قتال ملك مرعش البستان فانتصر فرهاد باشا واستولى على تلك البلاد وفى هذه السنة أحب أهل آمد أن يدخلوا فى طاعة السلطان سليم فأخرجوا واليهم الذى كان من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون أميرا من السلطان سليم فعين لهم بيقلو محمد بك الآمدى فوصل الى تلك البلاد ثم حاصر مدينة ماردين مدة أربعين يوما وافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وجانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجشزك وحصن سوران وسائر بلاد الأكراد وعامة جزيرة الأكراد فدخلت هذه البلاد كلها فى طاعة السلطان سليم ولم تكن قبل من الممالك العثمانية بل كان بعضها عند العجم وبعضها عند ملوك من غير العجم تغلبوا عليها

❊ ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان الغورى ❊

وفى سنة اثنين وعشرين وتسعمائة قصد السلطان سليم محاربة السلطان الغورى صاحب مصر والشام وحلب لانه كان متواطئا مع سلطان العجم على محاربة السلطان سليم وقد تقدم انه قطع الميرة عنه فخرج من القسطنطينية بجيش مقداره مائة وخمسون الفا وخرج الغورى من مصر بجيش كثيف لمحاربته والتقى الجيشان فى مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهزم جيش مصر وقتل الغورى فى المعركة ودخل السلطان سليم مدينة حلب واستقبله اهلها بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف على رؤسهم يستقبلون السلطان سليم ويهنونه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها وكان الخطباء يقولون فى أوصاف سلاطين مصر خادم الحرمين الشريفين فلما خطب الخطيب بحلب قال فى وصف السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين ففرح بذلك واستبشر مولانا السلطان سليم وعلم أن الله تعالى ينصره على الغورى حتى تكون خدمة الحرمين الشريفين له وخلع على الخطيب حلته التى كانت عليه وكانت تساوى خمسين الف غرش ثم سار الى الشام فاستقبله اهلها بالاكرام والاحترام وسألوا منه اللطف والانعام فعاملهم بالجميل وصلى عندهم الجمعة وخطب باسمه ومكث بالشام ثلاثة اشهر ونصف ثم سار يريد البلاد المصرية وافتتح فى مسيره مدينة

بيت المقدس ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد واللجون والرملة ووصل الى مصر في الثالث عشر من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان قد تسلطن بمصر بعد مقتل الغوري السلطان الاشرف طومان باى قيل ان الغوري خاله وكان معه ار بعون الفا من الجراكسة فخرج لقتال السلطان سليم ليمنعه من دخول مصر فوقع القتال بين العسكرين فانهزم طومان باى وعسكره وقتل منهم خلق عظيم ثم قبض عليه وبعد عشرة أيام صلبه السلطان سليم في باب زويلة وأقام السلطان بمصر نائبا عنه خير الدين بيك الجركسي وخرج السلطان سليم من مصر في شعبان من السنة المذكورة وقدم الى دمشق وعين لامارتها مع اعمالها الاميرجان بردى فاستولى على مدينة ملطية وديوركى ودارنوه وبهسنى وكركر وكاختة والبيرة وعنتاب وانطاكية وقلعة الروم واطاعته قبائل العرب المجاورين للشام ومصر ولما رجع السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ في تكثير المهمات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة فطلع له دمل في جنبه ولم يزل يتعاظم هذا الدمل حتى اتسع وصار جرحا عظيما واتسع الخرق على الراقع وتعطل السلطان عن الحركة وعجزت حذاق الاطباء في علاجه وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب واستطال به ذلك المرض الى ان توفي سنة ست وعشرين وتسعمائة تاسع شوال وعمره اربع وخمسون سنة ومدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر

﴿ فائدتان استطراديتان لهما تعلق بالفتوحات المذكورة هنا ﴾

الاولى ذكر كثير من المؤرخين ان العلامة ابن كمال باشا استخرج من القرآن العزيز الاشارة الى الدولة العثمانية وانتصار السلطان سليم وظهور أمره من بعد سنة تسعمائة وعشرين وان الدولة العثمانية من عباد الله الصالحين وان السلطان سليم منهم فقال ابن كمال باشا ان ذلك كله يستخرج بطريق الرمز والايماء والاشارة من قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وبيان ذلك ان قوله ولقد اذا حسب على قاعدة الحساب بحروف ابجد يخرج عدده مائة واربعين ويقابله لفظ سليم فان حساب عدد حروفه يبلغ مائة واربعين وقوله من بعد الذكر اشارة الى ان ذلك بعد تسعمائة وعشرين لانه عدد حروف ذكر بعد اسقاط اداة التعريف على قاعدتهم في ذلك فتكون الاشارة في ذلك سليم بعد تسعمائة وعشرين مكتوب في الزبور انه يرث الارض وانه من عباد الله الصالحين قيل ان السلطان سليم لما أخبروه بهذا الاستخراج فرح واستبشر وكان ذلك من أقوى الاسباب لخروجه لقتال الغوري وقد حقق الله له النصر فظهر بذلك صحة هذا الاستخراج ولله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أسرار كثيرة وله في كل شئ حكمة والله سبحانه وتعالى أعلم باسرار كتابه وبغيرها

﴿ الفائدة الثانية ﴾

ان مولانا السلطان سليم لما استقر بمصر وتم له تملك الديار المصرية كما تم له تملك الديار الشامية اشتاقت نفسه الى تملك الاقطار الحجازية ليقوم بخدمة الحرمين الشريفين فأراد ان يجهز جيشا ويسيره الى الحجاز وينتزعه من عمال السلطان الغوري وكان امير مكة في ذلك

الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وقد كان في سنة ثمان عشرة وتسعمائة أرسل ولده الشريف ابا نمي الى مصر لمقابلة السلطان الغوري فأكرمه وأشركه مع ابيه في امارة مكة وكان عمر أبي نمي في ذلك الوقت ثمان سنين وكان السلطان الغوري حبس بمصر جماعة من أعيان اهل مكة منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن ابي السعود ابن ظهيرة وكان سبب حبسه مع من معه ان الغوري طلب منهم مالا مصادرة وظلما مبلغه عشرة آلاف دينار فعجزوا عن تحصيله فأمر بحملهم الى مصر واعتقلهم في الحبس فلما قتل الغوري وتسلطن طومان باي أطلقهم وقيل انما أطلقهم السلطان سليم فلما عزم السلطان سليم على تجهيز جيش الى الحجاز اجتمع القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بوزير مولانا السلطان سليم وقال له لاحاجة الى تجهيز جيش فان الشريف بركات يكفيكم هذا الامر ويحصل لمولانا السلطان المطلوب وعرفه عظمة الشريف بركات ومنزلته من الشرف والعلم وأنه أول من يطيع مولانا السلطان ويأخذ البيعة له من أهل الحرمين والاقطار الحجازية ويكفي بدلا عن الجيش ان تبعثوا له توقيعا شريفا من مولانا السلطان فعرض الوزير ذلك على مولانا السلطان سليم فاستحسنه وأمر بكتابة التوقيع الشريف للشريف بركات وان يكون ولده ابونمي مشاركا له كما كان في مدة السلطان الغوري وكتب القاضي صلاح الدين للشريف بركات الاخبار بذلك ووجه مولانا السلطان ذلك التوقيع الشريف ومعه خلعتان عظيمتان واحدة للشريف بركات والاخرى لولده الشريف ابي نمي وجعل ذلك صحبة الامير مصلح بيك وبعث معه محملا وكان ذلك على اقبال شهر الحج فلما قدم الامير مصلح مع المحمل ومعه الخلعتان والتوقيع الشريف وخلعة للكعبة المعظمة فخرج لمقابلته الى الزاهر الشريف بركات وولده ابونمي وكثير من الاشراف وغيرهم في موكب عظيم ولبس الشريف وولده الخلعتين ودخلوا مكة وأخذوا البيعة لمولانا السلطان سليم ودعوا له في الخطبة وحصلت طاعة الناس وانقيادهم بالرضا والقبول ثم أرسل الشريف ولده الشريف ابانمي سنة ثلاث وعشرين الى مصر لمقابلة مولانا السلطان سليم فقابله وأكرمه وأبقاه على مشاركة ابيه بركات ثم توفي بركات سنة احدى وثلاثين وتسعمائة واستقل ولده ابونمي بالامارة وجاءه التأييد من مولانا السلطان سليم واستمر الشريف ابونمي مستقلا بامارة مكة الى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وعمره ثمانون سنة لان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكانت مدة ولايته امارة مكة مشاركة لابيه واستقلالا ثلاثا وسبعين سنة ولم يعهد ذلك لغيره من أمراء مكة الذين قبله والذين جاؤا بعده وهو جد ساداتنا أشراف مكة ولما ورد الامير مصلح بيك الى مكة صحبة المحمل والتوقيع والخلعتين وكسوة الكعبة أقام بعد الحج بمكة بأمر من مولانا السلطان سليم وأجرى له خيرات كثيرة يرجع ثوابها اليه منها انه قرر لمولانا الشريف صاحب مكة خمسمائة دينار زيادة على ما كان له من سلاطين مصر قبل ذلك وكتب دفترا قرر فيه اسماء جماعة من المجاورين ورتب لكل شخص منهم مائة دينار تؤخذ من خزينة مصر وقرر ثلاثين نفرا يقرؤن كل يوم ختمة وعين لكل واحد اثني عشر دينارا وقسم الامير مصلح ايضا الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها سلاطين

مصر للعربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة فأبقاها السلطان سليم ورتب مولانا السلطان سليم سبعة آلاف اردب حب لاهل الحرمين الشريفين منها خمسة آلاف لاهل مكة وألفان لاهل المدينة وجاء الامر للامير مصلح بيك أن يوزع ذلك فجلس فى الحرم الشريف وطلب حضور المفاتى وبقية العلماء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطانى واستشارهم فى توزيع ذلك فقالوا انه لابد من عرض ذلك على شريف مكة مولانا الشريف بركات فكتبوا صورة الامر السلطانى وأرسلوه الى مولانا الشريف واستدعوا رأيه العالى فى ذلك فكتب اليهم الجواب يأمرهم بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف السلطانى وان يوزع ذلك على المستحقين بحسب الآراء من أعيان المجلس فأجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب من مولانا الشريف واتفق رأيهم على بيع شئ من ذلك القمح ليصرف فى نقله من جدة الى مكة وبأن يكتب اسماء الناس على العموم ويصرف لكل واحد مايخصه فكتبوا بيوت كل محلة وما فى كل بيت من عدد الانفار رجالا ونساء وأطفالا وخدما ماعدا التجار والسوقة والعسكر فبلغ عدد الانفار الذين كتبوهم اثنى عشر الفا فخص كل نفر ست رباعى بكيل الربع الكبير الذى هو اربع كيل عن اربع وعشرين قدحا بالكيل المصرى ودفعوا لكل نفر دينارا من قيمة القمح الذى باعوه لاجل نقله من جدة الى مكة وجعلوا لكل واحد من المفاتى الاربعة ثلاثة ارادب وزيد فى اسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت قال العلامة القطبى وهذه الصدقة اول صدقات الحب الشريف السلطانى ثم قال فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم الشريفة عماد الاسلام وأحسانهم مازال متوصلا الى كافة الانام سيما جيران بيت الله الحرام وجيران نبيه الاطهر عليه افضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة فى ايام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة فى نوبة هذه السلطنة القاهرة مالم يتصوروه من الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم سلطانهم كما أدام علينا احسانهم اه كلام القطبى وقال العلامة ابن علان ان السلطان سليم كان كثير المحبة لاهل الحرمين من قبل ان يأخذ مصر وهو اول من بعث اليهم صدقة الحب انتهى ثم ان السبعة الآلاف الاردب المذكورة لم يزل أبناؤه من السلاطين يزيدون فيها حتى صار لاهل مكة أثناعشر ألف اردب ولاهل المدينة سبعة آلاف اردب فالله تعالى يديم العز والبقاء لهذه السلطنة العثمانية السنية ويوفق كل قائم منهم بها لكل خصلة جيدة مرضية ومما فعله الامير مصلح بيك من الخيرات لمولانا السلطان سليم انه جدد بناء مقام الحنفى بمكة فانه وسعه وجعله قبة بعد أن كان مسقفا على اربعة أعمدة فى صدره محراب وكانت صنعة التسقيف المذكور سنة ثمانمائة واثنتين فى مدة سلطنة السلطان فرج بن برقوق واستمر كذلك الى ان جعله الامير مصلح قبة سنة تسعمائة وثلاث وعشرين واستمر على ذلك خمسا وعشرين سنة ثم هدمت القبة وبنى المقام مربعا وجعلت الطبقة العليا للمكبرين وموضع هذا المقام كان فى الجاهلية موضع دار تجتمع فيها قريش للمشورة ويسمونها دار الندوة ثم اشتراها معاوية رضى الله عنه فى زمن خلافته وصارت دارا ينزلها الخلفاء اذا قدموا للحج ويخرجون

منها الى المسجد للصلاة والطواف ثم خربت وتهدمت وعمرت فى خلافة المعتضد سنة مائتين وثمانين وأدخلت فى المسجد وفتحت جوانبها الى المسجد وجعلت سقوفها على أساطين ثم غير هذا البناء وأعيد على وضع أحسن منه سنة ثلاثمائة وست ثم سنة ثمانمائة وثنتين الى ان كانت عمارة الامير مصلح ثم غيرت عمارته بعد خمس وعشرين سنة وسيأتى ذكر مايكون بعد ذلك وقد كانت مذاهب الائمة الاربعة عليها العمل والاعتماد فى الحرمين وغيرهما من أول ظهور الائمة الاربعة الى ما بعدهم وقد كان الائمة المجتهدون كثيرين ولكن لم يقدر الله بقاء مذاهبهم وانما بقيت مذاهب الائمة الاربعة وتحررت وتوارد عليها أنظار العلماء حتى ان اهل السنة والجماعة أوجبوا تقليد مذهب منها لمن لم يكن فيه اهلية الاجتهاد وحرموا الخروج عنها نقل العلامة السنجارى عن التقى الفاسى ان صلاة هذه الائمة على هذه الصفة قديمة لكن قال لا أعلم فى اى وقت كانت ثم نقل مايدل على ان الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى سنة اربعمائة وسبع وتسعين وان الحنبلى لم يكن موجودا وانما كان امام الزيدية ثم قال ووجدت مايدل على ان الحنبلى كان موجودا فى عشر الاربعين وخمسمائة [illegible] العميق وكان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة واما كيفية الصلاة [illegible] هذه المقامات فانهم يصلون مرتبين الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى وكلام ابن جبير يقتضى ان المالكى كان يصلى قبل الحنفى ثم تقدم عليه الحنفى من بعد سنة تسعين وسبعمائة واضطرب كلام ابن جبير فى الحنفى والحنبلى لانه ذكر مايقتضى ان كلا منهما يصلى قبل الآخر وهذا كله فى غير صلاة المغرب اما فيها فانهم يصلون جميعا فى وقت واحد ثم بطل ذلك كله فى موسم سنة احدى عشرة وثمانمائة بامر الملك الناصر فرج بن برقوق وصار الشافعى يصلى [illegible] الناس [illegible] المغرب [illegible] وحده [illegible] ذلك [illegible] ورد أمر من الملك المؤيد شيخ صاحب مصر [illegible] [illegible] ذلك الى [illegible] غيرهم فى موسم [illegible] الشريف [illegible] يصلى المغرب الائمة الثلاثة فى وقت واحد كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك واول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة سنة عشر وثمانمائة اه والحاصل ان الامر كان مختلفا فى تقدم بعضهم وتأخر بعضهم واستقر الامر فى عصرنا هذا بعد خروج الوهابى من مكة وجريان أحكام الدولة العلية بالحجاز من سنة الف ومائتين وثمانية وعشرين ان الشافعى يصلى فى الصبح اولا ثم المالكى ثم الحنبلى ثم الحنفى واما فى بقية الاوقات فيصلى اولا الحنفى ثم الشافعى ثم المالكى لكن لا يصلى فى المغرب الا الحنفى ثم الشافعى فقط وكان الحنبلى لا يصلى فى مقامه الا الصبح فقط وفى سنة احدى وثلاثمائة والف صدر الامر من سيدنا الشريف عون الرفيق بن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون ومن والى ولاية الحجاز السيد عثمان نورى باشا بان الحنبلى يصلى ايضا بقية الصلوات غير المغرب وتكون صلاته بعد ان يصلى المالكى واستحسن الناس ذلك لان مكة قد كثر فيها الخلق المجاورون بها فصار كثير من الناس لا يدركون صلاة الائمة الثلاثة فيصلون جماعات متفرقة فلما صار الحنبلى يصلى ايضا صاروا يصلون معه ومما يدل على ان الناس قد كثروا بمكة وزادوا عما كانوا عليه قبل ذلك ماذكره العلامة القطبى فى تاريخه حيث ذكر ان عمارة مكة زادت وكثر الناس فيها بوجود دولة الدولة العثمانية خلد الله ملكهم الى ان قال وكنت أشاهد فى سن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى انى

(أدركت)

أدركت الطواف وحدى من غير ان يكون معي أحد مرارا كثيرة كنت أترصده خليا لكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده فى جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط واما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا يظهر صورته و يطوف خافيا عن عين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على هذه العبادة كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد فى جميع الدنيا ولا يشاركه غيره فى تلك العبادة بعينها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله اعلم بالسرائر حتى حكى لى والدى رحمه الله ان وليا من اولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو المطاف الشريف فتقدم يشرع واذا بحية تشاركه فى ذلك الطواف فقال لها من انت من خلق الله تعالى فقالت له انى من الجن وانى أرصد ما رصدته قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فانى فزت بالانفراد بهذه العبادة من بين البشر وأتم طوافه قال وحكى لى شيخ معمر من اهل مكة انه شاهد الظباء تنزل من جبل ابى قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندى وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل تأتى بالحنطة من بجيلة فلا يجد اهلها من يشترى منهم جميع ماجاؤا به فكانوا يبيعون ماجاؤا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك و يأخذوا أثمان ماباعوه وكانت الاسعار رخية جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خائضون فى بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله هذه السلطنة الزاهرة وخلد دولتها القاهرة وخلافتها الباهرة وأما بناء المقامات فى المسجد الحرام فاما مقام الحنفى فقد علمت بناءه مما سبق واما الشافعى فيصلى فى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما مقام المالكى والحنبلى ففى البحر العميق كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة وفى تاريخ القطبى بعد ان ذكر عمارة الحريق الواقع فى زمن سلطنة السلطان فرج بن برقوق ذكر ان فراغ العمارة كان سنة سبع وثمانمائة فى مدة امارة مكة للشريف حسن ابن عجلان وانهم فى تلك العمارة عمروا ما فى صحن المسجد من المقامات الاربعة التى وضعت للمذاهب الاربعة على الهيئة القديمة اه ومقتضى قوله على الهيئة القديمة انها كانت موجودة قبل هذا التعمير ولم أقف على كتاب فيه ذكر هذا البناء السابق ولا على فعله ولا على تاريخ فعله وعبارة البحر العميق تقتضى ان التعمير الواقع سنة سبع وثمانمائة هو أول احداث مقام المالكى والحنبلى حيث قال كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة ومقام المالكى بين الركن اليمانى والركن الغربى ومقام الحنبلى على حذاء الركن الذى فيه الحجر الاسود وفى سنة ألف وثلاثمائة قال كثير من الناس ان المقام المذكور منحرف وبسبب انحرافه يحصل انحراف لصفوفه يكون سببا لعدم تحقق استقبال القبلة لبعض الصفوف وسببا لانحراف صف الشافعى الاول الذى خلف مقام ابراهيم عليه السلام فان الصف الاول المذكور عند محاذاته مقام الحنبلى

يحصل فيه انحراف وعدم استقامة فلو جعل مقام الحنبلي متوسطا بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الاسود بوضع ليس فيه انحراف لكان اولى ورفع الامر الى امير مكة سيدنا الشريف عون باشا ووالى ولايت الحجاز دولتلو السيد عثمان نورى باشا ثم وقع الاشراف على ذلك بحضورهما وحضور جمع من العلماء والمهندسين فاتفق الجميع على استحسان جعله متوسطا فأنهى الامر الى باب السلطنة السنية وجاء الاذن بذلك من مولانا السلطان عبد الحميد الثانى فهدم المقام المذكور سنة ثلاثمائة وجعل متوسطا كما هو موجود الآن فجاء في غاية الحسن هذا وقد طال الكلام الاستطرادي لارتباط تناسب الكلام مع بعضه تكثيرا للفوائد فلنرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول ان الامير مصلح بيك لما أتم ما كان مأمورا باجرائه بمكة من الخيرات توجه الى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وقسم الصدقات التى لاهل المدينة المنورة وأجرى كثيرا من الخيرات ثم توجه الى دار السلطنة السنية

﴿ ذكر ولاية مولانا السلطان سليمان ﴾

ولما توفى السلطان سليم كان ولده السلطان سليمان ولى عهده وكان غائبا في سروخان واليا عليها فأخفى الوزراء موت السلطان سليم الى ان حضر ولده السلطان سليمان فأجلسوه على تخت السلطنة ثم أظهروا موت السلطان سليم وكان جلوسه على تخت السلطنة من غير مخالف ولا منازع وكان محبا للجهاد ولنصرة دين الله ومرغما أنوف أعدائه بلسان سيفه وسنان قناه وكان مؤيدا في حروبه ومغازيه مشهودا في وقائعه ومراميه ايان سلك ملك واني توجه فتح وفتك وأين سافر سفر وسفك وصلت سراياه وجيوشه أقصى الشرق والغرب وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعان والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه الباتر وأقام الملة الحنيفية وأحيا مالها من مآثر ونصر مذهب السنة السنية وأظهر شرائع الشعائر ودفع اهل الالحاد وقمعهم فمالهم من ناصر وكان رحمه الله سلطانا رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلم موصوفا بالعلم والحلم والحزم قال العلامة القطبي في وصفه وكان مجدد دين هذا الامة المحمدية في هذا القرن العاشر فقد ورد ان لكل قرن مجددا شأنه ظاهر هذا مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر عن شأنه كل أديب وشاعر وكان يعرف الألسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية وينظم نظما بارعا حسنا وكان دائم الفكر في أحوال الرعية والمملكة وله ديوان فائق بالتركى وآخر عديم النظير بالفارسى يتداولهما بلغاء الزمان وكان رؤفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساوى الاخلاق بل هو صافى الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب احد في كمال ديانته ولا يشك في صلاحه وولايته قال القطبي بعد ما ذكر

* وما تناهيت في بثى محاسنه ✲ الا وأكثر مما قلت ما أدع *

ولد رحمه الله سنة تسعمائة وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وتسعمائة

فى شوال وأطال الله عمره وطول دولته حتى بلغت ثمانية وار بعين سنة وشهورا وعاش أربعا وسبعين سنة وكان رحمه الله شجاعا كريما حسن الخلق والخلقة فانه كان ذا صورة جميلة ظاهرا وباطنا وهو الذى أسس قواعد الدولة العثمانية ومهد الملك لهم وسهل الامور وفتح البلاد ووضع كثيرا من القوانين الموافقة للشرع النافعة للعباد رحمه الله رحمة واسعة وكان شديد المحبة للغزو والجهاد للكفار فأكثر الغزوات وفتح الفتوحات

﴿ ذكر اول فتح له وانتصار ﴾

اول فتح لمولانا السلطان سليمان وانتصار انتصاره على والى دمشق لما خلع طاعته عند سماعه بموت ابيه وأراد ان يكون سلطانا وهو الامير جان بردى بيك الغزالى وأصل ذلك ان المرحوم السلطان سليم استخدم من أصحاب الغورى اميرين وهما خير الدين بيك وجان بردى بيك الغزالى وكلاهما من الجراكسة وكان بينهما وبين الغورى عداوة وكان يكرههما وهما يكرهانه فلما كان القتال بين الغورى والسلطان سليم بمرج دابق امرهما الغورى أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما مع عسكرهما حجابا امامه ووقف الغورى مع خواص عسكره الذين يعتمد عليهم متأخرين عنهما وأراد بذلك ان يقتلا بالبنادق فى اول القتال فيسلم هو ومن معه فتفطن خير الدين بيك والغزالى لذلك فأرسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الأمان فأرسل السلطان سليم لهما بالأمان وتعهد لهما بما يطيب خاطرهما وان يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران فر خير الدين بيك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى ومن معه فى القلب فهلك من هلك وهرب من هرب وقتل الغورى تحت سنابك الخيل فلما تم الامر للسلطان سليم واستقر له ملك الشام ومصر قرب خير الدين بيك والامير جان بردى وأدناهما ثم ولى الامير جان بردى دمشق والامير خير الدين مصر فعلا شأنهما وانتشر ذكرهما فلما بلغ الامير جان بردى والى دمشق وفاة السلطان سليم خلع الطاعة وأراد أن يتسلطن بدمشق ونواحيها فجمع جموعا وسار الى مدينة حلب ليستولى عليها فحاصرها مدة فلم يقدر عليها وكان نائب حلب اذ ذاك قرجه احمد باشا فجد فى دفعه واجتهد فرجع جان بردى الى دمشق وزاد فى تحصين القلعة وترميمها فأرسل اليه السلطان سليمان وزيره فرهاد باشا فى عسكر كثير فالتقوا مع عسكر جان بردى فى موضع يقال له المصطبة بأرض القابون وذلك فى صفر سنة سبع وعشرين وتسعمائة فانهزم جان بردى وعسكره وذهبوا تحت أرجل الخيل ولم يبق له ولا لجنوده اثر وقال القطبى انهم قبضوا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه وأرسلوه الى الباب العالى فدخل فرهاد باشا الشام ورتب أمورها ورجع الى دار السلطنة فخلع عليه السلطان وزاد فى قدره ورتبته

﴿ ذكر غزوات مولانا السلطان سليمان ﴾

الغزوة الاولى قتال قرال انكروس لارش ويقال لهم المجر كان من سعودات السلطان سليمان أنه فى اول ولايته كان بين دول الافرنج اختلاف واضطراب وفتن كانت بين الفرنسيس واسبانيا وايطاليا فاغتنم السلطان سليمان هذه الفرصة وزحف بعسكر جرار سنة سبع

وعشرين وتسعمائة وكان رحمه الله محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله لم ترتفع راية الاسلام على رأس احد من السلاطين العظام أكثر منه جهادا ونصرة للدين فبرز بجيوشه بنفسه من القسطنطينية برا لاحدى عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كثير وأمر بتجهيز اساطيل كثيرة بحرا فحمل منها خمسين للمجاهدين واربعمائة للدواب والاثقال وسيرهم حتى دخلوا في نهر الطونة فأرسوا بقرب بلغراد وهي مدينة حصينة لها سور منيع وقد أحاط بها نهران عظيمان وهما نهر الطونة ونهر منارة قيل ان السبب في هذه الغزوة ان الجر قتلوا المباشر الذي كان عندهم من طرف السلطان لجمع الخراج فكان ذلك سببا لغضب السلطان وجعل السلطان خروجه على طريق وارنه ومعه عساكر كثيرة وبعث جيشا حاصروا قلعة بوكردلوه وهي قلعة حصينة على شاطئ نهر صاوه فحاصروها حتى ملكوها ثم توجهوا الى بلغراد ثم لحق بهم السلطان وصاروا جميعا محاصرين بلغراد ولم يزل يشتد الامر ويعظم القتال حتى فتح الله على المسلمين وقتلوا كثيرا من الكفار وفازوا بغنائم لا تحصى واستولى السلطان على بلادهم بعد أن أخرب كثيرا منها فلما شاهد الكفار هذا الفتح العظيم جاؤا له بمفاتيح ثماني قلاع منيعة هناك ثم امر السلطان بتعمير ماتهدم من قلعة بلغراد وعين لها اميرا وقاضيا ورجع الى كرسي سلطنته سالما غانما في شهر ذي القعدة الحرام من سنته

﴿ الغزوة الثانية غزوة رودس ﴾

هي جزيرة وسط البحر ما بين القسطنطينية ومصر وبنى الكفار بها حصنا حصينا فكان في غاية الاستحكام مكينا جعلوه لاخذ المسلمين وأتقنوه في غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ اساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم الشرطين والبطين ينظرون من أعلى القلعة السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه لتصرف في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا وضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جميع الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيؤن أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج أو التجار أخرجوا اليها تلك الاغربة وأخذوها وغنموا مافيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الأسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتلتهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم أذاهم المسلمين وقد تكرر غزو المسلمين بلاد رودس وتكرر انتقاضهم وقد تقدم بعض ذلك فلما تحقق السلطان سليمان كثرة الاذى الحاصل للمسلمين من أهل رودس تجهز بنفسه لغزوهم وقتالهم وكان سفره الميمون اليها ونزوله وتخييمه الشريف في أسكدار متوجها الى هذا الغزو لعشر بقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان عدة

الجيش الذى جهزه مؤلفا من مائتى الف مقاتل وسفائن بحرية تبلغ اربعمائة سفينة فأحاطت الجيوش برا و بحرا بجزيرة رودس وحاصروها فأرسل ملكها يستنجد بملك الفرنسيس وملك اسبانيا فلم يجيباه لما كان بين ملوكهم من الفتن فأرسل البابا صاحب رومة اليهما يحثهما على المدافعة والمحامات عن تلك الجزيرة لانها من الحصون المانعة للمسيحيين من مصادمة العثمانيين فلم يلتفتا الى كلام البابا وفى رابع رمضان طلع السلطان سليمان على محل رفيع مشرف على حصن رودس فرآها قلعة حصينة كان بانيها ماهرا فى الهندسة بحيث انه بنى سور القلعة تحت الارض وعمل لها خندقا عريضا عميقا وجعل للبلد سورين فى عرض سبعة اذرع وملأ مابينهما وهو مقدار عشرة أذرع بالتراب والحجارة ولها من جانب البحر مينا عظيمة مدورة كالحوض ولها باب مخصوص جعلوا عليه سلسلة من حديد ولها بعض بروج تناغى فى الرفعة والاحكام سمك السماء وحضر خير الدين بيك صاحب مصر فى اربعة وعشرين غرابا امدادا للمسلمين واستمروا فى امر الحصار ليقاتلونهم بالبنادق والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما وقيل بل ستة اشهر فلم يغنوا شيأ قال العلامة القطبى ومالمكن من فى البحر ان يقرب من حصار رودس للخندق العظيم الذى حولها مع صونه بالمدافع العظيمة ولأمكن ايضا القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد فى البحر والرمى على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا يصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصن وعدم تأثير المدافع فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمروا بسوق الرمال والتراب امثال الجبل وتترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى ان وصل التراب فى الخندق وامتلأ به وقرب من الجدار وارتفع عليه فصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون فطبق الخنادق ونقب الاسوار من تحت الارض ثم انهم ملؤا النقوب بالبارود وأضرموها بالنار فانفتح بسبب ذلك عدة مواضع يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك طلبوا الأمان فأمنهم السلطان ثم رجعوا عن ذلك لأنه أتاهم مدد من الكفار فى عدة مراكب فى الليل فشرع المسلمون فى الحرب ثانيا قيل انهم ضربوا على رودس اكثر من مائتين وعشرين الف مدفع فصارت خرابا حتى اضطر الكفار وطلبوا الامان وأرسل امير القلعة خمسين نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤاله فأمنهم وأذن لهم فى المسير مع جماعة وأمرهم ان يطلقوا أسارى المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا عددا كثيرا مأسورين عندهم من الاشراف والاعيان والعباد من مدة متطاولة فى سلاسل وأغلال فاطلقوهم وخرج صاحب رودس وتبعه اربعة آلاف من اهل رودس فأعطاهم البابا مدينة ويتسربه من بلاد ايطاليا فأقاموا فيها الى ان نقلهم الملك شركان امبرطورا سبانيا الى جزيرة مالطة فنسبوا اليها فكانوا يقال لهم شقارية مالطة وصارت من ذلك العهد دار اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونابارت وهو آت الى مصر سنة الف ومائتين وثلاث عشرة ثم دخل المسلمون عسكر السلطان سليمان مدينة رودس وأخربوا الكنائس وجعلوها جوامع ثم رتب السلطان امور رودس وجعل الجزية على من بقى بها وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة تسعمائة وتسع وعشرين وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور

بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ الطفها يفرح المؤمنون بنصر الله
وفتحت عدة قلاع فى ذلك العام ورجع السلطان الى القسطنطينية ٩٢٩
كرسى ملكه سالما غانما

﴿ ذكر عصيان احمد باشا والى مصر وخلعه السلطان وأخذه البيعة من الناس لنفسه ﴾

كان السلطان سليمان له وزير مقرب تربى معه ونشأ فى خدمته وملازمته اسمه ابراهيم باشا وكان لوالده السلطان سليم وزير آخر يسمى احمد باشا فظن ان وزارة الصدارة لا تتعداه الى غيره لكونه من خواص مماليك السلطان سليم ووزرائه فأعطى السلطان سليمان الصدارة لابراهيم باشا فزاحمه احمد باشا وصار يخدم السلطنة فى كثير مما يتعلق بالصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان ودبر فى ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ولاية مصر وأعطاه أقطاعا كثيرة يستجلب بها خاطره فمضى الى مصر واليا وصار يتعقبه ابراهيم باشا فى اشياء كثيرة للعداوة السابقة ويرميه عند السلطان بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء المحافظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محفل الشريف السلطانى ويتولى احدهم مكانه الى ان يرد الامر الشريف باقامة من يختاره السلطان وأرسلت هذه الأحكام الى الأمراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام بيد احمد باشا قبل ان تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكر لهم ان الأمر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فأذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن انه يأوى الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل بجيش يلفقه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه وأمر الناس ان يبايعوه وأمر ان يخطب باسمه على المنابر فى ايام الجمع ورتب عسكرا بمصر من العوانية وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل وجمع عليهم الشطار فأخذوها بالحيل وقتلوا من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوى ومحمود بيك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا انه دخل الحمام فكسرا الحبس وبرزا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادى يا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت الصنجق السلطانى خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمود بيك وجانم الحمزاوى بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا احمد باشا وقد حلق نصف رأسه واعجل النصف الثانى هجوم العسكر السلطانى عليه فهرب الى السطح وتخلص من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ من مشايخ العرب بناحية الشرقية يسمى عبد الدائم وقوى العسكر السلطانى ونهبوا ما معه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم به فقطعوا رأسه وطافوا بها مصر وعلقوها فى باب زويلة ثم جهزوها الى الأعتاب السلطانية وذلك فى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وضبط مصر محمود بيك وجانم الحمزاوى الى ان جاء قاسم باشا من دار السلطنة متوليا مصر واستمر ابراهيم باشا فى وزارته العظمى ثم أرسله السلطان وهو وزير أعظم الى مصر لاصلاحها فجاء اليها

بغاية العظمة والاقبال ونظر في احوالها واموالها وولى على مصر قاسم باشا ورجع ابراهيم باشا
الى دار السلطنة فكان مقبولا معظما عند السلطان نافذ الامر والنهي الى ان افرط في الدلال
وزاد في الادلال فاستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من
ازدياد دلاله وماتحملت زيادة عجبه وادلاله وكثر حاسدوه فوشوا به الى السلطان سليمان وقالوا
له انه يريد قتل السلطان والجلوس على تخت السلطنة فلما بلغ السلطان سليمان ذلك اراد
ان يختبر حقيقة الامر فقال يوما لابراهيم باشا وهما في مجلس انس اني اريد ان اجعل السلطنة
لك فقال العفو يامولانا السلطان فان العبد لايبلغ مرتبة السيد فقال له السلطان لابد من ذلك
فقال ابراهيم باشا يكفيني ان يتفضل مولانا السلطان علي بأن يأمر في دار الضرب ان يجعلوا
على وجه السكة اسم مولانا السلطان وعلى الوجه الآخر اسمي فاني أكتفي بالمشاركة في
السكة فلما اطلع السلطان على صحة ذلك الامر بالقرائن التي ظهرت له أمر بقتله فطلبه
السلطان في ليلة من ليالي أواخر رمضان الى عنده وأنعم عليه على جاري عادته بنفائس
انعامات وافرة ووهب له جميع ماكان في مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية
وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره ان يبيت عنده في مجلس خاص به كان
عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى ان غلب سلطان النام على مقلته وأماقيه فأمر بذبحه فذبح
وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا وكان السلطان قريبا من موضعه وقد صمم في أمر قتله فأمر
ان يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفئ نبراسه وأخمدت أنفاسه ولعل كثرة احسانه الى الناس
ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله تعالى في الدار الاخرى ولعله
صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وصارت له عند الله ذخرا فكم من عمل صالح يكون
سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء الابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان
قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة تسعمائة واحدى واربعين وفي قصته وقصة
احمد باشا خصمه عبرة للناظرين وأولي الابصار والمستبصرين ورحم الله القائل

* ومصاحب السلطان مثل سفينة ❊ في البحر ترعد دائما من خوفه *
* ان أدخلت من مائه في جوفها ❊ أدخلها وماءها في جوفه *

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة هلك سلطان العجم اسماعيل شاه وقام بالملك بعده ولده طهماسب شاه

﴿ ذكر استغاثة ملك الفرنسيس بالسلطان سليمان ﴾

في سنة اثنتين وثلاثين حضر الى دار السلطنة رسل من ملك الفرنسيس ومعهم مكاتبة لمولانا
السلطان سليمان مضمونها الشكاية اليه من تغلب بعض الملوك أعدائه على مملكته فهو
يستغيث بمولانا السلطان سليمان ويطلب منه أن ينجده بمدد وذكر في تلك المكاتبة تفخيما
وتبجيلا وتعظيما كثيرا لمولانا السلطان يستعطفه به فأجابه الى مطلبه وأنجده وجهز له جيوشا
كثيرة برا وبحرا فكانت تلك الجنود مع الفرنسيس الى أن انقضى مرامه ودفع المتغلب عليه
بل غلبه وقهره فمن ذلك الوقت صار الفرنسيس يعدون أنفسهم خدما وأتباعا للدولة العثمانية

﴿ الغزوة الثالثة الى الانكروس ﴾

في سنة اثنتين وثلاثين وقيل اربع وثلاثين بلغ مولانا السلطان ان طائفة الانكروس وهم

الجر كثر بغيهم وفسادهم وطغيانهم وتكرر ذلك منهم المرة بعد المرة ولم ينجع فيهم التخويف والموعظة فتجهز مولانا السلطان لقتالهم وجهز لهم جيشا يبلغ مائتي ألف مقاتل وقيل ثلاثمائة ألف وخرج بنفسه فلما وصل الى بلغراد لم يزل مشغولا بفتح الحصون والقلاع وجاء أكثر أهلها يطلبون الأمان وسلموا مفاتيح القلاع ثم سار مولانا السلطان حتى انتهى الى نهر صاوة وهو من أعظم أنهار الدنيا فأمر مولانا السلطان فاتخذوا عليه جسرا ممدودا أمام قلعة هرسك فاجتاز العسكر منه الى بلاد الكفار ثم امر السلطان برفع الجسر فرفع فبقي المسلمون في بلاد الكفار وذلك يدل على شهامته وقوة عزمه وقطع أطماع العسكر من الفرار الى بلادهم ولما سمع القرال لارش ويقال له ايضا لارس وهو رئيس كفار انكروس أعني الجر جمع جنوده وسار بهم من كرسي مملكته الى طرف عسكر المسلمين نحو خمس منازل يريد مهاجمة المسلمين وأن يبادرهم في القتال اغترارا بمن معه من الجند وخيم في مفازة هناك تسمى صهارج وأشرف المسلمون على محل الكفار وربوة القتال فرتبوا الميمنة والميسرة والقلب واخذوا أهبة الحرب وتضرع السلطان الى الله تعالى وسأله النصر وتوجه اليه بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل أمام العسكر في هيئة الحاجز بين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبوا عليها المدافع وقيدوا بعضها ببعض بالسلاسل ووقف عساكر السلطان الانقشارية تسعة صفوف كما هي عادتهم في الحرب وهجم الكفار بأجمعهم على القلب فرأوا أنه لا سبيل الى العبور بسبب العجلات فانحازوا الى طرف اليمين فوقع بينهم وبين عسكر المسلمين اهل روملي مقتلة عظيمة فلما علم الكفار أنهم لا طاقة لهم بهم انحازوا الى طرف عسكر اناطولي فاقتتلوا ايضا معهم قتالا شديدا وكان قد أصاب رئيس الكفرة القرال لارش مدفع من جهة المسلمين كان به هلاكه وتلفه فتضعضعت جنوده عن المقاومة وامتد القتال الى غروب الشمس ثم انتصر المسلمون وانهزم الكافرون وصاروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت أجساد الكفار كالتلال وجرت الدماء كالسيل وغنم المسلمون من الاموال والدواب شيأ لا يحصى قيل ان القتلى من الكفار عشرون الفا ثم أغار الجند على بلاد انكروس وتوغلوا فيها مسيرة عشرة ايام وجاؤا بالاسرى والغنائم واستولى مولانا السلطان على الحصون والقلاع الواقعة في الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم رجع الى القسطنطينية في أواخر شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة

﴿ الغزوة الرابعة الى بلاد النيمسا وقردنز ﴾

كانت هذه الغزوة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وسببها انه اجتمع كفار النيمسا وألمان وقرادنز وأغاروا على قلعة للمسلمين تسمى يدون أخذوها من المسلمين بحيلة وعلى غرة وغفلة فلما بلغ الحضرة السلطانية ما فعلوه استشاط غيظا وأمر بالتجهز للغزو ليحصل قمعهم فبرز من دار السلطنة الى حلقة لو بكار لليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا بجيوش كثيرة الى ان وصل الى المخيم العالي فجاءته امرأة من ملوك انكروس تطلب الأمان لجماعة من قومها والتزمت بخراج انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة الشريفة

السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها بالامان وعادت الى بلادها واستمر الوطاق السلطاني وتوجه كثير من العساكر الى محاصرة قلعة بدون التي كانوا أخذوها فحاصروها وضيقوا على من فيها الى ان فتحها الله كما فتح سائر البلاد وخذل اهل الكفر والعناد وكان فتحها بعد حرب شديد ثم ولوا هاربين ومأسورين ومقتولين لاربع مضين من محرم سنة ست وثلاثين ثم فتحت قلعة تياق حصاري ثم توجه العساكر الى محاصرة قلعة اخرى قريب تخت النيمسا كانت من أعظم قلاع الكفار فأحاط الجند بها وحاصروها فطلب اهل القلعة الامان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة مولانا السلطان ولما كانت القلعة المذكورة بعيدة عن حدود الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار أمر حضرة مولانا السلطان بهدمها فهدمت وأخربت ونهبوا من كانوا نازلين بأطرافها وحواليها وسبيت أولادهم ونساؤهم وعاد السلطان الى تخت ملكه بالنصر والتأييد أوائل شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة

﴿ الغزوة الخامسة الى بلاد النيمسا ايضا ﴾

في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة غزا مولانا السلطان سليمان بنفسه من القسطنطينية بمائة وعشرين الف مقاتل واربعمائة مدفع لحرب النيمسا ونازل مدينة فينا عاصمة مملكة النيمسا وأقام عليها الحصار فقاتلوا أشد القتال وحصلت أمطار شديدة تأذى المسلمون منها وفاض النهر وأخذ الخيام وجملة من العسكر وصعد بعضهم على الاشجار هربا من الماء ومكثوا يومين وليلتين وهم في مشقة شديدة حتى انكشفت المياه ولما رأى السلطان ذلك تحول وارتحل عن المدينة وقتلت عسكر الانقشارية الاسرى الذين كانوا تحت ايديهم ولما وصل مولانا السلطان الى مدينة موهكز من بلاد المجر أتاه حاكمها وبذل الطاعة فقبله وأكرمه وأجلسه عن يمين كرسيه ولما أراد الانصراف خلع عليه خلعة ثمينة وأعطاه ثلاثة أفراس من جياد الخيل عليها سروج مرصعة ورجع السلطان الى مقر سلطنته سالما

﴿ الغزوة السادسة الى بلاد المان ﴾

لما كانت سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان قرال النيمسا جمع طائفة من كفار الالمان وأراد الافساد والطغيان فتوجهت همة مولانا السلطان سليمان الى المبادرة الى قتال هذا اللعين فجهز الجيوش برا وبحرا وأرسل في شعبان من طريق البحر احمد باشا القبودان لحفظ وجه البحر من النصارى ومعه عشرون غرابا مشحونة بالعساكر الابطال فافتتح عدة قلاع من بلاد الفرنج وأرعبهم غاية الرعب وقتل وسبى كثيرا منهم وتوجه مولانا السلطان برا من دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة فوصل بجيوشه الى مملكة الالمان وأحاط بما فيها من الحصون والقلاع بعساكره وضيقوا عليها ونهبوا قراها وضياعها المعمورة وسبوا كثيرا من ذرارى الكفار وغنموا مالا يحصى من الاموال وقتلوا من الرجال مالا يخطر بالبال وهرب ملوكهم وتركوا ممالكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة السنية الى سؤالهم وكتب لهم توقيع الامان وعاد مولانا السلطان الى دار ملكه المسعود مظفر الجنود سعيد

الحدود فى أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة

﴿ الغزوة السابعة الى بلاد الصرب ﴾

فى سنة تسع وثلاثين خرج مولانا السلطان سليمان بمائتى الف مقاتل لمحاربة الصرب فافتتح فى طريقه اربع عشرة قلعة واستولى على اكثر حدود بلاد النيمسا ثم رجع الى القسطنطينية سالما غانما وفى سنة اربعين عقد صلحا مع ملوك الفرنج أهل اوروبا ليتفرغ لمحاربة العجم لكثرة الخلاف الحاصل منهم

﴿ الغزوة الثامنة الى بلاد العجم ﴾

فى سنة اربعين وتسعمائة توجهت همة مولانا السلطان سليمان الى محاربة العجم فجهز جيوشا كثيرة وأرسلها مع الصدر الاعظم فى أوائل شهر ربيع الاول فافتتح كثيرا من القلاع والحصون والمدائن ثم خرج مولانا السلطان سليمان بنفسه فى ثامن ذى القعدة حتى انتهى الى تبريز فاستقبل الصدر الاعظم قبل وصوله الى تبريز بمن معه من العساكر وتوجها بجميع العساكر لاستيصال مملكة العجم وهرب سلطان العجم وصار يتنقل فى الجهات والاطراف حتى انتهى فى هربه الى خراسان ولما وصل مولانا السلطان الى تبريز استقبله اهلها وهنوه بالقدوم فلما جاء الشتاء توجه الى مدينة بغداد وكانت بيد سلطان العجم وكان له نائب بها وهو بكلو محمد خان فلما سمع بقدوم مولانا السلطان بعث اليه بالطاعة ثم هرب الى بلاد العجم فدخل مولانا السلطان بعساكره مدينة بغداد وقصد زيارة الامام الاعظم ابى حنيفة رضى الله عنه وكان اسماعيل شاه نقض تربته وهدمها فجددها مولانا السلطان وجعل عليه مشهدا عظيما وبنى فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبنى فى بغداد قلعة حصينة وشحنها بالمدافع والعساكر وكان دخول مولانا السلطان بغداد فى ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى واربعين وتسعمائة ولما أقبل الربيع نزل منزلا يقال له صاروجه قش ثم نهض بعساكره يريد سلطان العجم فتوغل فى بلاده حتى وصل الى مدينة درگزين فجاءته رسل سلطان العجم وتكرر مجيئهم يطلبون الصلح وكتب اليه سلطان العجم انه لايقاتل ابدا ويرجون كرم السلطان ان يرحم الرعايا فقد خربت ديارهم وهلكت دوابهم ويسأل العفو وأن يعود مولانا السلطان الى بلاد الروم وأعطى العهود انه لايخون وتكون البلاد التى أخذها السلطان تحت حكمه لاينازع السلطان فيها ابدا وانه يكون تحت خدمته يلبيه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك عقد معه صلحا وأمر العساكر بالرجوع فرحل بهم ورجع الى مقر سلطنته فدخل دار السلطنة رابع عشر رجب سنة احدى واربعين وتسعمائة وزينت المدينة واستبشروا بقدومه وألطف تاريخ قيل فى ذلك فتحنا العراق

٩٤١

﴿ الغزوة التاسعة الى مملكة اسبانيا وجزائر الغرب ﴾

كانت هذه الغزوة فى سنة ثلاث واربعين وتسعمائة كما فى تاريخ القطبى وذكر بعض المؤرخين انها كانت فى سنة خمس واربعين وحاصلها ان مولانا السلطان توجه بنفسه الشريفة من طريق البر ومعه عساكر كثيرة وأرسل من طريق البحر خمسمائة غراب مشحونة بالعساكر والذخائر

والسلاح وعليها خير الدين باشا فافتتح عساكر البر والبحر قلاعا وحصونا كثيرة بعد حروب كثيرة وتملكوا أربعة وثلاثين حصنا وخمسا وعشرين جزيرة من جزائر البندقية وهم طائفة من النصارى خليفتهم البابا وضربوا مراكب البندقية وكانت مائة وسبعا وستين فشتتوها وسلمت البندقية لمولانا السلطان قلاع نابولى وروما نيا وغيرهما ودفعت لمولانا السلطان ثلاثمائة الف ريال ورجع سالما منصورا مظفرا وكانت غنيمة المسلمين من أموال الكفار وسباياهم مما لا يحصى

﴿ الغزوة العاشرة الى البغدان ﴾

وكانت هذه الغزوة فى سنة اربع واربعين وتسعمائة توجه مولانا السلطان بنفسه الشريفة ومعه كثير من عساكره المنصورة الى بلاد البغدان وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وغنم اموالا كثيرة وأسر نفوسا عديدة غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل الى دار السلطنة لست بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وتسعمائة

﴿ الغزوة الحادية عشر الى اسطبور من بلاد انكروس ﴾

سبب هذه الغزوة ان مولانا السلطان كان قد أنعم على امرأة من أبناء ملوكهم يقال لها اردل باتو بتلك البلاد ثم توفيت فأراد قرال النيمسا أن يملك تلك البلاد فتوجه مولانا السلطان بعساكره المنصورة سنة ثمانية واربعين وتسعمائة الى قتال قران النيمسا فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطانى فرهاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعته الابطال ففرمنهم فجالت العساكر المنصورة فى تلك البلدان وقتلوا أهل البغى والعدوان وسبوا الاولاد والأطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وفتحوا قلعة اسطبور وفتحت ايضا قلعة رشوة وقتلوا من الكفار مالا يحصى وعاد مولانا السلطان بعساكره الى مقر سلطنته منصورين مؤيدين

﴿ الغزوة الثانية عشر غزوة استرعون ﴾

كانت هذه الغزوة سنة خمسين وتسعمائة وذلك ان مولانا السلطان توجهت همته لتنظيف بلاد الروملى من طوائف الكفار بالغزو والجهاد فتوجه من دار سلطنته بالجيوش المتواترة وسار الى أن أحاط بقلعة واليوه وقلعة شقلاولاشورو وهما من أحكم القلاع وأعظم الحصون فحاصرهما الى أن فتحهما فى غرة ربيع الاول من العام المذكور ثم افتتح قلعة استرعون وهى قلعة فى غاية الاستحكام مشحونة بالذخائر والاموال مملوءة بالعدد والعدد الوافر فحاصرها وألقى الله الرعب فى قلوب أهلها ثم افتتحها وأخذ من فيها أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الأموال وسبيت النساء والأولاد والأطفال وأخذوا ماحولها من البلاد والبقاع والقلاع وكذلك فتحت قلعة استولين بلغراد وهى قلعة سامية العماد وعين لها ولغيرها من القلاع الأمراء الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها قاضيا يجرى الاحكام الشرعية وسنجقا للاستحفاظ وصارت من الممالك المحروسة السلطانية وصارت البيع والكنائس مساجد للصلاة والعبادات ورجع مولانا السلطان الى كرسى ملكه مظفرا منصورا

الغزوة الثالثة عشر سنة أربع وخمسين وتسعمائة

هذه الغزوة كانت الى الهند لكن لم يخرج فيها مولانا السلطان بنفسه وانما جهز الجيوش وأرسلها وسببها ان طائفة من الفرنج يقال لهم البرتوقال كانوا يغيرون بمراكبهم وعساكرهم فى بحر الهند فأرسل سلطان الهند الى مولانا السلطان سليمان يستغيث به ويشكو اليه بان الطائفة المذكورة تغلبوا على ممالكه ويطلب نجدة من مولانا السلطان فجهز اليه عساكر فى مراكب بحرية وبعثهم مع الوزير سليمان باشا فوصل بها الى الهند ودفع البرتوقال فصار سلطان الهند من جملة المنتسبين الى السلطنة السليمانية الداعين لها القائمين بخدمتها ورجع سليمان باشا الى اليمن ثم الى دار السلطنة سالما غانما

الغزوة الرابعة عشر الى بلاد العجم

كانت هذه الغزوة ايضا سنة اربع وخمسين وتسعمائة الى بلاد العجم وسببها أن السلطان العجم طهماسب كان له اخ يسمى القاسب ميرزا كان قد ولاه مدينة شروان ثم وقع بينهما اختلاف آل الامر منه الى القتال ولم يكن للقاسب طاقة لمقاومة اخيه وجيوشه ففر هاربا مع جماعة من خواصه الى الروم ملتجئا الى مولانا السلطان سليمان فلما وصل دار السلطنة السنية أكرمه مولانا السلطان سليمان ووهب له من الذهب الاحمر شيأ كثيرا ووهب له عدة أحمال من الاقمشة وعدة خيول وأعطاه الطبل والعلم ووعده بالنصر ثم تجهز مولانا السلطان بنفسه الى المسير لقتال طهماسب وأمر اخاه القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من العسكر وفى ثامن شهر صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان سليمان بنفسه قاصدا بلاد العجم فلما قرب من حدود اذربيجان نزل ببرهان واستخلص شروان من يد جماعة طهماسب وفى عشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وصل الى تبريز وفوض أمرها الى القاسب ميرزا أخى سلطان العجم وأعطاه من العسكر والمدافع الكبار مايكفيه فلما تولى القاسب أمارة تبريز جعل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم فلما تحقق السلطان سليمان منه ذلك استصحبه معه وكان قصد السلطان ان يسير على مدينة وان ويخلصها من طهماسب لأنه ملكها من نواب السلطان بعد ان ملكوها فوصل اليها فى عاشر رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخربوا أكثرها فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع اليه واستشفع به فشفع القاسب عند السلطان سليمان فى اعطائهم الأمان والعفو عنهم فقبل شفاعته فخرجوا من القلعة وسلموها لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة ونصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفترى أمير الأمراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يسير الى طرف ديار بكر فسار يشتى حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ ورد أن العجم لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذربيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع فلما بلغ ذلك السلطان امر الوزير أحمد باشا بالمسير اليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة سلطان العجم مخيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوهم

بالليل وقاتلوهم وشردوهم ثم ان القاسب اخا سلطان العجم تضرع الى السلطان سليمان ان يعطيه جماعة من العسكر ليسير بهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها معظم اموال اخيه سلطان العجم وخزائنه فأجابه السلطان الى سؤله وعضده بطائفة من عسكر الاكراد والاعجام واجتاز السلطان سليمان بنهر الفرات ووصل الى حلب ووصل القاسب بمن معه الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتحريق والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأسر أولادهم وازواجهم ثم عاد الى بغداد وشتى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا المتولى ببغداد من طرف مولانا السلطان سليمان وحشة اقتضت الى ان عرض محمد باشا الى السلطان سليمان بأن القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الامر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها فى حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان فهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه اخوه طهماسب سلطان العجم فقتله قتلة شنيعة

﴿ الغزوة الخامسة عشر الى بلاد العجم ايضا ﴾

وفى سنة ستين وتسعمائة كثرت مخالفات سلطان العجم لطاعة مولانا السلطان وكثر ظلمه وكثرت الشكايات فيه من جماعته وغيرهم فقصد مولانا السلطان سليمان التوجه لمحاربة العجم فسار بعساكر كثيرة ودخل حلب فى غرة ذى الحجة ولما وصل الى اذربيجان كتب الى سلطان العجم يدعوه للمبارزة ويعيره على ترك الحرب والاختفاء فى الكمون ثم توجه مولانا السلطان سليمان حتى وصل الى مدينة وان وهى من أحسن مدن الدنيا وأنزهها فأخربها العسكر جميعا وكان دأبهم كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا فى سادس عشرين شعبان من سنة احدى وستين وتسعمائة الى مدينة نخجوان مقر سلطان العجم وفيها دور وقصور شامخة الاركان رفيعة البنيان ودور أولاده وأحفاده ووزرائه وسائر أعيان دولته فلما دخلها العسكر وجدوها خالية فقطعوا أشجارها وخربوا قصورها فصارت البلد كأنها ارض قفراء ماعمرت قط وأعاد بعض العسكر على مدينة تبريز فنهبوها وقتلوا من قدروا على قتله ثم أغاروا على مراغة فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا مع ألوف من جماعة سلطان العجم فانتصروا عليهم وأخذوا تيجانهم المرصعة وأعلامهم وطبولهم وفى اثناء ذلك وصل وافد من جانب سلطان العجم ومعه مكتوب محصله انه ندم على ماأظهر من العداوة وأظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فأجابه السلطان الى سؤله وخلع على الوافد ثم توجه السلطان وشتى بمدينة اماسية ثم رجع الى كرسى ملكه القسطنطينية

﴿ الغزوة السادسة عشر الى سلطان المغرب ﴾

لهذه الغزوة خبر عجيب غريب لم يذكره تواريخ اهل المشرق وهو يدل على ضخامة ملك مولانا السلطان سليمان وقوة سلطنته وعلو همته فيستحق ان يلحق بالغزوات وان لم يخرج فيها السلطان بنفسه فينبغى ذكره لغرابته تتميما للفوائد وهو ماذكر فى تواريخ اهل المغرب منها التاريخ المسمى نزهة الحادى فى أخبار اهل القرن الحادى وهو تاريخ مخصوص

بذكر ملوك المغرب للعلامة الشيخ محمد بن عبد الله الافرانى المراكشى وذلك انه ذكر هذا الخبر فى ترجمة السلطان الملقب بالشيخ ابى عبد الله محمد المهدى ابن ابى عبد الله القائم ثالث الخلفاء السعديين الذين ملكوا مراكش وفاس وحاصل ذلك الخبر ان السلطان المذكور لما تم له ملك المغرب ودانت له حواضره وبواديه تلقب بالمهدى وتاقت همته الى بلاد المشرق فكان يقول لابد لى أن أذهب الى مصر وأخرج الاتراك من أجحارهم وأنازلهم فى ديارهم فبلغت مقالته مولانا السلطان سليمان العثمانى وكان ابو عبد الله لايسمى سلطان العثمانيين الاسلطان الحواتة لكون الغالب على الاتراك سفرهم فى السفاين فأنهى ذلك للسلطان سليمان العثمانى فبعث له أناسا برسالة فلم يحتفل بهم ابو عبد الله بل قال أخبروا صاحبكم انى مقتحم عليه بلاده ومتوجه للقائه فلما رجعت الرسل للسلطان سليمان وأخبروه بمقالة ابى عبد الله الشيخ وماقاله لهم بعث السلطان سليمان لبعض وزرائه الذين بالجزائر ان يأتوا برأس ابى عبد الله فبعثوا رجلا من أبطال جندهم فى شرذمة من الاجناد مظهرين انهم هربوا من السلطان العثمانى ورغبوا فى خدمة ابى عبد الله ونيتهم المكيدة به والاغتيال له حيث أمكنهم ذلك فلما قدموا على السلطان ابى عبد الله فرح بهم غاية الفرح وأظهر السرور لقدومهم عليه وكان عنده جماعة من ... استخدمهم قبل ذلك وكان يركب معهم ويدنيهم ويأمن بهم فلما حضر هؤلاء الاتراك فرح بهم الاولون اذ كل غريب للغريب نسيب وان الغريب يعجب الغريب فلم يزل الاتراك القادمون قايمين بخدمته مختصين به يتربصون الفرصة ويترقبون المكيدة للفتك بأبى عبد الله فسافر لقتال بعض العصاة عليه فلما كان بجبال درنة بموضع يقال له اثلاثة دخلوا عليه خباءة ليلا على حين غفلة من العسكر وبقية الخدم فضربوا رأسه بشاقور ضربة واحدة أبانوه بها واحتملوه فى مخلاة وذهبوا به فى الظلماء عامدين الى جهة سجلماسة كأنهم رسل الى تلمسان لئلا يفطن بهم أحد ثم أدركوا فى بعض المواضع فقاتل منهم طائفة حتى هلكوا وهرب بعضهم بالرأس الى ان أبلغوه للسلطان سليمان بالقسطنطينية فلم يزل الرأس معلقابها الى ان تلاشى وكان قتله فى التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة اربع وستين وتسعمائة وحمل جسده الى مراكش ودفن فى قبور الاشراف انتهى

﴿ الغزوة السابعة عشر لم يخرج فيها السلطان بنفسه ﴾

فى سنة اربع وستين ايضا سارت جيوش للسلطان سليمان الى اليمن لاصلاح اليمن وتملكه ودفع المتغلبين فيه فكان لهم غاية النصر والاستيلاء والتمكن وتمام الاصلاح دفعوا البرتقال التى كانت تقطع البحر وتغير على بلاد الاسلام بعد امتداد الفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة

﴿ الغزوة الثامنة عشر ﴾

وفى سنة سبع وستين وتسعمائة توجه القبطان سنان باشا بعمارة عظيمة الى جزيرة جربا فى افريقيا وتملكها بعد حصار ثلاثة اشهر وأخذ حاكمها أسيرا وأتى به الى القسطنطينية فلما بلغ ذلك ملك اسبانيا ركب على بلاد الجزائر وأخذ بعض قلاع ومراكب تخص الدولة فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة ففى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة خرج القبطان سنان باشا من مينا القسطنطينية بعمارة تحتوى على مائة واحدى وثمانين مركبا

ومعه السرعسكر مصطفى باشا فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجت العساكر وأخذوا
فى عمل خنادق امام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى أن أخذوها وأخذوا أسرى
كثيرين وسمروا على أخشاب وطرحوا فى البحر امام المدينة وهى محاصرة وكان قد وقع
فى يد حاكم المدينة أسرى من الانقشارية فلما رأى ذلك امر بقطع رؤسهم ووضعها فى المدافع
وضرب بها المحاصرين ووقع عشر هجمات على المدينة وفقد عساكر كثير فلم يمكن أخذ المدينة
فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا

﴿ الغزوة التاسعة عشر ﴾

وفى اثناء هذه المدة كان قد وقع الحرب بين الدولة والمجر وأخذت عساكر الدولة جملة
بلدان من ممالك المجر فأرسلوا يطلبون الصلح ولم يرسلوا الخراج المنكسر عندهم فغضب السلطان
وأمر بحبس رسولهم وعزم على السفر اليهم بنفسه فبلغهم الخبر فخضعوا وأعطوا الطاعة
وبذلوا المنكسر وضاعفوه بأضعاف كثيرة فعفا عنهم وأمنهم

﴿ الغزوة المكملة عشرين ﴾

وفى سنة اربع وسبعين وتسعمائة نهض مولانا السلطان سليمان خان لفتح مدينة لنصارى المجر
تسمى سكدوار والحال انه قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه علة النقرس وهو ورم
ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين فمنعه الاطباء عن السفر فلم يقبل منهم لمحبته الجهاد
وقال اريد أن أموت غازيا فخرج لتسع مضين من شوال سنة اربع وسبعين وتسعمائة فسار
بعسكر كثير متزاحم الافواج متلاطم الامواج وبعث وزيره برتو باشا الى فتح قلعة كولة فلم
يلبث الا قليلا حتى فتحها واما السلطان فانه وصل الى بلغراد بعد مشقة عظيمة بسبب المرض
الذى به وكثرة الامطار وسار منها الى سملين فتسلمها وفتح جملة قلاع وبلدان واما قلعة
سكدوار فهى قلعة فى غاية الحصانة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء فى حضيض الماء
شامخة الارتفاع فى الهواء الى عنان السماء مشحونة بآلات الحرب والمدافع مملوءة بجيوش
النصارى وابطالهم فكانت فى المتانة الى حد الغاية وقد أحاطت بها المياه والاوحال من
كل جانب فلم يزدد امر القلعة الا استصعابا واشتد مرض السلطان وهو محاصر لها حتى
أحس بالموت فدعا الله ان يعجل بالفتح ونصر المؤمنين وقال قد تحقق عندى ان الفتح يتيسر
ان شاء الله ويكتب فى التواريخ ان سليمان افتتح هذه القلعة العظيمة وهو ميت فاستجاب الله
دعاه وحقق أمله وأوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم الثانى ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله
تعالى وأخفى الوزير الاعظم محمد باشا وفاته شفقة بجيوش المسلمين أن يصيبهم فشل ودعا
رئيس الاطباء فشق بطنه وملأه بالاجزاء الحارة ودفن أمعاه هناك ثم لم يزالوا يجدون فى
امر الفتح حتى فتحوها بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام وقتلوا صاحبها وقتلوا ثلاثة آلاف
ممن معه وكان من جملة أسباب فتحها ان النار اشتعلت فى خزينة بارود الكفار وهى مخزونة
فى القلعة المذكورة فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض
زلزلة هائلة وتطايرت جلاميد الصخار الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا الى ان امتلأ
الفضاء وقتلت كثيرا من الكفار الذين كانوا بالقلعة فضعفت قلوب من بقى منهم فتزاحم المسلمون

على دخولها والهجوم على من فيها فاقتلعوها من أيدى الكفار ووضعوا السيف فى جميع الكفار وقتلوهم عن آخرهم وساقوهم الى جهنم و بئس القرار وما ذكرنا من ان الفتح انما كان بعد وفاة السلطان بثلاثة ايام هو ما فى بعض التواريخ وفى تاريخ القطبي ان الفتح كان قبل وفاة السلطان وانه لما جاءه خبر الفتح وهو فى غاية المرض فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن ثم انتقل الى رحمة الله تعالى وكان فتحها يوم السبت سابع شهر صفر الخير سنة اربع وسبعين وتسعمائة ولم يزل العسكر هناك فى ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم يدعوه الى سكدوار وكان يومئذ على امارة كوتاهية فلما جاءه الخبر دخل القسطنطينية على حين غفلة من أهلها وجلس على سرير الملك فى التاسع من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وتمت له البيعة واطمأن الناس ثم خرج فى اليوم الثالث وتوجه الى سكدوار فلحق العسكر ولم يختل عليهم شئ فحملوا السلطان سليمان رحمه الله تعالى فى العجلة ونقلوه الى القسطنطينية ودفن بها وعمره اربع وسبعون سنة ومدة سلطنته ثمان واربعون سنة وكان قدوم ولده السلطان سليم الى القسطنطينية من سكدوار فى شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان الحرب لم يزل قائما بين العساكر العثمانية وملك النيمسا ومن العجائب التدبير الذى حصل من الوزير الاعظم محمد باشا عند وفاة مولانا السلطان سليمان فانه بعد وفاته كتم وفاته وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات بحصول النصر والظفر وأرسل سرا يستدعى ولى العهد السلطان سليم الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول وكتم ذلك عن جميع العسكر والامراء والوزراء والانام وأحسن التدبير فى هذا الكتم واستمرت امور المملكة فى غاية الانتظام وهو فى ديار الكفار وذلك من كمال العقل التام والرأى الصائب الى ان وصل حضرة السلطان سليم والحرب قائم ثم وقع الصلح على الهدنة ثمان سنين ودفع ملك النيمسا لخزينة السلطان ثلاثمائة الف ريال ورجع مولانا السلطان سليم الى مقر تخت سلطنته وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها ورثت الشعراء مولانا السلطان سليمان بقصائد كثيرة

﴿ ذكر خبر عجيب ﴾

يدل على قوة ديانة مولانا السلطان سليمان وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى وذلك انه قبل وفاته أحضر بقشة وأوصى ان تجعل معه فى القبر فلما أخبر بذلك شيخ الاسلام المولى ابو السعود العمادى رحمه الله قال لابد من الاطلاع على مافى هذه البقشة قبل ان نجعلها معه فى القبر فلما فتحوها وجدوا فيها الاسئلة التى كان مولانا السلطان يسأل عنها شيخ الاسلام المذكور وعلى كل سؤال الجواب منه فبكى شيخ الاسلام المذكور وقال ان مولانا السلطان أراد ليبرئ ذمته عند السؤال عن هذه الاحكام وجعل السؤال متوجها الى من كتب مافيها فأسأل الله النجاة والخلاص

﴿ الغزوة الحادية والعشرون من غزوات مولانا السلطان سليمان التى لم يحضرها بنفسه ﴾

هذه الغزوة كانت فى الحجاز وهى مما ينبغى ان يلحق بغزوات مولانا السلطان سليمان

وان كان المباشر لها مولانا الشريف ابانمى وحاصلها ان طائفة البرتوقال من طوائف الفرنج قد تقدم انهم كانوا يقطعون البحر ويغيرون على كثير من ممالك الاسلام فمن ذلك ان نفوسهم الخبيثة سولت لهم الاستيلاء على الحرمين وجزيرة العرب وكان ذلك فى أواخر سنة ثمان واربعين وتسعمائة فدخلت طائفة عظيمة من الفرنج المذكورين كثيرا من بنادر الاسلام وخربت وأفسدت فيها ثم قصدت بندر جدة المعمورة ونزلت بالمرسى المعروف بابى الدوائر فى خمسة وثمانين برشنة مشحونة بالرجال والسلاح والذخائر فقاتلهم مولانا الشريف ابونمى امير مكة بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة فى جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء بالجهاد فى نواحى مكة وقال من صحبنا فله اجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ المبادرون للجهاد مبلغا عظيما لايحد ولايعد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف ابى نمى يتوجهون الى اطراف البلاد ويحضرون بانواع الطعام ويشترونه بأغلا الاثمان حتى فرغت الحبوب والاقوات وكادت تعدم فأقبلوا على نحر الابل فكان مولانا الشريف يأمر بأن ينحر لكل مائة نفس بعيرا اوناقة واستمر الامر على ذلك مدة فقال له بعض الناس ان هذا الفعل يستأصل ماعندك من الابل فأجابه بأنى نويت ان أنحر ماعندى من الابل فاذا فنيت امرت بنحر الخيل ثم كل حيوان يجوز اكله فلما قرب وقت الحج برز امره الشريف لابنه الشريف احمد ان يقابل بمكة امراء الحج ويلبس الخلعة الواردة ويحج بالناس على عادة اجداده الكرام فلما وصل امراء الحج قابلهم وفعل مثل ماامره والده وحج بالناس فلما قضوا الحج توجهوا الى جدة لمقابلة مولانا الشريف ابى نمى والباسه الخلع الواردة فلاقاهم وهو شاكى السلاح لابسا درعه فى هيئة المقاتل ولما قدموا عليه امر باطلاق المدافع فاطلقت لمقابلتهم نحو ثلاثمائة مدفع فكان مشهدا عظيما فألبسوه الخلع الواردة معهم واضافهم واكرمهم بغاية الاكرام وانصرفوا راجعين ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خاسئين ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان ذلك زاد فى اكرام مولانا الشريف ابى نمى وسمح له بنصف معلوم جدة واوصل اليه غير ذلك من الانعامات التى لاتحصى وهذه القصة فيها منقبة عظيمة لسيدنا الشريف ابى نمى تدخله فى عداد الغزاة المجاهدين فى سبيل الله ولم تكن لاحد غيره من اسلافه واحفاده امراء مكة فرحم الله الجميع رحمة واسعة

﴿ تنبيه ﴾

ذكر العلامة الفاسى فى الاعلام بأخبار بلد الله الحرام ان الحبشة جاءت الى جدة فى خلافة الرشيد سنة ثلاث وثمانين ومائة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة مجاهدين واميرهم حينئذ عبدالله بن محمد بن ابراهيم المخزومى فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة فى البحر وقيل ان هذه القصة كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة وقد ورد فى فضل ثغر جدة احاديث كثيرة منها ماذكره شيخ الاسلام الحافظ

ابن حجر العسقلانى فى كتابه المسمى لسان الميزان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان على رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من افضل الرباط وفى رواية عن ابن عمر ايضا يأتى على الناس زمان يكون افضل الرباط بجدة وروى ايضا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من ابواب الجنة فى الدنيا الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت وفى شفاء الغرام للعلامة الفاسى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم مكة رباط وجدة جهاد وكان عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وكل ما يؤتى به الى مكة لا يخرج الا منها وروى ابن جريج ان فضل مرابطى جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان وعن فرقد السبخى انه يكون فى آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الارض مثلهم شهداء وقال الامام حجة الاسلام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ان بعض الاولياء كوشف فرأى ان جميع الثغور تسجد لعبادان وعبادان تسجد لجدة اه قال صاحب السلاح والعدة ينبغى لمن دخل هذا الثغر المبارك ان ينوى الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيأ لدفع أهل الكفر والعناد فبالنية يحصل له ثواب ما ينويه من الجهاد اذ العبادات متوقفة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

﴿ ذكر فتوحات معنوية لمولانا السلطان سليمان ﴾

اعلم ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من انواع الخيرات الجارية للمسلمين فى كل الجهات كل ذلك معدود من الفتوحات وفتوحات مولانا السلطان سليمان فى ذلك كله كثيرة وأعظمها ما كان بالحرمين الشريفين فمن ذلك انه جدد عمارة مولد النبى صلى الله عليه وسلم سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وفى سنة ست وخمسين وتسعمائة أرسل منبرا من الرخام لمكة وهو الموجود الآن وهو من تحف الدنيا ومكتوب عليه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وبعث مثله للمدينة المنورة على مشرفها افضل الصلاة والسلام وفى سنة ستين جدد ميزاب الكعبة وجدد للمسجد الحرام منارتين واحدة عند باب على والاخرى بين باب الدريبة وباب الزيادة وكل من المنارتين يسمى بالسليمانية وهما احسن منائر المسجد الحرام وبنى اربع مدارس للمذاهب الاربعة بين باب الدريبة وباب الزيادة وعمر تعميرا كثيرا فى الكعبة المعظمة وجدد سقفها وأمر بتصفح باب الكعبة بالذهب وباصلاح رخام المطاف ثم فى سنة اربع وستين امر بتجديد باب الكعبة فجدد وفى سنة سبع وستين وتسعمائة امر بعمارة عين زبيدة فعمرت حتى دخلت مكة وعم الانتفاع بها وكان الناس قبل ذلك يقاسون غاية المشقة فى تحصيل الماء وكان تمام هذا التعمير فى مدة سلطنة ابنه مولانا السلطان سليم والكلام على هذه التعميرات كلها طويل مبسوط فى التواريخ وبالجملة فمفاخر الدولة العثمانية وفتوحاتها وخيراتها لا تعد ولا تحصى لاسيما ما كان من ذلك لمولانا السلطان سليمان فهو واسطة عقدهم الفريد دام الله سلطنتهم على الانام ووفقهم لما يحبه ويرضاه على الدوام ومن فتوحات مولانا السلطان سليمان

(فى الحرمين)

فى الحرمين الشريفين تضعيف الصدقات والصرور لاهل الحرمين وهى مادة الحياة لهم وبها معايشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فهى وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام الا انه هو الذى ضاعفها وزادها وأنماها وأضاف عليها من خزينته الخاصة مبلغا كبيرا وقد تقدم ان صدقة الحب اول من أرسلها والده السلطان سليم فاعتنى بها مولانا السلطان سليمان وزادها وأفرز لها قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل ريعها لاهل الحرمين وجعل من ريعها لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة الفى اردب وكتب عند شرائه تلك القرى كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى ومن فتوحاته وخيراته صدقات الجوالى وهى جمع جالية ومعناها مايؤخذ من اهل الذمة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم عنها وهى من أجل الاموال اذا أخذت على وجهها المشروع ولاجل حلها جعلت للعلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء فلما كانت ايام سلطنة مولانا السلطان سليمان نور الله مرقده وحفه بالرحمة والرضوان بحث عنها وتحرى فيها ووجد سلاطين الجراكسة كانوا يرجون القليل منها فاجتهد فى تحريرها وضبطها واستوعب صرف جميعها للمذكورين وزاد على ذلك قدرا كثيرا أخرجه من خزائنه الخاصة به واستوعب بالضبط جوالى مصر والشام وحلب وغير ذلك من الممالك الاسلامية واستوعب العلماء والصلحاء والفقراء الموجودين فى الممالك الاسلامية وجعل لكل واحد مايليق به وجعل عمارات وتكيات تطبخ فيها الاطعمة للفقراء وناهيك بكثرة هذه المصارف فى وجوه الخيرات فالله تعالى يبقى هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة الزاهرة الفاخرة الى ان تنقضى الدنيا وتقوم الآخرة ومن خيرات مولانا السلطان سليمان وفتوحاته انه وقف اوقافا كثيرة متفرقة فى ممالك الاسلام وجعل وظائف للمدرسين والطلبة فى جميع ممالك الاسلام ورتب لهم معلومات جليلة تصرف من ريع تلك الاوقاف والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ وجعل تلك المرتبات متفاوتة على حسب مراتب من جعلت لهم وعلى قدر ترقيهم فى العلوم ولو استوفينا مافعله من الحسنات لاحتجنا الى عدة مجلدات فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا وعمله مبرورا

﴿ ذكر فتوحات مولانا السلطان سليم الثانى بن مولانا السلطان سليمان ﴾

كان جلوسه على تخت السلطنة بعد وفاة والده سنة اربع وسبعين وتسعمائة وكان دخوله القسطنطينية لتسع مضين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة يوم الاثنين ورجوعه من سكدوار موضع وفاة والده فى شهر جمادى الآخرة كما تقدم وكان مولانا السلطان سليم المذكور شهما شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير مهاب الشكل جميل الصورة جليل القدر صحيح العقيدة حنفى المذهب كبقية أسلافه مكرما للعلماء والصالحين محبا لهم مواظبا على الصلوات الخمس فى الجماعات وكان احسانه يصل الى اهل الحرمين الشريفين قبل ان يتسلطن فلما جلس على كرسى السلطنة ضاعف لهم الخيرات والعطيات

﴿ ذكر اول غزوة من غزواته ﴾

شاع في أول مدة جلوس مولانا السلطان سليم الثاني على تخت السلطنة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز عليهم عساكر كثيرة وجرت حروب وخطوب يطول ذكرها حتى استولوا على معظم قلاعهم وأخربوا أماكنهم وعادوا سالمين في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة وفي سنة ست وسبعين سارت جيوش السلطان سليم الى اليمن لاتمام الاصلاح ودفع المتغلبين صحبة عثمان باشا ثم أردف بسنان باشا وغيره فانتصروا وأزالوا المتغلبين والمتمردين من البرتقال وملكوا صنعاء وغيرها

﴿ الغزوة الثانية الى قبرس ﴾

وهي تتضمن غزوات لايزال اهل قبرس يتمردون ويخرجون عن الطاعة مرة بعد اخرى فتوجهت همة مولانا السلطان سليم المذكور الى التجهيز على جزيرة قبرس فجهز عساكر كثيرة في البحر ثلاثمائة وستين مركبا وجعل عليها الوزير مصطفى باشا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة فلما وصلت العساكر الى الجزيرة المذكورة استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة أولا اذ هي مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر ثم افتتحوها وقتلوا كثيرا من عظماء اهل لفقوسة وبعثوا برؤسهم في اطباق من فضة الى اهل قلعة كرينة فلما شاهدوها خافوا وذلوا فطلبوا الأمان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها ثم مهد الوزير المذكور قواعد مدينة لفقوسة وبنى ماخرب منها وتوجه الى حصار قلعة ماغوسة وهي من أمنع الحصون وأصعب المعاقل وقد حصنوها بكثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بالرجال وقد أحاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة أذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت في هذه القلعة من المدافع سبعمائة وأربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق مالايعلم عددها الا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا وفتقوا قعورها فتقا وبعث اهل قبرس الى ملوك الفرنج يستنجدون بهم فلم ينجدوهم فلما أيسوا من الخلاص طلبوا الامان [illegible] منهم الوزير المذكور وطلب كثير منهم المسير الى بلادهم فمكنهم من ذلك وحدد [illegible] ام [illegible]وا فيها أعلام الاسلام وعمروا ماتخرب منها وغنم المسلمون وتسلم المسلمون ماغوسة و[illegible] غنائم كثيرة ثم سارت الجيوش [illegible]الاسلامية الى جزيرة كفالية فنهبوها وهدموا بنيانها [illegible] ثم الى جزيرة كورفس وهي مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعاثوا فيها نهبا وتحريقا ثم فعلوا مثل ذلك بعدة جزائر هنالك فلما طال مكثهم على وجه البحر ورأوا ان العدو ما قابلهم اغتروا فأذن الوزير برتو باشا بالتفرق فتفرق غالب العسكر وقد ملؤا المراكب باسباب الغنائم وشحنوها فسابقته العساكر مرسين في المينا فوصل اليهم الخبر بان الكفار استخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون عليكم وواصلون اليكم في جموع كثيرة من ملل شتى وقبائل متفرقة واتحد البابا وملك اسبانيا مع البندقية على حرب العثمانية فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأي الوزير الاعظم برتو باشا في ذلك ان لايقابلهم ولايقاتلهم

وكان ذلك مقتضى طبعه لأنه كان جبانا الى الغاية وكان ماراه هو الأنسب بمقتضى الحال وخالفه كاشف البحر على باشا فى ذلك وكان رجلا شجاعا بطلا مغوارا فقال لابد من لقاء الكفار فان وهج العار أشد من وجه النار وقد ايدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة و بسطا فلو سارت اغربتنا وهى خالية من عسكر الاسلام لكفت قبائل الكفار وفينا من العسكر ما يفى بالمقابلة ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو فالتقى الجمعان فى السابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة وتقابل الفريقان فى طرف من بلاد المسلمين فهبت الرياح على المسلمين وألجأتهم الى البر فانهزموا بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس الى الغروب وقتل المرحوم على باشا المذكور وجماعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار ما معهم من الاموال والاسباب والاغربة والشوانى ومافيها وقل من سلم من هذه الوقعة وكانت عند الافرنج افراح عظيمة وجعلوا زمان تلك الغلبة عيدا يعيدونه كل سنة فسبحان الحكيم الصمد القادر الذى يفعل مايشاء

﴿ الغزوة الثالثة الى قبرس ايضا ﴾

[illegible] ما تقدم اهتم السلطان فى انشاء مراكب وسفائن اخرى مع ما يناسبها من المدافع [illegible] حتى تم لهم ما راموا فى مدة سبعة اشهر وما كان ذلك الا عناية من الله تعالى كأن لم يمسهم ضر ولا شر وفى سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من فم الخليج القسطنطينى صحبة كاشف البحر قلج على باشا القبودان فى مائة وخمسين غرابا غير ما انضم اليهم من المراكب [illegible] تحمى البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض أطراف البلاد صادف عمارة الافرنج [illegible] ريقين ببعض مقاتلة ومناوشة فأصاب عدة مدافع بعض سفن العدو فأغرقها ثم انجلى كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفى هذه السنة ارسلت مشايخ البندقية تطلب الصلح على شروط تعود الى شرف الدولة فصدر الامر بالقبول وتوقف الحرب

﴿ الغزوة الرابعة الى البغدان ﴾

فى تلك الايام كان حاكم البغدان قد أظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج فأرسلت اليه الجيوش والعساكر وأخذوه اسيرا ولما حضر ضربوا عنقه

﴿ الغزوة الخامسة الى تونس ﴾

كانت هذه الغزوة فى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة فى سفن وأغربة وغلايين وشوانى مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير الشهير سنان باشا وصحبته كاشف البحر على باشا قاصدين فتح قلعة حلق الواد وتخليص مدينة تونس فساروا وحاصروا حلق الواد وهو من أمنع الحصون فافتتحوها بعد قتال قتل فيه من الطرفين ناس كثير فقتلوا من بها من الكفار واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجى وأسروا صاحبها الاصلى محمد الحفصى وكان قد تحصن فيها خوفا من العثمانية واستعان بالفرنج الاسبانيين فلم يغنوا عنه شيأ فأسره عساكر السلطنة السنية وجاؤا به الى القسطنطينية وصارت تونس من الممالك العثمانية وهذه الغزوة كانت عظيمة الشان لا الغارة فى [illegible] المؤرخين وبسط الكلام عليها العلامة القطبى فقال ان سلاطين تونس كانوا الفا لقتال عثمان تقدم انهم أكثر عسكر

من فروع دولة ابن تومرت المهدى وان سلطنتهم كانت بتولية بنى عبد المؤمن لهم من سنة ستمائة وثلاثة واستمرت الى ظهور الدولة العثمانية قال القطبى لما ضعف الحفصيون ووهنوا وقع بينهم الاختلاف وصار بعضهم يستعين على بعض بنصارى الافرنج فيأتون بجنود من الكفرة ويقاتلون اهل تونس ويسبون اولادهم ونساءهم ويبنون القلاع فى تلك البلاد ويواصلون جنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولى النصارى سلطانا من الحفصيين يكون تحت حكمهم الى ان صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم للمسلمين وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس فى موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد وشحنوها بالابطال وملؤها بآلات الحرب والقتال وصارت الفرنج تكمن للمسلمين ويرسلون منها الاغربة والمراكب فى البحر على بلدان المؤمنين ويقطعون الطريق على المسافرين ويأخذون كل سفينة غصبا وكبير ملوكهم صاحب اشبيلية جزيرة الاندلس بعد أن أخذوها من المسلمين أعادها الله دار اسلام ببركة النبى عليه افضل الصلاة والسلام وقد كان خير الدين باشا لما تملك الجزاير استغاث به الرشيد احد ملوك تونس فأجابه وسار معه بجنود الى ان تملك تونس فى قصة طويلة ففزع الحسن بن محمد الحفصى الى اسبانيا فبعثوا معه جنودا وأخرجوا خير الدين باشا وعساكره وقصة ذلك طويلة فلما كانت سلطنة مولانا السلطان سليم الثانى بن السلطان سليمان جهز الجيوش الكثيرة وبعثها مع سنان باشا فى مائتى سفينة بالمدافع والآلات الكثيرة والذخائر الوفيرة سنة احدى وثمانين وتسعمائة فأحاطوا بتونس وحاصروها وضيقوا عليها ورموا عليها المدافع الكثيرة وقاتلوها قتالا شديدا وطموا خندقها بالتراب بعد تعب شديد وكان عمق الخندق ستين ذراعا وقعره متصل بالبحر ثم حمل الوزير ومن معه من الابطال حملة واحدة تزلزلت منها الجبال ودخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال وقتلوا من فيها وكان هذا الفتح العظيم لست عشرة مضين من شهر جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ومن أعجب الاتفاق ان هذه القلعة بنتها النصارى فى سنة ثمانية وثلاثين وتسعمائة وأحكموا بنيانها واستكملوه فى ثلاث واربعين سنة وافتتحها الوزير المذكور فى ثلاث واربعين يوما من ايام محاصرتها فكانت الايام بعدد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة ولما تم هذا الفتح رأى الوزير المذكور ان ترميمها وعمارتها وحفظها بالعساكر والآلات الحربية تحتاج الى مؤنة كثيرة وخزائن من الاموال فأمر بهدمها وتخريبها حتى لاتصير ملجأ للنصارى المخذولين ولما فرغ الوزير من امر حلق الواد توجه الى تونس وبها قلعة أخرى حاصرها العساكر ايضا الى ان فتحوها وأسروا صاحبها الافرنجى وصاحبها الاصلى الحفصى وبعثوا بهما الى دار السلطنة وصارت تونس من الممالك العثمانية وانقضت دولة الحفصيين بعد ان انقضى لهم فيها ثلاثمائة وثمانية وسبعون سنة هذا حاصل هذا الفتح بغاية الاختصار ومن فتوحات مولانا السلطان سليم الثانى المعنوية اضعافه المبرات والخيرات لاه [illegible] ريفين وعمارته المسجد الحرام فانه كان مسقفا بالخشب وتوالى عليه الخر [illegible] فى غاية من الخراب والوهن فبرز امره السلطانى بتعميره وان يتركوا [illegible] يجعلوه قببا وطواحن كما هو مشاهد الآن وبرز الامر بالتعمير

سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان الشروع فيه فى منتصف المحرم سنة ثمانين وتسعمائة وتوفى مولانا السلطان سليم المذكور قبل اكمال التعمير فأتمه ولده مولانا السلطان مراد فكان التمام سنة اربع وثمانين وتسعمائة فجاء نزهة للناظرين والكلام على ذلك طويل مبسوط فى التواريخ وتوفى مولانا السلطان سليم سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر وكان سبب وفاته أنه أنشأ حماما بدار السعادة وأحكمه غاية الاحكام بحيث انه لم يبصر احد مثله فلما تم الحمام دخله السلطان المذكور فبينما هو يمشى فيه اذ زلق قدمه فسقط سقطة عظيمة اسود منها جنبه الذى سقط عليه فمرض منها اياما ثم توفى رحمه الله وأقيم فى السلطنة بعده ابنه (السلطان مراد الثالث) وكان وقت وفاة ابيه غائبا فى مغنيسا فأخفوا موت ابيه احد عشر يوما الى ان حضر السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة فأظهروا موت ابيه وكان مولانا السلطان مراد المذكور ملكا جليلا تربى فى حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق كثيرا من أسلافه واشتغل بعلم التصوف ولم ينقل عنه انه صدر منه شئ من الكبائر وكان مكرما للعلماء والصالحين والفقراء محبا لهم كثير الاحسان اليهم وكان واقفا عند مراد ربه لا يتعداه عاملا فى أمره بتقوى الله مراعيا للعدل والاحسان فيما استرعاه لم يزل قائما بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين ولو لم يكن من مناقبه الا تكميل بناء المسجد الحرام لكان ذلك دليلا على كرامة الله له بين الانام وكان له نظم فائق باللسان العربى والتركى والفارسى

﴿ ذكر اول غزوة من غزواته الى بلاد العجم ﴾

كان أهم شئ عنده بعد جلوسه فى السلطنة قتال سلطان العجم لكثرة مايقع منه من الغدر ونقض العهود وهلك سلطان العجم طهماسب شاه سنة اربع وثمانين وتسعمائة وقام بعده ولده محمد خدابنده فعين السلطان مراد الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه فى سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارص وشحنها بالمدافع والمكاحل ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج وحاصر قلعة للكرج الى ان استولى عليها ثم التقى مع عسكر العجم وقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وحصدهم بالسيوف واستولى على اموالهم وخيولهم ثم استولى على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار وحاصر قلعة تفليس الى ان افتتحها وكان المسلمون افتتحوها قديما وغلب عليها الكرج ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت ام منوجهر الكرجى ملكة تلك البلاد ابنها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمانى قلاع فرحب به الوزير وآنسه وعين له امرة تلك البلاد بعد ان اسلم بين يدى الوزير ثم سار الى طرف شروان بعد ان نصب اميرا على تفليس وبث سراياه الى الاطراف وتمكن منها وترك فيها عثمان باشا بن ازدمر واليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير مصطفى باشا الى طرف بلاد السلطان وشتى هناك الاغارة فى الربيع على بلاد العجم ثم بلغه ان صاحب شروان القديم قصد بنحو اثنى عشر الفا لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد وانتصر عثمان باشا وقتل صاحب شروان وأكثر عسكره ثم وقع

بينه و بين عسكر الشاه هناك ماينوف عن عشرين وقعة وكان النصر فيها دائما لعثمان باشا ثم جاءه عسكر من العجم نحو ثلاثين الفا وقصدوه فى شروان فقاتلهم اربعة ايام ثم انتصر عليهم وقتل اكثرهم ثم ترك فى شروان جعفر باشا وتوجه الى القسطنطينية بطلب ليكون صدرا أعظم وقاتل فى مسيره عدة امم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ولما وصل الى بلاد كفة بلغه أن خاقان التتار أظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه

﴿ الغزوة الثانية الى بلاد العجم ايضا ﴾

وفى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث مولانا السلطان مراد وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم فأرسل اليه الشاه فى الصلح وبعث للسلطان احد وزرائه يدعى ابراهيم خان بتحف سنية وهدايا جليلة وظن سنان باشا ان هذه الحالة مما تعجب السلطان فلم يكن الامر كذلك بل عزله السلطان وأقام مقامه فرهاد باشا وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا بالعساكر الى بلاد العجم فسار وتوغل فى بلاد اذربيجان واستولى على مدينة وان وبنى بها حصنا حصينا ونصب فيها يوسف باشا واليا وفى سنة اثنتين وتسعين سار فرهاد باشا بعساكر وافرة الى بلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفى هذه السنة ايضا سار الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال العجم فشتى ببلاد قسطمونى وسار الى بلاد العجم فى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر مالا يعلم عدده الا الله فعارضه الاعجام فى الطريق فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز فى أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله اهل تبريز بمصاحفهم ووجوه الناس فقابلهم الوزير بالالطاف ثم شرع فى بناء قلعة حصينة ثم فى بناء سور المدينة فأتم الجميع فى مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من بعض اهل تبريز بعض الغدر فى أمر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا اموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ثم مرض الوزير وخرج متوجها الى بلاد الروم بعد أن أبقى فى مدينة تبريز نحو ثلاثين الفا صحبة جعفر باشا فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير حمزه مرزا بن شاه محمد خدا بنده سلطان العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير وهو مريض لقتالهم وركب بغلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامر امر برمى المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع فأصابت خلقا كثيرا من عساكر الاعجام وانجلى الامر عن هزيمتهم ثم نزل الوزير فى ذلك المحل وفتح ابواب الوطاق لاجل اعطاء الترقى والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل غلق ابواب الوطاق وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى واقام مقامه سنان باشا بمدينة وان فلما رحلوا اعترضهم العدو يمينا وشمالا ووقع بينهما منا وشات فلما وصلوا الى حدود المملكة العثمانية امام قلعة سلماس هجم حمزه ميرزا المذكور فى نحو ثلاثين الفا فوقع بين العسكرين قتال كثير وانجلى الحرب عن هزيمة الاعجام بعد أن حصد غالبهم بالسيف

﴿ الغزوة الثالثة الى بلاد العجم ايضا ﴾

فى سنة اربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان مراد فرهاد باشا مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى مدينة تبريز وحصنوا قلعتها ورمموا سورها وكانت الشاهية حاصروها مرارا عديدة

وقربوا من أخذها ثم بنى هناك بين وان وتبريز قلعتين وشحنهما رجالا وسلاحا ولم يزل الوزير المذكور يشتى ببلاد الروم ويرجع فى الصيف الى بلاد العجم حتى مهد البلاد التى أخذت من الكرج وبنى قلاعا وحصونا كثيرة وقاتل قره باغ محمد خان فكسره وغنم أمواله وعاد الى بلاد الروم والحاصل ان الحرب بين الدولة العثمانية والعجم كانت سجالا ثم انعقد بينهما صلح وجعل لكل منهما حد لا يتعداه احد منهما وكان ذلك فى مدة الشاه محمد خدابنده بن طهماسب بن اسماعيل وخلع محمد خدابنده سنة خمس وتسعين وتسعمائة لانه كان اعمى وأقيم بعده ولده عباس شاه

﴿ الغزوة الرابعة الى بلاد المجر ﴾

فى سنة احدى بعد الألف عين السلطان الوزير سنان باشا لمحاربة كفار المجر وأرسل معه العساكر ففتح تلك السنة قلعة بستريم وقلعة طاجة وشتى بمدينة بلغراد وفى السنة الثانية فتح قلعة قران بضم القاف وقلعة يانق وهى من أحصن القلاع وأصعبها قد أحاط بها الماء وهى مدينة ماتت الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومتانتها وكان فتحها عند النصارى بمنزلة المحال لصعوبة مراقيها واستعلاء مراميها وذلك بعد ان نال المسلمين شدة عظيمة قيل ان النصارى رموهم بمدافع فجاء مدفع بمصحف النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاه رجل قبل السقوط فلم يسقط ثم بعد ايام لما اشتد بهم الحصار سلط الله عليهم موتانا فجعلوا يموتون فى فرشهم من غير قتال فسلموا المدينة للمسلمين فدخلوها فوجدوها قد جافت من الموتى وسر المسلمون بذلك سرورا عظيما وتوفى السلطان مراد خان الثالث سنة ثلاث بعد الألف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه عشرون سنة وثمانية اشهر وتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثالث) قال فى خلاصة الأثر عند ذكره الملك الاعظم الباهر الشان كان سلطانا عظيم القدر مهابا جوادا عالى الهمة مظفرا فى وقائعه صالحا عابدا ساعيا فى اقامة الشعائر الدينية مراعيا لأحكام الشريعة مطيعا لأوامر الله منقادا لما يقرب اليه مداوما للجماعة والأوقات الخمس قائما بالسنن والرواتب ومن عادته المرضية انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم نهض قائما وبالجملة فأوصافه كلها حسنة فائقة وقال القرمانى فى تاريخه كان كامل الأوصاف محبا للعدل والانصاف محبا للعلماء والصلحاء مكرما لهم بأنواع الاكرام شديد المحبة للجهاد ونصرة الاسلام

﴿ الغزوة الأولى من غزواته ﴾

كانت هذه الغزوة الى المجر فى أول مدة سلطنته خرج عن الطاعة ميخاييل ملك الأفلاق واجتمع معه ملك النيمسا وبلاد الأردل وعاثوا فى بلاد روم ايلى فبعث السلطان محمد جيشا تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الأعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وقتل من جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا وكان شيخا مسنا فلم ينجح بل كسر ايضا فعزله السلطان وأعاده الى الصدارة فأشار على السلطان ان يخرج بنفسه للحرب فخرج بنفسه فى شوال سنة أربع بعد الألف بجيش غفير قاصدا بلاد المجر فوصل بلغراد وحاصر مدينة اكراى ففتحها وكان فيها قلعة فى غاية المنعة والتحصين فنازلها بجنوده وأطلق أمره فى ضربها بالمكاحل فاشتد البلاء بمن فيها فخرجوا منها طالبين الأمان وسلموها فى أواخر صفر سنة خمس بعد الألف ووصل خبر أخذها الى ملك الانكروس فقام وقعد وأرغى وأزبد

لأنها كانت عندهم من القلاع المعتبرة فكاتب ملوك النصارى فطلب الامداد منهم بالعساكر والذخائر فاجتمع اليه ملك النمسا وحاكم الاردل وحاكم البغدان وحاكم الافلاق وسواكن الجزائر من حكام البحر وكثير من ملوك الفرنج فجاؤا الى امداده بسبعة جيوش يضيق عنها الفضا وكان السلطان محمد سار بعسكره بعد الفتح السابق الى القلعة التي بها المدن فبينما هو في اثناء المرحلة الثالثة اذ دهمته النصارى من كل جانب وأحاطوا به وكان عسكر الاسلام حينئذ غير مستعد والنصارى في غلبة الكثرة جدا بحيث ان جمعهم المخذول لا يحصى فوقع حرب عظيم في ذلك اليوم كله الى ان دخل الليل فتفرقوا وكان ذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الاول وأصبحوا يوم الجمعة متحاربين ايضا واستعدت النصارى أزيد من اليوم الاول فكانوا غرقى في الفولاد ثم هجموا دفعة واحدة على المسلمين وفرقوهم بددا ووصلوا الى مخيم السلطان فطلب السلطان اليه معلمه الخوجه سعد الدين وكان في صحبته فحضر بين يديه وجعل يثبته والسلطان يستنهض عساكره الخاصة به ويستغيث بالله تعالى فلم يكن بأسرع من أن قوى المسلمون وأدركهم بعض المنهزمين ففرقوا شمل النصارى وأبادوهم ودخلوا بينهم والتحم القتال وتراجع جميع العسكر مسعفين فكسروا النصارى وردوهم على أعقابهم ووقع السيف فيهم وهم فارون حتى قتل بعضهم بعضا من الزحام وغيره ووهب الله تعالى له النصر والتأييد ولم يسلم احد من الكفار الا من هرب وغنم السلطان ومن معه غنيمة عظيمة وأحصيت قتلى المسلمين فكان الذي استشهد من القواد مايقرب من اربعمائة ومن الصناجق أصحاب الالوية بضعة عشر رجلا ومن الامراء الكبار اربعة أنفار ومن العساكر كثير ومن الكفار مالا يحصى والحاصل ان ماوقع له من النصر لم يقع لاحد من ملوك آل عثمان وذلك انما هو بمحض لطف الهي وامداد رباني غير متناه ولقد حكى ان ملوك الفرنج تطابق على هذا السلطان صاحب القرال وهذا الوصف انما هو لمن بلغ في الشجاعة المرتبة التي لا تسامى وانهم على عادتهم يصورون ملوك آل عثمان فيقدمون هذا في التصوير على كل الملوك وذلك كله بسبب هذه النصرة التي رزقها وفي خلاصة الاثر أن بعض العلماء رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يتذاكرون أمر هذه الغزوة فقال الصديق الاكبر رضي الله عنه ان انهزام المسلمين كان مقدرا لكن لما كان السلطان محمد سعيدا أكرمه الله تعالى فأمده بملائكة النصر حتى حصل له الظفر والتأييد ودخل السلطان الى مقر ملكه ثالث جمادى الآخرة سنة خمس والف بموكب حافل

﴿ الغزوة الثانية الى بلاد الانكروس ﴾

في هذه السنة عين محمد باشا الساطورجي سردارا على بلاد الانكروس فتقابل مع الكفار بجيش جرار ووقع بينهما قتال ووقع من محافظ بوسنة حسن باشا التريا كي اهمال في مساعفته ولولا ذلك ماخلص احد من الكفار

﴿ الغزوة الثالثة جهز مولانا السلطان محمد جيشا مع محمد باشا ﴾

في سنة سبع فتح محمد باشا المذكور قلعة واردار وفي هذه السنة استولى الكفار على قلعة يافق وبعض قلاع وفيها ايضا كبس ميخايل اللعين على غفلة قرب نيكبولي ففر محافظ الطونة

احمد باشا منهزما لمحاصر الامين قلعة نيكبولى مدة ثم رحل عنها وفيها غضب السلطان على محمد باشا الساطورجى لاهماله فى أمر المحاربة واتعابه العسكر واسرافه فى المصارف وانتزاع يافق فى زمانه واقتلاع بعض قلاع فأرسل اليه السلطان من قتله

﴿ الغزوة الرابعة جهزمولانا السلطان محمد جيشا ﴾

فى سنة ثمان بعد الالف ففتحوا قلعة قانيسره وكان فتحها على يد الوزير الاعظم ابراهيم باشا وكان فتحا عظيما يعادل فتح اكراى وسر بها المسلمون وزينت البلاد لهذا الفتح ثلاثة ايام وكان فى أيام محاصرتها وقع اضطراب عظيم فرأى بعض الصلحاء فى منامه شيخ الاسلام صنع الدين جعفر وهو يأمره بقراءة هذا الدعاء وهو اللهم قو قلوب المؤمنين بقوة الكرام البررة وألق الرعب فى قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعاء وداوم على قراءته الناس فظهر أثره ولله الحمد وفى هذه السنة استولت النصارى على استون بلغراد ثم استرجعت منهم

﴿ الغزوة الخامسة الى بلاد المجر ﴾

فى سنة عشر بعث مولانا السلطان سنان باشا ابن جغال لمحاربة المجر ففتح تلك السنة قلعة فنجة

﴿ الغزوة السادسة الى بلاد العجم ﴾

[illegible]نة احدى عشرة جاء الخبر بأن شاه العجم نقض الصلح واستأسر محافظ تبريز واضطرب امر المسلمين فضمت تبريز الى وان ووجهتا لكافل حلب نصوح باشا وعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا ثم توفى السلطان محمد قبل تمام الامر وكان تمامه فى مدة سلطنة ابنه (السلطان احمد الاول) وكانت وفاة السلطان محمد سنة اثنتى عشرة بعد الالف وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وشهران وتسلطن بعده ابنه السلطان احمد الأول وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان والقمر ليلة الرابع عشر يسمى بدرا ولذلك قال بعضهم ان السلطان احمد يستحق ان يسمى بدرا لأنه أضاء به الملك فانه لما تسلطن كان البغاة والخارجون قد كثروا فى كل ناحية من أواخر سلطنة والده فسعى السلطان احمد فى اخمادهم وجد فى قطع دابرهم حتى أبادهم وكان سلطانا عظيم القدر جليل الذكر محبا للعلماء وآل البيت والصحابة متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل سمح الكف جوادا لا تزال احساناته للفقراء واصلة وعطاياه لأرباب الاستحقاق مترادفة وجاء تاريخ جلوسه فى السلطنة هو خير السلاطين ومن خيراته ومآثره انه فى سنة أربع وعشرين وألف أرسل للحضرة الشريفة النبوية فصين من الألماس قيمتهما ثمانون ألف دينار فوضعهما فوق الكوكب الدرى وهذا الكوكب هو الذى تجاه الوجه الشريف فى الجدار وهو فى مسمار من الفضة مموه بالذهب فى رخامة حمراء ومن استقبله كان مستقبل الوجه الشريف وله صدقات كثيرة فى أهل الحرمين

﴿ ذكر غزوة من غزواته ﴾

جهز جيشا فى ابتداء دولته وأرسله مع وزيره الأعظم على باشا الى بلاد المجر فمات على باشا وهو متوجه فأقام بدله محمد باشا الذى كان سردارا فى الروم ايلى ثم سعى مراد باشا بالصلح بين مولانا السلطان احمد والمجر والهدنة عشرين سنة ودخل الى دار السلطنة

ومعه رسل المجر ومعهم الهدايا والتحف فقبل مولانا السلطان احمد ذلك

﴿ ذكر غزوة اخرى ﴾

فى سنة ثلاث عشرة بعد الالف جهز جيشا و بعثه مع محمد باشا البوسنوى احد الوزراء العظام لفتح قلعة استرغون فسار اليها ولم يتمكن من فتحها تلك السنة ثم فتحها فى سنة اربع عشرة

﴿ ذكر غزوة الى بلاد العجم ﴾

فى سنة ألف و أربع عشرة جهز جيوشا الى بلاد العجم وكان عليها سنان باشا بن جغال فوصل اليهم وقاتلهم وانتصر فى أول الأمر ثم خالف أمره بعض الوزراء الذين كانوا معه فكان ذلك سببا لانهزام الجيوش فانهزموا وقتل منهم خلق كثير

﴿ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم ايضا ﴾

فى سنة ست عشرة وألف جهز جيشا عظيما يقوده مراد باشا وكان قد كبر وشاخ فجعل الامر لنصوح باشا وتأخر فى ديار بكر ومرض ومات فتقدم نصوح باشا لمحاربة العجم فقاتلهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب سلطانهم عباس شاه والتجى الى بعض الجبال وأرسل يطلب الصلح فأجابه نصوح باشا الى ذلك بعد أن اشترط عليه أن يذكروا اسم السلطان فى بلاد العجم و يدعوا له فى الخطبة وان الشاه عباس يدفع مصاريف الحرب و يقوم بالخسارة التى أحدثها فى بلاد السلطنة العثمانية فقبل الشاه عباس ذلك وانعقد الصلح ورجعت العساكر العثمانية الى بلادها

﴿ ذكر غزوة اخرى الى بلاد العجم ايضا ﴾

فى سنة خمس وعشرين والف نقض الشاه عباس تلك العهود ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانيا بين الدولتين وأرسلت الجيوش العثمانية مع نصوح باشا فغلب وانتصر واستولت الجيوش على بعض القلاع بعد حرب شديد ثم وقفت الحرب بسبب كثرة الثلج والبرد ومات من العسكر جانب عظيم وأشيع ان الشاه انما نقض الصلح بمكاتبة جاءته من نصوح باشا وعده بالاعانة فأمر مولانا السلطان احمد بقتل نصوح باشا فقتل سنة خمس وعشرين والف وفى سنة ست وعشرين توفى السلطان احمد وعمره خمس وعشرون سنة ومدة سلطنته اربع عشرة سنة وأوصى بالسلطنة لاخيه مصطفى بن محمد لان أولاد السلطان احمد كانوا صغارا واخوه اكبر منهم وكان ابوه السلطان محمد أوصاه به فكان يرعاه فبويع اخوه (السلطان مصطفى) وخلع بعد ثلاثة اشهر لانه كان صالحا زاهدا متقشفا فلم تظهر كفايته للسلطنة لشدة بذله الاموال وكثرة ركوبه الى المحلات البعيدة من غير تقيد بامر مركوب ولا غيره لانه تارك للدنيا وليس براغب فيها بحيث انه كان فى مدة سلطنته لبسه جوخة خضراء باكمام عربية واما أكله فانه لم يأكل الدسم مطلقا وانما كان يأكل الكعك الناشف واللوز والبندق وانواع الفواكه واما امره فى النساء فان والدته أحضرت له جوارى عديدة فلم يقبل منهن واحدة وكان لايدرى من أحوال الملك الا مايلقى اليه فلما رأى أركان الدولة ان الامر به لاينتظم ذهب المفتى المولى اسعد بن سعد الدين الى اسكدار للشيخ محمود المعتقد الصالح العالم العامل يستشيره فى خلعه فأشار بخلعه وان يولى مكانه السلطان عثمان

ابن السلطان احمد ثم جاء من عنده وأخبر قائم مقام الوزير مصطفى اغا ضابط الحرم قريب العشاء من ليلة الاربعاء ثالث شهر ربيع الاول فأرسل القائم مقام الى الصوباش اذا جاء تك في غد ورقة مختومة فافعل بما فيها واحترس على الابواب فقال سمعا وطاعة وكان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم في مدة السلطان مصطفى واما مصطفى اغا فانه اول ما مضى من ليلة الاربعاء ست ساعات ذهب الى ابواب السرايا وقفلها جميعا وكذا ابواب الامكنة التي فيها اكابر الخدم وأخذ المفاتيح وهيأ المحل الذي فيه تخت السلطنة وأوقد فيه الشموع وفرشه باحسن الفرش وذهب من حينه الى السلطان عثمان في مجلسه الذي هو فيه وهو محل عمه مصطفى الذي كان فيه في حياة السلطان احمد وفتح عليه الابواب فحصل له رعب وتخوف من ان يكون عمه ارسله اليه ليقتله فقال له لا تخف انت صرت سلطاننا فلم يصدق ذلك فصار يحلف له ان القول صحيح ولازال يتلطف به الى ان ادخله الى محل التخت فألبسه ثياب الملك وأجلسه على التخت وقبل يده وصار يفتح ابواب السرايا بابا بابا ويدخل من كان داخل الابواب للمبايعة حتى لم يبق احد في السرايا بغير مبايعة هذا كله والسلطان مصطفى نائم عند والدته ثم أرسل مصطفى اغا للمفتي وقائم مقام الوزير فحضرا وبايعا ثم ذهبوا الى السلطان مصطفى قبل الفجر فطلبوه من الداخل فخرج اليهم وقال لهم ماجاء بكم في هذا الوقت فكان أول من تكلم شيخ الاسلام اسعد فقال له ان امر المملكة اختل وان الاعداء تسلطت علينا ونحن نخشى ضياع الملك وانت لست بلايق للسلطنة فأجابه بقوله انا ماطلبت منكم الملك ولا أردته وليس لى به مصلحة فقالوا جميعا لانكتفي بقولك هذا ولابد ان تذهب معنا وتبايع ولد اخيك (السلطان عثمان) فانا قد أجلسناه على التخت فقال جعله الله مباركا وليس عندى مخالفة وذهب وبايع السلطان عثمان فقالوا الآن نحضر جميع الوزراء واركان الدولة وأشهد على نفسك بالخلع فقال لهم أفعل ذلك فأرسلوا واحضروا الوزراء وقاضي العسكر وكتبوا عليه حجة بخلع نفسه وأرسل القائم مقام الورقة الموعود بها الى الصوباش وفيها الامر بالمناداة وتولية السلطان عثمان فنودى بذلك وتم الامر ومانتطح في ذلك عنزان وكان ذلك يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين والف وكان السلطان عثمان المذكور من أحسن السلاطين خلقا وخلقا وأجملهم شيما وطبعا له أدب وحياء وعرفان وفيه شجاعة وفروسية وكان ينظم الشعر التركى

﴿ ذكر أول غزوة من غزواته ﴾

كان الصدر الاعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة العجم في مدة السلطان مصطفى فلما بلغه خلعه رجع يطلب الانتقام ممن خلع السلطان مصطفى فلما وصل الى دار السلطنة وعلم حقيقة الأمر قاد الوزير المذكور الجيش ثانية لمحاربة العجم في مدة السلطان عثمان سنة ثمان وعشرين وألف ونجح في هذه التجريدة كل النجاح وارتجع من العجم الممالك التي اختلسوها وأرسل عباس شاه سلطان العجم يطلب الصلح على شروط موافقة للسلطان فأجابوه الى ذلك

﴿ غزوة ثانية الى البغدان ﴾

كان صاحب البغدان قد ألقى فتنة بين أهل بولونيا والدولة وحرضهم على العصيان

فأرسل السلطان عثمان اليهم اسكندر باشا فاستظهر عليهم وقتل منهم عشرين الفا وأسر عشرة آلاف ثم قتلهم وقطع رأس رئيسهم الذي حملهم على العصيان وأرسله الى دار السلطنة وألزم أهل بولونيا ان تدفع مائة ألف ريال وألزمهم ايضا بمصارف الحرب

﴿ غزوة ثالثة الى بولونيا ﴾

في سنة ثلاثين خرج السلطان عثمان بنفسه لقتال أهل بولونيا وهم القزاق وكان الذي خرج معه من الجيش ستمائة ألف مقاتل فأرسل أهل بولونيا يستنجدون بملوك الافرنج فأنجدتهم دولة الروسيا وفرانسا والبابا والمجر والنمسا وبعد محاربة شديدة طويلة فقد فيها من الطرفين نحو مائتي ألف انتصر عليهم وأخذ عدة قلاع وغنم غنائم كثيرة ثم عقد صلحا معهم ورجع الى مقر ملكه بعد أن أخذ منهم الجزية فهابته ملوك الآفاق وقويت شوكته واتسعت دائرة الملك في أيامه وكان فيه صلاح وتعطف وخشوع وأمر في أيامه بتعطيل خانات الخمر ودار عليها بنفسه وقفل أبوابها وطرد أصحابها

﴿ ذكر ارادته الخروج للحج المؤدي الى قتله ﴾

في شهر رجب من سنة احدى وثلاثين وألف عزم السلطان عثمان على الحج من طريق البر وأراد التوجه الى الشام وأخرج خيامه وسرادقه الى اسكدار سابع رجب وصمم على هذا الأمر فحصل اللغط من العسكر في ذلك اليوم وقامت الفتنة واجتمعت العساكر واتفقوا على عدم السفر معه وأخرجوا فتوى ان السلاطين لا يكلفون بالحج فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضبا شديدا ولم يلتفت الى كلام المفتي فأخذ المفتي وأصحابه يهيجون العساكر ثم تجمعوا في المكان المعروف ات ميداني واتفقوا على قتل الوزير الاعظم دلاور باشا وضابط الحرم السلطاني والدفتردار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى انهم كانوا السبب لتحرك السلطان الى السفر للحج ثم هجموا في ذلك اليوم بعد الظهر على بيت معلم السلطان ونهبوا أمواله وأرادوا قتله فما وجدوه ثم في وقت العصر اجتمع كبار العلماء بالسلطان وسألوه ان يسلم الوزير الاعظم وضابط الحرم او يقتلهما هو حتى تسكن الفتنة وأبرموا عليه بالسؤال فامتنع ثم تفرق العسكر وفي ثاني يوم وهو يوم الخميس اجتمعوا أيضا والعسكر كلهم بالأسلحة وآلة الحرب وذهبوا الى الموالي وجمعوهم بالجامع الجديد الذي عمره السلطان أحمد وأرسلوا قاضي عسكر وقاضي دار السلطنة وبعض الموالي الى السلطان بطلب الجماعة الذين [illegible] على قتلهم المذكورين اولا فامتنع من تسليمهم واستمروا في مراجعته الى وقت الظهر ومل العسكر من الانتظار فهجموا على دار الخلافة فوجدوا السلطان مصطفى في الموضع المحبوس فيه نائما على فراش بال وعنده خادمان أخرسان جالسين أمامه ومملوك يدعى درويش اغا فاستيقظ السلطان مصطفى فلما رآهم ظن انهم يريدون قتله فدلاهم عنقه بكل خضوع فأكبوا على أقدامه يقبلونها قائلين له يا سلطاننا عساكرك ينتظرونك خارجا قم فانهض بنا ورفعوا السلطان مصطفى وأنزلوه الى فسحة الجنينة وأركبوه على حصان المفتي وساروا به الى جامعهم ولما علم السلطان عثمان ذلك تحير في أمره فأخذ معه الوزير الاعظم السابق حسين باشا وذهب به الى بيت ضابط الجند ليدبر أمره وقال له السلطان تذهب وتأخذ خاطر العسكر

وتجعل لكل انسان منهم خمسين شريفيا وخمسة أذرع من الجوخ وألزمه بذلك فذهب الى العسكر وكلمهم فى ذلك فما كان جوابهم الا أن قتلوه وذهبوا من وقتهم الى بيته وقتلوا حسين باشا وقبضوا على السلطان وأحضروه بين يدى السلطان مصطفى فأرسله الى يدى قله وأحضروا دلاور باشا وضابط الحرم وقطعوا رأسهما وعلقوا رؤس الجميع على جامع السلطان بايزيد ووقعت البيعة العامة (للسلطان مصطفى) فجعل زوج اخته داود باشا وزيرا أعظم وبعد العصر من هذا اليوم ذهب داود باشا الى يدى قله من غير علم السلطان مصطفى وخنق السلطان عثمان وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه عند أبيه السلطان أحمد وذلك فى اليوم الثامن من رجب وجرت أمور هائلة ونهبت دور كثيرة من دور أركان الدولة وقيل فى تاريخ قتله

* مات سلطان البرايا ❊ فهو فى الأخرى سعيد *
* قال لى الهاتف أرخ ❊ ان عثمان شهيد *

٥١ ٦٦١ ٣١٩
١٠٣١

وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة والف ووفاته سنه احدى وثلاثين ومدة خلافته اربع سنوات وشهر وعمره سبع عشرة سنة بعد تمام البيعة للسلطان مصطفى بيومين جهرت العساكر الصباحية امام سرايا داود باشا وزير الصدارة يسألونه لماذا قتلت السلطان عثمان ونشأ من ذلك فتنة أخرى آل الامر فيها الى قتل داود باشا فقتل بعد عشرين يوما وصار البحث عن الاشخاص الذين تداخلوا فى قتل السلطان عثمان فقتلوهم واضطربت امور السلطنة والوزارة وقام أهل الاناطول وامراؤها ونوابها على ساق لطلب دم السلطان عثمان واظهروا الاستقلال التام فى ولاياتهم وامتنعوا من الدخول فى بيعة السلطان مصطفى ولم يزل الامر يزداد شدة الى ان خلعوا السلطان مصطفى رابع ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين والف فمدة سلطنته سنة واحدة وأربعة اشهر وماعاش بعد ذلك كثيرا وكانت ولادته سنة الف رحمه الله ولما خلعوه اقاموا فى السلطنة (السلطان مراد الرابع) اخو السلطان عثمان ابن احمد قال فى خلاصة الاثر وكان عمره احدى عشرة سنة وسبعة اشهر وجاء تاريخ ولايته *مراد خان العادل* ومع صغر سنه كان له عقل ثاقب ورأى سديد وكانت تظهر عليه أمارات
١٠٣٢ الشجاعة وقوة القلب فكان من أعظم ابطال ذلك الزمان وكان اسكندر الثانى فى تلك الايام بل كان من أعلى السلاطين مقدارا وأوسطهم همة واقتدارا خضعت لعظمته رؤساء الاكاسرة وذلت لحرمته وقهره تصلب فى قمع المفسدين سديد الرأى فى أمره كان من أمر أنه ابتدأ اولا باستئصال الطغاة من العسكر الذين قتلوا اخاه فاهتم بامر تحصيلهم من البلاد وتتبع قتلهم وأجاد وبلغ من قوته انه رمى بقوس الى درقة مطبقة احدى عشرة طبقة فثبت العود فيها فلم يقدر احد على انتزاع العود منها فأرسلها الى مصر وبرز أمره الى العساكر المصرية باخراج العود منها وأن من أخرجه يزاد فى علوفته فحاولوا اخراجه فعجزوا عن ذلك

* * *

﴿ ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد ﴾

لما بلغ العجم قتل السلطان عثمان واعادة السلطان مصطفى وعلموا اضطراب الدولة العثمانية وضعوا ايديهم على كثير من البلاد التى افتتحها العثمانيون وملكوها فمن ذلك مدينة بغداد وكانت بغداد فى كفالة الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين واحد من كبار عسكره اختلاف يقال له بكر الصوباش فحاصر بكر الوزير فى قلعة بواسطة العسكر فأصاب الوزير رصاصة مات منها فتغلب بكر على بغداد فلما رأى اضطراب امر الدولة أظهر العصيان والاستبداد فبعث اليه الدولة جانبا من العسكر لتأديب هذا العاصى وجعلوا امر هذا العسكر تحت رياسة حافظ باشا فلما بلغه ذلك كتب الى شاه العجم ان يحضر لكى يسلم له بغداد فأرسل من يستلم منه مفاتيح المدينة مع جانب من العسكر نحو ثلاثمائة وأنعم على بكر الصوباش بعمامة قزل باشا وقبل وصول العجم الى بغداد وصلت عساكر الدولة وأقامت الحصار على بغداد فأرسل بكر الصوباش لحافظ باشا يطلب منه أن يلقبه بكاس بك لكى يطرد الاعجام فلم يقبل منه حافظ باشا ذلك وفى اثناء ذلك وصل رسول العجم الى بغداد وارسل يقول لحافظ باشا ان بكر الصوباش صار يخص شاه العجم فاذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فارحل عن بغداد فغضب حافظ باشا من كلامه هذا وأجابه كلاما غليظا واشتبك القتال فلما رأى حافظ باشا انه لا يمكنه فتح بغداد لانها كانت حصينة وتكاثرت عليه عساكر العجم قام عنها وذهب على طريق الموصل بعد ان كتب الى بكر الصوباش انه والى بغداد يريد بذلك ترغيبه ليمتنع من تسليمها للعجم ففرح بذلك بكر الصوباش ورأى انه بلغ غاية مرامه فقتل جماعة شاه العجم وعلق رؤسهم على شرافات السور وأخذ العمامة التى بعثها اليه الشاه عباس ووطئها برجليه وأرسل رسولا الى حافظ باشا يشكر فضله على ذلك واما الشاه عباس فانه لما بلغه مافعله بكر من الانتقاض والخيانة حضر بنفسه ومعه جيش جرار وأرسل لبكر يطلب منه تسليم المدينة فامتنع وأجابه بأنه لا يسلمها ولا يقدر الشاه عباس على فتحها ولو أحضر لحصارها عشرة شاهات نظير الشاه عباس فجائت جيوش الشاه عباس وأحاطت باسوار مدينة بغداد فأمر بكر الصوباش باطلاق المدافع من الابراج على الاعجام واشتبك القتال بين الفريقين وأرسل بكر الى حافظ باشا يخبره بقدوم جيش الاعجام ويستنجده فأنجده بفرقة من العساكر تحت رياسة كورحسين باشا فلما وصل الى قرب بغداد نزل بعساكره فى موضع يقال له قروان سراى فلما علم قائد عسكر العجم بقدوم عساكر الدولة صنع خديعة وأرسل يطلب كورحسين باشا ليتحادث معه فى امر الصلح فذهب ومعه بعض كبار العسكر فبينما هم فى اثناء الطريق وثب عليهم جماعة من الاعجام كانوا كامنين لهم فى الطريق فقتلوهم وقدموا رؤسهم للشاه عباس عوضا عما فعله بكر بقتله الاعجام الذين علق رؤسهم على شرافات السور ومكث الحصار على بغداد ثلاثة اشهر فكانت الاهالى تشكوا من الجوع واشتد الحصار حتى أكل الادميون بعضهم وخرج كثير منهم الى معسكر الاعجام وكان لبكر ولد يقال له محمد وكان مثل ابيه فى الخيانة وكان هو المتسلم محافظة قلعة بغداد فأرسل له الشاه عباس يغشره ويعده ويمنيه بان يجعله حاكم بغداد عوض ابيه فاغتر وقبل وعد الشاه وفى الليلة الثانية

فتح ابواب القلعة ليلا للاعجام فهجموا ودخلوا المدينة بضجة عظيمة وكل ذلك سنة اثنتين وثلاثين وألف وكان بكر نائما فانتبه مذعورا من ذلك الضجيج وصراخ الاعجام وكانوا أصعدوا ناسا منهم الى المنائر يصرخون بقولهم قد انتصر الشاه عباس وتملك بغداد فلتطمئن الاهالى وتفتح الاسواق وترجع الناس الى اشغالها وذهب منهم جماعة الى بكر فى منزله فقبضوا عليه وأتوا به الى الشاه فلما وصل امامه رأى ولده جالسا الى جانب الشاه وأخذ الولد يوبخ أباه على الخيانة الاولى الذى حصلت منه فى حق الشاه ثم أمر الشاه ان تسلب جميع اموال بكر وتعطى لولده ثم انهم أخذوه ووضعوه فى قفص من حديد ووكلوا ولده بحراسته وفى اليوم السابع طرحوا ذلك القفص الذى فيه بكر فى موقد نار لكى يقرروه عن المكان الذى اخفى فيه الاموال ثم اخذوا ذلك القفص ووضعوه فى قارب مشحون بالزفت والكبريت وأضرموا فيه النار ليلتهب فى الدجلة امام الناس وحصل فى بغداد قتال بين أهل السنة والاعجام بسبب هذه الفتنة ولما كان بينهم سابقا من العداوة حتى جرى الدم فى أزقة المدينة وأخذ الاعجام خطيبين مشهورين من أهل السنة احدهما يدعى نورى افندى والآخر عمر افندى وأمراهما ان يسبا ابابكر وعمر رضى الله عنهما فامتنعا فعلقوهما فى نخلة وأطلقوا عليهما الرصاص فماتا من ذلك واما الشاه عباس الذى كان قد وعد محمد بن بكر بالولاية فى مكان ابيه فانه أخذه وارسله الى خراسان وأمر بقتله هناك فقتل وبعد ذلك أقام الشاه عباس فى بغداد مدة ثم سار بالعساكر لمقاتلة حافظ باشا ونزل على الموصل وأقام عليها الحصار مدة فلم ينجح فرجع الى بغداد وذهب حافظ باشا الى القسطنطينية ثم عاد بعساكر نحو عشرين الفا وسار لمحاصرة بغداد وتخليصها من العجم وانتشب فيهم القتال وطال الحصار فسأمت العساكر وقاموا على حافظ باشا فعزلوه وحبسوه فى قلعة خارج بغداد وأقاموا عليهم مراد باشا ثم عزلوه وارجعوا حافظ باشا ثم قاموا عليه ايضا ليقتلوه فهرب منهم واختفى فى موضع يقال له قلعة الامام ثم اصطلح مع العساكر ونهض بهم راجعا عن حصار بغداد فسير الشاه عباس خلفه جانبا من عسكره ليضربوه فى الطريق فقاتلهم حافظ باشا وهزمهم هزيمة هائلة وقليل منهم رجع الى بغداد ثم قام على مراد باشا فقتله لانه السبب فى اختلال الامور ثم سار حافظ باشا بعسكره الى الموصل فأقام مدة ثم جاءت الاوامر من الدولة أن يتقدم الى حلب الى ان تأتيه نجدة من العساكر وبعد مدة عزل حافظ باشا واقيم مكانه خليل باشا ثم مات وولى بدله خسرو باشا وكان الجيش الذى مع خسرو باشا مائة وخمسين الف مقاتل فجاء وحاصر بغداد وحصل قتال شديد ولم تحصل نتيجة فرجع الى الموصل وصنع وليمة لكثير من العسكر فلما حضروا قتلهم زاعما انهم السبب فى اختلال الامور وأرسل يطلب اربعين الفا وجرت أمور يطول الكلام بذكرها ومات الشاه عباس سنة ست وثلاثين والف وبقيت بغداد بيد العجم الى سنة ثمان واربعين والف ففتحها مولانا السلطان مراد بنفسه

﴿ ذكر فتح بغداد ﴾

فى سنة ثمان واربعين والف تجهز مولانا السلطان مراد وتوجه لفتح بغداد ومعه مائة الف

مقاتل ثم تتابعت الجنود حتى بلغت ثلاثمائة الف ولما خرج من دار السلطنة كان لابسا لبس العرب القدماء وعلى رأسه خودة من البولاد اللامع محاطة بشال احمر مسدولة اطرافه على اكتافه ولما وصلوا الى بغداد احاط العساكر باطرافها ولما بلغ الشاه ذلك جاء من تبريز ومعه عساكر كثيرة ليجد بهم عساكره الذين فى بغداد والتقى بعساكر الدولة على شاطئ الدجلة فقاتلوه قتالا شديدا وهزموه هزيمة قبيحة وكان يوما مهولا مشوما على الاعجام ثم شددوا الحصار على بغداد وضربت مدافع السلطان على الابراج وكانت مائتى برج فخرقتها وهدمت كثيرا منها وامر السلطان بحفر لغم عظيم ووضع فيه البارود واطلقت فيه النار فهدم جانبا عظيما من جدار السور فلما رأى اهل بغداد ما دهمهم بعثوا الى الشاه انهم يريدون التسليم فبعث الشاه الى السلطان فى طلب الصلح فلم يقبل ثم شدد السلطان الحصار ووالى القتال الى ان يسر الله فتحها يوم الجمعة ثامن شعبان وكان مدة حصارها اربعين يوما ودخلها العسكر ومولانا السلطان مراد فى اثرهم وقتلوا من العجم اكثر من عشرين الفا واسروا كثيرا من رؤسائهم وقيل ان الذين قتلوا من العجم فى هذا القتال خمسون الفا وبقى منهم ثلاثون الفا طرح البعض منهم نفسه فى نهر بغداد والبعض تشتتوا فى القفار وامر السلطان بقتل كل من يخفى عنده رجلا عجميا فجمعوا منهم بعد ذلك الف رجل وأتوا بهم الى السلطان فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكان الذى فقد من عسكر السلطان عشرة آلاف ثم أمر مولانا السلطان بتجديد عمارة مشهد الامام الاعظم ابى حنيفة ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنهما وأزال ما كان أحدثه الاعاجم فى المشهدين وأمر ببناء ما تهدم من السور والقلعة وشحنها بالعساكر وترك فى بغداد عشرة آلاف من العسكر وعين لكفالة بغداد وولايتها وزيرا ورجع الى دار سلطنته ومقر ملكه سالما غانما منصورا وكان لدخوله القسطنطينية احتفال عظيم فدخل وكان معه خمسون من خانات العجم مقيدين بالسلاسل وكان حاملا بيده حزمة من السلاح وأكتافه مغطاة بجلد نمر كما فعل اسكندر لما فتح مدينة بابل وبالجملة فقد كان هذا السلطان من أعظم ملوك آل عثمان ومما كان فى مدة سلطنته انه أمر بتبطيل القهاوى فى جميع ممالكه ومنع من شرب الدخان بالتأكيدات البليغة ومما يدل على سعادته العظمى توجه خاطره الى أهل الحرمين الشريفين وأمره لمتولين الجهات خصوصا مصر باجراء حبوبهم وارسال مغلات أوقافهم فامن أمر يرد منه الاوفيه الحث على ذلك ومن ذلك ايضا التفاته الى أخبار الرعية مطلقا والبحث عن أحوال ولاة البلدان التفاتا وبحثا تامين بحيث ان ولاة الجهات لايجاوزون حدا ومن سعادته العظمى عمارته الكعبة المشرفة وتجديدها كلها وذلك ان فى سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بمكة ودخل المسجد الحرام وهدم بعض جوانب الكعبة واتفق العلماء والمهندسون انه لابد من تجديد الجميع فعرضوا الامر الى مسامع مولانا السلطان حتى المذكور فبرز امره العالى بالتعمير فهدموا الباقى وعمروا الجميع فهذا البناء الموجود الآن من مفاخر مولانا السلطان مراد وتم التعمير فى شعبان سنة اربعين وكان أمير مكة بعد تعمير العمارة مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن ابى نمى وتوفى فى اثناء الثانية

امارة مكة مولانا الشريف عبدالله بن حسن بن ابى نمى وهو جد مولانا الشريف محمد ابن عون فكان تمام التعمير فى مدته وجاء تاريخ ذلك * رفع الله قواعد البيت * ولبعضهم

﴿ ١٠٤٠ ﴾

* مراد [illegible] الاله وزاده ※ سناء بهاء يزدهى زيد مجده *

١٠٣٩ ٢٣٠ ٨٠٩

ولما حصل هذا التعمير أبقوا باب الكعبة القديم على حاله ثم فى سنة خمس واربعين برز الامر السلطانى بتجديد الباب فجدد ووضع عليه حلية الباب الاول ووزنت قبل وضعها فجاءت مائة واربعين رطلا خارجا عن الزرافين فوزنها وماشابها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلا وكتب على الباب الجديد اسم مولانا السلطان مراد وذلك موجود الى الآن وارسل الباب القديم الى دار السلطنة وجعل فى الخزائن السلطانية وكانت ولادة مولانا السلطان مراد سنة احدى وعشرين والف وتوفى تاسع شوال سنة تسع واربعين والف وعمره تسع وعشرون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة ايام رحمه الله تعالى

﴿ ذكر ولاية مولانا السلطان ابراهيم بن احمد مع ذكر اول غزواته ﴾

لم يخلف المرحوم السلطان مراد ولدا وبقى من اخوته السلطان ابراهيم فبويع بعد وفاة اخيه قال فى خلاصة الاثر كان ملكا معظما حسن النظر سمح الكف وكان زمانه أنضر الازمان وعصره أحسن العصور وأطاعته جميع الممالك وسكنت بيمن دولته الفتن واعتدل به الزمن وبعد مضى سنتين من ولايته جهز جيشا لمحاربة القزاق فلم ينجحوا ثم ارسل عساكر وحاصروا ازوفة فلما تضايق أهلها أحرقوا المدينة وانهزموا فدخلتها العساكر السلطانية وعمرتها وأقامت فيها جانبا من العساكر للمحافظة

﴿ غزوة اخرى لمحاربة جزيرة كريد ﴾

فى سنة خمس وخمسين والف جهز السلطان ابراهيم جيشا فى مراكب بحرية نحو اربعمائة مركب لمحاربة جزيرة كريد بمائة الف مقاتل وسبب ذلك أن مراكب مالطة كانت قد تعدت على بعض مراكب الدولة ثم ذهبت فاحتمت عند مشيخة البندقية فى كريد فلما وصلت عساكر الدولة العلية أقامت الحصار على مدينة قندية وهى من اعظم مدن هذه الجزيرة وفى أقرب زمن استولوا عليها وجعلوا كنايسها جوامع ورجعوا الى القسطنطينية بعد أن تركوا فيها جانبا من العسكر فأرسلت لهم مشيخة البندقية عساكر فاستولوا على ما كان بايدى العساكر السلطانية واستأسروا جانبا منهم فغضب السلطان من هذا الامر وجهز عليهم تجهيزا آخر فأخرجوهم واستولوا على المدينة المذكورة وحاصروا قلعة رتمو وكانت قلعة حصينة الى أن ملكوها واستعانوا بالالغام حتى أهلك خلقا كثيرا ثم ملكوا بقية جزيرة كريد الا قلعة قندية وطال أمرها مدة طويلة فتركوها وسيأتى ذكر فتحها فى مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم

وجزيرة كريد من أعظم الجزائر واكبرها تشتمل على بلاد واسعة كثيرة وذكر بعض من دخلها أن بها من القرى اربعا وعشرين الف قرية وأن دورها

في سنة ثمان

مسيرة خمسة عشر يوما وهى ذات رياض نضرة وبها أنواع الفواكه والثمار وخيراتها وافرة ثم ان رجال الدولة خلعوا السلطان ابراهيم سنة ثمان وخمسين والف بسبب انه كان منهمكا فى اللذات والشهوات مسرفا فى انفاق الاموال وسلاطين آل عثمان انما عظم شأنهم بزهدهم فى الدنيا وعدلهم فى بيت المال وقد حكى ان بعض سلاطينهم تواعد مع شيخ الاسلام الذى كان فى وقته ان يجتمعا فى جامع من جوامع دار السلطنة فى وقت مخصوص بالخفية للتشاور فى بعض القضايا فحضر السلطان فى الوقت الذى توعدوا فيه وابطأ شيخ الاسلام فى الحضور وماجاء الابعد مضى مدة فلما حضر سأله السلطان عن سبب تأخره فقال لما أردت الخروج رأيت عمامتى وسخة فكرهت أن أقابل بها مولانا السلطان فأمرت أهلى أن يغسلوها وانتظرتها حتى جفت فلبستها وجئت فهذا يدل على انه ليس عند شيخ الاسلام غيرها فقال له السلطان لوكان عندى غير هذه التى على رأسى لاعطيتك اياها فانظر الى زهد هذا السلطان وزهد شيخ الاسلام فالاصل كله الزهد فى الدنيا والعدل فى بيت المال فالخلفاء الراشدون انما فتحوا البلاد ومصروا الامصار بالزهد فى الدنيا والعدل فى بيت المال لابكثرة الصلاة والصيام فالسلطان ابراهيم لما رأوه مسرفا فى الانفاق رأوه مخالفا لما عليه أسلافه فكانت أفعاله عندهم غير مرضية فخلعوه وأجلسوا فى السلطنة ولده محمدا فكانت مدة سلطنة السلطان ابراهيم ثمان سنين وتسعة اشهر وفى ثالث يوم من خلعه قتلوه وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان ميمون النقيبة منصور الكتيبة طالعه سعيد ماجهز جيشا الى ناحية الاانتصر ولاقصد فتح ناحية الافتحها لولا مانقموا عليه به من الاسراف فى بيت المال وجميع السلاطين الذين جاؤا من بعده كلهم من ذريته

﴿ فائدة ﴾

فى خلاصة الاثر انه اتفق للسلطان ابراهيم المذكور مالم يتفق لغيره من السلاطين فيما أعلم وذلك أنه رأى سلطنة ابيه وعمه واخويه وولده ثم ذكر انه استقرى من ولى السلطنة وكان اسمه ابراهيم فوجدوا لم يتم لاحدهم أمرها وقال الراغب فى محاضرته قال أبو على النظام كان المهدى يحب ابنه ابراهيم فقالت له ام ابراهيم ألاتراه يلى الخلافة فقال لاولايليها من اسمه ابراهيم ان ابراهيم الخليل أول نبى عذب بالنار وان ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش وبويع ابراهيم بن المهدى فلم يتم له الامر وأحكم ابراهيم الامام أمر الملك ليكون أول خلفاء بنى العباس فقتل قتله مروان بن محمد بن مروان وطلب الخلافة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى فقتل وبايع المتوكل لابنه ابراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل فسبحان من دبر الامور على طبق علمه وأجراها بحكمته وفى مروج الذهب للمسعودى قال ابراهيم بن المهدى كنت انا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيد ياابراهيم ماأحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فالثانى بعده قلت اسم هارون اسم امير المؤمنين قال فاأسمجها قلت ابراهيم فزبرنى

وقال و يلك ابراهيم خليل الرحمن عزوجل قلت بشؤم هذا الاسم لقى مالقى من نمرود وألقى في النار قال وابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى في جرابها النورة وازيدك يا امير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبدالله بن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم الارأيته مقتولا اومضروبا اومطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته يا ابراهيم يا عاض كذا وكذا من امه اى بظرها قال فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله اه

﴿ ولاية السلطان محمد الرابع بن ابراهيم ﴾

كانت ولايته سنة ثمان وخمسين وألف بعد خلع ابيه وكان عمره اذذاك سبع سنين وكانت أمور الدولة في ذلك الوقت مرتبكة عديمة الانتظام مزعزعة الاركان قد كثر حسادها واعداؤها وكانت من جهة المالية في ضيق وعسر والعساكر غير منقادة لأولياء امورها وأصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مبالين في تنفيذ اوامرها فمن هذه الاحوال نبعت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى اياما ثم يعزل او ينفى واستمر الحال هكذا نحو عشر سنين والدولة في تعكير والسلطان مع صغر سنه لايزال يبحث هو وأمه عن رجل فيه اللياقة لان يتبوأ مسند الصدارة الى ان عثروا على محمد باشا كوبرلى وكان مسنا حاذقا ذا دراية وخبرة وسياسة كاملة لان طول الايام علمه مالم يعلمه غيره فولى الصدارة سنة سبع وستين والف وشرع في سد الخلل الذى أوقع الدولة في الانحطاط وبرهة قصيرة انتظمت امور الدولة على أحسن نظام

﴿ ذكر غزوة في أيام السلطان محمد لقتال المجر والقزق ﴾

كانت هذه الغزوة بتدبير الوزير محمد باشا كوبرلى جهز جيوشا لقتال المجر والقزق وجميع العصاة الخارجين على الدولة حتى أهلكهم وابادهم وفي سنة ثمان وستين وألف استولى على مراكب للبندقية وأخذ جزيرة بتغداس وجزيرة ليمنوس

﴿ ذكر غزوة اخرى يتبعها اخرى ﴾

وجهز جيشا لقتال السرب فانتصر عليهم وقتل منهم مائة وخمسين ألفا وخرج جماعة من الأروام في بلاد الأفلاق وأظهروا العصيان فأرسل اليهم عسكرا فقاتلوهم وانتصروا عليهم وجهز جيشا لقتال البندقية فاخترمته الوفاة سنة اثنتين وسبعين وألف قبل اتمام الامر فلسندت الصدارة لابنه أحمد باشا الفاضل وكان أكثر من أبيه في الحذق وحسن السياسة وكان أبوه اقرأه العلوم حتى مهر فيها وكان صائب الرأى كامل الفراسة (فراسة عجيبة) مما ينسب اليه من الفطنة انه جاءه يوما شخص بتوقيع فتفرس فيه انه مصنوع فأعطاه لبعض اتباعه وأمره بحفظه حتى مضى على ذلك ست سنوات فجاءه يوما شخص آخر برقعة فلما رآها طلب ذلك التوقيع فجئ به فقابله على الرقعة فاذا الخط واحد ثم سأل صاحبها عن كاتبها فاخبره به فلما مثل بين يديه أراه التوقيع وقال اليس هذا بخطك فأقر فأمر بقطع يديه وعين له من بيت المال مايكفيه

﴿ غزوة ايوار ﴾

ومن الغزوات التي وقعت في ايام وزارته غزوة ايوار عينه السلطان محمد لفتحها فسار بجميع العساكر وحاصرها ووقع بينه وبين كفار المجر وقعة عظيمة ومكروا بعسكره مرات وخلصهم الله تعالى بيمن تدبيره ثم افتتحها سنة اربع وسبعين والف وهدم مما يليها قلعة تسمى القلعة الجديدة كانت الكفار بنوها ليتحصنوا بها

﴿ ذكر غزوة عظمى الى كريد ﴾

وفي سنة سبعة وسبعين توجه بجيش الى جزيرة كريد لفتح بلدة قندية التي كانت بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح كما تقدم شرح ذلك فلما وصلها بنى بالقرب منها مكانا كان متهدما لتهيئة مهمات الحصار ثم نزلها بمن معه من العساكر وكان اهل قندية حصنوها باشياء لايمكن حصرها واضافوا لسورها سورا آخر عمروه من داخل السور القديم وطال الحرب بين الفريقين مدة وأرسل أهل قندية الى فرانسا يستنجدونهم فأنجدوهم بعمارة بحرية فيها خمسة عشر ألف مقاتل وجاءهم ايضا نجدة من مالطة ومن البابا فاجتمعت مع عسكر فرانسا ونزلوا الى البحر وهجموا على العساكر العثمانية واقتتلوا قتالا شديدا كان النصر فيه لعساكر الاسلام فقتلوا أكثرهم ولم ينج منهم الا القليل فرجعت مراكب الفرنج بالخيبة ثم ان أهل قندية أرسلوا للوزير يطلبون منه الصلح فأجابهم الى ذلك وأخرجهم منها ووضع فيها العساكر الاسلامية ورجع الوزير الى مقر الملك ومعه جملة من مراكب مالطة وغيرهم غنيمة وكثير من الاسرى وفي غرة جمادى الاولى سنة ثمانين وألف وردت البشائر الى الاطراف بالزينة وكثرت تباشير الناس بفتحها واكثرت الشعراء من التواريخ لهذا الفتح ومن نوادرها التاريخ اللفظي المعنوي للفاضل الشيخ احمد الصفدي وهو قوله (في عام الف وثمانين عام)

﴿ غزوة الى بلاد القرم يتبعها اخرى الى بولونيا ﴾

وفي سنه اربع وثمانين توجه الوزير بجيش لمحاربة القرم المعروفين بالليه من النصارى فافتتح قلعة فنجة وفي سنة خمس وثمانين والف توجه بالعساكر الى بولونيا وفتح مدينة كنياكرة الشهيرة في متانة قلعتها وفتح بعدها جملة بلاد وحصون ثم عقد صلحا مع أهل بولونيا ووضع عليهم خراجا سنويا ولما رجعت العساكر الاسلامية بلغهم ان أهل بولونيا بدسائس النيمسا والبابا تحركوا وأظهروا العصيان وانضم اليهم عصاة من الافلاق والبغدان والقزق واتسع الامر وتوفي الصدر احمد باشا الفاضل سنة سبع وثمانين وألف وحزن السلطان وجميع الناس عليه وولي الصدارة مصطفى باشا وكان قد خدم الوزير محمد باشا وابنه احمد باشا الفاضل وترقى في الخدم والمناصب وتعلم كثيرا من سياساتهما وان لم يكن مثلهما

﴿ ذكر غزوة عظمى الى جهرين ﴾

وكان اول سفرة باشرها بعد ولايته سفرة جهرين فتوجه بجيوش عظيمة وافتتحها واحتوى على المملحة التي بالقرب منها وهذه المملحة من اعظم مجالب النفع لبيت المال حتى انهم يبالغون فيما يدخل منها حد المبالغة وسبب ذلك ان بلاد النصارى المعروفين بالموسكوف والقزق محتاجون

اليها وليس فى بلادهم مملحة غيرها ولما فتحت هذه القلعة سر الناس سرورا عظيما لان فتحها كان فى غاية الصعوبة وكان كثير من نصارى الروم يزعمون استحالة فتحها ويهزؤن بالوزير المذكور فى قصدها واشاعوا اخبارا فى انكسار عسكر المسلمين وهزيمتهم وكانوا يظهرون الشماتة وسبب ذلك مايعرفونه من انها تابعة لملك الموسكوف وهو اكثر ملوك النصارى جيوشا واكبرهم ملكا وبالجملة فان فتح هذه القلعة كان من اعظم الفتوحات وبعد فتحها زينت دار الخلافة ثلاثة ايام وكان السلطان محمد اذ ذاك ببلدة سلسترة بروم ايلى فكتب الى قائم مقام القسطنطينية انه يريد القدوم الى دار المملكة وانه لم يتفق له رؤية زينة بها مدة عمره وأمره بالنداء لتهيئة زينة اخرى ثم قدم السلطان فشرعوا فى الزينة وبذلوا جهدهم فى التأنق فيها واتفق اهل ذلك العصر على انه لم يقع مثل هذه الزينة فى دور من الادوار ثم وقع بعدها حريق فى القسطنطينية حرق فيه نحو اثنى عشر الف بيت ثم تراسل الحريق فى كثير من المحلات حتى حسب ما وقع منه فكان تسعين حريقا كل ذلك فى سنة واحدة فكان ذلك الفرح سببا لهذا الترح فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ ذكر غزوة الى بلاد النيمسا ﴾

ثم طلب الوزير مصطفى باشا من السلطان محمد الاذن بالسفر على بلاد الانكروس وافتتاح مدينة فينا قصبة بلاد النيمسا فأذن له السلطان وشرع فى تهيئة الاسباب من الذخائر ومكاتبة نواب البلاد والعساكر وجمع من الجيوش والجنود مالا يدخل تحت حصر حاصر ولم يتفق جمع مثله من الزمان الغابر ثم طلع الوزير المذكور من القسطنطينية بأبهة عظيمة مصمما على اخذ النصارى بالقوة الجسيمة ولم يزل هو ومن معه من العساكر سائرين الى ان وصلوا قلعة يالق يوم الخميس ثانى عشر رجب سنة اربع وتسعين والف ثم توجه يوم السبت قاصدا قلعة يج وأطلق امره فى نهب القلاع والقرى التى على الطريق فما كان للعسكر مشغلة الانهبها واحراقها واتلاف زروعها فاحرقوا من القلاع المعلومة نحو مائة قلعة ومايتبعها من القرى اشياء كثيرة جدا وكل قرية من هذه القرى بمثابة بلدة تحتوى على الف بيت او اكثر وجمع هذه القلاع والقرى فى نهاية الاحكام وحسن البناء والبيوت فى غاية من اتقان الصنعة مسوات بالرخام وفيها من السماقى مالا يوصف واكثر بيوت هذه البلاد ثلاثة طبقات الثالثة منها مصنوعة بالدق والخشب وعاثت العساكر فى بلاد الكفار الى قريب قزل ألما التى هى محل الانكروس المعروف بالبابا ونهبوا ما قدروا عليه وحرقوه ومن أغرب ما وقع فى هذا الأثناء ان سوقة العسكر كانوا كلما يدخلون قلعة من القلاع المذكورة فيرون فيها اناسا قلائل من النساء والرجال العاجزين عن الحركة فيقتلونهم ويستولون على القلعة ثم يطلقون فيها النار فعلوا هذا فى أكثر من أربعين قلعة وغنم المسلمون غنائم لا تحصر وأسروا نحو مائة ألف أسير بحيث بيعت الجارية مع ولدها بثلاثة قروش وهرب عسكر النصارى من يج ونواحيها وأخذوا معهم كثيرا من الأموال فلحقتهم جماعة من العسكر فاستأصلوهم قتلا ولما وصل

الوزير المذكور الى بج وهى مدينة فينا وكانت النمسا قد حصنتها تحصينا عظيما وضرب مخيمه بها وهى قلعة عظيمة يحيط بها من جوانبها الثلاث الدور والأبنية والعمارات والحدائق ومن جملة ذلك سبعة عشر مكانا باسم الملك تحتوى هذه الأمكنة على عجائب الزخارف والفواكه والفساقى من السماقى والرخام وقد تقدم ان عسكر بج كانوا قد هربوا وكذلك هرب أهل الخارج من الرعية ولم يبق الا نحو عشرين ألف رجل عشرة آلاف من العسكر وعشرة آلاف من الرعية فى داخل القلعة فأمر الوزير بمجاهدة القلعة فنصب عليها المكاحل وشرع العسكر فى رميها بآلات الحرب من المدافع والقلل حتى هدموا الدور والكنائس فضاق بمن فيها الخناق فى أقل من قليل والتجؤا الى ان يسلموها طوعا فأبى الوزير خوفا من ان ينهب العسكر مافيها من المال فراجعه الوزراء والعسكر فى المبادرة الى دخولها صلحا خوفا من أن يأتى أمر فقال ان ضمنتم لى العسكر فى أن لا يأخذوا شيأ فعلت فأبوا فتمادى الأمر يومين اوثلاثة وهو و بقية الوزراء فى اعمال الفكر على ان يفتحوها عنوة وما لهم علم بما سيحدث وكان ملوك النصارى قد تكاتبوا لتجتمع جيوشهم و يستعين بعضهم ببعض [illegible] قتال المسلمين وكان ملك النمسا لما سمع بقدوم المسلمين بالجيوش فر من مقر ملكه واحتمى ب[illegible] القلاع من بلاده وارسل يخاطب ملك بولونيا فى الاتحاد وقتال من يعاديهما فاتفقت النمسا والمانيا وكثير من الفرنج على قتال المسلمين وكان البابا يحرضهم على ذلك و يرغبهم فيه وكانت مدة الحصار خمسا واربعين يوما فبينما الوزراء يدبرون فى الفتح عنوة اذا بطلايع الكفار اقبلت وفى اثرها عسكر سد الفضاء وشبت نيران القتال لايبالون بقتل ولا ضرب بل يقدمون على الموت بجنان من الصخر وهجموا دفعة واحدة والعسكر فى غفلة عما يراد بهم واختلطوا بهم طامعين فى قتلهم وسلبهم وأطلقوا السيوف وجردوا أسنة الحتوف ولم يكن أسرع مما انقلب العيان وجدت فى الوجوه العينان وكان المقدم من المسلمين من عمد الى الفرار ولم يقرله فى تلك الحركة القرار فقتل من قتل ونجا من نجى واحتوت الكفار على السرادقات والخيول وفازوا بما كان يتعسر اليه الوصول وكر الوزير عن معه هاربا وتفرق العسكر فى تلك البرارى والوهاد ونفد ما كان معهم من الزاد ونفذ امر العلى الكبير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ثم اجتمع كثير من العسكر مع الوزير ببلغراد وأظهرت نصارى الافلاق والبغدان والاردل العصيان ورجفت الكفار على بلاد الاسلام قال بعض المؤرخين فى وصف اليوم الذى هجم فيه النصارى على المسلمين وهجموا دفعة واحدة على صفوف العسكر العثمانية واشتبك بينهم قتال مهول دائر من الصباح الى المساء حتى تخضبت الارض بالدماء وتغطى من العجاج ودخان البارود كبد السماء وصمت الآذان من صوت المدافع والقنابر وكان يوما مهولا لم يسمع بمثله فى زمان غابر وبقى الوزير مصطفى باشا فى بلغراد فى قلق واضطراب مترقبا لما يظهر فى حقه من طرف السلطنة من الجزاء والعقاب فبرز الامر السلطانى بقتله وتدميره جزاء له على ماجناه من سوء تدبيره فقتل فى المحرم من سنة الف وخمس وتسعين عليه رحمة المولى المعين وعين للصدارة بعده ابراهيم باشا وبعد تلك الوقائع الشديدة والحروب المهولة اخذ البابا يحرض أهل اوربا على طرد المسلمين من قرب بلادهم فاجتمعت العساكر من كل

(الجهات)

الجهات وصمموا على اخراج الاسلام من اوربا فتكفلت النيمسا وتكفلت مكدونيا بلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكنى شطوط البحر الابيض فى دلمانيا بكثير من البلاد وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الاطراف فكانت عساكر الدولة تحارب الافرنج من جملة أماكن والبابا يحرض الافرنج على التجلد والقتال وأنجدهم بجيوش كثيرة فلم ينجح تدبير ابراهيم باشا الصدر فعزل وأقيم مكانه سليمان باشا سنة سبع وتسعين وألف وسار بالعساكر الى بلاد المجر وكان هذا الصدر يريد ان يتمثل بمحمد باشا كوبرلى لكنه كان قاصرا فى التدبير فأراد العساكر قتله فتركهم وهرب الى القسطنطينية فقتله السلطان سنة ثمانية وتسعين والف وأقيم فى الصدارة سيواس باشا وكان السلطان مشغولا بالصيد واللهو وقد حفت المصائب بالدولة من كل جانب وكثر الجوع والغلاء والحرايق فتوامر أهل الحل والعقد من رجال الدولة وخلعوا السلطان محمد سنة تسع وتسعين وتوفى سنة اربع ومائة ألف وكانت مدة سلطنته اربعين سنة وخمسة اشهر

﴿ لطيفة ﴾

فى مدة السلطان محمد المذكور ظهر يهودى يدعى انه المسيح ومسلم يدعى انه المهدى فى عام واحد وهو عام ألف واثنين وسبعين اما اليهودى فظهر فى ازمير زاعما أنه المسيح وكان اليهود ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام وهو آخر الانبياء عليهم السلام فلما بعث عيسى عليه السلام كذبوه ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه ايضا ولم يزالوا ينتظرون النبى الذى وعدهم به موسى عليه السلام فاذا ظهر المسيح الدجال يتبعونه ويقولون انه هو النبى المبعوث فى آخر الزمان الذى وعدهم به موسى عليه السلام فلما ظهر هذا اليهودى بازمير ادعى انه المسيح عيسى ليغتر به كل من المسلمين واليهود ويتبعوه وأظهر لليهود انه هو [النبى] الذى وعدهم به موسى عليه السلام وكان فصيح اللسان جميل المنظر وزعم أنه يوحى اليه [وا]نه انما يتكلم بالوحى فصار يعظ الناس ويجتمعون عليه ثم انتقل الى بيت المقدس وكاتب اليهود الذين هم فى الممالك العثمانية فأجابوه وآمنوا به وصاروا يأتونه أفواجا ليتبركوا به ويبالغون فيما يحكونه عنه من اظهار عجائب وخوارق عادات كان يوهم عليهم بها ويصنعها بالحيل كالحواة فيزعمون انها معجزات فانتشر اسمه وكثر اتباعه وكان ذلك كله فى مدة سلطنة السلطان محمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم فاتح مصر فأراد الوزير المتولى دمشق أن يقبض على ذلك اليهودى المدعى لهذه الدعوى لما رأى من كثرة أتباعه وكان اليهود الذين بالقسطنطينية قد كاتبوه وطلبوا منه أن يأتى اليهم فتوجه اليهم واستعدوا الملاقاته ليأخذوا بيده ويتبعوه فأرسل الصدر الاعظم وقبض على ذلك اليهودى وهو فى المركب الذى جاء فيه ووضعه فى السجن فكان اليهود يطلبون الاذن من الصدر الاعظم ليأذن لهم فى زيارته فى السجن وتقبيل أقدامه فكانوا يأتون لذلك من جميع الجهات فوضع الوزير على كل من جاء لزيارته مالا جزيلا يأخذه منهم وجمع من ذلك مالا كثيرا فكان السجن يضيق عن هؤلاء الذين يأتون لزيارة مسيحهم ثم ان السلطان محمد

أحضر ذلك اليهودي بين يديه فأخذ يتكلم باللسان التركي كلاما ضعيفا غير فصيح فقال له السلطان محمد ان مسيحا مثلك يجب أن يكون فصيح اللسان بكل اللغات ثم قال له السلطان هل تصنع شيأ من العجائب فقال نعم في بعض الأوقات فقال له السلطان محمد اني اريد أن أجرب فيك هذه العجيبة وأمر أن يجرد من ثيابه و يوقف في فسحة الميدان و يرمى عليه بالرصاص فان نجا ولم يهلك علم صدقه فيما يدعيه فلما سمع هذا الكلام خر راكعا على الارض وقال ان قوتي لا تقدر على هذه العجيبة فأمر السلطان بقتله فرمى نفسه على قدم السلطان يقبلها و يعترف بالتوبة وتكذيب نفسه والدخول في الاسلام فقبل السلطان محمد منه ذلك فأسلم وحسن اسلامه وصار يعظ اليهود فأسلم منهم خلق كثير واما الرجل المسلم الذي ادعى أنه المهدي فانه رجل من الاكراد وظهر ايضا في هذا العام في ناحية الموصل وتبعه خلق كثير فقبض عليه وأتى به الى السلطان محمد ايضا فاحضره وعرض عليه مثل ما عرض على اليهودي فأبت نفسه الشقية أن يعترف بالتوبة و يكذب نفسه بل رضي أن العساكر ترمى عليه بالرصاص فرموا عليه فمات من ذلك وبعده خلع السلطان محمد واقيم في السلطنة اخوه السلطان سليمان الثاني بن ابراهيم

﴿ ولاية السلطان سليمان الثاني ﴾

فولي السلطنة وامور الدولة في غاية الارتباك وزيادة على ذلك هاج العساكر الانقشارية وقتلوا كبيرهم وقصدوا كثيرا من الوزراء ليقتلوهم وقتلوا الصدر الاعظم سيواس باشا وأقيم بعده اسماعيل باشا واستولى النيمسا على كثير من ممالك الدولة وكذا البندقية وبعد ثلاثة اشهر عزل اسماعيل باشا عن الصدارة وأقيم مكانه تكفور طاغلي مصطفى باشا سنة ألف ومائة وواحد وفي تلك السنة توجهت العساكر العثمانية الى ناحية ادرنة وفي ذلك الوقت كانت عساكر النيمسا محاصرة بلغراد ثم ملكوها تلك السنة بعد حصار طويل

﴿ ذكر غزوة السلطان سليمان الثاني ﴾

ولما بلغ الدولة أخذ بلغراد أمر السلطان بتجهيز العساكر لكي يخرج بنفسه وكانت الخزينة خالية من المال ففرضوا على اهل القسطنطينية ان كل عائلة تجهز خيالين وفي اثناء ذلك توجه من طرف الدولة الى فينا بلاد النيمسا ذو الفقار افندي لاجل المخاطبة في عقد الصلح فعرض عليه امبراطور النيمسا انه عند دخوله يسجد اولا عند باب القلعة وثانيا في وسطها وثالثا امام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه و يرجع ساجدا كذلك فأبى وأقام عشرة اشهر في هذه المنازعة ولما رأى السلطان أنه قد طال أمر هذه المخاطبة أمر بالذهاب الى الحرب فتقدمت العساكر الى بلاد المجر وحاربتهم وأخربت قلاعهم واستولت على أكثر البلاد وكان الجنرال درسكو فيس قد خرج على عساكر الدولة في نواحي بلاد اليونان وكسرهم وكان عددهم خمسين الفا واما عساكر النيمسا الذين كانوا في نواحي الطونة فقتلتهم العساكر العثمانية وشتت شملهم فتركوا البلاد والقلاع وفر من بقي منهم

﴿ ذكر غزوة الى بلاد النيمسا ﴾

ولما وصل ذو الفقار من بلاد النيمسا الى بلاد القسطنطينية وأعلم السلطان بما جرى له في بلاد

النيمسا لم يستحسن مصطفى باشا الصدر ان يتغاضى عن ذلك فعزم على حرب النيمسا فأمر بتجهيز العساكر وأخذ فى استجلاب قلوب الناس الذين كانوا تحت حماية النيمسا حتى احتموا بالدولة وأخذ جميع الآنية الفضية والذهبية التى كانت عنده وعند السلطان وأرسلها الى دار الضرب فسبكها معاملة ثم توجه لمحاربة النيمسا ومعه نحو مائة الف ففتح بيسا وودين وسمندريا وبلغراد ثم رجع الى القسطنطينية مظفرا منصورا

﴿ ذكر غزوة اخرى ﴾

وفى سنة الف ومائة واثنتين بلغ الدولة تقدم النيمسا فزحف عليهم مصطفى باشا بالعساكر المنصورة وتوفى السلطان سليمان فى رمضان من هذه السنة بداء الاستسقا وعمره خمسون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وتسعة اشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان احمد الثانى بن ابراهيم واول غزوة من غزواته ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده اخوه السلطان احمد بن ابراهيم وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا سائرا بالعساكر لمحاربة النيمسا وكانت عساكر الدولة تقدمت الى قرب بزرزدين واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين وانهزم من جيش المسلمين رئيس عساكر الاكراد فلما شاهد ذلك مصطفى باشا صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم فى وسط المعركة يحرض العساكر على القتال والسيف بيده واذا برصاصة أصابته فى رأسه فوقع قتيلا رحمة الله عليه وبموته تغلبت عساكر النيمسا على العساكر الشاهانية ووقعت الهزيمة وقتل خلق كثير من المسلمين قيل ان عدد القتلى كان ثمانية وعشرين الفا وفى ذلك الوقت كانت عساكر المسلمين البحرية منصورة على الافرنج نصرا شديدا وبعد موت الوزير أقيم مكانه عربجى على باشا ثم عزل سنة اربعة واقيم بيقلو مصطفى باشا وحدث فى هذه السنة حريقة فى القسطنطينية أحرقت ربع المدينة

﴿ ذكر غزوة فى خلافة السلطان احمد الثانى ﴾

فى ذى القعدة من هذه السنة توجه الوزير الى بلغراد لمحاربة النيمسا وكانت محاصرة بلغراد فلما بلغ النيمسا قدوم الوزير رفع الحصار وهرب من امامه فأمر الوزير بترميم الأماكن التى أخربتها عساكر النيمسا ورجع بعد ذلك الى أدرنة وبقى جيش الدولة محافظا هناك وكانت دولة انكلترا تداخلت مع دولة هولاندا فى اتمام الصلح مع الباب العالى والنيمسا ولم يتم وفى سنة خمس ومائة والف توجهت العساكر لمحاربة المجر وبسبب الامطار الكثيرة رجعوا الى بلغراد وفى سنة ست توفى السلطان احمد وعمره اربع واربعون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مصطفى الثانى وغزوة يتلوها غزوات ﴾

واقيم فى السلطنة بعده السلطان مصطفى الثانى بن السلطان محمد الرابع بن ابراهيم وبعد جلوسه عرض عليه قضية الصلح فلم يقبل بل أصدر فرمانا شريفا يقول فيه لا يجوز لعبيد الله ان يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة فمن الآن وصاعدا احتم ان التلذذ والكسل يهجر من دولتى العلية لان الاعداء قد أحاطوا بمملكة الاسلام واستأسروهم

وسوف آخذ ثارهم ان شاء الله تعالى وأسير امام جيوشي لأن جدي سليمان العظيم الذي تتصاعد رائحة الطيب من قبره لم يكن يرسل وزرائه فقط للجهاد بل كان يخرج بنفسه للمبارزة في الجهاد المقدس حتى ان فخره ومجده قد انتشر في جميع الاقطار المسكونة وأنا سوف أصنع نظيره فأطيعوا أمير المؤمنين والسلام وكان السلطان مصطفى المذكور محبا للعلوم والمعارف متدينا عادلا وعلى جانب عظيم من الرقة والحذق ثم اجتمع رجال الدولة واتفقوا على ان السلطان لا ينبغي ان يخاطر بنفسه فلم يلتفت الى كلامهم

﴿ ذكر غزوة من غزوات السلطان مصطفى ﴾

ثم عزم على الخروج بالعساكر فأمر بجمع الجيوش وأرسل عمارة بحرية فضربت مراكب مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة مهولة وشتتهم في جهات البحر الابيض وتملكت عساكر الدولة جزيرة ساقس وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر الطونة وقاتلوا عساكر النيمسا وملكوا جملة بلاد وقلاع وقطعوا رأس الجنرال فيتراني وكانت عساكره أكثر من عساكر الدولة بخمس مرات وأخذوا مدافعهم ومهماتهم وهدموا القلاع والحصون وعند دخول الشتاء رجع السلطان بجانب من العساكر الى ادرنة وترك الباقي يحارب النيمسا ثم دخل بالعساكر القسطنطينية في موكب حافل ومعه اسارى كثيرة ومدافع وبيارق من غنائم النيمسا وفي أثناء ذلك حاصر ملك المسكوف قلعة ازوف فكسرته عساكر الدولة تحت أسوارها وقتلت من عساكره ثلاثين الفا ورجع عنها بعد حصار ثلاثة أشهر وتملك المسكوف بحر ازوف وبنى على سواحله قلاعا

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

بلغ السلطان ان النيمسا جمعت عساكر كثيرة وجعلت قائدها اوجين الفرنساوي وكان متدربا في الحروب فسار السلطان سنة ثمانية ومائة وألف بمائة الف مقاتل الى مدينة أدرنة وأرسل الجيوش منها لمحاربة النيمسا فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكان النصر للمسلمين فقتلوا من النصارى عددا كثيرا وشتتوهم في جميع الجهات ورجع السلطان الى مقر ملكه

﴿ غزوة اخرى ﴾

في سنة تسع بلغ الباب العالي رجوع عساكر النيمسا مع الجنرال اوجين الفرنساوي فخرج السلطان بنفسه بالعساكر وصحب معه وزيره الصدر الاعظم محمد الماس باشا واستولوا في طريقهم على عدة قلاع ثم التقوا بجيوش النيمسا التي مع اوجين الفرنساوي ووقع بينهم وقعات ثم صارت الهزيمة على عساكر المسلمين وقتل الصدر الاعظم في ميدان الحرب واقيم مكانه حسين باشا ثم انهزم ورجع الى بلاد المجر وفي اثناء ذلك سعت دولة فرانساوانكلترا وهولندا في الصلح واختاروا مدينة كرلو قرلا نعقاد الجمعية بهذا الصدد والسبب ان الدولة كانت كلت وقلت النقود من كثرة الحروب فحصل القبول لهذه الجمعية فاجتمعت عمد الدولة العلية ودولة فرانسا وانكلترا والموسكوف والنيمسا والبندقية وبولونيا وهولندا وبعد سنة وثلاثين جلسة في برهة اثنين وسبعين يوما تم الصلح

في رجب سنة ألف ومائة وعشرة وانعقدت شروطه باتفاق الجميع وتلك الشروط تعرف بشروط كازلاويز وكان من جملة الشروط حصول الهدنة ومتاركة الحرب مع النيمسا خمسا وعشرين سنة واما الموسكوف فلم يقبل الا بهدنة سنتين وبعد انعقاد الصلح هاجت الناس والعساكر بسببه وانتشر من ذلك فتنة عظمى وطالت الى ان قاموا على السلطان وخلعوه وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله افندى قيل ان السلطان مصطفى لما بلغه انهم يريدون خلعه دخل على اخيه احمد واخبره بذلك وترك له كرسى السلطنة فكانت مدة ملكه ثمان سنين واربعة اشهر وكان خلعه سنة خمس عشرة ومائة وألف ومات في السنة التي بعدها فعمره احدى واربعون سنة (ولاية السلطان احمد الثالث) وتسلطن بعده اخوه السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع بن ابراهيم وكان من الصالحين المحبين للجهاد واقامة الحق ولما جلس على تخت السلطنة كان أهم شئ عنده اخذ القصاص من العصاة الذين كانوا سببا في تلك الفتنة وقتل كثيرا منهم

﴿ ذكر غزوة في زمن السلطان احمد الثالث ﴾

ثم جهز عمارة بحرية لمحاربة البندقية في جهات المورة فملكوا اكثر الجزائر واستأسروا كثيرا من البندقية واستولوا على مراكبهم وفي سنة ست عشرة ومائة وألف قامت الحرب على ساق وقدم بين قيصر الروسية بطرس وكارلوس ملك السويد واسترسلت الى سنة فانكسر اخيرا كارلوس المذكور وفاز عليه قيصر الروسية بطرس الأكبر ولما انهزم ملك السويد دخل في حدود الدولة فأمر السلطان وقتئذ أن يكرم غاية الاكرام وأن تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة ومكث في بلاد الدولة مدا وما الالحاح عليها لمحاربة الروسية اعانة له فامتنعت الدولة من اجابته

﴿ ذكر غزوة الى الروسية ﴾

ثم اجابته في سنة ثلاث وعشرين ومائة والف واشهرت الحرب على الروسية وجهزت جيشا تحت قيادة محمد باشا البلطجى فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر برت وبعد كفاح شديد تقهقر جيش الروسية وامسى القيصر في خطر مبين ولو لم تتدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لاصبح زوجها أسيرا فعقدت صلحا مع الوزير الاعظم تحت شروط منها ترجيع بحر أزوف الى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر وبترك المدافع التي فيها وعدم مداخلة الروسية فيما يخص القزق وان تتعهد لملك السويد [illegible] رجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين أرسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وأمر بعزله ونفيه فات بعد شهر وأقيم مكانه يوسف باشا وتم رأى رجال الدولة على ابطال ذلك الصلح مع الروسية واشهار الحرب عليهم بعد قتل جملة اشخاص كانوا السبب مع ذلك الوزير في تلك العهود وكان يوسف باشا الصدر الجديد لا يريد الحرب فلذلك صار يؤخر في تجهيز المهمات الحربية واجتهد في تجديد الصلح مع الروسية على هدنة خمس وعشرين سنة فلما بلغ السلطان ذلك امر بعزل يوسف باشا وأقام مكانه سليمان باشا وذلك سنة ألف ومائة وأربعة وعشرين ثم ان ملك السويد

أراد الرجوع الى بلاده وطلب من الدولة ألف كيس فأمرت له بها ثم طلب ألفا اخرى فأمرت له بها فغضب الوزير وأراد اخراج ملك السويد بالعنف وجرى بينه وبينه أشياء يطول ذكرها فعزل السلطان الوزير سليمان باشا وأقيم مكانه ابراهيم باشا ثم بعد عشرين يوما عزل وأقيم مكانه داماد على باشا فعقد الصلح مع الروسية على خمس وعشرين سنة وفى اثناء ذلك حضر الى ملك السويد كتاب من اخته تقول له ان حضوره لازم لأجل راحة المملكة فعزم على الرحيل واستأذن الدولة فى الرجوع فأمرت له بستمائة جاويش لأجل محافظته فى الطريق وأهدته ثمانية أفراس من جياد الخيل وصيوانا مطرزا بالذهب وسيفا مرصعا بالأحجار الثمينة فرحل من بلاد الدولة سنة ست وعشرين ومائة وألف شاكرا افضال الدولة على ماصنعته معه من الغيرة والمساعدة ونحو ذلك من الاعمال الممدوحة التى تستحق ان ترقم فى صحايف التواريخ لتكون تذكارا بين الملوك وأهل السويد لاينسون هذا الجميل الذى فعلته الدولة العلية فى حق ملكهم

﴿ ذكر غزوة عظمى ﴾

وفى سنة ست وعشرين ايضا فتحت الدولة الحرب على البندقية واستولت العساكر العثمانية على اكثر بلاد المورة وعلى جزائر البنادقة وذلك سنة سبع وعشرين ومائة وألف وكانت مشيخة البندقية استغاثت بملك النيمسا وهو اذ ذاك امبرطور المانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العلية يطلب منها ان ترسل معتمدا من طرفها الى حدود بلاد المجر لأجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان أبت عن ذلك فانه مستعد أن يشهر الحرب عليها فلم تجب الدولة هذا الطلب

﴿ ذكر غزوة ﴾

بل أرسلت على الفور الصدر الأعظم بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة المانيا فوافاهم ثمانون ألفا من عساكر الألمان تحت قيادة الأمير اوجين الفرنساوى والتقى الجيشان عند كارلوفيتز والتحم القتال بين الفريقين مدة ايام وكان الصدر الأعظم داماد على باشا من أحسن ابطال زمانه فكان ينزل فى ميدان الحرب ويقاتل بنفسه أشد القتال فقدر الله انه قتل فى ميدان القتال فانهزمت الجيوش العثمانية انهزاما مهولا واستولت عساكر العدو على المهمات والمدافع ثم تقدموا الى مدينة تمشوار وحاصروها شهرين وملكوها .

﴿ ذكر غزوة اخرى ﴾

وولى الصدارة خليل باشا فجهز جيشا لقتال العدو وسار الى أدرنة ومنها الى بلغراد واشتبك القتال بين الجيشين سنة ١١٢٩ ولسوء تدبير هذا الوزير وقعت الهزيمة ايضا على جيش المسلمين وملك العدو مدينة بلغراد فعزل الصدر وأقيم مكانه محمد باشا وعزل بعد ثمانية اشهر وأقيم مكانه داماد ابراهيم باشا وكان جانب من عساكر الدولة مشتغلا بالحرب مع العدو فى جهة بوسنة ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطنة فتحت المخابرة فى الصلح سنة ثلاثين ومائة وألف وكان السلطان يريد عقد الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فأجاب الأمير اوجين بأن الأمبرطور لايفتح المخابرة الا تحت شرط عقد الصلحين

سواء تحت نظره وأردف هذا الطلب بأن يعطى له ماعدا مصار يف الحرب ومدينتى بلغراد وتيمفار اقليما بوسنة والصرب الواقعان فى الجهة اليمنى من نهر الدانوب والأفلاق من حدود بغدان الى نهر دنيستر وأن ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالب على السلطان احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار فتداخلت اخيرا دولتا انكلترا وهولندة فى نقض الخلاف وصار القرار على ان يبقى فى يد كل من الدولتين الأملاك التى تكون فى يدها عند امضاء المعاهدة وان يبقى أيالة المورة للدولة العلية وفى سنة ثلاث وثلاثين حدثت حريقة مهولة فى القسطنطينية أحرقت نحو ربعها وبعد نهاية الصلح جددت الدولة مع الروسية وملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهود

ذكر غزوة الى بلاد العجم

فى سنة ثمانية وثلاثين جاء جماعة من اهل السنة يسكنون فى حدود العجم الى السلطان احمد يشكون من المظالم والتعدى التى يجريها الشيعة عليهم ويستنجدون به ويطلبون خلاصهم من تلك المظالم فأجابهم السلطان احمد وسير جيشا الى بلاد العجم وفتحوا جملة حصون ومدينة ارمقان ونهاوند وتبريز وشتتوا جموع الأعاجم قتلا واسرا وامتلأت أيديهم من غنائمهم فارسل شاه العجم يخاطب الدولة فى الصلح فقبلت بشروط ان يرجع الى الدولة البلاد التى كان استولى عليها وفى اثناء ذلك مات شاه العجم حسين وملك ولده طهمسب فأرسل الى الدولة يطلب ترجيع الاملاك التى اخذت من ابيه وحاصر تبريز وملكها واستولى على ستمائة جمل من الامتعة فصدر الامر من السلطان احمد بتجهيز العساكر لحرب الاعجام وعند ماكانوا على هيئة الذهاب وذلك سنة ثلاث واربعين ومائة والف هاجت العساكر الانقشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان قتل الصدر الاعظم ابراهيم باشا وشيخ الاسلام وقبطان باش وكتخدا بيك لشكايا يشكون منها فلم يقبل السلطان منهم ذلك فقالوا نسمح عن شيخ الاسلام فقط ثم قتلوا الصدر الاعظم ابراهيم باشا وكتخدا بيك ثم ان بعض العسكر انكروا ان المقتول ابراهيم باشا وقالوا ان المقتول رجل يشبهه وليس هو ورجعوا يطلبون من السلطان احضار ابراهيم باشا واخذوا يصرخون يعيش السلطان محمود وساروا يطلبون السلطان محمود فى المكان الذى هو فيه واتوا به الى الديوان وأجلسوه على كرسى السلطنة وبايعوه بعد أن خلعوا عمه السلطان احمد فكان خلعه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وتوفى سنة تسع وأربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة واحد عشر شهرا

ولاية السلطان محمود الأول

وأما ابن أخيه الذى أقيم فى السلطنة بعده فهو السلطان محمود الأول بن مصطفى بن محمد بن ابراهيم هكذا ذكر هذه القصة فى كثير من التواريخ ورأيت فى تاريخ مكة للرضى حكاية كيفية خلع السلطان أحمد المذكور وكيفية قتل الوزير ابراهيم باشا فقال فى تاسع عشرين شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف كان جلوس السلطان الاعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان محمود بن السلطان مصطفى بن محمد ورفع عمه السلطان أحمد بن السلطان محمد المتولى فى سنة ألف ومائة وخمس عشرة وكان هذا الرفع والجلوس لاسباب

وأمور اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم وهو انه لما تكاثرت المظالم من
وزير السلطان احمد ابراهيم باشا ومن كيخيته حتى زاد الحال على المسلمين اجتمع من أطراف
العسكر اثنا عشر نفرا لا زيادة واستمروا عشرة ايام وهم فى كل يوم يخرجون ويجتهدون
فى ان يعضدهم أحد من العسكر فلم يحصل ذلك وفى اليوم الحادى عشر تكاثرت الأمة
عليهم فغاب منهم أحد عشر لا يدرى أين ذهبوا ولم يبق منهم الا واحد فصار ذلك الواحد
امير تلك الأمة المجتمعة فأركبوه جوادا وامتثلوا له جميع ما أمر وصار عدتهم فوق العشرة
آلاف وفى اثناء ذلك والسلطان احمد حافظ للوزير وكيخيته وأمير البحر المسمى بالقبطان
وهو فى غاية الذلة والهوان أرسل اليه أمير الأمة المذكور بأن ادفع الينا الوزير والكيخيا
نريد أن نقتص منه مظالم الخلق فاضطرب حالهم اضطرابا انجلى عن قتل الوزير لكيخيته
بيده ثم قتل القبطان ايضا بيده ثم قتل الوزير بعض خدم السلطان وأرسل اليهم رؤس الثلاثة
بناء على أن ذلك مرض لهم فزاد الحال وكثر الجدال وقالوا ان قتل القبطان كان ظلما لأنه لم
يصدر منه مايوجب ذلك وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وأما قتل الوزير وكيخيته
يكن لنا به غرض بل كان مطلوبنا حضورهما حيين نطالبهما بحقوق العباد وما كان يصدر
منهما فى البلاد ثم صرخوا بعدم الرضا بالسلطان ايضا فعرض عليهم تولية ابنه السلطان سليمان
فامتنعوا عن ذلك فرأى هو ومن لديه من أهل الحل والعقد انه لا يطفى هذه الثائرة الا
اخراج السلطان محمود من الحبس وتوليته السلطنة فقام السلطان أحمد بنفسه وذهب اليه
فى الحبس وأخرجه وأجلسه على التخت ثم أرسل اليهم بأن يتفرقوا فأبو الا بعزل بعض
اشخاص عن مناصبهم وتولية غيرهم وقتل آخرين ونفى جماعة فتم لهم ماطلبوه ثم رغب
منهم السلطان محمود التفرق فتوقفوا أيضا فأرسل اليهم شيخ الاسلام بأنكم اذا لم تتفرقوا
والا أخرجت لواء النبى صلى الله عليه وسلم وأخذت عليكم فتوى ووجهت الجهاد عليكم
فعند ذلك تفرقوا فطلب ذلك الرجل الذى كان أمير هذه الأمة المجتمعة فلم يوجد له خبر ولا
أثر ولا يدرى أين ذهب واستقرت السلطنة العثمانية للسلطان محمود الأول وصدرت
منه الأوامر العلية الى جميع ممالكه وزينت البلاد وكان من أغرب الاتفاق ان خرج تا
ذلك قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الأبصار

﴿ ذكر غزوة الى بلاد العجم ﴾

وقد وقع فى مدة السلطان محمود المذكور محاربات بينه وبين الروسيا والمانيا عدة سنوات
وكذا وقعت ايضا محاربات بينه وبين العجم

﴿ ذكر غزوة الى العجم ﴾

فمنها ان العجم جهزوا جيوشهم وأغاروا على مواضع مما كانت فى حكم الدولة وأخذوها
وحاصروا بغداد فجهز السلطان محمود عليهم جيوشا سنة ست وأربعين ومائة وألف
وأزالهم عن محاصرة بغداد وشتتهم فى الجهات وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع بعض جيوش
الدولة الى كردستان ليخلصها من ايدى الأعجام واشتبك الحرب وقتل رئيس العساكر العثمانية
طوبال عثمان باشا فى ميدان الحرب وقد كان فى السنة التى قبلها عقد صلحا مع العجم على ان تبريز

تكون تحت ايدى العجم فغضب السلطان محمود ولم يرض بذلك ولما قتل طو بال عثمان باشا انهزمت عساكر الدولة فلما بلغ الخبر الباب العالى جهز السلطان جيشا آخر لقتال العجم ولما وصل الجيش الى شط نهر كوبان صدهم الموسكوف عن المسير فرجعوا ودخلت عساكر الموسكوف فى بولونيا فشكتهم الدولة الى ملوك أوروبا لأن ذلك مخالف للشروط التى كانت بينهم فاعتذر الموسكوف بأن دخول عساكره فى بولونيا لمنع دولة فرانسا من تسليم أحكام بولونيا فلم تقبل الدولة هذا العذر وأشهرت الحرب على الموسكوف

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ﴾

وسارت العساكر فى سنة تسع وأربعين ومائة وألف بعد أن عقدوا صلحا مع العجم غير الصلح الذى تقدم ذكره على شرط رجوع حدود الدولة على ما كانت أيام السلطان مراد الرابع وفى مدة عقد هذا الصلح تقدمت عساكر الموسكوف وأخذت بعض جهات من أراضى الدولة فلما تجهزت عساكر الدولة توجهت الى القرم واقتتلوا مع الموسكوف فانتصرت عساكر الدولة وهزموهم ثم ان الموسكوف اتحدت مع النيمسا وألمانيا وكانت ألمانيا تابعة للنيمسا ورجعوا واستلموا قلعة أزوف وانهزمت عساكر الدولة امام هذه القلعة واستولت عساكر النيمسا على ثمان مدن من بلاد السرب والأفلاق وعلى قلعة نيش.

﴿ غزوة اخرى ﴾

فرجعت اليهم عساكر الدولة وهزمت عساكر النيمسا قدام بنالوغا وتشتت فى جهات البلاد وامتد الانتصار الى أن طردت عساكر الدولة النيمسا من الأفلاق والبغدان وارصوفا واسترجعت قلعة نيش وأحرقت لهم سبع مراكب حربية فى البحر تجاه قلعة البرابت وتوسطت فرانسا فى الصلح فلم يقبل السلطان فلم تزل فرانسا تراجع السلطان الى أن تم الصلح بشرط ان النيمسا ترجع بلغراد للدولة وكل ما استولت عليه من الأفلاق والسرب وغير ذلك وأن يكون الحد الفاصل بين المملكتين نهر الطونة وعقدوا هدنة طويلة وهى سبع وعشرون سنة واشترطت الدولة على الموسكوف أنه لا يكون لها مراكب حربية ولا تجارية فى البحر الأسود وبحر أزوف وأن الموسكوف يرجع الأماكن التى استولى عليها فى مدة الحرب وان يهدم قلعة أزوف وبعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد معاهدة مع الدولة العثمانية بالاتفاق على حرب من يعاديهم فأجابتهم الدولة الى ذلك وعظم امر السلطنة فى تلك السنة هذا تلخيص ما كان فى مدة السلطان محمود الأول وكان من اعظم سلاطين آل عثمان عقلا وهمة وتدبيرا ومحبة للجهاد ونصرة الدين واقامة الشريعة وتوفى رحمه الله سنة الف ومائة وسبع وستين وعمره ستون سنة ومدة ملكه اربع وعشرون سنة (ولاية السلطان عثمان الثالث) وأقيم فى السلطنة بعده أخوه السلطان عثمان بن السلطان مصطفى بن محمد بن ابراهيم ومكث قريبا من أربع سنين وتوفى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (ولاية السلطان مصطفى الثالث) وأقيم بعده فى السلطنة السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الثالث بن محمد الرابع بن ابراهيم فلما استقر فى ملكه أخذ فى تنظيم ملكه وتقوية ما وهن منه وكان ذلك باسعاف وزيره الصدر الأعظم محمد راغب باشا المشهور بالعلم والتدبير وحسن السياسة وفى سنة

ألف ومائة وست وسبعين توفى راغب باشا و بعد وفاته شبت نيران الحرب بين الدولة والروسية وفى هذه السنة خلعت كاترينا امرأة ملك الموسكوف بعلها عن كرسى السلطنة وجلست مكانه وسجنته ثم أمرت بقتله فقتل وأخذت تسعى فى اخراج اليونان عن طاعة الدولة العثمانية وحركت اليونان فى المورة والأرنوط وأخذوا يستعدون لخلع الطاعة ونهض على بيك بمصر وتغلب عليها وعلى الشام وأراد الاستقلال وأرسلت الدولة من عساكرها أربعين ألفا لحماية البلاد على شاطئ نهر الطونة وأرسلت اليونان الى كترينا ملكة الموسكوف تستنجد بها فبعثت لهم جيشا لم يغن شيأ فهزمتهم عساكر الدولة غير أن عساكر الموسكوف فى تلك الأيام انتصرت على عساكر الدولة التى كانت على حدود الطونة واستولوا على بندر واكرمان واسماعيل وقلاع على شاطئ هذا النهر ولما بلغ الباب العالى هذه الوقايع صدر الأمر بتكثير الجيوش وفى السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر الموسكوف فرجعت الى بلادها بعد أن فقد منها عساكر كثيرة فى الحرب وبالطاعون وحينئذ أخذت النيمسا و بروسيا فى التوسط فى الصلح وتوقيف الحرب ولكن لما رأت الدولة ان مطاليب الموسكوف غير مقبولة رفضت هذا الطلب وأشهرت الحرب

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الموسكوف ﴾

وفى سنة ألف ومائة وستة وثمانين سار الصدر الأعظم محسن باشا بالعساكر لمحاربة الموسكوف فضرب بهم على نهر الطونة وأخذ منهم ستمائة اسير وسار حسن باشا قبطان باشى بجانب من العساكر الشاهانية وضرب عسكر الموسكوف على نهر الطونة ايضا واخذ مدافعهم وذخائرهم وفى اثناء هذه الغلبات توفى السلطان مصطفى سنة الف ومائة وسبعة وثمانين وعمره ثمان وخمسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة

﴿ ولاية السلطان عبد الحميد الاول ﴾

وأقيم فى السلطنة بعده اخوه السلطان عبد الحميد الأول بن احمد الثالث بن محمد الرابع بن ابراهيم وكان اخوه السلطان مصطفى قد ترك له نهاية الحرب الجسيم مع الروسية فأمر بانجاز الجيوش وتكثيرها

﴿ ذكر غزوة للسلطان عبد الحميد الأول ﴾

بعث مع الصدر الاعظم اربعمائة الف مقاتل والتحم القتال بينهم و بين الجيوش الروسية فحصلت لهم هزيمة وانحصروا فى شملة ووقعوا فى صعوبة كلية فاجتهد السلطان فى ارجاع قوة الدولة وكانت العساكر قد كلت من الحروب وحدث بين العساكر الانقشارية شغب فتركوا الصدر الاعظم فى ميدان الحرب بجانب قليل من العساكر فرجع الى شملة وأرسل يعلم الباب العالى بذلك فصدر الامر بعقد الصلح فتم على شروط تعرف بعهد كوجيك قينرجا وهى منطوية على استقلال التتر فى بلاد القرم والبوجك والكوبان وعلى سير السفن الروسية فى بحر الدولة وترك ازوف وكيل برون و بعض القلاع الى الموسكوف وقبول الدولة انقسا و بولونيا والموسكوف يترك للدولة الافلاق والبغدان والجزائر التى كانت فى يدها فى البحر الابيض وبعد امضاء هذه الشروط عاد الصدر الاعظم محسن باشا بمن معه من العساكر

الى دار السلطنة وتوفى فى الطريق فى مدينة ادرنة واقيم مكانه محمد عزت باشا واخذ السلطان عبدالحميد فى اصلاح امور السلطنة وقمع العصاة الذين فى ممالكه ولم تقنع الروسية بما اجرى ... الصلح ولم تلتزم الشروط بل كانت تتعدى من حين الى حين على حدود الدولة حتى انها ... على القرم واستولت عليها وكان السلطان عبدالحميد يتحمل تلك التعديات بمرارة عظيمة زمانا طويلا ويرى سلطنته مشرفة على وهدة السقوط وهو غير قادر على ان ياتيها بالعلاج الشافى ولما رأى ان كثيرا من ممالكه وقعت فى قبضة الاجانب شرع فى استعدادات جديدة للحرب

﴿ ذكر غزوة أخرى ﴾

وبعث جيوشا متعددة فمنها جيش سار به حسين باشا القبطان فقتل كثيرا من العصاة وبعث برأس ظاهر العمر الذى تغلب فى جانب سورية وبرأس حاكم البغدان الذى كان يحاكيه فى الشقاوة

﴿ غزوة اخرى ﴾

ثم توجه حسين باشا المذكور لتأديب اليونان ساكنى المورة فسار اليهم وقتل منهم اصحاب الفتن والدسائس فأرعب قلوبهم وكسر عزائمهم وألزمهم الطاعة وطلب العفو لهم من الباب العالى وكانت كاترينا ملكة الروسية تجتهد دائما فى تخفيض قوة الدولة العثمانية وما اكتفت بتملك القرم فأرسلت اناسا فى كثير من الممالك يزرعون فيها الفتن فلما نظرت رجال الدولة تعدى الروسية على حقوق الدولة استشاطوا فى ذلك ونادوا بالحرب وكانت الانقليز تحرض الدولة على ذلك وتؤكد لها الاعانة وأن دولة اسوج وبلونيا ينهضان معها لاسعاف الاسلام وان بروسيا تقاوم النيمسا

﴿ ذكر غزوة اخرى ﴾

فصدر الامر الى الصدر الاعظم يوسف باشا فتوجه لحرب الروسية والنيمسا وكانت كاترينا ملكة الروسية حضرت الى بلاد القرم بجيش عظيم وحضر امبراطور النيمسا بجيش عظيم وكان قد تعاهد معها على محاربة الدولة وكانت فرانسا متفقة مع الروسية ... ا فاقتتلت عساكر الدولة مع النيمسا فى محل يقال له فتح الاسلام والجزيرة الكبيرة فانتصرت ... كر الاسلامية واستولت على كثير من القلاع والحصون

﴿ غزوة أخرى ﴾

وتوجهت فرقة أخرى من عساكر الدولة لمحاربة الروسية تحت رياسة شاهين على باشا وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة على عساكر النيمسا حتى كاد امبراطور النيمسا يقع اسيرا تقدمت عساكر الروسية واستولت على البغدان وعلى كثير من القلاع والحصون ولم يحضر احد من باقى الدول الذين وعدوا بالمساعدة والنصر فلما شاهد الصدر الاعظم ... كتب الى الباب العالى يستأذن فى السعى فى عقد الصلح وفى اثناء ذلك توفى السلطان عبدالحميد سنة ألف ومائتين وثلاثة وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

﴿ ولاية السلطان سليم الثالث وغزوة من غزواته ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده ابن اخيه السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث بن احمد الثالث بن محمد الرابع بن ابراهيم وبعد جلوس السلطان سليم وجه همته الى اصلاح حال

العساكر وتقوية العمارة البحرية وامر بجمع الجيوش من جهات البلاد لتكثير الجيوش المجتمعة قبل ذلك فاجتمع فى وقت قريب نحو مائة وخمسين الف مقاتل وكان اجتماعهم فى مدينة صوفيا وكانت عساكر الروسية سارت مع عساكر النيمسا لمحاربة العساكر الاسلامية التى كانت تحت رياسة الصدر الاعظم يوسف باشا وقبطان باشى حسين باشا فانتشب القتال بينهم وبين عساكر الدولة فى البغدان وبقى نحو شهرين فحصلت هزيمة لعساكر الدولة واستولوا على اكثر مدافعهم ومهماتهم وبسبب ذلك عزل الصدر الاعظم يوسف باشا وأحيلت رتبة الصدارة الى كتخدا حسن باشا ثم عزل وصار بدله جازى حسن باشا سنة ١٢٠٤ فتوفى وصار بدله شريف حسن باشا واما عساكر الروسية فتقدموا ايضا فى البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة بندر وايالتى الافلاق والصرب وكل المدن التى على شاطئ الطونة وكادوا يستولون على قلعة اسماعيل التى هى اعظم حصن فى بلاد الدولة التى فى تلك الجهات وبينما هم كذلك اذ حضر الخبر بموت امبراطور المانيا وكان متعاهدا مع ملكة الروسية على محاربة الدولة وجلس فى مكانه أخوه فانفصل عن معاهدة الروسية وعقد معاهدة مع الدولة العلية بواسطة انكلترا وبروسيا وشرطوا عليه ان يرد للدولة ممالك الدولة التى افتتحها النيمسا فردلها كل الاراضى التى افتتحها مع النيمسا وأبقى فى يده روكزيم الى حين تمام الصلح بين الدولة والروسية وسعى فى عقد الصلح بين الروسية والدولة فلم تقبل ملكة الروسيا كاترينا وكانت مواظبة على الحرب فتقدمت عساكرها الى قلعة اسماعيل واقامت الحصار عليها وكان فى القلعة نحو ثلاثين الفا فقطعوا عنهم الزاد والمهمات وصرخوا على عساكرهم الموت والاقلعة اسماعيل وهجمت عساكرهم على تلك القلعة وافتتحوها واشتد القتال من الجيشين حتى ملأ القتلى خنادق تلك القلعة ولما هجم الليل صعدت العساكر على جثث القتلى ودخلوا القلعة وحاربوا فيها حربا شديدا فكانت النساء والأولاد يجمعون سلاح القتلى ويهجمون على عساكر المسلمين وما زالوا كذلك حتى قتل رئيس العساكر مع كل الذين كانوا داخل القلعة ولم ينج منهم الارجل واحد طرح نفسه فى النهر وذهب الى القسطنطينية وأعلمهم بأن الغلبة وقعت على عساكر الدولة لانهم مكثوا ثلاثة ايام وثلاث ليال والسيف دائر فيهم حتى ان الدم جرى كالسواقى وقتل من النساء والاطفال فى تلك المعركة خمسة عشر ألفا ولما وصل هذا الخبر الى القسطنطينية هاجت العساكر هياجا عظيما وطلبوا من الدولة رأس حسن باشا صدر أعظم قائد العساكر مع انه كان من أعظم رجال زمانه فى الحروب البرية والبحرية ولكن النصر من عند الله ولا راد لقضاء الله وقدره ولاجل تسكين هذا الهيجان قتل حسن باشا وجئ لهم برأسه وأحيلت الصدارة الى يوسف باشا الذى عزل سابقا وبعد ذلك تقدمت عساكر الروسية وقاتلت العساكر الاسلامية فى الجهة الثانية من نهر الطونة وذلك فى سنة خمس ومائتين والف فتوسطت دولة الانقليز والبروسيا فى الصلح فتم سنة ست ومائتين وألف على شروط وهى ان الروسية ترجع للدولة كل الاماكن التى فتحتها خلا اوكزاكوف والاراضى الواقعة بين بوغ وسليسترة حيث أقامت الملكة كاترينا مدينة

أروسا سنة ألف ومائتين وسبعة تذكارا لنصرها وهى مدينة شهيرة أكثر سكانها نصارى على البحر الاسود سكانها نحو اربعين الفا ثم سعى السلطان سليم فى ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وأرسل يطلب من فرانسا مهندسين ومعلمين صنا ئع وضباطا الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم ثم ان العلاقات الودادية تكدرت معها لما استولت على مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف واقاموا فيها الى سنة ست عشرة فالتزمت الدولة العلية ان تشهر حربها الى ان اخرجتها من مصر بمعاضدة انكلترا وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر غزوة فى مدة السلطان سليم الثالث ﴾

وفى سنة الف ومائتين واربعة عشر وجه عمارة مع عمارة الروسية وفتحتا السبع الجزائر التى كانت لجمهورية البندقية وكانت فرانسا يومئذ متولية عليها وهذه هى المرة الاولى التى اتحدفيها هاتان الدولتان وفى سنة خمس عشرة صار الاتفاق ايضا بين الدولتين المشار اليهما فى صيرورة الجزائر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم [illegible]رية السبع الجزائر وفى سنة سبع عشرة ومائتين والف عقدت معاهدة صلح بين الدولة [illegible] وفرانسا

﴿ ذكر غزوة الى بلاد الروسية ﴾

[illegible]نة احدى وعشرين انفقت الدولة مع فرانسة على حرب الروسية فكان ذلك داعيا لتعكيرها مع انكلترا لانها كانت تسعى فى ملاشات شوكة نابليون امبراطور فرانسا ولكن لم تستطع انكلترا ان تمنع السلطان سليم من محاربة الروسية لان جيوش الروسية كانت تجاوزت الحدود ودخلوا الافلاق والبغدان وذلك مخالف للعهود فاضطر السلطان سليم ان يحافظ على بلاده و يدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وأرسلها تحت قيادة الصدر الاعظم مصطفى باشا چلبى ومصطفى باشا البيرقدار الى الاقليمين المذكورين لحاربوا الروسية ومنعوا تقويهم على الاراضى العثمانية ولما أيست انكلترا من ايقاع المنافرة بين الدولة العلية وفرانسا سارت بمراكبها الى الاسكندرية وتملكوها فأخرجهم منها محمد على باشا حاكم مصر وكان من الاسباب فى حضور الانقليز لاخذ الاسكندرية ان الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر كان بينهم وبين محمد على باشا محاربات وشتتهم فى الارياف فأرسل كبيرهم محمد بيك الالفى الانقليز يستنجدبهم فحضرت مراكبهم فى ثغر الاسكندرية فى أول محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وعدتها اثنان واربعون مركبا مشحونة بالعساكر وضربوا على الاسكندرية بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلب أهل الاسكندرية الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلد ثم سيروا جيشا منه الى رشيد فدخلوها ثم سار عليهم أهل رشيد وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجع الباقون الى الاسكندرية منهزمين واستعد محمد على باشا لحاربتهم واخراجهم من الاسكندرية وشرع فى تعمير القلاع واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال الى أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وتوجه محمد على باشا بعساكره الى جهة البحيرة والاسكندرية وحصل بينه وبين الانقليز الذين فى الاسكندرية مكاتبات

ثم انعقد بينه و بينهم صلح على شروط فخرجوا من الاسكندرية وأخلوها فى أوائل رجب من السنة المذكورة اعنى سنة اثنتين وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان محمد بيك الالفى الذى استنجدبهم قدمات قبل مجيئهم الاسكندرية وفى هذه السنة ايضا كانت فتن كثيرة بدار السلطنة وخلعوا السلطان سليم وقصة ذلك طويلة سنذكر ملخصها فيما يأتى لكن ينبغى ان يقدم قبل ذلك ذكر اشياء كانت فى مدة السلطان سليم المذكور منها فتنة الوهابية بالحجاز وفتنة الفرنسيس عند دخوله مصر ولنبدأ بذكر فتنة الوهابية لان مبدأها متقدم على فتنة الفرنسيس وان كان منتهاها متأخرا

﴿ ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيس مصر ﴾

اعلم ان السلطان سليم الثالث حدث فى مدة سلطنته فتن كثيرة منها ماتقدم ذكره ومنها فتنة الوهابية التى كانت فى الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامى والمصرى ومنها فتنة الفرنسيس لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة الى سنة ست عشرة ولنذكر ماتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لان كلا منهما مذكور تفصيلا فى التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة امافتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيها بينهم و بين امير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو النائب من جهة السلطنة العلية على الاقطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والالف وكان ذلك فى مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى الثالث بن احمد واما ابتداء اول ظهور الوهابية فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم فى بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق مالا يحصون واستباحوا اموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بنى تميم وكان من المعمرين فكاد يعد من المنظرين لانه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم كانت ولادته سنة ألف ومائة واحدى عشرة وهلاك سنة ألف ومائتين وستة وأرخه بعضهم بقوله بدا هلاك الخبيث وكان فى ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل
١٢٠٦ الصلاة والسلام وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه انه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته فى كثير من المسائل وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ماابتدعه من الزيغ والضلال الذى أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك الى تكفير المؤمنين فزعم ان زيارة النبى صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالانبياء والاولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وان نداء النبى صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الانبياء والاولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وان من أسند شيأ لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلى يكون مشركا نحو نفعنى هذا الدواء وهذا الولى الفلانى عند التوسل به فى شئ وتمسك بأدلة لاتنتج له شيأ من مرامه وأتى بعبارات مزورة وزخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم فى ذلك رسائل

حتى اعتقدوا كفر أكثر اهل التوحيد واتصل بامراء المشرق اهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة الى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الاعراب واهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا اجنادا لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور امره سنة الف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان من بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولده سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب ان مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه اخلاص التوحيد والتبري من الشرك وان الناس كانوا على شرك من منذ ستمائة سنة وانه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعومن دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وكقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكقوله تعالى والذين يدعون من لا يستجيب لهم الى يوم القيامة وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فان المشركين ما اعتقدوا في الأصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم ومما ردوا به عليه في الرسائل المؤلفة للرد عليه ان هذا استدلال باطل فان المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل انهم يعتقدون انهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون انهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وان كانوا يعتقدون انها لا تخلق شيأ وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية بل يعتقدون انهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين ان الخالق الضار النافع المستحق للعبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وان الانبياء والاولياء لا يخلقون شيأ ولا يملكون ضرا ولا نفعا وانما يرحم

الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والالوهية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم مانعبدهم الاليقربونا الى الله لانهم لما اقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبدالوهاب ومن تبعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل اولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الاصنام فجميع الآيات المتقدمة وماكان مثلها خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيه احد من المؤمنين روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين وفي رواية عن ابن عمر ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على امتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه فهو وماقبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الامة وخلفها ففي الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعا أصحابه ويأمرهم بالاتيان به وبسط ذلك طويل مذكور في كتب السنة وفي الرسائل التي في الرد على ابن عبد الوهاب وصح عنه انه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله عنهما ألحدها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة وقال اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي انك ارحم الراحمين وصح انه صلى الله عليه وسلم سأله أعمى ان يرد الله عليه بصره بدعائه فأمره بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول اللهم اني أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في ففعل فرد الله عليه بصره وصح ان آدم عليه السلام توسل بنبينا صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة لانه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله هذا ولد من اولادك لولاه ماخلقتك فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السماء والارض لشفعناك وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه لما استسقى للناس وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره والتوسل الذي في حديث الاعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ يا محمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيأ كثيرا من ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي رضي الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله استسق لامتك وكالنداء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب اكبر مشايخه وهو الشيخ محمد ابن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من جملة كلامه يا ابن عبدالوهاب اني أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لاتأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين

وانت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه واما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء في فضلها احاديث افردت بالتأليف ومما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فلميناد يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يجيبونه وفي حديث آخر اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لا ترونهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا زار القبور قال السلام عليكم يا أهل القبور وفي التشهد الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله السلام عليك أيها النبي والحاصل ان النداء والتوسل ليس في شيء منهما ضرر الا اذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به ومتى كان معتقدا ان التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك وكذلك اسناد فعل من الافعال لغير الله يضر الا اذا اعتقد التأثير ومتى لم يعتقد التأثير فانه يحمل على المجاز العقلي كقوله نفعني هذا الدواء أو فلان الولي فهو مثل قوله أشبعني هذا الطعام وأرواني هذا الماء وشفاني هذا الدواء فتى صدر ذلك من مسلم فانه يحمل على الاسناد المجازي والاسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل الى تكفير أحد بشيء من ذلك ويكفي هذا الذي ذكرناه اجمالا في الرد على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع الى الرسائل المؤلفة في ذلك وقد لخصت مافيها في رسالة مختصرة فلينظرها من أرادها ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التي كفروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعد قبيلة ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريبا من الشام فان ملكهم وصل الى المزيريب وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم الى الحرمين ظنا منهم انهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمين فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد ان أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ليشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الأول والآخر وكان ذلك في مدة امارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف وأمر بحبس اولئك الملحدة فحبسوا وفر بعضهم الى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتوا واستكبارا وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج فصاروا يغيرون على بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد

المائتين والألف ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنتشر الى ان دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالا ونساء وأطفالا ولا نجا منهم الا القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير الى مكة فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم اليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا في الطائف الى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج الى بلادهم ساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل الى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا اليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويجددون لهم الاسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون انه شرك كالتوسل وزيارة القبور ثم ساروا بجيوشهم الى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيرا منهم ولم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية ايام ورجعوا الى بلادهم وجعلوا لهم عسكرا بمكة وأقاموا لهم أميرا فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب وانما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهم العساكر فوصلوا الى مكة وأخرجوا من كان بها من عسكر الوهابية ورجعت أمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطايف بايديهم وجعلوا عليه أميرا عثمان المضايفي فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب الى الصلح معهم وتأمين اهل مكة فوسط اناسا بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق باهل مكة فمن تلك الشروط ان امارة مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الاموال وفعلوا أفعالا شنيعة وجعلوا على المدينة اميرا منهم مبارك بن مضيان واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مع المحامل مكة وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبا من العباء القيلان الاسود وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوهم شرب التنباك ومن فعل ذلك واطلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير وهدموا القبب التي على قبور الاولياء وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفي اختلاف

فى خلع السلاطين وقتلهم كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى ثم صدر الامر السلطانى لصاحب
مصر محمد على باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك فى سنة ست وعشرين ومائتين والف
فجهز محمد على باشا جيشا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطانى ولده طوسون
باشا فخرجوا من مصر فى رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين برا وبحرا حتى
وصلوا الى ينبع فملكوه من الوهابية ثم لما وصلت العساكر الى الصفرا والجديدة وقع بينهم
وبين العرب الذين فى الحربية قتال شديد بين الصفرا والجديدة وكانت تلك القبائل كلها
فى طاعة الوهابى وانضم اليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرا منهم
وانتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ست وعشرين ولم يرجع من ذلك
الجيش الى مصر الا القليل فجهز جيشا غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد على باشا على التوجه
الى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله فى شعبان فى غاية القوة والاستعداد وكان معهم
من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابر فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا
الصفرا والجديدة وغيرهما فى رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومصانعة العرب باعطاء الدراهم
الكثيرة حتى انهم اعطوا شيخ مشايخ حرب مائة الف ريال واعطوا شيخا من صغار مشايخ
حرب ايضا ثمانية عشر الف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر وكان ذلك
كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو فى الظاهر تحت طاعة الوهابى واما المرة الاولى
التى هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب فى ذلك حتى يكون الامر بتدبيره ودخلت
العساكر المدينة المنورة فى أواخر ذى القعدة ولما جاءت الاخبار الى مصر صنعوا زينة ثلاثة
ايام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا بشائر لجميع ملوك الروم واستولت العساكر
السائرة من طريق البحر على جدة فى أوائل المحرم من سنة ثمانية وعشرين ثم طلعوا الى مكة واستولوا
عليها ايضا وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف غالب سرا ولما وصلت العساكر الى جدة فر من كان
بمكة من عساكر الوهابية وامرائهم وكان سعود امير الوهابية حج فى سنة سبع وعشرين ثم ارتحل
الى الطائف ثم الى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة الا بعد ذلك ثم
لما وصل الى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر الى جدة ومكة
فر من الطائف اميره عثمان المضايفى وفر من كان بها من عساكر الوهابية وامرائهم وفى شهر
ربيع الاول من سنة ثمانية وعشرين أرسل محمد على باشا مبشرين الى دار السلطنة ومعهم مفاتيح
وكتبوا اليهم انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب
حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات فى مجامر الذهب
والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء
بالمفاتيح وزادوا فى رتبة محمد على باشا وبعثوا له أطواقا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار
تقليده وفى شهر شوال سنة ثمانية وعشرين توجه محمد على باشا بنفسه الى الحجاز وقبل توجهه من
مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفى الذى كان اميرا على الطائف للوهابية وكان من
أكبر أعوانهم وأمرائهم فزنجره بالحديد وبعثه الى مصر فوصل فى ذى القعدة بعد توجه
الباشا الى الحجاز ثم أرسل الى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد على باشا فى ذى القعدة الى

بمكة وقبض على الشريف غالب بن مساعد و بعثه الى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن
أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وفى شهر محرم من سنة تسع وعشرين بعثوا
الى دار السلطنة مبارك بن مضيان الذى كان اميرا على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به
فى القسطنطينية فى موكب ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل
ذلك بعثمان المضايفى واما الشريف غالب فأرسلوه الى سلانيك و بقى بها مكرما الى أن توفى
سنة احدى وثلاثين ودفن بها وبنى عليه قبة تزار ومدة امارته على مكة ست وعشرون سنة ثم
ان محمد على باشا وجه كثيرا من العساكر الى تربة و بيشة و بلاد غامد وزهران و بلاد
عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه فى اثرهم فى شعبان سنة تسع
وعشرين ووصل الى تلك الديار وقتل كثيرا منهم واسر كثيرا وخرب ديارهم وفى شهر
جمادى الاولى سنة تسع وعشرين هلك سعود امير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبدالله
ورجع محمد على باشا من تلك الديار التى وصلها من ديار الوهابية عند اقبال الحج وحج
ومكث بمكة الى رجب سنة ثلاثين ثم توجه الى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا
الى مصر منتصف رجب سنة ثلاثين ومائتين والف فتكون اقامته بالحجاز سنة وسبعة اشهر
وما رجع الى مصر الا بعد ان مهد امور الحجاز وأباد طوائف الوهابية التى كانت منتشرة فى
جميع قبائل الحجاز والشرق و بقى منهم بقية بالدرعية اميرهم عبدالله بن سعود فجهز محمد على
باشا لقتاله جيشا وأرسله تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا وكان عبدالله بن سعود قبل ذلك
تكاتب مع طوسون باشا بن محمد على باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحا على بقاء امارته
ودخوله تحت طاعة محمد على باشا فلم يرض محمد على باشا بهذا الصلح فجهز ولده ابراهيم
باشا وجعل امر العساكر اليه وكان ابتداء ذلك فى أواخر سنة احدى وثلاثين فوصل
الى الدرعية سنة اثنين وثلاثين ونازل بجيوشه عبدالله بن سعود ووقع بينهما وقائع وحروب
يطول ذكرها الى أن استولى على عبدالله بن سعود فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ولما جاءت
الاخبار الى مصر ضربوا لذلك الف مدفع وعملوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة ايام
وكان محمد على باشا له اهتمام كبير فى قتال الوهابية وأنفق فى ذلك خزائن من الاموال حتى
أخبر بعض من كان يباشر خدمته انهم دفعوا فى دفعة من الدفعات لاجرة تحميل بعض
الذخائر خمسة واربعين الف ريال هذا فى مرة من المرات كان ذلك الحمل من الينبع الى المدينة
عن اجرة كل بعير ست ريال دفع نصفها امير ينبع والنصف الآخر امير المدينة عند وصول
الجمل ثم من المدينة الى الدرعية كان اجرة تلك الحملة فقط مائة واربعين الف ريال وقبض
ابراهيم باشا على عبدالله بن سعود وبعث به وكثير من امرائهم الى مصر فوصل فى سابع عشر
محرم سنة اربع وثلاثين وصنعوا له موكبا حافلا يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم
الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد على باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه
وقال له الباشا ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابنى ابراهيم باشا قال
ماقصر و بذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره الله تعالى فقال له الباشا انا أترجى فيك عند
مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسماعيل باشا ببولاق

(وكان)

وكان بصحبة عبدالله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ماهذا فقال هذ اماأخذه ابى من الحجرة أصحبه معى الى السلطان فأمر الباشا بفتحه فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم يرالراؤن أحسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد كبيرة وشريط من الذهب فقال له الباشا الذى أخذتموه من الحجرة اشياء كثيرة غيرهذا فقال هذا الذى وجدته عند ابى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة واغاوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف اشياء من ذلك ثم أرسلوا عبدالله بن سعود الى دار السلطنة ورجع ابراهيم باشا من الحجاز لمصر فى شهر المحرم من سنة خمس وثلاثين بعد ان أخرب الدرعية خرابا كليا حتى تركوا سكناها ولما وصل عبدالله بن سعود الى دار السلطنة فى شهر ربيع الاول طافوا به البلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه ايضا فى نواحى متفرقة هذا حاصل ما كان فى قصة الوهابية بغاية الاختصار ولو بسط الكلام فى كل قضية لطال وكانت فتنتهم من المصائب التى اصيب بها اهل الاسلام فانهم سفكوا كثيرا من الدماء وانتهبوا كثيرا [illegible] وعم ضررهم وتطاير شررهم فلاحول ولاقوة الابالله وكثير من احاديث النبى صلى الله عليه وسلم فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله صلى الله عليه وسلم يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها فى صحيح البخارى وبعضها فى غيره لاحاجة الى الاطالة بنقل تلك الروايات ولا لذكر من خرجها لانها صحيحة مشهورة ففى قوله [illegible] التحليق تصريح بهذه الطائفة لانهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه [illegible] هذا الوصف لاحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء وكان السيد عبدالرحمن الاهدل مفتى زبيد يقول لاحاجة الى التأليف فى الرد على الوهابية بل يكفى فى الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله احد من المبتدعة غيرهم [illegible] اتفق مرة ان امرأة أقامت الحجة على ابن عبدالوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت [illegible] ها ابن عبدالوهاب ان تحلق رأسها فقالت له حيث انك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغى لك [illegible] الرجل بحلق لحيته لان شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابا ومما كان منهم انهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم مع ان احاديث شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لامته كثيرة متواترة واكثر شفاعته لاهل الكبائر من امته وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ذكر كثير من اوصافه الكاملة ويقولون ان ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الاذان حتى ان رجلا صالحا كان اعمى وكان مؤذنا وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان بعد ان كان المنع منهم فأتوا به الى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لملأت الدفاتر والاوراق وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

* *
*

﴿ ذكر قتل الصناجق المماليك المتغلبين على مصر ﴾

اعلم أن المماليك المذكورين كانوا متغلبين على مصر فلما تمكن محمد علي باشا من المماليك المصرية احتال عليهم وقتلهم سنة ست وعشرين ومائتين والف وكانوا هم وعساكرهم واتباعهم كثيرين ومازالوا يعارضون محمد علي باشا في كثير من شؤنه وهو يداهنهم ويتحذر منهم فلما جاء الامر السلطاني بتوجهه الى الحجاز لمحاربة الوهابي طلب من الدولة ان يأتيه فرمان بولاية ولده طوسون باشا صاري عسكر على العساكر التي يريد ان يرسلها الى الحجاز فجاءه فرمان سلطاني بذلك فجعل ذلك وسيلة الى جمع الصناجق وعساكرهم في القلعة لقراءة الفرمان المذكور وخروجهم بالالاي الحافل مع ابنه المذكور الى العرضي الخارج للحجاز المنتصب خارج مصر عند قبة العزب فنبه على العساكر الصناجق في الحضور الى القلعة في الثالث من شهر صفر في الساعة الرابعة من النهار ورتب في القلعة عساكر خاصة به وجعلهم في الابراج والمكامن التي في القلعة وامر البواب للقلعة انهم اذا استكمل دخولهم يغلق الباب وامر العساكر الخاصة به الذين رتبهم في القلعة ان يقتلوا كل من دخل منهم بعد غلق باب القلعة ففعلوا ذلك وصار القتل فيهم من وقت الضحى الى غروب الشمس فقتل منهم خلقا كثيرا ثم تتبع الباقين منهم في مصر وبقية الارياف بالقتل حتى أبادهم عن آخرهم وذلك شئ كثير وعدد وفير والقصة طويلة لكن هذا حاصلها وتم له انتظام ملكه من غير معارض بعد ان قتلهم وكانت ولايته مصر سنة عشرين واستمر فيها الى سنة اربع وستين ومائتين والف وكان في الاصل من العساكر الذين جاؤا مع يوسف باشا لما أخرج الفرنسيس من مصر سنة ست عشرة واصله من بلاد كوله وجنسه من الارنوط فلما كانت محاربة يوسف باشا للفرنسيس قاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك الحروب ثم ترقى في مدة قصيرة الى رتبة قائم مقام الى ان تقلد زمام احكام الديار المصرية سنة تسع عشرة ومائتين والف ولما خرج الفرنسيس من مصر ودخلها يوسف باشا ثم سافر يوسف باشا واقامت الدولة وزيرا لمصر واليا عليها الوزير محمد خسرو باشا واستمر الى المحرم سنة ثمانية عشر فوقع بينه وبين العساكر فتنة بسبب طلب مرتباتهم وجماكيهم واتسعت الفتنة حتى أخرجوا الوزير المذكور من مصر واتفقوا على تولية طاهر باشا قائم مقام بمصر الى ان يأتي الامر من الدولة بتولية غيره فألبسه القاضي فرو اسمورا وكان الرئيس الثائر في تلك الفتنة محمد علي باشا ثم بعد ستة وعشرين يوما ثاروا على طاهر باشا فقتلوه وكان قد حضر من دار السلطنة الى مصر احمد باشا واليا على المدينة المنورة فولاه اهل مصر عليهم بعد قتل طاهر باشا فلم يذعن لذلك محمد علي وقال ان احمد باشا لم يكن واليا على مصر وانما هو وال على المدينة المنورة وانما وليناقبله طاهر باشا لكونه كان محافظا للديار المصرية من الدولة العلية فله شبهة في التولية واما احمد باشا فليس له تعلق بمصر فهو يخرج خارج مصر ونجهزه بالعساكر ويتوجه الى محل ولايته ثم اشتدت الفتنة وانتشرت بين العساكر الى ان أخرجوا احمد باشا فكانت مدة ولايته بمصر يوما وليلة ثم نادى مناد بتسكين الناس وتأمينهم وان الامر يكون لابراهيم بيك كبير الصناجق وحاكم الولاية وأشركوا معه

محمد علي وقبضوا على الدفتردار وقطعوا رأسه ثم قامت العساكر على ابراهيم بيك لطلب جوامكهم وانتشرت الفتنة وأرادوا قتل ابراهيم بيك ونهبوا داره فهرب فقوى امر محمد علي وصار الحل والعقد بيده ثم جاءت الاخبار من دار السلطنة بولاية مصر لاحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية ووصل الى مصر في ذي الحجة سنة ثمانية عشر وبعد وصوله طلب من الناس اموالا جزيلة تكون معجلة عما يلزم الناس من خراج مصر فاشتد الامر على الناس وارتفعت الاسعار وأغلقت الدكاكين والاسواق واجتمع الاطفال بالجامع الازهر وصعدوا الى المنائر يصرخون ويتضرعون ويقولون يالطيف فسمعهم الباشا وهو في القلعة فأرسل الى نقيب الاشراف انا قدرفعنا عن الناس ما كنا طلبناه واما ابراهيم بيك ومن معه من الامراء الذين أخرجوهم من مصر فانهم جمعوا جموعا من الارياف وجاؤا لقتال الباشا ومن معه بمصر فخرج اليهم بالعساكر ووقع القتال واشتد الامر وتقطعت الطرق وشرح ذلك كله يطول ثم جاء امر من الدولة لمحمد علي بولاية جدة فألبسه الباشا فروا ولما خرج يريد الركوب ثارت على محمد علي العساكر وطلبوا منه العلوفة فقال لهم هاهو الباشا عندكم وركب هو الى داره وصار ينثر الذهب على الناس في الطريق وأمسك العساكر احمد باشا ومنعوه من الركوب الى بعد المغرب ثم لاطفهم وركب واشيع بين الناس انهم حبسوه وهو قد ذهب الى القلعة ثم اشيع انه يريد وضع فردة على الناس فهاج الناس واجتمع كثير من الناس عند بيت القاضي وصاروا يصرخون بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومنهم من يقول يامتجلي اهلك العثملي ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ومنهم من يقول لانريد هذا الباشا حاكما علينا لابد من عزله وذهبوا الى بيت محمد علي يقولون ذلك فقال لهم ومن تريدون ان يكون واليا عليكم فقالوا لانرضى الابك لمانتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع اولا ثم رضي فأحضروا له كركا وقام السيد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ الشرقاوي فألبساه ونادوا بذلك في البلد وذلك يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرين ومائتين والف ونادوا في مصر بولايته وأرسلوا الخبر الى احمد باشا فقال اني متول من السلطان فلااعزل بامر الفلاحين ولا انزل من القلعة الابامر السلطان فكتب الناس سؤالا وكتب عليه المفاتي وحكموا بعزله وصحة تولية محمد علي باشا وحضروا في بيت القاضي فحكم بمقتضى ذلك واستمر احمد باشا في القلعة وأراد الحرب والقتال مع اهل مصر فحاصروه في القلعة اياما الى ان أخرجوه منها وحصل بينه وبين العلماء كلام كثير وقال لهم كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم فقالوا له أولو الامر هم العلماء وجرت العادة من القديم ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى السلطان اذا جار عليهم يخلعونه والقصة طويلة جدا يطول الكلام بذكرها وطال الامر بينهم الى ان جاء الامر السلطاني بولاية محمد علي باشا واقرار مافعله العلماء واهل مصر في شهر ربيع الثاني فتم الامر لمحمد علي باشا حتى كان من امره ما كان واكثر ما تقدم ذكره من القيام على الباشوات الذين تولوا مدة هذه الفتنة كان بتدبير محمد علي باشا وترتيبه ولم يزل في ترق وعلو وارتفاع حتى حارب السلطان محمود وملك عكا والشام فلما توفي السلطان محمود انعقد الصلح بينه وبين السلطان عبد المجيد سنة خمس

وخمسين ومائتين وألف وترك الشام والحجاز وأعطوه ولاية الاقطار المصرية مؤبدة له ولاولاده وجعلوا عليه خراجا معلوما يدفعه كل سنة واستمر الى سنة اربع وستين فأصابه مرض اختل به عقله فولى ابنه ابراهيم باشا فى حياة ابيه فكانت مدة ولاية محمد على باشا نحو خمس واربعين سنة واستمر ابنه ابراهيم باشا نحو سنة ثم توفى فولى عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا واستمر الى سنة سبعين فتوفى مقتولا ثم ولى سعيد باشا بن محمد على باشا وتوفى سنة تسع وسبعين ثم ولى اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وخلع سنة ست وتسعين وولى ابنه محمد توفيق باشا وهو الموجود الآن وانما ذكرنا هذا كله استطرادا تتميما للفائدة ليتصل الكلام بعضه

ذكر استيلاء الفرنسيس على مصر

كانت مصر قبل ان تتملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة وكان لهم كثير من المماليك الذين هم ايضا من الجراكسة ومن غيرهم من الترك فلما تملكت الدولة العثمانية مصر لم تزل المماليك باقين وفى كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة وكان منهم امراء ورؤساء فصارت لهم عصبية قوية فتغلبوا على الاملاك والاراضى والاطيان والمحصولات والخراجات والجمارك وكانوا اذا ... الباشا المتولى على مصر من الدولة العلية ينقادون له فى الظاهر وفى الباطن هم متغلبون فكانوا يبقونه اذا أرادوا و يعزلونه اذا أرادوا ولا يصل الى الدولة العلية من محصولات مصر الا القليل والباقى بأيديهم وكان لهم رؤساء وعلى الجميع أمير كبير تحت أمر الوزير المتولى من السلطنة صورة وظاهرا فقط فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف النصارى واليهود فيتعدون كثيرا عليهم لاسيما على تجارهم فكانت الدولة العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصارى فطمع الفرنسيس فى تملك مصر وأبعاد هؤلاء المماليك المتغلبين وأوهموا على المسلمين انهم اغاريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة العلية فجهز الفرنسيس عليها جيوشه بالسر والكتمان من غير اطلاع أحد على ذلك وجاءهم بغتة فتملكها على الوجه الآتى ذكره وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان الوزير المتولى على مصر من السلطنة العلية فى تلك السنة هو أبو بكر باشا الطرابلسى كانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين وألف وكان للمماليك المتغلبين على مصر أميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بيك ومراد بيك كان تحت طوعهما جميع الصناجق والعساكر فلما شاعت الأخبار بقدوم الفرنسيس للاستيلاء على مصر خرج من مصر الوزير المتولى من السلطنة العلية وهو أبو بكر باشا المتقدم ذكره وتوجه الى غزة ثم منها الى دار السلطنة توجه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة وبقيت مصر بيد ابراهيم بيك ومراد بيك وصناجقهما والأمراء والعساكر التى تحت أيديهما وكان أهل مصر عند خروج أبى بكر باشا من مصر وقبل خروجه بأيام يسمعون ... من مسير الفرنسيس الى تملك مصر ولم يقفوا على حقيقتها فلما كان العشرون من المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وصلت مراكب للفرنسيس مشحونة بالعساكر وآلات الحرب وتقاتل من كان فيها من العساكر مع اهل الاسكندرية ولم يكن اهل الاسكندرية مستعدين

لقتالهم فلم يقدروا على دفعهم لاسيما وقد جاؤهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الامان منهم
فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها فلما جاء الخبر الى مصر أخذ ابراهيم بيك ومراد
بيك فى الاستعداد لهم وأبرزا جيشا من العسكر الى موضع يقال له الجسر الأسود وأخرجوا
المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس بمصر وكثر الهرج والمرج وتقطعت الطرق
وارتفع السعر وكثر السراق ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيس فيه بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه وبعد ذلك كلام كثير من جملته انى أعبد الله
واحترم نبيه والقرآن العظيم وأنهم مسلمون (يعنون أنفسهم) مخلصون واثبات ذلك انهم
نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على
محاربة أهل الاسلام ثم قصدوا مدينة مالطة وطردوا منها الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى
يطلب منهم مقاتلة أهل الاسلام وكل ذلك من الكلام الذى يوهمون به على أهل الاسلام
انهم موحدون لله تعالى وانهم يحبون أهل الاسلام ويحبون سلطانهم وانهم انما جاؤا
ا...رة سلطان الاسلام وابعاد المماليك المتغلبين على ممالكه ودفع ظلمهم عن الرعية ومن جملة
... ذلك الكتاب خطابا للمسلمين وماجئتكم لازالة دينكم وانما قدمت اليكم لاخلص حقكم
من يد الظالمين الصناجق المماليك الذين يتسلطون فى البلاد المصرية ويعاملون الملة الفرنساوية
بالذل والصغار ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بأنواع الايذاء والتعدى ويأخذون أموالهم
ويفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها مثله فأما رب العالمين
القادر على كل شئ فانه قد حكم بانقضاء دولتهم وانى اعبد الله سبحانه أكثر
من المماليك واحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله تعالى
وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك
والعقل والفضائل تضارب فاذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر
وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن
المفرحة فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ولكن
... العالمين رؤف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من
مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العلية فالعلماء والفضلاء
... منهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها وسابقا كان فى الأراضى
المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع
من المماليك أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم
أيضا مسلمون مخلصون ومع ذلك فالفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين
مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك ان المماليك
...وا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم طوبى ثم
...بى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم طوبى أيضا
للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد الفريقين المتحاربين فاذا عرفونا بالأكثر
...سارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا

يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولايبقى منهم أثر وان جميع القرى الواقعة فى دائرة
قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها ان ترسل
للامير عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنساوية
الذى هو أبيض وأكحل وأحمر وان كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار
وان كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا تنصب صناجق السلطان العثمانى محبنا دام
بقاؤه والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والائمة انهم يلازمون وظائفهم وعلى كل
أحد من أهالى البلد أن يبقى فى مسكنه مطمئنا وتكون الصلاة تامة فى الجوامع على العادة
والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت
عال أدام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك
وأصلح حال الامة المصرية وعلى المشايخ فى كل بلد ان يختموا حالا على جميع الارزاق
والبيوت والاملاك التى للمماليك وعليهم الاجتهاد التام ان لايضيع ادنى شئ منها
وفى التاسع والعشرين من محرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا
الى الجيزة والتقوا عند بشتيل وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا ففر مراد
بيك ومن معه الى الصعيد وفر ابراهيم بيك ومن معه فى البر الشرقى الى الشام وقيل لم يقع
قتال كثير وانما هى مناوشة من طلائع العساكر بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين وكانت
مراكب فى البحر لمراد بيك فاحترقت بمافيها من الجبخانة والآلات الحربية واحترق بها
رئيس الطبجية واحترق مافيها من الخزانين فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب وتولى
منهزما وترك الاثقال والمدافع التى فى البر وتبعته العساكر وركب ابراهيم بيك الى ساحل
بولاق طرف البر الشرقى ورجع الناس منهزمين طالبين مصر فاجتمع الباشا والعلماء ورؤس
الناس يتشاورون فى هذا الحادث العظيم فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا
ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث
تجتمع بالازهر كل يوم ويقرؤن البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ الطرائق
وأتباعهم وكذا أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الاسماء ويوم الاثنين
حضر مراد بيك الى برانبابة وشرع فى عمل متاريس هنالك ممتدة الى بشتيل وتولى ذلك
هو وصناجقه وأمراؤه وكان معه فى ذلك على باشا الطرابلسى ونصوح باشا وأحضروا
المراكب الكبار والغلايين التى انشاها بالجيزة وأوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر
والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالعساكر والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة
ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك فانهم من حين وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية
شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التى
لايعرفها أحد واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم
وأرسلوا البعض منها لبلاد الارياف وأخذوا ايضا فى تشهيل الاحمال واستحضار دواب
للشيل واسباب الارتحال فلما رأى أهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع
واستعد الاغنياء وأولوا القدرة للهرب ولولا ان الامراء منعوهم من ذلك لمابقى بمصر منهم

(أحد)

أحد وفي يوم الثلاثا نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس فأغلق الناس الدكاكين والاسواق وخرج الجميع لبولاق فكانت كل طائفة من طوائف اهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما او يجلسون في مكان خراب او مسجد ويرتبون أمرهم فيمن يصرف لهم مايحتاجون اليه من الدراهم التي جمعوها ويجعلون قيما عليهم يباشر ذلك وبعض الناس يتطوع على بعض في الانفاق ومن الناس من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والاكل وغير ذلك بحيث ان جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا مافي قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بانفاق اموالهم فلم يشح احد في ذلك الوقت بشيء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الاشائر بالطبول والزمر والاعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الى القلعة فأخرج بيرقا كبيرا اسمته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك واما مصر فانها صارت خالية الطرق لاتجد [illegible] النساء في البيوت وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة وغلا سعر البارود [illegible] جدا بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفا والرصاص بتسعين نصفا وغلا جنس انواع السلاح وقل وجوده وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق وجلس مشايخ العلماء بزاوية على بيك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله تعالى بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام ومحصل الامر ان جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضي هنالك الى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولامأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم ان يكونوا من المقدمة بنواحي شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان واولاد على والقنا وية وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون اقواتهم يوما فيوما لتعطل الاسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم وكذلك العرب أغارت على الاطراف والنواحي وقامت الارياف على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا وصار قطر مصر من اوله الى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر وغارة على الاموال وافساد المزارع وغير ذلك من انواع الفساد الذي لايحصى وطلب امراء مصر تجار الافرنج الذين بمصر وحبسوهم في القلعة وفي بعض اماكن غير القلعة من بيوت الامراء وصاروا يفتشون في محلات الافرنج على الاسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والاقباط والاروام والكنائس على الاسلحة والعامة لا ترضى الا ان يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت هذه الفتنة ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يجيئون منها فمنهم من يقول انهم واصلون

من البر الغربي ومنهم من يقولون من الشرقي ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين وليس لأحد من الأمراء همة ان يبعث جاسوسا اوطليعة تنا وشهم القتال قبل قربهم ووصولهم الى فناء المصر بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عساكره ومكث فى مكانه لاينتقل عنه ينتظر مايفعل بهم وليس هناك قلعة ولاحصن ولامعقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيس الى الجسر الاسود واصبح يوم السبت فوصل امدينار فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين والمجاورة بلادهم لمصر ولكن الاجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراءهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون فى ريشهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون فى رؤيتهم مغمورون فى غفلتهم وهذا كله من اسباب ماوقع من خذلانهم وهزيمتهم وقدكان الظن بالفرنسيس ان يأتوا من البرين بل اشيع ذلك فلم يأتوا الامن البر الغربي ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتيل بلد مجاورة لانبابة فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى وأبلى الفريقان وقتل ايوب بيك الدفتردار وكثير من كشاف محمد بيك الالفى ومماليكهم وتبعهم طابور من الافرنج نحو الستة آلاف وكان رئيسهم الكبير بونابارته لكنه لم يشهد الوقعة بل حضر بعد الهزيمة كان بعيدا عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العسكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الارناوط من دمياط وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم فى المتاريس فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج العامة والغوغا من الرعية واخلاط الناس بالصياح ورفعوا الاصوات بقولهم يارب يالطيف ويا رجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم ان الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لابرفع الصوت والصراخ والنياح فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الامراء والاجناد من العرضى الشرقي ومعهم ابراهيم بيك الوالى وشرعوا فى التعدية الى البر الغربي فى المراكب فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جدا فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين هذا والريح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر فى قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين فلا يقدر احد ان يفتح عينيه مع شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه ثم ان الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك انقسم على تراتيب معلومة عندهم فى الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتابعة والمدافع ترمى واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الاسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس ان الارض تزلزلت والسماء عليها سقطت واستمر الحرب والقتال نحو ثلثى ساعة ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربي فغرق الكثير من

الخيالة فى البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيرا فى يد الفرنسيس وملكوا انبابة وفر مراديك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرض وألقى كثير نفسه فى البحر ولما انهزم عسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب فى الحال ابراهيم بيك والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيأ فأما ابراهيم بيك والأمراء فساروا الى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جميعا فى غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله تعالى من شر هذا اليوم العصيب والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء على الخيول والبغال ... والجمال والبعض ماشى كالجوارى والخدم واستمر معظم الناس طول الليل خارجين ... حريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه ... ن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لايقدر على الحركة ممتثلا للقضاء متوقعا للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر ان فى عشاء تلك الليلة شاع فى الناس ان الافرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة وان أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء وكان السبب فى هذه الاشاعة ان بعض عسكر مراديك الذين كانوا فى الغليون لمرسى انبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه وكذلك مراديك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى الجهة القبلية فمشوا به قليلا فوقف ... طين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه أيضا فلما ... عد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل أيقنوا انهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهرب واللحاق بهم والحال ان الجميع لايدرون أى جهة يسلكون وأى طريق يذهبون وأى محل يستقرون فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشيا أوحاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته او ابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الاحد

وصبحها واخذ كل انسان ماقدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من ابواب البلد
وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث
لم يتركوا لمن صادفوه مايستر به عورته او يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيأ كثيرا
يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة اضعاف ما بقى
فيها بلاشك لأن معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريمهم وقد اخذوه صحبتهم وغالب
مساتير الناس واهل المقدرة أخرجوا ايضا ماعندهم والذى أقعده العجز وكان عنده مايعجز
عليه حمله من مال او مصاغ اعطاه لجاره او صديقه الراحل ومثل ذلك امانات وودائع الحجاج
من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا على قتله اودافع عن
نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والاعيان فمنهم
من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ماحصل للسابقين ومنهم من جاز
متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم اوعطب وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة
جرى فيها مالم يتفق مثله فى مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين فما راء كمن سمعا ولما أصبح يوم الاحد المذكور والمقيمون لايدرون مايفعل بهم ومتوقعون
حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم فى اسوء حال من العرى
والفزع فتبين ان الفرنج لم يعدوا الى البر الشرقى وان الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها
فاجتمع فى الازهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على ان يرسلوا مراسلة الى
الافرنج وينتظروا مايكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوه صحبة شخص مغربى يعرف
لغتهم وآخر صحبته فغابا وعادا وأخبرا انهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه
ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان واين عظماؤكم
ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور الينا لنرتب لهم مايكون فيه الراحة وطمنهم وبش فى
وجوههم فقالا نريد امانا منكم فقال قد ارسلنا لكم سابقا يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم
فقالا وايضا نريد امانا لأجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها انا
ارسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا ماحضرنا الابقصد ازالة المماليك
الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا
الى البر الغربى خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ونحن
فى طلبهم حتى لم يبق احد منهم بالقطر المصرى واما العلماء والمشايخ وأصحاب المرتبات
والرعية فيكونون مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين ونحو ذلك من الكلام ثم قال لهم
لابد ان المشايخ والشربجية يأتون الينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص
عقلاء يدبرون الامور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى
الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم وقال انتم
المشايخ الكبار فأعلموه ان المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال لاى شئ يهربون
اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحتكم وراحة الرعية واجراء الشريعة
فكتبوا منه عدة مكاتيب بالحضور والامان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا

مصر واطمأن برجوعهم الناس و كانوا فى وجل وخوف على غيابهم وأصبحوا فأرسلوا
[illegible]ن الى المشايخ لحضر شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ومن انضم اليهم من الناس
[illegible]ين من ناحية المطرية واما عمر افندى نقيب الاشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر وكذلك
[illegible]زنامجى والافندية وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية واوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم
[illegible]ك ومراد بيك وحرقوهما ونهبوا ايضا عدة بيوت من بيوت الامراء وأخذوا مافيها
[illegible]ن فرش ونحاس وامتعة وغير ذلك وباعوه بابخس الاثمان

﴿ ذكر دخول الفرنسيس مصر ﴾

وفى يوم الثلاثاء عدت الفرنساوية الى مصر وسكن بونابارته ببيت محمد بيك الالفى بالازبكية الذى أنشاه الامير المذكور فى السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه اموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكناه حصلت هذه الحادثة فادخلوه بل تركوه بما فيه فكأنه انما كان بنيه لامير الفرنسيس وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالازبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ومشوا فى الاسواق من غير سلاح ولا تعد بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون مايحتاجون اليه باغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريالا فرانسى ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وانواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وانواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون اليهم بما أحبوا من الاسعار وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى واطمأن الناس

﴿ ذكر ترتيب ديوان لفصل الخصومات ﴾

فى يوم الخميس ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عند قائم مقام سرعسكر فلما حضروا تشاور معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات فوقع الاتفاق على الشيخ عبدالله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى وحضر ذلك المجلس ايضا مصطفى كتخدا والقاضى وقلدوا محمد اغا السلمانى اغاة مستحفظان وعلى اغا الشعراوى والى الشرطة وحسن اغا أمين احتساب وذلك باشارة أرباب الديوان فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك فعرفهم ان سوقة مصر لايخافون الامن الاتراك ولايحكمهم سواهم وهؤلاء [illegible]كورون من بقايا البيوت القديمة الذين لايتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذا الفقار [illegible]تخدا بيك كتخدا بونابارته وسأل ارباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت [illegible]قالوا هذا فعل الجعيدية واوباش الناس فقال لاى شئ يفعلون ذلك وقد اوصيناكم [illegible]حفظ البيوت والختم عليها فقالوا هذا امر لاقدرة لنا على منعه وانما ذلك وظيفة الحكام ثم امروا بالنداء بالامان وفتح الدكاكين والاسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم ينتهوا

واستمر غالب الاسواق والدكاكين معطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلوقة التى للامراء ودخلوها وأخذوا منها اشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة فعند مايخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية يستأصلون مافيها ثم ان عسكرهم صارت تدخل المدينة شيأ فشيأ حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا فى البيوت ولم يشوشوا على الناس ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها وبعد ايام طلبوا سلفة خمسمائة الف ريال من التجار فأخذوا فى تحصيلها بعد مراجعتهم فى تخفيفها فلم يفعلوا ونادوا بالامان لنساء الأمراء وأمروا كل من عندها شئ من متاع زوجها تأتى به وصالحت زوجة مراد بيك عن نفسها واتباعها من نساء الامراء بمائة وعشرين الف ريال واستخرجوا من الخبايا شيأ كثيرا ثم طلبوا من اهل الحرف والاسواق مبلغا من المال يعجزون عنه فاستغاثوا بالمشايخ فتشفعوا عندهم فلطفوها لهم ولما جاء وقت مولد النبى صلى الله عليه وسلم أمروا بصنعه على المعتاد وأعطوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال وصنعوا شنكا ليلة المولد وجاءت مراكب الانقليز وحاربت مراكب الفرنسيس وأحرقوا لهم مركبا كبيرا واستمر اياما ثم ذهبوا واما ابراهيم بيك ومراد بيك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم وفى شهر ربيع الثانى طلبوا من الناس حجج املاكهم وقيدوها عندهم ووضعوا عليها قدرا معلوما من الدراهم وأمروا المشايخ ان يكتبوا للسلطان كتابا مضمونه الثناء عليهم وحسن سيرتهم وانهم من المحبين للسلطان وانهم محترمون للقرآن والاسلام ففعلوا وفى عاشر جمادى الاولى جمعوا الناس وقرروا على الاملاك أموالا زيادة عما كان قبل ذلك وهاج عامة الناس ونادوا بالجهاد ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ثم صار النداء بالامان ثم تتبعوا كثيرا ممن كان قائما فى تلك الفتنة فقتلوهم واما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب فى نظامات دولتهم فهو طويل لاحاجة لذكره وكذا ماكان يجرى من الحوادث ولما جاءت اخبار دخول الفرنسيس مصر الى الحجاز قام شيخ عالم مغربى بمكة يقال له محمد الجيلانى واستنفر الناس للجهاد فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقاتلوا من وجدوه من الفرنسيس ولم يقدروا على استخلاص الاقطار المصرية منهم فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم ثم جهز الفرنسيس جيشا لمحاربة احمد باشا الجزار فى عكا فملكوا كثيرا من قرى الشام وحاصروا احمد باشا فى عكا ثم عجزوا عن أخذها فارتحلوا عنها وأجروا عمل مايعتاده أهل مصر من مولد السيد احمد البدوى وغيره على حسب المعتاد وكذا اخراج المحمل والحج وحصل بينهم وبين اهل الارياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم وصاروا يتبعون الامراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به وحضرت مراكب الى السويس فيها اموال وبضايع للشريف غالب فسمحوا عن عشورها وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهاداة بهدايا عندهم ووضعوا الشيخ العريشى قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع وتوجه بانو برته الى بلاد الفرنسيس سنة اربع عشرة وجعل سارى عسكرهم نائبا عنه بمصر ثم ترقى بانو برته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيس وفى شهر رجب من سنة اربع عشرة جاء جيش من السلطان سليم يقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه واليا على مصر وهو الذى يقال له ايضا ناصف باشا وسار من جهة الشام حتى وصلوا الى العريش

(فاستولوا)

فاستعد الفرنسيس لقتالهم وخرج بجنوده الى الصالحية ثم توسط الانقليز فى الصلح على شروط كثيرة منها أن الفرنسيس يتنحى عن الديار المصرية بعد ثلاثة اشهر ففى تلك المدة صار الناس يحتقرونهم ويسخرون بهم و يقول بعضهم لبعض سنة مباركة و يوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس وهم يحقدون ذلك عليهم وكشف همج الناس نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا فى عواقب الامور حتى ان فقهاء الاطفال كانوا يجمعون الاطفال ويمشون فرقا وطوائف وهم يجهرون و يقولون كلاما مقفى باعلى اصواتهم بلعن النصارى واعوانهم وافراد رؤسائهم كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الرمان ولم يملكوا لانفسهم صبرا حتى تنقضى الايام المشروطة على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل وشرعوا فى بيع امتعتهم ومافضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس ثم ان العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة ووصل الوزير يوسف باشا الى بلبيس والتقى بالامراء المصريين وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها احد من العثمانيين وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير فى مدينة بلبيس فى رمضان فقابلوه وقابلوا الى مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعا وانصرفوا ثم فى شهر شوال وقعت حادثة كانت سببا للنقض وذلك ان جماعة من عسكر العثمانيين تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنسيس فقتل بينهم شخص فرنساوى فثار من ذلك فتنة ثم قتلوا ستة انفار كانوا سبب الفتنة فسكنت لكن لم تطب نفوس الفرنسيس ثم ان الفرنساوية طلبوا ثمانية ايام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها فأعطوهم مهلة الثمانية ايام ونصبوا اوجاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلا باطراف مصر ممتدا الى شبرا وترددوا الى القلاع وهى لم يكن بها احد وشرعوا باجتهاد فى رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع واجتهدوا فى ذلك ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك وأشيع ان الوزير اتفق مع الانقليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر وكان الفرنساوية عندما راسلوا وترددوا الى جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعسكرهم واوضاعهم وتحققوا احوالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة ونقض الصلح والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه بها من عساكرهم خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا فى تلك النواحى ولم يبق منهم بالمدينة الا من كان بداخل القلاع واشخاص ببيت الالفى و بعض بيوت الازبكية وغلب على ظن الناس انهم برزوا للرحيل فلما كان يوم الثالث والعشرين من شوال ركب صارى عسكرهم قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم بالمدافع فلم يسعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلعوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين الى جهة العرضى بعد أن نهبوا

مافي عرضى ناصف باشا من المتاع والاغنام وسمروا أفواه المدافع التي لنصوح باشا وهو ناصف باشا وتركوها وساروا الى جهة العرضى فلما قاربوه أرسلوا الوزير يأمرونه بالرحيل بمدار بع ساعات فلم يسعه الا الارتحال والفرنساوية في اثره وعساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحى لجمع المال وظلم الفقراء واما اهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا ورمحوا الى اطراف البلد وخرج نقيب الاشراف وتبعه كثير من العامة وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح وتحزب كثير من طوائف العامة والاوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالازقة ولهم صياح بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق ثم خرج الكثير منهم الى خارج البلد بتلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض الاجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم الجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم لجهلهم ايضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ولهم صياح وخلفهم ابراهيم بيك ثم بقية الامراء ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من العساكر والسيد عمر نقيب الاشراف وصار نصوح باشا يقول للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعند ماسمعوا قوله هاجوا وماجوا ورفعوا اصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم وساروا الى حارات النصارى يقتلون و يأسرون و ينهبون فتحزبت النصارى واحترسوا وجمعوا كل ماقدروا عليه من الفرنساوية والاروام فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى ترمى من طاقات البيوت على المجتمعين بالازقة من العامة والعسكر يحامون على انفسهم والآخرون يرمون من اسفل و يكبسون البيوت و يتسورون عليها فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية واحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة فعالجوها حتى فتحوها وامر الباشا بجر المدافع الى الازبكية وضربوا منها على بيت الالفى وكان به اشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم ايضا بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر وفي هذا اليوم وضع اهل مصر والعسكر متاريس بالاطراف كلها وشرعوا في بناء جهات السور واجتهدوا في تحصين البلد بقدر الطاقة وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب فاجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الاقوات لان غالب قوت اهلها يجلب من قراها كل يوم بيوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج وغصت الطرق بالازدحام عند الخروج وازدحم الناس بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال وركب الناس بعضهم بعضا ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف مالا يوصف وناس من اهل خان الخليل جاؤا الى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وأغلقوا باب النصر وبات في تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وأزقة الحارات

فلما أصبح يوم السبت تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر ماعدا الضعيف
الذي لاقوة له على الحرب وذهب المعظم الى جهة الازبكية وسكن الكثير فى البيوت الخالية
والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وأحضروا
من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع من حديد واحجار استعملوها
عوضا عن القلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالازبكية ثم فرقوا الناس
فى اطراف البلد والمتاريس للاحتراس وكان كل من قبض على نصرانى او يهودى او فرنساوى
ذهب به الى كتخدا وأخذ البقشيش فيحبس البعض ويقتل البعض وأحضروا الحدادين لانشاء
مدافع وجعلوا معملا لعمل البارود والقلل وغير ذلك من المهمات واهتموا لذلك اهتماما زائد
وانفقوا أموالا جمة واما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الالفى وماوالاه
واما الوزير فانه لما ارتحل بالمرضى ووصل الى الصالحية تكلموا معه فى الرجوع فاعتذر
بعدم الاستعداد ثم سار الى الشام فرجع طائفة من عسكر الفرنساوية الذين ساروا خلف
الوزير الى أصحابهم الذين بمصر نجدة لهم فقويت بهم نفوسهم ووقف جملة منهم بباب
النصر ومنعوا الداخل والخارج وذلك كله بعد مضى ثمانية ايام من ابتداء الحركة وقطعوا
الجالب الى البلد وأحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم فعظم الكرب وأكثروا من الرمى
بالمدافع على البيوت من القلاع وعدمت الاقوات وارتفعت الأسعار وهلكت البهائم
وتهدمت البيوت وكثر صريخ النساء والصغار وفى كل ساعة تهجم الفرنساوية الذين هم
خارج البلد على جهة من جهات مصر ويملكون بعض المتاريس واستمر الحال الى عشرة ايام
فرددوا الرسل للصلح فقال الفرنساوية لابد من خروج العثمانية من مصر ونعطيهم مايحتاجون
من المؤنة حتى يصلوا الى جماعتهم وخرج اليهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والسرسى
والفيومى وغيرهم وتمموا الصلح على ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه عساكر
الانقشارية العثمانية وسائر الناس قاموا على المشايخ وسبوهم وشتموهم وضربوا الشيخ
الشرقاوى والسرسى ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون هؤلاء
المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وانهم أخذوا دراهم من الفرنسيس
وتكلم السفلة والغوغا بكثير من الفضول فأرسلوا الفرنسيس ان الباشا والعساكر والناس لم يرتضوا
بالصلح ثم جاء مطر شديد وتوحلت جميع السكك فاشتغل الناس بتخفيف المياه والاوحال فاغتنم
الفرصة الفرنسيس وهجموا على مصر وبولاق من كل ناحية وعملوا فتائل بالزيت
والقطران وكعكات غليظة ملوية معمولة بالنفط ملوية على أعناقها مشربة بقطرات
تشتعل وتقوى لهبها وتابعوا رمى المدافع والبنبيات من القلاع وصاروا يهجمون وأمامهم
المدافع وخلفهم بواردية يرمون بالبندق المتتابع وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة
بالنيران يلهبون بها السقائف والحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيأ
فشيأ والمسلمون بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة وزلزلوا زلزالا شديدا وصرخت النساء
والصبيان ونطوا من الحيطان والنيران تأخذهم من كل جهة والامطار متوالية بالليل والنهار
ومثل ذلك كان فى بولاق بل زيادة عن ذلك لأنهم فى آخر الأمر قتلوهم وحرقوا بلادهم

وأخذوا أموالهم وسبوا حريمهم وذراريهم والحاصل ان هذه الفتنة قد شاهد الناس فيها من الهول مايشيب منه النواصي وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة واحترقت الأبنية والدور والقصور وهرب كثير من الناس عند ما أيقنوا بالخذلان فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية ثم أحاطوا بالبلد واستولوا على الخانات والوكالات والحواصل والبضائع والودائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور وكان جماعة من المسلمين فى هذه الفتنة يداهنون الفرنسيس وأخذوا منهم أمانا وهم مع المسلمين فاطلع المسلمون عليهم فآذوهم وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا بعضهم واتهموا الشيخ البكرى بموالاة الفرنسيس وانه يرسل اليهم الأطعمة فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة فنهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماشى على أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين يد الكتخدا أهاله ذلك واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره وأخذه أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الفتنة وكان جماعة من الأمراء والرؤساء يذهبون ويجيؤن من الفرنسيس الى المسلمين ومن المسلمين اليهم يسعون فى الصلح بين الفريقين واستمر الحال الى السادس والعشرين من الشهر حتى هلكت الناس وتمنوا دخول الفرنسيس وخروج العثمانيين ثم تم الصلح على وقف الحرب وخروج العثمانيين بعد مهلة ثلاثة أيام ثم خرجوا وارتحلوا وزودهم الفرنسيس وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك وخرج أيضا ابراهيم بيك وأمراؤه ومماليكه وخرج معهم بعض الرؤساء منهم نقيب الأشراف والمحروقى رئيس التجار سنة ١٢١٥ وأما مراد بيك فكان بالصعيد وكان قد انعقد بينه وبين الفرنسيس صلح ومهادنة وكانت مدة الحرب والحصر بالثلاثة الأيام الهدنة سبعة وثلاثين يوما وقع فيها من الحروب والكروب وعظائم الأمور مالا يحيط به الا الله تعالى ودخل الفرنسيس مصر وضبطوها فى أوائل ذى الحجة سنة خمس عشرة وأمنوا الناس واستولوا على ماكان اصطنعه العثمانيون وأعدوه من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ فى عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس فلما جلسوا أبرزلهم ورقة مكتوب فيها النصرة لله الذى يريد ان المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس وبناء على ذلك يريد سر عسكر أن ينعم بالعفو العام على أهل مصر ولو كانوا يخالطون العثمانيين فى الحروب ويأمرهم أن يشتغلوا بمعاشهم وصنائعهم ثم نبه عليهم بالحضور الى قبة النصر بكرة تاريخه ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان فلما كان الغد ذهبوا الى قبة النصر وصنع لهم سماطا عظيما ضيافة وزينت البلاد ثلاثة أيام ثم بعد أيام أمرهم بالحضور بدار الأزبكية فلما وصلوا جلسوا حصة طويلة فى الديوان الخارج ثم أدخلوا وجلسوا حصة فخرج اليهم سر عسكر وصحبته ترجمانه وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسى فى وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان فكلمه سر عسكر بكلام طويل بلسانهم فالتفت الترجمان وأخبرهم بما قاله سر عسكر وملخص ذلك القول ان

سرعسكر يقول اننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمتثلون ثم انكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالاحسان وخفضنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة واوهمتمونا ان الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون فلما حضر العثملي فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا فقالوا له نحن ماقمنا مع العثملي الاعن أمركم لأنكم عرفتمونا انكم ونحن فى حكم العثملي ان البلاد والأموال صارت له وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين وما شعرنا الابحدوث هذا الحادث بينكم و بينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا فى وسطهم فلم يمكن التخلف عنهم فقال لهم لأى شئ لم تمنعوا الرعية عما فعلوا من قيامهم ومحاربتهم فقالوا لايمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا وسمعتم مافعلوه معنا من ضربنا واهانتنا عند ما أشرنا عليهم بالصلح فقال لهم واذا كنتم لايمكنكم تسكين الفتنة فما فائدة رياستكم و أى شئ يكون نفعكم وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر لأنكم اذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم و أياهم علينا واذا ذهبوا رجعتم لينا معتذرين فكان جزاؤكم القتل وحرق البلاد وسبى الحريم والأولاد كما فعلنا باهل بولاق ولكن حيث أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الأموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسه عنها خمس عشرة خزنة رومى بثلاث عشرة خزنة مصرى منها خمسمائة ألف فرانسه على مائتين على شيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمس وثلاثون ألفا وعلى الشيخ الجوهرى خمسون ألفا وعلى أخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا وعلى الشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا وعلى الشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا جعلوا ذلك عليه وعلى الفارين مع العثملي مثل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والمحروقى وما بقى من المبلغ المطلوب تقررونه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا أنظروا من يكون منكم عندنا رهينة حتى توفوا ذلك المبلغ وقام من كرسيه من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه و بينهم الباب ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ونظروا الى بعضهم وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى لكون البكرى حصل له ماحصل فى صحائفهم والمهدى كان يداهنهم وحرق بيته بمرئ منهم ولم يكن فيه الا الحصر لانه كان قد نقل مافيه بداره التى فى الخرنفشى ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل واحد منهم انه لم يكن شيأ مذكورا ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال اكثرهم على ثيابه و بعضهم شرشر ببوله من شباك المكان وصاروا يدخلون على نصارى القبط و يقعون فى عرضهم فالذى كان معهم ولم يكن معدودا من الرؤساء خرجوه فخرجوا مسرعين حتى ان بعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوها على اصحاب الحرف واهل البيع والشراء وجميع الناس حتى

القرى داتية جعلوا على كل طائفة مبلغا له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسه وأربعين ألفا وجعلوا على أجرة الأملاك والعقار أجرة سنة كاملة ثم استأذنوا المشايخ الخالص منهم الذى ليس عليه شئ يتوجه حيث أراد والمشبوك يلازمه جماعة من العسكر حتى يؤدى المطلوب منه وأما الصاوى وفتوح والجوهرى فحبسوهم ببيت قائم مقام والعنانى هرب فلم يجدوه وداره أحرقت فأضافوا غرامته على غرامة شيخ السادات وانفض المجلس على ذلك وركب صارى عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين مايشاء ونزل شيخ السادات وركب الى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره فلما كان حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من العسكر ايضا وأركبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه فى مكان ثم تشفع له اناس وكفلوه لينزل الى داره و يحصل لهم المطلوب منه فتحصل عنده من الدراهم ستة آلاف ريال وقوموا ماوجدوه من المصاغ والفراوى والملابس فبلغ خمسة عشر الف ريال فكان الجميع احدى وعشرين الف ريال ثم صاروا يفتشون داره و يحفرون الأرض الخبايا حتى فتحوا الكنف فلم يجدوا شيئا ثم نقلوه الى بيت قائم مقام وضربوه وأهانوه وأودعوا زوجته وابنه عند أغاة الانقشارية ثم ان المشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والأمير والمهدى وغيرهم تشفعوا فى نقل الزوجة الى بيت الفيومى ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح والصاوى فجعلوا على كل واحد خمسة عشر الف ريال وردوا الباقى على الفردة العامة واما الجوهرى فاختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ثم وكلوا بالفردة العامة يعقوب القبطى وأعطوه عسكرا لتحصيلها ودهى الناس بهذه النازلة التى لايصابون بمثلها وفرغت الدراهم من عند الناس وباعوا أمتعتهم وجميع ما عندهم ولم يجدوا من يشترى الأثاث والفرش والملبوس بابخس الاثمان ودفعوا لهم ايضا جميع مايملكون من البغال والخيل والحمير ومنعوا المسلمين من ركوبها سوى خمسة أنفار وهم الشرقاوى والمهدى والأمير والفيومى وابن محرم وتطاولت النصارى من الشوام والقبط على المسلمين بالضرب والسب وفى كل وقت يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس وهجم الدور وجرجرت الناس حتى النساء من اكابر واصاغر وبهدلهم وحبسهم وضربهم والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه اوحريمه او ينهبون داره فان لم يجدوا شيأ ردوا غرامته على ابناء جنسه وأهل حرفته ونالوا من الناس أغراضهم وأظهروا احقادهم وصاروا يصرخون بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين هذا والكتبة والمهندسون والبناؤن يطوفون ويحررون اجرة الاملاك والعقارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء اربابها وقيمتها وخرج كثير من الناس من المدينة وأجلوا عنها وهربوا الى القرى والارياف واستمرت الحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والمصائب عميمة والمطالب عظيمة والامر عظيم والخطب جسيم ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد واستمر شيخ السادات محبوسا الى غاية شهر صفر من سنة خمسة عشر فأفرجوا عنه ونزل الى بيته بعد ان غلق الذى عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص

الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وأن لا يركب بدون اذن منهم و يقتصد فى اموره ومعاشه و يقلل أتباعه وفى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة نادوا على الناس الفارين من مصر من خوف الفردة وغيرها بان من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة نهبت داره واحيط بوجوده وكان من المذنبين واشتد الامر بالناس وضاقت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع تقبل شفاعته اومتكلم تسمع كلمته ونزل بالمسلمين الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وانصارهم من نصارى البلد الاقباط والشوام والاروام حتى صاروا يأمرونهم بالقيام لهم عند مرورهم ثم شددوا فى ذلك حتى كانوا اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ولم يقم اليه بعض الناس على اقدامه رجعت اليه الاعوان وقبضوا عليه وأصعدوه الى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر عدة ايام فى الحبس ثم يطلق بشفاعة بعض الاعيان واما الاموال المطلوبة فأخذوها ومابقى شئ للناس الا واستولوا عليه ومابقى جعلوه على الاطيان والفدادين ومشايخ القرى والبلدان وتفصيل ذلك كله طويل ولم يزل الناس معهم فى شدة وكرب الى ان قضى الله ماقدره وأذن بخروجهم وانقضاء دولتهم

﴿ ذكر خروج الفرنسيس من مصر ﴾

فى أواخر شوال من سنة خمس عشرة برز الامر من مولانا السلطان سليم بالتجهيز الى مصر برا و بحرا اما العساكر التى من البر فهى بمعية يوسف باشا واما البحر فتعهدت به الانقليز ثم فى اوائل ذى القعدة ورد جماعة من الانقليز بمراكب الى ثغر الاسكندرية وطلع جماعة منهم الى البر وتحاربوا مع امير الاسكندرية ومن معه من الفرنسيس ثم فى اول ذى القعدة جاءت الاخبار الى الفرنسيس بمصر بان يوسف باشا وعساكره وصلوا الى العريش فجمعوا المشايخ والاعيان بمصر وقالوا لهم انه يحب المسلمين ويميل اليهم بالطبع وخصوصا العلماء اهل الفضائل و يفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يحب لهم الا الخير لكن سياسة الاحكام تقتضى بعض الامور المخالفة للمزاج والآن بلغنا ان يوسف باشا وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف فلزم الامر لتعويق بعض الاعيان وذلك من قوانين الحروب عندنا بل وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك فليس الا الاعزاز والاكرام انما كنتم ثم انقضى المجلس على تعويق اربعة اشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى فأصعدوهم الى القلعة فى الساعة الرابعة من الليل مكرمين وكان هؤلاء الاربعة من اهل الديوان المرتب فى مصر لفصل القضايا وكان معهم فى الديوان الشيخ الامير والبكرى والشربينى فأبقوهم فى الديوان على حالهم السابق ثم وقع حرب ايضا بالاسكندرية فى البر بين الانقليز والفرنسيس فى الرابع عشر من ذى القعدة وكانت الهزيمة على الفرنساوية وقتل منهم كثير وانحازوا الى داخل الاسكندرية وأرسل الفرنسيس من كشف عن متاريس الانقليز فوجدوها فى غاية الوضع والاتقان ثم وقع قتال آخر فقتل فيه من الفرنسيس خمسة عشر الفا ثم طلبوا عساكر من مصر نجدة لهم فأطلق الانقليز حبوس المياه المالحة حتى أغرقت طرق

الاسكندرية وصارت جميعا لجة ماء ولم يبق لهم طريق مسلوك الامن جهة العجمى الى البرية وتترس الانقليز قبالهم من جهة الباب الغربى ووقع فى مصر فى هذه السنة طاعون مات فيه خلق كثير منهم مراد بيك مات فى الصعيد رابع ذى الحجة من السنة المذكورة وكان قد اصطلح مع الفرنسيس وأعطوه امارة الصعيد وهو من مماليك محمد بيك ابى الذهب ومحمد بيك مملوك على بيك وعلى بيك مملوك ابراهيم بيك كتخدا اشترى محمد بيك مراد بيك سنة اثنتين وثمانين ومائة والف ثم اعتقه وترقى عنده وأمره وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على اقرانه ولما انفرد سيده محمد بيك بامارة مصر كان مراد بيك وابراهيم بيك اكبر الامراء المشار اليهما دون غيرهما واتسعت لهما الاموال والاملاك والضياع ثم لما مات محمد بيك سنة اثنين وثمانين ومائة وألف صارت الرياسة فى ملك مصر لهما ولكن كان ابراهيم بيك مقدما وكان مراد بيك منعكفا على اللذات والملاهى وكان لكل منهما مماليك هم الصناجق والأمراء وكانت وفاة ابراهيم بيك بدنقلة سنة احدى وثلاثين ومائتين والف

﴿ ذكر ما كان من استعداد الفرنسيس ﴾

فى خامس المحرم من سنة ست عشرة ومائتين وألف أكثروا من نقل الماء والدقيق والاقوات الى القلعة بمصر وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر والبنب ونقلوا مافى الاسوار والبيوت من الفرش والامتعة والاسرة الى القلعة ولم يبقوا بالقلاع الصغار الامهمات الحرب وطلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار زيت وسمروا جملة من حوانيتهم لتحصيل ذلك واجتهدوا فى وضع متاريس خارج البلد وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونه للعمل وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة لتمنع المراكب من العبور وهدموا جانبا من الجيزة من الجهة البحرية وبلغهم ان عساكر الأنكليز القادمة من البر الغربى قربت ووصلت ترعة الفرعونية وان العساكر الشرقية وصلت الى بنها وأن طائفة من الانكليز فى جهة اسكندرية وان الحرب قائم بها وان الفرنساوية محاصرون بداخل الاسكندرية ويحاربهم الانكليز ومن معه من العثمانية من الخارج وان جماعة من الانكليز قعدوا فى الاماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ اليها وقطعوا عليهم الطرق من كل ناحية وأطلقوا المحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الا الجسر المقطوع حتى سالت المياه وردغت الاراضى المحيطة بالاسكندرية وخرج عن طاعة الفرنسيس الأمراء الذين بالصعيد وردوا مكاتيبهم التى أرسلوها لهم بعد مراد بيك وحضرت لهم الاخبار المتواترة بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون وجاءتهم الاخبار ايضا بانهم تملكوا رشيد ودمياط وفى العشرين من المحرم يوم الاثنين جاءتهم الاخبار بان الوزير وصل دجوة فطلبوا مشايخ الديوان عند قائمقام فقال لهم ان الخصم قد قرب منا ونرجوكم ان تكونوا على عهدكم مع الفرنسيس وان تنصحوا اهل البلد والرعية ان يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ولا يتداخلون فى الشر والشغب فان الرعية بمنزلة الولد وانتم بمنزلة الوالد والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه

على الطريق المستقيم حتى يكون فيه الخير والصلاح فانهم ان داموا على الهدى حصل لهم الخير ونجوا من كل شر وان حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت اموالهم ومتاعهم وسبيت نساؤهم وتيتمت اولادهم وألزموا بالاموال والفرد التى لاطاقة لهم بها فقد رأيتم ماحصل فى الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فانكم لاتدرون العاقبة ولانكلفكم المساعدة لنا ولاالمعاونة لحرب عدونا وانما نطلب منكم السكون والهدو لاغير فأجابوا بالسمع والطاعة وقرأ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا بالمناداة على الناس بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا يفزعوا من ذلك فانه شنك وعيد لبعض أكابرهم وأمروا ان يجتمع بالديوان فى الغد الاعيان والتجار وكبارا لاخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك فكان كذلك وفى غاية شهر محرم جاءتهم الاخبار بان الوزير وصل الى الشلقان وكذلك عساكر الانقليز فجمعوا المشايخ بالديوان وأعلموهم أن ارض مصر استقر ملكها للفرنساوية فيلزم اعتقادكم ذلك وأركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ولايغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم فانهم لايخرج من ايديهم شئ ابدا وهؤلاء الانقليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والفتن والعثملى مغتربهم فان الفرنساوية كانت من الاحباب الخلص للعثملى فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور وان بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولوكان بينه وبين الفرنساوية طريق مسلوكة من البر لانمحى أثرهم وانمحى ذكرهم من زمان مديد وتأملوا فى شانهم واى شئ خرج من ايديهم فان لهم ثلاثة اشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا الينا والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوما فلو كان فيهم همة اوشجاعة لوصلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط وفى ثالث صفر وصلت عساكر العثمانيين وانتصبوا الى العادلية فى الجهة الشرقية والى انبابة فى الجهة الغربية وجرى القتال بينهم وبين الفرنسيس وكان النصر لعسكر السلطنة العلية ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيس من مصر وتسليمها للدولة العلية فتجهزوا وخرجوا آمنين فى آواخر صفر ولما انعقد الصلح أطلقوا المشايخ الذين كانوا بالقلعة رهاين وهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى وكانت مدة حبسهم فى القلعة نحو مائة يوم وسافرت عساكر الفرنسيس على رشيد وابى قير ودخل الوزير يوسف باشا مصر فى التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل وكانت مدة تملك الفرنسيس مصر ثلاثة سنين وشهرا قال الشيخ الشرقاوى فى تاريخه وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبا نعية يقال لهم نصارى كاتوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ويقولون ان الله واحد لكن يقولون بالتعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم هى قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون مايناسب اهل البلاد بحسب عقولهم وكان فى ذلك رحمة الله تعالى

باهل مصر فانهم جعلوا من جملة ذلك ديوانا فيه جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض اشياء لاتليق بالشرع والسبب الذى أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عندقدومهم كتبوا كتبا وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا و يحترمون القرآن وانهم يحبون العثملي ولم يأتوا الالطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم واموال تجارهم ولايتعرضون للرعايا فى شئ لكن لمادخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لماقامت عليهم اهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم مايقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض فى مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه اموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان اهل البلد ظنوا ان العسكر لاتدخله فحولوا فيه امتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا اكثر البيوت التى حول الجامع ونثروا الكتب التى فى الخزائن يعتقدون ان بها اموالا واخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين اهل الارض مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم وكان مكث بونابارته امير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة اشهر ثم ذهب لقتال احمد باشا الجزار بعكا ثم توجه الى بلاد الفرنسيس وجعل له نائبا منهم بمصر ولما وصل بونابارته الى بلاد الفرنسيس ويقال له نابليون استعانوا به فى اصلاح خلل كان حاصلا ثم ساق جيوشا لمحاربة ايطاليا والنمسا وانتصر عليهم وفى سنة تسع عشرة ومائتين وألف أقاموه امبراطورا على فرانسا كافة وشن الغارات على دول اوروبا وحارب الروسية والنمسا والانقليز والبروسية ووقائعه طويلة افردت بالتأليف ثم تجمعت جميع ملوك اوروبا واتفقوا على حرب فرانسا فأصاب فرانسا من ذلك شدائد عظيمة وسئموا من كثرة الحرب فاتفقوا على خلع بانابرته ودعوا لويز الثامن عشر ليملكوه عليهم فلما علم ذلك بانابرته استعفى وذلك سنة ثلاثين ومائتين والف فملكوا لويز الثامن عشر وأعطوا بانابرته جزيرة الالب ليملك عليها ثم بعد سنة أتى باريس فهرب لويز الثامن عشر وعاد الى انكلترا فنهضت الدول لمحاربة بانابرته واعادة لويز الى ملك فرانسا وجرت امور يطول ذكرها وآخر الامر تنازل عن الملك الى ابنه فلم تقبل الدول المتحدة ان يتبوء الملك احد من سلالته فذهب بانابرته الى رشفورت وطلب من حكومة الانقليز ان تقبله ضيفا فى بلادها فأجابته أولا الى ذلك فركب الى احدى الموانى الانقليزية وقبل ان ينزل الى البر أرسلت اليه الحكومة الانقليزية تخبره انه اسير الدول المتحدة ثم شيعوه الى جزيرة هيلانه فبقى اسيرا الى ان هلك سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف وعمره اربع وخمسون سنة ولنرجع الى اتمام الكلام على ما كان فى بقية زمن السلطان سليم

* *
*

(ذكر)

﴿ ذكر خلع السلطان سليم ﴾

سبب ذلك أنه كان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاق الانقشارية ويقيم مكانه عسكرا جديدا على الطريقة الافرنجية لأن الانقشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانقشارية من ذلك وأثاروا في القسطنطينية شغبا عظيما يطول الكلام بذكره واعتصبوا عصبة واحدة وكان موافقا لهم على منع النظام الجديد عطاء الله افندي شيخ الاسلام وقائمقام صدر أعظم فقوى أمرهم به وقال لهم انه لا يجوز أن تكون عساكر الاسلام متشبهة بالكفار وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار فقويت هذه الحجة في صدورهم وقالوا سيروا بنا لنلاشي النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الايمان بأفعالهم الشنيعة وتحالفوا على ملاشاة وجاقات العساكر الانقشارية الذين هم أعمدة مملكة الدولة العلية وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها اسماء بعض اشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم أرسلها اليهم المفتي عطاء الله أفندي فأخذوا يتلونها ويسمون الأشخاص الذين يريدون قتلهم ثم ساروا يفتشون على أولئك الأشخاص فوجدوا بعضا منهم فقتلوهم واختفى كثير من أولئك الأشخاص في بيوت النصارى واليهود وقتلوا خلقا كثيرا وأحضروا سبعة عشر رأسا من أعظم رجال الدولة وكان الدم جاريا في القسطنطينية ثلاثة أيام ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه وصاروا يقولون يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم نسيت انك أمير المؤمنين وعوضا عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الاسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحاميا عن الدين فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شيء شرف الايمان وسلامة الاسلام وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها ان السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب كلا ثم قال القاري قد صار معلوما عندكم انه تحتم عزل السلطان فما قولكم الآن هل تسلمون له يفعل مايخل بالاسلام فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطانا علينا فليعزل وصرخوا باسم السلطان مصطفى ابن السلطان عبد الحميد وقالوا ليعش السلطان مصطفى وأرسلوا المفتي للسلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة فدخل عليه متذللا منخفض الرأس قائلا يا مولانا اني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان وليس خافيا على مسامعكم الشريفة بان العساكر الانقشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطانا عليهم فالآن لا سبيل الى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شيء فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث وقبل كلام المفتي ونزل عن السلطنة وكان ذلك في احدى وعشرين من ربيع الأول سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف فمدة سلطنة السلطان سليم ثمانية عشر سنة وثمانية أشهر واذ كان ذاهبا يختلي في مكان منفرد عن السرايا التقى بالسلطان مصطفى قادما ليجلس مكانه على تخت السلطنة فقال له يا أخي أهبطني الله من العرش العتيد لأن

بمجلس عليه أنت لأني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين واصلاح حال العسكر الذين جهلوا تعاليمهم وتركوا قوانينهم فهاجت على العساكر مع بعض رجال الدولة وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تخت السلطنة ونادوا باسمك وها أنا ماض بكل رضا أعيش منفردا وأما أنت فانك سعيدا أكثر مني فأرغب اليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى فلم يصغ السلطان مصطفى لكلام السلطان سليم وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من معانقته فلما وصل السلطان سليم الى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود أخا السلطان مصطفى ما كثا في ذلك الموضع عليه آثار الرقة والنباهة وعند ماشاهد السلطان سليم التقاه فقبل يده ذارفا دموعا غزيرة فحرك السلطان سليم الى البكاء وجلسا في ذلك الموضع وطال ما كانا يتحدثان دائما بالأمور المشيدة أركان الدولة والدين هذا ماكان من أمر السلطان سليم والسلطان محمود

ذكر ولاية السلطان مصطفى بن عبد الحميد

وأما السلطان مصطفى فانه بوصوله الى أمام أولئك العساكر فرحوا به فرحا عظيما وأ... على تخت السلطنة وبسبب هذه الحادثة العظمى والفتنة الظلماء حصل الخوف لجميع ... القسطنطينية وقفلت الحوانيت ووقع الرعب في قلوب الجميع ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر باسمه وتقدم المفتي شيخ الاسلام وقائمقام موسى باشا الى الجموع التي كانت مجتمعة في فسحة أت ميدان وأخبروهم ان السلطان مصطفى قد وعد بابطال ما كان مهتما به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وبارجاع العوايد القديمة فلما سمع الجميع هذا الحديث تفرقوا وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائم مقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الاسلام عطاء الله افندي ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم چلبي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم حزن لذلك وغضب غضبا شديدا هو ومن معه من العساكر وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار فعقدوا صلحا مع الروسية ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر وأرسلوا للعساكر الانقشارية الذين بالقسطنطينية يقولون لهم انهم قادمون لنجدتهم واتمام ... ليطمئنوا بذلك وما دخلوا القسطنطينية الا بعد مشاق وأراد البيرقدار مصطفى باشا ارجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى وطلب من الصدر الاعظم المساعدة على ذلك فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الامور فغضب البيرقدار غضبا شديدا وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناسا يقتلون السلطان سليم فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهلوه الى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه الى الارض فنهض حالا عليهم كالاسد وصرعهم وكان قويا جدا ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات ورجعوا به الى السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه ميتا امامه وكان ذلك سنة ثلاث وعشـ... ومائتين والف وعمر السلطان سليم ثمانية واربعون سنة ثم أرسل اناسا وأمرهم بخنق اخيه السلطان محمود وكان البيرقدار هجم بجماعة مسرعين لانقاذ السلطان سليم فوجدوه

قدمات فاهتموا بامر السلطان محمود وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لانه الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان فأخذت العساكر تطلب السلطان مصطفى وتبحث عن السلطان محمود لان السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله اراد الفرار فرشقه احدهم بخنجر أصاب يده فهرب وصعد الى سطوح السرايا فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل الى صحن الدار حيث كان البيرقدار وعندما نظر اليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه

﴿ ذكر ولاية السلطان محمود بن عبد الحميد ﴾

ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم وسلمه زمام الاحكام فاخذ يجتهد في اخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليم ثم شرع في تعليم العسكر الجديد وأرسل وطلب اجتماع اهل الحل والعقد من رجال الدولة فلما حضروا بين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وانفاذ أوامر السلطان طالبا رأيهم في ذلك فصادقوه مذعنين لامر السلطان وتعهدوا بالمساعدة في كل مايؤول لنجاح المملكة وفي الحال أخذ الصدر الاعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين وأضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر وعلقوا اوراقا في الاسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الاعظم وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد فأخذوهم بغتة وشتتوهم واحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها وانقسم الناس فريقين فريقا يريد التعليم الجديد وفريقا يكرهه وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير واحرقت دور كثيرة وحاصروا الصدر الأعظم في الدار التي كان فيها وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيرا منهم ثم ثار عليه صناديق بارود وكانت في داره فمات بسبب ذلك وكان قد أخرج جواريه ونساءه من الدار قبل ذلك فاحيلت الصدارة الى يوسف باشا وكان ذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وعزل شيخ الاسلام عطاء الله افندي واحيلت المشيخة الى عرب زاده محمد عارف افندي وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتابا لعساكر الانكشارية يحرضهم على الغيرة وارجاعه الى السلطنة فوقع ذلك الكتاب في يد بعض العلماء فذهب به الى شيخ الاسلام فجمع كثيرا من العلماء وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الامور ويتشاورون في اطفاء هذه الفتنة وأرادوا انه اذا بقي السلطان مصطفى في قيد الحياة لا تنطفي الفتنة فاختاروا رجلا من بينهم يقال له منيب أفندي كان قاضي اسلامبول ليعرض على السلطان محمود رأى العلماء ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى فسار منيب افندي الى السلطان محمود وعرض عليه ذلك فأجابه السلطان محمود ان هذا امر محال وكيف يتصور أن يصدر أمري بقتل أخي مع كوني قادرا على منعه من هذه الاعمال وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة كثيرة في ذلك

وقال له منيب افندى فى غضون تلك المحاورة قدجاء فى ... الحديث الشريف اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما فشق ذلك على السلطان محمود وحول وجهه ... الى شباك هناك ولم يجبه بشئ لشدة أسفه على اخيه فقال منيب افندى ان السكوت اقرار فى ... ثم أرسل منيب افندى الى كبير البستانجية وقال له ان مولانا السلطان قد صدر أمره ... الشريف بقتل اخيه السلطان مصطفى فاذهب وأتم أمره فذهب البستانجى باشى ومعه جماعة من اعوانه الى الموضع الذى كان فيه السلطان مصطفى فأحس بهم السلطان مصطفى وعرف مقصدهم فاختبى بين فرش كانت هناك فدخلوا فلم يجدوه ورأوا امام تلك الفرش خفيه فقلبوا تلك الفرش الى الارض فوجدوا السلطان مصطفى تخبأ فيه فقتلوه خنقا وكان العلماء الذين اجتمعوا عند شيخ الاسلام وأرسلوا منيب افندى للسلطان محمود ينتظرون رجوعه اليهم بالجواب فلما أبطأ عليهم ظنوا ان السلطان محمود لم يقبل ما رأوه فتوجهوا جميعا للسلطان محمود تقوية لمنيب افندى وتصديقا له فدخلوا على السلطان محمود يلتمسون منه اتمام ما عرضه عليه منيب افندى فاتفق انهم حين دخولهم قبل ان يبتدؤا بالحديث نظر السلطان محمود من الشباك فرأى اخراج جثة اخيه ميتا فتألم من ذلك جدا والتفت اليهم وعيناه ممتلئتان بالدموع وقال لهم أسرعوا واهتموا بتكثير الجيوش واحضار المهمات وارسال العساكر لانني انا اليوم بحزن عظيم على موت أخى فحينئذ علم العلماء موت السلطان مصطفى فتوقفوا عما كانوا يريدون عرضه عليه وأخذوا يدعون له بطول العمر ويعزونه ويسلونه على فقد اخيه وكان ذلك فى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف فمدة سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة وشهران وعمره ثلاثون سنة ولما استقرت السلطنة للسلطان محمود كانت امور الدولة فى غاية الارتباك والاضطراب فمن ذلك ان عساكر الروسية كانت تتقدم الى جهة الطونة مسرعة فبعث السلطان جيشا عظيما لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف سيرهم فطلبت دولة فرانسا ان تتوسط فى الصلح فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه تأثر جدا من الشروط السرية التى عقدها نابليون ملك فرانسا مع اسكندر ملك الروسية فى تيلسيت التى من شأنها اقتسام دول أوربا فيما بينهما حتى بلاد الدولة العلية واستمر فى مقاومة الروسية ومحاربتهم ولكن كانت الغلبة لهم فاستولوا على مدينة شملة وقلعة اسماعيل وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية أشد مضايقة وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة واذا بطالع سعيد بزغ فى افقها وذلك ان نابليون الاول ملك فرانسا اشهر الحرب على الروسية سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين وسار اليها بجيوشه الجرارة فألزم ذلك الروسية ان تخرج جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت صلحا مع الباب العالى موافقا جدا للدولة العثمانية فاغتنم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات فى ولايتى بغداد وايدين وغيرهما فانه فى سنة الف ومائتين وستة وعشرين أظهر سليمان باشا والى بغداد العصيان فأرسل اليه السلطان محمود من قتله

❁ ذكر حرب المورة ❁

وفى سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين تحرك اليونان فى المورة وجاهروا بالعصيان على الدولة

وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويرمون الفتن في جميع الاطراف فشق ذلك على الدولة العلية وأرسلت العساكر لردعهم وادخالهم في الطاعة فنشبت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا والي ولاية مصر يأمره ان يرسل جيشا لمحاربتهم فأرسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة العثمانية ودارت نيران الحرب ولما أيس الاروام من النجاة ونوال الاستقلال استنجدوا بالدول الاروباوية فبادرت دولتا فرانسا وانكلترا الى التوسط في الامر والسعي بالصلح فلم يجب السلطان محمود سؤالهما فانضمت اليهما العمارة الروسية وبعثوا الى ابراهيم باشا ان يوقف الحرب فأجاب انه لايقدر على ذلك الابأمر من السلطان فعندذلك اطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فأحرقوهما وكان ذلك سنة الف ومائتين واحدى واربعين ولما بلغ الخبر السلطان محمود اضطر الى اجابة سؤال الدول المتحدة وأمضى الصلح بشروط مخصوصة فيها ابطال الحرب واستقلال الاروام

﴿ ذكر قتل العساكر الانقشارية ﴾

في سنة احدى واربعين ايضا شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد وشرع في تدبير الامر في تدمير الانقشارية وابطال وجاقهم فأبرز امرا سلطانيا يتضمن القدح في وجاق الانقشارية وبيان الخلل الواقع منهم وتغلبهم على الدولة وقتلهم بعض السلاطين وأمر سليم باشا الصدر الاعظم ان يجمع العلماء في بيت شيخ الاسلام ويتلو عليهم الامر الشاهاني ففعل ذلك فأجابوا بالامتثال بما يصدر به الامر السلطاني وتعهدوا بانفاذه وكان مع الحاضرين جماعة يميلون الى الانقشارية فتعصبوا لهم سرا وأخبروهم بما صار عليه الاتفاق فهجموا على بيت الصدر الاعظم وبعض العظماء من رجال الدولة وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ويقتلون كل من صادفوه منهم وينهبون البيوت ويطرحون فيها النار ففر الصدر الاعظم منهم وجاء الى السلطان محمود وأخبره بتلك الحوادث فأمره ان يجمع الطوبجية وسائر اهل الاسلام امام باب السرايا فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلماء ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان اليهم فلما خرج اليهم أخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم فأقسم جميعهم على انهم يهرقون دماءهم في صيانة أوامره وتنفيذها والتمسوا منه اخراج الصنجق الشريف النبوي ليهجموا على العصاة فأراد السلطان ان يكون معهم فتوسلوا اليه ان لايتنازل الى ذلك وأرسلوا ينادون في شوارع المدينة ويدعون اهل الاسلام للاجتماع تحت الصنجق الشريف فلما علم بعض الانقشارية بذلك أرسلوا اناسا من جماعتهم ينادون لاجتماع الانقشارية فلماقرعت أصوات المنادين آذان أهل الاسلام أسرعوا الى فسحة السرايا أفواجا أفواجا ففرقوا عليهم

السلاح وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الاسلام قاضى زاده طاهر افندى وعاد الى كرسيه الملوكى وكان يشرف على الجميع امام السرايا وسار سليم باشا الصدر الاعظم امام تلك الجموع التى كانت اكثر من خمسين الفا وشنوا الغارة على الانقشارية صارخين الله اكبر على الاشقياء وهجموا عليهم وأطلقوا المدافع والرصاص وكان يوما مهولا عظيما فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف والباقون فروا الى قشلهم وتحصنوا فيها فهجم عليهم العساكر والاهالى وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ومن بقى ولوا الادبار ثم قبضوا على كثير منهم فقتلوهم وطرحوهم فى فسحة ات ميدان وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلماء ووكلاء الدولة وأخذ يريهم أثواب السلاطين العظام الملطخة بالدماء الذين قتلهم العصاة الانقشارية طالبا ثمن دم السلاطين فأجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون الف نفس فصدرت الاوامر بتدمير الانقشارية فى الاستانة العلية وفى جميع الجهات فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظالمهم وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون اليهم ويساعدونهم ويفعلون فى تكياتهم افعالا شنيعة محرمة وبدعا مسترذلة فأمر السلطان بقتل اكثرهم وهدم تكياتهم وأخذت الدولة فى تكثير العساكر النظامية والجد فى تعليمهم وأبطلت وجاق الانقشارية وفى اثناء تلك المدة غير السلطان محمود لبسه ونزع العمامة والجبة وتزيا بزى العسكر الجديد على هيئة الاوروباويين وبالطربوش الصغير ولم يبال باقوال المعترضين

﴿ ذكر القتال مع الروسية ﴾

فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند نهر الطونة وسار جيش الى جهة الاناطول فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قيادة الصدر الاعظم سليم باشا فوقع بين الفريقين حرب شديد وتغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة واستولوا على جملة أماكن وتقدمت عساكرهم الى شوملة وأقاموا الحصار على سليسترة واستولوا على مدينة وارنة فعزل السلطان الصدر الاعظم سليم باشا [illegible] بنفيه وأقيم فى الصدارة محمد عزت باشا وسارت بعض عساكر الدولة الى جبل الـ[illegible] فتركت الروسية محاصرة شوملة وكانوا قد استولوا على سليسترة وكانت عساكر الروسية التى فى الاناطول تتقدم فملكوا القرص وبايزيد وطبراق وأرض روم واستأسروا صالح باشا وجاء جيش الروسية فيه مائة وستون ألف مقاتل وحاصروا أدرنة حصارا شديدا الى ان استولوا عليها ولما اشتد الأمر على رجال الدولة وعلى السلطان محمود اضطربت الأمور اضطرابا كثيرا الا ان السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان فى وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته ثم تداخلت دول أوروبا فى الصلح وأتموه بشروط سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ومآل تلك الشروط استقلال الأروام وتنازل الدولة عن اقليم الصرب والأفلاق والبغدان لملوك من أهل تلك البلاد تحت نظارة ملك الروسية وعن بعض جزائر عند فم نهر الطونة وعن بعض أراض فى الاناطول مع غرامة حربية

قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك قال بعض مؤرخي الفرنج وربما استغرب القارى كيف ان الدولة التى سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب فى قلوب جميعهم لم تستمر فى نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها الى ان يرتضوا هذه الشروط فاذا نظر الى هذا الامر بعين خالية عن الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف أمكن هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل فى داخليتها بسبب أصحاب البغى والفساد وقلة الأموال ولم تتزعزع اركانها بل استمرت فى سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة اوسيبا آخر أن يثنيها واذا ضممنا الى هذه الاسباب الخلل الذى أوقعه وجاق الانقشارية وعدم تمام انتظام الترتيب للعسكر الجديد وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقاة الاهوال لربما حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة اصلا واستطاعت ان تناضل الى هذه الدرجة مستهينة بكل الموانع التى تعرضت لها فهذا أعظم برهان على عظمها وسطوتها انتهى كلامه وأقول ان ههنا سرا الهيا لتأييدها وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبى صلى الله عليه وسلم وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر ﴾

وفى سنة خمس وأربعين وألف ومائتين استولت الفرنسيس بقوة جبرية على جزائر الغرب مدعيين أن أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر فى تلك الجهات ويفتكون بهم فلما بلغ الباب العالى ذلك أرسل طاهر باشا قبودان باشا الى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والى الجزائر فلما وصل وأراد النزول الى البر منعته الفرنساوية فعاد راجعا الى القسطنطينية والجزائر المذكورة كانت فى حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ويدفعون خراجا للدولة ويكونون تحت امر الدولة ظاهرا ومتغلبين باطنا فلما احدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والى الجزائر من تعليم عساكرها ولم يمتثل امر السلطان فى ذلك فقيل ان السلطان محمود هو الذى سلط عليه الفرنسيس لتأديبه فجاؤا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر الى ان قبضوا على الباشا المتولى عليها وذهبوا به الى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر فلما تملكها الفرنسيس لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقى على ذلك الى عصرنا هذا

﴿ ذكر القتال بين محمد على باشا والسلطان محمود ﴾

فى سنة سبع واربعين ومائتين والف وجه محمد على باشا والى مصر جيوشه برا وبحرا لتملك الشام وجعل قيادتها لولده ابراهيم باشا فحاصر عكا وافتتحها مظهرا الانتقام من عبد الله باشا والى عكا لأسباب كانت بينهما وفتح فى طريقه غزة ويافا وحيفا فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت تأمر محمد على باشا برجوع العساكر وأنه اذا كان بينهما دعوى يقدمان الى الباب العالى فيحكم بينهما فلم يمتثل لأوامر الدولة فأبرزت الدولة فرمانا بعصيان محمد على باشا وتنزيله عن ولاية مصر وصدر الأمر السلطانى لوالى حلب بجمع العساكر

لمحاربة ابراهيم باشا وخرج حسين باشا بعساكر من الاستانة وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس فهزمهم ابراهيم باشا واستولى على الاقطار الشامية وقبض على عبدالله باشا والى عكا وأرسله الى الاسكندرية لأبيه محمدعلى باشا ولما وصل ابراهيم باشا الى داريا قرب دمشق حرج اليه على باشا وزير دمشق واشتبك الحرب بينهما فهزمهم ابراهيم باشا وخرج اهل دمشق يسألونه الأمان فأمنهم ودخلها وتقدم الى حمص واشتبك القتل بينه وبين والى حلب وكان يوما عظيما وحربا شديدا من أشهر الوقائع قتل فيه خلق كثير واستولوا على المهمات جميعها وانهزم والى حلب ورجع اليها فقفلت فى وجوههم الابواب فساروا الى انطاكية ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج أهالى حلب لاستقباله فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات وأمن اهلها ثم سار الى انطاكية وحاربهم فيها ثم الى بوغاز بيلان ولما بلغ الباب العالى تقدم العساكر المصرية سير رشيد باشا الصدر الاعظم بالجيوش لحربهم فتقدم الى قونية والتقى الجيشان واشتبك القتال وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الاعظم وأتى به الى ابراهيم باشا فقابله بكل اكرام ثم خلى سبيله وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخمسين ومائتين والف ثم صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا ليسير لمحاربة ابراهيم باشا فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ووقعت الهزيمة اولا على عساكر ابراهيم باشا وكان فى واد عميق فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادى وصعد الى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا واخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم هجم عليهم بعساكره هجمة هائلة فانهزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين الى مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير وهذه الوقعة من أشهر تلك الوقائع التى وقعت فى تلك الحروب وأعقبها ابراهيم باشا بفتح اكثر الجهات فى تلك البلاد ولم تصل اخبارها الى القسطنطينية الابعد وفاة السلطان محمود بثمانية ايام ومن فتوحاته اخراج الخوارج الوهابية من مكة والمدينة وتطهير الحرمين منهم وقد تقدم ذلك عند ذكر السلطان سليم بن مصطفى لكون ابتداء القتال مع الوهابية كان فى مدة سلطنته لكن اتمام الامر ما كان الا فى زمن مولانا السلطان محمود الثانى بن السلطان عبدالحميد فذلك من فتوحاته ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه باهل الحرمين كمال الاعتناء فانه صدرت الارادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية فوجدوا أكثر ذلك بيد الاغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير فصار الفقراء ليس لهم شئ فصدر الامر الشاهانى بنقض ذلك وابطاله وتجديد كتابة دفتر باسماء المستحقين فحصل تجديد ذلك فى المدة التى كان فيها محمد على باشا بمكة حين جاء لقتال الوهابية وكتب الله ذلك صدقة جارية فى صحيفة مولانا السلطان محمود وصحيفة كل من كان له اعانة وتسبب فى ذلك ومن حسنات السلطان المذكور وفتوحاته انه كان فى مدة سلطنته تجديد قبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم وقبة سيدنا عبدالله بن عباس بالطائف فان القبب المذكورة هدمها الوهابى وجددها مولانا السلطان محمود وهدم الوهابى ايضا قببا

كثيرة بالمدينة على قبور الصحابة و بعض الاولياء فجددها مولانا السلطان المذكور ومن خيراته وفتوحاته المعنوية انه جدد لاهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذى كان مرتبا لهم من اسلافه وذلك انه فى سنة احدى وخمسين بعد المائتين والالف رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة بعضها شهريات وبعضها سنويات واشترى لذلك عقارات كثيرة وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة فصارت حسنة جارية الى هذا الوقت يحصل منها كمال النفع والاعانة للمذكورين على معاشهم ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرية بمكة والمدينة ولم يكن ذلك موجودا قبل ذلك ثم ان ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم الى ذلك الترتيب مثله فى مدة سلطنته كما سيأتى ذكر ذلك عند ذكره وكانت مدة سلطنة السلطان محمود ثنتين وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين ومائتين والف

﴿ ذكر ولاية السلطان عبد المجيد ﴾

وجلس على تخت السلطنة بعده ولده السلطان عبد المجيد فجهز الجيوش لقتال عساكر محمد على باشا واخراجها من الشام وأعانه على ذلك دولة انكلترا وكانوا عرضوا على السلطان محمود الاعانة فأبى فلما توفى وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد قبل اعانتهم فأعانوه وسير جيوشه الى الشام فهزموا عساكر ابراهيم باشا وأخرجوهم من الاراضى الشامية وأرادوا التوجه الى مصر والاسكندرية لاخراج محمد على باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصلح الى ان أتموه بشرط ان تكون الاسكندرية ومصر واقطارها لمحمد على باشا ولأولاده من بعده وضربوا عليه خراجا معلوما يدفعه فى كل سنة ويرجع الى الدولة الشام والحجاز وتم الامر على ذلك وكانت مدة تملكه الاقطار الشامية قريبا من تسع سنين وفى مدة السلطان عبد المجيد قوى الاتحاد مع دولتى فرانسا وانكلترا فحسنوا له احداث القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية فصدر منه الفرمان السلطانى بذلك سنة خمس وخمسين ومائتين والف وهى سنة جلوسه على تخت السلطنة

﴿ ذكر الحرب مع الروسية ﴾

فى سنة تسع وستين ومائتين والف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد والروسية المسماة بحرب القرم وسببها انه وقع اختلاف بين طايفتى الروم واللاتين فى القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القمامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعى لنفسها حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستيلاء مفاتيحها ثم أخذت هذه المسئلة تتعاظم بينهما وتمتد يوما بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال فى سنة ثمان وستين ومائتين والف فوقع الباب العالى فى ارتباك وحيرة من جهة تسكينها واخماد نارها لأن الروسية كانت تحامى عن حقوق الروم وفرانسا تحتشد لطرف اللاتين فتداخل سفير انكلترا فى صرف هذا المشكل ورسم ترتيبا لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فرانسة ولم تقبله الروسية لان مقصدها التوحد ولم يكن مقتصرا على المحامات عن حقوق الروم بل كان لها غايات أخرى طال ما كانت تجتهد

على نوالها وتترقب الفرص لاستحصالها وهى ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاستيلاء
على اقاليمها وولاياتها فانتهز امبرطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ
أربه فبعث سفيرا الى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبدالمجيد بعد ان كان بعث جيشا يبلغ
مائة واربعة واربعين الفا الى نهر الطونة ليكون مستعدا لوقت اللزوم والحاجة فلما وصل
السفير المذكور الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأسا
على الحضرة الشاهانية وعرض عليه مطالب الامبرطور نقولا فى المسئلة المتعلقة بالاماكن
المقدسة وان جميع الروم الذين هم من تبعية الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن وصاعدا
وان بطرك الروم القسطنطيني وباقى اساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغيرهم منوطا به
وان الشكاوى والدعاوى التى تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها
فاستعظم السلطان هذه المطالب ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومغايرة للأصول
وقوانين الدول فانثنى السفير راجعا من حيث أتى وأعلم الامبرطور نقولا بواقعة الحال
فاستشاط غضبا وأصدر امرا الى العساكر التى أرسلها الى أطراف الطونة أن تعبر النهر
وتستولى على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشنت الغارات على امارات الافلاق والبغدان
واستولت عليها ولما تحقق الباب العالى قدوم ذلك الجيش الى أطراف بلاده علم أن مقاصد
الروسية فى تطلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشا وأرسله الى تلك الحدود
تحت قيادة عمر باشا المجرى لردع الروسيين ولما تأكدت الدول الاوربا وية بغية الروسية
ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنيسا الى عقد جمعية للنظر فى اجراء الوفاق بين
الدولتين وأرسلت كل دولة منهما معتمدا من طرفها الى مدينة ثينا حيث وافاهم سفير من طرف
الروسية وآخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلسا فى سنة الف وماثين وسبعين
لم يأت بالمرغوب فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالى الحرب وصدم سليم باشا
العساكر الروسية فى الاناطول وانتصر عليهم فى عدة مواقع وهاجمهم عمر باشا فى الروم ايلى
وانتصر عليهم ايضا واما العمارة التى للروسية فى البحر الاسود فصدمت العمارة العثمانية
واستظهرت عليها بعد حرب شديد فأتلفتها وكانت مؤلفة من سبعة فركاتات وباخرتين
وثلاث مراكب حربية ثم ان انكلترا وفرانسا لما تيقنتا سوء نتايج هذه الحرب احتشدتا
لمعونة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية وفى سنة احدى وسبعين ابتدأتا فى نقل رجالهما
ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتا فى القتال واما باقى دولة اوروبا فكانت محافظة على
الحيادة وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية الى بحر بلتيك فاستولت على قلعة
بومارستود ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظرا لحصانتها
واذا كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التى يعول عليها فى البحر الاسود وجهت
انكلترا وفرانسا قواهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقا من عساكرهما يبلغ عددها
ستين ألفا وكان اكثرها فرانساويين فنزلوا فى بويا سرايا وفيما كانوا يتقدمون
الى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالا شديدا الى أن دارت
الدائرة على الروسيين فانهزموا عند نهر الماء وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة

بليسترة ولم تقدر على أخذها فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى آخرين وقصدوا القرم النجدة حصار قلعة سيواسطبول التى اليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات والعساكر والذخائر وصادم جيش من الانقليز جيشا للروسيين عند بالاكلافا فانتصروا عليهم بعدما فقد منهم خلق كثير وكان جيش للروسية محاصرا فى انكرمان وعددهم ستون الفا فخرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانقليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة انجرت الخسران على الفريقين وانجلت بانهزام الروسية وألزموهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ فى قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع انهم كانوا يزيدون فى قوتهم الحربيـة و يكثرون هجماتهم وقنابرهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة اوان يمنعوا المساعـدات التى كانت تأتيها من داخل البلاد ولقد قاست العساكر المتحدة لا سيما الانقليز فى شتاء سنـة احدى وسبعين وشتاء اثنين وسبعين اهوالا وشدايد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والاوجاع قد اخذت فى العساكر كل مأخذ واهلكت كثيرا منهم فضلا عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابخرة المنتنة التى كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات اما ايطاليا فقـد هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الدول المتحدة فأرسلت خمسة عشر الف مقاتل بعد ما تعهدت لها انكلترا بدفع مبلغ مليون ليره على سبيل الاعانة واشتهرت رجالها فى تلك المجامع بالشجاعة والثبات وفى خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا سنة اثنتين وسـبعين ومائتين والف وجلس ولده اسكندر الثانى مكانه وفى خـلال ذلك وقعت واقعـة هائلة بين الروسية والعساكر المتحـدة كانت الدائرة فيها على الروسية واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف واذ لم يبـق للروسية استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول فى مسلء ذلك النهار وعـولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحـدة الى القلعـة وامتلكتها فانفتحت حينئـذ مخابرات الصلح وعقـدت جمعية فى باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحابة وهى انكلترا وفرانسا والعثمانية والنمسا وبروسيا وسردانيا وأمضت شروط الصلح متضمنة اربعة وثلاثين بندا أخصها ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التى لباقى دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة فى ممالكها كغيرها من الدول وان البحر الاسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من اى جنس كان ماعدا الدولة العثمانيـة والروسية فان لهما حقا فى ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربيـة لاجل محافظـة اساكلها وان لايكون للدولة العثمانيـة ولا للروسية ترسانات بحرية حربيـة على شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط ثم انسحبت العساكر الى مـواطنها وانتهت الحرب التى لم يكن لها داع سوى المطامـع وفى سنـة اثنتـين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين اهالى مكة وعساكر الدولة بسبب ورود امر بمنع بيع الرقيق وانتهت فى رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب اميرمكة وتولية الشريف محمد بن عون والكلام عليها طويل وفى سنـة اربع وسبعين وقعت فتنة فى جدة

بين اهالى جدة والنصارى الذين بها بسبب اختلاف بعض اهل المراكب فى وضع بنديرة الاسلام او الانكليز على بعض المراكب والكلام عليها ايضا طويل وفى سنة ست وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى واهل الشام والكلام عليها ايضا طويل وفى سنة الف ومائتين وسبع وسبعين حدثت فتنة عظمى بين الدروز والنصارى فى جبل لبنان آل الامر الى وقوع حرب بين الفريقين وكانت النتيجة ردية على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض وعدم انقيادهم لبعضهم ففتكت بهم الدروز فأرسل الباب العالى فؤاد باشا ليمهد الامور وينتقم من المذنبين وأرسلت فرانسا عشرة آلاف جندى للمحافظة ومنع التعدى وكذلك باقى الدول الافرنجية منها من أرسل مراكب حربية ومنها من أرسل نوابا لاصلاح الحال وتمهيد الامور ورغب اجراء ما يلزم اجراؤه استحسنت الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لاهل هذا الجبل وان تتحول احكامه لمشير من الطائفة النصرانية من غير اهالى الجبل ليكون متصرفا بها ويخابر رأسا الباب العالى فتولى المتصرفية لداود باشا الارمنى ومن خيرات السلطان عبدالمجيد وفتوحاته المعنوية مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايتباى مسقفا بالخشب فطالت مدته وحصل فيه خراب فصدرت ارادة مولانا السلطان عبدالمجيد بهدمه وتجديده سنة الف ومائتين وسبعين فهدم وجدد وجعل سقفه قببا وطواجن كالمسجد الحرام وتم عمارته بعد مضى اربع سنين فجاء على صفة لم ير الراؤن أحسن منها وله عمارات كثيرة فى الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين وله تجديد ميزاب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين والف وتوفى السلطان عبدالمجيد فى سابع عشر ذى القعدة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين وعمره اربعون سنة ومدة سلطنته ثنتان وعشرون سنة وستة اشهر

❊ ذكر ولاية السلطان عبدالعزيز ❊

وأقيم فى السلطنة بعده اخوه السلطان عبدالعزيز بن السلطان محمود الثانى وفى سنة ثمان وسبعين أظهر العصيان اهل الجبل الاسود فسير السلطان عبدالعزيز اليهم جيشا فقاتلهم وهزمهم ثم رجعوا الى الطاعة وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين والف اظهر العصيان كثير من الاروام بجزيرة كريد وكثير من البندقية فجهزت الدولة عليهم جيوشا برا وبحرا وكذلك جهز صاحب مصر عساكر كثيرة برا وبحرا فكانت مع عساكر الدولة ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديد كان النصر فيها لعساكر الاسلام وأذاقوا العصاة الوبال وأرجعوهم الى الطاعة وفى سنة تسع وسبعين توجه السلطان عبدالعزيز الى الديار المصرية للتنزه والتفرج وكان ذلك فى ولاية اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وفى سنة اربع وثمانين توجه السلطان المذكور الى باريز تخت ملك الفرنسيس للتنزه والتفرج ايضا ثم منها توجه الى بلاد الانكليز للتفرج والتنزه ايضا وكان فى رحلته هذه مر على ادرنة وعلى قلعة بلغراد وكان الصرب قد طلبها منه وقيل النيمسا فأعطاها اياهم فحين عاين تحصينها غضب لذلك وكانوا أخبروه انها مهدومة وانها مدينة كاسدة فأعطاها قبل ان يراها فلما

رأها ندم حيث لا ينفع الندم وفى سنة ثمان وثمانين كانت فتنة عظمى ببلاد عسير فجهزت الدولة جيشا تحت قيادة رديف باشا فسار حتى صعد جبال عسير وقاتلهم وهزمهم وقتل أميرهم محمد بن عايض بن مرعى وقتل معه جماعة من عشيرته واسر كثيرا وارسلهم الى الاستانة وصارت بلاد عسير فى حكم الدولة العلية منضمة الى ولاية صنعا واليمن وفى هذه السنة ايضا كانت فتنة عظمى بين دولة البروسية وفرانسا آل الامر فيها الى هزيمة الفرنسيس وأسر ملكهم نابليون الثانى والكلام عليها طويل مفرد بالتأليف وفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف فى السابع من شهر جمادى الاولى خلع السلطان عبد العزيز ومات رحمه الله تعالى بعد خمسة ايام وعمره ثمان واربعون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واربعة اشهر

﴿ ذكر ولاية السلطان مراد الخامس ﴾

تولى السلطنة بعده السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود فى السلطنة ثم خلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام فى ثالث شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف والسبب فى خلعه انه وقع له خلل فى عقله بعد أيام مضت بعد بيعته فلما تحققوا الخلل فى عقله استفتوا فيه شيخ الاسلام خير الله افندى فأفتى بخلعه لأن شرط الخليفة أن يكون متصفا بالعقل فخلعوه وبايعوا أخاه سلطان العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثانى وبقى السلطان مراد المخلوع فى داره وأما السلطان عبد العزيز فانه بعد خلعه بأيام قلائل أقل من الأسبوع توفى فأشيع أنه قتل نفسه بمقص قص به عرقا فى ذراعه فمات من ذلك وفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف نفى جماعة من الوزراء الى الحجاز فحبسوهم فى قلعة الطائف منهم مدحت باشا ومحمود باشا داماد مولانا السلطان عبد الحميد ونورى باشا داماد ايضا مولانا السلطان عبد الحميد ومعهم جماعة آخرون غير هؤلاء منهم شيخ الاسلام خير الله افندى وفى سنة ثلاثمائة توفى مدحت باشا ومحمود باشا الداماد فى القلعة المذكورة وكان خلع السلطان عبد العزيز سببا لاضطراب كثير وحوادث شتى وكان القائم أكمل القيام فى خلعه حسين عونى باشا وكان السلطان عبد العزيز هو الذى رقاه وأعلى قدره الى أن جعله رئيسا على العساكر كلها بل صار مقدما على جميع أهل الرتب والمناصب فرتب الأمور مع الوزراء وغيرهم وزعم ان السلطان عبد العزيز تداخل مع الروسية وانه يريد أن يملكهم دار السلطنة فما زال حسين عونى باشا وغيره يسعون فى ذلك حتى تم لهم خلعه فقدر الله ان رجلا يقال له حسن جركس قتل حسين عونى باشا وذلك ان السلطان عبد العزيز كان متزوجا بأخته فأخذته حمية حين خلع السلطان عبد العزيز فصمم على قتل حسين عونى باشا فدخل عليه فى دار صدر أعظم محمد رشدى باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة فى بعض الأمور وكان مع حسن جركس زوج من الطبنجة ذوات الأرواح المتعددة فضربه به ضربا متعددا وقتل جماعة من الحاضرين منهم حسين عونى باشا الساعى فى خلع السلطان عبد العزيز ولم يتم لحسين عونى باشا شئ من مراده والله غالب على أمره ثم قبضوا على حسن جركس فقتلوه

﴿ ذكر ولاية سلطان العصر أطال الله عمره ﴾

هو السلطان المعظم المفخم * سلطان سلاطين العرب والعجم حائز العلم والصلاح والكرم المتشرف بخدمة طيبة والحرم * صاحب السيف والقلم * ظل الله فى العالم غياث بنى آدم * نعمة الله على العباد * وفضله على الحاضر والباد * ناصر الحق والدين * مؤيد شريعة سيد المرسلين * المحفوف بالسبع المثانى * أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازى عبد الحميد الثانى أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده * وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده وأنفذ فى جميع البلاد أوامره وأحكامه * وانشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه وأيده بتأييدك وأبده بتأبيدك واجعل سلالة تلك السلطنة العلية العثمانية مسلسلة الى منتهى الدوران * مستمرة على مرور الليالى والأيام باقية الى آخر الأزمان آمين يا رب العالمين بويع أطال الله عمره لما خلعوا أخاه السلطان مراد فى ثالث شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف فكانت سلطنته زينة وبهجة وسرورا وامتد بها فى مشارق الارض ومغاربها ماملأهما نورا ومما كان من الحوادث فى أول ولايته انه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين فى رعية الدولة العلية فى بلاد الروم ايلى وهم طائفة يقال لهم الهرسك فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور جيشا فقاتلوهم وكانوا قوما ضعافا لا يحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم الى كلفة ولا الى كثرة عساكر الا ان الروسية تداخلت معهم وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت وأعانهم طوائف من النصارى الذين كانوا قريبا منهم الى ان صارت المحاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف من النصارى مع الروسية وساقت الدولة بهذه الفتنة العساكر الكثيرة وأنفقت الخزائن الوفيرة فقدر الله بانهزام جيوش الاسلام وأسر كثير منهم فى بلونة وذلك بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم فى ذلك البلد وعدم امكان وصول الميرة اليهم لشدة البرد وكثرة الثلج وممن أسر من كبار عساكر الاسلام الوزير عثمان باشا الغازى قومندان ذلك الجيش فى بلونة ثم أطلق مع كثير ممن أسروا وكان اطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتملك الروسية كثيرا من المدائن العظام الى أن وصلوا الى قريب أدرنة والكلام على هذه الفتنة طويل قد افرد بالتأليف وختام الأمر أن بقية الدول توسطت فى الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على أن يبقى تحت يد الروسية ما تملكوه من البلاد وأن الدولة العلية تدفع لهم غرامة الحرب وكان شيأ كثيرا وتبقى للدولة ادرنة وما يليها الى دار سلطنة الدولة العلية وكان هذا الخلل انما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز فلا حول ولا قوة الا بالله وفى سنة ست وتسعين ومائتين وألف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرس للانكليز على ان تكون بأيديهم سنين موقتة بشرط ان يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذى كان يحصل منها وقد تقدم فى هذا الكتاب تكرر وضع اليد على قبرس من المسلمين والنصارى مرارا كثيرة اولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضى الله عنه وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها تارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء وفى سنة ست وتسعين ومائتين والف خلع والى مصر اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا بن محمد على باشا وقد كان محمد على باشا لما انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف جعلت له مصر ولأولاده من بعده فلما صارت ولايتها

لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية فى اولاده ومنع اخوانه واولاد اخوانه منها فتوجه الى دار السلطنة فى مدة السلطان عبد العزيز سنة احدى وتسعين وما ئتين والف فتم له مراده وجعلوا ولاية مصر له ولاولاده الاكبر فالاكبر وكان الصدر الاعظم فى ذلك الوقت فى دار السلطنة هو محمد رشدى باشا الشروانى ثم ان الله قضى وقدر ان عاقبة هذا الامر الذى فعله اسماعيل باشا اول ماظهر سوءه عليه فانه فى سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها فى غير حقها فتشاور أهل الديون على أنهم يضبطون خراجات مصر ومحصولاتها لاجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك اراد ان يجعل له عصبية يمنعهم بها فتداخل مع العلماء واهل مصر وعقد بينه وبينهم عهودا ومواثيق على ان الامور كلها تكون بيد العلماء والاهالى وبمشاورتهم فلما أحس الانقليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا فى خلعه ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد فخلعوه فى سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الاكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر قبل ذلك حين نفى اخوته ومنعهم من دخولهم فى الولاية من بعده وأن الولاية من بعده تكون لاكبر أولاده فأقاموا عليها ولده الاكبر وهو محمد توفيق باشا وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده الى نابولى من بلاد ايطاليا وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزينتها وفى سنة سبع وتسعين وما ئتين والف استولت دولة الفرنسيس على تونس وأعمالها بالمكر والخديعة والحيلة فجهزت دولة الفرنسيس عساكر كثيرة وأظهرت أنها تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة منهم قبيلة يقال لهم الخمير فى أعمال تونس فوصلوا بعساكرهم اليهم وقاتلوهم وقهروهم ثم زحفوا بعساكرهم الى تونس ولم يستطع أحد ان يدفعهم الى أن قاربوا دخول تونس فاضطرب أهل تونس اضطرابا كثيرا ثم عقدوا معهم صلحا وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الباى على ولايته بحسب الظاهر واستولوا فى الباطن على الاحكام والمحصولات والخراجات واستقبلوا الديون التى كانت على والى تونس وصارت الامور كلها بايديهم فلا حول ولا قوة الا بالله وفى سنة ثمان وتسعين وما ئتين والف كانت فتنة بمصر بين والى مصر توفيق باشا وبين عرابى باشا وكان عرابى باشا من رؤساء عساكر محمد توفيق باشا واتسع الامر فى ذلك فجاء الانكليز بعساكرهم البحرية نجدة لمحمد توفيق باشا الى الاسكندرية وضربوا مدافعهم على الاسكندرية وقاتلوا الذين كانوا مع عرابى باشا وكان ذلك فى شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين واتسع الامر بما يطول الكلام بذكره وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الانقليز وتملكوا الاسكندرية وذهب عرابى باشا ومن معه الى مصر ثم سارت الانقليز بعساكرهم لقتاله بمصر والكلام على ذلك طويل وآخر الامر انه انهزم عرابى باشا ومن معه ثم دخلوا مصر وقبضوا على عرابى باشا وعلى كثير ممن كانوا معه فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفيا موقتا وجماعة نفيا مؤبدا وصار العفو عن قتل عرابى باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه الى جزيرة سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند وجعلوا اقامته ومن معه هنالك ورتبوا لهم مرتبا يكفيهم واستولى الانقليز على القطر المصرى ووضعوا عساكرهم فى القلعة على صورة أنهم انما فعلوا ذلك اعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته والانقليز مع ذلك كله يقولون ليس

مرادنا الاستيلاء على مصر وانما مرادنا الاصلاحات والتأييد لمحمد توفيق واذا استقامت الامور وانتظمت احوال مصر نخرج منها ونخرج عساكرنا وفى سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد احمد يقال انه المهدى أو قائم طالب لاظهار الحق ولم يدع أنه المهدى ويقال انه شريف حسنى وكان قبل ظهوره مشهورا بالصلاح ومن مشايخ الطرائق قيل انه على طريقة الشيخ السمان وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق باشا ثم اتسع الامر بينهم وبينه الى القتال وقاتلوه وقاتلهم مرارا وكانت الغلبة لمحمد احمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها فلما دخل الانقليز مصر صار الانقليز هو الذى يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الانقليز ومعهم عساكر مصر ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها والغلبة فى تلك الوقائع كلها له عليهم فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك وقتل منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم وكان أمره معهم عجيبا يأتون اليه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التى لا يطيق احد مقابلتها فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم الا السيف والرمح والسكاكين فيهجمون على تلك العساكر فى موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعنا بالرماح وضربا بالسيوف والسكاكين ويشتتون شملهم ومنهم جماعة فى برارى سواكن قد ولى محمد احمد عليهم رجلا يسمى عثمان دقنه فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانقليز والعساكر المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة فهزمهم عثمان دقنه ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤه فى سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة وخرجوا لقتاله فى البر قريبا من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر اموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم والى هذا الوقت وهو شهر ذى الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان دقنه ومن معه من السودان فى نواحى سواكن محاصرون لها وفيها عساكر الانقليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد احمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون وأما دعوى أنه المهدى فمختلف فيها فمن الناس من يقول انه يدعى أنه المهدى ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدى بل يقول انه قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة واخراج الانقليز من مصر والله أعلم بحقيقة الحال والأكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من الاستقامة ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ويقول ان جيوشه يقع منهم فساد كثير وليس لهم غرض الا القتل والنهب وانهم فى استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين فيهم العلماء والصلحاء والنساء والاطفال وقيل ان وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد احمد ولم يأمر به والله أعلم بحقيقة الحال وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الأمة فى آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم وانتصار المسلمين بهم فى آخر

الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين من سورة الواقعة فانه قال مانصه ثلة من الأولين يعنى من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة وثلة من الآخرين يعنى من مؤمنى هذه الأمة ويدل عليه مارواه البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عزوجل قوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يارسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عزوجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له قد أنزل الله فيما قلت فقال عمر رضى الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولايستتمها الاسودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله اه ومثل ذلك فى تفسير الخطيب الشربينى وفى التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطى ان عروة بن رويم يروى هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم وأن الحديث المذكور ايضا رواه ابن مردويه وابن عساكر لكن اللفظ الذى ذكره فى الدر المنثور قال فى آخره وأمتى ثلة وان تستكمل ثلتنا حتى نستعين بسودان من رعاة الابل ممن يشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له اه فيحتمل ان المراد من السودان هؤلاء القائمون مع محمد احمد وعثمان ذقنه ويحتمل ان يكون غيرهم والله أعلم بغيبه وكل ماأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم لابد من وقوعه وروى ابن مكرم الافريقى فى كتاب له سماه لسان العرب حديثا لم يذكر من خرجه وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج فى آخر الزمان رجل يسمى أمير الغضب أصحابه محسرون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك يأتونه من كل أوب كقزع الخريف يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها اه فيمكن أنهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد احمد أو غيرهم وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل فى ظهور المهدى وعلاماته ان من علامات ظهوره خروج السودان منهم الجلال السيوطى والعلامة ابن حجر والعلامة المتقى والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى كتابه المسمى بالاشاعة فى أشراط الساعة ففى رسالة الجلال السيوطى المسماة بالعرف الوردى فى علامات المهدى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه اذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الاردن أو ببطن الارض فبينماهم كذلك اذ خرج السفيانى فى ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتوا دمشق فلا يأتى عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفا والأحاديث التى جاء فيها ذكر السفيانى كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل وهو يريد قتال المهدى عند ظهوره ثم يخسف بجيش السفيانى ويهلكه الله تعالى وفى رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر فى أخبار المهدى المنتظر أن من علامات ظهور المهدى ألوية تقبل من المغرب وأن خروج أهل المغرب الى مصر من أمارات خروج السفيانى وذلك انما يكون عند ظهور المهدى وجهة السودان بالنسبة الى مصر مغرب فيحتمل أنهم هؤلاء القائمون مع محمد احمد ويحتمل ان يكون المراد غيرهم وكذا قوله خروج أهل المغرب الى مصر يحتمل ان يكونوا هؤلاء لانه يصدق على الجهة التى ظهروا منها انها من المغرب بالنسبة لمصر ويحتمل أن يكونوا غيرهم

والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ومن علامات ظهور المهدى الرايات السود التى تخرج من خراسان وجاء فيها احاديث كثيرة قال فى الاشاعة يمكن أنها هى التى خرجت فى زمن المهدى العباسى بن المنصور ويحتمل أنها ايضا تخرج عند ظهور المهدى المنتظر وفى شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدى عبارات تفيد أن الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها الى ظهور المهدى وأنهم يكونون من أعوانه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنهم وعساكرهم وآلاتهم وعددهم فيجب الدعاء للدولة العثمانية على كل مسلم والذى يقاتلهم يكون باغيا خارجا عليهم فالواجب على كل مسلم السعى فى تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها واعانتهم فى اظهار الشريعة واحياء السنن واماتة البدع والدعاء لهم بالتوفيق فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم ثم ان هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد احمد ان كان يكون باغيا خارجا على السلطان فيجب قتاله وان لم يدع أنه المهدى ويمكن أن الله أقامه لاخراج الانكليز من مصر اعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وانما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لاعانة المهدى ويؤيد ذلك ماذكره الجلال السيوطى فى رسالته التى الفها فى علامات المهدى فانه ذكر فيها حديثا أخرجه نعيم بن حماد عن أبى قبيل قال يكون أمير بافريقية اثنتى عشرة سنة ويكون بعده فتنة فيملك رجل يملؤها عدلا ثم يسير الى المهدى فيؤدى اليه الطاعة ويقاتل عنه فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد احمد ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه وقيل ان الذين يشيعون انه هو المهدى اغاهم بعض اتباعه ليرغبوا عامة الناس فى اتباعه والدخول فى طاعته وأما هو فانه لم يدع أنه المهدى بل قال بعض من اجتمع به انه سمع منه بلا واسطة أنه يقول انى لست أنا المهدى المنتظر وانما أنا قائم لاظهار الحق واقامة الشريعة واما ان ثبت أنه يدعى أنه هو المهدى المنتظر فالأمر مشكل لأن المهدى المنتظر لا يدعى أنه المهدى ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع الا وهو مكره بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله يطلع بعض من اختصه من صالحى عباده عليه وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة له الا والناس بلا خليفة أخذا من حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روى فى هذا الباب وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم السلطان عبد المجيد وبيعته فى اعناق المسلمين وسلسلة سلطنته من أحسن الدول ... الاسلام مقيمين للشريعة السنية محبين للصحابة وأهل البيت ناصرين أهل السنة المحمدية ... أهل البدعة الردية فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ثبت الله دولته وأبد ... سلطنته فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد وأيضا من علامات المهدى المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضى الله عنها وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة قال الجلال السيوطى فى آخر العرف الوردى

فى علامات المهدى وأما قول القرطبي أن ظهور المهدى يكون من المغرب فهو باطل وقد تبع السيوطى على ذلك العلامة العلقمى والعلامة الصبان فى رسالته التى ألفها فى علامات المهدى فكل منهما قال كما قال السيوطى ان قول القرطبي أن ظهور المهدى يكون بالمغرب باطل وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدى المنتظر فان كثيرا ممن ادعى كل منهم أنه المهدى كان ظهورهم بالمغرب كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدى جد ملوك افريقية ومصر وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدى بالمغرب وغيره وذلك لان المهديين متعددون والمهدى المنتظر واحد وهو الذى يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة والناس بلا خليفة ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ويكون فى زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به ومما يدل على ان المهديين متعددون والمهدى المنتظر واحد ماذكره العلامة ابن حجر فى الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة حيث قال حاكيا لقول من قال ان المهدى من ولد العباس وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدى ابن عبد الله المنصور بناء على الاحاديث المذكور فيها أن المهدى من ولد العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وقال انه من أحسن خلفاء بنى العباس وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية ثم قال ابن حجر موجها القول هذا القائل ويمكن أنه مهدى من ولد العباس وهو غير المهدى المنتظر فان المهدى المنتظر من ولد فاطمة رضى الله عنها ويكون فى زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به فهذه العبارة صريحة فى تعدد المهديين وجمع بعضهم بين الاحاديث التى فيها أنه من ولد فاطمة والأحاديث التى فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال المهدى المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه ومن ولد العباس من جهة أمه بأن تكون أمه أو بعض آبائه من ولد العباس وكلام ابن حجر فى رسالته التى فى علامات المهدى يقتضى أيضا تعدد المهديين وأن المهدى المنتظر واحد فانه قال فيها والذى يتعين اعتقاده مادلت عليه الاحاديث الصحيحة من وجود المهدى المنتظر وهو الذى يخرج الدجال وعيسى عليه السلام فى زمنه وهو المراد حيث أطلق المهدى وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدى المنتظر ويكون بعد المهدى أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله فهو الأخير فى الحقيقة وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل فى علامات المهدى كلهم يقتضى كلامهم تعدد المهديين وأن المهدى المنتظر واحد وانما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل فى محمد بن الحنفية انه المهدى وقيل فى عمر بن عبد العزيز أنه المهدى وقيل فى محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط انه المهدى فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه المهدى فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدى المنتظر فالمهدى المنتظر واحد وهو لم يظهر الى الآن فيمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدى المنتظر ممن كان خروجهم بالمغرب ولا يمكن حمل كلامه على المهدى المنتظر لأنه انما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم ايضاحه وكذلك لا يصح قول من قال انما يكون ظهور المهدى المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة ابن خلدون فى تاريخه فانه قال ان القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وانما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد الى مسجد ماسة وزعم انه الفاطمى

المنتظر تلبيساً على العامة هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وأفهمهم أن من ذلك المسجد تكون أصل دعوته فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا اليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة والحاصل ان الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي المنتظر الى هذا الوقت لم يظهر وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى وبعضها باق لم يظهر ومن أعظم علاماته انه يصلحه الله في ليلته وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها وأنه يبايع مكرها لأنه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل وان ظهور البيعة له انما تكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره انما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة فلا يظهر ويبايع الا والناس بلا خليفة فهذه الاشياء هي أقوى العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره لكن تلك الاشياء ظنية ومختلف في كثير منها وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره ووقت ظهوره ومدة مكثه في الارض بعد ظهوره فكل هذه الاشياء مختلف فيها فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره أنه ابن أربعين وقيل انه ابن عشرين وقيل انه ابن ثمانية عشر وقيل غير ذلك وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره أنها سبع سنين او تسع سنين وقيل انها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك وقيل في اسمه انه محمد وقيل احمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس وجمع بعضهم بانه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الاكثر لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوي بعضها بعضاً حتى صارت تفيد القطع لكن المقطوع به أنه لابد من ظهوره وانه من ولد فاطمة وانه يملأ الارض عدلا نبه على ذلك العلامة السيد محمد ابن رسول البرزنجي في آخر الاشاعة وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لان ذلك غيب لا يعلمه الا الله ولم يرد نص من الشارع بالتحديد وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت ارادة الله اظهاره ويؤيد ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته الا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيساً لرسالته وتقوية لقلبه لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة حتى أنه كان كلما رأى مناما من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو اليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلاما يقوي به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ظهور جبريل عليه السلام له وقوله له اقرأ باسم ربك فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر الا بعد ارادة الله اظهاره ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه

الله فى ليلته ليعلم من ذلك انه لم يعلم أنه المهدى المنتظر الا وقت ارادة الله اظهاره فكل من يدعى انه هو المهدى المنتظر و يطلب البيعة لنفسه او يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به احاديث النبى صلى الله عليه وسلم وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة فى التواريخ وقد جمعت اسماءهم ووقائعهم باختصار فى رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها ان كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له ولا تتم الا اذا جاءت على طبق ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم لانه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى تاريخه كلاما فيه فوائد تتعلق بهذا البحث فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة وحاصل ذلك ان الذين يدعون هذه الدعوى اما ان يكونوا موسوسين او مجانين فلا علاج لهم الا التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا فتنة والا يسخر بهم وتذاع السخرية بهم والصفع فى الطرق او الاسواق واما ان يكونوا من طالبى الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك و يغفلون عما نالهم من الهلكة واسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند احد اثهم فتنة بهذه الدعوى وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين و يريد اظهار الحق ويتخيل له انه هو المهدى فيخطئ ظنه ولا يعرف مايلزمه وما يحتاج اليه فى اقامة الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الله لم يكتب عليه فى ذلك اثارة فتنة وانما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها و يهدم بناها الا المطالبة القوية التى من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم الى الله تعالى بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء لكنه سبحانه وتعالى انما أجرى الامور على مستقر العادة وانه حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح فى هوة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك فى طلب الرياسة فأجدر ان تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لان امر الله لا يتم الا برضاه واعانته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك فى ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وكل امر يجتمع عليه كافة الخلق لابد له من العصبية وفى الحديث الصحيح مابعث الله نبيا الا فى منعة من قومه و اذا كان هذا فى الانبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق لهم العوائد فى الغلبة بغير عصبية والغفلة عن هذا هى اكثر احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الأمراء داعين الى تغيير المنكر والنهى عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى فيكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما و يعرضون انفسهم فى ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون فى تلك السبيل مأزورين غير مأجورين وكثير منهم يدعى انه المهدى المنتظر ولم تصح دعواهم و يتبعهم كثير من العامة والاغمار ممن لا يرجعون الى عقل يهديهم ولا علم يفيدهم يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمى ولا

يعلمون حقيقة الامر و اكثر مايكون ذلك في الممالك القاصية و أطراف العمران بأفريقية والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة لما كان بذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة واعتقادهم هو انهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعما لامستند له الا البعد عن القاصية عن مثار الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع لخروجه عن رتبة الدولة ومثار الأحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا الوهم وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق وقد قتل الملوك والرؤساء كثيرا منهم ثم قال اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من كدالة وكزولة وعظم امره وخافه رؤساء المصامدة وعلماؤهم فدس عليه السكسوى من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي المنتظر وتبعه الدهما من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغريبة عن مثل هذا وهو انه صحب في حجه رجلا من اهل البيت من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلامذة وكان الناس يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان وتأكدت الصحبة بيننا في الطريق ثم كشف لي عن امرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكربلا قاصدين ارض المغرب لاظهار دعوى انه الفاطمي المنتظر فلما وصل الى المغرب وعاين دولة بني مرين وكان أمير المسلمين يوسف بن يعقوب في ذلك الوقت منازلا تلمسان فلما رأوا قوة ملكه قال ذلك الرجل لاصحابه ارجعوا بنا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وهذا يدل على ان ذلك الرجل استبصر بأن الأمر لايتم الا بالعصبية الكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الموطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين في ذلك الوقت لايقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب الا ان التعصب لشانه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لاتعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولاغيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعوه واكثر مايعتنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما فيها من طيب معاشهم فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون به الأقصار عن الغارة والنهب ولايعقلون في توبتهم واقبالهم الى مناحي الديانة غير ذلك لأنها المعصية التي كانوا عليها ومنها توبتهم وتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمق في فروع الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبغي وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش اقصى قصدهم وشتان بين هذا الطالب للدنيا

و بين من أراد اصلاح الخلق لكل ما يحتاجون اليه من أمر دينهم فاتفقا فهما ممتنع لاتستحكم للاول صبغة في الدين ولايكمل له نزوع عن الباطل و يختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعيه فاذا هلك انحل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ثم من بعده لرجل من بادية رياح كان اشد دينا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امرهما وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلايتم لهم ولالمن بعدهم شئ من امرهم واول ابتداء هذه النزغة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الامين والمأمون ابني الرشيد وقتل الامين وكان المأمون بخراسان فابطأ عن مقدم العراق واراد انتزاع الخلافة من بني العباس ونقلها للعلويين فجعل ولي عهده عليا الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فهاج من ذلك فتن كثيرة ببغداد واجتمع بنوا العباس وكشفوا وجه النكير على المأمون وتداعوا للقيام وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد وانطلقت ايدي الذعار بها من الشطار والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق ورفع اهلوها امرهم الى الحكام وقد ضعف امرهم فلم ينصفوهم فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدربوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل بهم أهل الذعارة فغلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر يعرف سهل بن سلامة الانصاري وعلق مصحفا في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار فقال له القائم الاول وهو خالد الدربوس انا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان وذلك سنة احدى ومائتين فجهز ابراهيم بن المهدي بعد ان بايعه بنوا العباس جيشا لقتال سهل بن سلامة فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من الموسوسين يأخذون انفسهم باقامة الحق ولايعرفون مايحتاجون اليه في اقامته من العصبية ولايشعرون بمغبة امرهم ومآل احوالهم ثم ذكر كثيرا من الاحاديث التي جائت في المهدي وضعف كثيرا منها ثم قال والحق الذي يتقرر لديك انه لاتتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية وعصبية الفاطميين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجد امم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الا مابقي بالحجاز في مكة و ينبع والمدينة من الطالبيين من بني حسن وحسين بن جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة فان صح ظهور هذا المهدي فلاوجه لظهور دعوته الا ان يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في

اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما على غير هـذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ما اردت نقله من كلام ابن خلدون ورأيت فى كثير من الرسائل المؤلفة فى شأن المهدى انه لايتم امره الا بالقيام بالشريعـة الغراء وانه يكون على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون و يفيض الله على الخلق نورا ببركته فيتبعونه و يقتدون به فى جميع شئونه وافعاله وأقواله وأحـوالـه حتى يكون حالهم كحاله ووصفهم كحال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ووصفهم لان الناس على دين ملوكهم فاذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفـاء الراشدين فانهم كلهم يستقيمون واذا زهد فى الدنيا يزهدون وملاك الامر كله هو الزهد فى الدنيـا وعدم التبسط فيها ومن الامثال القديمـة الناس على دين ملوكهم وذكروا أن السبب فى هذا المثـل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغوفا بتشييد البنيان فكان الناس فى زمانه ليس لهم همة الا تشييد البنيان والقصور وفى ذلك طول الامل والغرور ثم ولى بعده اخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان فكان مشغوفا بكثرة الاكل وتنويع الاطعمة وتكثير الالوان فكان الناس فى زمانه يتفاخرون بالتوسعة فى تنويع المأكولات وينهمكون فى التلذذ بالشهوات وفى ذلك أعظم البليات ثم ولى بعـد سليمان ابن عمه عمر بن عبـد العزيز بن مروان الملحق بالخلفـاء الراشدين فكانت همته فى الاشتغال بالطاعات والعدل واقامة الدين فكان الناس فى زمنه راغبين فى فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات فقالوا الناس على دين ملوكهم فالخليفة الاعظم هو القدوة لجميع المسلمين واعظم شئ يقتـدون به هو فيه فيكون به صـلاحهم وانتظام امرهم واتفاق كلمتهم هو الزهد فى الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذى لايحصل الا بتعب ولجاجة فان حب الدنيا رأس كل خطيئـة وبلية والزهد فيها أصل كل خصـلة سنية ولايكون الزهد من العامة الا بعد زهد الخـاصة فان الخاصة هم العمدة فى ذلك والمراد من الخاصة الملوك والسلاطين والامراء والقضاة والعلماء وأولى من يطلب منه الزهد فى الدنيا الخليفة الاعظم الذى اقامه الله لاصلاح امور الدنيـا والدين واحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين قال الامام الطرطوشى فى كتابه المسمى سراج الملوك ان الخليفة اذا عدل فى بيت المال وساوى نفسه بالمسلمين فى الاخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكرا للاسلام اه والحاصل انه اذا زهد فى الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة فى جميع الاحوال يتبعه على ذلك الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والاغنياء والفقراء فاذا حصل ذلك يسهل حينئذ اقامة الشريعة والقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتصير همة الجميع متوجهة لا[illegible] الكلمة والاجتمـاع على منهج الشرع الطاهر فتحيا بذلك السنن التى اميتت وتزول الب[illegible] التى اذيعت وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات فان الكفار انما تغلبوا [illegible] المسلمين بسـبب رغبة المسلمين فى الدنيـا واقتحـامهم المعاصى لتحصيلهـا فلا يز[illegible] منكرا لان اكثر المنكرات يتوصلون بها الى تحصيلها وازالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصددهـا فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبى صـلى الله عليه وسلم واصحـاب[illegible]

ومادامو الم يكونوا كذلك لايستقيم لهم امر وقدصح عن سيدنا ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان كثيرا مايقول فى خطبه ومجالسه ان هذا الامر لايصلح آخره الابما صلح به اوله لايحتمله الاافضلكم مقدرة واملككم لنفسه فهذه العبارة نص صريح فى انه لايستقيم امر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضى الله عنهم ومادام الخليفة الاعظم يتبسط فى الدنيا ويأخذ من بيت المال ماأراد مما زاد عن حاجته الضرورية ويتكرم فى العطاء بماشاء على من شاء ولايراعى فى ذلك القواعد المشروعة ولايسلك مسلك الخلفاء الراشدين فان الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولاتتحد كلمتهم ولاينتظم امرهم ولايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون لتحصيلها انواع الخطيئات لان الله تعالى اجرى عادته بين العباد ان يكون الناس على دين ملوكهم فهذا هو السبب فى عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم واما فى زمن المهدى فانه يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ويزهد فى الدنيا ولايأخذ من بيت المال الابقدر الضرورة والناس يكونون فى زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل فظهر بهذا انه اذا زهد الخليفة الاعظم فى الدنيا وعدل فى بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته الضرورية من غير زيادة له ولخدمه وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة الضرورية ايضا من غير زيادة يتبعه على ذلك كافة الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وجميع الابرار والفجار والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لايتصرف فى شئ منه الابحسب المصلحة العائدة النفع على الإسلام والمسلمين فهو مثل قيم مال اليتيم لايتصرف الابالمصلحة الظاهرة فان كان له مال خاص به يستغنى به عن الاخذ من مال المسلمين فلايأخذ شيأ وان لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة والضرورة كما قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والامراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات ويتركون التلذذ بالشهوات فيتم اجتماعهم على نصرة الدين ويصيرون كلهم عسكرا لنصرة الاسلام ويقوى عزمهم على اعدائهم من القوم الكافرين واما اذا تبسط الخليفة فى مال المسلمين وتبعه الوزراء والامراء والقضاة والعلماء فلاتطيب قلوب بقية المسلمين ببذل اموالهم وانفسهم واولادهم فى قتال الكافرين حيث يرون ملوكهم لم يساووهم وماكان انتصار الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة الابسبب مساواة امرائهم لهم فى جميع شئونهم وماحصل افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب الالما استبد الملوك بالاموال وتبسطوا فيها وترفعوا على بقية المسلمين واكثروا من المكوس والظلم باخذ اموالهم وصرفوها فى غير مصارفها فشق على المسلمين تميزهم عنهم وترفعهم عليهم باموالهم التى اخذوها منهم بغير حق ولايظن ظان ان الخلفاء الراشدين انما فتحوا الامصار وانتصروا على الكفار بكثرة الصلاة والصيام بل انما كان ذلك بزهدهم فى الدنيا وعدم تبسطهم بها وعدلهم فى بيت المال والحرص على مساواتهم للمسلمين فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا انفسهم واولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد حتى كان الغزاة يتجهزون

للغزو من اموال انفسهم ويجهزون منها غيرهم ان قدروا على ذلك ونفوسهم طيبة بذلك
وتأبى نفوسهم ان يأخذوا من بيت المال شيأ اذا كان لهم ما يفي بذلك لانهم يرون امراءهم
مساوين لهم فى جميع تلك الشئون واذا سلك الخليفة والامراء والعلماء هذا المسلك يرتفع
عن المسلمين المكوسات والضرائب وينتفي عنهم جور الحكام لانهم انما يجورون عليهم
ليتبسطوا فى اموالهم ويتلذذوا بها واذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا فى بيت المال تسخى
نفوس الاغنياء باعطاء الفقراء ويواسونهم وتقنع نفوس الجميع باقل القليل فلا يبقى فى المسلمين
فقير وينقاد الناس للحق وينصفون من انفسهم فتزول المخاصمات التى كانت بينهم وتقل
مرافعاتهم الى الحكام ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف ويرتفع كل شقاق واختلاف واذا
عدل الخليفة فى بيت المال وسلك فى ترك التبسط فى الدنيا طريق النبى صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين كان قدوة للمسلمين ويكون له من الاجر مثل اجر من عمل بمثل عمله من المسلمين
وكان سببا فى اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم وانتصارهم على القوم الكافرين ويكون له
فى ذلك من الله الرضا والرضوان فى الدنيا وجنات النعيم وتقر بذلك عين النبى صلى الله عليه وسلم
فانه بالمؤمنين رؤف رحيم ويستحيل ان يحصل لهم شئ من ذلك والخليفة لم يكن كذلك لانهم انما
يفعلون ما يفعل وحالهم عن ذلك لايتحول والتبسط فى الدنيا من أعظم اسباب الفسق الموجب للاهلاك
قال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
وعدم التبسط فى الدنيا هو ملاك الامر وليس على الخليفة فى سلوك هذا الطريق مشقة ولاضيق
القدوة لجميع المسلمين و [illegible] لاتعويق وينال بغيته من الاكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ
ولا منع من ادراك الحق [illegible]
والحاصل ان استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين [illegible] فى بيت المال هو السبب
الاعظم فى اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم فى جميع الاحوال وعدم عدله فى بيت المال سبب
للافتراق فى الحال والمآل ولو صام النهار وقام الليالى الطوال وبدون استقامة الخليفة
وعدله فى بيت المال كالخلفاء الراشدين لايرجى للمسلمين فلاح ولايتم لهم اتحاد ولانجاح
ولنذكر لك نبذة مما كان من الزهد وترك التبسط فى الدنيا مما كان صادرا من النبى صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين لتعلم ان انتظام امور المسلمين بدون ذلك محال واتحادهم بغير سلوكه مكابرة وجدال

﴿ خاتمة ﴾ نسأل الله حسنها نذكر فيها ما كان من النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة

ذكر ما كان من النبى صلى الله عليه وسلم من الاقتصاد فى الدنيا وما كان عليه
من مكارم الاخلاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس وأشجع
الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لايملك رقها او عصمة نكاحها او تكون
ذات محرم منه وكان أسخى الناس لايبيت عنده دينار ولادرهم وان فضل شئ ولم يجد من يعطيه
وفجاءه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لايأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه
فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله لايسئل شيأ الا أعطاه
ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شئ وكا

يخصف النعل و يرقع الثوب و يخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لايثبت بصره في وجه أحد و يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن اوفخذ ارنب ويكافئ عليها و يأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال انا لا أنتصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقه وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ومرة يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر اوشعير أكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اورطبا اكله لا يأكل متكيا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة و يعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لايهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن مرة والايسر مرة يردف خلفه عبده اوغيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب و يكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين و يكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين وماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اعطوه قبل وماسقوه شرب وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه او يشرب وأكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان يأكل خبز الشعير

غير منخول وكان يأكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كثرت عليه الايدى وكان اذا وضعت
المائدة قال اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه
الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وكان لا يأكل
الحار ويقول انه غير ذى بركة وان الله لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان احب الطعام اليه اللحم
ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى ان يطعمنيه كل
يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة أخى يونس
عليه السلام قالت عائشة رضى الله عنها وكان يقول ياعائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها
من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذى يصاد له وكان لا يتبعه ولا يصيده
ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان يلعق باصابعه الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر
بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه
واحدة واحدة ويقول انه لا يدرى فى اى الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت
فأشبعت واسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا أكل الخبز
واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب فى ثلاث
دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفى آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا واتى
بأناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان فى شربة وأدامان فى اناء واحد ثم قال
صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكنى اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب
التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض
وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق
وكان قيصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها وربما لبس الكساء
وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له
ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد
طرفيه بين كتفيه وربما أم بها الناس على الجنائز وربما صلى فى بيته فى الازار الواحد
ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذى جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل
فى الازار ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك
ولقد كان له كساء اسود فوهبه لانسان فقالت له ام سلمة رضى الله عنها بأبى انت وامى ما
ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيأ قط كان احسن من بياضك على سواده
وقال انس رضى الله عنه وربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها وكان صلى الله
عليه وسلم يتختم وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشئ وكان يختم به على
الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير
عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم تكن العمامة
فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على رضى الله
عنه فربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا
لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس وكان

اذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول
ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره
ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان اونحوه وعرضه
ذراع وشبر اونحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير
ليس تحته شئ غيره وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم
يفرش له اضطجع على الارض وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان اكثر
جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس
اصحابه لانه كان حيث انتهى به المجلس جلس وما رؤى قط مادا رجليه بين اصحابه وكان
اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه
[illegible] ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فان ابى
[illegible] عليه حتى يفعل وما استصفاه احد [illegible] كرم الناس عليه حتى
يظن كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه [illegible] وحديثه ولطيف محاسنه
وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم
اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به ويكنى
ايضا النساء اللاتى لهن الاولاد واللاتى لم يلدن يبتدى لهن الكنى ويكنى الصبيان فيستلين
به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا وأسرعهم رضا وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس
للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك واستحب بعض العلماء
زيادة وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وكان اذا نزل به الامر
فوض الامر الى الله تعالى وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم أرنى الحق حقا
فأتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من ان يشتبه على فأتبع هواى بغير هدى
منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وكان على رضى الله عنه اذا
وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس
لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شئ قط على الاسلام الا اعطاه وان
رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين فرجع الى قومه وقال أسلموا فان محمدا
يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيأ قط فقال لا وحمل اليه تسعون ألف درهم
فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال
ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذى العرش
اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وعرف السرور فى وجهه ولما قفل صلى الله عليه وسلم

من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطونى ردائى لوكان لى عدد هذه العضاة نعما لقسمته عليكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا صلى الله عليه وسلم وسيرته المذكور فيها محاسن صفاته صلى الله عليه وسلم طويلة وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر ما كان من ابى بكر الصديق رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

لما بويع ابو بكر رضى الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أين تريد قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى قال انطلق يفرض لك ابو عبيدة أى لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ففرض له قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكيسهم وكسوة الشتاء والصيف وقال اذا اخلقت شيأ رددته وأخذت غيره وفى رواية ففرض له نصف شاة وما كساه فى البطن والظهر وفى رواية انهم قوموا ذلك بألف وخمسمائة من الدراهم وفى رواية ان عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما تذاكرا أيضا فى ذلك وفرضاه له بمثل ما قاله أبو عبيدة وفى رواية ان عمر وعليا لما فرضا ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه انما أنتما رجلان من المهاجرين لا أدرى أرضى بذلك بقية المهاجرين أم لا فانطلق أبو بكر فصعد المنبر فاجتمع اليه الناس فخطبهم وذكر لهم ذلك فقال الناس رضينا وأخرج ابن سعد أيضا عن ميمونة قال لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه جعلوا له ألفى درهم ثم نظروا فرأوا ذلك لا يكفيه وعياله فزادوه خمسمائة فلعل الفرض الأول كان ألفا وخمسمائة ثم زادوه فى ذلك حتى أوصلوه ألفين وخمسمائة درهم فى كل سنة وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى بكر بن حفص قال قال أبو بكر رضى الله عنه لما احتضر لعائشة رضى الله عنها يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لأنفسنا دينارا ولا درهما ولكننا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من فئ المسلمين لا قليل ولا كثير الا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثى بهن الى عمر بن الخطاب وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه قال يا عائشة أنظرى اللقحة التى كنا نشرب من لبنها والجفنة التى كنا نصطبغ فيها والقطيفة التى كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين نلى أمر المسلمين فاذا مت فارددية الى عمر فلما مات أبو بكر رضى الله عنه أرسلت به الى عمر رضى الله عنه فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك وفى رواية فبكى عمر رضى الله عنه حتى سالت دموعه الى الأرض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده ثم أمر برفعه الى بيت المال فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يرجعه عمر الى عيال أبى بكر فقال لعمر سبحان الله تسلب عيال أبى بكر عبدا وناضحا وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال عمر لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا فى

فى ولايتى ولايخرج أبو بكر منه وأتقلده أنا وفى رواية أن عمر قال ورب الكعبة لايتأثم بها أبو بكر فى حياته وأتحملها من بعد موته أى لايأمر بردها خوفا من الوقوع فى الاثم واتحمل اثمها بعد موته ثم قال رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا وفى رواية وأوصى أبو بكر أن يرد بعد وفاته جميع ما أخذه من بيت المال لنفقته وفى رواية فلما حضرته الوفاة أوصي أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين وروى أن زوجته اشتهت حلوا فقال ليس لنا ما نشترى به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا فى عدة أيام مانشترى به قال افعلى ففعلت ذلك فاجتمع لها فى أيام كثيرة شئ يسير فلما عرفته ذلك ليشترى به حلوا أخذه فرده الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بقدر ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ثمن ملك كان له رضى الله عنه قال المسعودى فى تاريخه المسمى مروج الذهب فى صفة أبى بكر رضى الله عنه كان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لباسه فى خلافته الشملة والعباءة وقدم عليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والبرد المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ماعليه من اللباس والتواضع والتنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ماكان عليهم وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ماكان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى فلما شاهد من أبى بكر ما وصفنا ألقى ماكان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤى ذو الكلاع يوما فى سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والأنصار قال أردتم أن أكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام لاها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر انتهى كلام المسعودى ولما دفن أبو بكر رضى الله عنه دعا عمر رضى الله عنه الامناء ودخل بهم بيت المال منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه لادينارا ولادرهما وقيل وجدوا دينارا سقط من غرارة فترحموا عليه قال أبو صالح الغفارى كان عمر يتعهد امرأة عمياء فى المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها ففعل ما أرادت فرصده عمر فاذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضى أشغالها سرا وهو خليفة فقال أنت هو لعمرى ولما ولى الخلافة وارتدت العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القصة فجاءه على ابن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك والله لئن أصبنا بك لايكون للاسلام نظام فرجع وأمضى الجيوش مع خالد بن الوليد رضى الله عنه قال ابن الأثير وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما رعيت له وربما خرج هو بنفسه فيها وكان يحلب للحى أغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لايحلب لنا منايح دارنا فسمعها فقال بلى لعمرى لأحلبنها لكم وانى لأرجو أن لايغيرنى مادخلت فيه فكان يحلب لهم وكان ذلك لما كان نازلا بالسنح فى عوالى المدينة عند زوجته حبيبة بنت خارجة فكان يغدو على رجليه

الى المدينة وربما ركب فرسه ويأتى المدينة فيصلى بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السنح فمكث على ذلك بعد أن بويع بالخلافة ستة أشهر ثم تحول الى المدينة وقال كان فى بعض الايام يغدو الى السوق فيبيع ويبتاع فرأى ذلك يشغله ثم قال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم وما يحج به ويعتمر ثم أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها لبيت المال عوض ما أخذه من مال المسلمين وفى خلافته انفتح معدن لبنى سليم فكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى فقيل له فى تقديم اهل السبق على قدر منازلهم فقال انما أسلموا لله ووجب اجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشترى الأكسية ويفرقها فى الارامل فى الشتاء ولما أسلم رضى الله عنه كان له اربعون الفا أنفقها فى الله مع ما كسب من التجارة وأعتق فى أول الاسلام سبعة نفر كلهم كانوا يعذبون فى الله لما أسلموا منهم بلال وعامر بن فهيرة رضى الله عنهما وكان ابو بكر رضى الله عنه أجود الصحابة رضى الله عنهم لانه جاء بجميع ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أبقى لنفسه شيأ وتخلل بالعباء وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اكيس الكيس التقوى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة وكان رضى الله عنه اذا أكل طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول اللهم لا تواخذنى بما باشرته العروق وخالط الامعاء قال الشعرانى فى الطبقات وكان رضى الله عنه يقول ان هذا الأمر لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وهذا نص صريح فى أن أمر هذه الامة لا يصلح الا اذا كانوا على سيرة الصحابة وكان خليفتهم كالخلفاء الراشدين فيسيربهم كسيرهم وكان رضى الله عنه يقول ان العبد اذا دخله العجب بشىء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة وكان رضى الله عنه يقول يا معشر المسلمين استحيوا من الله تعالى فو الذى نفسى بيده انى لاظل حين اذهب الى الغائط فى الفضاء متقنعا استحياء من ربى عزوجل وكان رضى الله عنه يقول ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل وكان رضى الله عنه يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد وكان رضى الله عنه اذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن لا أسأل الناس شيأ وكان رضى الله عنه يقول للصحابة رضى الله عنهم قد وليت أمركم ولست بخيركم فأعينونى واذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى واذا رأيتمونى زغت فقومونى وغلب عليه الخوف حتى كان يشم فى فمه رائحة الكبد المشوى ولما بويع أبو بكر رضى الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيرمنكم وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينونى وان زغت فقومونى وكان رضى الله عنه لم يشرب خمرا قط لا جاهلية ولا اسلاما ولم يسجد لصنم قط ولما سمع الحسن البصرى قول أبى بكر رضى الله عنه قد وليت عليكم ولست بخيرمنكم قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه وروى أن أبا بكر رضى الله عنه

مرعلى طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتأكل من الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب ياليتنى كنت مثلك والله لوددت أنى شجرة الى جنب طريق فمر على بعير فأخذنى فلاكنى ثم ردردنى ثم أخرجنى بعرا ولم أك بشرا وأخرج ابن السماك والحافظ السلفى وغيرهما أن أبابكر رضى الله عنه بعدما بويع وبعد أن بايعه على رضى الله عنه وأصحابه أقام ثلاثا يقول للناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره فيقوم على رضى الله عنه فى أول الناس يقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذى يؤخرك وقوله قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى فى الصلاة حيث قال مروا أبابكر فليصل بالناس فقال الصحابة رضى الله عنهم أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وفى رواية احتجب أبو بكر رضى الله عنه عن الناس ثلاثا يشرف عليهم كل يوم فيقول قد أقلتكم [illegible] فبايعوا من شئتم فيقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لانقيلك ولانستقيلك [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذى يؤخرك وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه ان أبابكر رضى الله عنه قال فى خطبته بعد أن بويع والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها والله فى سر ولا علانية ولكن أشفقت من الفتنة ومالى فى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة الا بتقوية الله تعالى وقوله اشفقت من الفتنة يعنى لما رأى الناس اختلفوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فيمن يبايع فأراد المهاجرون أن يكون منهم وأراد الأنصار أن يكون منهم فخشى أبو بكر رضى الله عنه أن يفتتنوا فلما طلب منه ابو عبيدة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن يبايعه الناس بايعهم خوفا من افتتانهم وقال فى خطبته أيضا أطيعونى ما أطعت الله تعالى ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم وكان أبو بكر رضى الله عنه قبل ان يبايعوه أخذ بيد أبى عبيدة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال للناس بايعوا أحدى هذين الرجلين فى ضمن كلام كثير ذكره قال عمر والله ما كرهت من كلامه كلمة غير هذه ولان أقدم فتضرب عنقى فيما لا يقربنى الى اثم أحب الى من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه وقال أبو عبيدة والله لانتولى عليك هذا الأمر وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وهى أفضل دين المسلمين ابسط يدك نبايعك فبايعه أبو عبيدة وعمر ثم بقية الناس وأخرج الحافظ ابوذر الهروى والدار قطنى وغيرهما من طرق كثيرة عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال دخلت على على رضى الله عنه فى بيته فقلت له ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا أبا جحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك يا أبا جحيفة لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى قلب مؤمن وكان أبو جحيفة من أخص أصحاب على رضى الله عنه الملازمين له وهذا الذى ذكره عن على رضى الله عنه من تفضيل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كان يخطب به على رضى الله عنه على منبر الكوفة زمن خلافته ورواه عن على رضى الله عنه سبعون رجلا من أصحابه وقيل رواه عنه نيف وثمانون رجلا من أصحابه وأخرج الامام أحمد رضى الله عنه أن أبابكر رضى الله عنه بعد شهر من خلافته نادى

في الناس الصلاة جامعة ثم خطب فقال أيها الناس وددت أن هذا الامر كفانيه غيري وفي رواية اني وليت هذا الأمر وأناله كاره والله لوددت أن بعضكم كفانيه ألاوانكم ان كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به انما أنابشر ولست بخير من أحدكم فراقبوني فأن رأيتموني زغت فقوموني وفي رواية فأذا رأيتموني لأواثر في أشعاركم وأبشاركم وفي رواية انما أنا متبع ولست بمبتدع فأن أحسنت فأعينوني وان أنا زغت فقوموني قال الامام مالك رضي الله عنه لايكون أحد اماما أبدا الاعلى هذا الشرط وكان عثمان بن عفان كاتب أبي بكر رضي الله عنهما وربما كتب له أيضا زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وحنظلة بن الربيع رضي الله عنهم فلما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه استخلف على الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يكتب صحيفة الاستخلاف وهذه صورتها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا اي لم أقصر فيه وفي رواية فاني والله ماألوت من جهدي الرأي فان عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وان بدل فلكل امرء مااكتسب والخير أردت ولاأعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما وأخرج بن عساكر عن يسار بن حسن قال أشرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به وفي رواية أفترضون بمن استخلفته عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة فقال الناس قد رضينا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا نرضى الا أن يكون عمر بن الخطاب قال أبو بكر فانه عمر فبايع علي رضي الله عنه وبايع الناس ورضوا به فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده ودعا فقال اللهم اني لاأريد بذلك الا صلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت بما أنت أعلم به وأجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على مايرشدهم وقد حضرني من أمرك ماحضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولايته وأجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته ومما أوصاه به أبو بكر رضي الله عنه لما استخلفه أن قال له اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصاه بتقوى الله تعالى ثم قال ياعمر ان لله حقا بالليل لايقبله بالنهار وحقا في النهار لايقبله في الليل وانه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر ياعمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان أن لايوضع فيه غدا الاحق أن يكون ثقيلا ألم تر ياعمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان أن لايوضع فيه الاباطل أن يكون خفيفا ألم تر ياعمر انما نزلت آية الرجاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله تعالى ماليس له ولايرهب رهبة يلقي فيها بيديه الى التهلكة ألم تر ياعمر

انما اذكر الله اهل النار بأسوء أعمالهم فاذا ذكرتهم قلت انى لارجو أن لا اكون منهم وانه
اذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء فاذا ذكرتهم قلت أين عملى
من أعمالهم فان حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولا بدلك منه وان انت
ضيعت وصيتى هذه فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه اللهم انى لا أريد بذلك
الا اصلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيى فوليت
عليهم خيرهم واقواهم عليه وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرنى من أمرك ما حضرنى
فاخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين
وأصلح له رعيته وأخرج ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أفرس
الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت
... جره ان خير من استأجرت القوى الامين والعزيز حين تفرس فى يوسف فقال
... كرمى مثواه قال الزهرى استخلف أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقام بالأمر أتم قيام
... كثرت الفتوحات فى أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها فى أيام خليفة بعده وفتح الله فى أيامه
الشام ومصر والروم والاسكندرية والعراق وفارس وقد أشار الى ذلك النبى صلى الله
عليه وسلم فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رأيت كأنى أنزع بدلو على قليب فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين
وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفرى فريه
حتى ضرب الناس بعطن قال النووى فى شرح مسلم فى هذا الحديث اشارة الى خلافة أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما والى كثرة الفتوحات وظهور الاسلام فى خلافة عمر رضى الله عنه
وفى قوله فى ابى بكر رضى الله عنه فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف اشارة الى قصر
مدة خلافته وقوله والله يغفر له ليس فيه اشارة الى نقص او تقصير او ذنب وقع منه وانما هى
كلمة تقولها العرب عند الاعتناء بالأمر وقوله ثم أخذها عمر بن الخطاب فاستحالت غربا
أى دلوا عظيما الى آخر الحديث اشارة الى طول مدة خلافته والى كثرة انتفاع الناس بها
واتساع دائرة الاسلام بكثرة الفتوحات وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وقوله عبقريا
أى رجلا قويا شديدا من الناس يفرى فريه أى يعمل عمله حتى ضرب الناس بعطن أى رووا
وضربوا بعطن والعطن ما تناخ به الابل اذا رويت ومن أعظم فضائل أبى بكر رضى الله
عنه قتال العرب الذين ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم والذين منعوا الزكاة
وقال والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى وان منعونى عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضى الله عنه وكيف تقاتل الناس وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله تعالى فقال أبو بكر والله
لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله
ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق قال سيدى محيى الدين بن العربى
فى المسامرة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب ابو بكر رضى الله عنه الزكاة كفر بها

قوم وقالوا قد كنا ندفع أموالنا الى محمد فابال ابن ابى قحافة يسألنا والله لانعطيه منها شيأ أبدا فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمع القوم على التمسك بدينهم فى أنفسهم وأن يتركوا الناس مع مااختاروه لأنفسهم وتخيلوا أنهم لايقدرون على من ارتد من المسلمين فقال أبو بكر رضى الله عنه لولم أجد أحدا يوازرنى لجاهدتهم بنفسى وحدى حتى أموت أو يرجعوا الى الاسلام ولو منعونى عقالا مما كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم حتى ألحق بالله تعالى فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يجاهد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعا الى الاسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه وبعث خالد بن الوليد الى بنى أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون الى الاسلام ثم بعث خالدا ايضا الى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة ودام الحصار أياما ثم قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وفى السنة الثانية من خلافته بعث العلاء بن الحضرمى الى البحرين وكانوا قد ارتدوا فقاتلهم ونصر الله المسلمين عليهم وقتل من قتل من المرتدين ورجع من بقى منهم الى الاسلام وبعث عكرمة ابن أبى جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا أيضا وبعث المهاجر بن أبى أمية الى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد الانصارى الى طائفة آخرين وماتوفى أبو بكر رضى الله عنه حتى رجع العرب كلهم الى الاسلام وابتدأ التجهيز لفتوح الشام وقتال الروم حتى أن فتح الشام كان ليلة وفاة أبى بكر رضى الله عنه ومن ثم أخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال والله الذى لا اله الا هو لولا أن أبا بكر استخلف ماعبد الله ثم قال الثانية والثالثة [illegible] له مه يا أباهريرة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما ليسير فى سبعمائة الى الشام وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه ذلك الجيش وأرتدت العرب حول المدينة واجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا لأبى بكر رضى الله عنه رد هذا الجيش كيف توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحللت لواء عقده فوجه أسامة فجعل أسامة لايمر بقبيلة يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ماخرج مثل هولاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام واستدل العلماء على عظم علم أبى بكر رضى الله عنه بقوله والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وبقوله والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه وقال العلماء ايضا ان ابابكر رضى الله عنه كان اعلم الصحابة رضى الله عنهم لانهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم فى المسئلة الاهو ثم ظهر لهم بمباحثته ان قوله هو الصواب فرجعوا اليه واستدلوا بتلك ايضا على عظم شجاعته رضى الله عنه بتصميمه على قتالهم من قوله لأجاهدنهم مااستمسك السيف فى يدى ومما يدل على عظم شجاعته ثباته يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيته لجميع الصحابة ولم يثبت ذلك اليوم أحد غيره ومائبتوا بعد ذلك الابتثبيته والقصة مشهورة فلاحاجة لذكرها واخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أنه يوم وفاة

(أبى)

أبي بكر رضي الله عنه دخل عليه وهو مسجى فقال ما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحب الى من هذا المسجى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة لو وزن ايمان أبي بكر بايمان الامة لرجحهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخبرا عن نفسه انه ما سابق أبا بكر الى خير الا سبقه أبو بكر رضي الله عنهما وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ان أبا بكر أول من جمع بين اللوحين لأن أبا بكر رضي الله عنه لما كان قتال أهل اليمامة وقتل كثير من الصحابة قال أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن من الرقاع والأكتاف والكتب وصدور الرجال فجمع في صحف الى أن كان زمن خلافة عثمان رضي الله عنه فجمع في المصاحف فما جمع عثمان الا من الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنهما وكان رضي الله عنه جعل ولي بيت المال في زمن خلافته لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ثلاث حفنات فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فجئت فأخبرته فقال خذ فأخذت قدرا فوجدت عدة تلك الدراهم التي أخذتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة وفاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة قال له الناس ألا ندعو لك طبيبا قال أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه وكان سبب مرضه أنه سمه يهودي في أرز وقيل في خزيرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه فأكل هو والحارث بن كلدة طبيب العرب فكف الحارث وقال لأبي بكر ارفع يدك ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلنا طعاما مسموما سم سنة فانا بعد سنة في يوم واحد وفي رواية والله ان فيها سم سنة وانا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد وقيل سبب موته سم الحية التي لدغته في الغار تحرك عليه أثره قبل وفاته ولا مانع من تعدد هذه الأسباب أخرج الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا وحزنا فما زال جسده ينقص حتى مات وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر رضي الله عنه وكان ابتداء مرض أبي بكر الذي منعه من الخروج أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادي الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لايخرج وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة ومدة خلافته سنتان وثلاثة اشهر وعشر ليال وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قعدت عند رأسه فتمثلت بقول القائل

* لعمرك مايغني الثراء عن الفتى ❊ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر *

فقال لاتقولي هذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ثم قال انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما فكفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت وصلى

عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفن ليلا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها وكان آخر ماتكلم به توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ولما توفى أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المحب الطبرى فى الرياض النضرة أخرج الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الخوارزمى وابن السماك عن أسد بن صفوان وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة عليه بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول انا لله وانا اليه راجعون انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر رضى الله عنه وهو مسجى فقال رحمك الله يا أبا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء فى دين الله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم و... وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ورحمة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأشفقهم عليه فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله فى تنزيله صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به الذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وأخرج البزار وابن عساكر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى تفسير قوله تعالى الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه وجاء مثل ذلك فى آيات كثيرة من آيات القرآن العزيز فمن ذلك ماأخرجه الحاكم والطبرانى أن ابا بكر رضى الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله تعالى فأنزل الله تعالى وسيجنبها الأتقى الذى الى آخر السورة قال ابن الجوزى أجمعوا على أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمة والأتقى هو الأكرم عند الله تعالى لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والأكرم عند الله تعالى هو الأفضل فدلت الآية على أنه أفضل هذه الأمة وجاءت أحاديث كثيرة صريحة بأن سورة والليل اذا يغشى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أمية بن خلف وذلك أن أمية بن خلف كان يعذب بلالا رضى الله عنه لما أسلم فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه فأنزل الله السورة فقوله تعالى ان سعيكم لشتى أول داخل فيه أبو بكر رضى الله عنه وأمية بن خلف أى ان سعى أبى بكر وأمية مفترق افتراقا عظيما فشتان مابينهما ثم شرح ذلك وبينه الآيات التى بعد هذه الآية فقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى هو أبو بكر رضى الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى هو أمية بن خلف وكذا قوله تعالى وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوله لايصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى كل هذه الآيات فى أمية بن خلف وختمت السورة بقوله تعالى وسيجنبه الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى وفاة

ولسوف يرضى وهو أبو بكر رضى الله عنه وتأمل قوله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى فانها تدل على كمال اخلاص أبى بكر رضى الله عنه ولهذا عقب ذلك بقوله ولسوف يرضى ولا شئ أعلى من هذا الوعد من الرب الكريم ومن الآيات قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر رضى الله عنه ومن ثم قالوا من أنكر صحبته فقد كفر بالاجماع ومن الآيات الدالة على صحة خلافته قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق رضى الله عنه وقد أخرج ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن عبد الحميد الهروى أنه قال ان خلافة أبى بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى كتاب الله تعالى فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض الآية ومن الآيات الدالة على خلافته رضى الله عنه قوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما فقد أخرج ابن أبى حاتم وابن قتيبة أن هذه الآية حجة على خلافة الصديق رضى الله عنه والقوم المذكورن فى الآية هم بنو حنيفة الذين ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم واتبعوا مسيلمة الكذاب وأبو بكر هو الذى دعا المخلفين من الأعراب الى قتالهم قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى امام أهل السنة سمعت أبا العباس بن سريج يقول خلافة الصديق رضى الله عنه فى القرآن فى هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا اليه الا والداعى اليه أبو بكر رضى الله عنه وأول ما دعا اليه قتال أهل الردة ومانعى الزكاة فدل على صحة خلافة أبى بكر رضى الله عنه وافتراض طاعته لأن الله تعالى يقول فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وأخبر أن المتولى عن ذلك يعذب بقوله وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما قال ابن كثير ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم فأبو بكر الصديق رضى الله عنه هو الذى دعا الى قتالهم وهو أول من جهز الجيوش الى قتالهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان رضى الله عنهما فهما فرعان تفرعا من خلافة أبى بكر رضى الله عنه فان قلت يمكن أن يراد بالداعى فى الآية النبى صلى الله عليه وسلم قلت لا يمكن ذلك مع قوله تعالى قبل ذلك لن تتبعونا ومن ثم لم يدع اولئك الذين تخلفوا الى محاربة فى حياته صلى الله عليه وسلم وأما على رضى الله عنه فلم يتفق له فى زمن خلافته قتال للكفار لطلب الاسلام بل كان قتاله لتحقيق أمر الامامة ورعاية حقوقها فتعين أن ذلك الداعى الذى يكون الأجر الحسن باتباعه والعذاب الأليم بعصيانه أحد الخلفاء الثلاثة وأبو بكر هو أولهم وأصلهم وأساسهم فيلزم صحة خلافته على كل تقدير والآيات الدالة على فضله وصحة خلافته كثيرة لا حاجة الى ذكرها فمن راجع تفاسير القرآن وكتب السنة وقف على ذلك وكان أبو بكر رضى الله عنه كثيرا ما يقول فى خطبه أين القضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها

بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا ولما اراد ابو بكر رضي الله عنه استنفار الناس لقتال اهل الردة ثم لقتال الروم كتب الى اهل مكة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ابى بكر الى اهل مكة وسائر المؤمنين فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد فانى استنفرت الناس الى الجهاد وقد كتبت اليكم والى المسلمين ان تسرعوا الى ما أمركم ربكم تبارك وتعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية انتم احق بها واهلها واول من صدق بها وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غنى حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمجاهدين والأنصار ومن اتبع سبيلهم من الأولياء الأخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله ابن حذافة السهمى رضى الله عنه فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ فى اهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه فلما سمعوا قام سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن ابى جهل وقالوا اجبنا داعى الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة بن ابى جهل الى متى نبسط لأنفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق اللحاق والسباق السباق فلعلنا نكتب فى الحال ثم خرج عكرمة بن ابى جهل فى بنى مخزوم وخرج عمه الحارث بن هشام معهم وتلاحق اهل مكة حتى بلغوا خمسمائة رجل وكتب ابو بكر بمثل ذلك لاهل الطايف فخرجوا فى اربعمائة رجل ثم كتب [الى] اهل اليمن بعد فراغه من قتال المرتدين وصورة كتابه اليهم بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة [رسو]ل الله صلى الله عليه وسلم الى من قرئ عليه كتابى من المؤمنين والمسلمين من اهل اليمن سلام عليكم اما بعد فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو فان الله كتب على المؤمنين الجهاد وامرهم ان ينفروا خفافا وثقالا قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك وشكروا وخرجوا وحسنت فى ذلك نيتهم وعظمت فى الخير حسنتهم فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم والى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح والغنيمة فان الله لم يرض من عباده بالقول دون الفعل ولا يترك اهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى اعمالكم ورزقكم اجر المجاهدين والصابرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث بهذا الكتاب مع انس بن مالك رضى الله عنه قال انس فأتيت اهل اليمن جناحا جناحا وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب ابى بكر رضى الله عنه فاذا فرغت من قراءته قلت الحمد لله وأشهد ان لا آله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى رسول المسلمين اليكم ألا وانى قد تركتهم معسكرين لم يمنعهم من الشخوص الى عدوهم الا انتظاركم فعجلوا الى اخوانكم رحمكم الله عليكم أيها المسلمون قال وكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع منى هذا الرفاة

يحسن الرد على ويقول نحن سائرون وكأن قد فعلنا حتى انتهيت الى ذى الكلاع ملك حمير فلما قرأت عليه الكتاب وقلت هذا المقال دعا بسلاحه وفرسه ونهض فى قومه من ساعته ولم يؤخر ذلك وأمر بالعسكر فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا فلما اجتمعوا اليه قام فيهم فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان من رحمة الله اياكم ونعمته عليكم ان بعث فيكم رسولا وأنزل عليكم كتابا فأحسن عنه البلاغ فعلمكم مايرشدكم ونهاكم عما يفسدكم وعلمكم مالم تكونوا تعلمون ورغبكم فى الخير مالم تكونوا ترغبون ثم قد دعاكم اخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين كتاب الاجر العظيم فلينفر من اراد معى النفر الساعة فنفر بعد دكثير من أهل اليمن على أبى بكر رضى الله عنه قال فرجعنا نحن فسبقناه بايام فوجدنا أبابكر رضى الله عنه بالمد... دنا ذلك العسكر على حاله ووجدنا أباعبيدة يصلى بأهل ذلك العسكر فقدمت حمير على ... بكر رضى الله عنه ومعها نساؤها وأ... ح أبو بكر رضى الله عنه يتقدمهم ولما ر... نو ... فنقول اذا أقبلت حمير تحمل أولادها ومعها ... فابشروا أيها المسلمون فقد جاءكم النصر من الله تعالى ... وجاء قيس بن هبير بن مكسوح المرادى وكان من فرسان العرب فى الجاهلية ومن أشرافهم وأشدائهم ومعه جمع كثير من قومه حتى أتى أبابكر رضى الله عنه فسلم عليه ثم جلس اليه فقال ماتنتظر ببعثة هذه الجنود فقال أبو بكر رضى الله عنه ماكنا ننتظر الاقدومكم قال فقد قدمنا فابعث الناس الأول فالأول فان هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع قال فخرج أبو بكر رضى الله عنه يمشى فدعا يزيد بن أبى سفيان فعقد له ودعا زمعة بن الأسود بن عامر من بنى عامر ... وأوصاهم وبعثهم وقد كان أبو بكر رضى الله عنه قبل بعث الكتب حدث نفسه بغزو ... وأسر ذلك فى نفسه ولم يطلع عليه أحد فبينما هو فى ذلك اذ جاءه شرحبيل بن حسنة ... الله عنه فقال ياخليفة رسول الله أتحدث نفسك أن تبعث الى الشام جندا فقال نعم ... دثت نفسى بذلك وما أطلعت عليه أحدا وما سألتنى عنه الا لشئ عندك فقال أجل انى رأيت فيما يرى النائم كأنك فى ناس من المسلمين فوق جبل فأقبلت تمشى معهم حتى صعدت على قبة عالية على الجبل فأشرفت على أناس ومعك أصحابك أولئك ثم هبطت من تلك القبة الى ارض سهلة دمثة فيها القرى والعيون والزروع والحصون فقلت يامعشر المسلمين شنوا الغارات على المشركين فانى ضامن لكم الفتح والغنيمة وانا فيهم ومعى راية فتوجهت الى قرية فدخلتها فسألونى الأمان فأمنتهم ثم جئت فوجدتك قد انتهيت الى حصن عظيم ففتح لك وألقوا اليك السلم وجعل لك عرشا فجلست عليه ثم قال لك قائل فاسئل يفتح الله لك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرأ عليك اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ثم انتبهت فدمعت عينا أبى بكر رضى الله عنه ثم قال اما الجبل الذى رأيتنا نمشى عليه حتى صعدنا منه الى القبة العالية فأشرفنا على الناس فانا نكابد من أمر هذا الجند مشقة ويكابدونا ثم نغلب بعد ويعلوا أمرنا وان نزولنا من القبة العالية الى الارض السهلة الدمثة والزروع والحصون والعيون والقرى فانا نزلنا الى أمر أسهل مما كنا فيه

نفاسـ
خطـ

من الخصب والمعاش وأما قولي شنوا عليهم الغارة فاني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فان ذلك توجيهي للمسلمين الى بلاد المشركين وأمري اياهم بالجهاد في سبيل الله وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فانك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك وأما الحصن الذي فتح الله على يدي فهو الفتح الذي يفتح الله على يدي وأما العرش الذي رأيتني جالسا عليه فان الله يرفعني ويضع المشركين وأما أمري بطاعة ربي وقراءة القاري على هذه السورة فانه نعي الى نفسي فان هذه السورة حين أنزلت على رس... الله عليه وسلم ان نفسه نعيت اليه ثم سالت عينا أبي بكر رضي الله عنه فقا... ...ف ولأنهين عن المنكر ولأجاهدن من ترك أمر الله عز وجل ولأجهزن ا... ...ين بالله في مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احد ويؤدوا الجزية ...غرون فاذا توفاني ربي لم يجدني مقصرا ولا في ثواب المجاهدين زاهدا ثم انه و بعث الى الشام قال عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه لما أراد أبو بكر رضي الله ...الأجناد الى الشام دعا بعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ...ي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ووجوه المهاجرين والأنصار ...ن بدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنا فيهم فقال ان الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ولا تبلغ الأعمال جزاها فلله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم قد جمع كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا بالله ولا تتخذوا الها غيره فالعرب بنوا أم وأب وقد أردت أن أبعثهم الى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للأبرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين هذا رأيي الذي رأيت فأشار امرأ على بمبلغ رأيه فقام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا اليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قد والله اني اردت لقاءك لهذا الامر والرأي الذي ذكرت فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت وأصاب الله بك سبل الرشاد وابعث اليهم الخيل في اثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله عز وجل ناصر دينه ومعز الاسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الروم وبنو الاصفر حد حديد وركن شديد والله ما أرى ان تقحم الخيل عليهم اقحاما ولكن تبعث الخيل تغير عليهم في أداني أراضيهم ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك فاذا فعلوا ذلك أضروا بعدوهم وغنموا من أداني اراضيهم فقووا بذلك على قتالهم ثم تبعث الى اقاصي اهل اليمن والى اقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جمعا فان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت بعثت على غزوهم غيرك ثم جلس وسكت وسكت الناس فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه ما ترون رحمكم الله فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اني أرى أنك لأهل هذا الدين مشفق واذا رأيت رأيا

لما نتهم رشدا وصلاحا وخيرا فاعزم على امضائه فانك غير ظنين ولا متهم فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار صدق عثمان فيما قال ما رأيت من أمر فأمضه فانا سامعون لك مطيعون لانخالف أمرك ولا نتهم رأيك ولا نتخلف عن دعوتك واجابتك فذكروا هذا وشبهه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في القوم لا يتكلم فقال له ابو بكر رضي الله عنه ماترى يا أبا الحسن قال رأيي انك مبارك ميمون الناصية وانك ان سرت اليهم بنفسك أو بعثت اليهم نصرت ان شاء الله تعالى فقال له أبو بكر رضي الله عنه بشرك الله بخير من اين علمت هذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه حتى يقوم الدين واهله ظاهرين فقال ابو بكر رضي الله عنه سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني سرك الله في الدنيا والآخرة ثم ان ابابكر رضي الله عنه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس ان الله قد أنعم عليكم بالاسلام واعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على اهل كل دين فتجهزوا عباد الله الى غزو بلاد الروم بالشام فاني مؤمر عليكم امراء وعاقد لهم عليكم فأطيعوا أمر ربكم ولا تخالفوا امراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال فسكت الناس فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عدوهم وشدة شوكتهم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا معشر المسلمين مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاكم لما يحييكم فقام خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الحمد لله الذي لا اله الا هو بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان الله منجز وعده ومعز دينه ومهلك عدوه ثم أقبل على أبي بكر رضي الله عنه فقال انا غير مخالفين لك ولا متخلفين عنك وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ونجيبك اذا دعوتنا ففرح أبو بكر رضي الله عنه بمقالته وقال له جزاك الله من أخ خيرا فقد أسلمت مرتضيا وهاجرت محتسبا وهربت بدينك من الكفار لكي يطاع الله ورسوله وتكون كلمة الله هي العليا فسر رحمك الله فتجهز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ثم أتى أبابكر وعنده من المهاجرين والانصار أجمع ما كانوا فسلم على أبي بكر رضي الله عنه ثم قال والله لأن أخر من رأس حالق ويخطفني الطير في الهوى بين السماء والارض أحب الى من أن أبطئ عنك وأخالف أمرك والله ما أنا في الدنيا راغب ولا على البقاء فيها بحريص واني أشهدكم اني واخواني وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل الله مقاتل للمشركين أبدا حتى يهلكهم الله أو نموت عن آخرنا فقال أبو بكر خيرا ودعا له المسلمون بخير وقال له أبو بكر اني لارجو أن تكون من نصحاء الله في عباده باقامة كتابه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج هو واخوانه وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته وكان أول من عسكر فأمر أبو بكر بلالا رضي الله عنه فنادى في الناس أن انفروا الى عدوكم بالشام وأرسل الى يزيد بن أبي سفيان والى أبي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة فقال اني باعثكم في هذا الوجه ومؤمركم على هذه الجنود وأنا موجه مع كل رجل من الرجال ماقدرت عليه فاذا قدمتم البلد ولقيتم العدو

واجتمعتم على قتالهم فأميركم أبو عبيدة بن الجراح وان لم يلقكم أبو عبيدة ولقيكم حرب فأميركم يزيد بن أبي سفيان فانطلقوا فتجهزوا فانطلق القوم يتجهزون وكان خالد بن سعيد من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره الامارة واستعفى أبابكر رضي الله عنه فأعفاه ثم ان الناس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة في كل يوم حتى اجتمع الناس وكثروا فخرج أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم ومعه رجال من أصحابه كثير حتى انتهى الى عسكرهم فرأى عدة حسنة ولم يرض كثرتها للروم فقال لأصحابه ماذا ترون في هؤلاء أترون أن نشخصهم الى الشام في هذه العدة فقال له عمر رضي الله عنه ما أرضى هذه العدة لبني الأصفر فأقبل أبو بكر رضي الله عنه على أصحابه فقال لهم ماذا ترون فقالوا نحن نرى ايضا ما رأى عمر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه أفلا نكتب كتابا الى أهل اليمن ندعوهم الى الجهاد ونرغبهم في ثوابه فرأى ذلك جميع الصحابة رضي الله عنهم فقالوا له نعم ما رأيت فكتب اليهم فأجابوه وأقبلوا كما تقدم بيان ذلك مفصلا وتجهزوا الى الشام فكان النصر والفتوح وكان أول جيش بعثه أبو بكر رضي الله عنه بعد [illegible] الله صلى الله عليه وسلم جيش أسامة وكان بعض الصحابة [illegible] وقالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه امض الى أبي [illegible] واطلب منه أن يولي أمرنا أقدم سنا من أسامة فلما أبلغه عمر ذلك وثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالسا وأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أعزله ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتى ذلك الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب فقال له اسامة يا خليفة رسول الله لتركبن او لأنزلن فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لا نزلت ولا أركب وما على ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه فلما اراد ان يرجع اوصى اسامة ومن معه فقال لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على قوم من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا اوساط رؤسهم حتى كأنها افاحيص القطا وفي رواية وتركوا حولها مثل العصائب فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون استودعتكم الله اندفعوا باسم الله وفعل مع يزيد بن ابي سفيان عند موادعته مثل ما فعل مع اسامة واوصاه بمثل ما اوصاه وزاد بعضهم في وصيته ليزيد قوله اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك في سيرك ولا تغضب على قومك ولا على اصحابك وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وقال في وصيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما خرج لقتال أهل الردة سر

على بركة الله فاذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن كله فانى لا آمن عليك الجملة واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان فى العرب غرة واقلل من الكلام فان مالك ماوعى عنك واقبل من الناس علا نيتهم وكلهم الى الله تعالى فى سرائرهم واستو دعك الله الذى لا تضيع ودائعه فسار أسامة قبل كل جيش جهزه أبو بكر رضى الله عنه واوقع بقبائل من قضاعة كانوا قد ارتدوا وغنم وعاد وكانت غيبته اربعين يوما وكان نفاذ جيش أسامة من أعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا ارادوا ان يفعلوه قال ابو بكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ماولد بعد النبيين مولود افضل من أبى بكر رضى الله عنه فقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال اهل الردة وقال انس بن مالك رضى الله عنه كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا انهم اهل القبلة يعنون أنهم مسلمون فتقلد أبو بكر رضى الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره وهذا دليل على شجاعة أبى بكر رضى الله عنه ثم أشار عليه على رضى الله عنه بالرجوع وأن يبعث الجيوش ففعل ماأشار عليه وتقدم أن عمر رضى الله عنه كان ممن توقف فى قتالهم ثم شرح الله صدره كما شرح صدر أبى بكر فقال بعد ذلك والله لقد رجح ايمان ابى بكر بايمان هذه الأمة جميعا فى قتالهم وقتل بقية المرتدين وكان من جملة مقالة عمر لما راجع أبا بكر فى قتالهم أن قال ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس اوارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش فقال له أبو بكر رضى الله عنه رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك جبارا فى الجاهلية وخوارا فى الاسلام بماذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات قدتم الدين وانقطع الوحى أينقص وأنا حى والله لو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى وقال له بعض الصحابة فى مراجعتهم اياه ارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فان هذا الامر شديد غوره ومهلكة من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل من ارتد بمن ثبت معك وقد اصفقت العرب على الارتداد فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ماتصنع أنت وعدوك قد قدم رجلا وأخر أخرى وقالوا له ايضا قد شحت العرب على اموالها وانت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيأ فلو تركت للناس صدقة هذه السنة وقدم عيينة بن حصن الفزارى والاقرع بن حابس فى رجال من أشراف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا انه قد ارتد عامة من وراءنا عن الاسلام وليس فى أنفسهم ان يؤدوا اليكم من اموالهم ما كانوا يؤدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تجعلوا لنا جعلا نرجع فنكفيكم من وراءنا فدخل المهاجرون والانصار على أبى بكر رضى الله عنه فعرضوا عليه ماعرضوه عليهم وقالوا نرى ان تطعم الاقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع اليك أسامة وجيشه ويشتد أمرك فانا اليوم قليل فى كثير ولا طاقة لنا بقتال العرب فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه هل ترون غير ذلك قالوا لا فقال أبو بكر رضى الله عنه انكم قد علمتم انه كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المشورة فيما لم يمض فيه امر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم وان الله لن يجمعكم على ضلال وانى سأشير عليكم وانما أنا

رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم وفيما أشرتم به فتجتمعون على أرشد ذلك فان الله يوفقكم أما أنا فأراى أن نشد على عدونا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وان لا ترشوا على الاسلام احدا وان تتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدهم والله لو منعوني عقالا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه من أهله وأدفعه الى مستحقه فأتمروا يرشدكم الله فهذا رأيي فقالوا لأبي بكر لما سمعوا رأيه أنت أفضلنا رأيا ورأينا لرأيك تبع فأمر أبو بكر رضي الله عنه بالتجهيز قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدنا عليه في الانتهاء وقال ابو هريرة رضي الله عنه والله لولم يستخلف ابو بكر لما عبد الله وأخرج الدارقطني أن أبا بكر رضي الله عنه لما أراد قتال اهل الردة أراد أن يخرج اليهم بنفسه فلما برز واستوى على راحلته اخذ علي بن ابي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام ابدا فرجع وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال اهل الردة وكان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا من ابي بكر رضي الله عنه الثبات الذي هو اعظم من هذا وهو ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فان الناس قد تزلزلت أقدامهم وذهلت عقولهم يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشك بعضهم في موته وكان ابو بكر رضي الله عنه غائبا بمنزله بالسنح في عوالي المدينة وعمر حاضر فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا انه مات وأخرس بعض واقعد بعض واضطرب الناس فجاء ابو بكر رضي الله عنه من منزله بالسنح ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها اذكرني يا رسول الله عند ربك ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس فأمره بالسكوت وأبى فأقبل ابو بكر على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت ثم تلا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين فوالله لكأن الناس ماسمعوها الا منه وقد كان نزولها يوم احد في السنة الثالثة من الهجرة فكأنهم نسوها لما أصابهم من الحزن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فوالله ماهو الا أن سمعتها فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملني رجلاي وعلمت حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فما زال عنهم رضي الله عنهم ذلك الدهش الا بتثبيت ابي بكر رضي الله عنه حين خطب الناس فرجعت اليهم عقولهم وعرفوا حقيقة الأمر فدل ذلك على انه كان أشد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا وأوفرهم علما وأخرج البزار في مسنده عن علي بن ابي طالب

رضي الله عنه أنه قال يوما لأصحابه أخبروني عن أشجع الناس فقالوا أنت قال أما أنا فما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال ابو بكر انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش لئلا يهوى اليه احد من المشركين فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا سيفه واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لايهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا اشجع الناس ثم قال علي رضي الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذه قريش يعني بمكة قبل الهجرة فهذا يجره وهذا يتلتله وهم يقولون انت الذي جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا أحد الا ابو بكر يضرب هذا و يتلتل هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم ابو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله لساعة من ابي بكر خير من مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه فهذا الذي ذكره مع ما انضم اليه من ثبات ابي بكر رضي الله عنه فاة النبي صلى الله عليه وسلم وثباته لقتال اهل الردة هو الذي حمل اهل السنة أن يجزموا بأن ابا بكر رضي الله عنه اشجع الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين واخرج في الطوريات عن الامام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال قال رجل لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه نسمعك تقول في الخطبة اللهم اصلحنا بما اصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم فاغرورقت عيناه بالدموع ثم اهملها فقال هما حبيباي أبو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون واخرج البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه قال ان الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من ابي بكر رضي الله عنه فولوه رقابهم واخرج ابوذر الهروي والدارقطني من طرق أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا رضي الله عنه وقال له لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترؤا على ذلك فقال علي رضي الله عنه أعوذ بالله رحمهما الله تعالى ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد وأمر باجتماع الناس فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها ما بال اقوام يذكرون بسوء أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وأنا بريء مما يذكرون وعليه معاقب صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفا في أمر الله يأمران و ينهيان و يقضيان و يعاقبان لايرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيا ولايحب كحبهما حبا لما يرى من عزمهما في أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره في حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى فوالذي فلق الحبة و برأ النسمة لايحبهما الامؤمن فاضل ولايبغضهما ويخالفهما الاشقي مارق

وحبهما قربة وبغضهما مروق ثم ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أن يصلي بالناس وهو يرى مكان علي ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ثم قال ألا لا يبلغني عن أحد أنه يبغضهما الا جلدته حد المفتري وكان أول من حمل على التكلم في الشيخين عبد الله بن سبأ وكان يهوديا فأسلم وكان اسلامه ظاهرا فقط وهو باق على يهوديته وانما أراد باسلامه التوصل الى ايقاع الافتراق بين المسلمين وادخال التشكيك عليهم فيما بينهم لأن الطعن في الصحابة طعن في الشريعة لأنها انما وصلت الى الامة من طريق الصحابة فاذا انتفت العدالة عنهم لم يوثق بصحة شيء من القرآن ولا الشريعة ولما بلغ عليا أمر ابن سبأ أحضره وسأله عما نسب اليه فأنكر وسيره الى المدائن وقال لا تساكني في بلدة أبدا وأخرج الدار قطني من طرق أن عليا رضي الله عنه بلغه أن رجلا يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطن فأنكر فقال علي أما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق أن لو سمعت منك الذي بلغني ونبئته عنك اوثبت عليك لأفعلن بك كذا وكذا ومما استدل به أهل السنة والجماعة على صحة خلافة أبي بكر واعتراف علي بها رضي الله عنهما ما أخرجه الدار قطني وابن عساكر وغيرهما أن عليا رضي الله عنه لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تستولي على الأمة أعهد من رسول الله عهده اليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما ان يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده الي في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي منه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم ابن مرة وعمر ابن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن يعرفه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني واني حاضر لست بغائب وفي رواية وما بي مرض ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة معظم الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف منا اثنان وفي رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والامر واحد لا يختلف عليه منا اثنان فأديت لأبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه اثنان منا فأديت له حقه وعرفت له وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيأ الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها وبرئ منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت

فاذا طاعتى قدسبقت بيعتى واذاميثاقى قدأخذلغيرى فبايعناعثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه فى جيوشه وكنت آخذ اذا أعطانى وأغزواذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدود بسوطى فلما أصيب نظرت فاذا الخليفتان اللذان أخذاها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذى أخذله ميثاقى قد أصيب فبايعنى أهل الحرمين وأهل هذين المصرين اى الكوفة والبصرة فوثب عليها من ليس مثلى ولاقرابته كقرابتى ولاعلمه كعلمى ولاسابقته كسابقتى وكنت أحق بهامنه يعنى معاوية رضى الله عنه وصح من طرق كثيرة ان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم أبسط يدك أبايعك فلا يختلف عليك اثنان فأبى على رضى الله عنه ولو علم وجود نص لقبل ذلك ولم يتأخر عنه ولاسيما ومعه العباس والزبير وبنوا هاشم وغيرهم وأقبح من كل قبيح قول الشيعة انه علم النص وكتمه تقية حاشاه الله من ذلك والحاصل ان الاخبار عن على رضى الله عنه بصحة خلافة ابى بكر وعمر وكونهما خير الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم تثبت عنه من طرق كثيرة بروايات كثيرة من الثقات العدول منهم ابنه محمد ابن الحنفية وغيره بحيث يجزم من تتبعها بصدور ذلك القول من على رضى الله عنه جزما قاطعا ليس فيه شك ولا ارتياب قال الحافظ الذهبى تواتر ذلك عن على رضى الله عنه ورواه عنه نيف وثمانون من أصحابه وصرح بذلك فى الخلوة والملاء وخطب بذلك على منبر الكوفة زمن خلافته مع حضور الجمع العظيم ولهذا اتفق الائمة الاربعة وأئمة الحديث مثل البخارى ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة والجماعة على اعتقاد صحة خلافته قال سفيان الثورى من قال ان عليا رضى الله عنه كان أحق بالخلافة من ابى بكر رضى الله عنه فقد خطأ ابابكر وعمر والمهاجرين والانصار وماأراه يرتفع له مع هذا الاعتقاد عمل الى السماء وأخرج الدار قطنى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما مثل ذلك ولم ينقل عن على رضى الله عنه انه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على خلافته بل اذا سئل عن ذلك أنكر وأما الرافضة فانهم لما لم يمكنهم انكار ذلك ولم يمكنهم ايضا انكار اعتراف على بصحة خلافة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما لظهوره وانتشاره عنه بحيث لاينكره الاجاهل بالآثار اومباهت مكابر قالوا انما قال ذلك تقية ومداراة وذلك منهم كذب وافتراء وأحسن مايقال فى هذا المحل الالعنة الله على الكاذبين وكيف يتوهم من له أدنى عقل اوفهم صدور ذلك من على تقية ومداراة مع ماأعطاه الله من كمال الايمان وعظم الشجاعة والاقدام حتى انه لايهاب احدا ولا يخشى فى الله لومة لائم وكيف يتوهم عاقل ان يقول ذلك فى الخلا وعلى رؤس الملا وفى زمن خلافته وعلى منبر الكوفة وهو فى ذلك الوقت اقوى ماكان امرا وانفذ حكما وذلك بعد مدة طويلة من وفاة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فما أحق ان يقال فيما افتروه سبحانك هذا بهتان عظيم ومن قبيح افترائهم زعمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم اوصى بالخلافة لعلى رضى الله عنه وانه كتم ذلك وان الصحابة رضى الله عنهم خالفوا امر النبى صلى الله عليه وسلم وان عليا رضى الله عنه انما سكت عن النزاع فى امر الخلافة لان النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه ان لايوقع

بعده فتنة ولا يسل سيفا وهذا منهم كذب وافتراء وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب
على ذلك اذ كيف يعقل هذا الذي زعموه وكيف يعقل انه جعل اماما واليا على الامة بعده
ويمنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان مازعموه صحيحا لما سل السيف
في حرب صفين والجمل وقتال الخوارج وقاتل هو بنفسه وقاتل معه اهل بيته واصحابه وجالد
وبارز الالوف من مقاتليه وحده أعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايضا كيف يعقل انه يوصيه بعدم سل السيف على قوم زعم فيهم الرافضة انهم كفار مرتدون
تجاهروا باقبح انواع الكفر مع ماأوجب الله من جهاد الكفار قال بعض أئمة اهل البيت
النبوي قد تأملت كلام هؤلاء الضالين فرأيتهم قوما اعمى الهوى بصائرهم فما يبالون
بما يترتب على مقالاتهم من المفاسد فأورثتهم غباوتهم العار والفضيحة ولم يبالوا بما يترتب
على ذلك من نسبة على رضي الله عنه الى الذل والعجز بل ونسبة جميع بني هاشم الى ذلك
العار اللاحق بهم الذي لاأقبح منه وبنو هاشم اهل النجدة والشجاعة والانفة بل يلزمهم
ايضا نسبة جميع الصحابة رضي الله عنهم الى ذلك وكيف يتوهم مؤمن عاقل ان الصحابة
يطلعون على النص على خلافة على رضي الله عنه فلا يعملون به ولا يرجعون اليه وهم أطوع الناس
لله واشد الناس وقوفا عند حدود الله تعالى وابعد عن اتباع حظوظ النفس وقد قال فيهم
النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم كيف يكون ذلك وفيهم العشرة
المبشرون بالجنة ومنهم ابو عبيدة أمين هذه الامة بنص قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لكل امة أمين وأمين هذه الامة ابو عبيدة وكيف يتوهم فيهم شيء من ذلك وهم
بهذه الاوصاف الجليلة معاذ الله ان يتركوا العمل بما ثبت عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
لان ذلك خيانة في الدين فلا يجوز عليهم ذلك لا شرعا ولا عقلا ولا عادة لانه يلزم من وقوع
ذلك منهم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شهادته لهم بالخير وثنائه عليهم وتكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم كفر ووقوع الكذب منه محال لثبوت صدقه بالمعجزات فما أدى اليه
محال ايضا كيف يكون هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على ضلالة ولو جاز
وقوع مثل ذلك منهم لارتفع الامان والثقة في كل مانقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من القرآن والاحكام ولم يحصل الجزم بشيء من امور الدين مع ان جميع الدين اصوله
وفروعه انما اخذه الامة عنهم ووصل اليهم بواسطتهم وفي نسبة الرافضة سيدنا عليا رضي الله
عنه الى الكتمان للنص غاية النقص لما يلزم عليه من نسبته الى الجبن والظلم والخيانة والكتمان
حاشاه الله من ذلك وبمقالة الرافضة هذه المقالة القبيحة توصل بعض الملحدة الى تكفير علي
رضي الله عنه اعتمادا على قولهم لانه كتم النص وكل ذلك زور وبهتان وكيف يسع من له
ادنى ايمان ان ينسب عليا وبقية الصحابة الى الكتمان مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم
لنبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا دونه وقتلوا الآباء
والابناء في طلب مرضاته فلا يتوهم مؤمن بالله تعالى لحوق ادنى نقص لهم اوسكوت
على باطل فقد طهر الله هذه العصابة من كل رجس ودنس ونقص وقد شهد الله انهم بالصدق
بقوله اولئك هم الصادقون واخبر انه رضي عنهم بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد

لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ووعدهم الحسنى بقوله وكلا وعد الله الحسنى وشهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بكل خير وتوفى وهو راض عنهم فلا يقدم على شئ مما افتراه الرافضة وأمثالهم الا عبد أضله الله وخذله فباء بعظيم الخسار والبوار وأحله الله نار جهنم وبئس القرار فنسأل الله السلامة مما وقع فيه هؤلاء الاشرار فما أقبح قولهم ان الصحابة علموا النص على خلافة على رضى الله عنه فلم ينقادوا له عنادا ومكابرة بالباطل وأقبح من ذلك قولهم ان عليا ترك ذلك تقية كل ذلك كذب وزور توصلوا به الى تكفير الصحابة رضى الله عنهم وقد اخرج البيهقى عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال اصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضى الله عنهم وانما نبه على الشيعة لأنهم اقل فحشا فى عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة رضى الله عنهم لانهم على زعمهم عاندوا بترك العمل بالنص على خلافة على رضى الله عنه بل زاد ابو كامل وكان من رؤس الرافضة فكفر عليا رضى الله عنه زاعما انه أعان الكفار على كفرهم وعلى كتمان الامر بامامته بل تواتر عن على رضى الله عنه الاعتراف بصحة خلافة ابى بكر وعمر وأنهما افضل الامة وقبل من عمر رضى الله عنه ادخاله اياه الشورى بل تواتر عنه كما تقدم ذلك عنه وانما اتخذ الملحدون كلام الرافضة والشيعة وامثالهم ذريعة للطعن فى الدين والقرآن لان ذلك انما وصل الينا من طريق الصحابة رضى الله عنهم ومن جملة ماقاله أولئك الملحدون كيف يقول الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة انفس منهم فى زعمهم و[illegible] الارتدادا متناعهم من قبول النص بتقديم على رضى الله عنه فانظر الى كلامهم [illegible] اخوذا مما اختلقه الرافضة وامثالهم قاتلهم الله انى يؤفكون بل هم اشد ضررا [illegible] [illegible]ود والنصارى وسائر فرق الضلالة وقد جاء التصريح بذلك عن على رضى الله [illegible] صح عنه انه قال تفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق امرنا ووجهه ما اشتمل عليه كلامهم من افتراء الكذب وارتكاب قبائح البدع والعناد حتى تسلطت الملحدة بسبب ذلك على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضى ابو بكر الباقلانى فيما ذهبت الرافضة مما ذكروه ابطال للاسلام رأسا لانه اذا امكن اجتماع الصحابة رضى الله عنهم على الانكار للنصوص امكن فيهم نقل الكذب والتواطئ عليه لغرض فيمكن ان سائر ما نقلوه من الاحاديث كذب وزور وحاشاهم من ذلك وكذلك ماذكره سائر الأمم عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان على زعمهم لانهم اذا ادعوا ذلك فى هذه الامة التى هى خير امة اخرجت للناس فادعاؤهم اياه فى باقى الامم احرى واولى فتأمل هذه المفاسد التى ترتبت على ما أسسه هؤلاء الملحدة قاتلهم الله انى يؤفكون وقد اخرج البيهقى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال مامن اهل الاهواء اشد بالزور من الرافضة وكان اذا ذكرهم عابهم أشد العيب واخرج الدارقطنى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال من قال ان عليا رضى الله عنه كان احق بالولاية من ابى بكر رضى الله عنه فقد خطأ ابابكر وعمر والمهاجرين والانصار وقال الامام مالك قوله تعالى فى حق الصحابة ليغيظ بهم الكفار ان الرافضة كفار لان الصحابة يغيظونهم

ومن اغاظه الصحابة فهو كافر وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر هذه الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه بكفرهم ووافقه ايضا جماعة من الأئمة قال ابن الاثير في تاريخه المسمى بالكامل في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين عند ذكره ابتدا دولة العبيديين مانصه لما بعث الله سيد الاولين والآخرين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب لانه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم وفرق جمعهم فاجتمعوا ايدا واحدة فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم فاسلم منهم من هداه الله تعالى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وظنوا ان الصحابة رضي الله عنهم يضعفون بعده فجاهد ابو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة ورد اهل الردة وأذل الكفر ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس والروم فلما حضرته الوفاة ظنوا ان بوفاته ينتقص الاسلام فاستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذل فارس والروم وغلب على ممالكها فدس عليه المنافقون ابا لؤلؤة فقتله ظنا منهم ان بقتله ينطفي نور الاسلام فولي بعده عثمان رضي الله عنه فزاد في الفتوح واتسعت ممالك الاسلام فلما قتل ولي بعده امير المؤمنين علي رضي الله عنه فقام بالامر أحسن قيام فلما يئس اعداء الاسلام من استيصاله بالقوة اخذوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة وتفرق اصحابهم في البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه واكثروا الطعن في الصحابة لانهم علموا ان الطعن فيهم طعن في الشرع بعينه فان بطريقهم وصلت الى من بعدهم وأنفقوا مالا عظيما على من تبعهم لتنتشر مذاهبهم انتهى فعلم من ذلك كله ان اساس مذاهبهم الطعن في الصحابة ليتوصلوا بذلك الى ابطال الشريعة قاتلهم الله انى يؤفكون ولنرجع الى اتمام الكلام على مايتعلق بخلافة ابي بكر رضي الله عنه وذكر شيء آخر من محاسنه رضي الله عنه فمن ذلك خطبه التي كان يخطب بها وهي كثيرة منها انه خطب مرة فقال بعدان حمد الله بما هو اهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال مالكم ايها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما بيده ورغبه فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخا وتنقطع عنه لذة البقاء لايستعمل العبرة ولايسكن الى الثقة فهو كالدرهم القيسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا أوجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ألا وان الفقراء هم المرحومون الا ان من آمن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه وانكم اليوم على خلافة نبوة ومفرق محجة وسترون بعدي ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا ودما مباحا فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفو لها الأثر ويموت الخبر لها فالزموا المساجد واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر اي بلاد جوسه ان الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها وقال رضي الله عنه في بعض خطبه ان الله ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم

للناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم والناس يومئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبكم ايها المؤمنون فأصبحتم بنعمته اخوانا اوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل امر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما احببتم وكرهتم فانه ليس فيمادون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك واياكم والفخر ومافخر من خلق من التراب والى التراب يعود هو اليوم حى وغداميت فاعملوا وعدوا أنفسكم فى الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه الى الله تعالى وقدموا لانفسكم تجدوه محضرا فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا انه لابد من لقاء ربكم والجزاء باعمالكم صغيرها وكبيرها الاما غفر الله انه غفور رحيم فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولاحول ولاقوة الابالله ان الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على محمد عبدك ورسولك افضل ماصليت على احد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألحقنا به واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك وقال فى خطبة اخرى بعد ان حمد الله وأثنى عليه اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو أهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسئلة فان الله أثنى على زكريا واهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه انفسكم واخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولايطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه وتبصروا فيه ليوم الظلمة فانه خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ماتفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الآجال وانتم فى عمل الله وان تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا فى مهل بأعمالكم قبل ان تنقضى آجالكم فتردكم الى سوء اعمالكم فان أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم فأنهاكم ان تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا النجا النجا فان وراءكم طالبا حثيثا امره سريعا سيره وكان آخر دعاء ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير ايامى يوم لقائك وخطب مرة خطبة فقال أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على غير تأويلها ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ومن كلامه رضى الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد رضى الله عنه فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة ولما وفد عليه اهل اليمامة بعد قتل مسيلمة الكذاب قال لهم أبو بكر رضى الله عنه ما كان يقول صاحبكم يعنى مما يزعم أنه وحى قالوا اعفنا ياخليفة رسول الله قال لابد ان تقولوا قالوا كان يقول ياضفدع كم تنقين لاالشرب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لايعدلون فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه ويحكم ماخرج هذا من أل ولا بر فأين ذهب بكم الال الله تعالى والبر الرجل الصالح ومن دعاء الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف

من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف ولما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ياابابكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني ان جميع مايصيبك يكون كفارة لذنوبك وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح يقول اللهم انت أعلم بي من نفسي وانا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفرلي مالا يعلمون ولاتؤاخذني بما يقولون وروى الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطي احد أفضل من العافية الاالیقين وأشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن ومن كلامه رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك ورأى رضي الله عنه مرة طائرا فقال ليتني مثلك ياطائر ولم اكن بشرا قال الامام الغزالي في الاحياء ان أبابكر رضي الله عنه حسب جميع ماكان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وشرب أبو بكر رضي الله عنه مرة لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل اصبعه في فيه وجعل يقيئ حتى ظنوا ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال أوما علمتم ان الصديق لايدخل جوفه الاطيبا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يعني ابابكر أنزل ولمن خاف مقام ربه جنتان ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خير بين الدنيا وماعند الله فاختار ماعند الله بكى ابو بكر رضي الله عنه وفهم أن العبد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك اشارة الى قرب أجله صلى الله عليه وسلم ولم يفهم ذلك المعنى احد من الصحابة الحاضرين غير ابي بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياابابكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد الاباب ابي بكر اشارة الى انه الخليفة بعده ففتح باب له على المسجد ليدخل منه ويصلي بالناس ثم قال صلى الله عليه وسلم اني لاأعلم امرأ عندي افضل في الصحبة من أبي بكر رضي الله عنه ولما مرض ابو بكر رضي الله عنه مرض الوفاة دخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال ياابابكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلاتأخذن منها الابلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلاتخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك وقالت عائشة رضي الله عنها عنها عند مو

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ☼ ثمال اليتامى عصمة للأرامل *

فقال أبو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فقال أبو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولاتجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا

وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ماتكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احد الايشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء مايقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الاباذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم وأردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي وكره الى الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الأمور وجعلت مصيرها اليك فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى وثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل وروى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولي من امر المسلمين شيأ فأمر عليهم احدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ومن أعطى حمى الله فقد انتهك من حمى الله ومن اخذ شيأ بغير حقه فعليه لعنة الله وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد امرا قال اللهم خر لي واختر لي وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الارض ويرفع له كل يوم وليلة عمل ستين صديقا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب وروى أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى علي عبادة وسئل ابو بكر رضي الله عنه يوما عن آية في كتاب الله تعالى فقال اي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا أعلم وقال رضي الله عنه في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة هي النظر الى وجه الله عز وجل وكان رضي الله عنه اذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم ويعظم الله أجركم وكان رضي الله عنه اذا صلى على الميت قال اللهم عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وانت غفور رحيم وغضب رضي الله عنه يوما على رجل فاشتد غضبه فقال له ابو برزة الاسلمي ياخليفة رسول الله اضرب عنقه فقال له ويلك ماهي لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ايضا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اشدد الاسلام بعمر وروى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولم أبعث فيكم لبعث عمر وسيرة ابي بكر طويلة وفي هذا القدر كفاية والقصد من ذلك كله بيان أن ملاك الامر كله العدل في بيت المال وان سيرة الخليفة على المسلمين بسيرة الخلفاء الراشدين وقد تقدم في كلام ابي بكر رضي الله عنه انه قال لن يصلح أمر آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها فلابد لصلاح هذه الامة من خليفة يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ولا يكون ذلك الا بالزهد في الدنيا وروى الحافظ ابن القيم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه استسقى فأتي بماء فيه

عسل فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله ثم سكت فسكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا ان لا يقدر
احد على مسئلته ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا ما هاجك على هذا البكاء قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيأ يقول اليك عني اليك عني ولم أر معه احدا فقلت
يارسول الله انك تدفع عنك شيأ ولا أرى معك احدا قال هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها
اليك عني فتنحت وقالت أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك فخشيت ان تكون
قد لحقتني فذلك الذي أبكاني وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخلت على ابي بكر
رضي الله عنه في مرض موته فقال والله لأن يقدم احدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له
من ان يسبح في غمرة الدنيا قال الحسن البصري لما ثقل ابو بكر رضي الله عنه في مرض موته
جمع الناس اليه فقال انه قد نزل بي ما قد ترون وقد أطلق الله ايمانكم من بيعتي وحل عنكم
عقدتي ورد عليكم امركم فأمروا عليكم من أحببتم فانكم ان أمرتم في حياة مني كان أجدر أن
لا تختلفوا بعدي فقاموا في ذلك وخلوا عنه فلم يستتم لهم رأى فرجعوا اليه وقالوا رأينا
ياخليفة رسول الله رأيك فقال لعلكم تختلفون قالوا لا وقال علي رضي الله عنه
ياخليفة رسول الله امض لما رأيت فانا سامعون مطيعون فقال فلعلكم تختلفون
قالوا لا قال فعليكم عهد الله على الرضا قالوا نعم قال فأمهلوني ونصر الله لدينه ولعباده
وفي رواية قال لهم قد حضر ما ترون ولا بد من قائم بأمركم يجمع فيئتكم ويمنع ظالمكم من
الظلم ويرد على الضعيف حقه فان شئتم أخترتم لأنفسكم وان شئتم جعلتم ذلك الي فوالله
لا آلوكم ونفسي خيرا وفي رواية قال لهم أترضون بخلافة خليفة أعينه لكم والله ما أعين
لكم احدا من اقربائي قالوا قد رضينا من اخترت لنا ثم أرسل لكثير منهم واختلى بكل
واحد وحده فكانوا يشيرون عليه باستخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقبل اشارتهم
وأمر عثمان رضي الله عنه بكتابة الصحيفة التي فيها استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ثم امر عثمان ان يخرج للناس ويقرءها عليهم وقال لهم ابو بكر رضي الله عنه قبل قراءتها
أترضون بمن أستخلفه عليكم قالوا نعم وقال علي رضي الله عنه لا نرضى الا أن يكون عمر
فقال هو عمر فقال علي يا خليفة رسول الله امض لرأيك فما نعلم به الا خيرا وقال عثمان وسعيد بن
زيد واسيد بن حضير وغيرهم من المهاجرين والأنصار انت أخبرنا به وهو أعلمنا للخير بعدك
يرضا للرضا ويسخط للسخط وسريرته خير من علانيته وليس فينا مثله وان يلي هذا الأمر
أقوى عليه منه ثم قرئت عليهم الصحيفة فرضوا بما فيها وعن عاصم بن عدي قال جمع ابو
بكر رضي الله عنه الناس وهو مريض وأمر من يحمله الى المنبر وكانت آخر خطبة خطبها
بعد أن عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس
احذروا الدنيا ولا تغتروا بها فانها غرارة وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوها فبحب كل
واحدة منهن تبغض الأخرى وان هذا الأمر الذي هو أثبت بنا لا يصلح آخره الا بما صـ
اوله ولا يحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم في حال الشدة وألينكم في حـ
اللين وأعلمكم برأي ذوي الرأي لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحيي من الـ
ولا يتحير عند البديهة قوي على الأمور لا يجوز لشيء منها حده بعدوان ولا يقصر برصد

هو آت عتاده من الحدث والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فدخل داره رضى الله عنه وقال له قائل ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته فقال ابو بكر رضى الله عنه أجلسونى أبالله تخوفنى خاب من تزود من امركم بظلم اقول اللهم استخلفت عليهم افضلهم واقواهم وفى رواية قال أبالله تخوفنى اقول استعملت عليهم خيرهم واشدهم حبا لله تعالى فستعلمون اذا فارقتموه وتنافستموها وذكر صاحب الاكتفا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه التوى وامتنع من قبول عهد ابى بكر له بالخلافة وقال لا أطيق القيام بأمر الناس فقال ابو بكر لابنه عبد الرحمن ارفعنى وناولنى السيف فقال عمر أوتعفنى قال لا فعند ذلك قبل رضى الله عنه وفى رواية ان عمر راجع ابا بكر رضى الله عنهما وقال يا خليفة رسول الله لا حاجة لى فيها فقال ان لم تكن محتاجا اليها فهى محتاجة اليك وانى ماحبوتك بالخلافة ولكن حبوتها بك ومع ذلك فانى أحذرك نفسك فان النفس لأمارة بالسوء وأحذرك الناس واعلم انهم خائفون منك ماخفت الله عز وجل وآثرت رضاه جل جلاله على هواك وكتب ابو عبيدة الى ابى بكر رضى الله عنهما بعد توجه الجنود الى قتال الروم بلغنى ان هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى انطاكية وانه بعث الى اهل مملكتهم فحشدهم اليه وانهم نفروا اليه على الصعب والذلول وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك والسلام فكتب اليه ابو بكر رضى الله عنه اما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم فأما منزله بانطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح الله عليك وعلى المسلمين واما حشده اهل مملكته وجمعه لكم الجموع فان ذلك ما كنا وكنتم تعلمون انه سيكون منهم ما كان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال ولقد علمت والحمد لله ان قد غزاهم رجال بسيف من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله فى قتالهم الأجر العظيم ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل اموالهم الرجل منهم عند الهيج خير من الف رجل من المشركين فالقهم بجنودك ولا توحش لمن غاب عنك من المسلمين فالله تعالى ذكره معك وانا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى ولا تريد ان تزداد والسلام وقوله فأما منزله بانطاكية فهزيمة لعله أخذ بذلك من انطا فانه لغة فى أعطى وكتب يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما الى أبى بكر رضى الله عنه أما بعد فان هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا اليه ألقى الله الرعب فى قلبه فتحول ونزل انطاكية وخلف امراء من جنده على جند الشام وامرهم بقتالنا وقد تيسروا لنا واستعدوا وقد نبأنا مسالمة الشام ان هرقل استنفر أهل مملكته وانهم جاؤا يجرون الشوك والشجر فمرنا بأمرك وعجل علينا فى ذلك برأيك نتبعه نسأل الله تعالى النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك فكتب أبو بكر رضى الله عنه اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم الى انطاكية والقى الله الرعب فى قلبه من جموع المسلمين فان الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام وان ذلك الدين الذى نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذى تدعوا الناس اليه اليوم فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ولا من يشهد ان لا اله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة

شئ فاذا لقيتهم فانبذ اليهم بمن معك وقاتلهم فان الله لن يخذلك وقد نبأنا الله تعالى ان الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة باذن الله وانا مع ماهنا ممدكم بالرجال فى أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا الى زيادة انسان ان شاء الله تعالى والسلام وقال للرسول أخبره ان مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة ابن ابى وقاص وسعيد بن عامر الجمحى فلما تقدم الرسول بالكتاب على يزيد قرأه على المسلمين فتباشروا وفرحوا ثم ان أبابكر رضى الله عنه دعا هاشم بن عتبة وبعثه فى الف من المسلمين فسلم على ابى بكر وودعه ثم خرج من عنده فلزم طريق ابى عبيدة حتى قدم عليه فسر المسلمون بقدومه وتباشروا به وبلغ سعيد بن عامر الجمحى ان ابابكر يريد ان يبعثه فلما أبطأ ذلك عليه أتاه فقال ياابابكر والله لقد بلغنى انك كنت أردت ان تبعثنى فى هذا الوجه ثم رأيتك قد سكت فما أدرى مابدالك فى فان كنت تريد أن تبعث غيرى فابعثنى معه وان كنت لا تريد ان تبعث أحدا فانى راغب فى الجهاد فأذن لى رحمك الله كيما ألحق بالمسلمين فقد ذكر لى ان الروم جمعت لهم جمعا عظيما فقال أبو بكر رضى الله عنه رحمك الله ارحم الراحمين ياسعيد وأمر بلالا فنادى فى الناس ان انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر الى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل فى ايام فلما أراد سعيد الشخوص جاء بلال فقال ياخليفة رسول الله ان كنت انما اعتقتنى لله تعالى لأملك نفسى وأنصرف فيما ينفعنى فخل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل ربى فان الجهاد أحب الى من المقام قال أبو بكر رضى الله عنه فان الله يشهد انى لم اعتقك الا له وانى لا أريد منك جزاء ولا شكورا فهذه الأرض ذات الطول والعرض فاسلك اى فجاجها أحببت فقال أيها الصديق كأنك عتبت على فى مقالتى ووجدت فى نفسك منها قال لا والله ماوجدت فى نفسى من ذلك وانى لأحب ان تدع هواك لهوى اى كيف وهواك الى طاعة ربك قال فان شئت اقمت معك قال اما اذا كان هواك فى الجهاد فلم اكن لآمرك بالمقام وانما اردتك للأذان ولا وجدت لفراقك وحشة يابلال ولابد من التفرقة فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث فاعمل صالحا يابلال وليكن زادك من الدنيا مايذكرك الله ما حييت ويحسن لك الثواب اذا توفيت فقال له بلال جزاك الله من ولى نعمة ومن اخ بالاسلام خيرا فوالله مااقرك لنا بالصبر على الجود والمداومة على العمل ثم قال وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم وخرج بلال مع سعيد بن عامر وأمر سعيد بن عامر مع من معه ان يلحقوا بيزيد بن ابى سفيان رضى الله عنهما فاقام بلال فى الشام بقصد الجهاد وتوفى بدمشق وقيل بحلب سنة عشرين او ثمانية وعشرين وقدم مرة المدينة للزيارة فطلب منه أهل المدينة ان يؤذن فقال لا أفعل بعد ان أذنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فألحوا عليه فصعد فاجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم وقالوا هذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يؤذن فهلوا نسمع أذانه فلما قال ألله أكبر الله اكبر تذكروا زمن النبى صلى الله عليه وسلم فصاحوا وبكوا جميعا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق فى المدينة ذو روح الا بكى وصاح وخرجت العذارى والابكار من خدورهن يبكين وصار كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من أذانه فقال أبشركم انه لا تمس النار عينا بكت على النبى صلى الله عليه وسلم وأذن مرة بالشام فكان ايضا مثل ذلك وكان ابوبكر رضى الله

عنه يحب على بن ابى طالب وكافة أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وهوا لذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى على بن ابى طالب عبادة وروى مثله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخرج البخارى فى صحيحه عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من ان أصل من قرابتى وفى رواية والله لأن أصلكم أحب الى من أن أصل قرابتى لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو الشيخ عن ابى بكر رضى الله عنه يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الاباطيل وكان أبو بكر رضى الله عنه كثيرا ما يعمل بما يشير به على رضى الله عنه عند بعث الجنود للجهاد ولا يأذن له فى الخروج مع المجاهدين حرصا على بقائه معه للانتفاع برأيه ومشورته وكذا لم يأذن فى الخروج لعمر وعثمان رضى الله عنهما للاستعانة بكل منهم على تدبير امور المسلمين ولا يفعل شيأ الا بعد استشارتهم مع غيرهم من وجوه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطى كان ابو بكر رضى الله عنه يصوم الصيف و يفطر الشتاء وكأنه يختار الصيف للصوم لأنه أشق على النفس وتقدم ان من دعاء الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف من نفسى والزهد فيما جاوز الكفاف قال فى الاحياء اذا كان الصديق رضى الله عنه فى كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى ان فقد المال أصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغنى ان يأخذ حلالا و ينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه فى عرصات القيامة و يطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها وقال ان اردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى قيصا حتى ترقعيه وكان ابو بكر رضى الله عنه جعل ولاية بيت المال فى زمن خلافته لأمين هذه الأمة ابى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه وقد تقدم أنه جاء له فى زمن خلافته مال من البحرين فقسمه بين الناس وقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة اودين فليأتنا فجاء جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فقال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجاء مال من البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعنى ثلاث حفنات فقال ابو بكر رضى الله عنه خذ فأخذت مقدارا فوجدت عدد تلك الدراهم التى اخذتها خمسمائة فأعطانى الفا وخمسمائة وفاء بقول النبى صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا وهكذا ولم يأخذ أبو بكر رضى الله عنه لنفسه من ذلك المال شيأ وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

اخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فسمعهم عمر رضى الله عنه فقال ماهى لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله تعالى فقلنا فماذا يحل له من مال الله تعالى فقال انه لا يحل لعمر من مال الله تعالى الا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر وقوتى وقوت اهلى

كرجل من قريش ليس بأفقرهم ولا بأغناهم ثم انا بعد رجل من المسلمين وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وغيرهما من طرق عن عمر رضي الله عنه قال اني أنزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم من ماله ان أيسرت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت واتفق في بعض السنين انه لم يأخذ من بيت المال شيأ حتى اصابته خصاصة وحاجة فاستشار الصحابة وقال مايصلح لي ان آخذه فقال علي رضي الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضي الله عنه وذكر الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء ان ذلك كان من عمر رضي الله عنه في ابتداء ولايته فذكر انه في اول ولايته لم يأخذ من بيت المال شيأ حتى اصابته خصاصة فقال مايصلح لي ان آخذه فقال علي رضي الله عنه غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر رضي الله عنه وقال ابن سعد قال محمد بن ابراهيم كان عمر رضي الله عنه ينفق كل يوم درهمين له ولعياله واحتاج مرة عسلا للتداوي به وكان في بيت المال عكة من عسل فقال ان أذنتم لي والا فذلك علي حرام فأذنوا له فأخذ من العكة بقدر الحاجة وكان رضي الله عنه يأكل خبز الشعير ويأتدم بالزيت ويلبس المرقوع ويخدم نفسه وكان يقول مانعبأ بلذات العيش ولكننا نبقي طيباتنا لآخرتنا ولما كلمته ابنته حفصة وابنه عبد الله وغيرهما قالوا له لو اكلت طعاما طيبا لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل ويعني بصاحبيه النبي صلى الله عليه وسلم وابابكر رضي الله عنه واجتمع مرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد زهاخمسين رجلا فقالوا أماترون الى زهد هذا الرجل والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر وطرفي المشرق والمغرب والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجبة وقد رقعها بثنتي عشرة رقعة فلو سألتموه معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يغير هذه الجبة بثوب لين فيهاب منظره ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح بجفنة يأكل منها من حضره من المهاجرين والأنصار فقال القوم بأجمعهم ليس هذا القول الا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فانه صهره لكونه زوجه ابنته ام كلثوم رضي الله عنها فقال علي لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين فانهن يجترئن عليه قال الأحنف بن قيس فسألوا عائشة وحفصة رضي الله عنهما وكانتا مجتمعتين فقالت عائشة أسأله ذلك وقالت حفصة ماأراه يفعل وسيتبين لك ذلك فدخلتا عليه فقربهما وأدناهما فقالت عائشة رضي الله عنها أتأذن لي ان اكلمك فقال تكلمي ياأم المؤمنين فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى الى جنة ربه ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده وكذلك مضى ابو بكر على اثره وقد فتح الله عليك كنوز كسرى وقيصر وديارهما وحمل اليك أموالهما وذلل لك الطرفان المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد ورسل العجم يأتونك ووفود العرب تفد اليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك ويغدى عليك بجفنة من طعام ويراح عليك بأخرى تأكل منها انت ومن حضرك من المهاجرين والانصار فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك بكاء شديدا ثم قال سألتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز بر عشرة ايام او خمسة

ايام اوثلاثة اوجمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله عزوجل قالت لا قال أنشدك بالله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه طعام على مائدة فى ارتفاع شبر من الارض الا كان يأمر بالطعام فيوضع على الارض قالت اللهم نعم ثم قال انتما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامهات المؤمنين لكما على المؤمنين حق وعلى خاصة وقد أتيتمانى ترغبانى فى الدنيا وانى لأ علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف وربما حك جلده من خشونتها أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباءة على طاق واحد وكان مسح فى بيتك ياعائشة يكون بالنهار بساطا وبالليل فراشا ينام عليه وكان يرى أثر الحصير فى جنبه الا ياحفصة انت حدثتينى انك ثنيت له المسح ليلة فوجد لينه فرقد عليه فلم يستيقظ الا بأذان بلال فقال ياحفصة ماذا صنعت ثنيت المهاد حتى ذهب بى النوم الى الصباح مالى وللدنيا ومالدنيا ولى شغلتمونى بلين الفراش ياحفصة اما تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ولم يزل جايعا ساجدا راكعا باكيا متضرعا آناء الليل والنهار الى ان قبضه الله تعالى الى رحمته ورضوانه لاأكل عمر طيبا ولالبس لينا فله أسوة بصاحبيه ولاجمع بين ادامين الا الملح والزيت ولاأكل لحما الا فى كل شهر فخرجتا من عنده فأخبرتا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك حتى لحق عمر رضى الله عنه بالله عز وجل وكان رضى الله عنه يقول ان من ولى امر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب لهم عليه مايجب على العبد من النصح واداء الأمانة ولما اصاب الناس القحط فى العام الذى كانوا يسمونه عام الرمادة ما أكل عمر رضى الله عنه فى ذلك العام سمنا ولا سمينا قال انس رضى الله عنه قرقرت بطن عمر عام الرمادة من اكل الزيت فطعن بطنه بأصبعه وقال ليس عندنا غيره حتى يحيى الناس ومن ثم تغير لونه فى هذا العام حتى صار أسمر وقال مرة لمن كلمه فى طعامه ويحك آكل طيباتى فى الدنيا وأستمتع بها وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما كفى بالمرء سرفا ان يأكل كل ما اشتهى وكان رضى الله عنه يداوم على اكل التمر ولايداوم على اكل اللحم ويقول اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر أى ان له عادة تنزع النفس اليها كعادة الخمر وعن جعفر بن ابى العاص رضى الله عنه قال اكلت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخبز والزيت والخبز واللبن والخبز والخل والخبز واللحم القديد وأعلى ذلك اللحم الغريض أى الطرى وكان رضى الله عنه يقول لا تنخلوا الدقيق فانه كله طعام وأتى مرة بخبز غليظ فجعل يأكل ويقول لنا كلوا فجعلنا نعتذر فقال مالكم لا تأكلون فقلنا لا نأكله انت والله يا أمير المؤمنين نرجع الى طعام هو ألين من طعامك وعن حفصة رضى الله عنها قالت دخل على عمر مرة فقدمت له مرقة باردة وصببت عليها زيتا فقال ادامان فى اناء واحد لاأذوقه أبدا حتى ألقى الله عزوجل وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال دخل علينا امير المؤمنين عمر رضى الله عنه ونحن على مائدة فأوسعت له عن صدر المجلس فقال باسم الله ثم ضرب بيده فى لقمة فلقمها ثم ثنى بأخرى ثم قال انى لاجد طعم دسم غير دسم اللحم فقال عبد الله يا أمير المؤمنين انى خرجت الى السوق اطلب السمن لأشتريه فوجدته غاليا فاشتريت بدرهم من اللحم المهزول وجعلت عليه بدرهم سمنا فقال عمر رضى الله عنه ما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا اكل احدهما وتصدق بالآخر فقال عبدالله يا أمير المؤمنين اذن فلم يجتمعا عندى أبدا الا فعلت ذلك وعن جابر رضى الله عنه قال رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريت فقال عمر او كلما اشتهيت اشتريت ياجابر أما تخاف الآية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وجئ له مرة بلحم فيه سمن فأبى ان يأكله وقال كل واحد منهما أدام وكان رضى الله عنه يقول والله ما يمنعنا ان نأمر بصغار المعز فيسمط لنا ونأمر بلباب الحنطة فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فنأكل هذا ونشرب هذا الا انا نستبقى طيباتنا لأنا سمعنا الله يقول اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وكان رضى الله عنه يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعا بعضها بأدم وفى رواية من جراب ويطوف فى الأسواق وعلى عاتقه الدرة يؤدب الناس ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به وتأكله شياههم وقال أنس رضى الله عنه رأيت بين كتفى عمر رضى الله عنه اربع رقاع فى قميصه وقال ابو عثمان النهدى رأيت على عمر ازارا مرقوعا بأدم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن خطب الناس وعليه ازار فيه اثنا عشرة رقعة فيها أدم ولما حج لم يتظلل الا تحت كساء ونطع يلقيه على شجرة وكانت جملة نفقته فى حجته ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا فى هذا المال وقال نافع العبسى دخلت دار الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم فجلس عثمان فى الظل يكتب ومعه على قائم على رأسه يملى عليه مايقول عمر وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه بردان اسودان اتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يتفقد ابل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان رضى الله عنهما قال الله فى كتابه ان خير من استأجرت القوى الأمين هذا هو القوى الأمين وخطب عمر رضى الله عنه الناس مرة فقال والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسألنى الله عنه وخطب مرة فقال أيها الناس انى لم ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم و ليأخذوا أموالكم وانما ارسلتهم اليكم ليعلموكم امر دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الى فو الذى نفسى بيده لأقصنه منه وقال سلام بن مسكين كان عمر رضى الله عنه اذ احتاج شيأ أتى عبد الله بن مسعود وكان هو صاحب بيت المال فاستقرضه فربما اعسر فيأتيه صاحب بيت المال ليتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر فيعطيه أو يسأله الامهال حتى يخرج عطاؤه فاذا خرج عطاؤه قضاه قال سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحدا فعله منكم الا أضعفت عليه العقوبة وقال محمد بن سيرين قدم على عمر صهر له من مكة فطلب ان يعطيه من بيت المال فانتهره وقال أردت ان ألقى الله ملكا خائنا ثم اعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم وكان رضى الله عنه يقول احب الناس الى من رفع الى عيوبى وكان مرة [illegible] للمسلمين فدخلت ابنة له واخذت درهما فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة من احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر أصبعه فى فيها فأخرجه وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الاما للمسلمين قريبهم وبعيدهم

وكنس أى كنس ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه بيت المال مرة بأمر عمر فوجد درهما فرابن لعمر فأعطاه اياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا أبا موسى ما كان من اهل المدينة اهل بيت اهون عليك من آل عمر أردت ان لا يبقى احد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال مع ان المال كان حلالا ولكنه خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله صلى الله عليه وسلم من تركها أى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه وعن طارق بن شهاب قال قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فلقيه الجنود وعليه ازار ورداء وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلهما تحت ابطه فقالوا له يا أمير المؤمنين ألآن يلقاك الجنود وبطارقة الشام وانت على هذه الحال فقال عمر انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نلتمس العز فى غيره وروى انه قال يوما وهو على المنبر يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسى الى الدنيا كذا وميل رأسه فقام اليه رجل فاستل سيفه وقال نقول بالسيف كذا وأشار الى قطعه فقال عمر رحمك الله الحمد لله الذى جعل فى رعيتى من اذا تعوجت اقامنى وجاءته مرة برود من اليمن ففرقها على الناس بردا بردا ثم صعد المنبر يخطب وعليه بردان ازار ورداء فقال اسمعوا رحمكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال والله لا نسمع والله لا نسمع فقال عمر لم يا عبد الله قال لانك اعطيتنا بردا بردا وخرجت تخطب فى بردين فقال عمر أين عبد الله بن عمر فقال عبد الله هنا يا أمير المؤمنين فقال لمن احد هذين البردين اللذين على قال لى فقال للرجل عجلت على يا عبد الله انى كنت غسلت ثوبى الخلق فاستعرت ثوب عبد الله فقال الرجل قل الآن نسمع ونطيع ولما رجع رضى الله عنه من الشام ووصل الى المدينة تفرد عن الناس يوما ليعرف اخبارهم فمر بعجوز فى خبائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر لما رجع من الشام قال هو ذا قد اقبل من الشام ووصل الى المدينة قالت لا جزاه الله عنى خيرا قال ويحك لم قالت لانه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى الخلافة الى يومنا هذا دينار ولا درهم قال ويحك وما يدرى عمر حالك وانت فى هذا الموطن فقالت سبحان الله ما ظننت ان احدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها فصار يبكى ويقول واعمراه واخصوماه كل احد أفقه منك يا عمر ثم لم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ اقبل على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب عمر رضى الله عنه قطعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الى يومنا هذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عند وقوفى فى المحشر بين يدى الله عز وجل فعمر منه برئ شهد على ذلك على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود ورفع الكتاب الى على رضى الله عنه وقال له اذا تقدمتك أى مت قبلك فاجعلها فى كفنى وعن الاوزاعى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ليلة فى سواد الليل فرآه طلحة رضى الله عنه فتبعه فذهب عمر فدخل بيتا فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الاذى

فقال طلحة لنفسه ثكلتك امك يا طلحة أعثرات عمر تتبع رضي الله عنهما وعن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال بينا انا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صايف اذ رأى رجلا يسوق بكرين وعلى الارض مثل الفراش من الحر فقال عثمان رضي الله عنه ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى برد ثم تروح ثم دنا الرجل فقال انظر فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له هذا امير المؤمنين فقام عثمان رضي الله عنه فأخرج رأسه من الباب فاذا لفح السموم فأعاد رأسه حتى حاذاه قال ما أخرجك هذه الساعة قال بكران من ابل الصدقة تخلفا وقد مضى الراعي بابل الصدقة أردت أن الحقهما بالحما وخشيت ان يضيعا فيسألني الله عنهما فقال عثمان رضي الله عنه هلم يا أمير المؤمنين الى الماء والظل ونكفيك قال عد الى ظلك وسار فقلت عندنا من يكفيك فقال عد الى ظلك ومضى فقال عثمان رضي الله عنه من أحب ان ينظر الى القوي الامين فلينظر الى هذا أخرجه الشافعي رحمه الله في مسنده ولما جهز الجيوش لفتح العراق جعل الامير عليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلما فتحت القادسية كتب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالفتح وبعدة من قتل وبعدة من أصيب من المسلمين وأرسل ذلك مع سعد بن عميلة الفزاري وكان عمر رضي الله عنه يخرج خارج المدينة كل يوم يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار يسأل عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله فلقي هذا البشير المرسل في يوم من تلك الايام التي كان يخرج فيها فقال له من أين فأخبره والرجل المرسل راكب على ناقته يسير بسرعة وعمر رضي الله يخب على رجليه معه وهو يسأله والبشير لا يعرفه فقال له عمر أخبرني يا عبد الله قال هزم الله المشركين فأخبره الخبر فلم يزل عمر سائرا تحت ناقة ذلك البشير يسأله حتى دخل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتني رحمك الله انك أمير المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي وعن الاحنف بن قيس قال اخرجنا عمر رضي الله عنه في سرية الى العراق ففتح الله علينا العراق وبلاد فارس فاصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسينا منها فلما قدمنا على عمر رضي الله عنه أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا فاشتد ذلك علينا فشكونا الى ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال ان عمر زاهد في الدنيا وقد رأى عليكم لباسا لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخليفة من بعده فاتينا منازلنا فنزعنا ما كان علينا واتيناه في برد يعهدها منا فقام فسلم علينا رجلا رجلا واعتنقنا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا قبل فقدمنا اليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية فعرض في الغنائم شيء من انواع الخبيص من اصفر وأحمر فذاقه عمر فوجده طيب الطعم والريح فأقبل علينا بوجهه وقال يا معشر المهاجرين والانصار ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام ثم أمر به فحمل الى اولاد من قتل من المسلمين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ثم ان عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيأ من تلك الغنائم وعن الاحنف ايضا قال لما فتح العراق وحملت الي عمر خزائن كسرى قال له صاحب بيت المال الا ندخله بيت المال قال لا والله لا نأوي تحت سقف حتى أقسمه فبسط الانطاع في المسجد وكشفوا عن الاموال فرأى شيأ عظيما من الذهب والجوهر فقال ان الذي أدى

هذا الامين فقالوا انت امين الله وهم يؤدون اليك ماأديت الى الله تعالى فقسمه ولم يأخذ منه
شيأ وفي صحيح البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضرة حلوة وقال
الله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وقال عمر رضي الله عنه اللهم انا لا نستطيع
الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم انى اسألك ان أنفقه في حقه وفي رواية للدارقطني لما فتح
العراق وجاء الى عمر خزائن كسرى وأمواله بكى وقرأ زين للناس الآية ثم قال اللهم انا
لانستطيع الا أن نفرح بما زينته لنا فقني شره وارزقني ان انفقه في حقه وقسم تلك الاموال فما
قام حتى مابقي منها شئ وكان رضي الله عنه لما جاءت تلك الاموال يبكي و يقول ان الله زوى الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وفتحها لي فأخاف ان اكون مستدرجا وفي رواية رواها
الشافعي رضي الله عنه لما قدم على عمر رضي الله عنه ما اصيب من مال العراق قال له صاحب
بيت المال أدخله في بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يأوى تحت سقف بيت حتى
اقسمه فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه الانطاع وحرسه رجال من المهاجرين
والانصار فلما اصبح غدا ومعه العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف فلما كشفوا
الانطاع من الاموال رأى منظرا لم ير مثله من الذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلالى
فبكى عمر فقال له احدهما انه والله ماهو بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال والله
ماذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط الا وقع بأسهم بينهم ثم اقبل على القبلة
ورفع يديه الى السماء وقال اللهم انى اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قسم ذلك المال ولم يأخذ لنفسه منه شيأ رضي الله عنه وكان من جملة ماغنمه
المسلمون بالعراق بساط كسرى ويقال له بهار كسرى والقطيف وهو بساط واحد طوله ستون
ذراعا وعرضه ستون ذراعا كانت الاكاسرة ملوك فارس تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين
شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة
وخلاف ذلك فصوص كالدر وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في
الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه
ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قسم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الغنائم بين
الغانمين أراد ان يخرج خمس القطيف لبيت المال و يقسم أربعة أخماسه على الغانمين فلم تعتدل
قسمته فقال للمسلمين هل تطيب انفسكم عن اربعة اخماسه فنبعث به الى امير المؤمنين
يضعه حيث شاء فانا لا نراه يتقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا
فقالوا نعم فبعثه الى عمر رضي الله عنه فلما قدموا بالقطيف مع خمس الغنا ثم قال عمر
رضي الله عنه بعد ان قسم الاموال أشيروا على في هذا القطيف فمن بين مشير بقبضه
وابقائه في بيت المال وآخر مفوض اليه فقال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يجعل الله علمك جهلا ويقينك شكا انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت او لبست
فأبليت او اكلت فأفنيت انك ان تبقه عن هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له
فقال صدقتني ونصحتني فقطعه وقسمه بينهم قال في السيرة الحلبية فأصاب علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين الف دينار ولم يأخذ عمر رضي الله عنه من ذلك

لنفسه شيأ ولما فرض للمهاجرين الاولين العطا فرض لابنه عبدالله ثلاثة آلاف وكان من المهاجرين الاولين فقيل له انك فرضت للمهاجرين الاولين اربعة آلاف فلم نقصته من اربعة آلاف فقال انما هاجر به ابوه فليس هو كمن هاجر بنفسه وقسم مرة مالا فاعطى الحسن والحسين رضى الله عنهما الفا الفا واعطى ابنه عبدالله خمسمائة فقيل له يا امير المؤمنين ان ابنك عبدالله كان يضرب بالسيف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين طفلان يدرجان فى سكك المدينة تعطيهما الفا الفا وتعطيه خمسمائة فقال اذهب فأتنى بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد كجدهما وجدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما وخالة كخالتهما فانك لاتأتى به اما ابوهما فعلى رضى الله عنه واما أمهما ففاطمة الزهراء واما جدهما فمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم واما جدتهما فخديجة الكبرى واما عمهما فجعفر بن ابى طالب واما خالهما فابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما خالتهما فرقية وأم كلثوم بنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت صلته لأقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من غيرهم قال الزهرى كان عمر رضى الله عنه اذا أتاه مال من العراق اوغيره لم يدع رجلا عزبا من بنى هاشم الا زوجه ولا رجلا منهم ليس له خادم الا أخدمه وعن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال قدمت على عمر حلل من اليمن فقسمها بين المهاجرين والانصار ولم يكن فيها على قدر الحسن والحسين رضى الله عنهما فكتب الى صاحب اليمن ان يعمل حلتين على قدرهما ففعل وبعث بهما على عمر فلبساهما ولما دون الدواوين وفرض العطا بدأ ببنى هاشم وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحما فلما سمنت قدمت بها قال فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال لمن هذه فقيل لعبدالله بن عمر فجعل يقول بخ بخ ياعبدالله ابن امير المؤمنين قال فجئته أسعى فقلت مالك يا امير المؤمنين قال ماهذه الابل فقلت ابل انضاء يعنى مهازيل اشتريتها وبعثت بها الى الحما أبتغى مايبتغى المسلمون فقال أرعوا ابل ابن امير المؤمنين اشبعوا ابل ابن امير المؤمنين ياعبدالله اغد على رأس مالك وأتنى بباقيه أجعله فى بيت مال المسلمين ففعلت ذلك وفى رواية انه اخذ شطر الربح وجعله فى بيت المال فكأنه غرمه شطر الربح وجعله بالاجتهاد قيمة للكلا الذى للمسلمين وذكر بعضهم ان تلك الابل كانت لعبدالله واخيه عبيدالله شركة واخذ مرة ابناه عبدالله وعبيدالله مالا من ابى موسى حين ولايته بالعراق ليوا صلوه الى عمر بالمدينة فاستأذنا اباموسى ان يتجرا فى المال على سبيل القراض ويشتريا به شيأ يبيعانه فى المدينة فأذن لهما فاخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض وادخله بيت المال وقال لهما انما اعطيتما لمكانكما منى رأى انما كان اعطاؤهما المال والاذن لهما فى التجارة فيه لاجل انهما ابنا امير المؤمنين وعن قتادة قال بعث عمر رضى الله عنه رسولا الى ملك الروم فاستقرضت ام كلثوم بنت على رضى الله عنهما وكانت امرأة عمر دينارا فاشترت به عطرا وجعلته فى قارورة وبعثت به مع الرسول الى امرأة ملك الروم فلما اتاها بعثت لها شيأ من الجواهر وقالت للرسول اذهب به الى امرأة عمر فلما اتاها فرغته على البساط فدخل عمر فقال ماهذا فأخبرته فأخذ الجواهر وخرج بها الى المسجد ونادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس أخبرهم الخبر وأراهم

الجواهر وقال ماترون فى ذلك فقالوا انا نراها تستحق ذلك لانه هدية جاءتها من امرأة
لاجزية ولاخراج عليها ولايتعلق بها حكم من احكام الرجال فقال لكن الزوجة زوجة
امير المؤمنين والرسول رسول امير المؤمنين والراحلة التى ركبها للمؤمنين وماجاء ذلك كله
لولا المؤمنون فأرى ان ذلك لبيت مال المسلمين ونعطيها رأس مالها فباع الجواهر
ودفع لزوجته دينارا وجعل مابقى فى بيت مال المسلمين ويروى ان امرأة ابى عبيدة ارسلت
الى امرأة ملك الروم هدية مثل تلك الهدية فكافأتها بجوهر فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه
فاخذه فباعه واعطاها ثمن هديتها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين واتى عمر مرة بمسك فامر
ان يقسم بين المسلمين ثم سدأنفه فقيل له فى ذلك فقال وهل ينتفع الا بريحه ودخل يوما
على زوجته فوجد معها ريح مسك فقال ماهذا قالت انى بعت من مسك فى بيت مال المسلمين
ووزنت بيدى فلما وزنت مسحت اصبعى فى متاعى هذا فقال ناولينى متاعك فاخذه
فصب عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه فى التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه وعن سفيان
ابن عيينة ان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه بعدان فتح العراق وهو على الكوفة كتب
الى عمر رضى الله عنه يستأذن فى بناء منزل يسكنه فكتب اليه ابن مايسترك من الشمس
[illegible] من الغيث وعن ابى عثمان النهدى قال كتب عمر الينا ونحن باذربيجان مع عتبة
ابن فرقد يقول ياعتبة انه ليس من كدك ولامن كدابيك فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع
منه فى رحلك واياكم والتنعم وزى اهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن لبوس الحرير واخرج ابن السماك عن ابى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه
قال بينما عمر رضى الله عنه يمشى فى طريق من طرق المدينة اذلقيه على والحسن
والحسين رضى الله عنهم فسلم عليه على رضى الله عنه واخذ بيده واكتنفهما الحسن والحسين
عن يمينهما وشمالهما فعرض لعمر رضى الله عنه من البكاء ماكان يعرض له فقال له على
رضى الله عنه مايبكيك ياامير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه من أحق منى بالبكاء ياعلى وقد
وليت امر هذه الامة أحكم فيها ولاأدرى أمسيء أنا أم محسن فقال له على والله انك لتعدل
فى كذا وتعدل فى كذا فما منعه ذلك من البكاء ثم تكلم الحسن بماشاء الله فذكر من ولايته وعدله
فلم يمنعه ذلك فتكلم الحسين مثل كلام الحسن فانقطع بكاؤه ثم قال اتشهدان لى بذلك يعنى
العدل فقال على رضى الله عنه اشهدا وانا معكما شهيد وعن الشعبى ان على بن ابى طالب رضى الله
عنه قال لأهل نجران ان عمر كان سيد الامة وان أغير شيأ صنعه وعنه ايضا ان عليا
رضى الله عنه لما دخل الكوفة قال ما كنت أحل عقدة شدها عمر وعن الحسن بن على
رضى الله عنهما قال لااعلم ان عليا خالف عمر ولاغير شيأ مما صنعه وعن زيد بن على بن الحسين
رضى الله عنهم ان عليا رضى الله عنه كان يشبه بعمر فى السيرة وعن ابى اسحاق عمن حدثه
انه كان جليسا لعلى رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا فقيل له مايبكيك ياامير المؤمنين قال ذكرت
فراق عمر وهذا البرد على كسانيه خليلى وصفيى وصديقى وصاحبى عمر بن الخطاب وقال مرة
ان عمر ناصح [illegible] صلى الله عليه وسلم فنصحه الله ثم بكى وكان على رضى الله عنه يقول اذا
ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وكان على رضى الله عنه [illegible] لا بلغنى ان احدا فضلنى على عمر

الاجلدته حد المفترى وخطب مرة على رضى الله عنه خطبة طويلة وقال فيها وان الله تعالى
صير الامر الى عمر فى المسلمين فنهم من رضى ومنهم من سخط فكنت ممن رضى فوالله
مافارق الدنيا حتى رضى به من سخط فاعز الله باسلامه الاسلام وجعل للدين قواما وضرب
الله الحق على لسانه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقذف الله فى قلوب المؤمنين الحب
له وفى قلوب المنافقين الرهبة منه سيرته سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لكم مثله
وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما توفى عمر وسجى رضى الله عنه
وقف عليه على بن ابى طالب رضى الله عنه وقال ماعلى الارض رجل احب الى ان ألقى الله
بصحيفته من هذا المسجى زاد فى رواية لابن السماك ثم بكى على رضى الله عنه حتى اخضلت
لحيته بالدموع وفى رواية اخرى ان عليا رضى الله عنه قال رحمك الله يا ابن الخطاب
ان كنت لآيات الله لعالما وان كان الله فى صدرك لعظيما وان كنت لتخشى الله ولا تخشى
الناس فى الله جوادا بالحق بخيلا بالباطل خميصا من الدنيا بطينا من الآخرة وعن
اوس بن حكيم قال رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه حين موت عمر رضى الله عنه
قدنكس راسه ثم رفعه فقال واعمراه يانقى الثوب قليل العيب واعمراه ذهب بالسنة وابقى
الفتنة اصاب والله ابن الخطاب خيرها وانجى شرها وروى ان ملك الموت لما دخل دار عمر
ليقبض روحه سمعه عمر وهو يقول هذا بيت امير المؤمنين ليس فيه شئ كأنه القبر فأجابه
عمر وقال ياملك الموت من تكون انت خلفه هكذا يكون بيته واخرج ابو يعلى عن عمار بن ياسر
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل
حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه ما نفدت
فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابى بكر رضى الله عنهما وربما ان العقول القاصرة
تستبعد كثرة هذه الفضائل لعمر رضى الله عنه لكن من كان ذا بصيرة وأمعن فكره فيما خص الله
به عمر من الفضائل فى نفسه وفيما أجراه الله على يديه وماحصل للاسلام وأهله بسببه
من كونه أعز الله به الاسلام فى ابتدائه ومن كثرة الفتوحات التى فتحها الله على يده حتى كثر
العلم واتسع الاسلام وكثر المسلمون يتضح له أن كل خير وقع لأهل الاسلام منذ خلافته
رضى الله عنه الى يوم القيامة كله من فضائل عمر رضى الله عنه ومن حسناته ويكتب الله له
مثل أجورهم وذلك كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه ولو مكث العبد منذ لبث نوح فى قومه
واخرج عبدالله بن الامام احمد فى زوائد المسند عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انى لأرجو لأمتى فى حبهم لأبى بكر وعمر ماأرجو لهم فى قول لا اله
الا الله واخرج ابوذر الهروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وأنا مع عمر والحق
بعدى مع عمر حيث كان وهذا مثل ماقاله صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه حيث
قال وأدر الحق معه حيث دار فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما كان مع الحق ولهذا كان على
رضى الله عنه مع الخلفاء الثلاثة قبله فى زمن خلافتهم ولم ينازع أحدا منهم لعلمه بأنهم كانوا مع
الحق فكان هو معهم فلما جاءت نوبة خلافته رضى الله عنه ونوزع فى ذلك قاتل من نازعه ولا
يصح أن ينسب اليه ان سكوته فى زمن خلافة الخلفاء الثلاثة كان تقية حاه الله من المداهنة

في دين الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم قال المسعودي في تاريخه المسمى مروج الذهب في صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه كل منهم يتشبه به ممن غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم ويشتمل بالعباء ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان اكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الأموال وكان من عماله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر الشام شكاه اهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تضيع فراستي فيه ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم و بينه قال ماذا تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول ياسعيد قال ياأمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال ما تقول ياسعيد قال قد كنت اكره ان أذكر هذا اني قد جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم في الشهر لا يخرج الينا قال نعم ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي فقال عمر الحمد لله الذي لم يضيع فراستي فيك ثم قال عمر يا أهل حمص ما تقولون فقالوا ما نريد غيره فأبقه لنا ياأمير المؤمنين فقال استوصوا به خيرا ثم بعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما كنا اليه يعني يوم القيامة قالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال فاعتق بهذه الى فلان وبهذه الى فلان يتيم آل فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء فدفعه الى امرأته فقال انفقي هذه وعاد الى خدمته فقالت له امرأته الا تبعث بذلك المال فنشتري لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه يعني يوم القيامة وذكر بعضهم هذه القصة وزاد فيها فقال وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر الف دينار فجاء الى اهله حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث امر قال أشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وروى بعضهم هذه القصة فقال لما بعث عمر رضي الله عنه سعيد بن عامر واليا على حمص اشتدت فاقته حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين عليه فقالت له امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتما ابلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت أبلغك عن ثغور المسلمين شيء فقال أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها وصحبت ابابكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت وما ذكرك بأبي انت وأمي قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأنت آمن من هذا فقال فان أمير المؤمنين أرسل الي بأربعمائة دينار وعزم علي ان أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا والله ما أحب ان لى بها حمر النعم وانى أحبس عن الفوج الأول قالت فدونكها فاصنع بها ما شئت فقال هل من خرق فأعطته درعا لها خلقا فزقه خرقا ثم صر فيه ما بين اربعة الى عشرة ثم طرحها فى مخلاة ثم خرج الى باب الرستاق من حمص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة فى المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم رجع فذهب عنه ما قام به واسترواح وذكر الحافظ ابو نعيم فى الحلية هذه القصة فقال ما نصه قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى فلما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمص قال يا اهل حمص كيف وجدتم عاملكم فشكوا اليه وكان يقال لاهل حمص الكوفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكوا أربعا لايخرج الينا حتى يتعالى النهار قال اعظم بها قال وما ذا قالوا لايجيب احدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا له يوم من الشهر لايخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وماذا قالوا يغط الغطة بين الأيام حتى تأخذه موتة يعنون انه يغشى عليه قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لا يفل فيه رأيى اليوم ما تشكون منه قالوا لايخرج الينا حتى يتعالى النهار قال سعيد والله انى كنت لأكره ذكره ليس لأهلى خادم فأعجن عجينى فأجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم اخرج اليهم فقال ما تشكون منه ايضا قالوا لايجيب احدا بالليل فقال ان كنت لأكره ذكره انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون ايضا قالوا ان له يوما من الشهر لايخرج الينا فيه فقال ليس لى خادم يغسل ثيابى ولالى ثياب أبدلها فأغسل ثيابى وأجلس حتى تجف فألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وما تشكون منه ايضا قالوا يغط الغطة بين الأيام فقال شهدت مصرع خبيب الأنصارى حين قبضت عليه قريش بمكة وقد بضعت أى قطعت قريش لحمه ثم صلبوه على جذع ثم قالوا ألا تحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب انى فى اهلى وان محمدا يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته وهو فى تلك الحالة وانا مشرك لا أؤمن بالله العظيم الا ظننت ان الله لايغفر لى بذلك الذنب ابدا قال فتصيبنى تلك الغطة فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل رأيى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على فقرك فقالت امرأته الحمد لله الذى اغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك من خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها احوج ما يكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من اهله يثق به فصرها صررا شديدا ثم قال انطلق بهذه الى ارملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منه ذهبة فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت الا تشترى لنا خادما قال سيأتيك احوج ما تكونين اليه والظاهر ان القصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة الذين رووا القصة بالمعنى وروى ايضا ان عمر بن الخطاب كتب الى اهل حمص اكتبوا لى فقراءكم فكتبوا له اسماء الفقراء وكتبوا له عمير بن سعيد ولعله ابنه كان اميرا بعده قال عمر لما قرأ اسمه قال من عمير بن سعيد قالوا أميرنا قال أوفقير هو قالوا ليس اهل بيت أفقر منه قال أين عطاؤه قالوا يخرجه كله لايمسك منه شيأ قال فوجه اليه مائة دينار فأخرجها كلها فقالت امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتينى فعلت ذكر هذه الحكاية ابو طالب المكى فى القوت ونسبها لعمير بن سعيد وكتب لسعيد بن عامر عمر مرة يطلب قدومه الى المدينة فلم يرمعه الا

عكازا وقدحا فقال له عمر ليس معك الا ما أرى فقال له سعيد بن عامر وما أكثر من هذا عكاز
أحمل عليه زادي وقدح آكل فيه وأشرب به وعبارة الاحياء في هذه القصة نسبها لابنه عمير
فقال ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معي
عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل
فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة وما كان
بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر رضي الله عنه صدقت رحمك الله فهكذا كان الأمراء
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وأنفق بعض عمال عمر رضي الله عنه عنده عشرة
دراهم لا تخاذ بيت خلا لقضاء حاجته واخذها من بيت المال فعزله من امارته وقال أما وجدت
موضعا تقضي فيه الحاجة حتى اخذت عشرة دراهم من بيت المال اتخذت بها بيت خلا لقضاء
حاجتك وكان رضي الله عنه اذا استعمل عاملا كتب ماله ليعلم بعد ذلك ما يكون عنده من المال
وكان يأمر عماله بعد مضي مدة من اماراتهم يكتبون اموالهم فيأخذ شطر اموالهم ويدخله
في بيت المال احتياطا لهم وبراءة لذمتهم وكانوا يرضون بذلك ويرون المنة له عليهم وقال
بعض العلماء ان عمر رضي الله عنه رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على
حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا ومن عماله على المدائن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل
عليه رجل وهو يعجن فقال ماهذا يا أبا عبد الله فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع
له عملين وكان يلبس الصوف ويركب الحمار بغير اكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا
زاهدا فلما احتضر جعل يبكي ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة
عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداوة
ومطهرة وركوة ومن عماله رضي الله عنه ابو عبيدة بن الجراح كان اميرا على الشام وعلى جميع
الأجناد وأمرائها كان يلبس الصوف الجماني ويأكل الخشن من الطعام فعير على ذلك وقيل
له انك بالشام وحولنا الأعداء فغير من زيك واصلح من شارتك فقال ما كنت بالذي اترك
ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في منزله بالشام فلم
يجد فيه غير سرج فرسه ورحل بعيره وسيفه ورمحه وركوة ومطهرة فقال له عمر أين
متاعك يا ابا عبيدة لا أرى الا لبدا أو شنا او صحفة وأنت امير الشام اعندك طعام فقام ابو
عبيدة الى جونة فأخرج منها كسيرات فبكى عمر رضي الله عنه فقال ابو عبيدة رضي الله
عنه يا امير المؤمنين يكفي من الدنيا ما بلغ المقيل فاحتقر عمر نفسه في الزهد بالنسبة لأبي عبيدة
فقال غرتنا بعدك الدنيا يا أبا عبيدة ويروى ان عمر رضي الله عنه صر اربعمائة دينار وقال
للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة ثم تلكأ في البيت ساعة فقال ابو عبيدة ياجارية اذهبي بهذه
السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها ورجع الغلام الى عمر فأخبره ووجده
قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ففعل مثل ابي عبيدة الى ان بقي ديناران فقالت امرأة معاذ
ونحن والله مساكين فأعطنا فرمى بهما اليها فرجع الغلام فأخبر عمر بذلك فقال هما
اخوة بعضهم من بعض ووقف اعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال

* ياعمر الخير جزيت الجنه * يوم تكون الاعطيات منه *

* والواقف المسؤل بينهنه ❁ اما الى نار" واما جنه *

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه ياغلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم أما والله لا أملك غيره وكان رضى الله عنه يقول فى الخلافة من يأخذها بما فيها وكان يقول رضى الله عنه ليتنى لم أخلق ليت أمى لم تلدنى ليتنى لم اكن شيأ ليتنى كنت نسيا منسيا وأخذ مرة تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه وكان يدخل يده فى دبرة البعير و يقول انى اخاف ان أسأل عنك وكان رضى الله عنه يدنى يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا من صبر وكان رضى الله عنه كثير البكاء حتى كان بوجهه خطان أسودان من البكاء وكان رضى الله عنه يقول ليتنى كنت كبشا أهلى سمنونى مابدالهم ثم ذبحونى فأكلونى فأخرجونى عذرة ولم اكن بشرا وكان رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وكان رضى الله عنه يقول من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع مايريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون وقرأ مرة اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت فخر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف عمر رضى الله عنه يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولايدرون ما مرضه ولما طعن رضى الله عنه وايقن بالموت كان يقول ويلى وويل أمى ان لم يرحمنى ربى والله انى وددت أن أخرج من الدنيا كفافا لا أجرلى ولاوزر على وقال أيضا لو ان لى ماطلعت عليه الشمس وغربت لافتديت من هول المطلع وخرج عمر رضى الله عنه يوما من المسجد ومعه الجارود العبدى وبينما هما يمشيان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك ياعمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولى قالت ياعمر عهدى بك انك تسمى عميرا فى سوق عكاظ وتصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى تسميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى تسميت امير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم ان من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر رضى الله عنه فقال الجارود قد اجترأت على امير المؤمنين وأبكيتيه فقال عمر دعها اماتعرف هذه ياجارود هذه خولى بنت حكيم التى أنزل الله فيها قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله فاذا سمع الله قولها فعمر أحرى ان يسمع كلامها قال ابن سعد اتخذ عمر رضى الله عنه دارا للدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه لاعانة المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق مايصلح به شأن من انقطع وهدم المسجد النبوى وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصا وكذا وسع مسجد مكة وأخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجت مع عمر بن الخطاب مرة الى موضع بظاهر المدينة فرأى نارا فقال ياأسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضربهم الليل والبرد فقلت لاأعلم ياامير المؤمنين فقال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على تلك النار وصبيانها يبكون فقال عمر السلام عليكم ياأهل هذا الضوء وكره ان يقول ياأهل هذه النار فقالت المرأة وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أودع فقال لها مابال هذه الصبية يتضاغون فقالت من الجوع قال فما هذه القدر

قالت ماء جعلته فى القدر أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر بن الخطاب قال يرحمك الله وما يدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا قال أسلم فأقبل على عمر فقال انطلق بنا فخرجنا حتى اتينا الى دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله على فقلت انا احمله عنك فقال انت تحمل وزرى لاأملك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه اليها وهو يهرول حتى أتينا اليها فألقى ذلك العدل عندها ثم أخرج قطعة من دهن وألقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى من الدقيق وأنا أحرك لك فكان يحرك تارة وينفخ فى النار تارة أخرى قال أسلم فوالله لقد رأيت امير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال للمرأة أعطنى شيأ فأتته بقصعة او قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا اسطح لكم ثم توارى عن المرأة وجعل يربض كما يربض الاسد وأنا اقول يا امير المؤمنين ماخلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام عمر وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى وقصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون وعن الاعمش قال اتى عمر بن الخطاب مرة باثنين وعشرين الف درهم فلم يقم حتى فرقها بين المسلمين ولم يأخذ منها شيأ وكان اذا أعجبه شئ من ماله تصدق به وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له فى ذلك فقال انى أحبه وقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان رضى الله عنه يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحما يومين متتابعين يضرب به بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج الى [illegible] اس وقال انما حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره وكان ازاره [illegible] فوعا بقطعة من جراب وعدوا مرة فى قميصه أربع عشرة رقعة احداها من أدم أحمر [illegible] كان رضى الله عنه أبيض اللون يعلوه حمرة وانما صار فى لونه سمرة عام الرمادة حين أكثر [illegible] ن أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف [illegible] يأكل غير الزيت فى تلك الايام حتى يوسع الله على المسلمين ومكث ذلك الغلاء تسعة أشهر وصارت [illegible] لارض سوداء مثل الرماد وكان يخرج فى تلك الايام يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجا فليأتنا وكان يقول اللهم لاتجعل هلاك امة محمد صلى الله عليه وسلم على يدى ومن كلامه [illegible] ضى الله عنه من خاف الله لايفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ومن كلامه رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا [illegible] انه أهون عليكم من الحساب غدا والذى بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان الله يسألنى عنه ولما طعن رضى الله عنه دعا بلبن فشرب به فخرج من طعنته فقال الله اكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت ان اخرج منها كفافا كما دخلت فيها لو أن لى اليوم ماطلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع وجاء رجل شاب فى ذلك اليوم فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عزوجل قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وقدم فى الاسلام ماقد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى فلما أدبر الرجل اذا ازاره يمس الارض

فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك واتقى لربك ودخل عليه يوم طعن على بن ابى طالب رضى الله عنه يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس رضى الله عنهما فأثنى عليه وقال كنت وكنت ووعده بخير من ربه فقال له عمر أنت لى بهذا أيا ابن عباس فأومأ اليه على رضى الله عنه أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرنى أنت وأصحابك وفى رواية يا ابن عباس المغرور من غررتموه لو ان لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع والله وددت انى أخرج منها كفافا لا على ولا لى وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما طعن عمر رضى الله عنه دخلت عليه فقلت ابشر يا أمير المؤمنين فان الله تعالى مصر بك الامصار ودفع بك النفاق وأفشى بك من الرزق فقال عمر أفى الامارات تثنى على يا ابن عباس فقلت وغيرها فقال والذى نفسى بيده لوددت أنى خرجت منها كما دخلت لا أجر ولا وزر وقال حماد بن زيد قال ابن عباس رضى الله عنهما لما طعن عمر رضى الله عنه كنت قريبا منه فمسست بعض جلده وقلت هنيأ لك جلد لا تمسه النار فنظر الى نظرة جعلت ارثى له منها ثم قال وما علمك بذلك قلت يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ففارقك وهو عنك راض ثم صحبت المسلمين وأحسنت صحبتهم فان فارقتهم فهم عنك راضون فقال أما ما ذكرت من صحبتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانما كان ذلك منا من الله عز وجل من به على فلو ان لى ما فى الارض من شئ لافتديت به من عذاب الله قبل ان أراه وقال صالح بن كيسان قال ابن عباس رضى الله عنهما دخلت على عمر رضى الله عنه فى ايام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس قال لئن لم يكن على اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت احب ان أنجى نفسى وأنجو منكم وما كنت من أمركم الا كالغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هى ما لبستها فأخلقتها وثمرتكم يانعة فى اكمامها ما أكلتها وما جنيت ما جنيت الا لكم ولا تركت درهما ما عدا الثلاثين او اربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه فقلت يا أمير المؤمنين ابشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك فقال المغرور والله من غررتموه اما والله لو ان لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ولما حضرت عمر الوفاة غشى عليه فأخذت رأسه فوضعتها فى حجرى فقال ضع رأسى بالأرض لعل الله يرحمنى فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لأمه ان لم يغفر الله له فقلت وهل فخذاى والارض الا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسى بالارض لا أم لك كما آمرك فوضعته فى الارض فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولأم عمر ان لم يغفر الله له ويعفو عنه ثم قال فاذا قضيت فأسرعوا بى الى حفرتى وانما هو خير تقدمونى اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك قال خبر السماء لا أدرى الى جنة ينطلق بى او الى نار قال عروة بن الزبير ولما طعن عمر رضى الله عنه قالوا له لو استخلفت قال ان تركتكم فقد ترككم من هو خير منى وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير منى

ولوكان ابو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول انه أمين هذه الأمة ولوكان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما ليحب الله حبا لولم يخفه لم يعصه فقالوا له لو انك عهدت الى ابنك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فانه لذلك اهل في دينه وفضله وقديم اسلامه فقال بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت اني نجوت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي ثم كلموه مرة أخرى فقالوا لو عهدت فقال كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولي رجلا أمركم يحملكم على الحق وأشار الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم رأيت ان لا أتحملها حيا وميتا ثم دعا أصحاب الشورى الذين سيأتي ذكرهم فلم يكلم أحدا منهم غير علي وعثمان رضي الله عنهما فقال يا علي لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك قرابتك من النبي صلى الله عليه وسلم وصهرك وما آتاك الله من الفقه والعلم فان وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال يا عثمان لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك صهرك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنك وشرفك فان وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ولا تحملن بني معيط على رقاب الناس ثم جعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض كما روى ذلك ابن عمر وغيره وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص على أن يكون الخليفة واحدا منهم ان يتفقوا عليه فان اختلفوا فما يتفق عليه اكثرهم فان تساووا يحكمون عبد الله بن عمر بينهم فان لم يرضوا بحكمه يقدموا قول الحزب الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وأمر ان يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر كالتعزية له وليس هو منهم في أمر الخلافة فلما خرجوا من عنده قال لو ولوها عليا سلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تستخلفه قال أكره ان أتحملها حيا وميتا وروى أن عمر رضي الله عنه عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يستخلفه ويجعله ولي عهده فقال له عبد الرحمن أتشير علي بذلك ان استشرتك فقال لا والله فقال عبد الرحمن اذا لا أرضى أن أكون خليفة بعدك وبعد ان ذكر عمر رضي الله عنه الستة اصحاب الشورى قال ما أظن يلي الا أحد هذين الرجلين وأشار الى علي وعثمان فان ولي عثمان فرجل فيه لين وان ولي علي ففقيه وعابد وأحرى ان يحملهم على طريق الحق وان ولوا سعدا فهو أهل والا فليستعن به الوالي فاني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وفي رواية قال عمر رضي الله عنه ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فان أصاب الأمر من فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله يعني عن امارة الكوفة عن عجز ولا خيانة ثم قال أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار وأوصيه بأهل الأمصار ثم لما توفي عمر رضي الله عنه وفرغوا من دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها تفرغ أصحاب الشورى للاجتماع فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير

جعلت أمري الى علي وقال سعد جعلت أمري الى عبدالرحمن بن عوف وقال طلحة جعلت أمري الى عثمان وقيل ان طلحة كان غائبا وماحضر الابعد تمام الامر ثم خلا هؤلاء الثلاثة فقط وهم عبدالرحمن بن عوف وعلي وعثمان رضي الله عنهم فقال عبدالرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر و يفوض الامر اليه فيولين أفضل الرجلين الباقيين وليحرص على صلاح الأمة فسكت الشيخان علي وعثمان رضي الله عنهما فقال عبدالرحمن بن عوف اجعلا الامر الي والله علي والاسلام أن أجتهد فأولي أولاكما فقالا نعم ثم خاطب كلا منهما بمافيه من الفضل وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل واحد منهما نعم ثم خلا بعلي فقال له أرأيت ان لم أولك فمن تشير علي به قال عثمان وخلا بعثمان فقال له ان لم أولك فمن تشير علي به قال علي بن ابي طالب ثم تفرقوا ومكث عبدالرحمن ثلاث ليال يستشير الناس فيمن يوليه و يجتمع برؤس الناس وأمراء الأجناد وأشراف الناس وغيرهم جميعا واشتاتا مثنى وفرادى سرا وجهرا حتى انه ذهب الى النساء المخدرات في حجالهن حتى سأل الولدان في المكاتب وسأل من يرد من الركبان والأعراب الواردين الى المدينة في ثلاثة أيام بلياليهن قال فلم أجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان على علي رضي الله عنه الا ما ينقل عن عمار والمقداد فانهما أشارا بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعض العلماء وكان السبب في ذلك اي أن الاكثرين اختاروا عثمان ان عثمان رضي الله عنه كان فيه لين وعدم شدة وكان علي رضي الله عنه يشبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشدة ومضت مدة خلافة عمر رضي الله عنه وهي عشر سنين ونصف سنة وهم منقادون له يسيرون بسيرته وفتحت لهم الأمصار وكثرت عندهم الأموال فأحبوا ان يكون لهم بعض التخفيف من تشديد وعلموا أنه لوكان الأمر لعلي رضي الله عنه لم يحصل التخفيف الذي يريدونه بل يسلك سبيل عمر ويسير بسيرته سواء بسواء أو أشد من ذلك هذا هو السبب في تقديمهم عثمان على علي ر[ضي] الله عنهم وليس عندهم طعن في علي رضي الله عنه ولا كراهة لشئ من أخلاقه ولا يشكو[ن] في حصول العدل منه هذا هو اللائق الذي ينبغي حمل افعال الصحابة عليه رضي الله عن[هم] اجمعين وربما ان الذي يقف على مايذكره المؤرخون في شرح هذه القصة يفهم منه [ان] كلا من علي وعثمان وبقية اصحاب الشورى كان لكل واحد منهم رغبة في ان تكون الخلاف[ة] له فهذا ان صح فليحمل على ان كل واحد منهم يريد ان يكون منه القيام بالعدل واقامة الد[ين] والقيام بمصالح المسلمين لما في ذلك من الاجر والثواب عندالله تعالى ولا يتوهم من له [ادنى] ايمان ان يكون مرادهم الرياسة واستيفاء حظوظ النفس حاشاهم الله من ذلك بل لا يريد ك[ل] واحد منهم الا القيام باظهار الحق كما شهد لهم الله سبحانه وتعالى بذلك في آيات كثيرة وأ[خبر] أنه رضي عنهم ورضوا عنه وكذلك الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه و[سلم] في حقهم تشهد لهم بذلك فاحذر ان تتوهم ظن سوء بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه [وسلم] فان المظلمة المتعلقة بأحد منهم ما لا يغفر كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة والحاصل ان عبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنه اجتهد في ذلك ثلاثة ايام بلياليهن كل الاجتهاد بحيث انه لم يغتمض بكثير نوم ولم يزل في صلاة ودعاء واجتهاد واستخارة وسؤال من ذوي الرأي وغيرهم حتى

حاول ربات الحجال فى خدورهن فلم يجد أحدا يعدل بعثمان زاد فى رواية انه قال فى آخر ليلة للمسور بن مخرمة وكان ابنا لأخت عبد الرحمن بن عوف ادع لى الزبير وسعد بن ابى وقاص فدخلا عليه فشاورهما ثم انصرفا ثم قال ادع لى عليا قال فدعوته فناجاه الى ثلث الليل ثم قام من عنده وكان من جملة ماقال له أرأيت او صرف هذا الأمر عنك من كنت ترى أحق به قال عثمان قال المسور بن مخرمة فلما خرج من عنده قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما مؤذن الصبح وقال له مثل ماقال لعلى رضى الله عنه او صرف عنك هذا الأمر من كنت ترى أحق به قال على بن ابى طالب وقال للزبير كذلك فأشار بعثمان وقال لسعد كذلك فأشار بعثمان وكذلك شاور المهاجرين والأنصار وكلهم أشار بعثمان وجاء فى رواية عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه انه قال فلما كانت الليلة التى يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت امير المؤمنين عمر رضى الله عنه جاء عبد الرحمن الى منزلى وانا نائم فقال أنائم انت يامسور والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث اذهب فادع لى عليا وعثمان قال المسور ياخالى بأيهما أبدأ فقال بأيهما شئت قال فذهبت الى على فقلت اجب خالى قال امرك أن تدعو معى أحدا قلت نعم قال من قلت عثمان بن عفان قال بأيهما بدأ قلت لم يأمرنى بذلك بل قال ادع أيهما شئت اولا فجئت اليك فخرج معى فلما مررنا بدار عثمان جلس على حتى دخلت الى عثمان فوجدته يوتر مع الفجر فدعوته فقال لى مثل ماقال على سواء ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى فلما انصرف اقبل على على وعثمان فقال انى سألت الناس عنكما فلم أجد احدا يعدل بكما ثم اخذ العهد على كل واحد منهما لئن ولاه ليعدلن ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن فقالا [..]م خرج بهما الى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى عممه بها رسول الله صلى الله [علي]ه وسلم وتقلد سيفا وبعث الى وجوه الناس من المهاجرين والانصار ليحضروا فى المسجد [ون]ادى فى الناس عامة الصلاة جامعة وامتلأ المسجد حتى غص بالناس وازدحم الناس [وت]راصوا حتى انه لم يحصل لعثمان بن عفان موضع يجلس فيه الا فى اخريات الناس وكان [ر]جلا شديد الحياء ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الدرجة [ا]لتى كان يجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف وقوفا طويلا ودعا دعاء طويلا لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال أيها الناس انى قد سألتكم سرا وجهرا مثنى وفرادى وجمعا وأشتاتا فلم أجد [اح]دا منكم يعدل بأحد هذين الرجلين اما على واما عثمان فقم الى يا على فقام اليه فوقف تحت [الم]نبر وأخذ عبد الرحمن بيده فقال له هل انت مبايعى على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله [ع]ليه وسلم وفعل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال على على قدر جهدى وطاقتى قال فأرسل يده قال [ق]م يا عثمان فأخذ بيده فقال هل انت مبايعى على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل [ا]بى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال اللهم نعم قال فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد وقال [..]م اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم قد جعلت مافى رقبتى من ذلك فى [ر]قبة عثمان وبايعه وازدحم الناس يبايعون عثمان رضى الله عنه حتى غشوه تحت المنبر قال وقعد عبد الرحمن بن عوف مقعد النبى صلى الله عليه وسلم وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية وجاء الناس يبايعونه وبايعه على بن ابى طالب رضى الله عنه اولا ويقال آخرا وماذكرناه هو الثابت

فى ولاية عثمان رضى الله عنه كما حققه العلماء المحققون من اهل السنة منهم السيد الشريف طاهر بن هاشم باعلوى فى كتابه المسمى مجمع الأحباب ثم قال ولا تغتر بما سوى هذا مما ينقله الروافض فانه لا أصل له والله سبحانه وتعالى أعلم واعترض بعض المبتدعة على عمر بن الخطاب فى عدم ادخاله العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشورى وأجاب اهل السنة عن ذلك بأن العباس رضى الله عنه كان صديقا لعمر وانما لم يدخله فى اهل الشورى لأن الأمر عندهم كان مبنيا على تقديم السابقية فى الاسلام والعباس رضى الله عنه كان ممن تأخر اسلامه وكان صديقا لعمر رضى الله عنهما هذا عذر عمر رضى الله عنه فى عدم ادخاله العباس رضى الله عنه فى اهل الشورى ولم ينكر عليه ذلك العباس ولا احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأن الأمر عندهم مبنى على الأسبقية فى الاسلام قال الامام محمد بن الحسن وانما لم يدخل معهم سعيد ابن زيد مع انه احد العشرة المبشرين بالجنة لأنه كان ابن عم لعمر بن الخطاب فخشى انه اذا أدخله معهم يكون ذلك منه محاباة له لكونه من أقاربه فما أحب ان يتقلدها ابنه ولا أحد من أقاربه فهكذا كان احتياط عمر وورعه رضى الله عنه ثم ان الناس مكثوا ست سنين من خلافة عثمان وهم على غاية من الاتفاق والرضا كما كانوا فى خلافة عمر رضى الله عنه بل قال بعضهم أحبوا عثمان اكثر من محبتهم لعمر رضى الله عنهما للينه ورفقه ثم فى الست السنين الثانية وقع الاختلاف وأوقعه جماعة لم تكن لهم سابقية فى الاسلام وكان الأصل فى ذلك عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ظاهرا وليس له غرض فى الاسلام الا قصد ايقاع الفرقة بين أهل الاسلام وأدخل على الناس شبهة من حيث تولية عثمان كثيرا من أقاربه على كثير من الأمصار مع ان عثمان رضى الله عنه كان يفعل ذلك باجتهاد منه يراه هو الصواب ويرى ان أقاربه أقرب الى اعانته على العدل فلا لوم عليه فى ذلك على ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك كله فكان ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه فوقع كما أخبر وكل ذلك كان بقضاء الله وقدره ليكتب له الشهادة ويحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عثمان انه يقتل مظلوما وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد الرحمن بن عوف أمين فى السماء وأمين فى الارض فكفى بهذا حجة على صحة ما فعله واجتهد فيه رضى الله عنه قال القائلون بأن طلحة كان غائبا وقت جعله عمر رضى الله عنه من اهل الشورى قدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به قالوا نعم فأتى عثمان فقال عثمان أنت على رأس أمرك قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم فقال طلحة قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه ثم ان عمر رضى الله عنه بعد أن جعل أمر الخلافة للستة اصحاب الشورى حسب ما عليه من الدين فوجده ستا وثمانين ألفا ولزمته هذه الديون من انفاق كان ينفقه من ماله على الفقراء والمحتاجين لم يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال فى سبيل الخير لا غير فلما فرغ من حياته وحانت وفاته قال لابنه عبد الله وابنته حفصة رضى الله عنهما انى قد أصبت من مال الله شيأ وانى أحب ان ألقى الله عز وجل وليس فى عنقى منه شئ فبيعا فيه ما عندى من المال حتى تقضياه فان عجز عنه مالى فسلا فى بنى عدى فان بلغ والا فسلا فى قريش ولا تعدوا قريشا فباع

عبدالله بن معاوية دار عمر التي يقال لها دار القضاء بالمدينة و باع مالا كان له بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لتلك الدار دار القضاء وقد كان عمر رضى الله عنه كثير الانفاق على الفقراء والمحتاجين واذا لم يكن في بيت المال شئ يستقرض للانفاق عليهم لاسيما في عام الرمادة فانه كان منه رضى الله عنه العجب العجاب في الاعتناء بالفقراء وأهل الحاجة وعن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم قال لما كان عام الرمادة جائت العرب من كل ناحية لشدة الجدب والقحط فقدموا المدينة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر رجالا يقومون عليهم ويقسمون عليهم الطعام فكان كل رجل على ناحية من المدينة وكانوا اذا اجتمعوا عند أمير المؤمنين يخبرونه بكل ما كانوا فيه فسمعت أمير المؤمنين قال في ليلة وقد تعشى الناس عنده احصوا من يتعشى عندنا فأحصوا فوجدوهم نحو سبعة آلاف رجل فقال أحصوا العيلات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفا ثم مكث ليالي فزاد الناس حتى صار من يتعشى عنده نحو عشرة آلاف رجل والآخرون خمسون ألفا وكانت تلك المجاعة التي أصابت الناس عام الرمادة مجاعة شديدة لم يعهد مثلها لشدة القحط والجدب وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرمادة وكان ذلك كله في سنة ثمانية عشر من الهجرة ومكث تسعة أشهر واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوي الى المواضع المأنوسة تطلب ما تأكله وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وأقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر رضى الله عنه بأربعين درهما وجاء بهما الى عمر وكان ذلك عند ابتداء انجلاء القحط والشدة وقال يا أمير المؤمنين قد حيي الناس وأبر الله يمينك وعظم اجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما فقال عمر تصدق بهما فاني اكره ان آكل اسرافا وكيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وفي مدة ذلك القحط كتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان اول من قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام جاء بها من الشام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتابع الناس واستغنى اهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة حتى صار الطعام بالمدينة كسعر مصر ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضى الله عنه فذلوا وتقاصروا وكان الناس في مدة الرمادة وعمر كالمحصورين عن أهل الأمصار فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحارث رضى الله عنه قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن ما يصلح للذبح فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم احمر فنادى يا محمداه فرأى في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فقال أبشر بالحياة ائت عمر فاقرأه مني السلام وقل له اني عهدتك وانت في العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففزع وقال رأيت به مساسا فقال لا فأدخله وأخبره الخبر فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال نشدتكم الله الذي هداكم هل رأيتم شيأ تكرهونه قالوا اللهم لا ولم ذلك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر فقالوا انما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا فنادى

في الناس وخرج للاستسقاء وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز و صلى ثم جثى على ركبتيه وقال اللهم عجزت عنا أنصارنا و عجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحيي العباد والبلاد وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا فحفظتهما بصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا وقد كان العباس رضي الله عنه قد طال عمره وابيضت لحيته فوقف وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره وهو يقول اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة اللهم انت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وانت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون ترون ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فوالله ما بر حوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر فطفق الناس بالعباس رضي الله عنه يمسحون اركانه ويقولون له هنيئا لك ساقي الحرمين فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب

* بعمي سقى الله الحجاز واهله ❊ عشية يستسقي بشيبته عمر *
* توجه بالعباس في الجدب راغبا ❊ اليه فما ان رام حتى أتى المطر *
* ومنا رسول الله فينا تراثه ❊ فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر *

قال زيد بن اسلم عن أبيه كنا نقول لولم يرفع الله عام الرمادة لظننا ان عمر يموت هما بالمسلمين قال ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدعو عام الرمادة ويقول اللهم اجعل ارزاقهم على رؤس الجبال فاستجاب الله له وللمسلمين فكانت تأتيهم ارزاقهم وقال حين نزل الغيث الحمد لله فوالله لو ان الله لم يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين سعة الا ادخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا وعن أنس رضي الله عنه قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا فان الله عز وجل وكل بهم ملائكة وضعوا أيديهم على أفواههم لا يتكلمون الا بما هيأه الله تعالى لهم وألقى الله في قلوب العباد هيبة شديدة لعمر رضي الله عنه وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال بينما عمر رضي الله عنه يمشي وخلفه عدة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدا له فالتفت فلم يبق احد الا سقط لركبتيه خافضا فأرسل عمر عينيه بالبكاء ثم قال اللهم انك تعلم اني منك أشد خوفا منهم مني وقال عمر رضي الله عنه لولا مخافة الحساب لأمرت بحمل أي كبش يشوى لنا في التنور وعن سفيان قال كان عمر يشتهي الشئ لعله يكون ثمنه بدرهم فيؤخره سنة وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وبيني وبينه حائط يقول مكلما

نفسه عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله اوليعذبنك وزار عمر أباالدرداء رضى الله عنهما فقال له أبوالدرداء أتذكر حديثا حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أى حديث قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزادالراكب قال نعم قال فما فعلنا بعده ياعمر فما زالا يتجاوبان حتى اصبحا وعن نافع قال كان من دعاء عمر رضى الله عنه اللهم أوجب لى فى موالاتك وموالات اوليائك ولايتك ومعونتك وأبرنى بمعادات عدوك من الآفات اللهم لاتكثر لى من الدنيا فأطغى ولا تقلل لى منها فأنسى فان ماقل وكفى خير مماكثر فألهى اللهم انى أعوذبك ان تأخذنى على غرة أوتذرنى فى غفلة أو تجعلنى من الغافلين وعن قيس بن الحجاج قال لما فتحت مصر أتى اهلها عمرو بن العاص رضى الله عنه حين دخل بونة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الابها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان ثنتا عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو بن العاص هذا لايكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فأقاموا بونة وأبيب ومسرى والنيل لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب اليه عمر رضى الله عنه انك قد أصبت بالذى فعلت لان الاسلام يهدم ما قبله وكتب بطاقة داخل كتابه وكتب الى عمرو بن العاص رضى الله عنه انى قد بعثت اليك بطاقة فى داخل كتابى هذا فألقها فى النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو رضى الله عنهما واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله تعالى الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله تعالى الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج لأنهم لا تقوم مصلحتهم الا بالنيل فلما ألقى البطاقة اصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر فتلك كرامة من كرامات عمر رضى الله عنه التى أكرمه الله بها ومن كراماته رضى الله عنه ما رواه البيهقى وأبونعيم وغيرهما عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية بن زنيم فبينما عمر يخطب يوم جمعة اذ جعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ليخرجن مما قال خبر فلما فرغ سألوه فقال وقع فى قلبى أن المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل ان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج منى ما تزعمون انكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعدنا الى الجبل ففتح الله علينا وفى رواية لأبى نعيم عن عمرو بن الحارث رضى الله عنه قال بينما عمر رضى الله عنه يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة [illegible] ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن فدخل [illegible] الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان يطمئن اليه فقال له انك لتجعل لهم على نفسك [illegible] بينما انت تخطب اذ أنت تصيح ياسارية الجبل أى شئ هذا قال انى والله ماملكت نفسى [illegible] رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل

ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتاب ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى وقتلهم وفى رواية ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وكان ذلك الجبل بنهاوند من أرض العجم وأخرج الامام مالك فى الموطأ عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال فمن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر رضى الله عنه أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر رضى الله عنه بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق الا ما أمرتنى ان أحبسه واخرج ابن عساكر أيضا عن الحسن البصرى ان كان احد يعرف الكذب اذا احدث به انه كذب فهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه واخرج البيهقى فى الدلائل عن ابى هدبة الحمصى قال أخبر عمر رضى الله عنه ان اهل العراق قد حصروا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها فى صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا على فلبس عليهم وعجل لهم بالغلام الثقفى لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم يعنى الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه ان الله ضرب الحق على لسان عمر رضى الله عنه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى عند البيت حتى اسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وقال حذيفة رضى الله عنه لما أسلم عمر رضى الله عنه كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما توفى عمر رضى الله عنه ذهب تسعة أعشار العلم ولو ان علمه وضع فى كفة ميزان ووضع علم احياء الارض فى كفة لرجح على علمهم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال له لم أرد علم الفتيا والاحكام انما أريد العلم بالله عزوجل قال الامام الغزالى فى احياء علوم الدين كانت شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته وبقصد التقرب الى الله عزوجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وذلك كله أمر باطن فى سره وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ما علمت احدا هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد ان تثكله أمه ويوتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فما تبعه منهم أحد وقال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قد علمت بأى شئ فضلنا عمر رضى الله عنه كان أزهدنا فى الدنيا وروى البخارى عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص فنها مايبلغ الثدى ومنهم دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قيص يجره قالوا ماأولته يارسول الله قال الدين وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى انى لأرى الرى يخرج من أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قالوا فما أولته ذلك يارسول الله قال العلم وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الاسلك فجا غير فجك وقال له النبى صلى الله عليه وسلم لما اراد عمر أن يعتمر لاتنسانا ياأخى من دعائك قال عمر رضى الله عنه انها كلمة مايسرنى أن لى بها الدنيا وروى مالك فى الموطأ أن عمر رضى الله عنه كان يحمل فى العام الواحد على أربعين الف جمل يحمل الرجل الى الشام على بعير والرجلين الى العراق على بعير وكان عمر رضى الله عنه أول من جمع الناس لصلاة التراويح فكان على بن ابى طالب رضى الله عنه اذا مر على المساجد ورأى القناديل فى رمضان يدعو لعمر و يقول نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له اقرأ عمر السلام وأخبره ان رضاه عز وغضبه حكم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا غضب عمر فان الله يغضب لغضبه ولما توفى عبدالله بن أبى رأس المنافقين سأل ابنه الحباب وسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبدالله أن يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيه رجاء ان الله يرحمه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابنه مؤمنا صادقا فأراد النبى صلى الله عليه وسلم تطييب قلب ابنه فتقدم ليصلى عليه فأراد عمر ان يمنع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه وقال يا رسول الله انه فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا فجذب النبى صلى الله عليه وسلم ثوبه من يد عمر وتقدم وصلى عليه فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فجاءت الآية على رأى عمر رضى الله عنه واختصم منافق ويهودى فى شئ فقال اليهودى للمنافق نذهب الى أبى القاسم نتحاكم على يديه وقال المنافق بل نذهب الى كعب بن الأشرف وكان من رؤساء اليهود يأخذ الرشوة فى حكمه فامتنع اليهودى من الذهاب الى كعب بن الأشرف وذهبا الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم على المنافق لليهودى فلما خرجا قال المنافق نذهب الى كعب بن الأشرف فامتنع اليهودى وقال نذهب الى عمر بن الخطاب فرضى المنافق فلما دخلوا على عمر أخبره اليهودى بما كان له من الدعوى على المنافق ثم أخبره بقضاء النبى صلى الله عليه وسلم على المنافق وانه لم يرض بحكمه وقال نذهب الى كعب بن الأشرف فلم أوافقه ثم اتفقنا على التحاكم اليك فقال عمر للمنافق حق ماقال هذا فقال المنافق نعم فدخل عمر بيته وأخرج سيفه وضرب عنق ذلك المنافق وقال هذا جزاء من لم يرض بحكم النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان عشيرة ذلك المنافق شكوا الى النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وطلبوا القصاص منه واعتذروا بأن صاحبهم لم يكن منافقا وانما أراد بالمحاكمة الى عمر تأييد حكم النبى صلى الله عليه وسلم وألحوا على النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الدعوى وكاد يحصل من ذلك شر فأيد الله تعالى مافعله عمر وأهدر دم ذلك المنافق

وأنزل في ذلك قوله تعالى ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الآيات وختمها بقوله أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا فكان في ذلك كله تأييد لما فعل عمر رضي الله عنه ولما قال عبدالله بن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وعنى بالأعز نفسه وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يذهب الى عبدالله بن أبي ويقتله فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لايتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى ترضية لعمر قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ولما أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أسرى بدر وعدم قبول الفداء منهم وأشار أبو بكر رضي الله عنه بقبول الفداء وقال يارسول الله هم قومك وذوا رحمك ونرجوا ان الله يهديهم للاسلام فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ما أشار به ابو بكر في أخذ الفداء فأنزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكانت الآية مؤيدة لما أشار به عمر فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه يبكيان فقال عمر يارسول الله أخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض علي من الفداء وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كاد يصيبنا في خلافك شر ثم أنزل الله امضاء أخذ الفداء بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ولما طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت قال له عمر رضي الله عنه يارسول الله ألا نتخذ من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فكان ذلك من موافقات عمر رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نسائك فانه يدخل عليك البر والفاجر فأنزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولما أكثر نساء النبي صلى الله عليه وسلم من التغاير بينهن دخل عليهن عمر رضي الله عنه وزجرهن وخوفهن بالطلاق وأن الله يبدل النبي صلى الله عليه وسلم خيرا منهن فأنزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وكان رضي الله عنه يكره شرب الخمر ويسأل الله أن يحرمه فأنزل الله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فلم يكتف بذلك عمر رضي الله عنه وقال اللهم أنزل في الخمر فأنزل الله تعالى انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فحرم الله الخمر فكان ذلك موافقا لما كان مرغوبا لعمر رضي الله عنه قال الشعبي لما سمع الناس قول عمر رضي الله عنه ورأوا عمله فكان يمشي في الأسواق ويطوف في الطرقات ويقضي بين الناس في قبائلهم ويعلمهم في أماكنهم ذكروا ابابكر والنبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بابي بكر رضي الله عنه وكان ابو بكر أعلم بعمر فجرى ابو بكر وعمر مجرى واحدا وقد كانوا يخافون من لين هذا وشدة هذا فكان ابو بكر رضي الله عنه مع لينه أقواهم فيما لابد منه وأليتهم فيما ينبغي وكان عمر ألينهم فيما

ينبغي وأقواهم فيما لابد منه وقدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة له فشرد بعير من ابل الصدقة فسعى خلفه وقال ياأحنف ضع ثيابك وهلم فأعن امير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة فقال رجل يا أمير المؤمنين يغفر الله لك فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا فقال عمر وأي عبد هو أعبد مني ومن الاحنف بن قيس ان من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب لهم عليه ما يجب على العبد من النصح وأداء الامانة وقال عمر رضي الله عنه من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لايحمله على استعماله الاذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومن استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله ولما افتتح المسلمون سواد العراق قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اقسمه بين الغانمين لأنهم افتتحوه عنوة قال فالمن جاء بعدكم من المسلمين فاني اخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه وأخاف ان تقتتلوا فأمر ان يقروا أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الضرائب يعني الجزية وعلى أرضهم الخراج ولم يقسمها بينهم لتكون للمسلمين الذين يأتون بعدهم ولما قدم عمر رضي الله عنه مكة أقبل أهل مكة يشكون أبا سفيان بأنه حبس سيل الماء عليهم فأقبل عمر ومعه الدرة فاذا ابو سفيان نصب أحجارا فقال ارفع هذا وهذا فرفعهما ثم قال وهذا وهذا حتى رفع أحجارا خمسة او تسعة ثم استقبل عمر الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل عمر ايأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه وعن الحسن البصري قال حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤس وصهيب وبلال ونفر من أولئك الموالي الذين شهدوا بدرا فخرج اذن عمر للموالي وترك أولئك فقال أبو سفيان ما كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت الينا فقال سهيل بن عمرو وكان رجلا عاقلا أيها القوم اني والله لقد أرى الذي في وجوهكم ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم في رواية فاذا كان هذا في دار عمر فكيف الجنة فجلسوا يبكون على تأخر دخولهم في الاسلام حتى ارتفعت اصواتهم فسمعهم عمر فأمر بادخالهم وكان صدر المجلس في زمن خلافته للسابقين في الاسلام فاذا سبقهم غيرهم ثم جاء أحد من السابقين يتأخرون عن صدر المجلس ليجلس فيه السابقون للاسلام ولو كانوا من الموالي وربما أنهم لايزالون يتأخرون حتى يكون غير السابقين في آخر المجلس ولو كانوا من أشراف قريش وعن الحسن البصري ان رجلا أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشا فأغرمهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديته وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جاء رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال ماشأنك قال أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأقبلت على فرسي فلما حضر الناس قام محمد بن عمرو بن العاص يقول هذه فرسي ورب الكعبة فلما دنا مني قلت له هذه فرسي ورب الكعبة فقام يضربني بالسوط ويقول خذها وانا ابن الاكرمين قال فوالله مازاد عمر على ان قال اجلس ثم كتب الى عمرو بن العاص اذا

جاءك كتابي هذا فأقبل واحضر معك ابنك محمدا قال فدعا عمرو وابنه محمدا فقال هل أحدثت حدثا أو جنيت جناية قال لا قال فما بال أمير المؤمنين عمر يكتب فيك فقدم عمرو وابنه على عمر قال انس فوالله انا لعند عمر اذا نحن بعمرو وقد أقبل فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه محمدا فاذا هو خلف أبيه فقال عمر أين المصرى فقال ها أنا ذا قال دونك الدرة اضرب ابن الاكرمين اضرب ابن الاكرمين اضرب ابن الاكرمين فضربه قال فضربه ثم اجلها على صلعة ابيه عمرو فوالله ماضربك الا بفضل سلطانه فقال عمرو ياامير المؤمنين قد ضرب من ضربه فقال اما والله لو ضرب من ضربه لما أقد منالك ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهم أحرارا ثم التفت الى المصرى فقال انصرف راشدا فان رابك شئ فاكتب الى وكان عمر رضى الله عنه اذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الانصار ان لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس دقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول اللهم اشهد وعن الحسن البصرى قال قال عمر رضى الله عنه لئن عشت ان شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع عنى اما هم فلا يصلون الى واما عمالهم فلا يرفعونها الى فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير الى [illegible] فأقيم بها شهرين ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين وعن الزهرى ان عمر رضى الله عنه جلد صبيغا القيمى عن كثرة مسائلته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء فى ظهره وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوى مايجد ما يملأ بطنه من الدقل وعن هشام بن عروة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة فهو والله لغيرها من حق الله تعالى أشد تضييعا وعن يحيى بن جعدة قال قال [illegible] رضى الله عنه لولا ثلاث لاحببت ان ألحق بالله عزوجل لولا ان أسير فى سبيل الله او أضع وجهى لله فى التراب او أجالس أقواما يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر وروى عن على رضى الله عنه أنه كان يبكى عند موت عمر رضى الله عنه فقيل له فى ذلك فقال ابكى على موت عمر ان موت عمر ثلمة فى الاسلام لا ترتق الى يوم القيامة وقال على رضى الله عنه كان ابو بكر أواها حليما وكان عمر مخلصا ناصحا لله فنا صحه الله وان كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون لنرى أن السكينة تنطق على لسان عمر وان كنا لنرى أن شيطانه ليهابه ان يأمره بالخطيئة وشهد عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل فقال ائتنى بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال عمر رضى الله عنه أنت جاره الادنى تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه فى السفر الذى يسفر عن اخلاق الرجال ومكارم الاخلاق فقال لا قال فعاملته بالدراهم والدنانير التى يتبين بها ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته فى المسجد يهمهم بالقرآن يرفع رأسه طورا ويخفضه طورا قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتنى [illegible] يعرفك وقالت عائشة رضى الله عنها من رأى ابن الخطاب علم انه انما خلق غناء [illegible] [illegible] وعن لاحق بن حميد قال بعث عمر بن الخطاب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود [illegible] بن حنيف رضى الله عنهم الى الكوفة فجعل عمار بن ياسر على الصلاة وعلى الجيوش

وعبدالله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة ارض الخراج وجعل بينهم كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر رضى الله عنه والنصف بين هذين قال الراوى ولا أحفظ الطعام ثم قال أنزلتكم واياى من هذا المال منزلة والى اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وما أرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا كان سر يعافى خرابها ولما قدم عليه أول عير عام الرمادة دعا الزبير رضى الله عنه وقال اخرج فى اول هذه العير فاستقبل بها نجدا فاحمل الى اهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم ومن لم يستطع حمله فر لأهل بيت ببعير بما عليه فليكسوا كسائين من ذلك ولينحروا البعير فيحملوا شحمه وليقددوا لحمه ثم ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم وجفنة من دقيق فيطحنوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق فاعتذر الزبير من الخروج ثم دعا طلحة رضى الله عنه فاعتذر فأمر أباعبيدة رضى الله عنه فخرج فلما رجع بعث له بألف دينار فقال ابو عبيدة انى لم أعمل لك يا ابن الخطاب انى عملت لله عز وجل ولست آخذ فى ذلك شيأ فقال عمر قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اشياء بعثنا لها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلها أيها الرجل فاستعن بها على دينك ودنياك فقبلها ابو عبيدة رضى الله عنه وتصدق بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ماجاءك من هذا المال وانت غير متشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ولما جيىء له بغنائم العراق كان فيها تاج كسرى وأساوره وكان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بذلك سراقة بن مالك لما تعرض لان يمسكه لكفار قريش عام الهجرة فساخت به قوائم فرسه ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم الأمان وعقد التوبة فخرجت قوائم فرسه فعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فأبى فقال له كيف بك يا سراقة اذا لبست تاج كسرى وأساوره ثم أسلم سراقة رضى الله عنه عام ثمان من الهجرة بالجعرانة فلما جاءت غنائم العراق وفيها تاج كسرى وأساوره قال عمر رضى الله عنه ائتونى بسراقة بن مالك لألبسه اياهما ليتحقق بذلك معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فى وعده سراقة بذلك فجيىء له بسراقة فألبسه التاج والأساور وقال له قل الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم اعرابيا من بنى مدلج وأركبه جملا وطيف به فى المدينة لاظهار تلك المعجزة وقال عمر رضى الله عنه لما جيىء له بغنائم العراق اللهم انى قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب مالا فينفقه فى سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم انى قد علمت أن أبابكر رضى الله عنه كان يحب أن يصيب مالا فينفقه فى سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك واختيارا اللهم انى أعوذ بك أن يكون هذا مكرا بعمر واستدراجا ثم قال بل يحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قدمت من عند أبى موسى الأشعرى من العراق على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بثمانمائة ألف درهم فقال لى بما ذا قدمت قلت قدمت بثمانمائة ألف درهم قال قدمت بثمانين ألف درهم قلت بل قدمت بثمانمائة ألف درهم قال ألم أقل لك انما قدمت بثمانين ألف درهم فكم ثمانمائة ألف درهم فعددت مائة ألف ومائة ألف حتى عددت ثمانمائة ألف درهم قال أطيب هو ويلك قلت نعم وانما سأله عن طيبه تعجبا من كثرته فاستبعد أن يكون طيبا حلالا قال فبات عمر ليلته أرقا حتى

اذا نودى بصلاة الصبح قالت امرأته ما نمت يا أمير المؤمنين الليلة قال كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله منذ كان الاسلام فما يأمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه فى حقه فلما صلى الصبح اجتمع اليه نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله منذ كان الاسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا على رأيت أن أكيل للناس بالمكيال فقالوا لا تفعل يا أمير المؤمنين ان الناس يدخلون فى الاسلام ويكثر المال ولكن اعطهم على كتاب وكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه قال فأشيروا على بمن أبدأ منهم فقال له على وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهما ابدأ بنفسك انك ولى ذلك فقال لا بل أبدأ بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مجيئ هذا المال سببا لفرض العطاء كل سنة وتدوين الدواوين للعطاء كل سنة فكتب الناس ودون الدواوين فهو أول من فعل ذلك فرتب ذلك أولا باعتبار التقدم فى الذكر والتأخر ثم باعتبار المقدار الذى لكل انسان أما باعتبار التقدم والتأخر فى الذكر فى ذلك الديوان الذى رتبه فبدأ ببنى هاشم والمطلب بن عبدمناف فأعطاهم جميعا ثم أعطى بنى عبدشمس بن عبد مناف ثم بنى نوفل بن عبد مناف وانما قدم بنى عبدشمس على بنى نوفل لأن عبدشمس كان أخا لهاشم من أبيه وأمه وأما نوفل فكان أخا لهاشم لأبيه فقط ثم استوت له عبدالعزى وعبدالدار ابنا قصى بن كلاب فقدم بنى أسد بن عبدالعزى وهم قوم خديجة رضى الله عنها لصهر النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ثم انفردت له بنو زهرة بن كلاب بن مرة فدعاها تتلوا عبدالدار ثم استوت له بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة فقدم بنى تيم لأنهم كانوا من اهل حلف الفضول والمطيبين وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أبابكر رضى الله عنه من بنى تيم ثم دعا مخزوما تتلوهم ثم استوت له سهم وجمح ابنا هصيص بن كعب وعدى بن كعب وكان عمر رضى الله عنه من عدى فقالوا له ابدأ بعدى فقال بل أقر نفسى حيث كنت فان الاسلام دخل وأمرنا وأمر بنى سهم واحد انظروا بين سهم وجمح فقدم بنى جمح ثم بنى سهم فكان ديوان جمح وسهم كالدعوة الواحدة فلما خلصت اليه دعوته بعد بنى سهم وجمح كبر تكبيرة عالية ثم قال الحمد لله الذى أوصل الى حظى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى ذكر ما فرض لنفسه لأن الكلام الآن فى الترتيب فى التقدم والتأخر فقط لا فى ذكر المقدار المفروض ثم دعا بنى عامر بن لؤى بن فهر وكان ابو عبيدة بن الجراح من بنى فهر فتكون دعوته بعد بنى عامر فلما دعا بنى عامر بن لؤى قبل فهر قال أبو عبيدة رضى الله عنه أكل هؤلاء يدعون أمامى فقال يا أبا عبيدة اصبر كما صبرت اوكلم قومك فمن قدمك على نفسه لم أمنعه فأما أنا وبنوا عدى فنقدمك ان أحببت على انفسنا فقال أبو عبيدة اصبر كما صبرت أنت ولا حاجة الى ذكر ترتب القبائل لأنه يطول وبقى هذا الترتيب الذى رتبه عمر رضى الله عنه الى زمن خلافة بنى العباس فوقع تشاجر بين بنى سهم وبنى جمح فى خلافة المهدى بن المنصور فافترقوا فقدم المهدى عليهما بنى عدى وأما بنوا هاشم والمطلب فكانا على ترتيب عمر رضى الله عنه فى مرتبة واحدة لقول النبى صلى الله عليه وسلم انما نحن وبنوا المطلب كشئ واحد فاذا كان السن فى الهاشمى قدمه على المطلبى واذا كان فى المطلبى قدمه

وبقى ذلك الى خلافة عبد الملك بن مروان فقدم بنى هاشم على بنى المطلب ثم ان عمر رضى الله عنه بعد ترتيب القبائل فى الديوان الأقرب فالأقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فرض المقدار الذى يعطى لكل انسان وجعل التفاوت على السابقة للاسلام واما ابو بكر رضى الله عنه فكان يسوى بين المسلمين فى القسم ولا ينظر الى اسبقية الاسلام فراجعه عمر رضى الله عنه فى ذلك فلم يقبل مراجعته فى ذلك وقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ فلما صارت الخلافة لعمر رضى الله عنه فاضل بينهم بالنسبة للأسبقية فى الاسلام ولا ينكر على أحد منهما لان ذلك اجتهاد وجعل صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو مع من أسلم عام الفتح وكان ذلك أقل من عطاء من أسلموا قبل ذلك فامتنعوا من أخذه وقالوا لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا فقال انما أعطيتكم على السابقة فى الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم اذا واخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين وفرض لاهل بدر خمسة آلاف كل سنة ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى تمام قتال أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن كان منهم مشهورا بالشجاعة ولاقى بلاء فى تلك الوقائع ألفين وخمسمائة فقيل له لو جعلت أهل القادسية مثل هؤلاء بألفين وخمسمائة فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء للحتوف وشجى للعدو وفهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ثم فرض لمن بعدهم خمسمائة ثم للروادف بعدهم ثلاثمائة سوى فى كل طبقة بين قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف بعدهم على مائتين وخمسين ولمن بعدهم على مائتين وفرض للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفا وألحق باهل بدر أربعة من غير أهل بدر وهم الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان الفارسى رضى الله عنهم وفرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف الا من جرى عليها الملك كصفية ومارية وجويرة فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة فسو بيننا ففعل وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ الامثلهن وامتنعت من أخذ الزيادة وجعل نساء أهل بدر فى خمسمائة خمسمائة ونساء من بعدهم الى الحديبية فى اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى تمام قتال أهل الردة فى ثلاثمائة ثلاثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما اكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين فى شهر والجريب مكيال قدر اربعة اقفزة فالقفيز مكيال يسع ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفا فتكون الجريبتان ستا وتسعين صاعا ثمانية وأربعون له وثمانية وأربعون لعياله وأشار عليه

بعض الصحابة ان يبقى فى بيت المال شيأ من المال عدة لكون ان كان فقال عمر رضى الله عنه هذه كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهى فتنة لمن بعدى بل أعدلهم ما أعد الله ورسوله طاعة الله ورسوله هما عدتنا التى بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان المال ثمن دين احدكم هلكتم وفى رواية قدم على عمر مال من العراق فقسمه فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو ان حضروا أو نازلة أو نائبة ان نزلت فقال عمر قاتلك الله نطق بها على لسانك الشيطان لقننى الله حجتها والله لا أعصى الله اليوم ولكن أعدلهم كما أعدلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عمر للمسلمين فى شأن نفسه انى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا فما ترون أنه يحل لى فى هذا المال فأكثر القوم وعلى رضى الله عنه ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن فقال ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم ما قال على فأخذ بما قال على رضى الله عنه واشتدت مرة حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر فى زيادة نزيده اياها فى رزقه فقال عثمان هلموا فلنستبرأ ما عنده من وراء وراء فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمر فلقيت عمر فى ذلك فغضب وقال من هؤلاء لأسوأنهم قالت لا سبيل الى علمهم قال انت بينى وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فاى الطعام ناله عندك ارفع قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها قال وأى مبسط كان يبسط عندك كان اوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه فى الصيف فاذا كان الشتاء بسط نصفه ويتدثر بنصفه قال يا حفصة فأبلغيهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فضل الفضول فوضعها مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن بالترجية وانما مثلى ومثل صاحبى كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبع الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما ألحق بهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما وكان فرض العطاء وتدوين عمر الدواوين سنة خمس عشرة من الهجرة وخطب عمر رضى الله عنه بالجابية لما كان بالشام فقال ان الله جعلنى خازنا لهذا المال وقاسماله ثم قال بل الله يقسمه وأنا بادىء بأهل النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشرافهم ففرض لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم الاجويرة وصفية ومارية رضى الله عنهن ثم لما قالت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن رضى الله عنهن ثم قال انى بادىء بالمهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا ثم أشرفهم فمن أسرع فى الهجرة أسرع بالعطاء ومن أبطأ فى الهجرة أبطأ به العطاء فلا يأمن رجل الامناخ راحلته ولما قدم الشام استقبله الناس وهو على بعيره قالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر لا أراكم ههنا انما الأمر ههنا وأشار بيده الى السماء خلوا سبيل جملى ودخل مرة على مزبلة فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا بها فقال هذه دنياكم التى تحرصون عليها وقال نظرت فى هذا الأمر اذا أردت الدنيا أضر بالآخرة واذا نظرت للآخرة أضر بالدنيا فاذا كان

الأمر هكذا فأضروا بالفانية وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله عز وجل جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة سبقا والله سبقا بعيدا وأتعبا من بعدهما تعبا شديدا وعن الامام مالك رضي الله عنه قال كان السلف يعلمون أولادهم حب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يعلمونهم السورة من القرآن وعن شعيب بن حرب قال قلت لمالك أوصني قال أوصيك بحب الشيخين ابي بكر وعمر فقلت ان الله عز وجل أعطاني من ذلك شيأ كثيرا قال والله اني لارجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد وهذا الفرض الذي فرض عمر رضي الله عنه في العطاء غير الفرض الذي فرض ابو بكر رضي الله عنه فان أبا بكر سوا بين الناس في الفرض والعطاء نظرا لاستوائهم في الاسلام واكثر مال جاء قسمه عشرين درهما عشرين درهما وفضلت فضلة فقسمها للخدم خمسة دراهم وقال ان لكم خدما يخدمونكم و يعالجون لكم فرضخنا لهم فلما فتحت الفتوحات في خلافة عمر رضي الله عنه وجاءته الأموال قال ان أبا بكر رضي الله عنه رأى في هذا المال رأيا ولي فيه رأى آخر وفاضل بين الناس في الفرض كما تقدم وقال لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه وفاضل بين أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ففرض لأسامة أربعة آلاف ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف فقيل له لم زدت لأسامة ألفا وفضلته على ابنك عبد الله فقال ما كان لأبي عبد الله ما كان لأبي أسامة من الفضل وما كان لعبد الله ما كان لأسامة فان أبا أسامة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عبد الله وكان أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين فمر به عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيدوه ألفا [ف]ال اني فرضت له بأبيه أبي سلمة ألفين وزدته بأمه أم سلمة ألفا فان كانت أمه كأمه زدناه ألفا [و]جاءه طلحة بن عبيد الله بأخيه عثمان ففرض له ثمانمائة فمر به النضر بن أنس بن النضر فقال افرضوا له ألفين فقال له طلحة جئتك بمثله ففرضت له ثمانمائة وفرضت لهذا ألفين فقال ان أباه هذا وهو أنس بن النضر لقيني يوم أحد حين أضرب الناس وصرخ الشيطان ان محمدا [قتـ]ـل فقال لي ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الناس يقولون انه قد قتل فسل سيفه وكسر غمده وقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان الله حي لا يموت فقاتل حتى قتل فان كان أبو أخيك عثمان مثل أبيه نفرض له مثل ما فرضنا له وجعل الفرض لمن يفرض له من الصبيان من بعد الفطام من الرضاع ثم غير ذلك وجعل الفرض لمن يفرض له من الصبيان من حين الولادة وسبب ذلك انها جاءت قافلة تحمل طعاما الى المدينة وغربت الشمس قبل دخول القافلة المدينة فباتت القافلة خارج المدينة فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اني اخشى على هذه القافلة من السراق اخرج بنا نحرسهم من بعد فخرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يحرسان القافلة من بعد وقاما يتهجدان بالصلاة فسمع عمر رضي الله عنه بكاء صبي بالمدينة فقال لعبد الرحمن بن عوف احرس القافلة حتى أنظر سبب بكاء هذا الصبي فتوجه نحو الصبي وقال لأمه اتق الله أحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه مرة ثانية فعاد الى أمه فقال لها مثل ما قال

فى المرة الأولى ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فعاد الى أمه فقال و يحك انى لأراك أم سوء مالى أرى ابنك لايقر منذ الليلة فقالت وهى لا تعرف انه عمر يا عبدالله انى أحاوله على الفطام فيأبى قال ولم قالت لأن عمر لايفرض للمولود الابعد الفطام فأريد أن افطمه قبل أوان فطامه ليفرض له عمر قال فكم له قالت كذا كذا شهرا فقال لا تعجليه ورجع الى عبدالرحمن بن عوف وهو يبكى و يقول يا بؤسا لعمر كم قتل من أبناء المسلمين فلما صلى الفجر أمر مناديا ينادى أن لا تعجلوا على صبيانكم الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام من حين يولد وكتب بذلك الى الآفاق أن يفرضوا لكل مولود فى الاسلام من حين يولد وكان رضى الله عنه شديد الخوف من الله تعالى قوى الرجاء حتى كان خوفه ورجاؤه كجناحى طائر فى الاعتدال فكان يقول لو نادى مناد من السماء لايدخل النار الا رجل واحد لخفت أن أكون أنا ولو نادى مناد لايدخل الجنة الا رجل واحد لرجوت أن أكون أنا وكان رضى الله عنه مدة خلافته لاينام ليلا ولا نهارا الا خفقات يخفقها و يقول ان نمت ليلا أضعت نفسى و ان نمت نهارا أضعت رعيتى وقرأ يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ و اذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه أياما يعاد وأرسل مرة الى عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه يستسلفه أربعمائة درهم فقال عبدالرحمن تستسلفنى و عندك بيت المال ألا تأخذ منه ثم ترده فقال عمر انى أتخوف أن يصيبنى قدرى يعنى الموت فتقول أنت وأصحابك أتركوها لأمير المؤمنين حتى تؤخذ منى يوم القيامة ولكن أستسلفها منك فاذا مت جئت واستوفيتها من ميراثى وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال والله لو أعلم أن كلبا يحب عمر لأحببته وودت انى كنت خادما لعمر حتى أموت ولقد وجد فقده كل شئ حتى العضاه وان هجرته كانت نصرا و ان سلطانه كان رحمة وقال ابن مسعود لابنه عبدالله وهو فى حلقة فى المسجد الحرام يا أبا عبدالرحمن ما الصراط المستقيم الا الذى كان عليه أبوك ثابتا حتى دخل الجنة ورأى ربه وحلف ثلاث أيمان على ذلك وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان عالما برعيته عادلا فى نفسه قليل الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مفتوح الباب متحريا للصواب بعيدا من الاساءة رفيقا بالضعيف غير صخاب كثير الصمت بعيدا من العبث وكتب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص وهو على مصر رضى الله عنهما كن لرعيتك كما يحب لك أميرك وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال دخل عيينة بن حصن على عمر رضى الله عنه فقال هيه يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال الحر بن قيس يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما تجاوزها عمر حين تلاها وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل وعن الحسن البصرى قال يجيئ الاسلام يوم القيامة فيتصفح وجوه الناس حتى يجيئ الى عمر رضى الله عنه فيصعد به فيقول أى رب كنت خفيا وأهان وهذا أظهرنى وأنت أعلم قال فتجيئ ملائكة فتأخذ بيده فتدخله الجنان والناس فى الحساب وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال كان عمر اذا نهى الناس عن شئ دخل على أهله أوقال جمع أهله فقال انى

قد نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم فان وقعتم
وقعوا وان هبتم هابوا واني والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا
أضعفت له العقوبة لمكانه مني فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر وعن ضبة بن
محصن العنزي قال كان علينا أميرا بالبصرة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
فكان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ
يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه حيث لا يذكر ابابكر رضي
الله عنه فقلت له اين انت من صاحبه يعني ابابكر رضي الله عنه تفضله عليه فصنع
ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي
فكتب اليه عمر أن أشخصه الي قال فأشخصني اليه وقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي
فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لا مرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل
فلا اهل لي ولا مال فبما استحللت يا عمر اشخاصي من بلدي بلا ذنب اذ نبته ولا شيء اتيته قال
ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت له فقلت له اين
انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله
عنه باكيا وهو يقول انت والله أوفق منه وأرشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك فقلت
غفر الله لك يا امير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله ليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر
وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا ومعه ابو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي
مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا
يا ابابكر ما أعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب
فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلته على أطراف اصابعه اي حتى لا يظهر اثر قدميه في الارض حتى حفيت فلما رأى ابو بكر
رضي الله عنه انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فأنزله ثم قال والذي
بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله
فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاع فألقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منه شيء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن ابابكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على
خديه من ألم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابابكر لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله
سكينته عليه اي الطمأنينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فأتيته لا الوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبم اذا أتألفهم قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لئن منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه
ثم كتب الى ابي موسى يلومه وقال الاوزاعي في وعظ وعظ به المنصور وبلغني ان عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف
بمن حرم عدلك وهو على بساطك وحدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصارى
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما
فقال له ما منعك من الخروج الى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين فى سبيل الله قال
لا قال وكيف ذلك قال انه بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلى شيأ من أمور
الناس الا أتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه لا يفكها الا عدله فيوقف على جسر من النار
ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا
باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا فقال له عمر
رضى الله عنه ممن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان فأرسل اليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه واعمراه من يتولاها بما فيها فقال
أبو ذر رضى الله عنه من سلب الله انفه وألصق خده من الارض فأخذ عمر رضى الله عنه
المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى وقال عمر رضى الله عنه لا يقيم
أمر الناس الا حصين العقل أريب الفقه لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة
ولا تأخذه فى الله لومة لائم وقال ايضا الأمراء أربعة فأمير قوى ظلف نفسه اى منعها وعماله فذلك
كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وأمير ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على
شفا هلاك الا أن يرحمه الله وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا
وقال عمر ايضا رضى الله عنه اللهم ان كنت تعلم أنى أبالى اذا قعد الخصمان بين يدى على
مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين وكان الخليفة المنصور مهابا شديد الهيبة لا يتجرأ
أحد ان يعظه بمثل ما وعظه الأوزاعى وانما تجرأ الأوزاعى على ذلك لانه طلبه وأحضره
من الشام الى بغداد وسأله أن يعظه فقال الاوزاعى أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به فصاح به الربيع
وزير المنصور [illegible] المنصور وقال هذا [illegible] مثوبة لا مجلس عقوبة
قال الاوزاعى فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ومن جملة ما قال له فى ذلك المجلس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت
اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال مات غاشا رعيته حرم الله عليه الجنة ومن كره الحق كره
الله ان الله هو الحق المبين ان الله الذى لين قلوب رعيتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا
عند الله وعند الناس لحقيق بك أن تقوم فيهم بالحق وان تكون بالقسط له قائما ولعوراتهم
ساترا لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس
بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس
الذين تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك
اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه

أوظلامة سقتها اليه ياامير المؤمنين كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يامحمد ماهذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ياامير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الأعرابى فقال اقتص منى فقال الأعرابى قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى فدعا له بخير ياامير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والارض التى يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا ومافيها ياامير المؤمنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك ولم يبق لغيرك ياامير المؤمنين أتدرى ماجاء عن جدك فى تأويل هذه الآية ماله‍ذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن ياامير المؤمنين أتدرى ماجاء عن جدك فى تأويل هذه الآية ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال الله تعالى فى الزبور ياداود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك من نبوتى ثم لاتكون خليفتى ولا كرامة ياداود انما جعلت رسلى الى عبادى رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء ياامير المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والارض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه ياامير المؤمنين قد سأل جدك العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياعباس ياعم رسول الله نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لايغنى عنه من الله شيأ اذ أوحى الله اليه وأنذر عشيرتك الأقربين فقال ياعباس عم رسول الله وياصفية عمة رسول الله ويافاطمة بنت محمد انى لست أغنى عنكم من الله شيأ أن لى عملى ولكم عملكم وقد بلغنى ياامير المؤمنين ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له ياجبريل صف لى النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها الف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لايضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار أظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب فى مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله تعالى وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أتبكى يامحمد وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت أنت ياجبريل وأنت

الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف ان أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ياجبريل ويا محمد ان الله آمنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضلك على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة عليهم السلام ياامير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه وهذه نصيحتى اليك والسلام عليك ثم نهض الاوزاعى فقال له المنصور الى أين قال الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله تعالى قال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك اياى بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى ثم أمر المنصور للأوزاعى بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك وروى ابن المهاجر ان المنصور قدم مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاءه المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور وما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى فقال ياأمير المؤمنين ان أمنتنى على نفسى انبأتك بالأمور من أصولها والا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل فقال له انت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك ياأمير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فأتمروا ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس شئ الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر

قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذووا القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلأت بلاد الله من الطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته اوقصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وكانت للمتظلم بهاحرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهر وصرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فابقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد كانت بنوأمية وكانت العرب لا ينتهى اليهم المظلوم الا رجعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا أهل الاسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا أمير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراءه مالك تبكى لا بكت عيناك فقال اما انى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما ان كان قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت أفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك أفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال ومامن مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست تعطى بل الله يعطى من يشاء وان قلت أجمع المال لأشيد سلطانى فقد اراك عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى انت فيها فوالله مافوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بعمل صالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما انت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الاليم وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغنى عنك عنده شئ مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال ياليتنى لم أخلق ولم أك شيأ ثم قال كيف احتيالى فيما خولت فيه ولم أرمن الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا منى قال هربوا منك مخافة

أن تحملهم على ماظهر من طريقتك من قتل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن لك على أن من هرب منك ان يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينما هو يطوف في طلب الرجل و يفتش عليه فاذا هو بالرجل في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال ماتعرفه قال بلى قال فانطلق معي الى الامير فقد آلى ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تقرأ قال لا فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شيء فقال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت الي فان رأيت ان تخبرني ماهذا الدعاء وفضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسطله في رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول (اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا انك المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني و بينك تتودد الي بنعمتك وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك أنت التواب الرحيم) قال فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت عليه فرفع رأسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك اوتحسن السحر فقلت لا والله ياأمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه من أمور الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر التنسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به و يحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد امير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد أما بعد ياأخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجدلك في

قلبي من المحبة واعلم ياأباعبدالله انه مابقي من اخواني واخوانك أحد الاوقد زارني وهناني
بما صرت اليه وقدفتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائزالسنية مافرحت به نفسي
وقرت عيني وانى استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتابا شوقامني اليك شديدا وقد
علمت يا أبا عبدالله ماجاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد اليك كتابي
فالعجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري
وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال
ياعباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم
سأل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق اليه كتابي هذا وع بسمعك وقلبك جميع
مايقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فأخذ عباد الكتاب وانطلق به
حتى وردالكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد
قال عباد فأقبلت الى المسجد فلما رآني قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الابخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني
نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت
فاذا جلساءه قعود قد نكسوا رؤسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون
من عقوبته فسلمت فما رفع الى احد رأسه وردوا السلام على برؤس الاصابع فبقيت واقفا
فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت
ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية
عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعبائه وأخذه فقلبه في
يده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم يقرؤه فاني أستغفرالله ان أمس شيأ مسه
الظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان
يبسم تبسم المعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوا واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له
يا أبا عبدالله انه خليفة فلو كتبت له في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه
فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولايبقى
شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له مانكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
من العبد المذنب سفيان بن سعيد الثوري الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب
حلاوة الايمان أما بعد فاني قدكتبت اليك أعرفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودك
وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به
على بيت مال المسلمين فأنفقته في غيرحقه وأنفذته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء
عني حتى كتبت تشهدني على نفسك أما أني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا
قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت
مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله
تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم
والأرامل والايتام أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون مئزرك وأعد

للمسلمين جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله تعالى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدى الله عز وجل ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت لهم سايق وامام الى النار كأنى بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها واعلم أنى نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية فاتق الله يا هارون فى رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وانى أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام قال عباد فألقى الى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا أهل الكوفة فأجابونى فقلت لهم قوم من يشترى رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الى بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بى من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى وللملك يزول عنى سريعا ثم ألقيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الى فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه فى السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه وان سفيان امة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله تعالى فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب

القاسية فلينها وأزال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله الموفق ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لاتأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق وشرب عمر رضي الله عنه مرة من ابن ابل الصدقة غلطا فأدخل اصبعه وتقيأ وروى ان عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت او ان امرأة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة انا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا احببت ان تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان لعمر رضي الله عنه لما ولى الخلافة زوجة كان يحبها فطلقها لما ولى الخلافة خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسئل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال الم اقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملؤة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لاتعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولما أخذ مخلاته اما ضربه فتأديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما أخذ مخلاته فان مافيها جمعه بلا حق لان الذى أعطاه اعتقد أنه محتاج فهو مال ضائع لايعرف مالكه وأمره للامام يصرفه في المصالح واتى عمر رضي الله عنه مرة بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وقد اقتدى في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه لما أتى قبا اتاه اهل قبا بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما انى لست أحرمه ولكن اتركه تواضعا لله تعالى وقال على لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقيصر ومن تزيا بزى قوم فهو منهم وقال عمر رضي الله عنه كان لى صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بى غير طريقهما وانى والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد قال رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وكان عمر رضي الله عنه يحب على بن ابى طالب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنه في ذلك شئ كثير فمن ذلك انه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه قال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما أمسيت يا ابن ابى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة وحكم على مرة على اعرابى بحكم فلم يرض بحكمه فتلببه عمر بن الخطاب وقال له ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة وأخرج الطبرانى انه قيل لعمر انك تصنع بعلى اى من التعظيم شيأ لاتصنعه مع أحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه مولاى والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه الولاية في المحبة والقرب والاتباع مثل قول الله تعالى ان أولى الناس

بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وأخرج ابن سعد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أقضانا وأخرج ايضا عن سعيد بن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه أعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا رضي الله عنه وأخرج ابو يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد أعطى علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب الي من حمر النعم فسئل وما هي قال تزويجه ابنته صلى الله عليه وسلم وسكناه في المسجد لايحل لي فيه مايحل له واعطاؤه الراية يوم خيبر واخرج ابو يعلى والطبراني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب من علي ابنته أم كلثوم رضي الله عنهما بنت فاطمة رضي الله عنها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لابيهم ماخلا ولد فاطمة فاني ابوهم وعصبتهم ثم قال عمر واني وان كانت [illegible] حبة للنبي صلى الله عليه وسلم فأحببت ان يكون لي معها سبب ونسب وقصة تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم رواها الأئمة من طرق كثيرة منهم الطبراني والبيهقي والدارقطني واكثر طرق الحديث مروية عن اكابر اهل البيت النبوي منهم جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه عزل بناته لولد اخيه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فلقي عمر عليا رضي الله عنهما فقال يا ابا الحسن انكحني ابنتك ام كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي قد حبستهن لولد اخي جعفر فقال عمر والله ما على وجه الارض يرصد من حسن صحبتها ماارصد فانكحني يا ابا الحسن فقال علي انها صغيرة فقال عمر ماذاك بك ولكن اردت منعي فان كانت كما تقول فابعثها الي وفي رواية انه لما قال له انها صغيرة قال له مابي حاجة الى الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ماخلا ولد فاطمة فانا ابوهم وعصبتهم فاحببت ان يكون لي من رسول الله سبب ونسب [illegible] وفي رواية وان امير المؤمنين هارون [illegible] فاحببت ان يكون لي معها سبب فقال علي رضي الله عنه ان لي امراء حتى استأذنهم وفي رواية ان لي أسدين حتى استأذنهما يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له وفي رواية انه لما استأذن الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال اني كرهت ان اقضي امرا دونكما فسكت الحسين لكون اخيه الحسن اكبر منه وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا ابتاه فمن بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل فقال له ابوه صدقت ولكن كرهت ان اقطع امرا دونكما ثم قال لها علي رضي الله عنه انطلقي الى امير المؤمنين فقولي له ان ابي يقرئك السلام ويقول لك انا قد قضينا حاجتك وفي رواية فاعطاها حلة وقال لها قولي له هذا البرد الذي قال لك فقالت ذلك لعمر فقال قولي له قد رضيت رضي الله عنه حصان كريم ماأحسنها وأجاها ووضع يده على ساقها وفي رواية فضمها اليه فقالت تفعل هذا لولا انك امير المؤمنين لكسرت انفك ثم خرجت حتى أتت اباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتني الى شيخ سوء فقال يا بنية انه زوجك ثم زوجه اياها فجاء عمر الى

مجلسه بين الروضة والمنبر حيث يجلس المهاجرون والانصار وذكر لهم الخبر وفي رواية قال لهم رفوني اى قولوا لى بالرفا والبنين فقالوا بمن يا امير المؤمنين فقال تزوجت أم كلثوم بنت على رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم الحديث السابق وجعل لها مهرا اربعين الفا فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ومات عمر عنها وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن ابى طالب فمات عنها ثم تزوجها بعده اخوه محمد بن جعفر فمات عنها ثم تزوجها بعده اخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده ولم تلد لاحد من الثلاثة شيأ واتفق الصحابة رضى الله عنهم على ان عمر رضى الله عنه كان متصفا بكمال الزهد والعلم والورع والعقل وكانوا يقولون هو أكرم من ان يبخل وأعقل من ان يخدع وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون أنواع الطعام وألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابى ذر رضى الله عنه فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا اباذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لابد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين اى سوارين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها بأبى أنت وأمى قد أحسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة رضى الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضى الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته صلى الله عليه وسلم دنانير خمسة أوستة ليلا فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فنام حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت سبعين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه قال الحسن ودخلنا على صفوان بن محيريز وهو فى بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو

أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها الا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا قالوا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اى في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكنه من حر أو برد ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر وأول من عمله هامان وان فرعون اول من بنى له بالآجر والجص فسموا الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من الرهص أي الطين الذي يبنى به فيجعل بعضه على بعض ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان وكان منهم من اذا حج أوغزا نزع بيته أووهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن البصري كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون الطين ويدعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة من أدم حشوها ليف وكان عمر رضي الله عنه يقول لا أبالي أصبحت غنيا أوفقيرا لا أدري أيهما خير لي وكان رضي الله عنه يقول ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن أعظم منه واذ لم أحرم الرضا به واذ أرجو الثواب عليه وسمع عمر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي انت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بأبي انت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذم فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي انت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الأنبياء وذكرك في اولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي انت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فما ذا بأعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بأبي انت وامي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذا بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك

بالابطح صلى الله عليك بأبى انت وامى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لك الذراع لاتأكلنى فانى مسمومة بأبى انت وامى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت بمثلها علينا لهلكنا كلنا لقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون بأبى انت وأمى لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بأبى انت وأمى يا رسول الله لولم تجالس الا كفوا ماجالستنا ولولم تنكح الا كفوا ما نكحت الينا ولولم تواكل الا كفوا ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وآكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت الطعام على الارض ولعقت اصابعك تواضعا منك وقال عمر رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء وكان عمر رضى الله عنه يقول لأبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ذكرنا ربنا وكان أبو موسى حسن الصوت حسن القراءة فيقرأ أبو موسى حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وكتب عمر الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اى البسوا الخلق واستعملوا الخشن فى الاشياء وأهدى عمر نجيبه اى نوى ان يجعلها هديا فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها ففعل اى لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وقال عمر رضى الله عنه اذا اصاب احدكم ودامن اخيه فليستمسك به فقلما يصيب ذلك وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر رضى الله عنهما ليلة فى المدينة فبينما نحن نمشى اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نأمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدى وقال اتدرى بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم على شرب فاترى قلت أرى انا اتينا مانهانا الله عنه قال تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضى الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان فى جوف بيته وكان عمر رضى الله عنه ليلة يعس بالمدينة فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة ودنا من خمر فقال ياعدو الله ظننت ان الله يسترك وأنت على معصيته فقال وأنت ياأمير المؤمنين فلا تعجل فانى ان كنت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت على وقال تعالى لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال عمر رضى الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله ياأمير المؤمنين لئن عفوت عنى

لاأعود الى مثلها ابدا فعفى عنه وخرج وتركه وقال عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهم فلايلومن من أساء الظن به ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال ياأمير المؤمنين انها امرأتى فقال هلا كلمتها حيث لايراك الناس وقال عمر رضى الله عنه لايمنع من النكاح الاعجز او فجور وكان رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول انى لاأتزوج الالاجل الولد وقال عمر رضى الله عنه ماأعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان قدخضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالات فى الصداق ويقول تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان ذلك الأثاث رحى وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق وخطب مرة ونهى عن المغالات فى الصداق وقال ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم ولوكانت المغالات بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأة كيف تنهى وقد قال الله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فقال كل الناس أفقه منك يا عمر حتى النساء وفى رواية قال امرأة اصابت وأخطأ عمر وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه فى الكلام فقال لها أتراجعينى يالكعا فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم دخل على حفصة فقال لها لا تغترى بابنة أبى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى ان امرأة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم دفعت فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى مرة بينه وبين عائشة رضى الله عنها يوما كلام حتى أدخلا بينهما ابابكر رضى الله عنه حكما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمى اوأتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الاحقا فلطمها ابو بكر رضى الله عنه حتى دمى فوها وقال ياعدوة نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا اردنا منك هذا وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها انى لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لاواله محمد واذا غضبت قلت لاواله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك قالوا اول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبى زرع لام زرع غير انى لاأطلقك وكان يقول لنسائه لاتؤذونى فى عائشة فانه والله مانزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكم غيرها وقال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان يمزح مع نسائه و ينزل الى درجات عقولهن مرة فى الاعمال والاخلاق حتى روى عنه انه كان يسابق عائشة رضى الله عنها فى العدو وسبقت يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفى الخبر

انه صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاء وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ومد يديه ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين اوثلاثا ثم قال ياعائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله واناخيركم لأهلى وفى رواية خيركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائى وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون فى أهله مثل الصبى فاذا التمس ماعنده وجد رجلا وقال رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن بركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته بماراجعته وقال ماانت الالعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والاجلست كما أنت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت ان أنظر اليها فذكرت غيرتك ياعمر فبكى عمر رضى الله عنه وقال أعليك أغار يارسول الله وقال عمر رضى الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال اى لاتلبسوهن زينة وانما قال ذلك لأنهن حينئذ لايرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وبعث عمر رضى الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وقال عمر رضى الله عنه لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لاتمطر ذهبا ولافضة وقال رضى الله عنه مامن موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أطلب فيه القوت لأهلى أبيع وأشترى وكان رضى الله عنه يطوف فى السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لايبيع فى سوقنا الا من يفقه والا أكل الرباء شاء أو أبى قال قتادة لماقدم عمر رضى الله عنه الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لايشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بعيدا ومر عمر رضى الله عنه يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فقالوا للعامل من عمالك بالبحرين فقاسمه ماله وكان رضى الله عنه يقول لى على كل خائن أمينان الماء والطين وكان رضى الله عنه اذاقدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد التى قدموا منها وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لاعزله وكتب له ان أقبل وكان يقول مثل السلطان اذاولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذياب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وقد تقدم انه كان يشاطر العمال أموالهم فيأخذ نصف أموالهم فيجعلها فى بيت المال وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وولى أباهريرة رضى الله عنه عملا ثم رأى له مالا فقال له من أين لك هذا المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت وأسهم من الغنيمة فقال أدا الشطر وكأنه رضى الله عنه رأى ان ماأصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا

فانه لايستحق ذلك لأنه له بالامارة قوة على ان ينال بالحلال مالا يناله غيره وفعله هذا مأخوذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية عاملا على صدقات الأزد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مامعه وقال هذا لكم وهذا لي أهدى الي فقال صلى الله عليه وسلم ألا اجلست في بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم خطب فقال مالي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هدية ألا اجلس في بيت أبيه و بيت أمه ليهدى له فو الذي نفسي بيده لايأخذ منكم أحد شيأ بغير حقه الا أتى به يوم القيامة يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم قد بلغت وكان رضي الله عنه اذا قدم عليه العمال يأمرهم ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كي لايحتجبوا شيأ من المال وقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة والله ماأصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان وكان رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيوبه وقال رضي الله عنه مرة لسلمان الفارسي رضي الله عنه ماالذي بلغك عني مما تكره فاستعفاه فألح عليه فقال بلغني عنك ان لك حلتين تلبس أحدهما بالنهار والأخرى بالليل و بلغني عنك أنك تجمع بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما قال لا وانما قال عمر رضي الله عنه لسلمان فقد كفيتهما موافقة لسلمان فيما بلغه مع ان ذلك مكذوب على عمر فانه رضي الله عنه لم يقع منه شيء من ذلك وسأل عمر رضي الله عنه بعض من قدم عليه من الشام عن أخ كان واخاه في الله تعالى فخرج الى الشام فقال مافعل أخي فلان قال ذاك اخو الشيطان قال عمر مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال عمر اذا أردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم كتب له بعد ذلك كلاما يعاتبه فيه ويعذله فلما قرأ الكتاب [illegible] وقال صدق الله وقد نصح لي عمر فتاب مما كان قد وقع فيه وكان [illegible] يحب عبد الله بن العباس رضي الله عنهما و يقربه و يدنيه ويستشيره و يقدمه على الأشياخ فقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسا لاتفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف وكان عمر رضي الله عنه يقول ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه اذا لقيته أولا وأن توسع له في المجلس وان تدعوه بأحسن أسمائه اليه وكان عمر رضي الله عنه يوما جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يارسول الله بأبي انت وأمي ماالذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله عزوجل فقال أحدهما يارب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب

فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وروى أن عمر رضى الله عنه كان يعس ذات ليلة بالمدينة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس ارأيتم لو أن اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال على مثل مقالته الأولى فكان عمر رضى الله عنه مترددا في أن الوالى هل له أن يقضى بعلمه في حدود الله تعالى فلذلك راجعهم في مقام التقدير لا في مقام الاخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال على رضى الله عنه الى انه ليس له ذلك فأخذ عمر بقوله وهذا هو المختار عند الفقهاء فان من قال ان القاضى يقضى بعلمه استثنى من ذلك الحدود وروى النخعي أن عمر رضى الله عنه بعث مصدقين فأبطأوا عليه وبالناس حاجة شديدة فلما جاؤا بالصدقات قام عمر متزرا بعباءة يختلف في أولها وآخرها يقسم تلك الصدقة ويقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع فدخل بيته فأكل من أكل بيته وقال في مال الصدقة من أدخله بطنه أبعده الله قال العلامة الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك كانت الخلفاء تعدل في بيت المال فكانت الرعية هم الأجناد وهذه هي سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وكان جوعه أكثر من شبعه وتوفى صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في آصع من شعير واذا لم يكن العدل في بيت المال ضعف الملك وقويت الأعداء كان الهرمزان من ملوك الفرس فأسره المسلمون وأرسل به رضى الله عنه وراه ب رضى الله عنه فلما وصل الى المدينة وجد عمر رضى الله عنه في المسجد متوسدا كوما من الحصا ودرقته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فنمت وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عاتقه قربة وهو يتخلل الناس فقلت مالك ياأمير المؤمنين فقال لى لا تتكلم وأقول لك فسرت معه حتى صبها في بيت عجوز وعدنا الى منزله فقلت له في ذلك فقال انه حضرنى رسول ملك الروم ورسول ملك الفرس فقالا لى لله درك ياعمر قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك فلما خرجا من عندى تداخلنى مايتداخل البشر فقمت ففعلت بنفسى ما فعلت وحمل مرة أخرى قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال ان نفسى قد أعجبتنى فأردت أن أذلها وقال له كعب الاحبار يوما انا نجدك في كتابنا انك تكون على باب من أبواب جهنم تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزلوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة وكان كعب الأحبار حبرا من أحبار اليهود ثم هداه الله للاسلام في زمن خلافة عمر رضى الله عنه وكان عنده علم كثير من التوراة وكتب بنى اسرائيل وكان فيها صفات النبي

صلى الله عليه وسلم وصفات خلفائه وأصحابه وكثير من حوادث هذه الأمة فكان يجلس مع
اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بها وقد رأوا كثيرا مما أخبرهم به من الحوادث
التى تجرى فى المستقبل فرأوها كما أخبر وقال له عمر رضى الله عنه يوما خوفنا يا كعب فقال
لعمر رضى الله عنه اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى
فنكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر
منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق
فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبى مرسل الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك
اليوم الا نفسى وقال معاوية رضى الله عنه لصعصعة بن صوحان صف لى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا فى قضيته عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب
مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوى وغير جاف للقريب وعن
سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وروى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان وسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا
نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشر والتقى مرة عمر وأبو عبيدة رضى الله
عنهما فصافحه أبو عبيدة وقبل يده وتنحيا يبكيان واخذ عمر رضى الله عنه مرة بغرز زيد بن
ثابت رضى الله عنه تعظيما له لعلمه وقال هكذا فافعلوا بزيد وأمثاله وكتب عمر رضى الله عنه
الى عماله مروا الأقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لأن التجاور يورث
التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى
قبا والعوالى كل سبت ويتفقد عمل العبيد فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه وكان
رضى الله عنه يقول خذوا بحظكم من العزلة والعزلة راحة من قرين السوء وعن الش...
رضى الله عنه الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة ل... يقول بئس
بجمال الكتاب من الله ... رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن
القوم ... يأمرون بالمعروف ولا ينهون
بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم
وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان
تدعوا فلا يستجاب لكم وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر
أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب
لهم وتستغفرون فلا يغفر لكم وتستنصرون فلا تنصرون وقال صلى الله عليه وسلم ما أعمال البر
عند الجهاد فى سبيل الله الا كنفثة فى بحر لجى وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله
عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على انكاره فلا
ينكرونه وكان عمر رضى الله عنه يوما يعطى الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له
عمر رضى الله عنه ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عنه يا أمير

المؤمنين بأمر انى أردت أن أخرج الى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنا على هذه الحالة فقلت استودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه النار على قبر فلانة يعنون زوجته نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت لصوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لى ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضى الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب وكان عمر رضى الله عنه كبقية أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يبالغون فى تطهير قلوبهم وبواطنهم من الصفات الذميمة كالعجب والكبر ويتساهلون فى الطهارة الظاهرة حتى ان عمر رضى الله عنه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وكان بعض المنافقين يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضى الله عنه أن يقتله ورأى أن فعله ذلك حرام وركب عمر رضى الله عنه مرة على فرس هملج ثم نزل عنه وقطع ذنبه لانه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مشيته وسمع عمر رضى الله عنه مرة رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وكان عمر رضى الله عنه يقول اذا أعطيتم فأغنوا وكان يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وأعطى مرة أعرابيا ناقة بولدها وقال اللهم اجعل الفضل عند خيارنا وكان رضى الله عنه يقول ان الأعمال تباهت فقالت الصلة أنا أفضلكن وقال له رجل من اهل الكتاب فى قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا لو نزلت هذه الآية علينا جعلنا يوم نزولها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد نزلت هذه الآية يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد اتخذناه عيدا وكان رضى الله عنه يقول الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى ذى الحجة ومحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وحج رضى الله عنه فلما قبل الحجر الاسود قال انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه والتفت فرأى على بن أبى طالب رضى الله عنه ورآه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال [illegible] المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية [illegible] ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا ويشهد على الكافر بالجحود فقال عمر رضى الله [illegible] بقانى الله فى قوم لست فيهم يا ابا الحسن قال العلماء ولهذا المعنى الذى ذكره على رضى الله عنه استحب للطائف ان يقول عند استلام الحجر اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك يشيرون بذلك الى العهد الذى ألقمه الله الحجر وكان عمر رضى الله عنه يقول أخشى أن كثرة المقام بمكة تسقط هيبة البيت الحرام من القلوب فكان يقول للحجاج اذا حجوا ياأهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت فتسقط هيبته من قلوبهم وقال رضى الله عنه لقد هممت أن اكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وقال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه للدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه

وكان رضى الله عنه يقول ياايها الناس عليكم بالعلم فان الله سبحانه وتعالى رداء يحبه فمن طلب بابامن العلم رداه الله عزوجل بردائه فاذا أذنب استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه وقال رضى الله عنه موت الف عابد صائم النهار قائم الليل أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال رضى الله عنه ان أخوف ماأخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا وعليما فقال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال رضى الله عنه اذازل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال رضى الله عنه ثلاث بهن ينهدم الدين احداهن زلة العالم وكان عمر رضى الله عنه يسأل حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما عن نفسه هل فيه شئ من النفاق فبرأه من ذلك وكان اذادعى الى جنازة ليصلى عليها نظر فان حضر حذيفة للصلاة عليها صلى عليها والاترك وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين والفتن وكان لايحضر جنازة منافق وكان عمر رضى الله عنه يقول مااكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وماتم ايمان عبد ولااستقام دينه حتى يكمل عقله وقال رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولاتكونوا من جبابرة العلماء فلايقوم علمكم بجهلكم وقال رضى الله عنه ان الرجل يشيب فى الاسلام وماأكمل لله صلاة فقيل له وكيف ذلك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عزوجل وقال رضى الله عنه ماكنانعرف الا [illegible] ان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه لاتأخذه فى الله لومة لائم ولايترك انكار المنكر ولاالنصح للمسلمين فكان رضى الله عنه مرة يخطب للجمعة فدخل المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه فأنكر عليه تأخره الى ذلك الوقت وترك البكور الى المسجد فقال فى خطبته أهذه الساعة تجيئ ياعثمان فقال عثمان مازدت بعد أن سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء ايضا اى اقتصرت عليه وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل وأخر عمر رضى الله عنه مرة صلاة المغرب حتى طلع نجم فأعتق رقبة وسئل رضى الله [illegible] البلاء فقال لكثرة العيال و [illegible] رضى الله عنه مرة فقال ايها الناس انه قدأتى على زمان وأناأرى ان قراء القرآن يريدون به الله عزوجل وماعنده [illegible] ان قوما يقرؤنه يريدون به الناس والدنيا الافأريدوا الله عزوجل باعمالكم ألا انما كنا نعرفكم اذ ينزل الوحى واذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ينبأنا من اخباركم فقد انقطع الوحى وذهب النبى فانما نعرفكم الآن بالقول فمن رأينامنه خيرا ظننابه خيرا وأحببناه عليه ومن رأينامنه شرا ظننابه شرا وابغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم الاوانى انما أبعث عمالى ليعلموكم دينكم وسننكم ولاأبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم الامن رابه شئ من ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لاقصنكم منه فقام عمرو بن العاصى فقال ياأمير المؤمنين ارايت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه أتقصه منه قال نعم والذى نفس عمر بيده لاقصنه منه فقدرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه وخطب لماولى الخلافة فقال ياايها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فليني لاهل طاعتك

بموافقة بحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على اعدائك واهل الذعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكرنى الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لاتكون الابعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك مابقيت انك على كل شئ قدير وكان آخر كلام عمر الذى اذا تكلم به اذا عرف انه فرغ من خطبته اللهم لا تدعنى فى غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين وكان الذين يكتبون له زيد بن ثابت وعبدالله بن ارقم وعبدالله بن خلف الخزاعى الذى يقال له طلحة الطلحات كان على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة ابو جبيرة بن الضحاك فلم يزل الى ان ولى عبدالله بن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن القيسى روى ان عمر رضى الله عنه خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة بن شعبة فزوجوها المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتم عمر فانه خير قريش اولها وآخرها الاماجعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن البصرى قال مافضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم فى الدنيا وأشدهم فى امر الله عزوجل قال ابن عباس رضى الله عنهما خرجت يوما أريد عمر فى خلافته فألفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل اسود وفى رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت اجذب الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لايطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم [illegible] رأيته وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام ويقول كل لى ولك

[illegible] الناس هذا [illegible] نفسه [illegible] امر

[illegible] اسلم [illegible]

ذكر مقتل عمر رضى الله عنه

قال الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصرانى وقيل مجوسى يقال له فيروز ابو لؤلؤة وكان نجارا [illegible] يصنع الرحا وحدادا وكان خراجه ثقيلا عليه فشكا الى عمر ثقل الخراج وسأله أن [illegible] مولاه أن يخفف عنه من خراجه فقال وكم خراجك قال درهمان فى كل يوم قال وماصناعتك قال نجار نقاش حداد قال ماأرى هذا خراجا ثقيلا فى مثل صناعتك فقد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر اقد وعدنى العبد الآن فلما كان جاءه كعب الاحبار فقال له ياامير المؤمنين اعهد فانك ميت فى ثلاث ليال قال ومايدريك أجد ذلك فى كتاب عندى قال عمر أنجد عمر بن الخطاب قال اللهم لا ولكنى أجد حليتك وصفتك وانك قد فنى أجلك وعمر لايحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقى يومان فلما

كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقى يوم فلما أصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر فاستعمل ابولؤلؤة خنجراله رأسان محدود الطرفين نصابه فى وسطه وكان عمر قد رأى فى المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات فتأوله بأنه رجل من العجم يطعنه ثلاث طعنات وكان عمر رضى الله عنه يوكل بالصفوف رجالا يسوونها فاذا استوت أخبروه فكبر وربما قرأ سورة يوسف والنحل اونحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فلما كان ذلك اليوم الذى طعن فيه كمن له أبو لؤلؤة فى المسجد فى غمار الناس وأمهله الى ان كبر ودخل فى صلاة الصبح فطعنه ثلاث طعنات وقيل ست طعنات احداهن تحت سرته هى التى قتلته فلما وجد عمر حد السلاح سقط وقال دونكم والكلب فانه جنى على وفى رواية قتلنى أو أكلنى الكلب فماج الناس وأسرعوا اليه وصار العلج لايمر على احد يمينا اوشمالا الاطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة حتى جاء رجل فاحتضنه من خلفه وقيل ألقى عليه برنسا فأدنى السكين الى حلقه فقتل نفسه وقال عمر عندما سقط أفى الناس عبدالرحمن ابن عوف قالوا نعم هوذا فتناوله بيده وقال تقدم صل بالناس فصلى بهم عبدالرحمن بن عوف صلاة خفيفة وحمل عمر الى منزله ثم سئل عمن طعنه فقالوا له أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمدلله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام ثم أذن للناس فدخلوا عليه ودخل فى الناس كعب الاحبار فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

وواعدنى كعب ثلاثا أعدها ❊ ولاشك ان القول ماقاله كعب
ومابى حذار الموت انى لميت ❊ ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

ثم أوصى بجعل الخلافة شورى بين ستة وتقدم الكلام على ذلك مستوفا ثم قال لابنه عبدالله انظر ماعلى من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا فقال ان وفى له مال آل عمر فأده من اموالهم والافسل بنى عدى بن كعب وان لم تف اموالهم فسل فى قريش ولاتعدهم الى غيرهم فأدعنى هذا المال ثم قال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولاتقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم أميرا وقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فمضى وسلم واستأذن ثم دخل على عائشة رضى الله عنها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبدالله قد جاء وهو متطلع اليه فقال ارفعونى فأسنده رجل اليه فقال مالديك قال الذى تحب ياأمير المؤمنين أذنت فقال عمر الحمدلله ماكان شئ من الامر أهم الى من ذلك فاذا أنا قضيت فاحملونى وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لى فأدخلونى وان ردتنى فردونى وفى رواية والافاصرفنى الى مقابر المسلمين فلما توفى خرجوا به فصلى عليه صهيب بن سنان الرومى ثم حملوه واستأذنوا به على عائشة رضى الله عنها فأذنت فدفنوه فى بيتها عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وطعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم سنة أربع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وفى تاريخ ابن الوردى مر يوما عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام

لايزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق مادام هذا بين أظهركم فاذا فارقكم انفتح ذلك الباب فكان كما قال عليه السلام لأن الفتنة كلها قد نجمت بعد مقتله واتصل بعضها ببعض ولاتزال الفتن كذلك الى يوم القيامة انتهى ذكر ما كان لعمر رضى الله عنه و ذلك نزر يسير من سيرته رضى الله عنه

﴿ ذكر ما كان لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان عثمان رضى الله عنه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة عادلا فى بيت المال لايأخذ لنفسه منه شيأ لانه كان غنيا وغناه كان مشهورا من حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وكان كثير الانفاق فى نهاية الجود والسماحة والبذل فى القريب والبعيد وأنزل الله فيه الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولاأذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وكان يخطب الناس وعليه ازار غليظ عدنى ثمنه أربعة دراهم أوخمسة وكان يطعم الناس طعام الامارة و يدخل بيته فيأكل الخل والزيت قال الحسن البصرى دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان اليه فقضى بينهما وعن عبدالله بن شداد قال رأيت عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة يخطب وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم وسئل الحسن البصرى ماكان رداء عثمان قال قطرى قالوا كم ثمنه قال ثمانية دراهم وكان رضى الله عنه شديد التواضع قال الحسن البصرى رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائما فى المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيئ الرجل فيجلس اليه ثم يجيئ الرجل فيجلس اليه فيجلس هو كأنه أحدهم وروى خيثمة قال رأيت عثمان نائما فى المسجد فى ملحفة ليس حوله أحد وهو امير المؤمنين وفى رواية أخرى [illegible] فى المسجد و يقوم وأثر الحصا فى جنبه فيقول [illegible] أيضا رأيت [illegible] بعض الخدم لكفوك لناس هذا أمير المؤمنين وكان يلى وضوءه فى الليل بنفسه فقيل له لوامرت [illegible] فقال لا الليل لهم يستريحون فيه وكان رضى الله عنه يعتق فى كل جمعة رقبة منذ اسلم الا ان [illegible] لايجد ذلك تلك الجمعة فيجمعهما فى الجمعة الاخرى قال العلامة ابن حجر فى الصواعق ان جملة ما اعتقه عثمان رضى الله عنه الفان واربعمائة ومن تواضعه رضى الله عنه انه كان يردف غلامه خلفه ايام خلافته ولايستعيب ذلك وكان رضى الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل الاهجعة من اوله وكان يختم القرآن كل ليلة فى صلاته وكان كثيرا مايختمه فى ركعة وكان اذا امر على المقبرة يبكى حتى تبتل لحيته وكان رضى الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة ومن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو عنهم راض وكان من السابقين للاسلام فانه اسلم بعد ابى بكر وعلى وزيد بن حارثة وشهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة وبالزهد فى الدنيا فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحمك الله ياعثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك وكثرت الفتوحات فى زمن خلافته رضى الله عنه فقد فتح فى زمنها افريقية وسواحل الاردن وسواحل

الروم واصطخر وفارس وطبرستان وسجستان وغير ذلك وكثرت اموال الصحابة فى خلافته رضى الله عنهم حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة الف ونخلة بألف وعن الحسن البصرى قال كانت الارزاق فى زمن عثمان وافرة وكان الخير كثيرا واصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى طعاما يصلح العسكر وأخرج أبو يعلى عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان بن عفان وليى فى الدنيا والآخرة وأخرج ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان فى الجنة وقال لكل نبى خليل فى الجنة وان خليلى عثمان بن عفان وفى رواية لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استحقوا النار الجنة بغير حساب واخرج أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال اول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لأول من هاجر الى الله تعالى بأهله بعد لوط ولما زوج النبى صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم بعثمان رضى الله عنهما قال لها ان بعلك لأشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم أشد أمتى حياء عثمان بن عفان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن أزوج كريمتى يعنى رقية وأم كلثوم من عثمان وقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان حيى تستحى منه الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم انما نشبه عثمان بأبينا ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم ما زوجت عثمان بأم كلثوم الا بوحى من السماء وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان يا عثمان هذا جبريل يخبرنى أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على ثلاثمائة بعير بأجلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما [illegible] عثمان ما فعل [illegible] ابن سمرة قال جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه انها عشرة آلاف دينار فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان ما عمل بعدها وأخرج الواحدى ان الله أنزل بسبب ذلك فى حق عثمان رضى الله عنه الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ارتقبت النبى صلى الله عليه وسلم ليلة من أول الليل الى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه فما زال رافعا يديه حتى طلع الفجر واخرج البغوى عن جابر بن عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو

كائن الى يوم القيامة واخرج الامام احمد عن أم عمرو بنت حسان وكانت امرأة صدق
قالت سمعت أبي يقول ان عثمان جهز جيش العسرة مرتين ولما أمر صلى الله عليه وسلم
ببيعة الرضوان كان عثمان رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع الناس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على
الأخرى نيابة عنه فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم
وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضى الله عنه وأخرج الترمذى وابن ماجه
والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها
فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان
فأقبلت اليه بوجهى فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعثمان ان الله مقمصك قيصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلما حصره
المنافقون وأرادوا منه ان يخلع نفسه امتنع لهذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الى عهدا فانا صابر عليه وروى الحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال اشترى عثمان
الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة ولما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن بها ماء مستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله
عليه وسلم من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتراها
عثمان رضى الله عنه بخمسة وثلاثين الف درهم وجعلها للمسلمين وكانت بقعة الى جنب المسجد
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها فى المسجد فله مثلها فى الجنة فاشتراها
عثمان رضى الله عنه بعد ذلك فوسعها فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله عثمان تستحييه
الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسعنا وعن ابى الفرات قال كان لعثمان
رضى الله عنه عبد فقال له يوما انى كنت عركت [illegible] ان يفعل فأخذ
بأذنه ثم قال قصاص فى الدنيا لاقصاص فى الآخرة وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه وزن
ايمان عثمان [illegible] فرجحهم وأخرج الطبرانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان النبي صلى
الله [illegible] أيت انى وضعت فى كفة وامتى فى كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر فى كفة
وامتى فى كفة فعدلها ثم وضع عمر فى كفة وامتى فى كفة فعدلها ثم وضع عثمان فى كفة وامتى فى كفة
فعدلها وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت والله ما قال ابو بكر شعرا قط فى جاهلية
ولا اسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية وأخرج ابو نعيم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعصمة بن مالك اذا انا مت وابو بكر وعمر وعثمان فان استطعت ان تموت
فمت وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
القائم بعدى فى الجنة والذى يقوم بعده فى الجنة والثالث والرابع فى الجنة وروى
ابن عساكر ايضا عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة
لايجتمع حبهم فى قلب منافق ولايحبهم الامؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأتى صلى الله
عليه وسلم مرة لجنازة رجل فلم يصل عليها فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على

احد قبل هذا فقال انه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل وروى الامام احمد والبخارى وغيرهما عن انس رضى الله عنه قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وتكرر مثل ذلك وهو على حراء وعلى ثبير وعن أبى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض حصيات فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنينا كحنين النحل ثم ناولهن أبا بكر فسبحن فى يده وكذا فى يد عمر وعثمان ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج وقال صلى الله عليه وسلم لأبى موسى بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه فلما أخبره قال الله المستعان وروى الشافعى بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أنوارا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام وأصاب الناس مجاعة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فجاءت عير من الشام لعثمان رضى الله عنه تحمل برا وزيتا وزبيبا وكانت ألف بعير فأعطاه التجار لكل درهم خمسة دراهم فقال ان الله أعطانى لكل درهم عشرة أشهدكم أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله تعالى قال الزهرى كان عثمان رضى الله عنه أحب الى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم وكان عثمان رضى الله عنه حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال أحبك والرحمن حب قريش لعثمان وكان لعثمان رضى الله عنه على طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك معونة على مروءتك وكان رضى الله عنه شديد الشفقة على رعيته قال سليمان بن موسى دعى عثمان الى قوم كانوا [illegible] امر قبيح فخرج اليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى امرا قبيحا فحمد الله اذ لم يصادفهم [illegible] رقبة كفارة لقيامه وخروجه وكان يقول يا ليتنى اذا مت لم أبعث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان انك ستبتلى بعدى فلا تقاتل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يموت عثمان يصلى عليه ملائكة السماء ودخل عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ركبته صلى الله عليه وسلم بادية فغطاها فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأستحى ممن استحيت منه الملائكة وكان رضى الله عنه يقال له ذو النورين لأنه تزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعلم احد أرسل سترا على ابنتى نبى غيره زوجه ابنته رقية فلما ماتت زوجه أم كلثوم فلما ماتت قال لو كان عندى ثالثة لزوجتكها وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن لى أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وقال صلى الله عليه وسلم انما نشبه بأبينا ابراهيم عليه السلام وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر بى عثمان وعندى ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه انا نستحى منه وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضى الله عنه وروى ابن عساكر عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغمودا فى غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف الى يوم القيامة وفى الشفا للقاضى عياض انه صلى الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه يسيل دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولما حصروه استأذنه جماعة من الصحابة انهم يقاتلونهم فأبى وممن استأذنه ليقاتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضى الله عنهم فامتنع أن يأذن لهم وكان على رضى الله عنه يلعن قتلة عثمان ويقول اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وكان على رضى الله عنه يقول أيضا والله الذى لا اله الا هو ماقتلت عثمان ولا ماليت ولقد نهيت فعصونى وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال كنت مع عثمان يوم الدار فقال أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمعا وطاعة ان يكف يده ويلقى سلاحه فألقى القوم اسلحتهم وقال سمرة ان الاسلام كان فى حصن حصين وانهم ثلموا فى الاسلام ثلمة عظيمة بقتلهم عثمان لا تنسد الى يوم القيامة واخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدى قال خصلتان لعثمان ليستا لأبى بكر ولا لعمر صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف وكان له عبيد عشرون حملوا السلاح ليقاتلوا عنه يوم حصر فمنعهم وقال من ألقى السلاح فهو حر لوجه الله تعالى فامتنعوا من القتال وألقوا السلاح ولما قتل رضى الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين وأخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ... عثمان رضى الله عنه بايعنا خير من بقى وعن يزيد بن أبى حبيب قال بلغنى ان عامة الركب الذين ساروا الى عثمان وحاصروه جنوا وعن حذيفة رضى الله عنه ان أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لولم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بحجارة من السماء وقال ابن عباس أيضا لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ليغلبن معاوية واصحابه عليا واصحابه لأن الله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا وكانت آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه أيها الناس ان الله انما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركنوا اليها ان الدنيا تفنى والآخرة تبقى لا تبطرنكم الفانية ولا تشغلكم عن الباقية فآثروا مايبقى على مايفنى فان الدنيا منقطعة وان المصير الى الله اتقوا الله فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا

من الله الفيرة والزموا جماعتكم ولا تكونوا أخدانا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا قال عبدالله بن سلام أتيت أخي عثمان وهو محصور لأسلم عليه فدخلت عليه فقال مرحبا بأخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى الي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لأجد برده بين ثديي و بين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبدالله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان هو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال ابن سلام والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله وكم شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروى عن شيخ من ضبة ان عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع اموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني قال المحب الطبري في الرياض النضرة ان الشيعة اختلقوا أشياء جعلوها طعنا في عثمان رضي الله عنه وهو بريء منها فمنها انهم قالوا انه زوج ابنه بابنة الحارث بن الحكم وأعطاه مائة الف من بيت المال فقد كذبوا في ذلك فانه انما أعطى ذلك من ماله لا من بيت المال وهو مشهور بالغنا قبل ان يلي الخلافة وقالوا ايضا أنكح ابنته أم أبان من مروان وأعطاها مائة الف من بيت المال وذلك ايضا كذب محض بل انما كان ذلك من ماله وقالوا ايضا انه أعطى الحارث بن الحكم عشور أسواق المدينة وذلك ايضا غير صحيح وانما الصحيح أن الحارث المذكور جعله عثمان رضي الله عنه محتسبا على السوق ليحافظ الأسواق كي لا يقع التطفيف والخيانة والجور في المكاييل والموازين فقام بالامر يومين اوثلاثة فاشتكى اهل المدينة منه وقالوا انه كان يشتري النوى ويمنع غيره من شرائه فلا يحصل من النوى شيء لابل المسلمين فعزله عثمان رضي الله عنه فورا ووبخه واي عيب يعود على عثمان رضي الله عنه من ذلك بل هو عين الانصاف والعدل فان عزله له كان بمجرد سماع الشكاية مع انه من قرابته وعابوا عليه ايضا انه ولى بعض اقاربه ولايات وذلك لا يعاب عليه فيه

لانه كان باجتهاد منه وطلبا لاظهار العدل لانه رأى أن أقاربه يعينونه على اظهار العدل واقامة الحق وهكذا جميع الاشياء التي عابوه بها كلها كانت باجتهاد منه وله فيها أعذار ومخارج تدل على أنه انما أراد بذلك العدل واظهار الحق وكلها مبسوطة فى كتب اهل السنة ولما حصره المنافقون وقتلوه بايع الناس بعده على بن أبى طالب رضى الله عنه وبايعه ايضا القوم الذين حصروا عثمان وقتلوه فوقعت الفتنة بين الصحابة رضى الله عنهم لذلك فقال الذين امتنعوا من بيعته لانبايعك حتى تعطينا قتلة عثمان نقتص منهم فقال على رضى الله عنه بايعونى أولا ثم بعد ذلك نتتبع قتلة عثمان فمن ثبت عليه شرعا موجب القصاص نقتص منه واما الاقتصاص منهم قبل دخولكم فى البيعة فانه عسر جدا لان لهم قبائل وعشائر يتعصبون لهم فتنتشر الفتنة وتزداد هذا هو السبب فى الاختلاف الذى وقع بينهم فنشأ عنه وقعة الجمل ووقعة صفين وتمسك كل من الفريقين بحجج وأدلة وتعارضت الأدلة عند بعضهم فاعتزلوا الفريقين منهم سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم وبقى الامر مشتبها بين الناس الى زمن الائمة الاربعة فنظروا فى [illegible] الأدلة التى تمسك بها كل فريق فظهر لهم واتضح تصويب اجتهاد على رضى الله عنه وخطئة اجتهاد غيره لكن لما كان ذلك الخطا ناشئا عن اجتهاد لم يأثموا به لقول النبى صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد فلا سبيل الى الحكم بتأثيم احد منهم فلذلك كان مذهب اهل السنة السكوت عما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم وتاويله وحمله على أحسن المحامل تحسينا للظن بهم لان الله تعالى أثنى عليهم وشهد لهم بالصدق وأخبر بانه رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى احاديث كثيرة فالقدح فيهم يوجب تكذيب الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ويوجب ايضا الحكم عليهم بالفسق فيستلزم ذلك اسقاط ماجاء عنهم من السنة والتشريع الذى نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيستلزم ذلك ابطال الشريعة بخلاف مااذاحمل ماوقع منهم على الاجتهاد الذى لاائم فيه فمذهب اهل السنة هو المذهب الحق الذى من عدل عنه فقد زاغ وضل ومن تمسك به فقد نجا ومما يؤيد مذهب اهل السنة ان عليا رضى الله عنه سأله ابو سلامة الدالانى عن القوم الثائرين لطلب قتلته فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لايدرك ان الحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لأرجو أن لايقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا أدخله الله الجنة واستشهد سيدنا عثمان رضى الله عنه لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وقيل كان قتله أيام التشريق وكانت خلافته ثنتى عشرة سنة الااثنى عشر يوما وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانية وثمانين وقيل تسعين وقصة حصاره وقتله طويلة مبسوطة فى التواريخ لاحاجة لنا بذكرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر ما كان لسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان على رضى الله عنه شديد الزهد فى الدنيا بل قال عمر بن عبد العزيز ان على بن ابى طالب

رضي الله عنه كان أزهد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكذا قال سفيان بن عيينة وكان رضي الله عنه عادلا في بيت المال لا يأخذ منه الا بقدر حاجته وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا وان الله زينه بذلك فقد روى عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها هي زينة الابرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيأ وحبب اليك المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعا ويرضون بك اماما واخرج الامام احمد عن علي بن ابي ربيعة ان عليا رضي الله عنه جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال الله اكبر ثم قام متوكيا على ابن تياح حتى قام على المال فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري هاوها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم امر بنضحه وصلى فيه ركعتين وفي رواية رواها الامام احمد ايضا ان عليا رضي الله عنه دخل بيت المال فرأى فيه شيأ فقال لا أرى هذا ههنا وبالناس اليه حاجة فأمر به فقسم وأمر بالبيت فكنس ثم نضح فصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة وكان ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال قال فدخل علي يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان قد عرفها لبيت المال فقال من اين لها هذه لأقطعن يدها فلما رأى أبو رافع جده في ذلك قال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال علي لقد تزوجت بفاطمة ومالي ولها فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالي خادم غيرها وقال هارون بن عنترة عن ابيه قال دخلت على علي بالخورنق في فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك في هذا المال نصيبا وانت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيأ وماهي الا قطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فارسلت ام كلثوم بنت علي الى عمرو تطلب منه عسلا وسمنا فارسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فاخبره فارسل الى ام كلثوم فاخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم مانقص منهما فكان ثلاثة دراهم فارسل اليها فاخذها منها ثم قسم الجميع وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على علي مال من اصبهان فقسمه على سبعة اسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع فاقرع بينهم لينظر ايهم يعطى اولا وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب من ارض كانت تزرع له واخرج يوما سيفا له الى السوق فباعه وقال لو كان عندي اربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وعن ابي حيان التيمي عن ابيه قال سمعت علي بن ابي طالب ورأيته وهو يقول على المنبر من يشتري مني سيفي هذا فلو كان معي ثمن ازار ما بعته فقام اليه رجل فقال اسلفتك ثمن ازار ولعل هذه مرة اخرى غير المرة التي باع فيها سيفه بالسوق وكان رضي الله عنه يقول انما أحفظ المال للمسلمين وكان لا يشتري ممن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر

كه على طول يده وقطع الباقي ويقول الحمدلله الذي كساني هذا من فضله وعن عبد الله بن ابي الهذيل قال رأيت عليا رضي الله عنه خرج وعليه قيص غليظ اذا مد كم قيصه بلغ الظفر واذا أرسله صار الى نصف الساعد وفي رواية رأيت على بن ابي طالب رضي الله عنه يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريان متزر بواحد ومرتد بالآخر وازاره الى نصف الساق وهو يطوف بالاسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع ووفاء الكيل وعن ابي سعيد الازدي قال رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في السوق وهو يقول من عنده قيص يباع بثلاثة دراهم فقال رجل عندي فجاء به فأعجبه ثم لبسه فاذا هو يفضل عن اطراف اصابعه فأمر به فقطع مايفضل من اطراف اصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اشترى علي بن ابي طالب قيصا بثلاثة دراهم وهو خليفة فقطع كميه من موضع الرسغين وعن أم سلامة رضي الله عنها وقد سئلت عن لباس علي رضي الله عنه فقالت كان لباسه الكرابيس السيلانية والكرابيس ثياب غليظة من القطن وغيره وعن زيد بن وهب ان الجعد بن بعجة عاتب عليا رضي الله عنه في لبوسه فقال مالك وللبوسي هذا ابعد من الكبر وأجدر ان يقتدي به المسلم وقيل لعلي رضي الله عنه لم ترقع قيصك قال يخشع القلب ويقتدي به المؤمن وكان رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم وقال الشعبي وجد علي رضي الله عنه درعاله عند نصراني فأقبل به الى قاضيه شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته في المجلس وقال هذه درعي فقال النصراني ماهي الا درعي ولم يكذب امير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك بينة قال لا وهو يضحك وقيل انه استشهد بابنه الحسن ومولاه قنبر فلم يقبل شريح شهادتهما لكون الحسن ابنه وقنبر مولاه فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء ا[illegible]لمؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم [illegible]اعترف ان الدرع سقطت من علي عند مسيره الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج ور[illegible] [illegible]ضي الله عنه وهو يحمل في ملحفته [illegible]ا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا امير المؤمنين [illegible]ه عنك فقال أبو العيال أحق بحمله وفي [ر]واية ماينقص الكامل من كماله ماجر من نفع الى عياله وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم [م]ثل ذلك فكان يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر وهو راكب على بغلته بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب بغلته ويقول ان الله لا يحب المستكبرين وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر أزهد الناس في الدنيا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول لعمر بن الخطاب ان اردت ان تلحق بصاحبيك فاقصر الامل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الازار واخصف النعل تلحق بهما ولما سئل في خلافة عمر رضي الله عنه عما يستحقه الخليفة في بيت المال فقال مايشبعه وأهله غداء وعشاء وما يكسوه وأهله صيفا وشتاء من أوسط القوت والكسوة لا من أعلاها ولا من ادناها فعمل عمر

رضى الله عنه بما قال على رضى الله عنه فلما صارت الخلافة لعلى رضى الله عنه عمل بذلك ايضا وأخرج الامام أحمد عن عبد الله بن زرير قال دخلت على على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو امير المؤمنين يوم عيد الاضحى فقرب لنا خزيرة فقلت اصلحك الله لو قربت لنا من هذا البط يعنى الاوز فان الله قد كثر الخير فقال يا ابن زرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدى الناس والخزيرة لحم يقطع صغارا على ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيه لحم فهو العصيد وعن زاذان قال رأيت عليا رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يمشى فى الاسواق فيمسك الشسوع بيده فيناول الرجل الشسع ويرشد الضال ويعين الحمال على الحمولة وهو يقرأ هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم يقول هذه الآية نزلت فى ذوى القدرة من الناس وعن ابى مطر البصرى انه شهد عليا رضى الله عنه أتى صاحب تمر وجارية تبكى عند التمار فقال ما شأنك فقالت باعنى تمرا بدرهم فرده مولاى فأبى ان يقبله فقال يا صاحب التمر خذ تمرك وأعطها درهمها فانها جارية وليس لها أمر فدفع عليا فقال المسلمون أتدرى لمن تدفع قال لا قالوا أمير المؤمنين فصب تمرها وأعطاها درهمها وقال لعلى رضى الله عنه أحب أن ترضى عنى فقال ما ارضانى عنك اذا دفعت للناس حقوقهم رواه الامام احمد كالذى قبله وكان على رضى الله عنه يقسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يبقى منه شيأ ثم يرش له ويصلى فيه ثم يقيل فيه وكان اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضة يقول يا بيضاء يا صفراء غرى غيرى قد طلقتك ثلاثا وأتى على رضى الله عنه بفالوذج فوضع قدامه فقال انه لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكنى أكره ان أعود نفسى ما لم تعتد ولم يأكل منه وقصة مفارقة أخيه عقيل له ولحوقه بمعاوية مشهورة [illegible] اها كثير من المحدثين بألفاظ [illegible] ففى رواية انه كان يعطيه من الشعير كل يوم ما يكفى عياله فاشتهى عليه اولاده [illegible] فصار يوفر كل يوم شيأ قليلا حتى اجتمع [illegible] ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا [illegible] اليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه [illegible] ذلك فقال او كان يكفيكم ذلك بعد الذى عزلتم منه قالوا نعم فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لى أزيد من ذلك فغضب عقيل فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنم فقال أذهب الى من يعطينى برا ويطعمنى تمرا فلحق بمعاوية وقد قال معاوية يوما لولا علم بانى خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخى خير لى فى دينى وانت خير لى فى دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله خاتمة خير وأخرج ابن عساكر ان عقيلا سأل عليا فقال انى محتاج وانى فقير فأعطنى قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فاعطيك معهم فألح عليه فقال على لرجل خذ بيده وانطلق به الى حوانيت أهل السوق فقل له دق على هذه الاقفال وخذ ما فى هذه الحوانيت فقال عقيل تريد ان تتخذنى سارقا فقال على وانت تريد ان تتخذنى سارقا ان آخذ اموال المسلمين فاعطيكها دونهم قال لآتين معاوية قال انت وذاك فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة الف ثم قال اصعد المنبر فاذكر ما أولاك به على وما أوليتك

فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى اخبركم انى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه وفى رواية ان عقيلا رضى الله عنه ازمه دين فقدم على على رضى الله عنه بالكوفة فأنزله وامر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فاذا خبز وملح وبقل فقال عقيل لعلى رضى الله عنه ماهو الاما أرى فقال على هو الاما ترى قال أتقضى دينى قال وكم دينك قال أربعون الفا قال على ماهى عندى ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فأدفعه اليك فقال له عقيل بيوت المال بيدك وانت تسوفنى بخروج عطائك قال على أفتأمرنى أن أدفع اليك اموال المسلمين وقد ائتمنونى عليها قال فانى آتى معاوية فاذن له فاتى معاوية فاعطاه خمسين الفا ثم خمسين الفا حتى كملت مائة الف وجلس اياما عند معاوية ثم رجع الى أخيه على رضى الله عنهم وحضر مع معاوية وقعة صفين ولم يقاتل ولم يترك نصح اخيه والتعصب له وكان سريع الجواب روى ان معاوية قال يوم صفين لانبالى وأبو يزيد معنا يعنى عقيلا فقال عقيل وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن عنكم من الله شيأ وله فى سرعة الجواب اخبار كثيرة وكان على رضى الله عنه بعد نهب الدار عند مقتل عثمان يتحرى فى ماكله غاية التحرى خوفا من ان يدخل فى بطنه حرام فكان لايأكل طعاما الامختوما حذرا من الشبهة وكان على رضى الله عنه يقول أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم فقال على الهين اللين السهل وكان يقول ومن موجبات الغفران بذل السلام وحسن الكلام ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك اوخراجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ورأى على رضى الله عنه مرة رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا ياغوثاه فقصد الصوت وهو يقول اتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا امير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت عليه ان لايعطينى مغموزا ولا مقطوعا وكان ذلك شرطهم يومئذ فاتانى به [illegible] الدراهم فابيت ولازمته فلطمنى فقال للاطم ماتقول فقال صدق يا امير المؤمنين قال اعطه [illegible] فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال أو اعفو يا امير المؤمنين قال ذاك اليك ثم قال يامعشر المسلمين [illegible] فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته وكان رضى الله عنه يقول لاشئ احب الى الله تعالى من عدل امام ورفقه ولاشئ ابغض اليه من جوره وخرقه وكان رضى الله عنه يقول اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فان اصبت اهله فهو أهل وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال رضى الله عنه رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال على رضى الله عنه شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى وجدت دارا خيرا لك من دارى أو وجدت لك جوارا خيرا من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك وازهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الجلد المسوح وقال على رضى الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا فى مثل أدنى احوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بهم الفقير ولما عوتب فى خشونة لباسه قال

هو أقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم وقال ان الله تعالى عباداليسوا بالمتنعمين [illegible] بن عبيد وهو والى مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال [illegible]سول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي احيانا وقال على لعمر رضى ا[illegible]نهما ان أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دو الشبع وقال رضى الله عنه اخشو شنوا واياكم وزى العجم كسرى وقيصر وقال رضى الله عنه من تزيا بزى قوم فهو منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وكان على رضى الله عنه أصغر اولاد ابى طالب الاربعة فى السن وأفضلهم قدرا وهم طالب وعقيل وجعفر كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين وكان عقيل اسن من جعفر بعشر سنين وجعفر اسن من على بعشر سنين وبعضهم قدم جعفرا على عقيل فقال ان جعفرا أسن من عقيل بعشر سنين اما على وجعفر وعقيل واختاهم فاختة وجمانة وقيل جمانة بالجيم وكلهم لام واب امهم فاطمة بنت اسد بن هاشم وابوهم ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وفاختة اسمها هند وتكنى بام هانئ أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وكان زوجها ابو وهب هبيرة بن عمرو المخزومى مات مشركا واما جمانة فكان بعلها اسفيان بن الحارث ابن عبد المطلب أسلمت وهاجرت رضى الله عنها وماتت بالمدينة زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلا خفاء فى اسلامهم وصحبتهم [illegible] النبى صلى الله عليه وسلم واما طالب فلا يعلم له اسلام يقال رضى الله عنه [illegible] ان الجن اختطفته فذهب وكان خرج مع كفار قريش يوم بدر فلم يعلم له خبر وكان على رضى الله عنه قد أعطاه الله علما كثيرا وكشفا غزيرا قال ابو الطفيل شهدت عليا رضى الله عنه يخطب وهو يقول سلونى من كتاب الله فوالله مامن آية الا وانا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولو شئت اوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه انا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقال ابن العباس رضى الله عنهما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله تبارك وتعالى وعلم على رضى الله عنه من علم النبى صلى الله عليه وسلم وعلمى من علم على رضى الله عنه وما علمى وعلم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى علم على رضى الله عنه الا كقطرة فى سبعة ابحر ويقال ان عبد الله بن عباس اكثر البكاء على على رضى الله عنه حتى ذهب بصره وقال ابن عباس ايضا لقد اعطى على بن ابى طالب تسعة اعشار العلم وايم الله لقد شارك الناس فى العشر العاشر وكان معاوية رضى الله عنه يسأله ويكتب له فيما ينزل به فلما توفى على رضى الله عنه قال معاوية لقد ذهب الفقه والعلم بموت على بن ابى طالب وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن وسئل عطاء أكان فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه وفضائله كثيرة قد جمعها الناس ودونوها وأجمعها لنعته ما وصفه به ضرار الصداى اذ قال له معاوية صف لى عليا فقال أعفنى يا امير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبأنا اذا استنبأناه ونحن وا[illegible]

مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم الدين و يقرب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله أشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم و يبكى بكاء الحزين و يقول يادنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك فدير آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق فبكا معاوية رضى الله عنه وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزنى حزن من ذبح ولدها في حجرها وسئل الحسن البصرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال كان على والله سهما صائبا من مرامى الله عز وجل ربانى هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا باللاومة في دين الله ولا بالسرفة في مال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذاك على بن أبى طالب رضى الله عنه وأعز من مدحه وأخزى من قدحه وكان رضى الله عنه لا يستأثر من الفيء بشيء بل يقسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم يأمر به فيكنس فيصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ويكفيه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله صلى الله عليه وسلم لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشر سنين وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أقضانا على رضى الله عنه وقال ابن مسعود رضى الله عنه أعلم أهل المدينة بالفرائض على بن أبى طالب رضى الله عنه كم لعلى رضى الله عنه من تشقيق في العلوم وترقيق و بصر بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبي صلى الله عليه وسلم أمضاها وربما تبسم صلى الله عليه وسلم اذ سمعها استصوابا ثم انفذها اذ رآها صوابا وكم مسئلة بديعة دقيقة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغديان مع احدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الارغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الأرغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الأرغفة الثلاثة لا أرضى الا أن تكون الدراهم بيننا نصفين فترافعا الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ماعرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لارضيت منه الا بمر الحق فقال على رضى الله عنه ليس لك في مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول لى الآن انه لا يجب لى في مر الحق الا درهم واحد فعرفنى الوجه في مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه أليس الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء قال بلا قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية

أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن ومن كلام على رضى الله عنه أول مايرى الحليم من بركة حلمه ان الناس كلهم أعوانه على الجاهل واما شجاعة على رضى الله عنه فيكفى فى اثباتها مبارزته لعمرو بن ود الذى بلغ النامة فى الشهرة بالشجاعة وقتله اياه ذكر ابن اسحاق ان عمرو بن ود خرج يوم الخندق فنادى هل من يبارزنى فقام على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا نبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل يبارزنى وهو يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على رضى الله عنه فقال ألا أبرز يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة فقال

* ولقد بححت من الندا ❊ بجمعكم هل من مبارز *
* ووقفت اذ جبن المشجع موقف القرن المناجز *
* وكذاك انى لم أزل ❊ متسرعا قبل الهزاهز *
* ان الشجاعة فى الفتى ❊ والجود من خير الغرائز *

فقام على رضى الله عنه فقال يا رسول الله أنا له فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى أتاه وهو يقول

* لا تعجلن فقد أتا ❊ ك مجيب صوتك غير عاجز *
* ذو نية وبصيرة ❊ والصدق منجا كل فائز *
* انى لارجو ان أقيم عليك نائحة الجنائز *
* من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز *

فقال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف وهو اسم أبى طالب قال أنا على بن أبى طالب قال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره ان أهريق دمك فان أباك كان صديقا لى فقال له على رضى الله عنه لكننى والله ما أكره ان أهريق دمك فغضب عمرو ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا و يروى انه ما نزل عن فرسه الا بعد أن قال له على رضى الله عنه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته وضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأس على فشجه وضربه على رضى الله عنه على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف ان عليا قد قتله ثم أقبل على نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال على انى حين ضربته استقبلنى بسوءته فاستحييت ان أسلبه ثم خرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق فمن هنا لم يأخذ على سلبه وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه وكذا قصته عند فتح خيبر لما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فاعطاه الراية فكان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجنا مع على بن ابى طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن

خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ... كان عند الحصن وكان ذلك الباب من حديد فترس به نفسه فلم يزل في يده وهو ... الله عليه ثم ألقاه وراء ظهره من يده حين فرغ فكان بعده عنه حين ألقاه ثمانين شبرا ... رافع فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فانقلبه وعن جابر أنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون وفي رواية البيهقي فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوا الباب الى مكانه وفي شرح المواقف قال علي رضي الله عنه ماقلعت باب خيبر بقوة جثمانية ولكن بقوة الهية وكان علي رضي الله عنه اذا استعلى الفارس قده واذا اعترضه قطه وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له في ذلك فقال اذا وليت فلا وألت أي لارجعت يعني انه كان لا يولي ظهره ابدا والموئل المرجع وفي حديث آخر كانت ضربات علي أبكارا اذا استعلى قد واذا استعرض قط وقوله أبكارا يقال ضربة بكر أي لاثنى ومن شجاعته رضي الله عنه انه يوم خيبر قتل أخا مرحب ثم مرحبا وكل منهما كان شجاعا مشهورا وذلك انه بارز أولا أخا مرحب فقتله فخرج اليه مرحب ولم يكن في أهل خيبر أشجع منه ولم يقدر أحد من أهل الاسلام أن يقاومه في الحرب وخرج وهو يقول

قد علمت خيبر أني مرحب ❊ شاكي السلاح بطل مجرب
أضرب أحيانا وحينا أضرب ❊ اذا الحروب اقبلت تلهب
ان حامي للحمى لا يقرب

وكان قد لبس درعين وتقلد سيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهن مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة على رأسه وله رمح سنانه ثلاث أسنان فبرزله علي كرم الله وجهه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره ❊ ضرغام آجام وليث قسوره

وفي رواية بدل هذا المصراع

كليث غابات كريه المنظره ❊ عبل الذراعين غليظ المقصره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

في رواية اكيلكم بالصاع كيل السندره قوله عبل الذراعين أي ضخمهما والمقصرة اصل العنق والسندرة ضرب من الكيل كبير واسم امرأة كانت تبيع الحنطة وتوفي الكيل والنكتة في ارتجاز علي رضي الله عنه بهذا الرجز ان مرحبا كان قد رأى في المنام ان اسدا يفترسه فلعل عليا رضي الله عنه اطلعه الله على رؤيا مرحب فاراد ان يذكر رؤياه ليقذف في قلبه الرعب فلما اختلط أراد مرحب ان يضرب عليا فسبقه علي بالسيف ذي الفقار فترس مرحب فوقع السيف على الترس فقده وقد الحجر والمغفر والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ في الأضراس فقتله ثم حمل المسلمون على الكفار وقتلوا ثمانية من رؤسائهم وفر الباقون الى الحصن وتبعهم المسلمون وكان ضرار بن حمزة الصدائي من أولياء علي رضي الله عنه فكان لماتمت البيعة لمعاوية بنزول الحسن له عن الخلافة رضي الله عنه تباعد عنه معتزلا يعبد الله تعالى ثم ألجأته ضرورة فوفد على معاوية فقال له معاوية صف لي عليا فقال اعفني يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك لتصفنه فقال كان والله بعيد المدى

شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربنا منه لانكاد نكلمه هيبةله يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولايبأس الضعيف من عدله وأشهدلقد رأيته فى بعض مواقفه وقدأرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم أى اللديغ ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات هيهات قدطلقتك ثلاثا لارجعةلى فيك فعمرك قصير وحظك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله اباالحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار فقال حزن من ذبح ولدها فى حجرها وسئل الحسن البصرى عن على رضى الله عنه فقال كان والله سهما صائبا من مرامى الله عز وجل على عدوه وربانى هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متراخيا عن أمر الله ولا بالملومة فى دين الله ولابالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذلك على بن ابى طالب رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم على مع القرآن والقرآن مع على لايفترقان حتى يردا على الحوض وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى على عبادة وقال صلى الله عليه وسلم على امام البرره وقاتل الفجره منصور من نصره مخذول من خذله وقال صلى الله عليه وسلم عنوان صحيفة المؤمن حب على بن ابى طالب وقال صلى الله عليه وسلم حب على يأكل الذنوب كماتأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا فى حياته وبعدمماته وقال صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقدأحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليافقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أغضب الله وقال صلى الله عليه وسلم على يزهر فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزل فى على رضى الله عنه ثلاثمائة آية من آيات القرآن منها قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال محمد بن الحنفية لايبقى مؤمن الاوفى قلبه ود لعلى وأهل بيته و نزل قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها أذن على قال على رضى الله عنه مانسيت بعدذلك شيأ وفضائل على رضى الله عنه وبقية الخلفاء الراشدين كثيرة مفردة بالتأليف والقصد من ذلك كله بيان عدلهم فى بيت المال وانهم انمافتحوا الفتوحات حتى اتسع الاسلام بالعدل فى بيت المال وقصة استشهاد على رضى الله عنه مشهورة لاحاجة لنا بذكرها وكان استشهاده سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة ومماينبغى أن يلحق بالخلفاء الأربعة فى العدل فى بيت المال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فان كثيرا من الأئمة ألحقوه بالخلفاء الراشدين

﴿ ذكر ما كان لعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه من الاقتصاد فى الدنيا وحسن السيرة ﴾

كان رضى الله عنه زاهداعادلا فى بيت المال كانت نفقته التى يأخذها من بيت المال كل يوم درهمين وقال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن عبدالعزيز وهوخليفة باثنى عشر درهما

لفه وقيصه ورداءه وقباءه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفيه وكان يلبس القميص مرقعا كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سعيد بن سويد صلى عمر بن عبد العزيز بالناس الجمعة وعليه قيص مرقوع محبب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل الزهد القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة وقال عون بن المعتمر دخل عمر بن عبد العزيز يوما على امرأته فاطمة بنت عبد الملك فقال يا فاطمة عندك درهم اشترى به عنبا قالت لا ثم قالت وانت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشترى به عنبا قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا فى جهنم وقال أبو أمية الخصي غلام عمر دخلت يوما على مولاتي فغدتني عدسا فقلت لها كل يوم عدس فقالت يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين ولما أفضت الخلافة اليه وفرغ من دفن ابن عمه سليمان بن عبد الملك قربوا اليه من الخيل مراكب الخلافة يركب ماشاء منها وكانت مراكب كثيرة مزينة بأنواع الزينة فأبى أن يركب شيأ منها وقال تكفيني بغلتي وباع تلك المراكب وما كان عليها من أنواع الزينة وجعل ذلك الثمن فى بيت المال وكذا ما كان يصرف عليها من النفقات وما يصرف على خدمها القايمين عليها جعل ذلك كله فى بيت مال المسلمين وأمر بالستور فهتكت والفرش التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وادخال ثمنها فى بيت مال المسلمين قال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد انما الزاهد عمر بن عبد العزيز وقال عبد الله بن المبارك لما قيل له زاهد قال لست بزاهد انما الدنيا زهدتني وتركتني الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا فزهد فيها وتركها وكان ابن سيرين اذا سئل عن الطلا قال نهى عنها الامام المهدى يعنى عمر بن عبد العزيز وقال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه الذى توفى فيه فاذا عليه قيص وسخ فقلت لأختى فاطمة بنت عبد الملك ألا تغسلنه ثم رجعت مرة اخرى فوجدت القميص بحاله لم يغسل فقلت ألا تغسلن قيصه فقالت والله ماله غيره وقال قيس بن جبير مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية مثل مؤمن آل فرعون وقال ميمون بن مهران ان الله كان يتعهد الناس بنبي بعد نبي وان الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز وقال حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم فى البادية فى خلافة عمر بن عبد العزيز فقلت سبحان الله ذئب فى غنم لا يضرها فقال الراعى اذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وقال مالك بن دينار لما ولى عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذى قام على الناس خليفة عدل حتى كفت الذئاب عن شاتنا فقيل لهم وما علمكم بذلك فقالوا اذا قام على الناس خليفة عدل تكف الذئاب عن الشياه وكانت الشياه والذئاب ترعى فى مكان واحد فبيناهم كذلك ذات ليلة اذ عرض الذئب لشاة فقالوا ما نرى الرجل الصالح الاهالك وكان ذلك فى زمان موته فلما بلغهم خبر موته بعد نحو شهر حسبوا ذلك فوجدوا موته فى تلك الليلة وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرمها به فكتب اليه عمر قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمها والسلام وكانت زوجته فاطمة بنت عمه عبد الملك بن مروان عندها حلى وجواهر لم ير مثلها أمر لها بها أبوها

حين زوجها به فلما أفضت الخلافة اليه قال لها اختاري اما أن تردي حليك الى بيت المال لأنه أخذ بغير حق و أما أن تأذني لي في فراقك فاني أكره أن أكون أنا وأنت وهذا الحلي في بيت واحد فقالت بل أختار ك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت المال فلما مات عمر واستخلف أخوها يزيد بن عبد الملك قال لأخته فاطمة ان شئت رددته عليك لأن عمر أخذه منك بغير حق وأدخله بيت المال فأبت ان ترده وقالت لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته فأخذه يزيد فقسمه بين اهله ولما ولي عمر الخلافة أخذ من بني عمه وقرابته أموالا كثيرة وضياعا وعقارات وأدخلها بيت المال وقال انهم أخذوها بغير حق وسمي ذلك مظالم ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان وسألوها أنها تكلمه وتراجعه في ذلك فأتته فقالت له تكلمني انت يا أمير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ماعنده وترك للناس نهرا شربهم سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم عمر فعمل عملهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر الي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد أردت كلامك فأما اذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم بكلامه وقيل انها قالت له ان بني أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له انهم يحذرونك يوما من أيامهم (تعني) انهم يخرجون عليه و يقاتلونه فغضب وقال كل يوم أخافه غير يوم القيامة قد أمنت شره فرجعت اليهم فأخبرتهم وقالت أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر فجاء يشبه جده فسكتوا (أي) لأن أم عمر بن عبد العزيز هي أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب واسمها حفصة وكان رضي الله عنه بوجهه شجة ضربته فرس في جبينه وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت اشج بني مروان لسعيد وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا فكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفي رواية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملأها عدلا كما ملئت جورا وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول كنا نتحدث ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شجة فكانوا يظنون انه ذو الشين الذي ذكره عمر فلم يكن هو وما عرفوا ذا الشين حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز فولي الخلافة وسار بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن عبد الله بن مسلم عن ابيه قال دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين فلما فرغ الكاتب وخرج اطفئت الشمعة وجيء بسراج الى عمر من ماله وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين ولما ولي الخلافة أمر مناديا ينادي من كانت له مظلمة فليرفعها فقام اليه ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين اسألك كتاب الله تعالى قال وما ذاك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك غصبني أرضي والعباس جالس فقال ماتقول ياعباس قال أقطعنيها امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلة فقال عمر ماتقول

يا ذمي فقال يا امير المؤمنين اسألك كتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ثم قال ردد اليه يا عباس ضيعته فردّها عليه وجعل لا يدع شيأ مما كان في يده ويد أهل بيته من المظالم الا ردها مظلمة مظلمة ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان عمر بن الوليد بن عبد الملك غائبا فسمع ان عمر بن عبد العزيز أخذ أموالا من بني عمه وعشيرته وردها الى بيت المال فكتب كتابا لعمر بن عبد العزيز يقول فيه انك قد أزريت على من قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك على هذا اي فلابد ان يخرجوا عليك ويقاتلوك فلما قرأ كتابه كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اما بعد فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه فأنا أول سائل فان كنت ابن الوليد كما زعم فأمك بنانة بنت السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل حوانيتها ... عز وجل بها أعلم فاشتراها ذبيان من فيء المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا تزعم اني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان أظلم مني وأترك لعهد الله سبحانه وتعالى من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له في ذلك نية الا حب الوالد ولده فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو والدك من خصمائه وان أظلم مني وأترك لعهد الله تعالى من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جافيا على مصر وأذن له في المعازف واللهو والشرب ومن جعل لعالية البربرية سهما في خمس خمس العرب فرويدا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفيء الى أهله لتفرغت لك ولاهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق ومن وراء هذا ما أرجو ان اكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ... لكل فيك حقا والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ولا ينال سلام الله الظالمين وكان عمر بن عبد العزيز قبل ان يلي الخلافة على خير وعلم وصلاح وعبادة الا انه كان متنعما في مأكله ومشربه وملبسه فلما ولي الخلافة اخشوشن وترك ما كان عليه من التنعم وكان قبل أن يلي الخلافة لا يأكل الا أحسن الطعام ولا يلبس الا أحسن الثياب وكان يشترى له الحلة بالف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها وكان يؤتى له بالثوب الحسن الناعم فيلمسه بيده فيقول ما أحسنه لولا خشونة فيه فلما جاءته الخلافة واخشوشن فكان يؤتى له بالقميص الخشن الذي لا قيمة له فيلمسه بيده فيقول ما أحسنه لولا نعومة فيه فسئل عن ذلك فقال ان لي نفسا تواقة لا تنال شيأ الا تاقت لما هو أرفع منه فلما نالت الخلافة اشتاقت الى الجنة وحدث الهيثم بن عدي قال كان لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز جارية حسناء وكان عمر بن عبد العزيز يهوى تلك الجارية فطلبها من زوجته فاطمة لنفسه قبل أن يلي الخلافة فامتنعت من اعطائها اياه ... ولي الخلافة أرادت فاطمة التقرب اليه والحظوة عنده فأمرت باصلاح الجارية وأدخلتها عليه وأعطتها اياها في أحسن صورة وقالت هي لك قد طبت بها نفسا فسر بقولها وظهر

الفرح في وجهه ثم اختلى بالجارية لم يمسها بل سألها وقال لها لمن كنت ومن أين أتيت لفاطمة فقالت كان الحجاج اغرم عاملا كان له بالكوفة مالا وكنت في رق ذلك العامل فأخذني الحجاج فبعثني الى عبد الملك بن مروان وانا صبية فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وما ترك ولدا قالت بلى قال فما حاله قالت سيئ فكتب عمر الى عامله ان سرح الى فلان بن فلان على البريد فلما قدم عليه قال له ارفع الى جميع ما أغرمه الحجاج أباك فارفع اليه شيء الادفعه له ثم دفع اليه الجارية وقال له اياك واياها ولعل أباك قد وطئها فحرمت عليك فقال الغلام هي لك يا أمير المؤمنين واراد اعطائه اياها قال لا حاجة لي فيها قال فابتعها مني قال اذا لست ممن ينهى النفس عن الهوى فمضى بها الفتى فقالت الجارية لعمر فأين وجدك ومحبتك لي فقال على حاله ولقد ازددت قيل فما زالت في نفس عمر حتى مات وكان مسلمة ابن عبد الملك بن مروان متنعما ينفق كل يوم على مائدته الف درهم فبعث اليه عمر بن عبد العزيز يوما ان يتغدى عنده فهيأله طعاما وأمر ان يحبس الطعام وان يقدم اليه قبل ذلك العدس لكن أخروا تقديمه حتى جاع مسلمة جوعا طويلا فقال عمر لخادمه ويحك ان اباسعيد لا يصبر على الجوع فأتنا بما عندك فأتاه بالعدس فأكل مسلمة من ذلك أكلا عنيفا منكرا لشدة جوعه حتى شبع ثم جيء بالطعام الذي هيؤه فقال عمر كل يا اباسعيد فقال قد اكتفيت فقال عمر يا أباسعيد تكفيك أكلة بدانقين وانت تنفق على مائدتك الف درهم كل يوم فتاب وأعطى الله عهدا ان لا يعود لمثل ذلك ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي توفي فيه فقال يا أمير المؤمنين ألا توصي قال وهل من مال أوصي فيه فقال مسلمة هذه مائة الف أبعث بها اليك أوصي فيها فقال له عمر أو غير ذلك يا مسلمة قال وما هو يا أمير المؤمنين قال تردها من حيث أخذتها فبكى مسلمة وقال رحمك الله يا أمير المؤمنين لقد ألنت منا قلوبا قاسية وزرعت في قلوب الناس لنا مودة وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا ثم قال مسلمة فأوص الى بنيك فقال عمر أوصي بهم الى الله عز وجل وهو يتولى الصالحين وفي رواية ان بني أحد رجلين اما رجل يتقي الله تعالى فسيجعل الله له مخرجا واما رجل مكب على المعاصي فاني لم اكن لأقويه على معاصي الله وفي رواية ان كانوا صالحين فالله يتولى الصالحين وان كانوا مجرمين فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولما مات رضي الله عنه بلغت تركته سبعة عشر دينارا اكفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع قبره بدينارين وكان بنوه احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من بنيه تسعة عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من تركته الف الف ثم رؤي واحد من ولد عمر بن عبد العزيز جهز في يوم واحد مائة فارس ورؤي واحد من ولد هشام يسأل الناس ويتصدق عليه وكان سليمان بن عبد الملك يقتل الخوارج كثيرا فكان عمر ابن عبد العزيز يشير عليه بحبسهم حتى يتوبوا وينهاه عن قتلهم فجاء خارجي مرة لسليمان ابن عبد الملك وقال له يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان علي بعمر بن عبد العزيز فلما جاء قال له سليمان اسمع مقالة هذا فأعاد الخارجي قوله يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ماذا ترى فسكت عمر فقال له سليمان عزمت عليك لتخبرني بما ترى فقال عمر أرى ان تشتمه كما شتمك فقال

سليمان ليس الاهذا قال نعم ثم امر سليمان بالخارجي فقتل بضرب عنقه ... ثم أمركه
خالد بن الريان صاحب حرس سليمان فقال ياعمر كيف تقول لامير المؤمنين ما ... عليه الاان
تشتمه كاشتمك والله لقد كنت متوقعا ان يأمرني امير المؤمنين بضرب عنقك قال واو أمرك
لفعلت قال اي والله فلما افضت الخلافة الى عمر جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس فقال له
عمر ياخالد ضع هذا السيف عنك ثم قال اللهم انى وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه ابدا
ثم نظر الى وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الانصاري وقال ياعمرو والله ليعلمن الله ان
مابيني و بينك قرابة الاقرابة الاسلام ولكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلي في موضع
تظن انه لايراك احد الاالله ورأيتك تحسن الصلاة وانت رجل من الانصار فخذ هذا السيف
فقد وليتك حرسي فوضع الله ذكر خالد بدعوة عمر بن عبدالعزيز حتى كان لايذكر ولايدري
أحي هو أم ميت قال يحيى بن يحيى فمارأيت شرا بفاخل ذكره حتى لا يذكر مثل خالد بن الريان
حتى ان كاد الناس يقولون مافعل خالد أحي هو أو قد مات لخمول ذكره بدعوة عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة قال لميمون بن مهران كيف لي بأعوان
على هذا الامر أثق بهم فقال ياأمير المؤمنين لاتشغل قلبك بهذا فانك سوق وانما يحمل الى كل
سوق ماينفق فيه فاذا عرف الناس منك النصح لم يأتوك الابالنصح فكان الامر كذلك وكان
رضي الله عنه يجمع الفقهاء عنده كل ليلة فيذكرون الموت والقيامة ويبكون حتى كأن بين
ايديهم جنازة وكان رضي الله عنه يقول مالي في الامور هوى سوى مواقع قضاء الله فيها وما كنت
على حالة من حالات الدنيا فسرني اني على غيرها وبلغ عمر بن عبدالعزيز ان ابناله اشترى فصا
بالف درهم وتختم به فأمره ان يبيع الفص ويتصدق بثمنه وان يشتري فصا بدرهم وينقش عليه
رحم الله امرأ عرف نفسه وعن الاوزاعي قال قال عمر بن عبدالعزيز لجلسائه من صحبني منكم
فليصحبني بخمس خصال يدلني من العدل على مالا أهتدي له ويكون لي على الخير عونا ويبلغني
حاجة من لايستطيع بلاغها ولايغتاب عندي احدا ويؤدي الامانة التي حملها مني ومن الناس
... كان كذلك فحيهلا به والا فهو في حرج من صحبتي والدخول علي وعن الزهري قال كانت
العلماء عند عمر بن عبدالعزيز تلامذة وقال ميمون بن مهران عمر بن عبدالعزيز معلم العلماء أتينا
عمر نعلمه فمابرحنا حتى تعلمنا منه ولما ظهر من عدله ماظهر وضع له جماعة من بني امية من سقاه
السم فقيل له تدارك نفسك فقال والله لقد عرفت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي
ان أمس شحمة أذني مافعلت وسأل الذي سقاه السم فأقر فقال له كم أعطوك فقال الف دينار
فقال ائتني بها فأتاه بها فوضعها في بيت المال وقال له غيب وجهك عني ولم يعاقبه وجاء رجل
الى هشام بن عبدالملك فقال ياامير المؤمنين ان عبدالملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان
حتى استخلف عمر رحمه الله نزعها مني فقال هشام أعد مقالتك فقال ياامير المؤمنين ان عبدالملك
أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى استخلف عمر رحمه الله نزعها مني فقال هشام
والله ان فيك لعجبا انك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليه وتذكر من انتزعها
فتترحم عليه وانا قد أمضينا ماصنع عمر رحمه الله وقال سفيان الثوري والشافعي وكثير من الائمة
الخلفاء خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ولما عهد اليه سليمان بن عبدالملك

بالخلافة امتنع من القبول فأكرهوه على البيعة فلما فرغوا من البيعة صعد المنبر فقال يا أيها الناس انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى ولا مشورة من المسلمين وانى قد خلعت مافى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لانفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك ياامير المؤمنين ورضيناك فى أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الاصوات قد هدأت ورضوا به جميعا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أوصيكم بتقوى الله الى ان قال ان هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى نبيها ولا فى كتابها وانما اختلفوا فى الدنانير والدراهم والله لا أعطى احدا باطلا ولا أمنع احدا حقا ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال ايها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله تعالى فلا طاعة له أطيعونى ان أطعت الله تعالى فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لى عليكم ثم نزل فدخل داره وكانت فاطمة بنت الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم تكثر من الترحم على عمر بن عبد العزيز فقيل لها فى ذلك فقالت دخلت عليه وهو امير المؤمنين فأخرج عنه كل خصى حتى لم يبق فى البيت غيره وغيره ثم قال والله ما على وجه الارض أهل بيت أحب الى منكم ولأنتم احب الى من أهل بيتى وماترك لى حاجة الا قضاها وقال الامام محمد الباقر بن زين العابدين رضى الله عنه ان عمر ابن عبد العزيز نجيب بنى امية وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وعن حماد ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف بكا فقال يافلان اتخشى على قلت كيف حبك للدرهم قال لا احبه قلت لا تخف فان الله سيعينك وقال فى بعض خطبه ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانى لست بقاض ولكنى منفذ ولست بمبتدع ولكنى متبع ولست بخير من احدكم ولكنى أثقلكم حملا ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقال بعض علماء التابعين ان عمر ابن عبد العزيز هو المهدى الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم انه يملأ الأرض عدلا لكن الصحيح الذى عليه جمهور العلماء انه مهدى من جملة المهديين واما المهدى المنتظر فانه من ولد فاطمة رضى الله عنها ويجتمع بعيسى عليه السلام ويكون خروج الدجال فى زمنه وذلك من أعظم علاماته ومما استدل به القائلون بان عمر بن عبد العزيز هو المهدى كثرة المال فى زمانه وزهد الناس فى الدنيا وذلك من علامات المهدى قال معمر بن أسيد والله مامات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح حتى يرجع بماله كله وقد أغنى عمر الناس وقد علمت انه مهدى من جملة المهديين وليس هو المهدى المنتظر وان وجد كثير من علامات المهدى المنتظر فى زمانه وكان عمر بن عبد العزيز كثير العبادة والزهد والخوف والبكاء قال عطا بن أبى رباح حدثتنى فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز انها دخلت عليه وهو فى مصلاه تسيل دموعه على خديه فقلت ياأمير المؤمنين اشئ حدث قال يافاطمة انى تقلدت أمر امة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل واشباههم فى أقطار الارض وأطراف البلاد فعلمت ان ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة

لا تثبت لى حجتى فبكيت قال عطاء الخراسانى أمر عمر بن عبد العزيز غلامه ان يسخن له ماء فانطلق فسخن قمقما فى مطبخ بيت المال فلما علم عمر أمر الغلام ان يشترى حطبا بدرهم ويجعله فى مطبخ بيت المال وأهدى اليه رجل من اهل بيته تفاحا طيب الطعم والريح فقال عمر ماأطيب ريحه وأحسنه ادفعه ياغلام للذى أتى به وقال له ان هديتك عندنا وقعت بحيث تحب وكان عنده عمرو بن مهاجر فقال ياامير المؤمنين ابن عمك ورجل من اهل بيتك وقد بلغك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك ان الهدية كانت للنبى صلى الله عليه وسلم هدية وهى اليوم لنا رشوة وقال مكحول لو حلفت لصدقت مارأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز وقال سعيد بن ابى عروبة كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله واجتمع بنو مروان يوما وقالوا لعبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز قل لابيك ان من كان قبلك من الخلفاء يعطوننا ويعرفون لنا مواضع حقوقنا وان اباك [illegible] نا مافى يده فدخل على ابيه فاخبره فقال قل لهم انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وقال أرطاة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرسا واحتـ[illegible] فى طعامك وشرابك فقال اللهم ان كنت تعلم انى اخاف شيأ دون يوم القيامة فلا تؤ[illegible] خوفى وكتب اليه عامل خراسان ان أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ولا يصلحهم الا السيف و[illegible]سوط فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لى فى ذلك فكتب اليه عمر امابعد فقد بلغنى كتابك تذكر ان اهل خراسان قد ساءت رعيتهم وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسط ذلك فيهم والسلام وكان رضى الله عنه اذا أملى على كاتبه يقول اللهم انى أعوذ بك من شر لسانى وبكى رضى الله عنه مرة فبكت لبكائه فاطمة زوجته فبكى أهل الدار لبكائهما ولا يدرى احد منهم ماسبب البكاء فلما تجلى عنهم قالت له فاطمة بأبى انت ياأمير المؤمنين ممابكيت قال ذكرت منصرف القوم من بين يدى الله عز وجل فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم صرخ وغشى عليه ورفع رضى الله عنه مرة بيده كفا من تمر وقال لمسلمة بن عبد الملك ان الماء على التمر طيب ارأيت لو ان رجلا اكل هذا ثم شرب عليه الماء أكان يجزيه الى الليل قال نعم قال فعلى م تدخل النار قال مسلمة فاوقعت منى موعظة موقعها وجاء ابن سليمان بن عبد الملك الى مزاحم مولى عمر ابن عبد العزيز وحاجبه فقال ان لى حاجة الى أمير المؤمنين عمر فاستأذن له فاذن له فلما دخل قال له ياأمير المؤمنين رد على قطيعتى التى أخذت منى فقال عمر معاذ الله ان أرد قطيعة أصبحت فى الاسلام وقال هذا كتابى وأخرج كتابا من كمه فقرأه عمر فقال لمن كانت هذه الارض قبلك قال للفاسق ابن الحجاج فقال عمر فهو اولى بدعواها قال فانها من بيت مال المسلمين قال فالمسلمون أولى بها قال ياأمير المؤمنين رد على كتابى قال لا أفعل لو لم تأتنى به لم أسألكه فأما اذ جئتنى به فلم أدعك تطلب باطلا فبكى ابن سليمان فقال مزاحم ياأمير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا قال ويحك يامزاحم انها نفسى أجادل عنها وانى لاجد له من الشفقة ماأجد لولدى وكتب سالم بن عبد الله بن عمر لعمر بن عبد العزيز بعضا من سيرة عمر بن الخطاب لماطلب منه ذلك عمر ابن عبد العزيز ثم قال سالم ان عمر بن الخطاب عمل فى غير زمانك وكان له مساعد ومعين على مايريد من الحق فان عملت فى زمانك بمثل ماعمل فى زمانه كنت افضل منه وأرسل مرة عمر

ابن عبد العزيز غلاما ... فجعل الغلام بها فقال له عمر اسرعت بها فقال ...
في نار مطبخ ... المسلمين وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم منه فقال عمر لغلامه اذهب
فكلها ... رزقتها ولم أرزقها وكان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سفط فيه دراعة
من شعر وغل وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل عليه فيه احد فاذا كان في آخر
الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدراعة ووضع الغل في عنقه فلا يزال يصلي و يناجي
ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ثم يعيده في السفط وقال الامام الغزالي في الاحياء دخلت
مولاة لعمر بن عبد العزيز ... في بيته
فصلت فيه ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت واستيقظت ...
يا امير المؤمنين اني والله رأيت عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها
ثم جيئ بالصراط فوضع على متنها فقال هيه فقالت فجيئ بعبد الملك بن مروان فحمل
عليه فامضى الايسير حتى انكفابه الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه قالت ثم
جيئ بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى الايسير حتى انكفا به الصراط فهوى
في جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيئ بسليمان بن عبد الملك فامضى عليه الايسير حتى
انكفابه الصراط فهوى في جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيئ بك يا أمير المؤمنين
فصاح عمر صيحة وخر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في أذنيه يا أمير
المؤمنين اني والله رأيتك نجوت قال فما زالت تنادي وهو يصيح و يفحص برجليه
وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله وهو عدي بن أرطاة وكان قد ولاه
البصرة فلما أراد عزله كتب له بعزله وقال له في كتابه أما بعد فانك غررتني بعمامتك
السوداء وارسالك طرفها من ورائك ومجالستك القراء وانك أظهرت لي الخير فأحسنت
بك الظن وقد أظهرني الله على ماكنت تكتم والسلام وذكر الفضيل بن عياض ان
بعض عمال عمر بن عبد العزيز شكى اليه مشقة القيام بعمله فكتب اليه عمر يا أخي اذكر
سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد واياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكون
آخر العهد وانقطاع الرجاء فلما قرأ العامل الكتاب ترك عمله وانصرف وطوى الارض حتى
قدم على عمر فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابك لا أعود الى ولاية أبدا حتى ألقى
الله عز وجل ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه سالم بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب ومحمد بن كعب وهو كئيب حزين فقال لأحدهما عظني فقال يا أمير المؤمنين
ان الله سبحانه وتعالى لم يجعل احدا من خلقه فوقك فلا ترضى لنفسك ان يكون احد من
خلقه أطوع منك ولا ترضى أن يكون احد أولى بالشكر منك فبكى عمر رحمه الله حتى غشي
عليه ثم أفاق فقال هيه يا أبا خالد لم يرض ان يكون فوقي فوالله لأخافنه خوفا ولأحذرنه
حذرا ولأرجونه رجاء ولأحبنه محبة ولأشكرنه شكرا ولأحمدنه حمدا يكون ذلك
غاية طاقتي ولأجتهدن في العدل والنصفة والزهد في الدنيا والرغبة في باقي الآخرة
ودوامها حتى ألقى الله عز وجل لعلي أنجو مع الناجين وأفوز مع الفائزين ثم بكى حتى غشي
عليه وقال له الآخر اجعل الناس ثلاثة الكبير بمنزلة الأب والوسط بمنزلة الأخ والصغير

۳۹۱۹

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

کتب خانہ جامعۂ عثمانیہ

۱۔ اراکین مجلس اعلیٰ، مجلس رفقا، مجلس انتظامی و مجالس تعلیمات و نصاب پانچ کتابیں ایک ماہ تک اپنے پاس رکھ سکیں گے۔

۲۔ اساتذۂ جامعۂ عثمانیہ و کلیہ جات ملحقہ و عہدہ داران جامعہ اور اراکین دارالترجمہ دس کتابیں ایک ماہ تک اپنے پاس رکھ سکیں گے۔

۳۔ طلبائے ایم۔ اے، ایل۔ ایل۔ بی و [illegible] دو کتابیں، بی۔ اے اور انٹرمیڈیٹ جماعتوں کے طلبہ [illegible] کتابیں ایک ہفتہ تک اپنے پاس رکھ سکیں گے۔ اور طلبہ بحساب [illegible]

۴۔ مدت مقررہ پر کتابیں واپس نہ ہوں تو ایک آنہ یومیہ فی کتاب وصول کیا جائے گا۔

۵۔ بشرط موقع کتابیں مکرر جاری کی جا سکیں گی مگر اس غرض کے لیے کتب خانہ میں کتاب کا لانا لازم ہے۔

۶۔ کتابیں اگر گم یا خراب ہو جائیں تو مستعیر پر ذمہ داری عائد ہوگی۔

۷۔ کتابوں پر کسی قسم کا نشان پنسل یا روشنائی سے نہ لگایا جائے۔

۸۔ قلمی نسخے اور حوالے کی کتابیں جاری نہ کی جا سکیں گی۔ فقط